الترغيب والترهيب

من الحديث الشريف

تأليف

الإمام الحافظ زكي الدين
عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المجلد الأول

دار الفكر

التَّرغيبُ والتَّرهيبُ

مِنَ الحديثِ الشَّريفِ

تأليف

الإمام الحافظ زكي الدين

عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المتوفى سنة ٦٥٦هـ، رحمه الله تعالى آمين

ضبط أحاديثه، وعلق عليه بفتح جديد من الله سبحانه وتعالى المرحوم

مصطفى محمد عماره

خريج دار العلوم ومن كبار مدرسي وزارة المعارف المصرية

الجزء الأول

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار الفكر
بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبدالنور - هاتف : ٨٣٨٢٠٢ | ٣٩٠٩٦٣ | ٨٣٧٨٩٨
برقياً : فكس - تلكس: ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ، وأشهد أن لا إله إلا الله بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ناداه مولاه فزاده إجلالا وإكراما (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) فأدى صلى الله عليه وسلم الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ونطق بالحكمة وفصل الخطاب ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والعاملين بسنته الأبرار الصالحين المتقين .

أما بعد : فيقول الله تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ٧٨ من سورة النحل .

يا ابن آدم خلقك الله جاهلا لا تعرف شيئا من الحياة ، وهيأ لك ثلاثة أمور للفهم والإدراك لعلك تصغى إلى ما ينفعك ، وترى ما يقدمك ، فتحمد الله تعالى على ما وهب لك من كمال العقل .

قال البيضاوى : جهالا مستصحبين جهل الجادية ، سبحانه جعل أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ، ثم تنتبهون بقلوبكم لمشاركاتها ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية ، وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه اهـ .

ذكرت هذه الآية استدلالا على أن الإنسان فى حاجة إلى البحث وكثرة الاطلاع ليغذى نفسه بلبان العلوم والمعارف ويذكرها بالموعظة الحسنة ، ولن أجد نبراسا مضيئا ، وسراجا وهاجا ومصباحا منيرا أدعى إلى الهداية والإرشاد ، مثل كتاب الله جل وعلا ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يهديان الناس إلى المحجة الواضحة ، ويبصرانهم مواطن الحجة الناصعة ، وجامع الخير كله [الترغيب والترهيب] عكفت على قراءته من سنة ١٣٤٩ من هجرة سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأخرجت مختارات تزيد عن ألفين ولما تطبع . ثم راجعت الكتاب كله وضبطت ألفاظ أحاديثه ضبطا وافيا وأسماء الرواة رضى الله عنهم ، ثم عقبت كل باب من أبوابه بذكر طائفة من الآيات القرآنية التى تناسب أن يذكرها الواعظ المرشد ، والناصح الأمين ، والهدى المخلص ، والشارح الوافى كما ذيلتها بشرح [فتح جديد] كما ألهم الله سبحانه وتعالى يفسر غريب ألفاظها ، ويحلّ مستغلق كلماتها ، وأوردت كل ما تمس إليه الحاجة فى فهمها ، والاستدلال بعرضها ، فجاء والحمد لله كتابا جميلا حوى آيات بينات ، وحكما خالدات ، وقرآنا عربيا مبينا ، شنف آذان المسلمين بآيه الناطقة ، وأثلج صدورهم بحكمه البالغة ، وأفاض على القلوب من عظاته المؤثرة ، فكان مصدر خير ، ومبعث نور ، وشمس هداية أضاءت للعالم سبل الصالح ، وهدتهم خطط العمل الناجح . ثم حوى جملة من كلام خير البشر عليه الصلاة والسلام الذى أرسله الله على حين فترة من الرسل ، وحاجة من البشر ، فأهاب بالعقول من سباتها ، وأخذ بالنفوس عن غيها ، وعرض على الأنظار خيالة تمثلت فيها آى الكون الصامتة صلى الله عليه وسلم ، أدّبه ربه فوصفه سبحانه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) فكان تكوينه خير تكوين وتثقيفه أوّل تثقيف صلى الله عليه وسلم ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وإنها لأحاديث منتقاة متخيرة آية فى الإبداع والإرشاد ، تفصل شؤون الحياة ، وتوضح مجمل المحامد ، وتجلب كل المحاسن ، وتضرب فى صميم المنكرات والقبائح ، فتزيل كل معوجّ ، وتجارى العصر الحاضر ونهضته المباركة فى طلب الاستقامة والكدّ والجدّ والاشتغال بالأعمال الصالحة ، وشرحتها بعبارة سهلة يلمحها الأديب فيروقه وصفها ، ويقرؤها المربى فيسايره نهجها ، وينظرها القارئ الساذج فيسهل عليه فهمها ، وتروى منها نفسه . تراه ياأخى لكل واعظ غنية ، ولكل تقىّ بغية ، ولكل راغب فى الدين منية ، ولكل خلق ثمرة غضة (وجنى الجنتين دان) مالئا نفس الراغب ، سادّا جوعة النام ، وأعدّ هذا إلهاما ، راجيا من العليم سبحانه أن يهب لى توفيقا ، ويرزقنى الهداية والصحة والعافية ، ويمدّنى بروح منه ، ويظلنى فى ظلال السعادة ، ويمدنى بعنايته لأبعد من الزلل ، فهو الهادى المستعان (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب).

وحسبك قول الحافظ المنذرى فى فائدة هذا الكتاب المستطاب (سألنى بعض الطلبة الحذاق أولو الهمم العالية ممن اتصف بالزهد فى الدنيا والإقبال على الله عز وجل بالعلم والعمل ، زاده الله قربا منه وعزوفا عن دار الغرور ، أن أملى كتابا جامعا فى الترغيب والترهيب مجردا عن التطويل بذكر إسناد أو كثرة تعليل ؛ فاستخرت الله تعالى وأسعفته بطلبته ؛ لما وقر عندى من صدق

نيته ؛ وإخلاص طويته ، وأمليت عليه هذا الكتاب صغير الحجم ، غزير العلم ؛ حاويا لما تفرق فى غيره من الكتب) اهـ .

أعجبنى هذا القول العذب فأكثرت الإمعان فيه ، والنظر إلى مراميه ، وعقلت معانيه ، وأشعر بانشراح صدر ، والحمد لله لجنى ثماره ، وقطف أزهاره ، ونحن الآن فى حاجة إليه لأنا فى زمن كثر الانصراف فيه عن الدين ، وحبب إلى الناس الدنيا وزخارفها ، وغرتهم المدنية الحديثة بسرابها الخادع وبعدوا من السنة وآدابها ، ولنا رجاء فى المولى جل وعلا أن يشمل المسلمين برحمته فيعملوا بالكتاب والسنة ليسعدوا ، ولعل هذا السفر ينال حظا وإقبالا على قراءته وينظر إليه المؤمنون ، فينقع غلة الصادى ، ويشفى علة المرتاب .

وإنى أمد أكف الضراعة إلى من يجيب دعوة المضطرين أن ينفع به كأصله ويرزقنى فيه الإخلاص ، ليكون لى كفيلا فى الآخرة بالخلاص ، وإنى أشكر لله مدده ورعايته إذ أشرقت شموس الوعظ والإرشاد فى ربوع العالم وتصدى للعلم وتعليمه العلماء الأكفاء ، والسادة الفضلاء ، وقاموا بقسط وافر ، وعمل زاخر ، جزاهم الله خيرا . والفأل الحسن اليوم ١٣٧٣/٥/٢٧ هـ إقبال قادة المسلمين على الاطلاع عليه والاستضاءة بأنوار أحاديثه صلى الله عليه وسلم .

وإنى أشكر لرجال دار الكتب الملكية عنايتهم المضاعفة ، وهمتهم العالية ، فقد يسروا لنا الطرق المعبدة فى البحث والتنقيب والمراجعة والتصحيح على عدة نسخ مخطوطة من كتاب [الترغيب والترهيب] وقد اعتمدت على كتاب مختصر من جامع شيخون فى ٥ يونيه نمرة ١٢٠ حديث ، وقفه المرحوم محمد صالح أفندى شرمى زادة لطلبة العلم سنة ١٢٦٢ هـ ، وفى آخر هذه العبارة (ووافق الفراغ من كتابته نهار الثلاثاء تاسع عشر المحرم سنة ٨٢٥ هـ بصالحية دمشق المحروسة على يد المرحوم على بن يوسف البانياسى الشافعى غفر الله له) .

ثم راجعت على نسخة ثانية فى آخرها هذه العبارة (كتبها الشيخ محمد ابن الشيخ محمد ابن أحمد زهران الأجهورى فى عشرة من صفر سنة ١٢٠٢ هـ) .

ثم قام حضرة أخي العزيز المحترم الفاضل الأستاذ (مصطفى أفندى محمد عبد القادر) المدرس بالمدارس الأميرية بالمراجعة وضبط ألفاظ الأحاديث على النسخ المخطوطة بدار الكتب .

وقد ساعدنى حضرة الأستاذ المحدث التقى الشيخ أحمد بن الصديق المغربى نزيل مصر الآن على شراء نسخة مخطوطة من سنة ٨٤٩ هـ .

أراجع عليها الآن مرة ثانية فى أثناء الطبع انظر « ص ٣٧٦ ج أول من الترغيب »

نبذة فى مصطلح الحديث وفن أصوله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أقسام الحديث

النوع الأول : الصحيح : ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة : أى لا أنه غير مقطوع به ؛ ومعنى غير الصحيح لم يصح إسناده ، وقيل المختار أنه لا يجزم فى إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقا ، وقيل أصحها الزهرى عن سالم عن أبيه ، وقيل عن ابن سيرين عن عبيدة عن علىّ ، وقيل الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود ، وقيل الزهرى عن علىّ عن الحسن عن أبيه عن على ، وقيل مالك عن نافع عن ابن عمر ، فعلى هذا قيل الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم .

الكتب الصحيحة

أوّل مصنف فى الصحيح المجرد صحيح البخارى . ثم مسلم ، وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم ، والبخارى أصحهما وأكثرهما فوائد ، واختص مسلم بجمع طرق الحديث فى مكان . وسنن أبى داود والترمذى والنسائى ، تلك أصول خمسة لم يفتها إلا اليسير ، وجملة ما فى البخارى ٧٢٧٥ حديثا بالمكرر ، وبحذف المكرر (٤٠٠٠) . ومسلم بإسقاط المكرّر نحو (٤٠٠٠) .

ثم إن الزيادة فى الصحيح تعرف من السنن المعتمدة كسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة والدارقطنى والحاكم والبيهقى وغيرها منصوصا على صحته .

والكتب المخرّجة على الصحيحين لم يلتزم فيها موافقتهما فى الألفاظ فحصل فيها تفاوت اللفظ والمعنى ، وكذا ما رواه البيهقى والبغوى وشبههما قائلين : رواه البخارى ومسلم وقع بعضه تفاوت فى المعنى .

أقسام الصحيح . أعلاها ما اتفق عليه البخارى ومسلم ، ثم ما انفرد به البخارى ، ثم مسلم، ثم ما على شرطهما ، ثم ما على شرط البخارى ، ثم مسلم ، ثم صحيح عند غيرهما ، وإذا قالوا صحيح متفق عليه أو على صحته فمرادهم اتفاق الشيخين .

النوع الثاني : الحسن : قال الخطابي رحمه الله:هو ماعرف مخرّجه واشتهر رجاله،وعليه مدار أكثر الحديث ويقبله أكثر العلماء ، ويستعمله عامة الفقهاء ، وإذا قيل حسن صحيح : أي روى بإسنادين : أحدهما يقتضي الصحة ، والآخر الحسن .

النوع الثالث : الضعيف: وهو مالم يجمع صفة الصحيح أو الحسن،وربما لقب بالموضوع أو الشاذ .

النوع الرابع: المسند : قال الخطيب البغدادي:هو عند أهل الحديث ما اتصل سنده إلى منتهاه ، وأكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره .

النوع الخامس: المتصل: ويسمى الموصول:وهو ما اتصل إسناده مرفوعا كان أو موقوفا على من كان .

النوع السادس : المرفوع :وهو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لا يقع مطلقه على غيره متصلا كان أو منقطعا .

النوع السابع: الموقوف : وهو المروي عن الصحابة قولا لهم أو فعلا أو نحوه متصلا كان أو منقطعا ، ويستعمل في غيرهم مقيدا فيقال وقفه فلان .

النوع الثامن : المقطوع: وهو الموقوف على التابعي قولا له أو فعلا، واستعمله الشافعي ثم الطبراني في المنقطع .

النوع التاسع: المرسل: مارواه التابعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا .

ثم المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين والشافعي وكثير من الفقهاء وأصحاب الأصول . وقال مالك وأبو حنيفة في طائفة صحيح ، وقيل مرسل الصحابي محكوم بصحته .

النوع العاشر : المنقطع: هو الذي لم يتصل إسناده على أيّ وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي كمالك عن ابن عمر .

وقيل هو الذي اختلّ فيه رجل قبل التابعي محذوفا كان أو مبهما .

النوع الحادي عشر: المعضل:ماسقط من إسناده اثنان فأكثر،ويسمى منقطعا،ويسمى مرسلا عند الفقهاء ، وقيل ما قال فيه الراوي: بلغني ، كقول مالك بلغني عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « للمملوك طعامه وكسوته » يقال أعضل فهو معضل .

الإسناد المعنعن : هو فلان عن فلان ، قيل إنه مرسل،وقيل متصل بشرط أن لا يكون المعنعن مدلسا ، وبشرط إمكان لقاء بعضهم بعضا .

وفي اشتراط ثبوت اللقاء وطول الصحبة ومعرفته بالرواية عنه خلاف: منهم من لم يشترط شيئا من ذلك وهو مذهب مسلم بن الحجاج ادعى الاجماع فيه ، ومنهم من شرط اللقاء وحده

وهو قول البخارى وابن المدينى والمحققين ، ومنهم من شرط طول الصحبة، ومنهم من شرط معرفته بالرواية عنه .

النوع الثانى عشر : التدليس .

(١) تدليس الإسناد : بأن يروى عمن عاصرهم مالم يسمعه منه موهما سماعه قائلا : قال فلان أو عن فلان ، وربما لم يسقط شيخه وأسقط غيره ضعيفا أو صغيرا تحسينا للحديث .

(٢) تدليس الشيوخ : بأن يسمى شيخه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لم يعرف .

أما الأول فمكروه جداً . قال عنه العلماء : من عرف به صار مجروحا مردود الرواية، وأما الثانى فكراهته أخف ، وسببها توعير طريق معرفته .

النوع الثالث عشر الشاذ : ماروى الثقة مخالفاً رواية الناس ، لا أن يروى مالا يروى غيره ، هذا عند الشافعى وجماعة من علماء الحجاز .

قال الخليلى : والذى عليه حفاظ الحديث أن الشاذ ما ليس له إلا إسناد واحد يشذ به ثقة أو غيره ، فما كان عن غير ثقة فمتروك ، وما كان عن ثقة توقف فيه ولا يحتج به .

النوع الرابع عشر : معرفة المنكر. قال الحافظ البرديجى : هو الفرد الذى لا يعرف متنه عن غير راويه « برديج » بلد بأذربيجان .

النوع الخامس عشر: معرفة الاعتبار والمتابعات والشواهد. فالاعتبار أن يروى حماد مثلا حديثا لا يتابع عليه عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . والمتابعة أن يرويه عن أيوب غير حماد وهى المتابعة التامة ، أو عن ابن سيرين غير أيوب ، أو عن أبى هريرة غير ابن سيرين ، أو عن النبى صلى الله عليه وسلم صحابىّ آخر : والشاهد أن يروى حديثا آخر بمعناه .

النوع السادس عشر : معرفة زيادات الثقات وحكمها : مذهب الجمهور قبولها مطلقا . وقيل تقبل إن زادها غير من رواه ناقصا ، ولا تقبل ممن رواه مرة ناقصا .

النوع السابع عشر : معرفة الأفراد (١) فرد عن جميع الرواة (٢) بالنسبة إلى جهة كقولهم : تفرّد به أهل مكة أو فلان .

النوع الثامن عشر : المعلل: أى وجود سبب غامض قادح فيه مع أن الظاهر السلامة منه يفهمه أهل الحفظ والخبرة والفهم السابق .

النوع التاسع عشر: المضطرب هو الذى يروى على أوجه مختلفة منفردا به، والحكم للراجح

النوع العشرون: المدرج (١) مايذكر الراوى عقيب كلامه صلى الله عليه وسلم كلاما لنفسه أو لغيره فيرويه من بعده متصلا فيتوهم أنه من الحديث (٢) أن يكون عنده متنان

بإسنادين فيرويه بأحدهما. (٣) أن يسمع حديثا من جماعة مختلفتين فى إسناده أو متنه فيرويه عنهم باتفاق، وكله حرام.

النوع الحادى والعشرون: الموضوع هو المختلق المصنوع، وشرّ الضعيف، ويحرم روايته مع العلم به فى أى معنى كان إلا مبينا، ويعرف الوضع بإقرار واضعه، أو معنى إقراره، أو ركاكة فى لفظه ومعناه.

النوع الثانى والعشرون: المقلوب هو نحو حديث مشهور عن سالم جعل عن نافع ليرغب فيه.

النوع الثالث والعشرون: صفة من تقبل روايته أن يكون عدلا ضابطا مسلما بالغا عاقلا سليما من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظا حافظا إن حدّث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدّث منه، عالما بما يحيل المعنى إن روى به.

من كفر ببدعته لم يحتج به، ومن أخذ على التحديث أجرا لا تقبل روايته عند أحمد وإسحق وأبى حاتم، ولا تقبل رواية من عرف بالتساهل فى سماعه أو إسماعه. وألفاظ التعديل: ثقة أو متقن، أو ثبت، أو حجة، أو عدل حافظ، أو ضابط، أو صدوق، أو محله الصدق.

النوع الرابع والعشرون: كيفية سماع الحديث وتحمله وصفة ضبطه:

بيان أقسام طرق تحمل الحديث ومجامعها

(ا) الإجازة: أن يجيز معينا لمعين كأجزتك البخارى، أو ما اشتملت عليه فهرستى.

(ب) أن يجيز معينا غيره كأجزتك مسموعاتى، جوّز الجمهور الرواية وأوجبوا العمل بها.

(ج) يجيز غير معين بوصف العموم كأجزت المسلمين، أو كل أحد، أو أهل زمانى.

(د) إجازة مجهول أوله كأجزتك كتاب السنن، وهو يروى كتبا فى السنن.

المناولة (١) مقرونة بالإجازة، هى أن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه ويقول هذا سماعى أو روايتى عن فلان فاروه، أو أجزت لك روايته عنى ثم يبقيه معه تمليكا، أو لينسخه أو نحوه، أو يعرض سماعه ليرويه عنه. (٢) المجرّدة أن يناوله مقتصرا على (هذا سماعى) فلا تجوز الرواية بها.

الكتابة: هى أن يكتب مسموعه لغائب أو حاضر بخطه أو بأمره، وهى ضربان: مجردة عن الإجازة، ومقرونة بأجزتك ما كتبت لك، وهى فى الصحة والقوة كالمناولة المقرونة.

إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه مقتصرا عليه، جوّز أهل الحديث الرواية به.

الوصية : أن يوصى عندموته أو سفره بكتاب يرويه الصواب لايجوز للموصى له روايته عنه.

الوجادة : أن يقف على أحاديث بخط راويها لايرويها الواجد فله أن يقول وجدت أو قرأت بخط فلان أو فى كتابه بخطه حدثنا فلان ويسوق الإسناد والمتن .

النوع الخامس والعشرون : كتابة الحديث وضبطه .

النوع السادس والعشرون : صفة رواية الحديث .

النوع السابع والعشرون : معرفة آداب المحدث : علم الحديث شريف يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وهو من علوم الآخرة ، من حرمه حرم خيرا عظيما، ومن رزقه نال فضلا جزيلا ، فعلى صاحبه تصحيح النية وتطهير قلبه من أغراض الدنيا واختلف فى السن الذى يتصدى فيه لإسماعه، والصحيح أنه متى احتيج إلى ماعنده جلس له فى أىّ سن كان. وينبغى أن يمسك عن التحديث إذا خشى التخليط بهرم أو خرف أو عمى، ويختلف ذلك باختلاف الناس

(فصل) الأولى أن لايحدّث بحضرة من هو أولى منه لسنه أو علمه أو غيره، وقيل يكره أن يحدّث فى بلد فيه أولى منه. وينبغى له إذا طلب منه مايعلمه عند أرجح منه أن يرشد إليه فالدين النصيحة ، ولا يمتنع من تحديث أحد لكونه غير صحيح النية فإنه يرجى صحتها ، وليحرص على نشره مبتغيا جزيل أجره .

(فصل) ويستحب له إذا أراد حضور مجلس التحديث أن يتطهر ويتطيب، ويسرح لحيته ويجلس متمكنا بوقار، فإن رفع أحد صوته زبره ، ويقبل على الحاضرين كلهم، ويفتتح مجلسه ويختمه بتحميد الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ودعاء يليق بالحال بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئا من القرآن العظيم، ولا يسرد الحديث سردا يمنع فهم بعضه، والله أعلم.

ويستحب للمحدّث العارف عقد مجلس لإملاء الحديث ، ويستملى مرتفعا ، ويتخذ متيقظا يبلغ عنه إذا كثر الجمع ، ويستنصت المستملى الناس بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئا من القرآن ، ثم يبسمل ويحمد الله تعالى ويصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ويتحرّى الأبلغ فيه. وإذا ذكر صحابيا قال : رضى الله عنه ، أو ابنه قال : رضى الله عنهما ، ويثنى على شيخه حال الرواية بما هو أهله كما فعله جماعات من السلف .

النوع الثامن والعشرون: معرفة آداب طالب الحديث: تصحيح النية والإخلاص لله تعالى فى طلبه والحذر من التوصل به إلى أغراض الدنيا، ويسأل الله تعالى التوفيق والتسديد والتيسير، وليستعمل الأخلاق الجميلة والآداب . ثم ليفرغ جهده فى تحصيله بالسماع من أرجح شيوخ بلده إسنادا وعلما وشهرة ودينا وغيره ، فاذا فرغ من مهماتهم فليرحل على عادة الحفاظ المبرزين، وليستعمل مايسمعه من أحاديث العبادات والآداب، فذلك زكاة الحديث وسبب حفظه والله أعلم

وينبغي أن يعظم شيخه ومن يسمع منه ، فذلك إجلال العلم وسبب الانتفاع به ، ويتحرى رضاه ولا يضجره ، وليستشره في أموره وما يشتغل فيه ، وإذا ظفر بسماع أن يرشد إليه غيره فإن كتمانه لؤم يقع فيه جهلة الطلبة ، فإن من بركة الحديث إفادته ، وبنشره ينمى ، ولا يمنعه الحياء والكبر من السعى التام في التحصيل وأخذ العلم ممن دونه في نسب أوسن أو غيره ، وليصبر على جفاء شيخه ، وليعتن بالمهم ، ولا يضيع وقته في الاستكثار من الشيوخ لمجرد اسم الكثرة .

وليتعرف صحة ما يفهم وضعفه وفقهه ومعانيه ولغته وإعرابه وأسماء رجاله محققا كل ذلك معتنيا بإتقان مشكلها حفظا وكتابة ، مقدما الكتب الصحيحة .

النوع التاسع والعشرون : معرفة الإسناد العالى والنازل :

(١) أجلها القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح نظيف .

(٢) القرب من إمام من أئمة الحديث وإن كثر بعده العدد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) العلو بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الخمسة أو غيرها من الكتب المعتمدة .

النوع الثلاثون : المشهور من الحديث ، وهو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم . وهو قسمان : صحيح ، وغيره ، ومشهور بين أهل الحديث خاصة وبينهم وبين غيرهم ، ومنه المتواتر المعروف في الفقه وأصوله ، ولا يذكره المحدثون .

النوع الحادى والثلاثون : الغريب والعزيز : فالغريب ما انفردوا بروايته ، أو بزيادة فى متنه أو إسناده وانفرد عن الزهرى وشبهه ممن يجمع حديثه رجل ، فإن انفرد اثنان أو ثلاثة سمى عزيزا ، فإن رواه الجماعة سمى مشهورا ، وغريب الحديث ما وقع فى متن الحديث من لفظة غامضة بعيدة من الفهم لقلة استعمالها .

النوع الثانى والثلاثون : المسلسل : وهو ما تتابع رجال إسناده على صفة أو حالة ، للرواة تارة وللرواية تارة ، وصفات الرواة أقوال وأفعال وأنواع كثيرة غيرها كمسلسل التشبيك باليد والعد فيها ، وكاتفاق أسماء الرواة أو صفاتهم أو نسبتهم كأحاديث رويناها كل رجالها دمشقيون وكمسلسل الفقهاء وصفا كالمسلسل بسمعت أو بأخبرنا .

النوع الثالث والثلاثون : ناسخ الحديث ومنسوخه . النسخ رفع الشارع حكما منه متقدما بحكم منه متأخر . فمنه ما عرف بتصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » ومنه ما عرف بقول الصحابى كـ « كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار » . ومنه ما عرف بالتاريخ ، ومنه ما عرف بدلالة الإجماع كحديث قتل شارب الخمر فى الرابعة . والإجماع لا ينسخ ولا ينسخ ، لكن يدل على ناسخ ، والله أعلم .

النوع الرابع والثلاثون : معرفة مختلف الحديث وحكمه . وهو أن يأتى حديثان متضادان فى المعنى ظاهرا فيوفق بينهما أو يرجح أحدهما ، وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون الغوّاصون على المعانى .

النوع الخامس والثلاثون : معرفة الصحابة رضى الله عنهم . قيل هو كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل عن أصحاب الأصول : من طالت مجالسته على طريق التبع ، وكلهم عدول رضى الله عنهم . قال أبو زرعة الرازى : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه . وأفضلهم سيدنا أبو بكر ، ثم عمر وعثمان وعلىّ ، ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان ، وممن لهم مزية أهل العقبتين من الأنصار ، والسابقون الأولون .

النوع السادس والثلاثون : معرفة التابعين رضى الله عنهم . هو من صحب الصحابىّ . وقيل من لقيه ، ويليهم الذين ولدوا فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم من أولاد الصحابة ، ومن التابعين المخضرمون الذين أدركوا الجاهلية وأسلموا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم . ومن أكابر التابعين الفقهاء السبعة : ابن المسيب ، والقاسم بن محمد ، وعروة ، وخارجة ابن زيد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وسليمان بن يسار . وعن أحمد بن حنبل قال : أفضل التابعين ابن المسيب ، قيل فعلقمة والأسود . وقال ابن أبى داود : وسيدتا التابعيات حفصة بنت سيرين ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، وتليهما أم الدرداء . وقال أبو عبد الله بن الخفيف : أهل المدينة يقولون أفضل التابعين ابن المسيب . وأهل الكوفة أويس ، والبصرة الحسن . وقال أحمد بن حنبل : أفضل التابعين قيس وأبو عثمان وعلقمة .

النوع السابع والثلاثون : التاريخ والوفايات . الصحيح فى سن سيدنا سيد البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أنه ثلاث وستون ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ . وأبو بكر فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ . وعمر فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ وعثمان سنة ٣٥ هـ . وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ابن تسعين . وعلىّ فى رمضان سنة ٤٠ هـ . وهو ابن ثلاث وستين ، وقيل أربع ، وقيل خمس ، وطلحة والزبير فى جمادى الأولى سنة ٣٦ هـ . قال الحاكم : كانا ابنى ٦٤ ، وسعد بن أبى وقاص سنة ٥٥ ابن ثلاث وسبعين . وسعيد سنة ٥١ ابن ثلاث أو أربع وسبعين ، وعبد الرحمن ابن عوف سنة ٣٢ ابن خمس وسبعين ، وأبو عبيدة سنة ١٨ ابن ثمان وخمسين ، وصحابيان عاشا ستين سنة فى الجاهلية وستين فى الإسلام وماتا بالمدينة سنة ٥٤ : حكيم بن حزام ، وحسان بن ثابت ابن المنذر بن حرام رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وسيدنا سفيان الثورى سنة ١٦٠ ومولده ٩٧

وهو صاحب مذهب مشهور متبوع غير الأربعة اه بعبارة مختصرة من التقريب للنووى رحمه الله . وبمناسبة تعرضى فى شرحى للأحكام الفقهية ، وذكر صاحب الترغيب الأئمة ورواة الحديث أتفضل بذكر كلمة تعريفا لحقهم ، وقياما ببعض واجبهم ، تكون نبراسا للقارئين ، وذكرى حسنة للعاملين .

الإمام أبو حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه

٨٠ — ١٥٠ هـ

مولده ونشأته : هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه ، فقيه العراق وقدوة أهل الرأى ، وصاحب المذهب المقضىّ به الآن فى أكثر الممالك الإسلامية ، وأول من فتق الفقه وفصل فصوله وأقسامه وميز مسائله ورتب قياسه . والأشهر أن أصل جده زوطا من فرس كابل ، ولد سنة ٨٠ ونشأ بالكوفة . وعاصر بعض الصحابة ، واشتغل بالفقه وأخذ كل علمه عمن شافه من الصحابة ونقل عنهم ، وقد كان كثير من الزنادقة فى عصره يضعون الأحاديث ويقبلها منهم أهل الغفلة ، فحمل أبا حنيفة شدة تورعه واحتياطه على ألا يأخذ فى دينه وفقهه إلا بما لا شك عنده فى صحته وتصعب فى ذلك فلم يصح عنده إلا أحاديث قلائل عمل بها .

مذهبه : استنبط فقهه من القرآن واستعمال القياس والرأى ، وتابعه فى ذلك أكثر أئمة العراق لقلة رواة الحديث بينهم وكثرتهم فى الحجاز ، ولذلك امتاز فقهاء الحجاز بمتابعة السنة فى أكثر فقههم وأنكروا الرأى على أهل العراق ، ولكل حجة كما ترى .

زهده وورعه : وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجدا وقراءة للقرآن وأكثرهم ورعا وتقية وتوخيا للكسب من وجه حلّ ، رغب عن وظائف الملوك والخلفاء ، ورضى أن يعيش تاجر خز ، وعرض عليه القضاء من قِبَل أمراء بنى أمية ثم المنصور ، فأبى حتى سجنه المنصور على ذلك وآذاه ، فكان يعتذر بأنه لا يأمن نفسه . قيل إن المنصور حلف ليلين له عملا فكفّر عن يمينه بأن ولاه تعداد الآجر فى بناء مدينة السلام ، وكان الناس قبله يعدونه بالآحاد فعده بالقصب المكعب بعد رصفه .

وقرأ عليه الفقه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منهما الأئمة من أصحابه كمحمد ابن الحسن وأبى يوسف وزفر وربيعة الرأى ووكيع بن الجراح وغيرهم .

وفاته : مات أبو حنيفة رحمه الله ببغداد سنة ١٥٠ هـ .

مؤلفاته : وله من الكتب التى رواها عنه أصحابه وتابعو أصحابه كتاب الفقه الأكبر ، وكتاب العالم والمتعلم ، وكتاب الرد على القدرية .

الإمام مالك رضى الله عنه

٩٥ — ١٧٩ هـ

مولده ونشأته : هو سيدنا أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحى . ولد بالمدينة سنة ٩٥ هـ ونشأ بها وتفقه وتعلم عن ربيعة الرأى سنة ١٣٦ هـ وتعمق فى علوم الدين حتى صار حجة فى الحديث وإماما فى الفقه ، نوّر الله قلبه وفتح عليه فتحا مبينا ورقاه وملأ قلبه إيمانا وورعا وتقوى وإخلاصا ، وأدّبه فأحسن تأديبه ، وقال الحق ، وخشى ربه ، وحارب البدع ، ونازع الملحد وحاربه .

فتاويه وتأليفه : قيل إنه أفتى بخلع المنصور ومبايعة محمد بن عبد الله من آل على . فأحفظ ذلك جعفر بن سليمان عم الخليفة وأمير المدينة فجرّده وضربه سبعين سوطا ، فما ازداد إلا علاء وشرفا ، ولما علم المنصور بذلك اعتذر إليه وترضاه ، وقال له : لم يبق فى الناس أفقه منى ومنك ، وقد شغلتنى الخلافة ، فضع للناس كتابا ينتفعون به . وتجنب رخص ابن عباس ، وشدائد ابن عمر ، وشواذّ ابن مسعود ، ووطئه للناس توطئة . فصنف «الموطأ» وسمعه عليه المهدى . ثم الرشيد سنة ١٧٤ هـ ، وتظهر عليه حال النعمة وثياب العزة وأبهة العلم ووقاره ، وبقى مشرقا لنور العلم ، وقبلة لرواة الحديث ، وعمدة للفتوى حتى أتاه اليقين بالمدينة سنة ١٧٩ هـ .

أخى : تأمل فى حادثة الإمام مالك مع أبى جعفر المنصور يحكم بعزله ، ولكن يقدمه عنه التبريز فى التأليف وبلوغ قمة المجد والشرف والعز ، ويصبح الإمام مالك صاحب مذهب ومجتهدا علامة يعمل بآرائه ملايين المسلمين من لدن ظهوره إلى الآن ، بل مادامت الدنيا لن يفنى العاملون بمذهبه ، ولن يضل متبعوه ، ولن يذل أو يضل المهتدون بهديه .

علمه وفضله : كان مالك من حجج الله على خلقه ، لا يحدث إلا عن صحة ، ولا يروى إلا عن ثقة ؛ قد توفر حظه من السنة ، فبنى مذهبه عليها ، وانفسح ذرعه فى الفقه ، فانتهت إليه الفتوى وهو القائل عن نفسه (قلّ رجل كنت أتعلم منه ما مات حتى يجيئنى ويستفتينى) وله كتاب الموطأ فى الحديث وهو أساس المذهب .

ولما جاء ولى عهد المنصور (المهدى) حاجا سمعه منه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار وبألف لتلاميذه . ثم رحل إليه الرشيد وأولاده ليسمع موطأه فسمعه وأغدق عليه .

صفته وأخلاقه : كان مالك أشقر شديد البياض ، أصلع ، كبير الرأس ، حسن البزة ، وقورا مهيبا عفيفا سخيا كريما ، يشرك أهل العلم فى ماله ، متصفا بالنبل والتواضع والحب لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ، لا يحدّث إلا عن وضوء ، ولا يركب دابة فى دار الهجرة إجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه ضعيف . وكان أمينا على العلم ، فلا يترفع أن يقول فى الشىء (لا أدرى) . اتفق أن امرأة توفيت بالمدينة ، فغسلتها غاسلة فلصقت يدها على فرجها فاحتاروا فى أمرها هل يقطعون يدها ؟ أو يقطعون جزءا من لحمها ؟ فاستفتوا الإمام مالكا رضى الله عنه ، فقال : أرى عليها حداً فجلدوها وأقاموا عليها حدّ القذف والسبّ ، وبعد ذلك خلصت يد الغاسلة . فهذا سبب قولهم : لا يفتى ومالك بالمدينة .

ومن كلامه رضى الله عنه :

إذا رفع الزمان مكان شخص   وكنت أحق منه ولو تصاعد
أنله حق رتبتـــه تجده   ينيلك إن دنوت وإن تباعد
ولا تقـل الذى تدريه فيـه   تكن رجلا عن الحسنى تقاعد
فكم فى العرس أبهى من عروس   ولكن للعروس الدهر ساعد

ولما قدم الرسول المدينة استقبله الناس إلا مالكا ، فأرسل له يعتب عليه ؛ فأرسل إليه : إنى شيخ كبير ، ولى عذر من الأعذار لا يذكر .

فأرسل إليه يا أبا عبد الله نريد أن تأتينا لتحدّثنا بكتابك ، فأرسل إليه إن هذا العلم عنكم أخذ ، وأنتم أولى بصيانته ، العلم يؤتى له ولا يأتى ، فقال صدقت . ثم ركب الرشيد إلى مالك فحبسه ببابه ، فقال يا أبا عبد الله لم تأتنا وإذا أتيناك حبستنا بالباب؟ فقال: علمت أن أمير المؤمنين قصدنى إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأردت أن أتأهب لذلك ، فطلب أن يقرأ عليه فى مجلس خاصّ به ، فقال الإمام : اعلم أن الخاصّ لا ينتفع به فنصب له كرسى فقعد عليه فقال الإمام : حدثنا فلان عن فلان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله» فنزل الرشيد عن كرسيه وقعد على الأرض بين الناس .

انتهى من كتاب حاشية الشيخ يوسف الصفتى المالكى رحمه الله تعالى ص ١٢ .

فانظر رعاك الله فقهه وورعه ، أرشده الله إلى الحق وألهمه الرشد . اللهم وفقنا أن ننهج منهجه ، ونسير على ضوئه .

ونسأل الله جلّ وعلا أن يزيدنا إيمانا به وفقها فى دينه إنه الرب العليم الحكيم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

الإمام الشافعي رضى الله عنه

١٥٠ — ٢٠٤ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب القرشى المطلبى عالم قريش ونحرها ، وإمام الشريعة وحبرها

وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ، ويجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف .

مولده ونشأته : ولد الشافعى بمدينة غزّة من أرض فلسطين سنة ١٥٠ ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، فنشأ بها، وما ميز حتى صار نادرة الدنيا ذكاء وحفظا . حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، وأولع بالعربية من النحو والشعر واللغة، وتتبعها من رواتها ، ورحل إلى البادية فى تطلبها، ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئا كثيرا . وبينما هو يترنم بشعر للبيد زجره بعض الحَجَبة عن أن يكون مثلُه فى شرفه ونسبه راوية للشعر . وقال له تفقه يعلمك الله، فانتفع بهذا الكلام وحفظ موطأ مالك، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة . ثم رحل فى هذه السن إلى مالك بالمدينة وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام، وضافه مالك على رقة حاله وقتئذ وخدمه بنفسه ، فبقى عنده مدة . ثم رجع إلى مكة وعلم بها العربية والفقه وصحح عليه الأصمعى فيها شعر الهذليين ، وكان الشافعى فى حداثته فقيرا تربيه أمه وهى أرملة ، فكان يتقبل معونات الأغنياء من ذوى قرابته من قريش .

هجرته : ولى الرشيد أحد أصدقائه عملا باليمن ، فخرج معه وولى بعض الأعمال بها ، فأحسن التصرف ، وبقى مدة حتى وشى به إلى الرشيد، وأنه يؤامر الطالبيين للخروج عليه ، فحمل مع الطالبيين إلى الرشيد وهو بالرقة فلم يتبين شيئا فى أمره فأطلقه ، فقيل كان ذلك بشفاعة الفضل بن الربيع ، وقيل بشفاعة محمد بن الحسن ، وقيل غير ذلك . ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه . ومنهم أحمد بن حنبل، فأقام بها حولين أملى فيهما مذهبه القديم، واجتمع أثناء إقامته بالعراق بمحمد بن الحسن فأكرمه وأغدق عليه، وكتب عنه الشافعى علما كثيرا ؛ ثم رجع إلى مكة ، ثم عاد إلى بغداد سنة ١٩٨ فأقام بها شهرا ، ثم خرج إلى مصر فوصل إليها سنة ١٩٩ أو سنة ٢٠٠ فألقى عصاه بها وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته وبها أملى مذهبه الجديد بجامع عمرو

مذهبه : واستنبط الشافعى مذهبه بعد القرآن من الحديث والقياس والرأى . فكان

مذهبه وسطا بين أهل الرأى من مثل أصحاب أبى حنيفة وبين أهل السنة من مثل أصحاب مالك وأحمد .

وفاته : توفى سنة ٢٠٤ ، ودفن بالقرافة ، وقبره بها مشهور حتى صارت تنسب إليه، وكان الشافعي أفضل من رأى الناس ذكاء وعقلا وحفظا وفصاحة لسان وقوة حجة، ولم يناظر أحدا إلا ظهر عليه، وكان يقول : ماناظرت أحدا إلا وددت أن يظهر الحق على يديه .

وجملة القول : أنه كان إماما فى كل شىء حتى الرمى فكان يصيب تسعة من عشرة .

مؤلفاته: ومن كتبه التى أملاها على أصحابه «المبسوط» الذى سمى فى مصر باسم «الأم» وأكثر الناس على أنه أول من صنف فى أصول الفقه ، وله كتب أخرى كثيرة .

الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه

١٦٤ — ٢٤١ هـ

مولده ونشأته: هو إمام أهل السنة، وأفقه أهل زمانه. الحافظ الحجة « أبو عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى » ولد ببغداد سنة ١٦٤ ونشأ بها يتيما ، وطلب الحديث لست عشرة سنة. وقد كثرت رواته، وعرفت ثقاته ، وتميز صحيحه . فجاب الأقطار الإسلامية فى تلقيه وجمعه حتى حفظ ألف ألف حديث، تنحل منها أربعين ألفا ونيفا ، فدوّنها فى كتابه المسند، وهو من أصحاب الشافعى وصفوة تلاميذه . وقد قيل فيه وهو راحل إلى مصر خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من ابن حنبل .

ورعه وزهده: استنبط مذهبه من الكتاب والسنة وشابه بشىء من القياس فقلّ أتباعه لبعده عن الاجتهاد وتمسكه بالرواية. وتصدى هو وشيعته لمجادلة المتكلمين ، ومناضلة الفلاسفة فى عصر الرشيد والمأمون، ودعى إلى الخلق: أى القول بخلق القرآن زمن المعتصم فأبى، فضرب تسعة وعشرين سوطا حتى تقطر دمه، وغاب رشده ، واعتل جسمه، ولم ينعم باله ، إلا فى عهد المتوكل، وعاش فى التقوى والجدّ والعمل، وخشى الله حتى انتقل إلى دار كرامته ومثوبته سنة ٢٤١ هجرية فشيعه ثمانمائة ألف رجل وستون ألف امرأة مما يدل على مكانته العالية فى نفوس المسلمين ، ورفعة شأنه وعلوّ قدره .

قال قتيبة: أحمد إمام الدنيا. وقال إبراهيم الحربى: كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين

أيها المسلمون هذه ترجمة سيدنا أحمد الذى كان يعبد الله ليل نهار، ويخشى بأسه، ويرجو رحمته ويرحل إلى تمحيص حديث سيد الخلق ، وقد عمل له مذهبا يعبد الله على منهجه خلق

تحلوا بآدابه ، وأخلصوا لله فى الطاعة ، وانقادوا لأوامره ، واجتنبوا مناهيه . وقد روى عنه صاحب [الترغيب والترهيب] أريد أن نقرأه ونعمل به ، أرجو ذلك ، والله غفور رحيم .

الإمام البخارى رضى الله عنه

١٩٤ — ٢٥٦ هـ

مولده ونشأته : هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى رضى الله عنه . وهو المحدّث الذى ملأ ذكره الآفاق ، وعم صيته ، وانتشر اسمه ، وذاع فضله ، وشملته بركة النبى صلى الله عليه وسلم . وقد ولد ببخارى يوم الجمعة أوليلتها ثالث عشر شوال سنة ١٩٤ هـ وتوفى ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ وقد نشأ بها يتيما ، وحفظ القرآن وثقف العربية وأجادها وفقه معنى ألفاظها . وطلب الحديث فى التاسعة من عمره ، أراد الله له أن يستضىء بالأنوار المحمدية ، ويستظل بالرحمات الإلهية ، ويتغذى بالحكم المصطفوية ، فلم يكد يبلغ الحلم حتى حفظ عشرات الألوف منها .

هجرته لطلب العلم ، ولأداء فريضة الحج : خرج إلى مكة فى سنة ٢١٠ مع أمه وأخيه فعاد هذان ، وتخلف هو للتوسع فى الحديث ، فرحل إلى معظم الممالك الشرقية ، وقد روى عن علمائها وأخذ عن فقهائها .

ورعه وزهده : هو رجل عظيم قوىّ العزيمة ، رصين القول وصادقه ، كثير الخوف من الله جل وعلا . قيل كان يصلى فلسعته ستة عشر زنبورا فما قطع صلاته ، وبعد أن أتمها مدّ ظهره لجاره . فإذا به عدة لسعات مميتات . قيل كان قبل أن يضع الحديث يتوضأ ويغتسل ويصلى ركعتين لله ، ويطلب الإرشاد ، ويستلهم الصواب ، ويستجدى المغفرة ، ويتطلب الحق ، ويستغيث بمولاه أن يلهمه الرشد ، ويرزقه الإقبال والقبول .

تأليفه : وقد جمع كتابه [الجامع الصحيح] فى ست عشرة سنة ، وضمنه تسعة آلاف حديث تنحاها من ستمائة ألف ، وفيها ستة آلاف مكررة بتكرر وجوهها ، وقد أجمع العلماء على أنه أصح كتاب فى الحديث .

وفاته : ومن حوادثه أنه ابتلى بفتنة القول بخلق القرآن ، فثبت على إيمانه ولم يخش صولة الحاكم وإلحاده وزيغه وأفتى بأنه قديم غير مخلوق ، لأن القرآن صفة من صفات الله جل وعلا القديم ، فأخرج من بخارى مطرودا ، فلاقته المنية سنة ٢٥٦ هـ بقرية على ثلاثة فراسخ من سمرقند . ولما دفن رحمه الله تعالى فاح من قبره رائحة الغالية أطيب من المسك واستمرت أياما

كثيرة حتى تواتر ذلك عن جميع أهل البلاد، وكان يأكل فى كل يوم لوزتين، وكانت أمه مجابة الدعوة، وكان رضى الله عنه قد ذهب بصره فى صغره فرأت أمه الخليل إبراهيم عليه السلام فى المنام فقال لها : يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة دعائك فأصبح بصيرا ، وهذا صحيح ، لأنه أخلص لتمحيص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شهادة الأئمة فيه

وقد قال ابن خزيمة الحافظ : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخارى .

وقد قال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل .

وقد قال الأحزم : رأيت مسلم بن الحجاج بين يدى البخارى وهو يسأله سؤال الصبى المتعلم .

وقد قال أبو مصعب : محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل .

وقد قال أبو عمر الخفاف : حدثنا النقىّ التقيّ العالم الذى لم أر مثله محمد بن إسماعيل البخارى وهو أعلم بالحديث من إسحق وأحمد وغيرهما بعشرين درجة .

* * *

أيها المسلمون : إن القلوب تضاء بأنوار الله بالاطلاع على حديث رسول الله، فأرجو أن تستزيدوا منها كل يوم ، وتزوّدوا بالعمل بها ، واهتدوا بهديها رجاء النجاح والفلاح « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

الامام مسلم رضى الله عنه

٢٠٦ — ٢٦١ هـ

مولده ونشأته : هو الإمام المحدث والبحاثة العلامة ، والمقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا، والراوية الأوحد، والعلم المفرد أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى ولد سنة ٢٠٦ هجرية، ورحل إلى العراق والحجاز والشام، وسمع من أئمتها، وقدم بغداد مرارا. وكان رحمه الله تعالى يستفيد من الإمام البخارى رضى الله تعالى عنه وناضل عنه، وشهد بسبقه وأنه وحيد دهره ، وفريد عصره فى الحديث ، وأخذ عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وإسحق بن راهويه ومحمد بن مسلمة القعنبي . وقد جمع رحمه الله أربعة آلاف حديث أصولا دون المكررات ، وتوفى رحمه الله سنة إحدى وستين ومائتين .

مميزاته : سلك رحمه الله تعالى فى كتابه الصحيح طرقا بالغة فى الاحتياط و الإتقان والمعرفة والورع ، جزاه الله خيرا على هذه الخدمة الجليلة. قال عنه العلماء : سيرته حسنة، وكلامه عذب تامّ المعرفة . غزير العلم ، حاز قصب السبق والتبريز فى استخراج الحديث وتمييز صحيحه من ضعيفه ، وعلوّ محله فى التمييز بين دقائق علومه .

هذا هو الإمام أحد الرواة الذين نقل عنهم الحافظ المنذرى بعض أحاديث كتابه ونفع الله به وبنفع ، وإنى أعتقد أنه محظوظ إلى يوم القيامة، لا يعتريه تغيير ولا تبديل، تحوطه عناية الله ويرعاه رب السموات والأرضين، ونعمة و بركة من صاحب الأحاديث السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله تكرم جل وعلا وأعاننى على نقل ألفى حديث من صحيحه « مختار الإمام مسلم » فى جزءين ، ضبطت لفظه وشرحت غامضه . فأشرقت شمس معارفه ، تضىء للمسلمين سبل الهداية والحكم المحمدية . قال عنه إسحق بن منصور الكوسج: لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين (يخاطب الإمام مسلما صاحب الترجمة) وقال عنه النيسابورى : ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم . وقال الحافظ بن حجر العسقلانى : حصل لمسلم فى كتاب به حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله بحيث إن بعض الناس كان يفضله على صحيح محمد بن إسماعيل البخارى ، وذلك لما اختص به من جمع الطرق وجودة السياق ، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هى من غير تقطيع ولا رواية بمعنى .

الامام أبو داود

٢٠٢ — ٢٧٥ هـ

هو سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدى السجستانى الحافظ الإمام الثبت . قال محمد ابن إسحق الصاغانى : ألين لأبى داود الحديث كما ألين لداود الحديد . وقال الحافظ موسى ابن إبراهيم : خلق أبو داود فى الدنيا للحديث وفى الآخرة للجنة ، ما رأيت أفضل منه . وقال الحاكم: أبو داود إمام أهل الحديث فى زمانه بلا مدافعة، ولد سنة ٢٠٢هـ ومات بالبصرة فى ١٦ شوال سنة ٢٧٥ هجرية .

الامام الترمذى

٢٠٩ ٢٧٩ هـ

هو الحافظ الكبير الحجة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى تلميذ البخارى وابن المدينى، وكان يضرب به المثل فى الحفظ قال الترمذى: صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز

والعراق وخراسان ورضوا به ، ومن كان في بيته هذا الكتاب : يعني الجامع الشهير بالسنن فكأنما في بيته نبيّ يتكلم . ولد سنة ٢٠٩ ومات بترمذ في ١٣ رجب سنة ٢٧٩ هـ .

الإمام النسائي

٢١٥ — ٣٠٣ هـ

هو الإمام شيخ الإسلام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي القاضي. قال الدارقطني: كان أفقه مشايخ مصر في عصره. وأعلمهم بالحديث والرجال. ولد سنة ٢١٥ هـ . خرج من مصر في ذي القعدة سنة ٣٠٢ هـ . وتوفي بفلسطين يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ٣٠٣ هـ .

الإمام ابن ماجه

٢٠٩ — ٢٧٣ هـ

بإسكان الهاء ، وكتابته بالتاء المثناة كما يكتبه الكثيرون خطأ ، لأنه اسم أعجمي ، وهو الحافظ الكبير المفسر أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، وابن ماجه هو لقب أبيه يزيد . ولد سنة ٢٠٩ ومات في رمضان سنة ٢٧٣هـ.

الامام الطبراني

٢٦٠ — ٣٦٠ هـ

هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي اللخمي ، الإمام الحافظ الحجة الذي نفع الله به وأكثر من الاطلاع على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ينسب إلى طبرية قرية على بحيرة طبرية بالأردن . ولد سنة ٢٦٠ وسمع الحديث سنة ٢٧٣ ، وحدّث عن ألف شيخ أو أكثر ومات في ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ.

الإمام أبو يعلى

٢١٠ — ٣٠٧ هـ

هو الحافظ الثقة أحمد بن علي بن المثنى التميمي صاحب المسند الكبير . ولد في شوّال سنة ٢١٠ ومات سنة ٣٠٧هـ.

الإمام البزار

هو الحافظ أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى ، بزار نسبة إلى بيع البزور أو إخراج دهنها . قال الدارقطنى : كان ثقة يخطئ كثيرا ، ويتكل على حفظه . مات بالرملة سنة ٢٩٢ هجرية .

الامام ابن حبان

هو الإمام الحافظ العلامة القاضى الطبيب أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمى البستى . قال أبو سعد الإدريسى (كان على قضاء سمرقند زمانا ، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار عالما بالطب والنجوم وفنون العلم) وقال تلميذه الحاكم : كان ابن حبان من أوعية العلم فى الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال ، مات فى شوال سنة ٣٥٤ هجرية .

الامام النيسابورى

٣٢١ — ٤٠٥ هـ

هو الأستاذ العلامة والبحر الفهامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الضبى النيسابورى المعروف فى زمنه بابن البيع : إمام المحدثين ، والحافظ المتقن الكبير .

قال عبد الغافر إسماعيل (هو إمام أهل الحديث فى عصره ، العارف به حق معرفة ، ولد فى ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ ، ومات فى صفر سنة ٤٠٥ هجرية) .

الامام ابن خزيمة

٢٢٣ — ٣١١ هـ

إمام الأئمة ، الذى شهد له أهل الفضل بالسبق ، وإتقان الرواية ، وحسن الدراية ، وجليل العمل . قال عنه الذهبى (هذا الإمام كان فريد عصره) .

وقال الدارقطنى (كان إماما ثبتا معدوم النظير . هو أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمى النيسابورى ، ولد سنة ٢٢٣ هـ ، وتوفى يوم ١٢ من ذى القعدة سنة ٣١١ هـ) .

الإمام ابن أبى الدنيا

٢٠٨ — ٢٨٢ هـ

هو الإمام المحدث ، العالم العامل أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشى الأموى كثر اطلاعه وحسن بحثه .

الإمام البيهقى

٣٨٤ — ٤٥٨ هـ

هو الإمام الحافظ العلامة صاحب الكتاب الضخم (السنن) فى عشر مجلدات فى الأحاديث النبوية ، المؤلف فى مذهب الإمام الشافعى حتى قال عنه إمام الحرمين أبو المعالى (ما من شافعى إلا وللشافعى عليه منّة إلا أبا بكر البيهقى فإن له المنة على الشافعى لتصانيفه فى نصرة مذهبه) .

هو شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، تلميذ الحاكم أبي عبد الله صاحب التآليف العديدة التى تقارب ألف جزء .

ولد سنة ٣٨٤ ومات يوم ١٠ جمادى الأولى سنة ٤٥٨ هجرية

الإمام الأصبهانى

٤٥٧ — ٥٣٥ هـ

هو الإمام المجتهد ، الحافظ الكبير ، شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمى القرشى الطلحى الأصبهانى ، الملقب بقوام السنة ، صاحب الترغيب والترهيب ، شيخ أبى سعد السمعانى والسلفى وابن عساكر .

رحمه الله — قنع وزهد فى حطام الدنيا ، وملأ قلبه إيمانا بالله وأبعد نفسه عن المطامع واعتكف ليهرع إليه السائلون ويلتجئ إليه المتعلمون ، ومن أخلاقه ألا يدخل على السلاطين ولا على من هو أفضل منهم ، قليل الكلام ، حسن الصمت ، وقور ، مؤدب ، ليس فى وقته مثله .

قال عبد الجليل بن محمد : سمعت أئمة بغداد يقولون : ما رحل إلى بغداد بعد الإمام أحمد أحفظ وأفضل من الإمام إسماعيل ، ولد سنة ٤٥٧ ، ومات يوم عيد الأضحى سنة ٥٣٥ هـ .

هؤلاء هم السادة الذين ذكرهم الحافظ المنذرى فى مقدمة كتابه ، ونقل عنهم أحاديث الترغيب والترغيب .

أرجو الله جل وعلا أن يتفضل عليّ بقبول عملي هذا ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ، ويهب لنا صحة وتوفيقا ورضا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مصدر الخير وشمس السعادة ، وكوكب السيادة ، ويتفضل عليّ ، وأنا الحقير الذليل بالهداية لعلي أسلك سبيل هؤلاء الأعلام .

ولي كلمة عن أثر صاحب هذا المؤلف (الترغيب والترهيب) .

الحافظ المنذرى

٥٨١ — ٦٥٦ هـ

هو الإمام المحدّث و الشيخ الحافظ المتقن «عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة ابن سعد» الحافظ الكبير الورع الزاهد شيخ الإسلام زكيّ الدين أبو محمد المنذرى الشامى ثم المصرى وليّ الله و المحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثّبْت الحجة الذى أنفق حياته فى طلب العلم وتعليمه ، وشرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخريجه ، والذى بيّن صحيحه وحسنه ومرسله وضعيفه ، وأفاد العالَم بذكر رواة الحديث ، واتقى ربه فأثمر علمه وأخلص فى عمله فأينعت تعاليمه ، وجاهد فى الله حق جهاده ، فبارك الله فى تلاميذه ، وكان لنا مثَلا أعلا وقدوة حسنة . كان رحمه الله مجاب الدعوة يتبرك به فى زمانه ويهرع إليه فى استفتائه ، ونقل العلم عنه وهو صاحب الأيادى البيضاء ، والمآثر الغراء ، والدرر البهية فى التوضيح للغامض وتفهيم الخفيّ . قال عنه تاج الدين السبكى فى طبقاته (نرتجى الرحمة بذكره ويستنزل رضا الرحمن بعلمه) .

كان رحمه الله تعالى قد أوتى بالمكيال الأوفى من الورع والتقوى والنصيب الوافر من الفقه ؛ وأما الحديث فلا مراء فى أنه أحفظ أهل زمانه ، وفارس أقرانه ، له القدم الراسخ فى معرفة صحيح الحديث من سقيمه ، وحفظ أسماء الرجال ، مفرط الذكاء ، عظيم الخبرة بأحكامه والدراية بغريبه وإعرابه واختلاف كلامه .

مولده وأساتذته

ولد فى غرة شعبان سنة ٥٨١ هجرية ، وتفقه على الإمام أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد القرشى الورّاق ، وسمع من أبى عبد الله الأرتاحى وعبد المجيب بن زهير ومحمد بن سعيد المأمونى ، وسمع من المطهر بن أبى بكر البيهقى وربيع اليمن الحافظ ، والحافظ الكبير على أبى الفضل المقدسى وبه تخرج ، وتوفى فى الرابع من ذى القعدة سنة ٦٥٦ هـ .

رحلاته

رحل إلى مكة وسمع الحديث من أبي عبد الله بن البناء وطبقته ، ثم ذهب إلى دمشق وسمع من عمر بن طبرزد ومحمد بن وهب بن الشريف والخضر بن كامل وأبي اليمن الكندى وخلق ، ثم سمع ـ بحران ـ والرها والاسكندرية وغيرها .

مؤلفاته

وتفقه رحمه الله فصنف شرحا على التنبيه ، وألف مختصر سنن أبي داود وحواشيه ، وهو كتاب مفيد يسطع ضوؤه للقارئين ، وله مختصر صحيح مسلم ، وخرّج لنفسه معجما كبيرا يفيد المطلعين ، وأفتى فى مسائل جمة ، وخرّج كثيرا ، وأفاد العالَم بعلمه ، وبه تخرّج الحافظ أبو محمد الدمياطى ، وإمام المتأخرين تقىّ الدين بن دقيق العيد ، والشريف عز الدين وطائفة من العلماء فاضت عليهم بركته ، وشملتهم فضائله ، وعمتهم مباحثه ، وقد سمعنا الكثير ببلبيس على أبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن على بن سيف بإجازته منه .

قال الذهبي : وما كان فى زمانه أحفظ منه ، ومن شعره :

اعمل لنفسك صالحا لاتحتفل ... بظهور قيل فى الأنام وقال

فالخلق لايرجى اجتماع قلوبهم ... لابدّ من مثن عليك وقال

وإنى أبشر من يقرأ فى هذا الكتاب بالمغفرة والرضوان : وقد قال فى مقدمته (وأنا أستمد العون على ماذكرت من القوى المتين ، وأمدّ أكف الضراعة إلى من يجيب دعوة المضطرين أن ينفع به كاتبه وقارئه ومستمعه وجميع المسلمين) .

وهأنذا أضبط كلمات الأحاديث ليقرأها القارئ صحيحة ، والله يغفر لنا ، واعذرنى أيها القارئ فالقلم يعجز أن يتحدث عن محامد ذلك العلامة الذى سهل للمسلمين سبل الاطلاع على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تشرح صدرك ، وتبهج نفسك ، وتقر عينك ، وتزيل ألمك ، وتبعد همك وتغذيك بلبان معارفها، وصريح عباراتها ، وبلسم طبها ، وحكيم قولها، وبديع لفظها ، وجميل أسلوبها، ومحاسن وعظها ، وبدائع إرشادها . فتجد أبوابا اجتماعية وخلقية جمعت الخير كله وحثت على جنى ثمار الدين، وقطف أزهاره للعاملين، ونهت عن الشر العاصين وحذرت وأنذرت. فأرجو أن تقتنى هذه النفائس . وتكنز هذه الجواهر؟ وتعمل منها وردا كل صباح

ومساء بابا بابا ، بقدر فراغك من عملك ، فهنا تتجلى الموعظة الحسنة ، وتشرق الحكمة من جوانبه ، ويزيدك الله نورا على نور . ولا غرو فيحكى عنه تاج الدين السبكى أنه درس بالقاهرة فى دار الحديث الكاملية وكان لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة حتى إنه كان له ولد نجيب محدث فاضل . توفاه الله تعالى فى حياته ليضاعف له حسناته ، فصلى عليه الشيخ داخل المدرسة وشيعه إلى بابها ، ثم دمعت عيناه . وقال أودعتك ياولدى الله ، وفارقه اه .

ماشاء الله ، يعتكف فى داره للعبادة والعلم حتى لايخرج لتشييع جنازة ابنه .

أيها المسلمون : أنشدكم الله أن تجعلوا كتاب [الترغيب والترهيب] سميركم ومرشدكم، لأن صاحبه كان يخشى الله ويتقى الله ويعمل لله . قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وأعتقد أن الإخلاص رائده ومحبة الله ورسوله وجهته وغاية مطلبه ، إذ لابدّ أن ينفع العلم منه ويصل إلى القلوب الظمآ نة فيزيل ظمأها ويبعد أوارها .

يحدّثنا عن شدة خوفه من الله والعمل بعلمه سيدنا تاج الدين السبكى إذ يقول :

(سمعت من أبى رضى الله عنه يحكى عن الحافظ الدمياطى أن الشيخ المنذرى مرة خرج من الحمام وقد أخذ منه حرها فما أمكنه المشى فاستلقى على الطريق إلى جانب حانوت ، فقال له الدمياطى ياسيدى ـ أنا أقعدك على مصطبة الحانوت ـ وكان الحانوت مغلقا ، فقال (وهو فى تلك الشدة : بغير إذن صاحبه كيف يكون) ؟ وما رضى .

فكّر فى هذا الحادث أيها القارئ ، شيخ يمتنع أن يجلس أمام الحانوت ليستريح من تعبه لأن صاحبه لم يرض مع أن الحانوت مغلق ولم يعطل أى حركة تجارية أومصلحية . لاتعجب فإن فى هذا نصوص العلم وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يتهاون العالم فى الصغيرة خشية أن تجرّ إلى الكبيرة ، ولا فتوى يحلها ولا تدليل أو تأويل أو تسهيل يتشدق به .

فلست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

روى الإمام الغزالى عن عالم فى الدولة الأموية جاء إليه محمد بن سليمان فلم يجد فى داره غير حصير وراوية وخريطة : حصير يجلس عليه وراوية يتوضأ منها وخريطة يضع فيها كتبه ، فقال للعالم مالى كلما أراك أزداد هيبة ؟ فقال له ذلك العالم . معنى حديث « من خاف الله خوّف الله منه كل شىء ، ومن خاف غير الله أخافه الله من أيّ شىء » بمعنى أن الله يحفظ من يخشاه ويملأ قلبه إيمانا به . فلا سلطان لغير الله عليه ، ومن لم يخف الله يزداد فزعا من أقل شىء ،

وتزول عنه الطمأنينة ، وقد عرض عليه أربعين ألف درهم فلم يقبلها ، وقال ردها إلى أربابها، وردّ المظالم إلى أهلها ، واتق الله .

أكتب ذلك وفى نفسى حسرة على إهمالها وتقصيرها فى الله ، أقرأ كثيرا وأطلع على الأحاديث كثيرا ، ومع ذلك لم أذق طعم الخوف من الله جل وعلا ، وأنسى الجملة المأثورة « رأس الحكمة مخافة الله » فى إيمان ضعيف ، ورغبة فى الدنيا شديدة . وعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر . فاللهم الطف .

أما آن لى ولأمثالى أن نرتدع ونزدجر ، ونخشى الله ونعمل بكتابه وسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) .

أيها المسلمون إن باب التوبة مفتوح على مصراعيه ، والله تعالى غفور رحيم ! فهل أدلكم (ونفسى) على تجارة تنجيكم من عذاب أليم : تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى العمل بالدين ونصر الدين ، والتحلي بآداب الدين ، والعمل بشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . وهذا كتاب [الترغيب والترهيب] البحر الزاخر فى المواعظ والزواجر ، وقد علمتم أن صاحبه كان قدوة حسنة فى عصره ، فليكن لنا قدوة حسنة فى عصرنا ، وليكن إمامنا وهادينا ونورنا إلى أقوال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ولن يصيب الأمة الإسلامية ضير ما اتبعت كتاب الله عز شأنه وسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم والتوسل بالصالحين وحضور مجالسهم والاقتداء بأقوالهم والتبرك بزيارة الأولياء لقوله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » يذكرنى ذلك قوله تعالى :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) أرجو أن ننتفع ، وأود أن نعمل ، وآمل أن نخاف .

رحماك يا الله رحماك ، يئنّ العالم من أزمة وهموم ، وذلك من عدم تقوى الله .

نسى المسلمون آداب دينهم، ومشوا وراء المدنية الكاذبة، وقلدوها فى الشرور والفسوق وقصر العالم فى إرشاده، والجاهل غفل عن تعليمه، وفشا الكذب ، وساد النفاق، وعمّ الشقاق ورغب المسلمون عن سماع القرآن والسنة . واشتغل الشباب بالروايات الأفرنجية وانتشرت البدع فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فهل لك أيها القارئ أن تتوب معى إلى الله ، وتنتفع بتأليف ذلك العالم الذى أخذ منه التعب كل مأخذ ، وأبى أن يستريح فيجلس على أرض لم يأذن صاحبها ، الله . الله .

أخلص ذلك العالم لربه فرضى عنه ونفع بعلمه ، وجعل الله له لسان صدق وفقه ، فأفاد واستفاد وجزاه ربه خيرا .

قال الإمام شمس الدين أبو عبد الله الذهبي فى طبقات الحفاظ فى ترجمة المؤلف :

درّس بالجامع الظافرى بالقاهرة ، ثم ولى مشيخة الدار بالكاملية وانقطع بها ينشر العلم عشرين سنة . وقال الشريف عز الدين الحافظ : كان شيخنا زكىّ الدين عديم النظير فى علم الحديث على اختلاف فنونه عالما بصحيحه وسقيمه ومعلوله وطرقه، متبحرا فى معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله، قيما بمعرفة غريبه وإعرابه واختلاف ألفاظه ، إماما حجة ثبتا ورعا متجردا فيما يقوله ، متثبتا فيما يرويه ، قرأت عليه قطعة حسنة من حديثه، وانتفعت به انتفاعا كثيرا.

تلك كلمة موجزة أثبتها لقراء [الترغيب والترهيب] ليقبلوا عليه قراءة ودرسا، ويقتدوا بصاحبه علما وعملا، ويتحلوا بمكارم السيد المجتبى صلى الله عليه وسلم، والله تعالى ولىّ التوفيق. ومنه الهداية وبشائر النصر والفتح تتجلى فى قادة العهد الجديد أمدهم الله بعونه ومنحهم مساعدته.

إجازتان برواية السند

(الأولى بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حبيب الله بن ما يابى الشنقيطى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل اتصال الأسانيد من خصوصيات هذه الأمة . والصلاة والسلام على رسولنا الذى أرسله الله للعالمين رحمة، وعلى آله وأصحابه المجاهدين لإعلاء كلمة التقوى - وأعظم بهامن كلمة ! - وتابعيهم من علماء الحديث المشتغلين بتحرير أسانيده حتى كشف الله بتحريرهم عن القلوب كل ظلمة .

أما بعد : فقد أجزت الأستاذ الذائق ، المحقق الدرّاكة الفائق، المشتغل بخدمة أحاديث رسول الله عليه وعلى آله وأصحابه أتم الصلاة والسلام، اختصارا لكتبها وانتقاء لصحيحها وتلخيصا لزبدة شروحها الشيخ «مصطفى بن محمد عمارة» فى سائر مروياتى ومصنفاتي، وخاصة فى جميع مصنفات الحافظ المنذرى صاحب [الترغيب والترهيب] فإني أرويها كلها كالترغيب والترهيب واختصار صحيح مسلم، واختصار سنن أبى داود وغيرها عن العلامة المحقق الربانى السيد المحدّث الكبير طائر الصيت الشهير، سيدي محمد ابن سيدى جعفر الكتانى دفين فاس ، وهو يرويه أى [الترغيب والترهيب] عن أحمد بن أحمد البنانى عن الوليد بن العربى العراقى عن الشيخ الطيب بن كيران عن محمد بن الحسن البنانى ومحمد التاودي ابن سودة ، كلاهما عن محمد

ابن عبد السلام البنانى عن أبى الفضل بن الحاج السلمى عن مؤلف المنح البادية. وأرويه أيضا عن الأستاذ الذائق السيد محمد كامل الهبراوى الحلبى دفين حلب الشهباء عن الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ محمد الأمير الصغير عن والده، خاتمة المحققين الأمير الكبير عن الشيخ على بن محمد السقاط عن العلامة أحمد بن الحاج عن صاحب المنح البادية، سيدى محمد بن عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسى، وهو يرويه مسلسلا بالحفاظ. قال: أنبأنا به أبو المكارم الحافظ عن الشهاب ابن القاضى الحافظ، عن الحافظ الرملى عن الحافظ السخاوى، عن الحافظ بن الفرات وابن ظهيرة عن الحافظ ابن جماعة عن الحافظ الدمياطى، عن مؤلفه الحافظ الشيخ عبد العظيم زكىّ الدين ابن عبد القوىّ المنذرى الشامى ثم المصرى، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وهى سنة فتنة التتار كما فى ثبت العلامة الأمير، وبهذا الإسناد أجزتك بسائر مصنفات المنذرى كما قدمته سابقا، وأوصيك ونفسى بتقوى الله سراً وعلنا، وأن تدعو لى بالدّوام فى خلواتك وجلواتك وفى أوقات الإجابة كما هو دأب أهل الوفاء مع مشايخهم فى الأسانيد لأنهم صاروا وصلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

قاله بلسانه، وقيده ببنانه فى وقت استعجال فى ٧ المحرم الحرام سنة ١٣٥١ هـ.

الإمضاء

خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين ثم بالتخصص للأزهر المعمور

محمد حبيب الله بن ما يأبى الجكنى

ثم اليوسفى نسبا الشنقيطى إقليما، المدنى مهاجرا، أماته الله بها على الإيمان آمين.

(الثانية) كلمة حضرة السيد الفاضل الشيخ الكتانى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله، الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد: فقد أجزت العالم الفاضل الشيخ «مصطفى محمد عمارة» بجميع مروياته ومؤلفاته وبالخصوص كتاب [الترغيب والترهيب] للحافظ أبى محمد عبد العظيم المنذرى حسبما أرويه عن والدنا الشيخ عبد الكبير الكتانى عن محدّث المدينة الشيخ عبد الغنى الدهلوى عن والده الشيخ أبى سعيد الدهلوى عن الشيخ عبد العزيز بن الشاه ولى الله الدهلوى عن أبيه عن المنلا أبي طاهر الكوراني عن أبيه عن نجم الدين الغزى عن أبيه عن القاضى زكرياء عن الحافظ ابن حجر

عن البرهان التنوخي عن إسحق بن الوزير عن الحافظ المنذرى، بإله من مؤلف ومروى موجب المجاز المذكور بالدأب على الطاعات، ونشر الحسنات، والدعاء لى بخاتمة الخير. قاله وكتبه محمد عبد الحى الكتانى الحسنى الفاسى فى ٥ صفر الخير عام ١٣٥٢ هـ بمصر القاهرة؟

الإمضاء

الاعتراف بالجميل

[ا] أشكر لفضيلة المرحوم والدى طيب الله ثراه، وأثابه وأجزل أجره، وأشكر حضرة عمى المرحوم الفاضل الشيخ أبو هاشم مصطفى عمارة رأس أسرة (أبى عمارة) مدّ الله فى نعيمه، ومتعنا برضاه وأدام علاه ورضوانه. عنوانه أبو كبير عرب أبى نصار (فراشة) شرقية، فإنهما شجعانى على علمى هذا ورغبانى فى علم الدين، وأحسنا إلىّ فى تربيتى وشذبا أغصانى، وتعهدا دوحتى، أثابهما الله ونفعنى برضاهما.

[ب] أشكر لفضيلة أستاذى الشيخ الشنقيطى على نصائحه الثمينة؟ وإلزامه أن أكثر من قراءة الحديث النبوي والتحلى بمكارم الأخلاق، والتزود بالتقوي والعمل بالسنة وأخص الترغيب وأتحفنى بهذه الكلمة التى أثبتها تبركا بفضيلته، وإقرارا بفضله.

[ج] أشكر للأستاذ الحسيب النسيب المحدث المشهور الشيخ الكتانى الذي أتحفنى بإجازة رواية الحديث وضبطه، التى ثبتها اعترافا بإحسانه، وشمولى بمحبته.

[د] الثناء المستطاب والإقرار بالفضل لحضرات السادة أساتذتى الأجلاء الذين جادوا علىّ بالتفهيم والإرشاد

[هـ] أشهد أن تربية الروح معنى وأدبا وطاعة لأستاذىّ الجليلين الشيخ أحمد السيد أبو هاشم والشيخ عبد الخالق عمر الشبراوى خليفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهداية، نفعنا الله تعالى بحبهما وأرضاهما عنا لننهج منهجهما إنه قدير.

هذا إلى الاعتقاد الجازم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وهو الموفق سبحانه الناصر الملهم، ونعم المولى ونعم النصير؟

مصطفى محمد عمارة
مدرس اللغة العربية بالمدارس الأميرية

حرر بالقاهرة { فى ذى القعدة سنة ١٣٥٢ هـ
فى مارس سنة ١٩٣٤ م }

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تبارك وتعالى ، والصلاة والسلام على السيد المصطفى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الأبرار الأخيار :

وبعد : فنظرا لنفاد الطبعة الأولى من شرحى على كتاب [الترغيب والترهيب] للحافظ المنذرى طلب منى حضرات السادة ناشرو الكتاب أصحاب شركة مكتبة ومطبعة [مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر] أن أراجعه بدقة وعناية .

وها أنذا أقدمه للقراء فى طبعته الثانية الجديدة بعد تمحيص ونظر ، لذلك أعترف يارب بمساعدتك لى وأتضرع إليك بذلة وخشوع أن تمنحنى رضا وتوفيقا وتغمرنى بكرمك وتقبل منى هذا خالصا لوجهك إنك رءوف رحيم غفور حليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأبرار الأخيار ؟

الفقير إلى الله تعالى
مصطفى محمد عماره
خادم السنة النبوية

حرر فى { ١٣ من جمادى الأولى ١٣٧٣ هـ
١٨ من يناير ١٩٥٤ م

تقاريظ الطبعة الثانية

كلمة شيخ الإسلام والمسلمين

الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الأزهر

قال حفظه الله ونفعنا الله بعلمه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن من أعظم القربات وأزكاها خدمة السنة النبوية المطهرة ، وقد وفق الله فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى محمد عمارة للتوفر على هذا العمل الجليل ، فعُنى بالتعليق على كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذرى ، تعليقا نافعا وضح المعنى وكشف الغامض جزاه الله عن السنة وصاحبها خير الجزاء .

٧ من ذى القعدة سنة ١٣٧٢
١٨ من يوليو سنة ١٩٥٣

محمد الخضر حسين
شيخ الجامع الأزهر

كلمة صديق الأستاذ الشيخ مصطفى محمود عمر الديابى

هذا ما جاد به ذهنى السقيم ، لما ألم بجسمى من المرض الأليم :

سفرٌ أضاء لنا فى حالك الظلم ... من هدى خير عباد الله كلهم
ورحمة للورى حصنٌ لأمته ... ومن غدت بسناه أكرم الأمم
يرغّب المرء فى التقوى يرهبه ... من المعاصى التى تفضى إلى الندم
إن كنت تبغى صلاحا فى المعاش أو الـ ... ـمعاد أو فيهما فالزمه واستقم
فإن فيه هدى للمتقين بما ... حواه من فضل تبيان ومن حكم
وحسن ضبط وآيات مناسبة ... من القران بشرح واضح الكلم
بذاك قام أخونا مصطفى فجزا ... ه ربه بجزيل الأجر والنعم
إذ نفسه بحديث المصطفى شغفت ... فصار يهدى بما يشفى من السقم
فنسأل الله توفيقا لنا وله ... وأن ننال الرضا من خير معتصم
صلى وسلم ربى دائما أبدا ... عليه عدّ الحصى والرمل والنسم

٢٨/٥/١٣٧٣ هـ

مصطفى محمود عمر الديابى
من خريجى دار العلوم
ومدرس اللغة العربية بالمدارس الأميرية سابقا

مصادر الفتح الجديد

في الترغيب والترهيب

١ تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوى، وهو أغلب اختيارى واعتمادى على شرح الآيات.
٢ « العارف بالله الشيخ الصاوي على الجلالين.
٣ « أبي البركات النسفى.
٤ « الشيخ الجمل
٥ « الفخر الرازى
٦ النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير.
٧ المفردات فى غريب القرآن للشيخ الراغب الأصفهانى
٨ شرح الزبيدى للشيخ الشرقاوي
٩ شرح الإمام النووى على صحيح مسلم
١٠ عمدة القارى شرح البخارى للإمام العينى
١١ جواهر البخارى، وعليه مقتطف شرح القسطلانى للفقير إلى الله سبحانه صاحب الفتح الجديد
١٢ مختار الإمام مسلم وعليه موجز من شرح الإمام النووى للفقير إلى الله تعالى صاحب الفتح
١٣ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للامام الشوكانى
١٤ إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالى
١٥ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للعلامة ابن علان
١٦ فتح البارى شرح البخارى لقاضى القضاة ابن حجر
١٧ سنن النسائى شرح الحافظ جلال الدين السيوطى
١٨ شرح صحيح البخارى للعلامة الكرمانى
١٩ « « « للزركشى
٢٠ « الجامع الصغير فى حديث البشير النذير للعلامة العزيزى
٢١ المدخل لابن الحاج التلمسانى
٢٢ الزواجر لابن حجر المكى الهيتمى

٢٣ زاد للمعاد فى هدى خير العباد للحافظ ابن القيم الجوزى
٢٤ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم الأصبهانى
٢٥ حاشية العلامة الشيخ إبراهيم الباجورى على شرح ابن قاسم الغزى الشافعى
٢٦ تنوير القلوب فى معاملة علام الغيوب للشيخ الكردى الأربلى الشافعى
٢٧ القاموس المحيط للعلامة الفيروزابادى
٢٨ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى
٢٩ مختار الصحاح للامام عبد القادر الرازى
٣٠ النهج السعيد فى علم التوحيد للفقير إلى ربه صاحب الفتح الجديد
٣١ الأمالى لأبى على القالى
٣٢ أسرار الشريعة الإسلامية وآدابها الباطنية للمرحوم أستاذى إبراهيم أفندى على المدرس بدار العلوم سابقا (من فراشة مركز أبو كبير شرقية)
٣٣ (محمد) صلى الله عليه وسلم المثل الكامل لصاحب العزة المرحوم محمد أحمد جاد المولى بك
٣٤ الأدب النبوى للشيخ المرحوم محمد عبد العزيز الخولى

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى رحمه الله تعالى :

الحمد لله المبدئ المعيد[1] ، الغنىّ الحميد ، ذى العفو الواسع والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد[2] ومن أضله فهو الطريد البعيد[3]، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد، يعلم ما ظهر وما بطن، وما خفى وما علن[4]، وما هجن[5] وما كمل، وهو أقرب إلى كل مريد من حبل الوريد[6] ، قسم الخلق قسمين ، وجعل لهم منزلتين، فريق فى الجنة وفريق فى السعير، إن ربك فعّال لما يريد، ورغب فى ثوابه ، ورهب[7] من عقابه، ولله الحجة البالغة، ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد. أحمده وهو أهل الحمد والتحميد، وأشكره والشكر لديه من أسباب المزيد[8]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد، والبطش[9] الشديد، شهادة كافلة لى عنده بأعلى درجات أولى التوحيد، فى دار القرار[10] والتأبيد. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله البشير[11] النذير ، أشرف من أظلت السماء وأقلت البيد[12] صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا وعلى آله وأصحابه أولى[13] المعونة على الطاعة والتأييد صلاة دائمة فى كل حين تنمو وتزيد ، ولا تنفد[14] ما دامت الدنيا والآخرة ولا تبيد .

أما بعد : فلما وفقنى الله سبحانه وتعالى لإملاء كتاب مختصر أبى داود، وإملاء كتاب الخلافيات ، ومذاهب السلف، وذلك من فضل الله علينا وسعة منه. سألنى بعض الطلبة أولى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :
فهذا شرحى على الترغيب والترهيب المسمى (فتح جديد) أسأل الله أن ينفع به كما نفع بأصله إنه هو الحميد المجيد.

(١) المحيي الخلائق يوم الحشر . (٢) الموفق للصواب . (٣) المحروم من رحمة الله عز وجل .

(٤) ظهر . (٥) هجن ، الهجنة فى الكلام : العيب والقبح . (٦) المريد : من له إرادة ، يعنى به الإنسان ، والوريد : عرق فى العنق : أى أن الله تعالى أقرب من مجرى الدم فى العروق وأولى بالنصر وطلب الإعانة . (٧) خوف من عقابه . (٨) تكثير النعم . (٩) الانتقام . (١٠) الدار : اثنتان الجنة والنار ، والمراد هنا الجنة . والقرار: الاستقرار فى المكان ؛ والمعنى: أنه يشهد لله شهادة تكون كافلة له بالاستقرار فى الجنة . (١١) يبشر الصالحين بالجنة ، ويخوف العاصين من النار . (١٢) أقلت : حملت. والبيد جمع بيداء كصحراء وزناً ومعنى ، والمراد جميع الأرض . (١٣) الذين نصروه وعزروه .
(١٤) تفنى .

الهمم العالية ممن اتصف بالزهد فى الدنيا والإقبال على الله عزّ وجلّ بالعلم والعمل، زاده الله قربا منه وعزوفا[1] عن دار الغرور[2] أن أملى كتابا جامعا فى: الترغيب والترهيب، مجرّدا عن التطويل بذكر إسناد أو كثرة تعليل، فاستخرت الله تعالى وأسعفته بطلبته؛ لما وقر عندى من صدق نيته وإخلاص طويته، وأمليت عليه هذا الكتاب: صغير الحجم غزير العلم، حاويا لما تفرّق فى غيره من الكتب مقتصرا فيه على ما ورد، صريحا فى الترغيب والترهيب، ولم أذكر ما كان من أفعال النبى صلى الله عليه وسلم المجرّدة عن زيادة نوع من صريحهما إلا نادراً فى ضمن باب أو نحوه لأنى لو فعلت ذلك لخرج هذا الاملاء إلى حدّ الإسهاب المملّ، مع أن الهمم قد داخلها القصور[3]، والبواعث قد غلب عليها الفتور[4]. وقصر العمر مانع من استيفاء المقصود، فأذكر الحديث ثم أعزوه[5] إلى من رواه من الأئمة أصحاب الكتب المشهورة التى يأتى ذكرها، وقد أعزوه إلى بعضها دون بعض طلبا للاختصار لاسيما إن كان فى الصحيحين أو فى أحدهما، ثم أشير إلى صحة إسناده وحسنه أو ضعفه ونحو ذلك، إن لم يكن من عزوته إليه ممن التزم إخراج الصحيح فلا أذكر الإسناد كما تقدّم، لأن المقصود الأعظم من ذكره إنما هو معرفة حاله من الصحة والحسن والضعف ونحو ذلك، وهذا لا يدركه إلا الأئمة الحفاظ أولو المعرفة التامة والإتقان فإذا أشير إلى حاله أغنى عن التطويل بإيراده، واشترك فى معرفة حاله من له يد فى هذه الصناعة وغيره. وأما دقائق العلل فلا مطمع فى شىء منها لغير الجهابذة[6] من النقاد أئمة هذا الشأن، وقد أضربت عن ذكر كثير منها فى هذا الكتاب طلبا للاختصار وخوفا من التنفير المناقض للمقصود، ولأن من تقدّم من العلماء رضى الله عنهم أساغوا[7] التساهل فى أنواع من الترغيب والترهيب، حتى إن كثيراً ذكروا الموضوع ولم يبينوا[8] حاله، وقد أشبعنا الكلام على حال كثير من الأحاديث الواردة فى هذا الكتاب وفى غيره من كتبنا، فإذا كان إسناد الحديث صحيحا أو حسنا أو ما قاربهما صدّرته بلفظة: عن، وكذلك إن كان مرسلا أو منقطعا أو معضلا

(١) أى زهداً وانصرافا. (٢) الدنيا الفانية. (٣) العجز.
(٤) الملل. (٥) أنسبه. (٦) العلماء الأفاضل الراسخون فى العلم.
(٧) أجازوا. (٨) يريد أن يعتذر عن ترك بيان كثير من دقائق العلل، فاعتذر بأن كثيراً من العلماء أجازوا التساهل فى أنواع من الترغيب والترهيب، حتى أدى التساهل لبعضهم إلى ذكر أحاديث موضوعة مع عدم بيان وضعها، فإذا كانوا قد تساهلوا إلى هذا الحد، فليس بعيب على المؤلف أن لايبين دقائق العلل، وهذا عذر مقبول، وليس مراد المؤلف أن يجوز رواية الحديث الموضوع من غير بيان حاله، فقد قال صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » رواه مسلم. فعلى راوى الحديث أن يتثبت من صحته ولا يروى ضعيفه وإن أجازه بعض العلماء فى ذكر الترغيب فى الخير وبيان فضائل الأعمال.

أو فى إسناده راوٍ مبهم أو ضعيف وثق أو ثقة ضعف وبقية رواة الإسناد ثقات أو فيهم كلام لا يضر. أو روى مرفوعا والصحيح وقفه. أو متصلا والصحيح إرساله أو كان إسناده ضعيفا لكن صححه أو حسّنه بعض من خرّجه ؛ أصدّره أيضا بلفظه : عن ، ثم أشير إلى إرساله وانقطاعه أو عضله أو ذلك الراوى المختلف فيه، فأقول رواه فلان فى رواية فلان أو من طريق فلان أو فى إسناده فلان أو نحو هذه العبارة ولا أذكر ما قيل فيه من جرح وتعديل خوفا من تكرار ما قيل فيه كلما ذكر وأفردت لهؤلاء المختلف فيهم بابا فى آخر الكتاب، أذكرهم فيه مرتبا على حروف المعجم، وأذكر ما قيل فى كل منهم من جرح وتعديل على سبيل الاختصار، وقد لا أذكر ذلك الراوى المختلف فيه، فأقول إذا كان رواة إسناد الحديث ثقات وفيهم من اختلف فيه : إسناده حسن أو مستقيم أو لا بأس به ونحو ذلك حسبما يقتضيه حال الإسناد والمتن وكثرة الشواهد، وإذا كان فى الإسناد من قيل فيه كذاب أو وضاع أو متهم أو مجمع على تركه أو ضعفه أو ذاهب الحديث أو هالك أو ساقط أو ليس بشىء أو ضعيف جدّا أو ضعيف فقط أو لم أر فيه توثيقا بحيث لا يتطرق إليه احتمال التحسين صدّرته بلفظة: روى، ولا أذكر ذلك الراوى ولا ما قيل فيه ألبتة فيكون للإسناد الضعيف دلالتان: تصديره بلفظة: روى، وإهمال الكلام عليه فى آخره، وقد استوعبت جميع ما كان من هذا النوع من كتاب: موطأ مالك (١) . وكتاب مسند الإمام أحمد (٢) . وكتاب صحيح البخارى (٣) . وكتاب صحيح مسلم (٤) . وكتاب سنن أبى داود. وكتاب المراسيل له (٥). وكتاب جامع أبى عيسى الترمذى (٦). وكتاب سنن النسائى الكبرى وكتاب اليوم والليلة له (٧). وكتاب سنن ابن ماجه (٨) . وكتاب المعجم الكبير، وكتاب المعجم الأوسط، وكتاب المعجم الصغير، الثلاثة للطبرانى (٩). وكتاب مسند أبى يعلى الموصلى (١٠). وكتاب مسند أبى بكر البزار (١١) . وكتاب صحيح ابن حبان (١٢) . وكتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم أبى عبد الله النيسابورى (١٣) رضى الله عنهم أجمعين ولم أترك شيئا من هذا النوع فى الأصول السبعة ، وصحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم إلا ما غلب علىّ فيه ذهول حال الإملاء أو نسيان أو أكون قد ذكرت فيه ما يغنى عنه، وقد يكون للحديث دلالتان فأكثر فأذكره فى باب ثم لا أعيده فيتوهم الناظر أنى تركته، وقد يرد الحديث عن جماعة من الصحابة بلفظ واحد وبألفاظ متقاربة فأكتفى بواحد منها عن سائرها، وكذلك لا أترك شيئا من هذا النوع من المسانيد والمعاجم إلا ما غلب علىّ فيه ذهول أو نسيان أو يكون ما ذكرت أصلح إسنادا مما تركت أو يكون ظاهر النكارة جدّا . وقد أجمع على وضعه أو بطلانه. وأضفت إلى ذلك

جملا من الأحاديث معزوة إلى أصولها كصحيح ابن خزيمة(١٤). وكتب ابن أبي الدنيا(١٥). وشعب الإيمان للبيهقي. وكتاب الزهد الكبير له (١٦) وكتاب الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصبهاني(١٧). وغير ذلك كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، واستوعبت جميع ما في كتاب أبي القاسم الأصبهاني مما لم يكن في الكتب المذكورة وهو قليل، وأضربت عن ذكر ما قيل فيه من الأحاديث المتحققة الوضع، وإذا كان الحديث في الأصول السبعة لم أعزه إلى غيرها من المسانيد والمعاجم إلا نادراً لفائدة طلبا للاختصار، وقد أعزوه إلى صحيح ابن حبان ومسند الحاكم إن لم يكن متنه في الصحيحين، وأنبه على كثير مما حضرني حال الإملاء مما تساهل أبو داود رحمه الله تعالى في السكوت عن تضعيفه أو الترمذي في تحسينه أو ابن حبان والحاكم في تصحيحه، لا انتقاداً عليهم رضي الله عنهم بل مقياسا لمتبصر في نظائرها من هذا الكتاب، وكل حديث عزوته إلى أبي داود وسكت عنه فهو كما ذكر أبو داود[1] ولا ينزل عن درجة الحسن، وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما. وأنا أستمدّ العون على ما ذكرت من القويّ المتين، وأمدّ أكف الضراعة إلى من يجيب دعوة المضطرّين، أن ينفع به كاتبه وقارئه ومستمعه وجميع المسلمين وأن يرزقني فيه من الإخلاص، ما يكون كفيلا لي في الآخرة بالخلاص، ومن التوفيق ما يدلني على أرشد طريق، وأرجو منه الإعانة على حزن الأمر وسهله، وأتوكل عليه، وأعتصم بحبله، وهو حسبي ونعم الوكيل. ثم بعد تمامه رأيت أن أقدم فهرست ما فيه من الأبواب والكتب ليسهل الكشف على من أراد شيئا من ذلك، والله المستعان.

الترغيب: في الإخلاص والصدق والنية الصالحة. الترهيب: من الرياء وما يقوله من خاف شيئا منه. الترغيب: في اتباع الكتاب والسنة. الترهيب: من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء. الترغيب: في البداءة بالخير ليستنّ به. الترهيب: من البداءة بالشر خوفا أن يستنّ به

كتاب العلم

الترغيب: في طلب العلم وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين. الترغيب: في الرحلة في طلب العلم

(١) نقل ابن داسة عن أبي داود أنه قال: «ذكرت في كتابي: الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، وما كان فيه وهن شديد بينته» فأنت ترى أيها القارئ دقة رواية المؤلف وحسن الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم وبذل الجهد في تمييز درجة الحديث فما عليك إلا أن تتبع الأبواب لتتغذى بلبان الحكمة وتروى ظمأك بالماء القراح قال تعالى: «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب» وأنا أقدم على شرح الحديث راجيا من الله المعونة والمثوبة والهداية، فأشرح الألفاظ وأبين معناها، ثم أردف معنى الحديث، والله الموفق.

الترغيب : فى سماع الحديث وتبليغه ونسخه . الترهيب : من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الترغيب : فى مجالسة العلماء . الترغيب : فى إكرام العلماء وإجلالهم وتوقيرهم. الترهيب : من إضاعتهم وعدم المبالاة بهم . الترهيب : من تعلّم العلم لغير وجه الله عزّوجلّ الترغيب : فى نشر العلم والدلالة على الخير . الترهيب : من كتم العلم. الترهيب : من أن يعلم ولا يعمل به ويقول ما لا يفعل . الترهيب : من الجدال فى العلم والقرآن. الترهيب : من المراء والجدال . الترغيب : فى تركه للمحق والمبطل .

كتاب الطهارة

الترغيب : فى الانحراف عن استقبال القبلة واستدبارها . والترهيب : منهما الترهيب : من التخلى على طرق الناس أو ظلهم أو مواردهم . الترهيب : من البول فى المغتسل والجحر والماء الترهيب من الكلام على الخلاء . الترهيب : من إصابة البول الثوب وغيره وعدم الاستنزاه منه. الترهيب : من دخول الرجال الحمام بغير أزر ، ومن دخول النساء بالأزر وغيرها إلا نفساء أو مريضة وماجاء فى النهى عن ذلك . الترهيب : من تأخير الغسل لغير عذر . الترغيب : فى الوضوء وإسباغه. الترغيب : فى المحافظة على الوضوء وتجديده . الترهيب : من ترك التسمية على الوضوء . الترغيب : فى السواك وما جاء فى فضله . الترغيب : فى تخليل الأصابع الترهيب : من تركه وترك الإسباغ إذا أخلّ بشىء من القدر الواجب . الترغيب : فى كلمات يقولهن بعد الوضوء . الترغيب : فى ركعتين بعد الوضوء .

كتاب الصلاة

الترغيب : فى الأذان وما جاء فى فضله . الترغيب : فى إجابة المؤذن وبماذا يجيبه ومايقول بعد الأذان . الترغيب : فى الإقامة . الترهيب : من الخروج من المسجد بعد الأذان لغير عذر . الترغيب : فى الدعاء بين الأذان والإقامة . الترغيب : فى بناء المساجد فى الأمكنة المحتاجة إليها. الترغيب : في تنظيف المساجد وتطهيرها وما جاء فى تجميرها . الترهيب : من البصاق فى المسجد وإنشاد الضالة وغير ذلك مما يذكر فيه . الترغيب : في المشى إلى المساجد لاسيما فى الظلم وماجاء فى فضلها . الترغيب في لزوم المساجد والجلوس فيها الترهيب : من إتيان المسجد لمن أكل بصلا أو ثوما أو كراثا أو فجلا ونحو ذلك مما له رائحة كريهة ترغيب النساء : في الصلاة في بيوتهنّ ولزومها وترهيبهنّ من الخروج منها . الترغيب : في الصلوات الخمس والمحافظة عليها والإيمان

بوجوبها. الترغيب: فى الصلاة مطلقا ، وفضل الركوع والسجود والخشوع. الترغيب :فى الصلاة على أول وقتها . الترغيب :فى صلاة الجماعة وماجاء فيمن خرج يريد الجماعة فوجد الناس قد صلوا الترغيب فى كثرة الجماعة . الترغيب : فى الصلاة فى الفلاة . الترغيب: فى صلاة العشاء و الصبح خاصة فى الجماعة . والترهيب : من التأخر عنهما . الترهيب: من ترك حضور الجماعة بغير عذر. الترغيب : فى صلاة النافلة فى البيوت . الترغيب : فى انتظار الصلاة بعد الصلاة . الترغيب : فى المحافظة على الصبح والعصر. الترغيب: فى جلوس المرء فى مصلاه بعد صلاة الصبح وصلاة العصر. الترغيب: فى أذكار يقولها بعد صلاة الصبح والعصر والمغرب . الترهيب: من فوات العصر بغير عذر. الترغيب: فى الإمامة مع الإتمام والإحسان . والترهيب: منها عند عدمهما . والترهيب : من إمامة الرجل القومَ وهم له كارهون. الترغيب: فى الصف الأول وما جاء فى تسوية الصفوف والتراصّ فيها وفضل ميامنها ، ومن صلى فى الصف المؤخر مخافة إيذاء غيره لو تقدّم . الترغيب: فى وصل الصفوف وسدّ الفُرَج. الترهيب: من تأخر الرجال إلى أواخر صفوفهم ، وتقدم النساء إلى أوائل صفوفهن ، ومن اعوجاج الصفوف . الترغيب : فى التأمين خلف الإمام وفى الدعاء، وما يقوله فى الاستفتاح والاعتدال . الترهيب : من رفع المأموم رأسه قبل الإمام فى الركوع والسجود . الترهيب : من عدم إتمام الركوع والسجود وإقامة الصلب بينهما ، وما جاء فى الخشوع . الترهيب : من رفع البصر إلى السماء فى الصلاة . الترهيب : من الالتفات فى الصلاة وغيره مما يذكر . الترهيب : من مسح الحصا عن موضع السجود والنفخ فيه لغير ضرورة . الترهيب : من وضع اليد على الخاصرة فى الصلاة . الترهيب : من المرور بين يدى المصلى . الترهيب : من ترك الصلاة تعمدا وإخراجها عن وقتها تهاونا .

كتاب النوافل

الترغيب : فى المحافظة على اثنتى عشرة ركعة من السُّنة فى اليوم والليلة . الترغيب : فى المحافظة على ركعتين قبل الصبح. الترغيب: فى الصلاة قبل الظهر وبعدها الترغيب: فى الصلاة قبل العصر. الترغيب: فى الصلاة بين المغرب والعشاء . الترغيب: فى الصلاة بعد العشاء. الترغيب: فى صلاة الوتر وما جاء فيمن لم يوتر . الترغيب :فى أن ينام الإنسان طاهرا ناويا القيام . الترغيب: فى كلمات يقولهنّ حين يأوى إلى فراشه وماجاء فيمن نام ولم يذكر الله عز وجل . الترغيب: فى كلمات يقولهن إذا استيقظ من الليل. الترغيب : فى قيام الليل . الترهيب : من صلاة الإنسان

وقراءته حال النعاس . الترهيب : من نوم الإنسان إلى الصباح وترك قيام شيء من الليل . الترغيب : فى آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى . الترغيب : فى قضاء الإنسان ورده إذا فاته من الليل . الترغيب : فى صلاة الضحى . الترغيب : فى صلاة التسبيح . الترغيب : فى صلاة التوبة . الترغيب : فى صلاة الحاجة ودعائها . الترغيب : فى صلاة الاستخارة .

كتاب الجمعة

الترغيب : فى صلاة الجمعة والسعى إليها وما جاء فى فضل يومها وليلتها وساعتها . الترغيب : فى الغسل يوم الجمعة . الترغيب : في التبكير إلى الجمعة ، وما جاء فيمن يتأخر عن التبكير من غير عذر . الترهيب : من تخطى الرقاب يوم الجمعة . الترهيب : من الكلام والإمام يخطب والترغيب فى الإنصات . الترهيب : من ترك الجمعة . الترغيب : فى قراءة سورة الكهف وما يذكر معها ليلة الجمعة ويوم الجمعة .

كتاب الصدقات

الترغيب : فى أداء الزكاة وتأكيد وجوبها . الترهيب : من منع الزكاة وما جاء فى زكاة الحلى . الترغيب : فى العمل على الصدقة بالتقوى . والترهيب من الخيانة والتعدّى فيها ، واستحباب ترك العمل لمن لا يثق بنفسه ، وما جاء فى المكاسين والعشارين والعُرفاء . الترهيب : من المسئلة وتحريمها مع الغنى ، وما جاء فى ذمّ الطمع . والترغيب : فى التعفف والقناعة والأكل من كسب يده . ترغيب : من نزلت به فاقة أو حاجة أن ينزلها بالله عزّ وجلّ . الترهيب : من أخذ ما دفع إليه من غير طيب نفس المعطى . ترغيب : من جاءه شيء من غير مسئلة ولا إشراف نفس فى قبوله سيما إن كان محتاجا والنهى عن رده وإن كان غنيا عنه . ترهيب السائل : أن يسأل بوجه الله غير الجنة . ترهيب : المسئول بوجه الله أن يمنع . الترغيب : فى الصدقة والحث عليها وما جاء فى جهد المقلّ ومن تصدق بما لا يحب . الترغيب : فى صدقة السرّ . الترغيب : فى الصدقة على الزوج والأقارب وتقديمهم على غيرهم . الترهيب : من أن يسأل الإنسان مولاه أو قريبه من فضل ماله فيبخل عليه أو يصرف صدقته إلى الأجانب وأقرباؤه محتاجون . الترغيب : فى القرض وما جاء فى فضله . الترغيب : فى التفريج عن المعسر وإنظاره والوضع عنه . الترغيب : فى الإنفاق فى وجوه الخير كرما . والترهيب : من الإمساك والادّخار شحا . ترغيب المرأة : فى الصدقة من مال زوجها إذا أذن ، وترهيبها :

مالم يأذن . الترغيب فى إطعام الطعام وسقى الماء ، والترهيب من منعهما . الترغيب : فى شكر المعروف ومكافأة فاعله ، وما جاء فيمن لم يشكر ما أولى إليه .

كتاب الصوم

الترغيب : في الصوم مطلقا وما جاء في فضله وفضل دعاء الصائم . الترغيب : في صوم رمضان احتسابا وقيام ليله لاسيما ليلة القدر وما جاء فى فضله . الترهيب : من إفطار شىء من رمضان من غير عذر . الترغيب : فى صوم ست من شوّال . الترغيب : فى صوم يوم عرفة لمن لم يكن بعرفة وما جاء فى النهى عنه لمن كان بها . الترغيب : فى صوم شهر الله المحرّم . الترغيب : فى صوم يوم عاشوراء والتوسيع فيه على العيال . الترغيب : فى صوم شعبان وما جاء فى صيام النبي صلى الله عليه وسلم وفضل ليلة نصفه . الترغيب : فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر سيما الأيام البيض . الترغيب : فى صوم الأربعاء والخميس والجمعة والسبت والأحد ، وما جاء فى النهى عن صوم يوم الجمعة وحده ويوم السبت وحده . الترغيب : فى صوم يوم وإفطار يوم وهو صوم داود عليه السلام . ترهيب المرأة أن تصوم تطوّعا وزوجها حاضر بغير إذنه . ترهيب : المسافر من الصوم إذا كان يشق عليه . وترغيبه : فى الإفطار . الترغيب : في السحور سيما بالتمر . الترغيب : فى تعجيل الفطر وتأخير السحور. الترغيب : فى الفطر على التمر ، فإن لم يجده فعلى الماء . الترغيب : في إطعام الصائم . وترغيب: الصائم فى أكل المفطرين عنده . ترهيب : الصائم من الغيبة والفحش والكذب ونحو ذلك. الترغيب : فى الاعتكاف . الترهيب : فى صدقة الفطر وبيان تأكيدها .

كتاب العيدين والأضحية

الترغيب : فى إحياء ليلتى العيدين . الترغيب في التكبير فى العيد وذكر فضله ، الترغيب : فى الأضحية وفضلها ، وماجاء فيمن لم يضحّ مع القدرة ، ومن باع جلد أضحيته ، الترهيب : من المثلة بالحيوان ، وما جاء فى الأمر بتحسين القتلة والذبحة .

كتاب الحج

الترغيب : فى الحج والعمرة ، وماجاء فيمن خرج يقصدهما فمات. الترغيب: فى الاحرام من المسجد الأقصى. الترغيب : في النفقة في الحج والعمرة ، وما جاء فيمن أنفق فيهما من مال حرام،

الترغيب : فى العمرة فى رمضان . الترغيب : فى التواضع في الحج والتبذل ولبس الدون من الثياب اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . الترغيب : فى الإحرام والتلبية ورفع الصوت بها . الترغيب : فى الطواف وتقبيل الحجر الأسود ، وما جاء فى فضله وفضل الركن اليمانى والمقام . الترغيب : فى العمل الصالح في عشر ذى الحجة وفضله . الترغيب : فى الوقوف بعرفة وفضله والمزدلفة وفضل يوم عرفة . الترغيب : فى رمى الجمار وماجاء فى رفعها . الترغيب : فى حلق الرأس بمنى . الترغيب : فى شرب ماء زمزم ، وما جاء فى فضله . ترهيب من قدر على الحج فلم يحج ، وما جاء فى لزوم المرأة بيتها بعد أداء فرض الحج . الترغيب : فى الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد المدينة وقبا وبيت المقدس والدعاء في مسجد الفتح . الترغيب : فى سكنى المدينة إلى الممات ، وما جاء فى فضلها وفضل أحد ووادى العقيق . الترهيب : من إخافة أهل المدينة أو إرادتهم بسوء .

كتاب الجهاد

الترغيب : فى الرباط فى سبيل الله عز وجل ، الترغيب : فى الحراسة فى سبيل الله ، الترغيب فى النفقة فى سبيل الله وتجهيز الغزاة وخلفهم في أهلهم ، الترغيب : فى احتباس الخيل فى سبيل الله وما جاء فى فضلها ، وفيمن اتخذها رياء وسمعة . الترغيب : فيما يذكر منها ، والنهى عن قص نواصيها . ترغيب : الغازى والمرابط فى الإكثار من العمل الصالح من الصوم والصلاة والذكر ونحو ذلك . الترغيب : فى الخروج فى سبيل الله عز وجل والغدوة والروحة وماجاء فى فضل المشى والغبار في سبيل الله والخوف فيه . الترغيب : فى سؤال الشهادة فى سبيل الله . الترغيب : فى الرمى فى سبيل الله وتعلمه . الترهيب : من تركه بعد تعلمه رغبة عنه . الترغيب : فى الجهاد والقتال فى سبيل الله ، وما جاء فى فضل الكلام فيه والدعاء عند الصف والقتال . الترهيب : من الفرار من الزحف . الترهيب : فى إخلاص النية فى الجهاد وما جاء فيمن يريد الأجر والغنيمة وفضل الغزاة إذا لم يغنموا . الترغيب : فى الغزاة فى البحر ، وأنها أفضل من عشر غزوات فى البر . الترهيب : من الغلول والتشديد فيه ، وما جاء فيمن ستر على غال . الترغيب : فى الشهادة وما جاء فى فضل الشهداء . الترهيب : من أن يموت الإنسان ولم يغز ولم ينو الغزو وذكر أنواع من الموت يلتحق أربابها بالشهداء . والترهيب : من الفرار من الطاعون .

كتاب قراءة القرآن

الترغيب : فى قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها، وفضل تعلمه وتعليمه . الترغيب : فى سجود التلاوة . الترهيب : من نسيان القرآن بعد تعلمه ، وماجاء فيمن ليس فى جوفه منه شىء . الترغيب : فى دعاء يدعى به لحفظ القرآن . الترغيب : فى تعاهد القرآن وتحسين الصوت به . الترغيب : فى قراءة الفاتحة وماجاء فى فضلها . الترغيب : فى قراءة البقرة وخواتيمها وآل عمران، وماجاء فيمن قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها . الترغيب : فى قراءة آية الكرسى وما جاء فى فضلها . الترغيب فى قراءة سورة الكهف أو عشر من أولها أو عشر من آخرها . الترغيب : فى قراءة سورة يس وما جاء فى فضلها . الترغيب : فى قراءة سورة تبارك الذى بيده الملك . الترغيب : فى قراءة سورة إذا الشمس كورت وما يذكر معها . الترغيب : فى قراءة إذا زلزلت ومايذكر معها . الترغيب : فى قراءة ألهاكم التكاثر . الترهيب : فى قراءة قل هو الله أحد . الترغيب : فى قراءة المعوذتين .

كتاب الذكر والدعاء

الترغيب : في الإكثار من ذكر الله عز وجل سرا وجهرا والمداومة عليه ، وما جاء فيمن لم يكثر من ذكر الله . الترغيب : فى حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله . الترغيب : من أن يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . الترغيب : فى كلمات يكفرن لغط المجلس . الترغيب فى قول : لا إله إلا الله وما جاء فى فضلها . الترغيب : فى قول : لا إله إلا الله وحده لاشريك له . الترهيب : فى التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل واختلاف أنواعه . الترغيب : فى جوامع من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل بأنواعه . الترغيب : فى قول لاحول ولا قوة إلا بالله . الترغيب : فى أذكار تقال بالليل والنهار غير مختصة بالصباح والمساء . الترغيب : فى كلمات وأذكار بعد الصلوات المكتوبات . الترغيب : فيما يقوله ويفعله من رأى فى منامه مايكرهه . الترغيب : فى كلمات يقولهن من يأرق بالليل أو يفزع . الترغيب : فيما يقول إذا خرج من بيته إلى المسجد وغيره وإذا دخلهما . الترغيب : فيما يقوله من حصلت له وسوسة فى الصلاة وغيرها . الترغيب : في الاستغفار . الترغيب : فى كثرة الدعاء وماجاء فى فضله . الترغيب : فى كلمات يستفتح بها الدعاء وبعض ماجاء فى فضل اسم الله الأعظم . الترغيب : فى الدعاء فى السجود ودبر الصلوات وجوف الليل الآخر . الترهيب من استبطاء الإجابة وقوله : دعوت

فلم يستجب لى . الترهيب : من رفع المصلي رأسه فى الدعاء إلى السماء وأن يدعو وهو غافل الترهيب : من دعاء الإنسان على نفسه وولده وخادمه وماله . الترغيب : فى الإكثار من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . والترهيب : من تركها عند ذكره صلى الله عليه وسلم.

كتاب البيوع وغيرها

الترغيب: فى الاكتساب بالبيع وغيره. الترغيب: فى البكور فى طلب الرزق وغيره، وماجاء فى نوم الصبحة. الترغيب: فى ذكر الله تعالى فى الأسواق ومواطن الغفلة. الترغيب : فى الاقتصاد فى طلب الرزق والإجمال فيه، وماجاء فى ذم الحرص وحب المال. الترغيب: فى طلب الحلال والأكل منه . والترهيب : من اكتساب الحرام وأكله ولبسه . الترغيب: فى الورع وترك الشبهات وما يحول فى الصدور ونحو ذلك . الترغيب : فى السماحة فى البيع والشراء وحسن التقاضى والقضاء . الترغيب: فى إقالة النادم . الترهيب: من بخس الكيل والوزن . الترهيب: من الغش، والترغيب: فى النصيحة فى البيع وغيره. الترهيب : من الاحتكار. ترغيب التجار فى الصدق وترهيبهم من الكذب والحلف وإن كانوا صادقين. الترهيب: من خيانة أحد الشريكين الآخر الترهيب : من التفريق بين الوالدة وولدها بالبيع ونحوه . الترهيب : من الدّين . وترغيب : المستدين والمتزوج أن ينويا الوفاء والمبادرة إلى وفاء دين الميت. الترهيب : من مطل الغنى. والترغيب : فى إرضاء صاحب الدين. الترغيب: فى كلمات يقولهن المديون والمهموم والمكروب والمأسور. الترهيب : من اليمين الكاذبة . والترهيب : من الربا. والترهيب: من غصب الأرض وغيرها. والترهيب: من البناء فوق الحاجة تفاخرا وتكاثرا. الترهيب : من منع الأجير أجره والأمر بتعجيل إعطائه . ترغيب المملوك : فى أداء حق الله وحق مواليه . ترهيب العبد : من الإباق من سيده . الترغيب : فى العتق . والترهيب : من استعباد الحر أو بيعه .

كتاب النكاح وما يتعلق به

الترغيب : فى غض البصر. الترهيب : من إطلاقه ومن الخلوة بالأجنبية ولمسها . الترغيب: فى النكاح سيما بذات الدين الولود. ترغيب الزوج : فى الوفاء بحق زوجته ، والمرأة بحق زوجها وطاعته. وترهيبها: من مخالفته و إسخاطه. الترهيب: من ترجيح إحدى الزوجات وترك العدل بينهن الترغيب : فى النفقة على الزوجة و العيال. والترغيب : من إضاعتهم، وماجاء فى النفقة على البنات وتأديبهن . الترغيب فى التسمية بالأسماء الحسنة وما جاء فى النهى عن الأسماء القبيحة وتغيرها . الترغيب : فى تأديب الأولاد . الترهيب : من أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه أو يتولى غير مواليه . ترغيب: من مات له ثلاثة من الأولاد أو اثنان، أو واحد وتسليته بمايذكر من جزيل

الثواب، الترهيب: من إفساد المرأة على زوجها والعبد على سيده، ترهيب: المرأة أن تسأل زوجها الطلاق من غير بأس، ترهيب: المرأة أن تخرج من بيتها متعطرة، والترهيب: من إفشاء السر سيما ما كان بين الزوجين.

كتاب اللباس والزينة

الترغيب: فى لبس الأبيض من الثياب، الترغيب: فى القميص، والترهيب: من طوله وطول غيره مما يلبس وإسباله فى الصلاة وغيرها وجرّه خيلاء. الترغيب: فى كلمات يقولهن من لبس ثوبا جديدا. الترهيب: من لبس النساء الرقيق من الثياب الذى يصف البشرة. ترهيب الرجال: من لبس الحرير وجلوسهم عليه والتحلي بالذهب، وترغيب النساء فى تركهما. الترهيب: من أن يتشبه الرجل بالمرأة أو المرأة بالرجل فى لباس أو كلام أو حركة أو نحو ذلك. الترغيب: فى ترك الترفع فى اللباس تواضعا واقتداء بأشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وبأصحابه رضى الله عنهم. والترهيب: من لباس الشهرة والفخر والمباهاة. الترغيب: فى الصدقة على الفقير بما يلبسه كالثوب ونحوه. الترغيب: فى إبقاء الشيب وكراهة نتفه. الترهيب: من خضب اللحية بالسواد. ترهيب الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمفلجة. الترغيب: فى الكحل بالإثمد للرجال والنساء.

كتاب الطعام وغيره

الترغيب: فى التسمية على الطعام، والترهيب: من تركها. الترهيب: من استعمال أوانى الذهب والفضة وتحريمه على الرجال والنساء. الترهيب: من الأكل والشرب بالشمال، وماجاء فى النهى عن النفخ فى الإناء والشرب من السقاء ومن ثلمة القدح. الترغيب: فى الأكل من جوانب القصعة دون وسطها. الترغيب: فى أكل الخل والزيت ونهش اللحم دون تقطيعها بالسكين الترغيب: فى الاجتماع على الطعام. الترهيب: من الإمعان فى الشبع والتوسع فى المآكل والمشرب الترهيب: من أن يُدعى الانسان فيمتنع من غير عذر، والأمر بإجابة الداعى وماجاء فى طعام المتباريين الترغيب: فى لعق الأصابع قبل مسحها. الترغيب: فى حمد الله تعالى بعد الأكل. الترغيب: فى غسل اليد قبل الطعام وبعده. الترهيب: من أن ينام الإنسان وفى يده ريح الطعام لا يغسلها.

كتاب القضاء وغيره

الترهيب: من تولى السلطنة والقضاء والإمارة سيما لمن لا يثق بنفسه. وترهيب: من وثق بنفسه أن يسأل شيئا من ذلك. ترغيب: من ولى شيئا من أمور المسلمين فى العدل إماماً كان

أوغيره ، وترهيبه: أن يشق على رعيته، أو يجور عليهم أو يغشهم أو يحتجب عنهم أو يغلق بابه دون حوائجهم . ترهيب: من ولى شيئا من أمور المسلمين أن يولى عليهم رجلا وفى رعيته خير منه . ترهيب: الراشى والمرتشى والساعى بينهما. الترهيب: من الظلم ودعاء المظلوم وخذله . والترغيب: فى نصرته. الترغيب فى كلمات يقولهن من خاف ظالما . الترغيب: فى الامتناع عن الدخول على الظلمة. الترهيب: من الدخول عليهم وتصديقهم وإعانتهم. الترهيب: من إعانة المبطل ومساعدته والشفاعة المانعة من حد من حدود الله تعالى . الترهيب: من أن يُرْضِيَ الحاكم أو غيره الناس بما يسخط به الله عز وجل . الترغيب: فى الشفقة على خلق الله من الرعية والأولاد والعبيد وغيرهم ورحمتهم والرفق بهم . والترهيب: من ضد ذلك، ومن تعذيب العبد والدابة وغيرهما بغير سبب شرعيّ ، وما جاء فى النهى عن وسم الدواب فى وجوهها . ترغيب: الإمام وغيره من ولاة الأمور فى اتخاذ وزير صالح وبطانة حسنة . الترهيب: من شهادة الزور.

كتاب الحدود وغيرها

الترغيب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. والترهيب: من تركها والمداهنة فيهما. الترهيب: من أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر ويخالف قوله فعله . الترغيب: فى ستر المسلم . والترهيب: من هتكه وتتبع عورته . الترهيب: من مواقعة الحدود وانتهاك المحارم. الترغيب : فى إقامة الحدود . والترهيب: من المداهنة فيها. الترهيب : من شرب الخمر وبيعها وشرائها وعصرها وحملها وأكل ثمنها والتشديد فيه . والترغيب : فى تركه والتوبة منه . الترهيب : من الزنا سيما بحليلة الجار والمغنية . والترغيب : فى حفظ الفرج . الترهيب : من اللواط وإتيان البهيمة والمرأة فى دبرها سواء كانت زوجته أو أجنبية. الترهيب : من قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق. الترهيب: من قتل الانسان نفسه . الترهيب : من أن يحضر الإنسان قتل إنسان ظلما أو ضربه، وماجاء فيمن جرد ظهر مسلم بغير حق. الترغيب: فى العفو عن القاتل والجانى والظالم . والترهيب : من إظهار الشماتة بالمسلم . الترهيب : من ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب والإصرار على شىء منها .

كتاب البر والصلة وغيرهما

الترغيب: فى برّ الوالدين وصلتهما وتأكيد طاعتهما والاحسان إليهما وبر أصدقائهما من بعدهما . الترهيب: من عقوق الوالدين . الترغيب: فى صلة الرحم وإن قطعت . الترهيب: من قطعها. الترغيب : فى كفالة اليتيم والنفقة عليه وعلى الأرملة والمسكين. الترهيب : من أذى الجار وماجاء فى تأكيد حقه. الترغيب: فى زيارة الإخوان والصالحين، وماجاء فى إكرام الزائر، وما

جاء فى الضيافة وإكرام الضيف وتأكيد حقه . وترهيب الضيف : أن يقيم حتى يؤثم أهل المنزل. الترهيب: من أن يحتقر المرء مايقدم إليه أو يحتقر ماعنده أن يقدمه للضيف. الترغيب: فى الزرع وغرس الأشجار المثمرة . الترهيب : من البخل والشح . والترغيب : فى الجود والسخاء. الترهيب: من عود الإنسان فى هبته . الترغيب: فى قضاء حوائج المسلمين وإدخال السرور عليهم ، وما جاء فيمن شفع فأهدى له .

كتاب الأدب وغيره

الترغيب: فى الحياء وفضله . والترهيب : من الفحش والبذاء . الترغيب : فى الخلق الحسن وفضله. والترهيب : من الخلق السيء وذمه. الترغيب: فى الرفق والأناة والحلم. الترغيب: فى طلاقة الوجه وطيب الكلام وغير ذلك مما يذكر. الترغيب: فى إفشاء السلام وماجاء فى فضله. الترغيب: فى المصافحة . وترهيب المرء: من حب القيام له . والترهيب من الإشارة فى السلام، وماجاء فى السلام على الكفار. الترهيب: أن يطلع الإنسان فى دار قبل أن يستأذن. الترهيب من أن يتسمع حديث قوم يكرهون أن يسمعه . الترغيب: فى العزلة لمن لا يأمن على نفسه عند الاختلاط. الترهيب: من الغضب، والترغيب فى دفعه وكظمه ومايفعل عند الغضب. الترهيب: من التهاجر والتشاحن والتدابر. الترهيب من قوله لمسلم: يا كافر. الترهيب: من اللعن والسباب سيما لمعين سواء كان آدميا أودابة أو غيرهما. وبعض ماجاء فى النهى عن سب الديك والبرغوث والريح . والترهيب: من قذف المحصنة والمملوك. والترهيب : من سب الدهر. الترهيب: من ترويع المسلم ومن الاشارة إليه بسلاح ونحوه جادًا أو مازحا . الترغيب : فى الإصلاح بين الناس . الترهيب: من أن يعتذر إلى المرء أخوه فلا يقبل عذره . الترهيب : من النميمة . الترهيب : من الغيبة والبهت وبيانهما . والترغيب : فى ردهما . الترغيب : فى الصمت إلا عن خير . والترهيب : من كثرة الكلام . الترهيب : من الحسد ، وفضل سلامة الصدر . الترغيب : فى التواضع . والترهيب : من الكبر والعجب والافتخار . الترهيب : من قوله لفاسق أو مبتدع: ياسيِّدى أو نحوها من الكلمات الدالة على التعظيم. الترغيب: فى الصدق . والترهيب : من الكذب . ترهيب : ذى الوجهين وذى اللسانين . الترهيب : من الحلف بغير الله سيما بالأمانة ، ومن قوله أنا برىء من الإسلام أو كافر أو نحو ذلك . الترهيب : من احتقار المسلم المسلم ، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . الترغيب : فى إماطة الأذى عن الطريق وغير ذلك مما يذكر. الترغيب : فى قتل الوزغ وماجاء فى الحيات وغيرها مما يذكر. الترغيب: فى إنجاز الوعد والأمانة . والترهيب: من إخلاف الوعد والخيانة والغدر وظلم المعاهد أوقتله .

الترغيب : فى الحب فى الله تعالى . والترهيب : من حب الأشرار وأهل البدع ونحوهم لأن المرء مع من أحب الترهيب: من السحر وإتيان الكهان والعرّافين والمنجمين بالرمل والحصى ونحو ذلك وتصديقهم . الترهيب : من تصوير الحيوانات فى البيوت وغيرها . الترهيب : من اللعب بالنرد . الترغيب : فى الجليس الصالح والترهيب : من الجليس السوء ، وما جاء فيمن جلس وسط الحلقة وغير ذلك . الترهيب : من أن ينام الإنسان على سطح لاتحجير له أو يركب البحر عند ارتجاجه . الترهيب : من أن ينام الإنسان على وجهه من غير عذر الترهيب: من الجلوس بين الظل والشمس . والترغيب : فى الجلوس مستقبل القبلة. الترغيب: فى سكنى الشام وفضلها . الترهيب : من الطيرة . الترهيب : من اقتناء الكلاب إلا لصيد أو ماشية . الترهيب : من سفر الرجل وحده أو مع آخر فقط ، وما جاء فى خير الأصحاب . ترهيب : المرأة أن تسافر وحدها . الترغيب : فى ذكر الله تعالى لمن ركب دابته . الترهيب : من استصحاب الكلب والجرس فى سفر وغيره . الترغيب : فى الدلجة ، وهو السير بالليل. والترهيب : من السفر أوله ، ومن التعريس فى الطرق ، والافتراق فى المنزل . الترغيب : فى ذكر الله لمن عثرت دابته . الترغيب : فى كلمات يقولهن من نزل منزلا . الترغيب : فى دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب سيما المسافر . الترغيب : فى الموت فى الغربة .

كتاب التوبة والزهد

الترغيب : فى التوبة والمبادرة بها وإتباع السيئة الحسنة . الترغيب : فى الفراغ للعبادة والإقبال على الله عزّ وجلّ . الترهيب : من الاهتمام بالدنيا والإقبال عليها. الترغيب: فى العمل الصالح عند فساد الزمان . الترغيب : فى المداومة على العمل وإن قلّ . الترغيب : فى الفقر وقلة ذات اليد ، وما جاء فى فضل الفقراء والمساكين والمستضعفين وحبهم ومجالستهم . الترغيب : فى الزهد فى الدنيا والاكتفاء منها بالقليل. والترهيب: من حبها والتكاثر فيها والتنافس، وصفة عيش النبيّ ﷺ وأصحابه . الترغيب : فى البكاء من خشية الله تعالى . الترغيب : فى ذكر الموت وقصر الأمل ، والمبادرة بالعمل وفضل طول العمر لمن حسن عمله ، والنهى عن تمنى الموت. الترغيب: فى الخوف وفضله . الترغيب : فى الرجاء وحسن الظن بالله عزّ وجلّ سيما عند الموت

كتاب الجنائز وما يتقدمها

الترغيب : فى سؤال العفو والعافية . الترغيب : فى كلمات يقولهنّ من رأى مبتلى . الترغيب : فى الصبر سيما لمن ابتلى فى نفسه أو ماله وفضل البلاء والمرض والحمى ، وما جاء فيمن فقد بصره . الترغيب : فى كلمات يقولهنّ من آلمه شىء من جسده . الترهيب : من تعليق التمائم والحروز . الترغيب : فى الحجامة ومتى يحتجم . الترغيب : فى عيادة المرضى وتأكيدها . والترغيب : فى دعاء المريض . الترغيب : فى كلمات يدعى بهنّ للمريض وكلمات يقولهنّ المريض . الترغيب : فى الوصية والعدل فيها . والترهيب من تركها أو المضارّة فيها وماجاء فيمن يعتق ويتصدق عند الموت . الترهيب : من كراهة الإنسان الموت . والترغيب : فى تلقيه بالرضا والسرور إذا نزل حبًا للقاء الله . الترهيب : فى كلمات يقولهن من مات له ميت . الترغيب : فى حفر القبور وغسل الموتى وتكفينهم . الترغيب : فى تشييع الميت وحضور دفنه . الترغيب : فى كثرة المصلين على الجنازة وفى التعزية . الترغيب : فى الإسراع بالجنازة وتعجيل الدفن . الترغيب : فى الدعاء للميت وإحسان الثناء عليه . والترهيب : من سوى ذلك . الترهيب : من النياحة على الميت فى النعى ولطم الخدّ وخمش الوجه وشق الجيب . الترهيب : من إحداد المرأة على غير زوجها فوق ثلاث . الترهيب : من أكل مال اليتيم بغير حق . الترغيب : فى زيارة الرجال القبور . والترهيب : من زيارة النساء لها واتباعهنّ الجنائز . الترهيب : من المرور بقبور الظالمين وديارهم ومصارعهم مع الغفلة عما أصابهم ، وما جاء فى عذاب القبر ونعيمه ، وسؤال منكر ونكير عليهما السلام . الترهيب : من الجلوس على القبر وكسر عظم الميت .

كتاب البعث وأهوال يوم القيامة ويشتمل على فصول

كتاب صفة الجنة والنار

الترغيب : فى سؤال الجنة والاستعاذة من النار . الترهيب : من النار ، أعاذنا الله منها بمنه وكرمه ، ويشتمل على فصول . الترغيب : فى الجنة ونعيمها ويشتمل على فصول .

باب ذكر الرواة المختلف فيهم المشار إليهم فى هذا الكتاب[1]

(١) انتهت المقدمة والحمد لله أولا وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى . وعلى آله وصحبه وسلم .

الترغيب فى الإخلاص والصدق والنية الصالحة

١ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : انْطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ(١) مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَاهُمُ(٢) الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ(٣) فَدَخَلُوا فَانْحَدَرَتْ(٤) صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنَجِّيكُمْ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ ، إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبُقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً(٥) ، فَنَأَى(٦) بِي طَلَبُ شَجَرٍ يَوْماً فَلَمْ أُرِحْ(٧) عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا ، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبُقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرِقَ(٨) الْفَجْرُ . زاد بعض الرُّواة (وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي) فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ(٩) شَيْئاً لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا(١٠) عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ(١١) بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ(١٢) ، فَتَحَرَّجْتُ(١٣) مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا ، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ونصلى ونسلم على سيدنا محمد القدوة الحسنة . وعلى آله وأصحابه .

وبعد ، فهذا فتح جديد : فى شرح جواهر أحاديث (الترغيب والترهيب) أبتدىء فيه بعون الله وبه أستعين . فأفسر ألفاظها العذبة وأبين مغزاها بعبارة سهلة ؛ مقتبسا من القرآن الكريم مايشرح الصدر ، ويقر العين :

(١) النفر : من ثلاثة إلى عشرة ، وكذا النفير والنفر والنفرة ، ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر فيه الناس من منى ، وهو بعد يوم القر : أى الثبوت والإقامة . (٢) ألجأهم . (٣) بيت مقورفى الجبل

(٤) مالت : أى هبطت وسقطت . (٥) فى نسخة : ومالا . (٦) بعد . (٧) أذهب إليهما ، أو أرح بضم الهمزة وكسر الراء ، وهو مأخوذ من أرحت الإبل أى رددتها إلى مأواها بالليل ، وليس مأخوذا من راح إذا ذهب . (٨) تلألأ وأضاء . (٩) اتسعت . (١٠) طلبتها : أى راودتها كما فى نسخة .

(١١) نزلت بها سنة : أى عام قحط . (١٢) هو النكاح الحلال بعقد شرعى .

(١٣) امتنعت من الوقوع فى الحرج : أى الإثم .

أَعْطَيْتُهَا : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ[1] أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ ، فَقَالَ لِي : يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي؟ فَقُلْتُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئْ[2] بِي ؟ فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَسَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ .

(وفى رواية) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ وَاللهِ يَا هٰؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ[3] كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ[4] مِنْ أَرُزٍ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ ، وَإِنِّي عَمَدْتُ[5] إِلَى ذٰلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَى أَنِ ٱشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا ، وَإِنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ ٱعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ ، فَإِنَّهَا مِنْ ذٰلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذٰلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ (فذكر الحديث قريباً من الأول) رواه البخارى ومسلم والنسائى ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه باختصاره ، ويأتى لفظه فى برّ الوالدين إن شاء الله تعالى .

[قوله] : وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً . الغبوق بفتح الغين المعجمة : هو الذى يشرب بالعشى ؛ ومعناه كنت لا أقدّم عليهما فى شرب اللبن أهلاً ولا غيرهم . يتضاغون : بالضاد والغين المعجمتين ، أى يصيحون من الجوع . السنة : العام المقحط الذى لم تنبت الأرض

---

(١) نميت . (٢) فى نسخة : لاتستهزئ . (٣) فليتضرع إلى الله كل واحد ويلجأ إليه فى طلب كشف الضر ويتوسل إليه بأرجى عمل عمله فى الرخاء . (٤) نحو ثلاثة آصع فى الحجاز « مكيال يسع ستة عشر رطلا » . (٥) عمد للشىء قصد له ، وعمد الشىء أقامه بعماد يعتمد عليه فانعمد وبابهما ضرب .

فيه شيئاً سواء نزل غيث أم لم ينزل تفضّ الخاتم : هو بتشديد الضاد المعجمة ، وهو كناية عن الوطء . الفَرَق : بفتح الفاء والراء : مكيال معروف . فانساحت : هو بالسين والحاء المهملتين أى تنحت الصخرة وزالت عن فم الغار[1] .

٢ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مَنْ فَارَقَ[2] الدُّنْيَا عَلَى الإِخْلَاصِ لِلهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَآتَى الزَّكَاةَ فَارَقَهَا وَاللهُ عَنْهُ رَاضٍ . رواه ابن ماجه والحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين .

٣ - وَعَنْ أَبِي فِرَاسٍ (رجل من أسلم) قَالَ : نَادَى رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ الْإِخْلَاصُ ، وفى لفظ آخر قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ ، فَنَادَى رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ : مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ إِقَامُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ . قَالَ فَمَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ الْإِخْلَاصُ[3] ، قَالَ فَمَا الْيَقِينُ ؟ قَالَ التَّصْدِيقُ[4] . رواه البيهقى ، وهو مرسل.

---

(١) المعنى: أن النبي صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا لثلاثة عملوا عملا صالحاً لله وأخلصوا إليه جل وعلا في الطاعة ولما وقعوا فى شدة توسلوا إلى الله بأرجى عمل عملوه رجاء أن الله يفرج كربهم ؟ ويزيل ألمهم ، ويبعدهم إذ رأوا الصخرة ثقيلة عليهم فلا يمكن رفعها ، فتقرب الأول: بمحبة والديه وبرهما وإكرامهما وطاعتهما وإيثارهما على أهله وأبنائه ورعاية الأدب معهما ، ولعل فى هذا العمل الخالص ابتغاء وجه الكريم سبب إجابة دعائه وتفريج غمه فكان. وتضرع الثانى: إلى ربه بامتناعه عن الفحشاء خوفاً منه جل وعلا وخشيته فى السر والعلانية ، بعد أن تمكن من حبيبته وإعطائها مايملك من الدنانير ، فأجاب الله دعاءه وأزال عسيره ، ودعا الثالث: السرى ربه وطلب منه النجاة إذ حفظ أمانة الأجير لله ونماها لله حتى ملأ وادياً إبلا وبقراً وغنما ورعاءها .

وهكذا يبارك الله فى القليل الحلال فينمو ويكثر ، ولما احتاج ذلك الأجير لأجرته سلمه ذلك المال الوفير لله ومحبة فى ثواب الله ورجاء أن يفرج الله عنهم فكان ما رجوه وجاءهم الفرج تدريجا على ثلاث دفعات ليرى كل منهم أثر دعائه ، وتوسله بصالح عمله .

يؤخذ أيضاً من هذا الحديث :

ا — أن الإنسان يلزمه أن يعمل صالحا بإخلاص وصدق نية فى حالة السعة والفرج ليكون ذلك سببا لنجاته فى يوم الضيق والشدة ، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ « تعرف إلى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة » فما ظنك إذا انضم إلى ذلك توسل ودعاء باضطرار؟ لاشك أن ذلك يكون أقرب للإجابة وأسرع لتفريج الكرب وكشف البلاء ، كما أخبر بذلك حيث قال : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون) آية ٦٢ سورة النمل .

ب — وأن المال الحلال يقيض الله له من يحفظه ولو غير مالكه حتى إذا احتاج صاحبه يوما وجده كما وقع لذلك الأجير . وهذا الحديث ساقه النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لأمته ، ليحذوا حذو هؤلاء ، ويسيروا على نهجهم فى العمل الصالح بإخلاص وصدق نية ، ليكون لهم ما كان لهؤلاء .

(٢) ترك ، والمعنى : الذى عمل صالحاً لله وحده وأدى الصلاة فى أوقاتها وأخرج الزكاة للمستحقين وتصدق على الفقراء رحمه الله وأغدق عليه الخير والنعيم فى الجنة . (٣) شىء فى القلب يدعو إلى حسن النية وصفاء الطوية وإتقان العمل لله . (٤) الاعتقاد الجازم بوجود الخالق جل وعلا فلا يخشى سواه .

٤ — وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ : حِينَ بُعِثَ إِلَى الْيَمَنِ : يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي، قَالَ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ . رواه الحاكم من طريق عبيد الله بن زجر عن ابن أبي عمران ، وقال صحيح الإسناد كذا قال .

٥ — وَرُوِيَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ . رواه البيهقى .

٦ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : نَضَّرَ[1] اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا[2] فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ[3] لَيْسَ بِفَقِيهٍ : ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ[4] عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالْمُنَاصَحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ[5] وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ[6] فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ مُحِيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ[7] . رواه البزّار بإسناد حسن ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث زيد بن ثابت ، ويأتي فى سماع الحديث إن شاء الله تعالى . قال الحافظ عبد العظيم ، وقد روى هذا الحديث أيضاً عن ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، والنعمان بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وأبى الدرداء ، وأبى قرصافة[8] جندرة ابن خيشنة وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم . وبعض أسانيدهم صحيح .

٧ - وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا[9] بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ . رواه النسائى وغيره ، وهو فى البخارى وغيره دون ذكر الإخلاص .

---

(١) زاده نضرة ونميا ، وبهجة وسروراً . أى جعل الله وجهه نضراً وحسناً . (٢) حفظها وأداها على محتها ليتنعم بها المسلمون . (٣) مسائل من مهام أمور الدين؛ إذ الفقه: علم أدلة الدين بحقائق العلوم المستنبطة من الأقيسة ، والغرض أن يحفظ مايسمعه ويؤديه كما سمعه من غير تغيير .

(٤) غل يغل بضم الغين فى المغنم غلولا : خان ، وبضم الياء وكسر الغين من الاغلال وهو الخيانة ، وغل صدره يغل : بفتح الياء وكسر الغين: إذا كان ذا ضغن، أو حقد: أى لايدخله حقد أو خيانة تبعده عن الحق : أى هذه الخلال الثلاث يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر كما فى النهاية .

(٥) الأمراء، والعلماء، والولاة. (٦) فى مجالس العلم، والعمل الصالح ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

(٧) قد يستجيب الله دعاءهم إذ محبتهم قرباناً الى الله تعالى ، ومحبتهم لله فى الله ، والله من ورائهم محيط .

(٨) فى نسخة قرصافة . (٩) المعنى : أن الله تعالى يتجلى بكرمه ورضوانه ونصره لمن أكرم الضعفاء ابتغاء وجهه ، لأن خلالهم محمودة مقبولة عنده وينصر الأمة بسبب دعاء الضعفاء وصلاتهم وإخلاصهم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم الحديث « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » .

٨ – وَعَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكاً فَهُوَ لِشَرِيكِي ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لاَ يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ إِلاَّ مَا خَلَصَ(١) لَهُ وَلاَ تَقُولُوا : هٰذِهِ لِلّٰهِ وَلِلرَّحِمِ(٢) فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ وَلَيْسَ لِلّٰهِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَلاَ تَقُولُوا : هٰذِهِ لِلّٰهِ وَلِوُجُوهِكُمْ(٣) فَإِنَّهَا لِوُجُوهِكُمْ ، وَلَيْسَ لِلّٰهِ مِنْهَا شَيْءٌ . رواه البزار بإسناد لا بأس به والبيهقي.

[قال الحافظ] لكن الضحاك بن قيس مختلف فى صحبته .

٩ – وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا(٤) يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ ، مَالَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ شَيْءَ لَهُ ، فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مِرَارٍ ، وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ شَيْءَ لَهُ(٥) ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ : لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصاً ، وَابْتُغِيَ وَجْهُهُ . رواه أبو داود والنسائى بإسناد جيد ، وسيأتي أحاديث من هذا النوع فى الجهاد إن شاء الله تعالى .

١٠ – وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ(٦) مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى . رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به .

١١ – وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : يُجَاءُ بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ مِيزُوا مَا كَانَ(٧) مِنْهَا لِلّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُمَازُ ، وَيُرْمَى سَائِرُهُ فِي النَّارِ . رواه البيهقي عن شهر بن حوشب عنه موقوفاً .

١٢ – وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنْ شَهْرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ(٨) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جِيءَ بِالدُّنْيَا فَيُمَيَّزُ مِنْهَا مَا كَانَ لِلّٰهِ ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِ اللهِ رُمِيَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ . موقوف أيضاً .

[قال الحافظ] وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال من قِبَل الرأى والاجتهاد فسبيله سبيل المرفوع.

---

(١) فى نسخة : أخلص . (٢) تعطى لله ونيتك إكرام القرابة . (٣) تعطى لله ، وإكراما لأشخاص . (٤) حارب الأعداء طالباً الثواب من الله عز وجل ، والسيرة الطيبة وحسن الأحدوثة .
(٥) حرمه الله من الأجر الجزيل لأنه أشرك فى جهاده ، ولم يطلب بعمله هذا حب الله ، ونصر دينه ، وإعلاء كلمته فقط ، فرد الله عمله لأنه أغنى الشركاء . (٦) بعيدة عن رحمة الله إذا اشتغل فيها العامل لغير الله .
(٧) فى نسخة : ما فيها . ميزوا : افصلوا . (٨) نسخة : عنبسة .

١٣ وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَنْ أَخْلَصَ لِلهِ[١] أَرْبَعِينَ يَوْماً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ . ذكره رُزَين العبدرى فى كتابه ، ولم أره فى شىء من الأصول التى جمعها ، ولم أقف له على إسناد صحيح ولاحسن ، إنما ذكر فى كتب الضعفاء كالكامل وغيره ، لكن رواه الحسين ابن الحسين المروزى فى زوائده فى كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ، فقال : حدثنا أبو معاوية أنبأنا حجاج عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره مرسلاً ؛ وكذا رواه أبو الشيخ ابن حبان وغيره عن مكحول مرسلاً والله أعلم .

١٤ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : قَدْ أَفْلَحَ[٢] مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيماً[٣] ، وَلِسَانَهُ صَادِقاً[٤] ، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً[٥] ، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً[٦] ، وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً[٧] ، وَعَيْنَهُ نَاظِرَةً[٨] ، فَأَمَّا الْأُذُنُ فَقَمْعٌ[٩] وَالْعَيْنُ مُقِرَّةٌ[١٠] بِمَا يُوعِى الْقَلْبُ ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِياً . رواه أحمد والبيهقى ، وفى إسناد أحمد احتمال للتحسين .

فصـــل

١٥ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ[١١] وفى رواية بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى .

---

(١) أى عمل صالحاً ، واتقى الله ، وراعى أوامر القرآن ومناهيه ، وأكل حلالا ، وامتنع عن الشبهات

(٢) فاز من نقى قلبه ، وملأه تصديقاً بوجود الله، وآمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر، وعمل صالحاً . (٣) بعيداً عن الإلحاد والزيغ ، مجتنباً الشبهات ، قابل الله وهو عامل بكتابه وسنة نبيه.

(٤) يخبر بالواقع ، ويقول الحق، ويشهد بالعدل . (٥) يركن إلى الله عند حدوث المصائب فلا يجزع ولا يقول ما يغضب الرب ، ولا يسخط ، ولا ييأس . (٦) يتحلى بمكارم الأخلاق . (٧) للخير .

(٨) إلى آيات الله ليعتبر . (٩) سامعة منصتة. قمع كسمع: الإناء الذى يترك فى رءوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والأدهان ، شبه آذان الذين يستمعون القول ويعونه ويحفظونه ويعملون به بالأقماع التى تحفظ ما يفرغ فيها لتوصله إلى الإناء .

(١٠) خاضعة معترفة بالذى يحفظه القلب المدبر المتعظ المتذكر ، أو مكان سرور للذى يستعملها فى الخير .

(١١) بتفكير القلب : أى قصده فعل الشىء .

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ[١] إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا[٢] فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ . رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائى .

[قال الحافظ] وزعم بعض المتأخرين أن هذا الحديث بلغ مبلغ التواتر ، وليس كذلك فإنه انفرد به يحيى بن سعيد الأنصارى عن محمد بن إبراهيم التيمى ، ثم رواه عن الأنصارى خلق كثير نحو مائتى راوٍ ، وقيل سبعمائة راوٍ ، وقيل أكثر من ذلك، وقد روى من طرق كثيرة غير طريق الأنصارى ، ولا يصح منها شيء : كذا قاله الحافظ على بن المدينى وغيره من الأئمة . وقال الخطابى : لا أعلم فى ذلك خلافا بين أهل الحديث ، والله أعلم .

١٦ — وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا[٣] بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ . قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ[٤] ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ[٥] ؟ قَالَ: يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ[٦] رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

١٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ[٧] ، رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، ورواه أيضاً من حديث جابر إلا أنه قال : يحشر الناس .

١٨ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ[٨] مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا[٩] وَلَا وَادِيًا[١٠]

---

(١) عمله وانتقاله من مكة إلى المدينة حينما كانت مكة دار كفر .
والمعنى أن الأعمال لا يعول عليها عند الله تعالى ، ولا يثاب عليها فاعلها إلا إذا صحبتها نية خالصة لله ، ويتفرع على ذلك أن من هاجر من مكة إلى المدينة؛ وكان قصده بهجرته وجه الله ورسوله فهذه الهجرة مقبولة منه مثاب عليها ، وأن من هاجر وكان قصده عرض الدنيا أو امرأة يتزوجها فليست هجرته مقبولة ولا مأجوراً عليها .

(٢) يتزوجها . والمعنى : العاقل يسعى جهده فى درك الأعمال الصالحة لله ، ويكد فى دنياه وقلبه مملوء إيماناً بربه طالباً ثوابه ورضاه « ومن أوى إلى الله آواه » .

(٣) المراد فى آخر الزمان يسطو الأعداء على فتح مكة فيزلزل الله بهم الأرض فتخسف ، ويجعل باطنها ظاهرها

(٤) مجتمعات الناس البيع والشراء . (٥) أى فيهم قوم أخلصوا لله فى عملهم ونياتهم .

(٦) يحاسبون على أعمالهم إن خيرا ، وإن شرا . (٧) الله سبحانه وتعالى يجمع الخلائق ؛ ويحاسب كل إنسان على نيته وضميره وأعماله . (٨) كان صلى الله عليه وسلم يحارب فى هذه البلدة (تبوك) وبعد أن انتصر انتصاراً باهراً . ورجع سالما أرشد عن رجال أخلصوا لله فى نياتهم وقلوبهم ترعى المحاربين ؛ وتشملهم بعطفهم ودعائهم ، والله تعالى يثيبهم ، ويعطيهم أجورهم مضاعفة .

(٩) طريقاً فى الجبل . (١٠) طريقاً سهلة بعيدة عن وعورة المسالك .

إلاَّ وَهُمْ مَعَنَا ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ[١] : رواه البخاري وأبو داود ، ولفظه : إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَاسِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَأَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إلاَّ وَهُمْ مَعَكُمْ[٢] قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ: وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟قَالَ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ.

١٩ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ[٣] وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَـكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ . رواه مسلم .

٢٠ — وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ[٤] وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ . قَالَ: مَا نَقَصَ[٥] مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلاَ ظُلِمَ[٦] عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا ، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ[٧] إلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ (أو كلمة نحوها) وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي[٨] فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ[٩] فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ لِلهِ فِيهِ حَقًّا[١٠] ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً يَخْبِطُ[١١] فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَلاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ لِلهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ[١٢] الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ[١٣] فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا[١٤] سَوَاءٌ (رواه أحمد والترمذى ، واللفظ له، وقال حديث

---

(١) المرض . (٢) قلوبهم متجهة لأجل نصر دين الله . (٣) نضارة الجسم، وبهجة الصور تقدم الإنسان ولا تؤخره في دينه وسعادته، ولكن الذى يوصلك إلى الله جل وعلا حسن النية وخشية الله ، والتفكر في خلق الله ، وإضمار الخير للمسلمين وترك الشر ، فالقلب بيت الرب ، وهو الآمر الناهى لحركات الجسم وهو العقل المدبر للأفعال . (٤) أؤكد بصحتهن .

(٥) ماقل ، والمعنى : الزكاة تنمى المال ، والإنفاق لله يبارك ويجلب السعادة .

(٦) أوذى وكظم غيظه ، وفوض أمره إلى الله . (٧) حاجة ، وأظهر الذل والفقر ، مع أنه فى سعة ومغمور بالنعم . (٨) يخشى الله ويخاف عذابه (٩) يزور أقاربه ويعطيهم من أمواله .

(١٠) زكاة . (١١) يجرى فى ماله من غير هدى ، وينفقه فى الباطل ، ولا يصرفه فى وجوه الحلال ولا يخلد ذكراه بالصالحات، أقاربه محرومون من خيره . (١٢) أسوأ ، لأن عمله سىء ، وحالته رديئة . أطلق عنان الهوى ، واسترسل فى الشهوات واستعمل المال فى وجوه الحرام . (١٣) يتمنى ذلك المعدم مالا ليعقه فى شهواته وملذاته فيحاسبه الله على نياته الخبيثة؛ ويعاقب على ما نوى ، إذ الذى أقعده عن الموبقات فقره وعدمه فهذا مثل الخبيث . (١٤) عقابهما واحد ؛ وذنبهما واحد .

حسن صحيح) ورواه ابن ماجه ، ولفظه : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَثَلُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالاً وَهُوَ[1] يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هٰذَا عَمِلْتُ فِيهِ بِمِثْلِ الَّذِي يَعْمَلُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْماً فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَرَجُلٍ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ عِلْماً وَلَا مَالاً وَهُوَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هٰذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ.

٢١ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ اللهَ كَتَبَ[2] الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذٰلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، زاد في رواية : أَوْ مَحَاهَا — وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ : رواه البخاري ومسلم .

٢٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا ، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً[3] ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا اكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ .

رواه البخاري ، واللفظ له ، ومسلم .

٢٣ — وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَمَنْ هم بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ .

٢٤ — وَفِي أُخْرَى لَهُ : قَالَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : قَالَ اللهُ عَزَّ

---

(١) في نسخة : فهو . (٢) قدر أعمال العباد ، وأحصى حسناتهم وذنوبهم ، ولكن تفضل فحاسب على النية ؛ فمن فكر في عمل حسنة وامتنع أعطاه الله على العزيمة حسنة ، وإذا نفذ الخير ضاعف الله له ثوابه بقدر إخلاصه لله : والله يضاعف لمن يشاء ؛ وأما من أراد أن يعمل سيئة فأبى خوفا من الله تعالى أجزل له أجره ، وضاعف ثوابه لامتناعه خوفاً من ربه عز وجل . ومن حلم الله أن ينتظر على عبده ، فإذا نفذ المحرم أمر الله الملائكة أن تقيدها سيئة واحدة . (٣) في نسخة : فإن تركها فاكتبوا له بعشر أمثالها إلى سبعمائة.

وَجَلَّ : إذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا ، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ .

[قوله] : من جراى بفتح الجيم وتشديد الراء : أى من أجلى .

٢٥ - وَعَنْ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ . كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ[(١)] بِهَا ، فَقَالَ وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ . رواه البخارى .

٢٦ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَزَانِيَةٍ وَغَنِيٍّ ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ . وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا ، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ . رواه البخارى واللفظ له، ومسلم والنسائى قالا فيه : فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ تُقُبِّلَتْ، ثم ذكر الحديث.

٢٧ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ . رواه النسائى وابن ماجه بإسناد جيد، ورواه ابن حبان فى صحيحه مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ أَوْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَلَى الشَّكِّ .

[قال الحافظ عبد العظيم] رحمه الله وستأتى أحاديث من هذا النوع متفرقة فى أبواب متعددة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى[(٢)] .

---

(١) فى نسخة وأتيته .

(٢) معنى الباب : يسوق النبي صلى الله عليه وسلم الحكم للمسلمين ليقدموا على أعمالهم لله والإخلاص =

الترهيب من الرياء وما يقوله من خاف شيئاً منه

١ ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى[١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ[٢] فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ[٣] نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا[٤]؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ . قَالَ كَذَبْتَ وَلٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: هُوَ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ[٥] ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ[٦] فَعَرَفَهَا . قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

= راقبهم ، وخشيته تعالى مقصدهم ولا يشركون به أحداً في أي عمل قل أو كثر، ولا تتجه النية لمراعاة أي مخلوق مطلقاً ، فالثواب لا يوجد إلا إذا كانت النية في العمل لله ، وكتاب الله مملوء بهذا الإرشاد . قال الله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وقد خاطب الله عز وجل السيد الرسول صلى الله عليه وسلم في محكم كتابه الكريم : إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص » فأنت تجد أمراً صريحا بإخلاص العبادة له جل وعلا ، وقد صرح بذلك في آية أخرى « قل الله أعبد مخلصاً له ديني » . فاجتهد أيها المسلم في نظافة الظاهر والباطن وإخلاص النية لمولاك الذي غمرك بالإحسان ومدك بنعمه الوافرة ليسدد الله خطاك في دنياك وتؤجر على كل أعمالك ، وتكون من الذين يعنيهم الله جل وعلا في قوله: « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً » .

أي لا أحد أكثر حسنا عند الله ممن فوض أمره لربه وأحسن في أعماله، واتبع سنن الأنبياء والمرسلين

وقد رأيت في حديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم يبشر المخلصين لله بالجنة ، وأنهم مصابيح الهدى، ونور الحق، ونبراس الصواب: وبهم تزول الفتن، وينقشع الضلال، ويظهر العدل . وفي حديث (٨) ينهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتصدقوا لله ويعملوا صالحاً لله ، ويقولوا : هذا لله وللقرابة أو لفلان ، فإنما كان لغير الله لا ثواب له ، ويجر إلى جهنم ، والعياذ بالله تعالى، وفي حديث ١٣ أن العمل بالشرع يدعو إلى الصلة بربه والاستضاءة بنور الحكمة . وأن الله يلهمه الرشد فينطق بالحكمة ، وفي حديث (٢٦) ذلك المحسن الذي نوى أن يجود بشيء فقابله الزاني وهو لا يعلم بحاله ، ولكن قبل الله صدقته وأثابه ، وكذلك السارق والغني ، وقد حاسبه ربه على نيته ، وهي كانت لله، وفي حديث (٢٧) يبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنك إذ نويت التهجد وغلبك النوم فلم تقم أعطاك الله ثواب قيام الليل وأكرمك بالراحة والهناءة .

(١) أي يسأله الله عز وجل ويحاسبه ويحكم عليه بالنار بعد السؤال والحساب . (٢) قتل شهيداً أي طلب الشهادة بالسير في القتال مع المحاربين المجاهدين في سبيل الله، وهذا ظاهره للناس؛ وباطنه حب الرياء والعظمة، ومدح الناس لشجاعته وهممه العالية، وما كان يريد نصر دين الله في جهاده . (٣) أي أظهر الله عليه فضله وإحسانه إليه في حياته . (٤) أي أي شيء عملته لوجه الله جزاء هذه النعم الجليلة . (٥) أثنى الناس على بسالته ، وهذا ما ينتظره ، وهكذا الرجل تغذى بلبان المعارف وفقه في دينه، ولكن كان يحب مدح الناس، وما كان يقصد وجه الله في تعليمه وطلب علمه ، وكذا ذلك السري الذي أغناه مولاه وغمره بالمال الوفير، فأحب الصيت الحسن في الدنيا، ولم ينو حب الله في إنفاقه، ولم يطلب ثوابه، وغره ثناء الناس عليه، ونسي الله أثناء جوده

(٦) في نسخة : نعمته .

قالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقالَ عالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقالَ هُوَ[1] قارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فى النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطاهُ مِنْ أَصْنافِ الْمالِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها . قالَ فَما عَمِلْتَ فِيها ؟ قالَ ما تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيها إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيها لَكَ. قالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ هُوَ جَوادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فى النَّارِ. رواه مسلم والنسائى، ورواه الترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه كلاهما بلفظ واحد .

٢ ــ وَعَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ أَبِي عُثْمانَ الْمَدِينِيِّ أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ حَدَّثَهُ أَنَّ شُفَيًّا الْأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَإِذا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقالَ مَنْ هٰذا ؟ قالُوا : أَبُو هُرَيْرَةَ . قالَ فَدَنَوْتُ[2] مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلا، قُلْتُ لَهُ أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَّا[3] حَدَّثْتَنِي حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَقَلْتَهُ[4] وَعَلِمْتَهُ ، فَقالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَفْعَلُ لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ ، ثُمَّ نَشَغَ[5] أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنا قَلِيلاً ثُمَّ أَفاقَ فَقالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنا وَهُوَ فى هٰذا الْبَيْتِ ما مَعَنا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى ، ثُمَّ أَفاقَ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ فَقالَ : أَفْعَلُ لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنا وَهُوَ فى هٰذا الْبَيْتِ ما مَعَنا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً ، ثُمَّ مالَ خارًّا[6] عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ طَوِيلاً ، ثُمَّ أَفاقَ فَقالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى إِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جاثِيَةٌ[7] ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعِي[8] بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمالِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ ما أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قالَ بَلَى[9] يا رَبِّ. قالَ فَما عَمِلْتَ فِيما عَلِمْتَ ؟ قالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ

(١) فى نسخة : قارىء فقط . (٢) قربت . (٣) لما : بمعنى إلا قال فى النهاية أنشدك الله لما فعلت كذا أى إلا فعلته . (٤) فهمته وثبت فى ذهنك . (٥) أغمى عليه . (٦) ساقطاً مغشياً عليه (من خر لله ساجداً) : أى سقط . (٧) جالسة على ركبها . (٨) فى نسخة : يدعو .
(٩) حرف جواب للاستفهام مع النفى بمعنى نعم علمتنى للإثبات .

آناءَ اللَّيلِ وَآناءَ النَّهارِ، فَيقُولُ اللهُ عزَّ وَجلَّ لَهُ كَذَبْتَ، وَتقُولُ لَهُ الملائِكَةُ كَذَبْتَ، وَيقُولُ اللهُ تبارَكَ وتعالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ فُلانٌ قارِئٌ، وَقَدْ قِيلَ ذلِكَ، وَيُؤْتَى بِصاحِبِ المالِ فَيقُولُ اللهُ عزَّ وَجلَّ أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قالَ بَلَى يارَبِّ. قالَ فَماذا عَمِلْتَ فِيما آتَيْتُكَ؟ قالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتصَدَّقُ فَيقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتقُولُ الملائِكَةُ كَذَبْتَ، وَيقُولُ اللهُ تبارَكَ وتعالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ فُلانٌ جَوادٌ، وقد قيل ذلك، وَيُؤْتَى بِالَّذِى قُتِلَ فى سَبِيلِ اللهِ، فَيقُولُ اللهُ لَهُ: فِيما ذا قُتِلْتَ؟ فَيقُولُ أَيْ رَبِّ أُمِرْتُ بِالجِهادِ فى سَبِيلِكَ فَقاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتقُولُ الملائِكَةُ كَذَبْتَ، وَيقُولُ اللهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقالَ فُلانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قيل ذلك، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيَّ فقالَ: يا أَبا هُرَيْرَةَ أُولئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسْعَرُ بِهِمُ[1] النَّارُ يَوْمَ القِيامَةِ. قال الوليد أبو عثمان المدينى: وأخبرنى عقبة أن شفيًّا هو الذى دخل على معاوية فأخبره بهذا. قال أبو عثمان: وحدثنى العلاء بن أبى حكيم أنه

---

(١) تتقد وتهيج وتلهب من سعر النار والحرب: هيجها وألهبها، وبابه قطع، ومنه « وإذا الجحيم سعرت » معنى الحديث: دخل شفى الأصبحى المدينة فيرى محدثاً عظيما يهرع الناس إليه لسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرب منه وطلب حديثاً فهمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أن أغمى عليه ثلاث مرات من شدة الوجل من الله عز وجل، ومن أسفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشوقه إليه أدى أمانة العلم، ويخاف أبو هريرة مع شدة ورعه أن يتسرب إلى علمه هذا شىء من الرياء ثم أدى أمانة العلم، فحدث عن خير الخلق صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة: عالم يطلب حب الظهور والثناء، ولم يخلص فى علمه مع كثرة تهجده وعبادته، ولكن فيها قليل من الرياء، والثانى: وسع الله عليه فى دنياه فأكثر من مشروعات الخير ومن الصدقات، ولكن فى نيته انتظار ثناء الناس وحب الفخفخة والشهرة واطلاق الألسنة بالثناء عليه. فرد الله عليه أعماله الخيرية، وجزاه عليها فى حياته ثناء طيباً فقط « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وكذلك الذى حارب ليفتخر الناس بشجاعته، ويتحدثوا بقوته وعزيمته وحسن بلائه، حين سمع سيدنا معاوية ابن أبى سفيان هذا الحديث بكى وتلا الآية الشريفة التى تطلب من المسلمين أن يريدوا بعملهم الصالح حب الله فقط وجزاءه، ويتركوا زخارف الدنيا وبهجتها الحقيرة خشية ضياع ثواب الله فى الآخرة، إن مصيبة العاملين لله التحدث بأفعالهم طلب الرياء؟ والله أغنى الشركاء، يقبل ما كان له جل وعلا فقط، ويرد ما كان لغيره سبحانه يذكرنى هنا رؤيا والدى « رحمه الله تعالى وطيب ثراه وأكرم مثواه » فى ضحوة يوم من سنة ١٣٥٠ هـ باه إلى فقلت له يا والدى ألم أفعل كذا وكذا وكذا. فقال بلى، ولكن (بتقول) يريد والدى (أغدق الله عليه رضوانه) أن ينصحنى إن فعلت خيراً لا أتحدث به مطلقاً خشية أن يمدحنى الناس به فيضيع ثواب الله جل وعلا فى فعله، وخشية غرور النفس وإدخالها الرياء فى عملها لله ويكون مقصدها زينة الدنيا من ثقة الناس بى مثلا أو مدحهم فيحبط هذا الصنيع ويبطل هذا العمل، وهذا درس أخذته من والدى رحمه الله فى الرؤيا، وأعلم أنه كان على جانب من الله وطاعته عظيم. نسأل الله الإخلاص ونبذ الرياء.

كان سيافًا لمعاوية . قال : فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة ، فقال مُعاوِيَةُ : قَدْ فُعِلَ بِهٰؤُلَاءِ هٰذَا ، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ ، وَقُلْنَا : قَدْ جَاءَ هٰذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ ، مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ورواه ابن خزيمة في صحيحه نحو هذا لم يختلف إلا في حرف أو حرفين

[قوله]: جرىء هو بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد: أى شجاع ، نشغ بفتح النون والشين المعجمة و بعدها غين معجمة : أى شهق حتى كاد يغشى عليه أسفاً أو شوقاً .

٣ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرِو بن العاص ، قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِى عَنِ الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ ؟ فقال يا عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو ، إِنْ قَاتَلْتَ صَابِرًا[1] مُحْتَسِبًا[2] بَعَثَكَ اللهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِيًا[3] مُكَاثِرًا بَعَثَكَ اللهُ[4] مُرَائِيًا مُكَاثِرًا ، يَا عَبْدَ اللهِ ابْنَ عَمْرٍو ، عَلَى أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ ، أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . رواه أبو داود .

[قال الحافظ] وستأتي أحاديث من هذا النوع في باب مفرد في الجهاد إن شاء الله تعالى .

٤ ــ وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَشِّرْ هٰذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ[5] وَالرِّفْعَةِ[6] وَالدِّينِ وَالتَّمْكِينِ فِى الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ . رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم والبيهقى وقال الحاكم : صحيح الإسناد وفى رواية للبيهقى قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : بَشِّرْ هٰذِهِ

---

(١) الصبر : حبس النفس عن الجزع والركون إلى الله . (٢) طالباً ثواب الله عز وجل .

(٣) مرائيا : أى مظهراً عملك للناس ليثنوا عليك خيراً ، أى تطلب الرياء والظهور والفخر يحييك الله يوم القيامة على هذه النية ولا ثواب لك . (٤) فى نسخة: بعثك مرائياً بدون لفظ الجلالة .

(٥) العز والعلو . (٦) إن الله ينصر دين محمد صلى الله عليه وسلم ويثبت المسلمين ويعطيهم الملك والمال والقوة وتدين لهم الملوك الطاغية ، ويبسط حكمهم وينفذ أمرهم ، ثم يحاسب كل إنسان على نيته ؛ فمن تظاهر بالإصلاح وغش وخدع ، واستعمل أعمال الآخرة لجلب الدنيا وكسب خيراتها بمسوح الصلاح يحشر يوم القيامة عارياً ولا حظ له فى الآخرة . إن الذى يحبط الحسنات : التظاهر الكاذب ؛ وخلو العمل من الإخلاص لله .

الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ والسَّنَاءِ ، وَالرِّفْعَةِ بِالدِّينِ،وَالتَّمْكِينِ فى الْبِلَادِ،وَالنَّصْرِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فى الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ .

٥ — وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَارَسُولَ اللهِ إِنِّى أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللهِ ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِى[١] . فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى نَزَلَتْ: فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا[٢]. رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرطيهما، والبيهقى من طريقه ، ثم قال رواه عبدان عن ابن المبارك فأرسله لم يذكر فيه ابن عباس .

٦ — وَعَنْ أَبِى هِنْدٍ الدَّارِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ رَايَا اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ . رواه أحمد بإسناد جيد والبيهقى و الطبرانى ولفظه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ رَايَا بِاللهِ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ .

٧ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ سَمَّعَ[٣] النَّاسَ بِعَمَلِهِ[٤] سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ[٥] . رواه الطبرانى فى الكبير بأسانيد أحدها صحيح ، والبيهقى .

٨ — وَعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَمَّعَ[٦] سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَاءِ يُرَاءِ اللهُ بِهِ . رواه البخارى ومسلم .

سمع بتشديد الميم ، ومعناه : من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة فى عمله يوم القيامة وفضحهُ على رءوس الأشهاد .

٩ — وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ رَايَا اللهُ بِهِ ، وَمَنْ قَامَ مَقَامَ سُمْعَةٍ سَمَّعَ اللهُ بِهِ . رواه الطبرانى بإسناد حسن .

---

(١) أى يغتر الناس إلى بسالتى وهمتى العالية وتشخص إلى شجاعته الأبصار ، وتلهج بذكره الألسنة .
(٢) أى الذى يطلب نعيم الله ورضوانه : ويتجلى عليه ربه بإحسانه فليتحر العمل الذى أمر به ولا يجعل له شريكا فى ذاته أو فى صفاته أو فى أفعاله ، بأن يقصد الله فقط ، ولا يقول هذا لله ولأخى . أو لعمى، أو لرحمى ؛ وتكون أنواع طاعة ربه قاصرة عليه فقط ، ويستعين بالله فقط ، ويرجو الله فقط .
(٣) أظهر عمله للناس رياء . (٤) أظهر الله نيته الفاسدة فى عمله يوم القيامة وفضحه على رءوس الأشهاد
(٥) فى نسخة : بعلمه . (٦) فى نسخة : يسمع يسمع .

١٠ ـــ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم قَالَ : مَامِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فى الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إِلَّا سَمَّعَ اللهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه الطبرانى بإسناد حسن .

١١ ـــ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَنْ رَايَا بِشَىْءٍ فى الدُّنْيَا مِنْ عَمَلِهِ وَكَلَهُ[1] اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ انْظُرْ هَلْ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً رواه البيهقى موقوفاً .

١٢ ـــ وَرُوِىَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم يَقُولُ: مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يُرِيدُهَا وَلَا يَطْلُبُهَا لُعِنَ[2] فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

١٣ ـــ وَرُوِىَ عَنِ الْجَارُودِ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ طُمِسَ[3] وَجْهُهُ ، وَمُحِقَ[4] ذِكْرُهُ ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فى النَّارِ . رواه الطبرانى فى الكبير .

١٤ ـــ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: يَخْرُجُ فى آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَبِى يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانَ. رواه الترمذى من رواية يحيى بن عبيد، سمعت أبى يقول: سمعت أبا هريرة فذكره ، ورواه مختصراً من حديث ابن عمر ، وقال : حديث حسن

١٥ ـــ وَرُوِىَ عنهُ قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَحَبَّبَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُحِبُّونَ، وَبَارَزَ اللهَ بِمَا يَكْرَهُونَ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ. رواه الطبرانى فى الأوسط

١٦ ـــ وَرُوِىَ عنهُ أيضاً قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ . قَالُوا يَارسول اللهِ وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ[5]؟ قَالَ : وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ

---

(١) وكله : سلمه وتركه: أى إذا طلب العبد المعونة من غير ربه وأقدم على أى عمل تفاخراً ورياء واعتماداً على غير الله لم يساعده الله ، ولم يعاونه وتركه يوم القيامة أعمى ذليلا ولا ثواب له ولا يقيه هموم الحساب، ولا يبعد عنه عقاب الله ، ولا يمنع عنه الشدائد والأهوال . (٢) طرد من رحمة الله . (٣) تغير وامحى . (٤) زالت سيرته ولم يبارك فيه ، وكان مذموماً وسجل عقابه فى النار . (٥) بئر الأتراح .

كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ[١] مَرَّةٍ وَمِائَةَ قِيلَ يَا رسولَ اللهِ وَمَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ القُرَّاءُ[٢] المُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ. رواه الترمذي وقال حديث غريب وابن ماجه، ولفظه: تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الحُزْنِ[٣]. قالوا يَا رسولَ اللهِ، وَمَا جُبُّ الحُزْنِ؟ قال: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةَ مَرَّةٍ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ أُعِدَّ لِلْقُرَّاءِ المُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ القُرَّاءِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَزُورُونَ الأُمَرَاءَ، وفي بعض النسخ: الأُمَرَاءَ الجَوَرَةَ ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه إلا أنه قَالَ يُلْقَى فِيهِ القُرَّاءُونَ. قيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا القُرَّاءُونَ؟ قَالَ المُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

١٧ — وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِياً تَسْتَعِيذُ جَهَنَّمُ مِنْ ذَلِكَ الوَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ أُعِدَّ ذَلِكَ الوَادِي لِلْمُرَائِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: لِحَامِلِ كِتَابِ اللهِ، وَالمُتَصَدِّقِ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللهِ، وَالحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللهِ، وَلِلْخَارِجِ فِي سَبِيلِ اللهِ. قَالَ الحافظ: رفع حديث ابن عباس غريب ولعله موقوف، والله أعلم.

١٨ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَحْسَنَ الصَّلَاةَ حَيْثُ[٤] يَرَاهُ النَّاسُ وَأَسَاءَهَا حَيْثُ يَخْلُو فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. رواه عبد الرزاق في كتابه وأبو يعلى، كلاهما من رواية إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الأحوص عنه. ورواه من هذه الطرق ابن جرير الطبري مرفوعاً أيضاً وموقوفاً على ابن مسعود وهو أشبه.

١٩ — وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ. رواه البيهقي من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، وسيأتي أتم من هذا إن شاء الله تعالى

(١) في نسخة أربعمائة. (٢) حفاظ القرآن والعلماء الذين يظهرون للناس أنهم صالحون ومتقون، ولكن قلوبهم ملأى بالنفاق والشقاق والخداع ويرتكبون الغيبة والنميمة، ويسعون في الأرض فساداً. ويظلمون، ويجالسون الفساق، ولم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر ولم يعملوا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.
(٣) بئر الهم. (٤) وفي نسخة: حين.

٢٠ – وَعَنْ رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ فَقُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ، رواه ابن ماجه والبيهقي .

ربيح: بضم الراء وفتح الباء الموحدة بعدها ياء آخر الحروف وحاء مهملة، ويأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

٢١ – وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذٰلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ، رواه ابن خزيمة في صحيحه .

٢٢ – وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدَ مُعَاذًا عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَبْكِي، فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْيَسِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمَنْ عَادَى[1] أَوْلِيَاءَ اللهِ فَقَدْ بَارَزَ[2] اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ[3] الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى[4] يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ[5]، رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي في كتاب الزهد له وغيره، قال الحاكم صحيح ولا علة له .

١٣ وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ

---

(١) أي حارب الذين يطيعون الله ويتبعون أوامره، وآذاهم وعذبهم. ولم يحترمهم واتخذهم سخرية، وضيق عليهم في أعمالهم. (٢) فقد أعلن حرباً مع الله جل وعلا، وأظهر عصيانه وخرج من طاعته. لماذا؟ لأن الولي في رعاية الله، ومن اعتدى عليه استهان بحقوق الله قال تعالى: — إن أولياؤه إلا المتقون — ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون — إذن، لايعتدى عليهم إلا الأشرار الذين هجروا تعاليم الله، وامتلأت قلوبهم بغضاً للصالحين. (٣) الذين يعكفون على عبادة الله سرا ويتركون الرياء وحب التظاهر، وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: « رجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ». (٤) لكثرة إيمانهم بالله أضاء الله بصائرهم.

(٥) جهالات منسدة وأرض قاتمة أي يهديهم الله إلى الحق فيبعدون عن كل الفتن. قال تعالى: — واتقوا الله ويعلمكم الله — .

عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ. قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَارَسُولَ اللهِ ؟قَالَ الرِّيَاءُ[1] يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً . ورواه أحمد باسناد جيد، وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره.

[قال الحافظ] رحمه الله : ومحمود بن لبيد رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولم يصح له منه سماع فيما أرى . وقد خرّج أبو بكر بن خزيمة حديث محمود المتقدم في صحيحه مع أنه لا يخرّج فيه شيئاً من المراسيل، وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال له صحبة. قال وقال أبي لا يعرف له صحبة ، ورجح ابن عبد البر أن له صحبة ، وقد رواه الطبراني باسناد جيد عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج، وقيل إن حديث محمود هو الصواب دون ذكر رافع بن خديج فيه، والله أعلم

٢٤ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ ، وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ[2] لِلّٰهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ[3] . رواه الترمذي في التفسير من جامعه ، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

٢٥ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ . رواه ابن ماجه ، واللفظ له وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي . ورواة ابن ماجه ثقات .

٢٦ — وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ غَنْمٍ قَالَ : لَمَّا دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْجَابِيَةِ[4] أَلْفَيْنَا[5] عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَأَخَذَ يَمِينِي بِشِمَالِهِ ، وَشِمَالَ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِيَمِينِهِ

---

(١) أي طلب التفاخر في الدنيا والميل إلى الشهرة ، وإذاعة الصيت ،وتحدث الناس بأعماله وسير الركبان بسيرته : وكسب الثقة بجميل أفعاله ، وعلو مكارمه . وجذب قلوب الناس بمحبته . ولم يقصد في كل أعمال الخير وجه الله :

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا اكتسيت به فإنك عار

أما إذا عمل خيرا لله وتحدث الناس بلا قصد منه فلا يضر معذا، وثوابه على الله . (٢) في نسخة : عمله أحدا

(٣) أي الله سبحانه رحمته واسعة وفضله عميم وهو غني غني مطلقا ، فلا يحتاج لأي مساعد ولا يقبل عملا كان معه غيره كيف وهذا الشريك هو الذي خلقه وأمده بنعمه — فما هذه الغفلة يا من تتصدق لله ولفلان، أو تطلب قضاء حاجة من الله وفلان — إن فلاناً ضعيف وحادث ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» . (٤) مدينة بالشام — وجبي الخراج يجبي؛ والإجباء : بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه ، وفي الحديث : « من أجبي فقد أربى » . (٥) ألفينا : وجدنا .

فَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَنَا وَنَحْنُ نَنْتَجِي[1] وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا نَتَنَاجَى ، فَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ : لَئِنْ طَالَ بِكُمَا عُمرُ أَحَدِكُمَا، أَوْ كِلاَ كُمَا لَتُوشِكَانِّ[2] أَنْ تَرَيَا الرَّجُلَ مِنْ ثَبَجِ الْمُسْلِمِينَ (يعني من وسط) قُرَّاء القُرْآنِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَعَادَهُ وَأَبْدَاهُ فَأَحَلَّ حَلاَلَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ، وَنَزَلَ عِنْدَ مَنَازِلِهِ لاَ يَحُورُ[3] مِنْهُ إِلاَّ كَمَا يَحُورُ رَأْسُ الْحِمَارِ الْمَيِّتِ . قَالَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذٰلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَجَلَسَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ شَدَّادٌ : إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَمَا[4] سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ يَقُولُ : « مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ وَالشِّرْكِ » فقال عبادة ابن الصامت وأبو الدرداء : اللّٰهُمَّ[5] غفرًا ، أَوَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ حَدَّثَنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَأَمَّا الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا هِيَ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا مِنْ نِسَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا ـ فَمَا هٰذَا الشِّرْكُ الَّذِي تُخَوِّفُنَا بِهِ يَا شَدَّادُ ؟ فَقَالَ شَدَّادٌ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ رَأَيْتُمْ رَجُلاً يُصَلِّي لِرَجُلٍ، أَوْ يَصُومُ لِرَجُلٍ، أَوْ يَتَصَدَّقُ لَهُ لَقَدْ أَشْرَكَ قَالَ[6] عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ عِنْدَ ذٰلِكَ: أَفَلاَ يَعْمِدُ اللهُ إِلَى مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ مِنْ ذٰلِكَ الْعَمَلِ كُلِّهِ فَيَقْبَلُ مَا خَلَصَ لَهُ ، وَيَدَعُ مَا أُشْرِكَ بِهِ ؟ قَالَ شَدَّادٌ عِنْدَ ذٰلِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي ، مَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئًا فَإِنَّ جَسَدَهُ وَعَمَلَهُ وَقَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ

رواه أحمد، وشهر يأتي ذكره، ورواه البيهقي، ولفظه عن عبد الرحمن بن غنم : أَنَّهُ كَانَ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيهِمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: اللّٰهُمَّ غفرًا

---

(١) نتحادث ونتسامر في خلوة . في نسخة نتناجي . (٢) لتقربان بتشديد النون لأنه وقع في جواب القسم الموطأ له باللام ، والواقع في جواب القسم يؤكد . (٣) لا يحور : لا يرجع ، ومنه قول الشاعر :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

والمعنى والله أعلم: أن ذلك الرجل الذي حفظ القرآن وأعاده وأبداه في حياته، ولكن كان مرائياً ومنافقاً ويبتغي به عرض الدنيا فات ولم ينتفع بقراءته ولا ثواب له في آخرته وترجع له الحياة ورأسه خال من آيات الله كما ترجع رأس الحمار الميت : قال الله تعالى لمن يحمل الكتب ولا ينتفع بعملها ولا يعمل بها ـ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ـ فهذا كان يقرأ للرياء والشهرة وما كان يقصد وجه الله تعالى فحشره الله محروماً من نعيم أهل القرآن . يجوز في نسختين : أي يحور . (٤) لما : من غير تشديد لأنها مركبة من لام الابتداء الداخلة على الخبر ومن ما الموصولة التي هي خبر إن . (٥) نطلب منك يا ألله ستر ذنوبنا وتوفيقنا لرضاك فقط . (٦) في نسخة فقال .

أَوَ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ، حَيْثُ وَدَّعَنَا : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِى جَزِيرَتِكُمْ هٰذِهِ ، وَلٰكِنْ يُطَاعُ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَقَدْ رَضِىَ بِذٰلِكَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ أَنْشُدُكَ اللهَ يَا مُعَاذُ أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَامَ[(١)] رِيَاءً فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ رِيَاءً فَقَدْ أَشْرَكَ . فذكر الحديث وإسناده ليس بالقائم ، ورواه أحمد أيضاً والحاكم من رواية عبد الواحد بن زيد عن عبادة ابن نسى قال : دَخَلْتُ عَلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ فِى مُصَلَّاهُ وَهُوَ يَبْكِى ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ مَا الَّذِى أَبْكَاكَ ؟ قَالَ حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . قُلْتُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِذْ رَأَيْتُ بِوَجْهِهِ أَمْرًا سَاءَنِى ، فَقُلْتُ : بِأَبِى وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللهِ مَا الَّذِى أَرَى بِوَجْهِكَ[(٢)] . قَالَ أَمْرًا أَتَخَوَّفُهُ عَلَى أُمَّتِى : الشِّرْكُ، وَشَهْوَةٌ خَفِيَّةٌ . قُلْتُ وَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : يَا شَدَّادُ إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَمْساً ، وَلَا وَثَناً ، وَلَا حَجَرًا ، وَلٰكِنْ يُرَاءُونَ النَّاسَ[(٣)] بِأَعْمَالِهِمْ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ الرِّيَاءُ شِرْكٌ هُوَ[(٤)] ؟ قَالَ نَعَمْ . قُلْتُ : فَمَا الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ ؟ قَالَ يُصْبِحُ أَحَدُهُمْ صَائِماً[(٥)] فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَيُفْطِرُ . قال الحاكم : واللفظ له صحيح الإسناد .

[قال الحافظ عبد العظيم] كيف وعبد الواحد بن زيد الزاهد متروك ، ورواه ابن ماجه مختصراً من رواية روّاد بن الجرّاح عن عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان عن عبادة ابن نسى عن شداد قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِى الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ، أَمَا إِنِّى لَسْتُ أَقُولُ يَعْبُدُونَ شَمْساً ، وَلَا قَمَرًا ، وَلَا وَثَناً ، وَلٰكِنْ أَعْمَالاً لِغَيْرِ اللهِ وَشَهْوَةً خَفِيَّةً . وعامر بن عبد الله لا يعرف ، وروّاد يأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى ، وروى البيهقى عن يعلى بن شداد عن أبيه قال : كُنَّا نَعُدُّ الرِّيَاءَ فِى زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ[(٦)] .

(١) أى يقصد بصومه مدح الناس له أنه تقى ورع صالح . (٢) ليست فى نسختين .
(٣) يحب المرء أن يتباهى الناس بعمله الخيرى ولا ينوى ثواب الله . (٤) فى نسخة : بلا هو .
(٥) ينوى أن يصوم ليلا ، فإذا أقبل النهار وعرضت له ملذة ارتكبها ، وربما يصوم يوم رمضان،فيغتاب أو يسرق،أويؤذى أحداً،ولا يمنعه صومه من ارتكاب المعاصى ـ وماصومه هذا إلا امتناع عن الطعام والشراب فقط . قال صلى الله عليه وسلم : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع » قال تعالى : ـ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ـ . (٦) لأن فيه تعظيما لغير الله ورعاية حق غير الله ، وقد عد الله المرائين منافقين . من باب التشبيه والتغليظ : ـ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ـ والمعنى فى الآية لمن ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين .

٢٧ — وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُخَيْمِرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً فِيهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ رِيَاءٍ . رواه ابن جرير الطبرى مرسلا .

٢٨ - وَرُوِيَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يُؤْمَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاسٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا دَنَوْا[١] مِنْهَا، وَاسْتَنْشَقُوا رِيحَهَا ، وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا نُودُوا أَنِ اصْرِفُوهُمْ[٢] عَنْهَا لَا نَصِيبَ[٣] لَهُمْ فِيهَا ، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ[٤] مَا رَجَعَ الْأَوَّلُونَ بِمِثْلِهَا فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا لَوْ أَدْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِيَنَا مَا أَرَيْتَنَا[٥] مِنْ ثَوَابِكَ ، وَمَا أَعْدَدْتَ فِيهَا لِأَوْلِيَائِكَ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا، قَالَ: ذَاكَ أَرَدْتُ بِكُمْ ، كُنْتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعَظَائِمِ[٦]، وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ[٧] ، تُرَاءُونَ النَّاسَ بِخِلَافِ مَا تُعْطُونِي مِنْ قُلُوبِكُمْ هِبْتُمُ[٨] النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي ، وَأَجْلَلْتُمُ[٩] النَّاسَ وَلَمْ تُجِلُّونِي ، وَتَرَكْتُمْ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَتْرُكُونِي — الْيَوْمَ أُذِيقُكُمْ أَلِيمَ الْعَذَابِ مَعَ مَا حُرِمْتُمْ مِنَ الثَّوَابِ . رواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى.

٢٩ - وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّ الْاتِّقَاءَ[١٠] عَلَى الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفاً فَلَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنَهُ فَيُكْتَبُ عَلَانِيَةً وَيُمْحَى تَضْعِيفُ أَجْرِهِ كُلِّهِ . ثُمَّ لَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذْكَرَ بِهِ ، وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلَانِيَةِ ، وَيُكْتَبُ رِيَاءً ، فَاتَّقَى اللهَ امْرُؤٌ صَانَ دِينَهُ ، وَإِنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ . رواه البيهقى ، وقال : هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين .

---

(١) قربوا منها وشموا نسيمها . (٢) أبعدوهم عن الجنة . (٣) حظ . (٤) ندامة وألم .
(٥) فى نسخة : رأينا . (٦) عملتم الكبائر سرا إذ لم يركم أحد ، وأعلنتم عصيانى وأنا أراكم .
(٧) مظهرين خوف الله جل وعلا . وتأخذكم الرهبة عند ذكر الله أمام الناس لتغشوا أو تخدعوا وتشتروا بالإخلاص لله التظاهر قلوب العامة لتستولوا على أموالهم، وتأكلوا طعامهم ، وتأخذوا صدقاتهم — فويل لمن تظاهر بطاعة الله وقلبه مملوء فسقاً وعصياناً وحسداً ومقتاً ، ولا يفعل أوامر الله جل وعلا. (٨) خفتم.
(٩) عظمتم الناس وغفلتم عن واجب من غمركم بإحسانه ولم تخشوا الله : والله أحق أن تخشوه .
(١٠) الاتقاء: التقوى والإخلاص والحفظ والكتمان لله وعدم إذاعة فضله : أى الخوف من الإقدام على العمل هو مقبول عند الله ، وشدة الحذر والوجل من فعله خشية أن يحبط ثوابه — أكثر ثوابا عند الله من العمل نفسه يعنى أنك تعزم فتعمل وتملأ قلبك خشية منه جل وعلا، ورغبة فى ثوابه ورهبة من عقابه حتى لا يجد الشيطان عليه سبيلا ، وإلا فينقل عمله من السر إلى الجهر، ومازال يتأخر به حتى يحرم من ثوابه ويعد رياء .

[قال الحافظ عبد العظيم] أظنه موقوفاً ، والله أعلم .

٣٠ - وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ صَارَتْ أُمَّتِي ثَلاثَ فِرَقٍ : فِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللهَ خَالِصاً ، وَفِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللهَ رِيَاءً ، وَفِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللهَ لِيَسْتَأْكِلُوا بِهِ[1] النَّاسَ ، فَإِذَا جَمَعَهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ لِلَّذِي يَسْتَأْكِلُ النَّاسَ : بِعِزَّتِي وَجَلالِي مَا أَرَدْتَ بِعِبَادَتِي ؟ فَيَقُولُ وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ : أَسْتَأْكِلُ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : لَمْ يَنْفَعْكَ مَا جَمَعْتَ ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ رِيَاءً : بِعِزَّتِي وَجَلالِي مَا أَرَدْتَ بِعِبَادَتِي ؟ قَالَ بِعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ رِيَاءَ النَّاسِ ، قَالَ : لَمْ يَصْعَدْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ خَالِصاً : بِعِزَّتِي وَجَلالِي مَا أَرَدْتَ بِعِبَادَتِي ؟ قَالَ بِعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مَنْ أَرَدْتُ بِهِ أَرَدْتُ بِهِ ذِكْرَكَ وَوَجْهَكَ ؟ قَالَ صَدَقَ عَبْدِي انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ[2] . رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبيد بن إسحق العطار ، وبقية رواته ثقات ؛ والبيهقي عن مولى أنس ولم يسمه قال : قَالَ أَنَسٌ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فذكره باختصار .

٣١ - وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ[3] فَتُنْصَبُ[4] بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَلْقُوا هٰذِهِ وَاقْبَلُوا هٰذِهِ ، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ مَا رَأَيْنَا إِلاَّ خَيْراً ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ هٰذَا كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي[5] وَإِنِّي لاَ أَقْبَلُ إِلاَّ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهِي . رواه البزار والطبراني بإسنادين ، رواة أحدهما رواة الصحيح ، والبيهقي

٣٢ - وَرُوِيَ عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : حَدِّثْنِي حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : فَبَكَى مُعَاذٌ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لاَ يَسْكُتُ ، ثُمَّ سَكَتَ ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِي : يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَهُ لَبَّيْكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي . قَالَ : إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثاً إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ

(١) من طريق زى الصلاح والدين ليجمع الأموال من الناس . (٢) فقه الحديث : أن يحذر العامل المطيع العابد أن يطلب من عمله حطام الدنيا أو الصيت الحسن ، بل يجتهد أن يخلص لربه فقط ويرعى أوامره ويجتنب نواهيه حبا فيه جل وعلا ؛ وفى دين رسوله صلى الله عليه وسلم ليحظى بالجنة .
(٣) ختم الشيء فهو مختوم ومختم ، أى صحف مقفلة تشهد لصاحبها بالعمل . (٤) تقام .
(٥) مرضاتى أى يريد به غير الله .

حُجَّتُكَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَا مُعَاذُ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاكٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّبْعَةِ مَلَكاً بَوَّاباً عَلَيْهَا قَدْ جَلَّلَهَا عِظَماً فَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ حِينَ أَصْبَحَ إِلَى أَنْ أَمْسَى ، لَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ حَتَّى إِذَا صَعِدَتْ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ذَكَرَتْهُ فَكَثَّرَتْهُ ، فَيَقُولُ المَلَكُ لِلْحَفَظَةِ : اضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، أَنَا صَاحِبُ الغِيبَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَ مَنِ اغْتَابَ النَّاسَ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي قَالَ ثُمَّ تَأْتِي الحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ العَبْدِ فَتَمُرُّ فَتُزَكِّيهِ وَتُكَثِّرُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِالسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هٰذَا عَرَضَ الدُّنْيَا ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي ، إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ قَالَ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ يَبْتَهِجُ نُوراً مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ قَدْ أَعْجَبَ الحَفَظَةَ فَتَجَاوَزُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ أَنَا مَلَكُ الكِبْرِ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ . قَالَ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ يَزْهَرُ كَمَا يَزْهَرُ الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ ، لَهُ دَوِيٌّ مِنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، اضْرِبُوا ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ، أَنَا صَاحِبُ العُجْبِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَدْخَلَ العُجْبَ فِي عَمَلِهِ . قَالَ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ كَأَنَّهُ العَرُوسُ المَزْفُوفَةُ إِلَى بَعْلِهَا ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَاحْمِلُوهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، أَنَا مَلَكُ الحَسَدِ إِنَّهُ كَانَ يَحْسُدُ النَّاسَ مَنْ يَتَعَلَّمُ ، وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلاً مِنَ العِبَادَةِ يَحْسُدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ ، أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي قَالَ وَتَصْعَدُ الحَفَظَةُ بِعَمَلِ العَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَحَجٍّ ، وَعُمْرَةٍ ، وَصِيَامٍ ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَيَقُولُ لَهُمُ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهَا : قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهٰذَا العَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَاناً قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ ضُرٌّ بَلْ كَانَ يَشْمَتُ(١) بِهِ ، أَنَا مَلَكُ الرَّحْمَةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدَعَ عَمَلَهُ

(١) الشماتة : الفرح ببلية العدو ، وبابه سلم .

يجاوزني إلى غيري، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة، واجتهاد، وورع له دوي كدوي الرعد، وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون[1] به إلى السماء السابعة، فيقول لهم الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واضربوا جوارحه، اقفلوا على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله، إنه أراد به رفعة عند الفقهاء، وذكرا عند العلماء، وصوتا في المدائن، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء، ولا يقبل الله عمل المرائي، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وعمرة، وخلق حسن، وصمت، وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله، قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه، إنه لم يردني بهذا العمل، وأراد به غيري فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلها: عليه لعنتك ولعنتنا، وتقول السموات كلها: عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن، قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ، قال اقتد بي[2] وإن كان في عملك تقصير، يا معاذ: حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن، واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم، ولا تزك نفسك بذمهم، ولا ترفع نفسك عليهم، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة، ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك، ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والآخرة؛ ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى: (والناشطات[3] نشطا) أتدري ما هن يا معاذ. قلت ما هن بأبي أنت وأمي؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم. قلت بأبي أنت وأمي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال يا معاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه. قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث. رواه ابن المبارك في كتاب

---

(١) في نسخة: فيتجاوزون. (٢) في نسخة: اقتد أي اعمل صالحا. (٣) الناشطات: يعني النجوم تنشط من برج إلى برج، وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلاب جهنم تنهش لحمه وتمزق عظمه.

الزهد عن رجل لم يسمه عن معاذ ، ورواه ابن حبان فى غير الصحيح والحاكم وغيرهما ، وروى عن عليّ وغيره ، وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه فى جميع طرقه وبجميع ألفاظه .

فصـــل

٣٣ – وَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ : خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هٰذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ ابْنُ حَزْنٍ وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ . فَقَالَا : وَاللهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونًا لَنَا أَوْ غَيْرَ مَأْذُونٍ . فَقَالَ بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هٰذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ . فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ . رواه أحمد والطبرانى؛ورواته إلى أبى عليّ محتج بهم فى الصحيح . أبو عليّ وثقه ابن حبان ؛ ولم أر أحداً جرّحه ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه يقول كل يوم ثلاث مرات[1]

---

(١) خلاصة فقه باب الترهيب من الرّياء ، وطلب العمل لوجه الله

ا ـ أن المؤمن يجتهد أن تكون أعماله كلها لله ، ولا يشرك أحداً فى نيته خشية أن يرد الله عليه أعماله ويحرمه من الثواب كما عذب من قاتل ليتحدث الناس بشجاعته فاستشهد،ولم يجد له ثواباً فى آخرته وكذا العالم القارئ والغنى الجواد فأخذ كل واحد نصيبه فى حياته من المدح والثناء .

ب ـ فيه بشارة لعلو الأمة المحمدية ، وسعة ملكها ، وقوة أهلها ، وبزوغ كواكب نجاحها ، وشروق شموس سعودها ولكن ينصحهم السيد الرسول أن يعملوا لله بالإخلاص ليبارك لهم فى دنياهم ويثيبهم فى أخراهم .

جـ ـ وأخبر صلى الله عليه وسلم : أن الذى ينافق فى عمله ويرائى يرد عليه ما عمل ويفضحه يوم القيامة على رءوس الأشهاد ، ويظهر خطاياه ، ويبعده عن رحمته ، وقد وصف المرائين بالخداع والمكر واللؤم ، ولين الملمس ، وحلاوة اللسان ، وخبث الطوية ، وسوء النية ، وأنذرهم بالعذاب الأليم ، ونار الجحيم ، وبين علامة الصالحين : الإخلاص فى السرّ والعلانية ، وملازمة التقوى ، وخشية الله ، وإتقان العمل لله ، والأمانة ، وصدق الحديث ، والتوكل على الله ، والعمل لله خفية ، وبغض الجهر ، وعدم التظاهر ، يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر (قلوبهم مصابيح الهدى) .

د ـ بين صلى الله عليه وسلم معجزة فى القرن العشرين لقراء القرآن والعلماء غير العاملين أنهم يقرءون ، ويعلمون ولكن عقلهم غائب ومخهم خاو إذ لا يتعظون ولا يهتدون . وضرب صلى الله عليه وسلم لهم أسوأ مثل برأس الحمار الميت فكما لا ينتفع بالحمار الميت صاحبه كذلك القارئ أو العالم غير العامل لا ينتفع بما يعيه ويعيده ، فاتقوا الله أيها القراء والعلماء واعملوا ، بأوامر الله ونواهيه. وأما حكم الكتاب والسنة.

وهنا حصلت مناقشة : أينال صاحب الراديو ذنبا من قراءة القرآن ؟ وكذا الحاكى ، وهل قارئ القرآن فى (الراديو) يأثم ؟ .

الترغيب فى اتباع الكتاب والسنة

١ — عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ

قلت : إن صاحب (الراديو) الذى فتح باب الابرة لقراءة القرآن فى المقاهى والنوادى ومحلات الفجور والفسوق آثم وآثم وآثم . وكذا القارئ الذى أباح أن يقرأ فتلتقط الإبرة ألفاظه بتموجات الهواء فيعاد لفظه ، ويحكى صوته فى أى مكان فيه آلة الواحى (الراديو) فلا يكون هنالك استماع ، ولا إنصات ، ولا قصد ، وأما إذا كان الواحى فى مكان نظيف خال من المحارم والمكروهات ، ووجد قوماً يسمعون ترتيلا كاملا وقراءة تامة فحكى ألفاظ القارئ فأرى والله أعلم أنه لا إثم ، وأظن أن أولئك هم الذين يعنيهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث : « فرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس » نسأل الله السلامة والعافية ، قال تعالى : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) والقرآن إنما جعل للعظة وللتأمل والتنبه والرجاء ، فعلينا أيها المسلمون أن نطيع الله ونعمل صالحاً لله ؛ فالموظف يتقن عمله لله لا خوفاً من رئيسه ، والصانع يتقن عمله لله ليؤجر فى دنياه ، وكذا التاجر يصدق ويقدم أجود البضائع لربح ويثاب ، وهكذا الناس يعملون بالقرآن والسنة ، وهما يضيئان سبل الهدى فمن سار على منهجهما وصل وسلم قلبه من الرياء ورزقه الله السعادة والسيادة ، وأحاط عمله بسياج الوقاية من الشيطان ، وضاعف ثوابه ، وأحاطه بالتوفيق ، والله أعلم . والواحى ما هو إلا آلة مثل الحاكى والذنب على الإنسان .

وأقدم لك أيها القارئ دليل قبول الأعمال من الكتاب قال تعالى : :

١ — (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير) آية ٢٦٥ من سورة البقرة .

أخبر الله تعالى عن حال المؤمنين الذين يجودون لله وطلب رضوان الله وتثبيتا من أنفسهم : أى تحقيقاً للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له . والمنافق قسمان : (١) عملى يقصد بصدقاته وصلاته وصومه غير وجه الله لكنه مسلم . (٢) ودينى يظهر الإسلام ويخفى الكفر . قال تعالى عنه (ينفق ماله رئاء الناس) ومثله كحجر أملس عليه تراب فأصابه مطر شديد فتركه صلباً أملس (فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً) والمؤمن كمثل جنة بمكان مرتفع أصابها وابل فضاعف الله ثمراتها ، وأكثر خيراتها وبارك فى أهلها ، والمعنى تثمر وتزكو ، كثر المطر أم قل فكذلك نفقات المؤمنين تزكو عند الله كثرت أم قلت .

٢ — والمثل الثانى للعمل المقبول ما طلبه سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام من ربه (رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، واجعلنى من ورثة جنة النعيم ، واغفر لأبى إنه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ٨٢ — ٨٩ من سورة الشعراء ، أى قلب المؤمن السليم من الشرك والنفاق .

يقول الشيخ الصاوى فى تفسيره . فحيث حسن باطنه بالإخلاص فقليل عمله كثيره فى رضا الله عنه . قال العارف بالله : وبعد الفنا فى الله كن كيف ما تشا ؟ فعلمك لا جهل ، وفعلك لا وزر اهـ

٣ — لنسمح أيها القارئ أن تمعن فى معنى عمل أسرة ابتغت وجه الله فى فعلها بإخلاص فقبل الله صنيعها ونجاها من الهول الأكبر ، وأغدق عليها نعيمها — هى أسرة الإمام على بن أبى طالب — حكى المفسرون عنه أنه أجر نفسه ليلة ليسقى نخلا بشيء من شعير حتى أصبح وقبض الشعير ، وطحنوا ثلثه ، جعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة ، فلما تم نضجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ثم صنع الثلث الثانى ، فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه ، ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك . قال الله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً . إنا نخاف من ربنا يوما عبوساً قمطريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) ٨ — ١٢ من سورة الإنسان .

عليْهِ وَسلمَ مَوْعِظَةً ، وَجِلَتْ(١) مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ(٢) مِنْهَا الْعُيُونُ ، فَقُلْنَا يَارَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا . قالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى(٣) اللهِ وَالسَّمْعِ(٤) وَالطَّاعَةِ(٥) وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ(٦) . وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ(٧) عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ(٨)

---

٤ ـ أنبئك عن أمر الله للمصدقين والمحسنين وشرطه تعالى للجزاء قال تعالى :

(فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون. وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) ٣٨ ، ٣٩ من سورة الروم . يقول المفسرون هذه الآية في صدقة التطوع ، لا في الزكاة الواجبة لأن السورة مكية ، والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة اهـ .

فتجد الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم ولأفراد أمته من بعده من كل مكلف أو مكلفة ، ثم قيد جل شأنه ثواب الإنفاق، والإعطاء لمن يريد وجه الله ، وأشار إلى صاحب النية هذه : أنه مفلح ، وأنه فائز،وأنه ناجح وأنه سباق،ثم بين أن ما أعطيتم من ربا أي هبة أو هدية ليطلب أكثر منه فسمى باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ليزيد في تحصيل أموال الآخذين للهبة والهدية فلا يزكو عند الله ولا ثواب فيه للمعطين ، وأما الذين ينفقون ابتغاء وجه الله فهم الذين تضاعف لهم الحسنات ، ومعنى (زكاة) هنا أي صدقة تطوع ، وعبر عنها جل شأنه بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق .

(١) خافت . (٢) سال ماؤها .

(٣) تقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين مايخشاه وقاية تقيه منه ،وهي امتثال أوامره تعالى ، واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به حسب الطاقة ، وقد ذكر ابن علان فمن فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى في كتابه بالمدح والثناء (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) وبالحفظ من الأعداء (وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً) وبالتأييد والنصرة (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

. وبالنجاة من الشدائد ، والرزق من الحلال .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) قال أبو ذر : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، ثم قال : « ياأبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم » ، وبإصلاح العمل وغفران الذنب (اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم)

وبكفلين من الرحمة والنور (اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به) وبالقبول (إنما يتقبل الله من المتقين) وبالإكرام والإعزاز (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وبالنجاة من النار (ثم ننجى الذين اتقوا) وبالخلود في الجنة (أعدت للمتقين) وبمحبة الله تعالى وانتفاء الخوف منه وحصول البشارة له (إن الله يحب المتقين ــ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) ص ٣٠٨ الجزء الثاني .

(٤) أن يسمع كلام الأمير وينفذه ويخضع له ، ولا يفتح باب الجدل عليه ولا باب الفتن .

(٥) وطاعة الأمير المصلح العادل واتباع منهجه . (٦) وإن كان الذى يحكم ويدبر دفة السياسة عبد ــ مالله الذى أمره ، وأسند إليه رياسة العمل ، فعلى المؤمنين الخضوع لأوامره حتى يدوم الاتحاد ، ويحصل الائتلاف والتعاون ، ويزول الشقاق، ويبعد الخلاف على شرط أن تكون الطاعة ترضى الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . (٧) الذين هداهم الله فدونت أحكامهم ؛ وضبطت أقوالهم .

(٨) كل شيء ظهر بدون نص ، أو قياس ، أو إجماع .

الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ . رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(قوله) : عضوا عليها بالنواجذ: أى اجتهدوا على السنة ، والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاضّ على الشىء بنواجذه خوفاً من ذهابه وتفلّته ، والنواجذ : بالنون والجيم والذال المعجمة : هى الأنياب ، وقيل الأضراس .

٢ – وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ ؟ قَالُوا بَلَى . قَالَ: إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ[1] اللهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا ، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

٣ – وَرُوِيَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ[2] النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالْجُحْفَةِ فَقَالَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟ قُلْنَا بَلَى . قَالَ : فَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلِكُوا وَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا رواه البزار والطبرانى فى الكبير والصغير .

٤ – وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا[3] وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ[4] وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ[5] دَخَلَ الْجَنَّةَ . قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ

(١) أى هو بين الله وعباده، معناه: الله تعالى الذى أنزل القرآن الآمر يحيط بحركات عبده المأمور، ويشمله برحمته ؛ ويتطلب العمل بكتابه ليثيب قارئه ، فمن قرأ القرآن بإخلاص تعاله السكينة ويرعاه الله ، فعلى المسلمين أن يتدبروا معناه، ويفقهوا أوامره، ويستضيئوا بنوره ليبعدهم الزلل والضلال، وفيه الحكم والمرشد إلى الصواب، والداعى إلى الحق ، ومكارم الأخلاق . قال أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز : فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفى، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتكلفين ، وهو المبلغ الذى لا يمل، والجديد الذى لا يخلق ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحى لظلم الضلال، ولسان الصدق النافى للكذب ومفتاح الخير ، ودليل الجنة . إن أوجز كان كافياً ، وإن أكثر كان مذكراً، وإن أمر فناصحاً، وإن حكم فعادلا، وإن أخبر فصادقاً . سراج تستضىء به القلوب ، وبحر العلوم وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ص ١٦٦ أزهار الأدب . (٢) فى نسخة مطبوعة : عند . (٣) حلالا .

(٤) اجتهد أن يتبع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله ، وقد تجلى ذلك فى كتب الفقه ، وما على الإنسان إلا أن يتعلم ويتفقه ويقرأ ، أو يسمع من العلماء العاملين . وفى نسخة : بسنة فى سنة .

(٥) أذاه؛ وفى الحديث : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » قال قتادة : أى ظلمه وغشمه .

هٰذَا فِي أُمَّتِكَ الْيَوْمَ كَثِيرٌ. قَالَ: وَسَيَكُونُ فِي قَوْمٍ بَعْدِي[١]. رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وغيره، والحاكم واللفظ له، وقال صحيح الإسناد.

٥ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ. رواه البيهقى من رواية الحسن بن قتيبة، ورواه الطبرانى من حديث أبى هريرة باسناد لا بأس به إلا أنه قال: فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ.

٦ — وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ[٢]، وَلٰكِنْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذٰلِكَ مِمَّا تَحَاقَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوا، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ — الحديث. رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد. احتج البخارى بعكرمة، واحتج مسلم بأبى أويس، وله أصل فى الصحيح.

٧ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: الْاقْتِصَادُ فِى السُّنَّةِ أَحْسَنُ مِنَ الْاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ. رواه الحاكم موقوفاً وقال إسناده صحيح على شرطهما.

٨ — وَعَنْ أَبِى أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مَرْعُوبٌ فَقَالَ: أَطِيعُونِى مَا كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ[٣]، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ. رواه الطبرانى فى الكبير، ورواته ثقات.

٩ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، مَنِ اتَّبَعَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَهُ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُ (أو كلمة نحوها) زُجَّ[٤] فِي قَفَاهُ إِلَى النَّارِ. رواه البزار هكذا موقوفا على ابن مسعود، ورواه مرفوعا من حديث جابر، وإسناد المرفوع جيد.

١٠ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:

---

(١) الدين جاء وابتدع عصره، ويعملون بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. (٢) اطمأن الشيطان ألا يعبد المسلمون صنما أو حجراً، أو إنساناً، فأوقد الأهواء، وأضعف الإيمان ليحل المتفيهقون البدع والمنكرات والقبائح ويعدون ارتكابها حقيراً، ولكن الآن فى الأمة المحمدية من يعمل لله ويشرك معه إنساناً آخر، ويحلل الفتوى لأجل خاطره، أو إكراما لفلان، أو يلجأ إلى طبيب ويعتقد أنه هو الذى أغاثه وشفاه وهكذا، ولكن يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يوقن المسلم بربه، وأنه فاعل كل شىء، ويحترس من المجاز فى التعبيرات، ويقول كما قال سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: (الذى خلقنى فهو يهدين، والذى هو يطعمنى ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذى يميتنى ثم يحيين. . . . .).

(٣) مدة حياتى ووجودى بينكم أشرح لكم أوامر الله، وأمامكم كتاب الله تمسكوا به. (٤) رمى بمؤخر جسمه.

إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ إِلاَّ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ فَرَائِضَ ، وَسَنَّ سُنَنًا ، وَحَدَّ حُدُوداً ، وأَحَلَّ حَلاَلاً ، وَحَرَّمَ حَرَامًا ، وَشَرَعَ الدِّينَ فَجَعَلَهُ سَهلاً سَمْحًا وَاسِعًا وَلَمْ يَجْعَلْهُ ضَيِّقًا ؛ أَلاَ إِنَّهُ لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَعَهْدَ لَهُ ، وَمَنْ نَكَثَ[1] ذِمَّةَ اللهِ طَلَبَهُ ، وَمَنْ نَكَثَ ذِمَّتِي خَاصَمْتُهُ[2] ، وَمَنْ خَاصَمْتُهُ فَلَجْتُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ نَكَثَ ذِمَّتِي لَمْ يَنَلْ شَفَاعَتِي وَلَمْ يَرِدْ عَلَى الْحَوْضِ . الحديث ، رواه الطبرانى فى الكبير .

[قوله] : فلجت عليه بالجيم : أى ظهرت عليه بالحجة والبرهان وظفرت به[3] .

١١ — وَعَنْ عَابِسِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُقَبِّلُ الْحَجَرَ (يعنى الأسود) وَيَقُولُ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ[4] . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

١٢ — وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُشَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِى رَهْطٍ مِنْ مُزَيْنَةَ[5] فَبَايَعْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُطْلَقُ الأَزْرَارِ[6] فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِى جَنْبِ قَمِيصِهِ فَمَسِسْتُ الخَاتَمَ . قَالَ عُرْوَةُ فَمَا رَأَيْتُ مُعَاوِيَةَ

---

(١) نقض عهد الله بأن عصى أوامره تعالى ، وقد أقرت الذرارى بالوحدانية ، واعترفت بالربوبية ، فالكافر والفاسق : خان الأمانة ولم يرع حق خالقه جل وعلا ولم يطعه . (٢) أكن ضده يوم القيامة ولم أشفع له وأتخذه عدوى . وفيه الأمانة من خوف الله، ومراعاة العهد من آداب الدين،والطاعة تجلب محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . (٣) وفى المثل : من يأت الحكم وحده يفلج .

(٤) فى كتابى (إرشاد الحاج ص ٢٣) الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة . نزل مع آدم ، أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بنى آدم (كما فى الحديث) هذا الحجر الذى كان يقف عليه سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عند بناء البيت ،فيرتفع به حتى يضع الحجر والطين، ويهبط به حتى يتناول ذلك من إسماعيل عليه السلام وفيه أثر قدميه .

ومن واجبات الطواف البداءة به محاذياً له أو لجزئه بجميع بدنه من جهة شقه الأيسر ، ويسن تقبيله ويخفف القبلة أو يشير إليه إشارة تعظيم عند المرور عليه ، فأنت ترى سيدنا عمر رضي الله عنه اقتدى به صلى الله عليه وسلم فى تقبيله . (٥) قبيلة .

(٦) ما أحلى هذه الحكمة، يطلق النبى صلى الله عليه وسلم قميصه ليتمتع صدره بالهواء،وليبعد عنه ضيق القميص وخنق العنق بالأزرار ، وقد اتخذها أهل المدينة اليوم زياً حسناً فى التمتع بطلق الهواء ، وطلاقة الملبس .

فقه الباب : أن يتعاهد المسلمون على تقوى الله وطاعته ، والسمع لكلام الوالى فى أمور لاتغضب الله ولا تضر بآداب الدين وطاعة أوامره ، وعدم خلق شقاق أو بث فتنة،أو إيغار نفوس المسلمين وشق عصا الطاعة مهما كانت صنعة الحاكم الذى يحكم بين الناس ، أو كانت منزلته فى نفوس مواطنيه لينتظم أمر المسلمين ، ويسود الاتحاد . ويعم الأمن ، ويعلو الحق . وفيه الاستضاءة بآداب القرآن ، وسنة خير المرسلين .

وَلاَ ابْنَهُ قَطُّ فِى شِتَاءٍ ، وَلاَ صَيْفٍ إِلاَّ مُطْلَقِي الْأَزْرَارِ . رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له ، وقال ابن ماجه : إِلاَّ مُطْلَقَةً أَزْرَارُهُمَا .

١٣ — وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يُصَلِّى مَحْلُولاً أَزْرَارُهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ ، فَقَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه عن الوليد بن مسلم عن زيد ، ورواه البيهقى وغيره عن زهير بن محمد عن زيد .

١٤ — وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللهُ فِي سَفَرٍ فَمَرَّ بِمَكَانٍ فَحَادَ عَنْهُ فَسُئِلَ لِمَ فَعَلْتَ ذٰلِكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَعَلَ هٰذَا فَفَعَلْتُ. رواه أحمد والبزار بإسناد جيد .

[قوله] : حَادَ بالحاء و الدال المهملتين : أى تنحى عنه وأخذ يميناً أو شمالا .

١٥ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي شَجَرَةً بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَيَقِيلُ تَحْتَهَا ، وَيُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ رواه البزار بإسناد لا بأس به .

١٦ — وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللهُ بِعَرَفَاتٍ ، فَلَمَّا كَانَ حِينَ رَاحَ رُحْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَى الْإِمَامُ فَصَلَّى مَعَهُ الْأُولَي وَالْعَصْرَ ، ثُمَّ وَقَفَ وَأَنَا وَأَصْحَابٌ لِي

وقد أوضحها ، وعمل به من بعده الصحابة والتابعون ، والعلماء العاملون إلى وقتنا هذا،وفيه إرشاد من الله جل شأنه أن القرآن بيده ومطلع على قارئه ومثيب عليه،وفيه نصيحة من يريد الجنة أن يأكل حلالا ويعمل بالسنة ولا يظلم الناس ، وفيه إخبار تهاون المسلمين بأعمالهم ويعدونها حقيرة فيشركون بالله ولا يشعرون ، ويحبط ثواب أعمالهم ولا يعلمون ، وهذا من جراء عدم الإخلاص لله سبحانه وتعالى فى العمل وترك المراء والنفاق ، ومداهنة الأغنياء أصحاب الجاه ، وفيه الوعيد والتهديد بجهنم لمن يترك السنة ويعمل بالبدعة ، وفيه خيانة المبتدع وفسقه ولؤمه ودناءته ، وانتفت عنه المروءة،و زال منه الوفاء. فالذى لايرعى عهد الله لايرعى عهد الناس — وحسابه عسير على نقض عهده .

وفيه طلب اقتفاء أثره صلى الله عليه وسلم فى كل شىء كما فعل سيدنا عمر وسيدنا معاوية بن قرة وإطلاق أزرار القميص،وابن عمر كذلك،وهل تجد إيماناً أكثر من إيمان ابن عمر الذى مر على مكان كذا فبعد عنه وغير اتجاهه كما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل.هذا إلى أنه رضى الله عنه ذهب إلى شجرة فاستظل تحتها واستنشق نسيمها، وأخذ راحته فيها تيمناً بما كان يفعله صلى الله عليه وسلم عندها — بل إنه رضى الله عنه خطا خطوات إلى مكان معين مشى فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى حاجته فيه كما فعل صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : اليوم تبين الرشد من الغى، واتضحت أحكام الدين، فما علينا إلا تتبع الكتاب والسنة قولا وعملا لنسلك سبيل الجنة فيرضى الله عنا ، ويبارك لنا فى أموالنا وأولادنا إنه بعباده رءوف رحيم،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

حَتَّى أَفَاضَ الإِمَامُ فَأَفَضْنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَضِيقِ دُونَ الْمَأْزِمَيْنِ[١]، فَأَنَاخَ وَأَنَخْنَا، وَنَحْنُ نَحْسِبُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ، فَقَالَ غُلَامُهُ الَّذِي يُمْسِكُ رَاحِلَتَهُ إِنَّهُ لَيْسَ يُرِيدُ الصَّلَاةَ وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ[٢] صلى الله عليه وسلم لَمَّا انْتَهَى إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ قَضَى حَاجَتَهُ فَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ. رواه أحمد، ورواته محتج بهم في الصحيح

[قال الحافظ] رحمه الله: والآثار عن الصحابة رضى الله عنهم فى اتباعهم له واقتفائهم سنته كثيرة جدا، والله الموفق لا ربّ غيره

الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء

١ — عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ أَحْدَثَ[٣] فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ[٤]. رواه البخارى ومسلم وأبو داود ولفظه: مَنْ صَنَعَ أَمْرًا عَلَى غَيْرِ أَمْرِنَا فَهُوَ رَدٌّ. وابن ماجه.

وفى رواية لمسلم: مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ.

٢ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ[٥] كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ[٦]، يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ[٧] كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرِنُ[٨] بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. وَيَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ

---

(١) مكان فى نسخة: المأزم. (٢) فى نسخة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) ابتدع فى أمر دين الإسلام. (٤) مرفوض: أى الأحكام تقررت، فكل شىء يظهر جديدا عما دون وثبت فمردود على صاحبه، ولا يقبله الله جل وعلا بدليل قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً). (٥) كتب ابن علان على هذا أى لما يتجلى عليه من بوارق الجلال ولوامع أضواء الإنذار، وشهود أحوال أمته، وتقصير أكثرهم فى امتثال ما يصدر عنه ومن ثم مثل جابر حاله صلى الله عليه وسلم فى إنذاره بمجىء القيامة وقرب وقوعها، وتهالك الناس فيما يؤذيهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منه يقصد الإحاطة بهم بغتة فى كل جانب بحيث لا يقرب منهم أحد اه.

(٦) أى مخبر بجيش العدو الذى يخاف، والنبى صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على أمته وعظيم الرأفة بهم ويخاف عليهم من الساعة وأهوالها، أى دخل جيش الأعداء صباحاً أو مساء. (٧) أى وجود النبى صلى الله عليه وسلم قريب من قيام الساعة يعقبه يوم القيامة، ثم أخبر صلى الله عليه وسلم أن كلام الله جل وعلا خير ما قيل، وخير الإرشاد إرشاد محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك الشرور والضلال والمخالفة لأحكامهما، وليست على قواعد الشرع ولا فيها ما يؤيدها — وفى أحكام القرآن للسيوطى: سئل مالك عن شهادة اللاعب بالشطرنج والنرد أتجوز؟ قال أما من أدمنها فلا. لقول الله تعالى: (فماذا بعد الحق إلا الضلال) فهذا كله من الضلال اه من دليل الفالحين. (٨) قرن الشىء بالشىء: وصله به، وبابه ضرب ونصر.

مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا أَوْلَى (١) بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِأَهْلِهِ (٢) ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْضَيَاعاً (٣) فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ (٤) رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما

٣ - وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَلاَ إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هٰذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ : ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ (٥) رواه أحمد وأبوداود ، وزاد فى رواية : وَإِنَّهُ لَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمُ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ ، وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ .

[قوله] الكلب بفتح الكاف واللام .

[قال الخطابى] هو داء يعرض للإنسان من عضة الكلْب الكَلِب قال : وعلامة ذلك فى الكلب أن تحمرّ عيناه ، ولا يزال يُدخل ذَنَبه بين رجليه ، فإذا رأى إنسانا ساوره .

٤ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : سِتَّةٌ لَعَنْتُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ ، وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٌ : الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللهِ (٦) وَالْمُتَسَلِّطُ عَلَى أُمَّتِي بِالْجَبَرُوتِ (٧) لِيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّ اللهُ ، وَيُعِزَّ مَنْ أَذَلَّ اللهُ ، وَالْمُسْتَحِلُّ حُرْمَةَ اللهِ (٨) ، وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي (٩) مَا حَرَّمَ اللهُ ، وَالتَّارِكُ السُّنَّةَ . رواه الطبرانى .

---

(١) أولى : أحق . قال ابن علان : قال أصحابنا : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا احتاج إلى طعام أوغيره وجب على صاحبه بذله له صلى الله عليه وسلم ، وجاز له أخذه من مالكه المضطر له ؟ وهذا وإن جاز له إلا أنه لم يقع . قال الله تعالى : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) اهـ . وأرى أن المعنى أن المؤمنين يفدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وأموالهم وهو جدير بكل إجلال ويدافعون عنه ويبذلون النفس والنفيس فى نصره وإعزاز دينه ، ويجاهدون فى طاعته ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين » حتى قال عمر رضى الله عنه : أنت أعز على يارسول الله من نفسى التى بين جنبى .

(٢) الوارثين له إن استغرقوا فما بقى منهم من فرضهم إليه صلى الله عليه وسلم .

(٣) قال الحافظ : هذا تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه » قال أهل اللغة : والضياع . بفتح الضاد مصدر ضاع العيال ، أى المراد من ترك أطفالا وعيالا ذوى ضياع ، فأوقع المصدر موقع الأسم كما تقول : من مات وترك فقراء اهـ : أى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على الأسرة الفقيرة . وقيل إن كسرت ضاد ضياع كان جمع ضائع كجائع وجياع . أى ينشئ صلى الله عليه وسلم ملاجئ للعجزة الجائعين

(٤) أى يقضيه تكرماً ويعد ذلك واجباً عليه صلى الله عليه وسلم . (٥) الملازمة للكتاب والسنة والمتبعة أعمال المهتدين . (٦) فى نسخة : بقدر . (٧) الإرهاب . (٨) محارمه .

(٩) أهل بيتى ومن اتبع سنتى وعمل بشريعتى إلى يوم الدين . قال الله تعالى فى بيان إكرامهم :

فى الكبير وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال صحيح الإسناد ، ولا أعرف له علة

٥ — وَعَنْ أَبِى بَرْزَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَىِّ(١) فِى بُطُونِكُمْ ، وَفُرُوجِكُمْ ، وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى . رواه أحمدُ والبزارُ والطبرانى فى معاجيمه الثلاثة ، وبعضُ أسانيدِهم رواتُهُ ثقاتٌ .

٦ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) أى يبعد الله عنكم الذنب المدنس لعرضكم ويطهركم عن المعاصى، واستعارة الرجس للمعصية ، والترشيح بالتطهير للتنفير عنها ، وقد استدل النووى رحمه الله فى باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وفسر البيضاوى رحمه الله (شعائر الله) بدين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكها أو الهدايا لأنها من معالم الحج، وهو أوفق لظاهر مابعده، وتعظيمها أن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان.روى أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب ، وأن عمر رضى الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار اهـ ص ٤٧٢، ولكن دليل النووى رضى الله عنه فى تعظيم آل البيت ومحبتهم وزيارتهم والاقتداء بأعمالهم إن تعظيمها منه من أفعال ذوى تقوى القلوب . المحبة عقيدة وذوق ، قال الشاعر :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها اهـ

إن بعض المسلمين قد ضلوا فهجروا زيارة قبور الصالحين بالسفسطة والتشدق ، وعكفوا على شهواتهم الدنيئة وتركوا حقوق الله اغترارا بزهرة الدنيا فبعدوا عن الله وهم لايعلمون، والله تعالى وعد بالخير لمن والى الصالحين وأوعد بالشر لمن والى العاصين والفاسقين. قال الله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ٢٤ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم. وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين) ٢٥ من سورة التوبة.قال البيضاوى نزلت فى المهاجرين الذين قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا ذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهياً عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة ، والمعنى لاتتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة ، وقوله تعالى (فتربصوا) جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة ، وفى الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه اهـ بيضاوى ص٢٧٨.لعل قائلا يقول هذا للكفار، نعم ولكن أريد أن أستدل على محبة الصالحين أنها غنم وخير وعاقبة محمودة : وأطلب ترك محبة الملحدين والزنادقة الفاسقين وتضافر على محبة الله ورسله وأوليائه الصالحين رجاء أن نحشر معهم ونتبع منهجهم ، وفى حديث مسلم قوله صلى الله عليه وسلم « وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا يزيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال ومن هم ؟ قال هم آل على، وآل عقيل، وآل جعفر وآل عباس، ص٧٦ رياض الصالحين للنووى . الله تعالى يقول : فتربصوا .

ماذا ينتظر المسلمون بعد هذه المحن : أزمة ضاقت حلقاتها . محن اشتدت ريحها وهكذا من المصائب الآتية : من ضياع آداب الدين ، وإهمال العاملين ، وعدم محبة سيد المرسلين ، وهجر مجالس المهتدين .

(١) الأهواء ، واتباع النفس فيما يغضب الله من أكل الحرام والزنا وارتكاب الموبقات .

يَقُولُ : إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ ثَلَاثٍ : مِنْ زَلَّةِ[1] عَالِمٍ ، وَمِنْ هَوًى[2] مُتَّبَعٍ ، وَمِنْ حُكْمٍ جَائِرٍ[3]. رواه البزار والطبرانى من طريق كثير بن عبد الله ، وهو واهٍ ، وقد حسنها الترمذى فى مواضع، وصححها فى موضع فأنكر عليه واحتج بها ابن خزيمة فى صحيحه .

٧ — وَرُوِيَ عَنْ غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ الثُّمَالِيِّ قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ فَقَالَ : يَا أَبَا سُلَيْمَانَ إِنَّا قَدْ جَمَعْنَا النَّاسَ عَلَى أَمْرَيْنِ ، فَقَالَ : وَمَا هُمَا ؟ قَالَ رَفْعُ الْأَيْدِي عَلَى الْمَنَابِرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالْقَصَصُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ ، فَقَالَ أَمَا إِنَّهُمَا أَمْثَلُ بِدْعَتِكُمْ عِنْدِي وَلَسْتُ بِمُجِيبِكُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُمَا . قَالَ لِمَ ؟ قَالَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ ، فَتَمَسُّكٌ بِسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ إِحْدَاثِ بِدْعَةٍ . رواه أحمدُ والبزارُ .

٨ — وَرَوَى عَنْهُ الطَّبَرَانِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا مِنْ أُمَّةٍ ابْتَدَعَتْ بَعْدَ نَبِيِّهَا فِي دِينِهَا إِلَّا أَضَاعَتْ مِثْلَهَا مِنَ السُّنَّةِ .

٩ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ مِنْ إِلَهٍ يُعْبَدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٍ . رواه الطبرانى فى الكبير . وابن أبى عاصم فى كتاب السنة

١٠ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ : فَشُحٌّ[4] مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ[5] الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . رواه البزارُ والبيهقىُّ وغيرُهما ويأتى بتمامه فى انتظار الصلاة إن شاء الله تعالى .

١١ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ حَجَبَ[6] التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ . رواه الطبرانى وإسناده حسنٌ ، ورواه ابنُ ماجه وابنُ أبى عاصم فى كتاب السنة من حديث ابن عباس . وَلَفْظُهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَبَى اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ[7] بِدْعَتَهُ . ورواه ابن ماجه أيضا من حديث حذيفة ، وَلَفْظُهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا يَقْبَلُ

---

(١) سقطة . (٢) شهوات المعاصى والاسترسال فيها . (٣) ظالم .
(٤) تفسير . ومنع وبخل . (٥) يظن كالها بخيلاء . (٦) منع . (٧) يترك .

اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْمًا ، وَلاَ صَلاَةً ، وَلاَ حَجًّا ، وَلاَ عُمْرَةً ، وَلاَ جِهاداً ، وَلاَ صَرْفًا ، وَلاَ عَدْلاً(١) يَخْرُجُ مِنَ الإِسْلاَمِ(٢) كَمَا يَخْرُجُ الشَّعْرُ مِنَ الْعَجِينِ .

١٢ – وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : إِيَّاكُمْ(٣) وَالمُحْدَثَاتِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ ضَلاَلَةٌ . رواه أبو داود والترمذى ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح ، وتقدم بتمامه بنحوه .

١٣ – وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ قالَ : أَهْلَكْتُهُمْ بِالذُّنُوبِ فَأَهْلَكُونِي بِالاسْتِغْفَارِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالأَهْوَاءِ(٤) فَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ فَلاَ يَسْتَغْفِرُونَ . رواه ابنُ أبي عاصم وغيرُه

١٤ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وَسلم : لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ(٥) ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ فَقَدْ هَلَكَ . رواه ابنُ أبى عاصم وابنُ حبان فى صحيحه ، ورواه ابن حبان فى صحيحه أيضاً من حديث أبى هريرة أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا سَادَ أَوْ قَارَبَ فَارْجُوهُ ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فَلاَ تَعُدُّوهُ (الشرة) بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء وبعدها تاء تأنيث : هى النشاط والهمة ، وشرة الشباب : أوله وحدته .

١٥ – وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ رَغِبَ(٦) عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي . رواه مسلم .

١٦ – وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قالَ لِبِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ يَوْماً : اعْلَمْ يَا بِلاَلُ . قَالَ مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ اعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي أُمِيتَتْ بَعْدِي كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلاَلَةً لاَ يَرْضَاهَا اللهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ(٧) مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً . رواه الترمذي وابنُ ماجه

---

(١) فرضاً أو نفلا . (٢) يبعد بسهولة . (٣) احذروا . (٤) البدع وشهوات النفس .
(٥) شرة الشباب : حرصه ونشاطه . (٦) أعرض . (٧) ذنوب .

كلاهما من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(قال الحافظ) بل كثير بن عبد الله متروك ، رواه كما تقدم ، ولكن للحديث شواهد .

١٧ — وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم يَقُولُ : لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ[1] لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ[2] عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ . رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة باسناد حسن .

---

(١) الملة السمحاء : الحنيفية النقية من الضلال .
(٢) لا يميل عن دين الحق الا كل من وقع في هاوية الضلال ، ومأواه جهنم .

فقه الباب: بين صلى الله عليه وسلم أن أصول الدين أشرقت كالشمس فلا تخفى إلا على كل جاحد ظالم نفسه لا عمل له مقبول عند الله جل وعلا ، وأن بعثته صلى الله عليه وسلم رحمة وكمال ، وأنه بشير المؤمنين ونذير العاصين ، فمن اتبعه فاز بالجنة ، ومن عصاه ضل ، يوضح ذلك كتاب الله وسنة نبيه : وهو بالمؤمنين رءوف رحيم . يحبونه ويوزرونه ، ويخلصون في معاونته ونصر دينه ، وهو قائدهم صلى الله عليه وسلم وولى أمرهم وملاذهم ، وأشار صلى الله عليه وسلم الى وجود الخلاف بين الطوائف الضالة ، وزيغ الملحدين في كل عصر ، ولا ينجو إلا المتبع سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح .

وقد ازداد غضب الله ولعنته على ستة : المتفيقه الضال الجاهل ، وغير المؤمن بالقضاء والقدر ، والظالم الطاغية ، والعاصي الفاجر ، والمستهتر يحقون آل البيت والأولياء ، والملحد الزائغ ، ويخاف صلى الله عليه وسلم على أمته من ارتكاب الشهوات ، وارخاء العنان إلى وساوس الشيطان والوقوع في شرك غوايته كأنه نزاف على أمته من العلماء غير العاملين المتصدرين للعلم وتعليمه ولا يفقهون حديثاً .

ويحذر من البخل وعدم فعل الخير ، ويحث على الجود وترك البدع رجاء قبول الله التوبة والإنابة إليه

وبين صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال الموافقة للسنة وإن قلت ، وأن من حاد عن سنته فهو كافر فاسق وليس على دين محمد صلى الله عليه وسلم ، والقائد إلى السنة ومحييها يعطيه الله ثواب من عمل بها ، كذا يعاقب المبتدع وعليه إثم من عمل ببدعته .

وأنه صلى الله عليه وسلم ترك لنا هذا الدين القويم الأبيض الناصع المصفى وذلك دين القيمة .

م بين خطأ المبتدعين وظنهم الفاسد وكفرهم بالله كما قال الإمام مالك رضى الله عنه من أتى ببدعة ظن أن محمداً أخطأ الرسالة ، مع أن الله تعالى مدحه ، وأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ولأذكر الآيات . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » . وقال تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (١) وقال تعالى : « إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما (٢) » وقال تعالى لحبيبه : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم (٣) » وقال

---

(١) من سورة النساء . (٢) من سورة الإسراء . (٣) من سورة الشورى .

١٨ - وَعَنْ عَمْرِو بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: وَقَفَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ وَأَنَا أَقُصُّ ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو لَقَدِ ابْتَدَعْتَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ أَوْ إِنَّكَ لَأَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ تَفَرَّقُوا عَنِّي حَتَّى رَأَيْتُ مَكَانِي مَا فِيهِ أَحَدٌ . رواه الطبراني فى الكبير باسنادين أحدهما صحيح .

(قال الحافظ عبد العظيم) وتأتي أحاديث متفرقة من هذا النوع فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الترغيب فى البداءة بالخير ليستن به

والترهيب من البداءة بالشرّ خوف أن يستن به

١ - عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَهُ قَوْمٌ غُزَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ وَالْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ؛ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا

تعالى يخاطب المؤمنين (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب (١)) (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (٢)) .
وقال تعالى يخاطبه صلى الله عليه وسلم :
(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (٣) (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون) (٤) (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون(٥)) (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) - (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) وقال تعالى : (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما). (٦) وقال تعالى :(وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) (٧)وقال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) . (٨) وقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٩) .

---

(١) من سورة الحشر . (٢) من سورة الأحزاب . (٣) من سورة النحل .
(٤) من سورة سبأ . (٥) من سورة الأعراف . (٦) من سورة النساء .
(٧) من سورة الأنعام . (٨) من سورة آل عمران . (٩) من سورة النور .

رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . إلى آخر الآية : إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(١) . والآية التى فى الحشر : اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ(٢) . تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ ، مِنْ ثَوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ ، قَالَ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كُومَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ(٣) ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَنَّ فِى الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِى الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىْءٌ . رواه مسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، والترمذى باختصار القصة .

(قوله : مجتابى) هو بالجيم الساكنة ثم تاء مثناة وبعد الألف باء موحدة (والنمار) جمع نمرة ، وهى كساء من صوف مخطط : أى لابسى النمار قد خرقوها فى رؤوسهم ، والجوب : القطع (وقوله : تمعر) هو بالعين المهملة المشددة أى تغير (وقوله : كأنه مذهبة) ضبطه بعض الحفاظ بدال مهملة ، وهاء مضمومة ونون ، وضبطه بعضهم بذال معجمة ، وبفتح الهاء وبعدها باء موحدة ، وهو الصحيح المشهور ، ومعناه على كلا التقديرين: ظهرَ البشر فى وجهه صلى الله عليه وسلم حتى استنار وأشرق من السرور ، والمذهبة : صحيفة منقشة بالذهب ، أو ورقة من القرطاس مطلية بالذهب ، يصف حسنه وتلألؤه صلى الله عليه وسلم.

٢ — وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَمْسَكَ الْقَوْمُ ، ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا أَعْطَاهُ فَأَعْطَى الْقَوْمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

---

(١) مطلعاً محيطاً بأعمالكم . (٢) ليوم القيامة؛ حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإحسان إلى أولئك الفقراء ، فأقبل المسلمون زرافات ووحدانا على الصدقة ، كل يجود بما عنده وما تيسر حتى رأى سيدنا جرير تكدس الأشياء من طعام وملابس ، فتهلل وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً وبشراً ، وهنا دعا إلى الخير ، وأفاد أن ثواب فاعله متصل إلى يوم القيامة ولو عمله غيره ، ورحمة الله لاحد لها ، كذا فاعل الشر محاسب على خطيئته وذنب من تبع فعله إلى يوم القيامة .
(٣) شىء مذهب : بفتح الذال ؛ ومذهب بسكونها : أى مموه بالذهب .

عليه وسلم : مَنْ سَنَّ خَيْرًا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ ، وَمِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ غَيْرَ مُنْقِصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ سَنَّ شَرًّا فَاسْتُنَّ بِهِ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ غَيْرَ مُنْتَقِصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا ، رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد ، ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة .

٣ – وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ(١) مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ رواه البخاري ومسلم والترمذي .

٤ – وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عُمِلَ بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ حَتَّى تُتْرَكَ ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى تُتْرَكَ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا(٢) جَرَي عَلَيْهِ عَمَلُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

[قال الحافظ] وتقدم في الباب قبله حديثُ كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ لِبِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ : اعْلَمْ يَا بِلَالُ . قَالَ مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا اللهُ وَرَسُولُهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ(٣) مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا رواه ابنُ ماجه والترمذي وحسنه .

٥ – وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ هٰذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ(٤) ، وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ ، فَطُوبَى(٥) لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِفْتَاحًا

(١) نصيب – قال الله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غراباً) الآية.
(٢) المرابطة : ملازمة ثغر العدو : أي مات مجاهداً فثوابه لاينقطع . (٣) ذنوب .
(٤) كنوز تعطى لأصحابها عند الحاجة وأن الله تعالى يجرى على أيدى الصالحين فتح أبواب فضله وخيره كالعلم، والإصلاح بين الناس ، والزكاة ، والزيارة لله ، وهكذا من أعمال الحسنات تسبب إرسال الخير للناس من الله .
(٥) فعلى من الطيب شجرة في الجنة يتمتع بظلها ورائحتها الذكية مسكن الفتن وجالب الألفة ، وقائد الخير ، ووصول البر. وويل واد في جهنم لموقد العداوة، وباعث الشرور. وفيه الحث على نية الخير، والمسابقة في مشروعات الخير ، وقد وصف الله عباده المحسنين الأبرار فقال (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة

لِلْخَيْرِ مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ. رواه ابن ماجه، وَاللفظ له ، وَابن أبى عاصم ، وَفى سنده لين وهو فى الترمذى بقصة .

٦ — وَعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَامِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ إِلَّا وَقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَازِماً لِدَعْوَتِهِ مَادَعَا إِلَيْهِ ، وَإِنْ دَعَا رَجُلٌ رَجُلًا ، رواه ابنُ ماجه ، ورواتُهُ ثقات .

كتاب العلم

الترغيب فى العلم وطلبه وتعلمه و تعليمه

وما جاء فى فضل العلماء والمتعلمين

١ — عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفقِّهْهُ(١) فِى الدِّينِ ، رواه البخارى وَمسلم وَابن ماجه ، وَرواه أبو يعلى وزاد فيه : وَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ لَمْ يُبَالِ بِهِ(٢) ، ورواه الطبرانى فى الكبير ، وَلفظه : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفقِّهْهُ فِى الدِّينِ ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ(٣) ، وفى إسناده راوٍ لم يسمّ ،

٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِى الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ(٤) ، رواه البزار وَالطبرانى فى الكبير بإسناد لابأس به ،

أعين واجعلنا للمتقين إماما). (١) أى يتضرعون إلى المولى جل وعلا أن يصلح أزواجهم وذراريهم ليكونوا قادة فى الخير ، ومصدر السرور ، ومنبع الحبور ، وقال تعالى : (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً (٢)) قيل قرت عينه بردت فضحكت ، فدمعة السرور باردة ، والحزن حارة ، وقيل قرة أعين من القرار : أى أعطاه مايسكن به عينه فلا يطمح إلى غيره .

(١) يعلمه أحكام شرعه ليعبد الله صوب الحق إذ الفقه العلم بدقائق الأمور . (٢) لم يقبل عبادته إذا عمل على جهل ، ولم يكترث بدعواته إذا أمكنه التعلم ولم يتعلم وفى أى واد هلك .

(٣) العلماء العاملون أكثر الناس خوفاً من عقابه جل وعلا . (٤) وفقه إلى الرشد فعمل صالحا .

---

(١) من سورة الفرقان . (٢) من سورة المائدة .

٣ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْفِقْهُ، وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ[1] رواه الطبراني في معاجيمه الثلاثة وفي إسناده محمدُ ابن أبي ليلى .

٤ — وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ، رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بإسناد حسن .

٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ فِقْهاً إِذَا عَبَدَ اللهَ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً إِذَا أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ، رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده إسحق بن أسيد وفيه توثيق لين، ورفع هذا الحديث غريب، قال البيهقي وروَيناه صحيحاً من قول مطرف بن عبد الله ابن الشخير ثم ذكره، والله أعلم .

فصل

٦ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ نَفَّسَ[2] عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً[3] مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ[4] مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ[5] عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ[6] اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ[7] بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمُ[8] الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ

(١) الزهد، وتحرى الحقائق، واجتناب الشبهات .
(٢) فرج . (٣) ضيقاً وشدة وعسراً . (٤) غطى على عيوبه ولم يفضحه ونصحه بينه وبينه، وإلا رفع أمره إلى من يردعه ويزجره — ولاستر على مثل سرقة أومؤامرة قتل، وهكذا، فلا بد من القبض على يديه في مثل هذه الأمور . (٥) أنفق على طالب علم أو أنشأ معهداً أو ساعد على فهم مسألة عويصة .
(٦) تشمل المساجد ومعاهد الدرس وكل أمكنة طاهرة نظيفة . (٧) يشرحون معناه ويفسرون كلامه ويفقهون مراميه . (٨) أحاطت بهم ملائكة الرحمة .

السَّكِينَةُ(١) وَغَشِيَتْهُمُ(٢) الرَّحْمَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ(٣) ، رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

٧ ـــ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ؛ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا(٤) دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ ، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ، وقال الترمذى : لا يعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس إسناده عندى بمتصل ، وإنما يروى عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا أصح .

[قال المملى] رحمه الله : ومن هذه الطريق رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى الشعب وغيرها ، وقد روى عن الأوزاعى عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عنه ، وعن الأوزاعى عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة عن كثير ابن قيس عنه ، قال البخارى : وهذا أصح ، وروى غير ذلك ، وقد اختلف فى هذا الحديث اختلافاً كثيراً ذكرت بعضه فى مختصر السنن ، وبسطته فى غيره ، والله أعلم .

٨ ـــ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنْ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ(٥) وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ ،

---

(١) طلة البهاء والوقار ، ونور الله جل جلاله . (٢) عمتهم.

(٣) معناه والله أعلم : أن المقصر فى حقوق الله ، والتارك العمل الصالح يحاسب حساباً عسيراً ويتأخر عن دخول الجنة حتى ينال عقابه ، ولم ينفعه شرفه الذى ينتسب إليه وإن عظم ، والله يعذب العاصى وإن كان شريفاً قرشياً ويقرب المطيع وإن كان عبداً حبشياً ، وقد ضرب لذلك دستوراً لرضوانه : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . قال تعالى : « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » .

(٤) لم يتركوا مالا ، ولا ضيعة ؛ ولا قصوراً لأولادهم وورثتهم ، وإنما تركوا العلم والفقه ليعمل به المهتدون فينالوا السعادة والنعيم . (٥) رهبة أى يدعوا الى الخوف منه جل وعلا ، ويحث على العمل الصالح .

وَالْبَحْثُ[١] عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لاَ يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ[٢] لِأَنَّهُ مَعَالِمُ[٣] الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ وَمَنَارُ[٤] سُبُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْأَنِيسُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ[٥]، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسِّلاَحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ[٦] وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخِلاَّءِ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً قَائِمَةً تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرْغَبُ الْمَلاَئِكَةُ فِي خَلَّتِهِمْ[٧]، وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَحِيتَانُ الْبَحْرِ وَهَوَامُّهُ، وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ، وَمَصَابِيحُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ، يَبْلُغُ الْعَبْدُ بِالْعِلْمِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، التَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ الصِّيَامَ، وَمُدَارَسَتُهُ[٨] تَعْدِلُ الْقِيَامَ، بِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ[٩] وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلاَلُ مِنَ الْحَرَامِ، وَهُوَ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ[١٠]، وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءُ»، رواه ابن عبد البر النمرى فى كتاب العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشى، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن الحسن عنه وقال: هو حديث حسن ولكن ليس له إسناد قوى، وقد رويناه من طرق شتى موقوفاً: كذا قال رحمه الله، ورفعه غريب جدا، والله أعلم.

٩ — وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَّكِئٌ عَلَى بُرْدٍ[١١] لَهُ أَحْمَرَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَارَسُولَ اللهِ إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَحُفُّهُ[١٢] الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يَطْلُبُ[١٣]، رواه أحمد

(١) تفهم مسائله وتحصيله. (٢) طاعة.

(٣) جمع معلم: الأثر يستدل به على الطريق، أى إن العلم يوضح لك طرق الحلال ويزيل الشبهات ويكشف عن الضلا والجهالة. (٤) المنار علم الطريق: أى يرفع العلم شارة الهداية فى طرق الجنة ليصل إليها من تعلم وعمل.

(٥) البعد عن الأوطان. (٦) من تفقه واهتدى بهدى العلم لا يجد العدو له منفذاً ليؤذيه، فالعلم حصن حصين يرد كيد المعتدين لأنه يرشد إلى التوكل على الله والاستقامة والاستعداد. (٧) محبتهم، أى ترافقهم ملائكة الرحمة وتدعوا لهم. (٨) تدريس العلم يساوى فى الثواب قيام الصائم يتهجد.

(٩) بالزيارة والمودة والهدايا. (١٠) يختص به السعداء، ويمن الله عليهم بحمله ويطرد من حظيرته الأشقياء والعصاة. (١١) كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الأعراب. (١٢) تحيط به.

(١٣) الذى يطلبه طالب العلم.

والطبرانى بإسناد جيد واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال صحيح الإسناد، وروى ابن ماجه نحوه باختصار، ويأتى لفظه إن شاء الله تعالى:

١٠ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ(١) وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ، رواه ابن ماجه وغيره.

١١ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لَقِىَ اللهَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ إِلَّا دَرَجَةُ النُّبُوَّةِ، رواه الطبرانى فى الأوسط.

١٢ — وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ طَلَبَ عِلْمًا فَأَدْرَكَهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلَيْنِ(٢) مِنَ الْأَجْرِ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْمًا فَلَمْ يُدْرِكْهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلًا مِنَ الْأَجْرِ، رواه الطبرانى فى الكبير، ورواته ثقات وفيهم كلام.

١٣ — وَرُوِىَ عَنْ سَخْبَرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ يُذَكِّرُ(٣) فَقَالَ اجْلِسَا فَإِنَّكُمَا عَلَى خَيْرٍ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ قَامَا فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ قُلْتَ لَنَا اجْلِسَا فَإِنَّكُمَا عَلَى خَيْرٍ، أَلَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً، قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةَ مَا تَقَدَّمَ(٤)، رواه الترمذى مختصراً، والطبرانى فى الكبير واللفظ له [سخبرة] بالسين المهملة المفتوحة والخاء المعجمة الساكنة وباء موحدة وراء بعدها تاء تأنيث، فى صحبته اختلاف والله أعلم

١٤ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: سَبْعٌ يَجْرِى لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِى قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى(٥) نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ

---

(١) أى ومسلمة.
الآن وضح العلم فيجب البحث عن مسائله وتعلم ما يلزم، فالسيدة تسأل عن أركان دينها، وتتفقه فى صلاتها وصومها وغسلها ووضوئها، وأباح لها الشارع أن تخرج فتتعلم الضرورى من العلم إن لم يعلمها زوجها.
(٢) نصيبين: نصيب الكد والتعب. ونصيب النفقة وجنى الثمرة لتعليمه.
(٣) يعظ الناس ويرشدهم إلى طاعة الله وتسبيحه وتحميده وينثر عليهم درره وحكمه صلى الله عليه وسلم.
(٤) أى طلب العلم بإخلاص يسبب غفران الذنوب الماضية بتجديد التوبة والركون إلى الله تعالى.
(٥) استحدث الحفر.

بِئْرًا ، أَوْ غَرَسَ نَخْلاً ، أَوْ بَنَى مَسْجِداً ، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفاً[(١)] ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ .رواه البزار وأبو نعيم فى الحلية،وقال هذا حديث غريب من حديث قتادة، تفرّد به أبو نعيم عن العزرمى ، ورواه البيهقى ثم قال محمد بن عبد الله : العزرمى ضعيف غير أنه قد تقدمه مايشهد لبعضه،وهما يعنى هذا الحديث والحديث الذى ذكره قبله لايخالفان الحديث الصحيح فقد قال فيه: إلا من صدقة جارية ، وهو يجمع ماورد به من الزيادة والنقصان،انتهى

[قال الحافظ عبد العظيم] وقد رواه ابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه بنحوه من حديث أبى هريرة ، ويأتى إن شاء الله تعالى .

١٥ — وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا اكْتَسَبَ[(٢)] مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى ، أَوْ يَرُدُّهُ عَنْ رَدًى ، وَمَا اسْتَقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَمَلُهُ[(٣)] . رواه الطبرانى فى الكبير واللفظ له ، والصغير إلا أنه قال فيه : حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَقْلُهُ . وإسنادهما متقارب .

١٦ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالاَ : لَبَابٌ[(٤)] يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ تَطَوُّعًا ، وَقَالاَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ[(٥)] . رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ، إلا أنه قال : خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ .

١٧ — وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ[(٦)] فَتَعَلَّمَ[(٧)] آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَأَنْ

---

(١) ترك مصحفا أو كتبا ينتفع المسلمون بقراءتها .
(٢) ما نال أحد ثوابا أكثر من طلب علم يرشد إلى الحق ويبعد عن الضلال .
(٣) أى لن يثبت الإيمان بالله جل وعلا حتى تتحقق الاستقامة فى العمل ، فالعمل عنوان دين المرء ، وميزان خوفه من ربه ، ودليل يقينه بآخرته ، والأشرار والفساق دينهم ضعيف إذ لم يزجرهم عن الغواية ، وكلما أقبل الإنسان على العمل الصالح ربا إيمانه واستقام دينه ووصل إلى ربه نفسه .
(٤) لمسألة من مسائل العلم المتفرعة فى العبادة أو المعاملات . (٥) نال أجر المجاهد فى سبيل الله تعالى لنصر دينه وتعليمه . (٦) تذهب — والغدو : ضد الرواح. (٧) أى فتتعلم — وفيه أن تعليم العلم أفضل من صلاة النافلة ، وحث المسلمين على أن يتفقوا بلبان معارفه ليعبدوا الله على علم .

تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ . رواه ابن ماجه باسناد حسن .

١٨ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم يَقُولُ : الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ[١] مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ ، وَمَا وَالاَهُ[٢] ، وَعَالِماً وَمُتَعَلِّماً . رواه الترمذي ، وابن ماجه ، والبيهقي ، وقال الترمذي حديث حسن .

١٩ — وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ تَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ أُعْطِيَ ثَوَابَ سَبْعِينَ صِدِّيقاً . رواه أبو منصور الدَّيْلَمِي في مسند الفردوس ، وفيه نكارة .

٢٠ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم : مَامِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ كَلِمَةً ، أَوْ كَلِمَتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثاً ، أَوْ أَرْبَعاً ، أَوْ خَمْساً مِمَّا فَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَتَعَلَّمُهُنَّ وَيُعَلِّمُهُنَّ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمَا نَسِيتُ حَدِيثاً بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . رواه أبو نعيم ، وإسناده حسن لو صح سماعُ الحسن من أبي هريرة .

٢١ — وَعَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْماً ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ . رواه ابن ماجه باسناد حسن من طريق الحسن أيضًا عن أبي هريرة .

٢٢ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم : لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ[٣] فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ[٤] فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا . رواه البخاري ومسلم (الحسد) يطلق، ويراد به تمنى

---

(١) اللعن : الطرد والإبعاد من الخير. والمعنى والله أعلم: أن هذه الدار الفانية تبعد من اشتغل بملذاتها من الخير وتقصيه من رحمة الله — وما فيها فتنة ، فالعاقل المؤمن لاتغره زخارفها ، ولا تلهيه عن طاعة مولاه تعالى .

(٢) من تسبيح ، وتحميد ، وتكبير ، وجميع مايرشد إلى عمله كتاب الله وسنة نبيه .

(٣) إنفاق في مشروعات الخير وفي مرضاة الله جل وعلا ، وتشييد المكرمات . وفعل الصدقات، وغرس الإحسان في نفوس الأقارب والأباعد .

(٤) فقه تفسير آيات الله جل وعلا ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زوال النعمة عن المحسود ، وهذا حرام ، ويطلق ويراد به الغبطة ، وهو تمنى مثل ماله ، وهذا لا بأس به وهو المراد هنا .

٢٣ – وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى[1] وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ فَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ[2] أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً أُخْرَى مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[3] لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَى ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ . رواه البخارى ومسلم .

٢٤ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ[4] بَنَاهُ ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ . رواه ابنُ ماجه باسناد حسن والبيهقي ، ورواه ابنُ خزيمة فى صحيحه مثله إلا أنه قالَ : أَوْ نَهْرًا كَرَاهُ[5] ، وقال يعنى حفره ولم يذكر المصحف . انظر فى هذا الباب حديث رقم ٤١

٢٥ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ . رواه مسلم وغيره .

---

(١) الإيمان ، (الرشاد) والدلالة . (٢) جمع جدوبة ، والجدب ضد الخصب ، أى كان منها أرض لم تنبت ولكن حفظت الماء للشرب والسقى والرى فأفادت فائدة جليلة مثل الأرض الخصبة التى أثمرت .

(٣) القاع المستوى من الأرض والجمع أقواع وقيعان وأقوع : هذان مثلان الأول للذى تحلى بآداب دين الله وعمل بها وفهم أسرارها ، ولبى نداء النبي صلى الله عليه وسلم ، واستظل بدوحته ، وجنى ثمرة تعاليم ربه فأفاد واستفاد وأينع زهره وترعرع روضه ، وأما الذى هوى وغوى ، وضل وأصم أذنيه عن تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يذق حلاوة الإيمان بالله ، ولم يقبل هدى الله ، ولم ينتفع بتعاليم حبيب الله فلا فائدة فيه ومثله مثل القيعان لا تحفظ الماء فيها كالبئر ليشرب منه الحيوان والإنسان ولا تنبت أى نبات للماشية أو غيرها فلم يبارك الله فيها : كذلك هذا الكافر ، أو الفاسق انتزعت منه الفائدة وله عذاب أليم . (٤) المسافر سفر طاعة .

(٥) حفره .

٢٦ – وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ(١) الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي(٢) يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ(٣) مِنْ بَعْدِهِ. رواه ابن ماجه باسناد صحيح.

٢٧ – وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: عُلَمَاءُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلَانِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَبَذَلَهُ(٤) لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعًا، وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا فَذٰلِكَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ حِيتَانُ الْبَحْرِ، وَدَوَابُّ الْبَرِّ، وَالطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ(٥)، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا(٦)، وَشَرَى(٧) بِهِ ثَمَنًا فَذٰلِكَ يُلْجَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: هٰذَا الَّذِي آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا، وَكَذٰلِكَ حَتَّى يَفْرُغَ الْحِسَابُ. رواه الطبراني في الأوسط، وفي إسناده عبد الله بن خداش، وثقه ابن حبان وحده فيما أعلم.

٢٨ – وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: عَلَيْكُمْ بِهٰذَا الْعِلْمِ(٨) قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُرْفَعَ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ: الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ هٰكَذَا، ثُمَّ قَالَ: الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ، وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ رواه ابن ماجه من طريق علي بن يزيد عن القاسم عنه.

[قوله: ولا خير في سائر الناس] أي في بقية الناس بعد العالم والمتعلم، وهو قريب المعنى من قوله: الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا، وتقدم.

٢٩ – وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ(٩) يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ

---

(١) يترك. (٢) يصل ثوابها إليه ويدخر عند الله. (٣) ينشر مسائل العلم ويوضحها للقارئين ليعملوا بمقتضاها عملا صالحا يقرب إلى الله جل وعلا. (٤) نشره. (٥) يطلبون للعالم العامل المغفرة والرضوان. (٦) اتصف بالشره والجشع واتخاذ العلم وسيلة لجمع المال. (٧) من أعطاه أجرا على علمه وحرم الفقراء من تعليمه، إن جزاءه يوم القيامة أن يعذب أمام الناس بوضع لجام من نار في فمه ليكوى به ثم يعير به على الخلائق لفضيحته بكتمانه العلم في الدنيا وجمع المال من شدة شرهه وكده وتعبه للدنيا لا لله ويستمر على هذه الحالة مغضوبا عليه حتى ينتهي حساب الخلائق وبعد ذلك أمره لربه. (٨) العلم الصحيح الذي يزيدك عملا صالحا وفقها في الدين. (٩) شبه صلى الله عليه وسلم العلماء بالنجوم التي تزيل غياهب الظلمات فيهتدى بضوئها كذلك العلماء ينشرون ضياء العلم على قلوب العاملين ليعملوا، ويبينوا للناس الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، فيهتدي من اتبعهم، ويخسر من حاد عنهم، فالعلماء شموس الله المشرقة في أرضه يزيلون الجهالة والضلال، وظلمات الغواية.

أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْمُدْلَةُ . رواه أحمد عن أبي حفص صاحب أنس عنه ، ولم أعرفه ، وفيه رشدين أيضاً .

٣٠ — وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مَنْ عَلَّمَ عِلْماً فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ[1] . رواه ابن ماجه ، وسهل يأتي الكلام عليه .

٣١ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم رَجُلاَنِ : أَحَدُهُمَا عَابِدٌ ، وَالآخَرُ عَالِمٌ ، فَقَالَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ : فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ ، وَأَهْلَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ[2] عَلَى مُعَلِّمِ[3] النَّاسِ الْخَيْرَ . رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح ، ورواه البزار من حديث عائشة مختصراً قال : مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ .

٣٢ - وَعَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَكَمِ الصَّحَابِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ لِفَصْلِ عِبَادِهِ : إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي وَحِلْمِي فِيكُمْ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ فِيكُمْ وَلاَ أُبَالِي[4] . رواه الطبراني في الكبير ، ورواته ثقات .

[قال الحافظ] رحمه الله : وانظر إلى قوله سبحانه وتعالى عِلْمِي وَحِلْمِي ، وأمعن النظر فيه يتضح لك باضافته إليه عز وجل أنه ليس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والإخلاص .

٣٣ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَبْعَثُ اللهُ الْعِبَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يُمَيِّزُ الْعُلَمَاءَ فَيَقُولُ : يَامَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ ، اذْهَبُوا فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ . رواه الطبراني في الكبير .

٣٤ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : يُجَاءُ بِالْعَالِمِ

---

(١) في نسخة : شيئاً . (٢) الصلاة من الله جل جلاله : الرحمة ، ومن غيره : الدعاء بطلب المغفرة والرضوان للعالم العامل . (٣) في نسخة : معلمين .

(٤) لا أكترث ولا يهمني أمرهم . وفيه أن يطلب العلم ويجتهد أن يعمل به حتى تشمله رحمة الله .

وَالعَابِدِ ، فَيُقَالُ لِلْعَابِدِ ادْخُلِ الجَنَّةَ ، وَيُقَالُ لِلْعَالِمِ قِفْ حَتَّى تَشْفَعَ لِلنَّاسِ[١] . رواه الأصبهانى وغيره .

٣٥ — وَرُوِىَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يُبْعَثُ العَالِمُ وَالعَابِدُ ، فَيُقَالُ لِلْعَابِدِ ادْخُلِ الجَنَّةَ ، وَيُقَالُ لِلْعَالِمِ اثْبُتْ حَتَّى تَشْفَعَ بِمَا أَحْسَنْتَ أَدَبَهُمْ . رواه البيهقى وغيره .

٣٦ — وَرُوِىَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ سَبْعُونَ دَرَجَةً مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ[٢] الفَرَسِ سَبْعِينَ عَامًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَبْدَعُ[٣] البِدْعَةَ لِلنَّاسِ فَيُبْصِرُهَا العَالِمُ فَيَنْهَى عَنْهَا ، وَالعَابِدُ مُقْبِلٌ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ لَا يَتَوَجَّهُ لَهَا وَلَا يَعْرِفُهَا . رواه الأصبهانى ، وعجز الحديث يشبه المدرج .

[حُضْرُ الفرس] يعنى : عَدْوَه .

٣٧ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ . رواه الترمذى وابنُ ماجه والبيهقى من رواية روح ابن جناح ، تفرّد به عن مجاهد عنه .

٣٨ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا عُبِدَ اللهُ بِشَىْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِى دِينٍ ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَىْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الفِقْهُ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : لَأَنْ أَجْلِسَ سَاعَةً فَأَفْقَهَ[٤] أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أُحْيِىَ لَيْلَةَ القَدْرِ . رواه الدارقطنى والبيهقي إلا أنه قال : أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أُحْيِىَ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ ، وقال : المحفوظ هذا اللفظ من قول الزهرى .

٣٩ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ المَدِينَةِ فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ يَا أَهْلَ السُّوقِ مَا أَعْجَزَكُمْ ![٥] . قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللهِ

---

(١) تطلب من الله أن يعفو عنهم . وفيه أن محبة العلماء والسير على منهجهم سبب الفوز فى الآخرة ويأذن الله للعلماء أن يشفعوا لمن يحبون . (٢) ارتفاع الفرس فى عدوه . وفى نسخة : من حضر .

(٣) يستحدث البدعة ويأتى بالشىء الجديد البعيد عن نصوص الدين فيفطن العالم إلى دس إبليس ودنسه ويطلب اجتناب ما أحدث ، والعالم هو الذى يحطم وساوس الشيطان ، ويحذر الناس من اتباعه ، ويدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه ونبذ الخناس . (٤) فافهم . ترى فى هذا الحديث أن ثواب تفهم المسألة أجل عند الله من إحياء ليلة مفضلة العبادة فيها على جهل . (٥) أى شىء منعكم من كسب الخيرات .

صلى الله عليه وسلم، يُقَسَّمُ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا، أَلاَ تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ قالُوا وَأَيْنَ هُوَ ؟ قالَ فى المَسْجِدِ فَخَرَجُوا سِرَاعًا[1]، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا فَقَالَ لَهُمْ : مَالَكُمْ[2]؟ فَقَالُوا يَاأَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ أَتَيْنَا المَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فِيهِ فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقَسَّمُ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَمَا رَأَيْتُمْ فى المَسْجِدِ أَحَدًا؟ قَالُوا بَلَى رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ الحَلاَلَ وَالحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَيْحَكُمْ فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

فصــل

٤٠ — وَعَنْ جَابِرٍ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : العِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ فِي القَلْبِ فَذَاكَ العِلْمُ النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ[3] فَذَاكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ ، رواه الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه بإسناد حسن ، ورواه ابن عبد البر النمري فى كتاب العلم عن الحسن مرسلاً بإسناد صحيح .

٤١ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : العِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ ثَابِتٌ فى القَلْبِ فَذَاكَ[4] العِلْمُ النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ فى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ ، رواه أبو منصور الدَّيْلَمِيُّ فى مسند الفردوس ، والأصبهانى فى كتابه، ورواه البيهقى عن الفضيل بن عياض من قوله : غير مرفوع .

٤٢ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَكْنُونِ[5] لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ العُلَمَاءُ بِاللهِ تَعَالَى ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لاَ يُنْكِرُهُ إِلاَّ أَهْلُ الغِرَّةِ[6] بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، رواه أبو منصور الدَّيْلَمِيُّ فى المسند ، وأبو عبدالرحمن السلمى فى الأربعين التى له فى التصوف .

---

(١) مسرعين . (٢) أى شىء تريدون ؟ . (٣) الذى يدعو إلى السفسطة ، ويعنى الله ، والله أعلم : أولئك الذين تعلموا ونطقوا بمسائل العلم فى الدنيا ويقولون مالا يفعلون . (٤) فى نسخة : فذلك .
(٥) الدر المستور : بكثرة تقواهم أجرى الله الحق على لسانهم وفقههم فى دينهم . (٦) أهل الغفلة الذين ركنوا إلى الدنيا فغرتهم بزخارفها ، وعصوا الله واتبعوا شهواتهم : وتركوا أوامر الله ورسوله وهجروا الدين . ويؤثر للإمام الشافعى رضى الله عنه :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصى

الترغيب فى الرحلة فى طلب العلم

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، رواه مسلم وغيره، وتقدم بتمامه فى الباب قبله .

٢ — وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَاجَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ أَنْبُطُ الْعِلْمَ ، قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَامِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فى طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ رواه الترمذى وصححه، وابن ماجه واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد

[قوله : أنبط العلم] أى أطلبه وأستخرجه .

٣ — وَعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَاقَبِيصَةُ مَا جَاءَ بِكَ(١) ؟ قُلْتُ كَبِرَتْ سِنِّي وَرَقَّ عَظْمِي ، فَأَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي اللهُ تَعَالَى بِهِ ، فَقَالَ : يَاقَبِيصَةُ مَامَرَرْتَ بِحَجَرٍ ، وَلَا شَجَرٍ ، وَلَا مَدَرٍ إِلَّا اسْتَغْفَرَ لَكَ ، يَا قَبِيصَةُ: إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ ثَلَاثًا سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ تُعَافَ(٢) مِنَ الْعَمَى(٣) وَالْجُذَامِ(٤) ، وَالْفَلَجِ(٥) يَاقَبِيصَةُ : قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِمَّا عِنْدَكَ وَأَفِضْ(٦) عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ(٧) .

رواه أحمد ، وفى إسناده راوٍ لم يسمَّ .

٤ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ غَدَا(٨) إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ(٩) كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حَجَّتُهُ(١٠)، رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به .

---

(١) ما الذى أحضرك . (٢) تشف وتبرأ . (٣) فقد البصر . (٤) مرض معد مذهب الأعضاء من تأثير تقطيعه فيها ويغير صحة الوجه ويهشم الأنف ويلوى الأصابع . أعاذنا الله منه ، ووفقنا لنعمل بورد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٥) لعله يريد صلى الله عليه وسلم مرض الفالج ، قال فى النهاية : داء معروف يرخى البدن . أما كلمة الفلج فهى فرجة مابين الثنايا والرباعيات، وفى صفته عليه الصلاة والسلام أنه كان مفلج الأسنان ، وفى رواية أفلج الأسنان ، وفلج : فاز ، ومن الفالج أى الغالب فى قماره ، وقد فلج أصحابه وعلى أصحابه : أى غلب وقهر ، وفى حديث أنه صلى الله عليه وسلم لعن المتفلجات للحسن : أى النساء اللاتى يفعلن ذلك بأسنانهن رغبة فى التحسين . (٦) وأغمرنى . (٧) خيراتك . (٨) ذهب .
(٩) يرشد الناس إلى طريق الخير . (١٠) أى تمت حجته .

٥ ــ وَرُوِىَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ جَاءَ مَسْجِدِى هٰذَا لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ ، أَوْ يُعَلِّمُهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ[1] فى سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ جَاءَ بِغَيْرِ ذٰلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ[2] رواه ابن ماجه والبيهقى ، وليس فى إسناده من ترك ولا أجمع على ضعفه .

٦ ــ وَرُوِىَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا انْتَعَلَ[3] عَبْدٌ قَطُّ ،وَلاَ تَخَفَّفَ ، وَلاَ لَبِسَ ثَوْباً فى طَلَبِ عِلْمٍ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ حَيْثُ يَخْطُو عَتَبَةَ دَارِهِ ، رواه الطبرانى فى الأوسط .

[قوله تخفف] أى لبس خفه .

٧ ــ وَعَنْ أَنَسٍ قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ خَرَجَ فى طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فى سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ . رواه الترمذى وقال حديث حسن . ذكر ص ٩٦ و ٩٧

٨ ــ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ غَدَا يُرِيدُ الْعِلْمَ يَتَعَلَّمُهُ لِلّٰهِ ، فَتَحَ اللهُ لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَفَرَشَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ[4] أَكْنَافَهَا ، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ[5] مَلاَئِكَةُ السَّمٰوَاتِ ، وَحِيتَانُ الْبَحْرِ ، وَلِلْعَالِمِ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْعَابِدِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى أَصْغَرِ كَوْكَبٍ فى السَّمَاءِ ، وَالْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً ، وَلٰكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّهِ .وَمَوْتُ الْعَالِمِ مُصِيبَةٌ لاَ تُجْبَرُ وَثُلْمَةٌ[6] لاَ تُسَدُّ ، وَهُوَ نَجْمٌ طُمِسَ ، مَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ .

(١) العاملين المضاعف ثوابهم . (٢) شىء لا يملكه فيتحسر ، ولا ثواب له . (٣) لبس النعل .
(٤) أى أحاطت به ، أكنافها : أجنحتها . (٥) دعت له . (٦) الخلل فى الحائط والشق وغيره .

خلاصة معنى باب العلم وطلبه والاستدلال بفضله بالآيات القرآنية

قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على التفقه فى الدين ، وهذا الخير نفسه ــ والفقه تفهم مسائل الدين ، من صلاة وصوم ومعاملة ونكاح ، وعلوم الشريعة ،وثمرته الزهد فى الدنيا ، والورع ،واجتناب الشبه والإكثار من العمل الصالح والعبادة ، والفقيه قدوة حسنة ، ومثل كامل ، وعنوان المكارم ،وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) وفى سورة فاطر : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) لأن العلم أرشدهم إلى كمال قدرته وبديع صفاته فزادوه هيبة وإجلالا ، وقد شبه الله جل وعلا العالم بالبصير والسميع والجاهل بالأعمى والأصم ، ونفى المساواة بينهما ، فقال جل شأنه فى سورة هود : (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) وفى سورة فاطر : (ومايستوى

رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، وليس عندهم : موت العالم إلى آخره

الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) فهناك فرق شاسع . وقد شبه الله تعالى العلم بالنور والجهل بالظلمات ونفى الفرق بينهما كما لا يستوى الظل الذى ينتفع به بالحرور الذى يتضرر به ، وكذلك لا يستوى الأحياء بنور العلم ولا الأموات الذين غفلت قلوبهم عن الله ونسوا الله فنسيهم وعصوا الله فأمات قلوبهم فلا يتأثرون بالمواعظ ولا يعملون بتعاليم الله ورسوله . وانظر رعاك الله إلى بيان درجة العلماء وزيادة شرفهم عند الله جل وعلا ، إذ ذكرهم بعد ملائكته الأبرار قال تعالى فى سورة آل عمران (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) اعترف العلماء مع الملائكة أن الله واحد فعبدوه بحق ودعوا الناس إلى طاعته . والإخلاص إليه فى العمل ، والالتجاء إليه فى الأمور ، ونبذ ماسواه ، والتوكل عليه وحده فهو الفعال. على أن العلماء شهداء مع الله على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى فى سورة الرعد (قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) أقروا بالرسالة وتركوا الجهالة ، وسفهوا العاصين : ووبخوا الكافرين .

والعلماء فى كل زمان ومكان قادة وسادة يردون الناس إلى الله ويدعون إليه ويبعدونهم عن الفسوق ويقولون الحق ـ وقد حكى الله عن قارون وماله وكبريائه ، وافتتان الناس به ، ومنع العلماء التمنى مثله ـ فقال جل شأنه فى سورة القصص (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) هذه وظيفة العلماء يرشدون الجاهل ويردون الضال ، قال تعالى فى سورة النساء (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) إشارة إلى أن العلماء ورثة الأنبياء فى توضيح المبهم ، وإضاءة الحكم فى كشف حكم الله جل وعلا ، ودعوة الناس إلى الاستظلال بظلهم الوارف رجاء الفوز دنيا وأخرى كما قال جل شأنه (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) من سورة العنكبوت ، قال الله تعالى يعنى بكلمة العلماء الذين كمل دينهم ، وتم عقلهم فتحلوا لمكارم جماء ، واتصفوا بالمحامد عامتها ، وفيهم يقول جل شأنه فى سورة الرعد (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) .

يا أخى المسلم : تفكر قليلا فى آيات العلماء العاملين الذى أنار الله بصائرهم فأرشدوا الخلق إلى مافيه منفعتهم والعالم بالشىء كالبصير ، والجاهل به كالأعمى الذى ختم الله على قلبه فلم يستضىء بنور العلم ولم يتذكر مايضره وما ينفعه ، ولا يتذكر إلا أصحاب العقول الراجحة والبصائر المستنيرة ، وقد وصف الله العلماء أصحاب العقول الكاملة التى استخدموها فى مرضاة ربهم بصفات هى عنوان الإخلاص وشمس القبول ودليل التوفيق . ولن تجد أحسن منها :

١ ــ الوفاء بالعهد وعدم نقض الميثاق بإطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه وإرشاد الخلق إلى ذلك لأنهم قدوة حسنة .

٢ ــ صلة جميع الأقارب وموالاة المؤمنين ومودة الصالحين ومحبة العاملين وعدم هجرانهم .

٣ ــ خوف الله تعالى وخشيته فلا شر يقع منهم ، ولا أذى لمخلوق ، ولا ترك واجب ، ولا فعل معصية ولذا قيل : (رأس الحكمة مخافة الله) .

ورواه البيهقي واللفظ له من رواية الوليد بن مسلم حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن عثمان ابن أيمن عنه ، وسيأتي فى الباب بعده حديث أبي الردين إن شاء الله تعالى .

---

٤ — الخوف من الحساب يوم القيامة، فيجتهد العالم فى العمل الصالح وتطهير صحائفه ليتقي وينجو من الشدائد
٥ — الصبر وهو حبس النفس على المكروه وإيجاد العزيمة على احتمال المشاق فى أعمال الخير .
٦ — إقامة الصلاة فى أوقاتها تامة الأركان والشروط ويأمر أهله بها ويصطبر عليها .
٧ — التصدق بالمال فى السر والجهر ليدل على سماحة النفس وطهارتها من البخل وثقتها بالله المعطى .
٨ — مقابلة السيئة بالحسنة لوقف الشرور وخجل المسيء والبرهان على سعة الصبر وطهارة القلب لله فى الله . هؤلاء العلماء والمؤمنون الذين آمنوا بالله وعملوا بكتابه وسنة حبيبه سيدخلهم ربهم جنته ويتكرم عليهم برضوانه ويجمعهم هناك بالصالحين من آبائهم وأزواجهم وأمهاتهم وأولادهم ليتم أنسهم وتزيد سرورهم. يا أخي اعرض هذه الصفات على نفسك أولا ، وعلى غيرك ثانيا فمن اتصف بها ، فصاحبه وجالسه وزره وتودد إليه ، ومن لم يفعل فاقطع صحبته وتجنبه ـ وهذا لعمري مصداق قوله تعالى : (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، لهم مايشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون ـ أليس الله بكاف عبده) يقول البيضاوى هنا اللام للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين (والعلماء ورثة الأنبياء) وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو ومن اتبعه اه أى من الذين أقبلوا على العلم فهذبوا نفوسهم فوصلوا الى ربهم بالتقوى والعمل الصالح ، ويرشد إلى ذلك قول الله تبارك وتعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) من سورة سبأ .

خلاصة باب فضل العلم

فأنت ترى أن تعليم العلم هو الخير كله ، وذلك بالذهاب إلى العلماء والبحث عن دقائقه وهو سبب الخشية والقرب منه جل وعلا وتمام الثقة به ، وفيه الهداية والإلهام الى الرشد وتنوير القلب ويدعو إلى الورع ويبعد عن الفتن والكبرياء والخيلاء والإعجاب وطالبه يسلك طريق الجنة وكذا من ساعده وأمده وأعانه ، واجتماع قوم لدراسة القرآن سبب رحمة الله وفيضه وغوثه ، هذا إلى أن كل شيء يطلب المغفرة للعالم العامل بعلمه .
والعلم عنوان العز ومعين البر ، وباب العلا ، ونور الحق ، والخل الوفى ، والصاحب الصديق الموصل فى الجنة إلى جوار الأنبياء والشهداء الجارى ثوابه مدى الحياة وبعد الممات ، وهو خير مكتسب ، وأعظم مطلب ، يهدى إلى الحق ، ويزيل الأذى، وطلبه أفضل من صلاة النافلة وطالبه كأرض مخصبة وشجرة مثمرة ، والجاهل كالصحراء لا فائدة منه . والعالم يشفع فيمن يحب له الخير يوم القيامة ، والله وعد ألا يعذبه ، وهو عدو ألد للشيطان يهدم بنيانه ويسفه رأيه ويحارب أنصاره ويحذر الناس من غوايته ويطلب من الناس أن ينتفعوا بميراث محمد صلى الله عليه وسلم وهو اتباع الكتاب والسنة ، وخير العلم ماقربك إلى ربك ، وشره السفسطة والجدل والإلحاد والزندقة ، وإن موت العالم خسارة على الأمة ، وخلل فى بنيانها ، وكوكب غاب فى سمائها.
أسأل الله أن يعلمنا فنعمل ويوفقنا فنسعد إنه قدير .

الترغيب فى سماع الحديث وتبليغه ونسخه

والترهيب من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ(١) أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال: رَحِمَ اللهُ امْرَأً. وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

[قوله نضر] هو بتشديد الضاد المعجمة وتخفيفها حكاه الخطابى، ومعناه الدعاء له بالنضارة، وهى النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره: جمله الله وزينه، وقيل غير ذلك.

٢ - وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً(٣) فَبَلَّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ(٤) إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ(٥) ثَلَاثٌ: لَا يُغِلُّ(٦) عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ(٧) الْعَمَلِ لِلهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ(٨) وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ(٩)، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ(١٠)،

---

(١) وقع عليه التبليغ أى بلغه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أحفظ، وأيقظ، وأفقه ممن سمعه.

(٢) فاعل السمع: أى قد يكون الذى بلغه الحديث ووصلته الحكمة ممن سمعها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعى وأحفظ وأيقظ — وفيه أن المرء إذا سمع مسألة علم نشرها ولم يكتمها ويبلغها الى غيره ليصل بها ويستنتج منها مسائل الفقه — ورب تفيد التقليل والتكثير — فالسامع لا يتأخر فى تبليغ العلم الى من هو أعلم منه فى نظره رجاء أن يكون المبلغ معتنيا، ومتفقها أكثر من السامع والله أعلم.

(٣) قولا أوصله إلى الناس. (٤) يمكن أن يكون حامل علم يحتاج الى فهم فيبلغه الى من هو أكثر منه فهما، وذكاء، ودقة، وأكثر علما منه ـ فالفقه التبحر فى مسائل الدين، ولعل من سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقله إلى غيره زائد العلم، كثير البحث، فهامة، علامة، بحاثة، فلابد من تبليغ العلم مهما كانت حال ناقله. (٥) قد يكون سامع الحكمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولم يفهم ما سمعه فيبقاه كما هو لينال الأجر بنشر العلم. (٦) أغل الرجل: خان رباعى مضارعه يغل من الإغلال، ويروى يغل بفتح الياء من الغل وهو الحقد والشحناء: أى لا يدخله حقد يزيله عن الحق، ويروى يغل بالتخفيف من الوغول: الدخول فى الشر. والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة، والدغل، والشر، وعليهن فى موضع الحال تقديره لا يغل كائنا عليهن قلب مؤمن: اهـ نهاية ص ١٦٨ ج ٣. (٧) فعل العمل الصالح رجاء ثواب الله.

(٨) أن تمنع أصحاب الأمر والنفوذ من المعاصى وترشدهم إلى ما يرضى الله، وتزجرهم إن أساءوا وظلموا

(٩) أن تتمسك بالسنة، وتقتدى بالسلف الصالح، وتتبع إجماع الأمة، وتحافظ على اتباع الجماعة ووحدتها ودعوتها لى ... (١٠) مستجابة وتشمل بركتها من اتبعهم، وتحفظ المقتدين. وفى نسخة من ورائهم.

وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ[١] فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ[٢]، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ[٣] جَمَعَ اللهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ[٤]. رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى بتقديم وتأخير، وروى صدره إلى قوله: لَيْسَ بِفَقِيهٍ: أبو داود والترمذى وحسنه، والنسائى وابن ماجه بزيادة عليهما.

٣ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَسْجِدِ الْخَيْفِ مِنْ مِنًى فَقَالَ: نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، ثُمَّ ذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، أَلَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ[٥]، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، الحديث. رواه الطبرانى فى الأوسط.

٤ — وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِالْخَيْفِ (خيف منى) يَقُولُ: نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ. ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ. رواه أحمد وابن ماجه والطبرانى فى الكبير مختصرا ومطولا إلا أنه قال تحيط[٦] بياء بعد الحاء، رووه كلهم عن محمد بن إسحق عن عبد السلام عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، وله عند أحمد طريق عن صالح بن كيسان عن الزهرى وإسناد هذه حسن.

---

(١) غاية قصده فى كده وكدحه ويبخل فى تشييد الصالحات من ثمرة عمله.

(٢) شتت عمله، وأقلق مضاجعه، وزاده هما فى طلبها، وغما فى جمعها، وأخذ منه القناعة وسلط عليه الشره والجشع، فمهما نال منها لم يشبع. (٣) طلبه فعل الصالحات لله يزيل الله عسره ويقضى حاجته بسهولة ويهب له الرضا والسعادة والقناعة، ويبارك له فيما أعطى، وتذلل له أموره.

(٤) غضبى متسخطة لكثرة خيرات الله فيها، وكارهة مجيئها إليه، ومن أطاع الله كفاه وأعطاه.

فيه أن الإنسان يتق الله ما استطاع، ويجتهد فى إخلاص العمل ابتغاء ثوابه، ويرد الظالمين، وينصح الباغين، ويهجر الفاسقين، ويود الصالحين، ويقول الحق، ويتبع منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، ويدعو إلى الاتحاد والائتلاف، ويلازم الجماعة والشورى رجاء أن يضاعف الله له ثوابه، ويطهر قلبه من الأحقاد، ويبرأ من الخيانة والمآثم، وينطوى على حب الخير، وفعل البر، ويجتهد فى حياته فى إرضاء مولاه ولا تغره زخارف الدنيا، فيكبح جماحها، ويخشى الله وحقوقه، ويغرس للآخرة ليحيطه الله برعايته ويشمله برضوانه.

(٥) فى نسخة: ليس بفقيه. (٦) فى نسخة تحيط من ورائهم.

٥ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي. قُلْنَا يا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرْوُونَ أَحَادِيثِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ. رواه الطبراني في الأوسط.

٦ — وَعَنْ أَبِي الرُّدَيْنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ عَلَى كِتَابِ اللهِ يَتَعَاطَوْنَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا كَانُوا أَضْيَافًا لِلَّهِ[1] وَإِلَّا حَفَّتْهُمُ[2] الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يَقُومُوا، أَوْ يَخُوضُوا[3] فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، وَمَا مِنْ عَالِمٍ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ عِلْمٍ[4] مَخَافَةَ أَنْ يَمُوتَ، أَوِ انْتِسَاخِهِ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرَسَ[5] إِلَّا كَانَ كَالْغَازِي الرَّائِحِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ يُبْطِئْ بِهِ[6] عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ. رواه الطبراني في الكبير من رواية إسمعيل بن عياش.

٧ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. رواه مسلم وغيره، وتقدم هو وما ينتظم في سلكه، ويأتي له نظائر في نشر العلم وغيره إن شاء الله تعالى.

[قال الحافظ] وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به لهذا الحديث وأمثاله، وناسخ غير النافع مما يوجب الإثم عليه وزره ووزر من قرأه، أو نسخه، أو عمل به من بعده ما بقي خطه، والعمل به لما تقدم من الأحاديث: من سنّ سنة حسنة أو سيئة، والله أعلم.

٨ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ صَلَّى[7]

(١) طالبين رحمته، منتظرين إكرامه، وهو تعالى كريم (من آوى إلى الله آواه).
(٢) أحاطت بهم ملائكة الرحمة يدعون لهم ويستغفرون لهم. (٣) يتحدثوا.
(٤) يبحث عن فقه مسألة خشية أن يفنى أثرها. (٥) ينقل مسائل العلم ليحفظها خشية أن تمحى، ويعطى الله أجر هذا الطالب كالمجاهد لنصر دين الله الغازي.
(٦) يقال من بطأ به وأبطأ به بمعنى: أي من أخره عمله السيء، وتفريطه في العمل الصالح في الدنيا لم ينفعه في الآخرة شرف النسب. يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل ميزان القبول والإكرام في الآخرة العمل الصالح الذي دعا إليه الدين، وأمر به الشرع، ويقلل من غرور الذين اعتمدوا على جاههم وزهوا بنسبهم، وقصروا في حقوق الله، فباءوا بالخزي والخسران.
(٧) أثناء كتابة اسمه، أو صفة من صفاته كتب صلى الله عليه وسلم أو عليه الصلاة والسلام، أو أي صيغة تعظيم كافأه الله بزيادة الأجر وتستمر ملائكة الرحمة تطلب من الله المغفرة مدة وجود هذه الصلاة — وفيه كبار المسلمين من تعظيم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا مر عليهم اسمه صلى الله عليه وسلم

عَلَيَّ فى كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَادَامَ اسْمِي فِي ذَٰلِكَ الْكِتَابِ. رواه الطبرانى وغيره ، وروى من كلام جعفر بن محمد موقوفاً عليه ، وهو أشبه .

٩ — وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ . رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وهذا الحديث قد روى عن غير واحد من الصحابة فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر ، والله أعلم .

١٠ — وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ[١] فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ[٢] . رواه مسلم وغيره .

١١ — وَعَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا[٣] فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ[٤] مِنَ النَّارِ . رواه مسلم وغيره .

أو ذكرت صفة من صفاته عليه الصلاة والسلام صلوا عليه وقرنوا سيرته بالإجلال والاحترام — وأرى من نقص الثواب كتابة (ص) عند ذكر شيء من سيرته العطرة أو شذى عرفه ، فليتنبه مؤلفو هذا العصر لهذا الحديث وليكثروا من ذكر الصلاة عليه ، فذكره صلى الله عليه وسلم عبادة لله ، وطاعة للرب ، ودعاء مستجاب ، وقول عذب، بذكره تشفى القلوب ، وتفرج الكروب ، ويزول العسير ، وتنزل الرحمة ، ويسعد العباد وتعم البركة ، ويكثر الخير ، ويزداد الرزق .

(١) يعلم أنه مختلق ، ويتحقق أنه غير الواقع ، ونسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً — هذا واحد من أولئك الكذابين المجرمين الفاسقين الذين يغيرون معالم الحق وينشرون الباطل .

(٢) فى نسخة : الكذابين . (٣) قاصداً الكذب والافتراء .

(٤) فليأخذ مكانه : يحذر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يقولوا كلاماً على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقله ، ويطلب منهم البحث عن صحيحه ، والتحرى عن أقواله المنسوبة إليه ، والاستضاءة بما محصه العلماء السابقون رضي الله عنهم ، والحمد لله كتبهم مضبوطة معلومة كالشمس فى رابعة النهار : أمثال الإمام البخارى ، والإمام مسلم ، وأبى داود ، والنسائى ، والترمذى ، وابن ماجه ، والإمام مالك ، وغيرهم ممن ضربوا بجرانه وأشاروا إلى قويه وضعيفه — رضي الله عنهم ونفعنا بهم وليضرب النبي صلى الله عليه وسلم بأيد من حديد على أولئك الطغاة المتفيهقين الجهلة الذين لا يتورعون من ذكر كلام ينسبونه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منها براء ، ولينذرهم بدخول جهنم وبئس القرار ، وليلجم أفواههم رجاء ألا يقولوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا الحق ، ويؤكد صلى الله عليه وسلم أن الكذب عليه مضر ، وعاقبته وخيمة ، وعقابه مضاعف ، وليس ككذب على غيره صلى الله عليه وسلم لأنه معصوم من الأخطاء ، ولا ينطق عن الهوى ، ومشرع وناشر حكمة الله تعالى .

الترغيب فى مجالسة العلماء

١ — عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا[١] . قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قالَ : مَجَالِسُ الْعِلْمِ . رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه راوٍ لم يسمّ .

٢ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ لُقْمَانَ[٢] قالَ لِابْنِهِ يَا بُنَىَّ : عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَاسْمَعْ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ[٣] فَإِنَّ اللهَ لَيُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ . رواه الطبرانى فى الكبير من طريق عبيد الله بن زحر عن علىّ بن يزيد عن القاسم ، وقد حسنها الترمذى لغير هذا المتن ، ولعله موقوف ، والله أعلم .

٣ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ : أَىُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ ؟ قالَ : مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللهَ رُؤْيَتُهُ[٤] ، وَزَادَ فى عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ[٥] وَذَكَّرَكُمْ بِالْآخِرَةِ عَمَلُهُ[٦] رواه أبو يعلى ، ورواته رواة الصحيح إلا مبارك بن حسان .

---

(١) فاجلسوا . (٢) لقمان حكيم، وليس بنبى باتفاق الجمهور، وهو من أسرة إبراهيم الخليل عليه السلام وكان يوازر سيدنا داود ، وسئل فيم بلغت الحكمة ؟ قال بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك مالا يعنينى، وفى تفسير الجلالين : وكان يفتى قبل بعثة داود ، وأدرك بعثته ، وأخذ عنه العلم ، وترك الفتيا ، وقال فى ذلك. ألا أكتفى إذا كفيت ، وقيل له : أى الناس شر ؟ قال الذى لا يبالى إن رآه الناس مسيئاً ، اهـ .

فأنت ترى لقمان يوصى ابنه أن يحادث العلماء ، ويصاحبهم، ويلتقط دررهم، ويتفقه فى دينه ليأمن الزلل، ويشرق قلبه بنور العلم والعمل ؛ وينطق لسانه بإصابة القول ، ويستكمل النفس الإنسانية بالمحامد، واقتباس العلوم النظرية ، واكتساب الملكة التامة لايجاد الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ، ويحيا حياة طيبة كما يحيى الغيث الأرض الجدبة فتثمر ، والله أعلم .

(٣) الحكيم الذى يحكم الأشياء ويتقنها — وقيل ذوالحكمة . والحكمة : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم ، والحكم : العلم والفقه والقضاء بالعدل .

(٤) أى من إذا رأيتموه نطق لسانكم بذكر الله ، وتسبيحه ، وتحميده ، وتمجيده، وذلك لصلاحه، وورعه وتقواه ، قد وضع الله الهيبة فى قلب من أبصره، وإن لطاعة الله روعة وأنواراً يراها العارفون بالله، وقد قال تعالى فى وصف الصالحين : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم (١) فى وجوههم من أثر السجود) .

(٥) أى قوله فقهكم إلى أمور الدين ، وبدائع الشريعة .

(٦) أعمال ذلك الجليس ترشدكم إلى يوم القيامة الذى يحتاج إلى زاد ، فلابد من استغفار وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكره سبحانه وتعالى ، والمحافظة على الأوامر ، واجتناب المناهى ، واستماع القرآن ، والعمل به ، وهكذا يكون الجليس قدوة صالحة ، وأسوة حسنة رجاء الفوز بجنات النعيم، والفلاح، والرباح.

---

(١) يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة الصلاة ويرجون ثواب الله ورضاه .

الترغيب فى إكرام العلماء وإجلالهم وتوقيرهم

والترهيب من إضاعتهم وعدم المبالاة بهم

١ — عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ[1] (يعنى فى القبر) ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ، فَإِذَا أُشِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِى اللَّحْدِ . رواه البخارى .

٢ — وَعَنْ أَبِى مُوسَى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : إِنَّ[2] مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِى الشَّيْبَةِ[3] الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِى[4] فِيهِ ، وَلَا الْجَافِى عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِى السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ . رواه أبو داود .

٣ — وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قَالَ : الْبَرَكَةُ[5] مَعَ أَكَابِرِكُمْ . رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم .

٤ — وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وَسلم قَالَ : لَيْسَ مِنَّا[6] مَنْ لَمْ يُوَقِّرِ الْكَبِيرَ ، وَيَرْحَمِ الصَّغِيرَ ، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ . رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ حَقَّ[7] كَبِيرِنَا . رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم .

---

(١) حارب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى غزوة أحد سنة ثلاث هـ — ٦٢٥م ، وإذا أراد أن يدفن اثنين يقدم الذى تفقه وأخذ جزءا أكثر من القرآن — فهذا يدل على واجب إكرام أهل الفضل واحترامهم.

(٢) فى نسخة : حذف إن. (٣) تعظيم صاحب الشيبة الهرم الوقور من طاعة الله ، وكذا حامل القرآن المخلص لله غير المتشدد فيه أو المعرض عنه ، وكذا صاحب الكلمة النافذة العادل الوالى. (٤) المغالى والمجافى ، وغلا فى الأمر : تشدد فيه ، وجاوز الحد كما قال صلى الله عليه وسلم : « إياكم والغلو فى الدين وإن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » قال فى النهاية ، قيل البحث عن بواطن الأشياء ، والكشف عن عللها ، وغوامض متعبداتها ، ومنه الحديث « وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه » إنما قال ذلك لأن من أخلاقه وآدابه التى أمر بها القصد فى الأمور ، وخير الأمور أوساطها * كلا طرفى قصد الأمور ذميم * اهـ .

(٥) الخير والفضل مع من طال عمرهم وحسن عملهم وكانوا قدوة حسنة .

(٦) على طريقتنا الكاملة ، وعلى ملتنا السمحاء ، وديننا القويم . (٧) واجبه .

٦ — وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي[١] مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا[٢] . رواه أحمد بإسناد حسن ، والطبرانى والحاكم إلا أنه قال : لَيْسَ مِنَّا .

٧ — وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيُجِلَّ كَبِيرَنَا[٣] . رواه الطبرانى من رواية ابن شهاب عن واثلة ، ولم يسمع منه .

٨ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم قَالَ : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا . رواه الترمذى وأبو داود إلا أنه قال : وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا .

٩ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ[٤] وَالْوَقَارَ[٥] ، وَتَوَاضَعُوا[٦] لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

١٠ — وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي زَمَانٌ ، أَوْ قَالَ : لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتَّبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ[٧] وَلَا يُسْتَحْيَا[٨] فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ[٩] ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ[١٠] . رواه أحمد ، وفى إسناده ابن لهيعة .

---

(١) أمة الإسلام المتخلقة بآداب الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٢) واجب إكرامه . (٣) ويحترم ويكرم . (٤) الهدوء ، والتواضع ، واطمئنان النفس
(٥) الهيبة ، والكمال ، والاستقامة .
(٦) تذللوا لمن تتعلمون منه ، وأطيعوه : وعظموه ، ولا تتكبروا عليه .
(٧) أعوذ من زمن فيه يعرض الناس عن العالم الفقيه . (٨) لا يخجل الناس من معاكسة الحليم ، وتسفيه رأيه وهو صبور على كيدهم يحتمل أذاهم حياء من الله جل وعلا .
(٩) قلوب أولئك الجهلة الفسقة مظلمة خالية من خوف الله بعيدة عن العلم الصحيح الذى يدعو إلى التحلى بالآداب .
(١٠) ألسنة أولئك الزنادقة فصيحة ذربة تزين الكلام ، وتخدع القلوب ، وتجعل الباطل حقاً ، والظلام نوراً وأن النبى صلى الله عليه وسلم طلب من ربه سبحانه وتعالى ألا يلحقه زمن هؤلاء المجرمين الذين لا ينتفعون بعلم العلماء ، ولا يسمعون نصائحهم ، ولا يهتدون بهديهم ، ولا يخشون الحليم لحلمه — أو طلب أن أصحابه لا يعاصرون أولئك الأشرار المجادلين بلا حق .

١١ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: ثَلَاثٌ لَا يَسْتَخِفُّ[١] بِهِمْ إِلَّا مُنَافِقٌ: ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَذُو الْعِلْمِ، وَإِمَامٌ مُقْسِطٌ[٢]. رواه الطبراني في الكبير من طريق عبيد الله بن زحر عن عليّ بن يزيد عن القاسم، وقد حسنها الترمذي لغير هذا المتن.

١٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا مُنْذُ زَمَانٍ: إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِشْرِينَ رَجُلًا أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ فَتَصَفَّحْتَ وُجُوهَهُمْ فَلَمْ تَرَ فِيهِمْ رَجُلًا يُهَابُ[٣] فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ رَقَّ[٤]. رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن.

١٣ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ أَنْ يُكْثَرَ لَهُمْ[٥] مِنَ الدُّنْيَا فَيَتَحَاسَدُوا[٦]، وَأَنْ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكِتَابُ[٧] يَأْخُذُهُ الْمُؤْمِنُ يَبْتَغِي تَأْوِيلَهُ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ[٨] وَأَنْ يَرَوْا ذَا عِلْمٍ[٩] فَيُضَيِّعُوهُ وَلَا يُبَالُوا عَلَيْهِ. رواه الطبراني في الكبير.

الترهيب من تعلم العلم لغير وجه الله تعالى

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم: مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى[١٠] بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ[١١] بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ[١٢] عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي رِيحَهَا. رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم، وتقدم حديث أبي هريرة في أول باب الرياء وَفِيهِ: رَجُلٌ[١٣] تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

---

(١) لا يستهزئ. (٢) عادل. (٣) يحترمه الناس لعلمه وصلاحه حبا في ثواب الله عز وجل.
(٤) أي العمل بالدين قد ضعف، وقل الصلاح، وساد الفساد فاجتنب مجلسهم (٥) تكثر خيرات الدنيا لهم.
(٦) فيتمنوا زوال نعم بعضهم ويتباغضوا. (٧) أي يتناول الجهلة تفسير القرآن ويتصدوا لشرحه.
(٨) أصحاب العقول الكاملة الذين ثبتت عقائدهم في الله لله. (٩) صاحب علم برع في فهم القرآن والسنة فلا يتقربون إليه ليتعلموا، وينفذوا بلبان معارفه وفقهه. ولا يحافظون على مودته. هنا حذف النون والفاء عاطفة ولكن في نسختين مخطوطتين. فيتحاسدوا، فيضيعوه ولا يبالون. (١٠) يطلب ثواب الله تعالى.
(١١) لينال شيئا من حطام الدنيا الفاني. (١٢) لم يشم. (١٣) في نسخة: ورجل.

قالَ تعلَّمْتُ العِلْمَ وَعلَّمْتُهُ ، وَقرأْتُ فِيكَ القُرْآنَ قالَ كَذَبْتَ وَلكنَّكَ تعلَّمْتَ لِيُقالَ عَالِمٌ ، وَقرأْتَ القُرْآنَ[١] لِيُقالَ هُوَ قارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ . الحديث رواه مسلم وغيره .

٢ - وَرُوِيَ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجارِيَ[٢] بِهِ العُلَمَاءَ ، أَوْ لِيُمارِيَ[٣] بِهِ السُّفَهاءَ، وَيَصْرِفَ[٤] بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ[٥] . رواه الترمذي ، واللفظ له ، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وغيره ، والحاكم شاهداً والبيهقي ، وقال الترمذي : حديث غريب .

٣ — وَعَنْ جابِرٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لاَ تعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُباهُوا بِهِ العُلَماءَ ، وَلاَ تُمارُوا بِهِ السُّفَهاءَ ، وَلاَ تَخَيَّرُوا بِهِ المَجالِسَ ، فَمَنْ فَعلَ ذٰلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ . رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي كلهم من رواية يحيي بن أيوب الغافقي عن ابن جريج عن أبي الزبير عنه ، ويحيي هذا ثقة احتج به الشيخان وغيرهما ، ولا يلتفت إلى من شذ فيه ، ورواه ابن ماجه أيضاً بنحوه من حديث حذيفة .

٤ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُباهِيَ بِهِ العُلَماءَ ، وَيُمارِيَ بِهِ السُّفَهاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ . رواه ابن ماجه.

٥ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّم: مَنْ تعَلَّمَ العِلْمَ لِيُباهِيَ بِهِ العُلَماءَ وَيُمارِيَ بِهِ السُّفَهاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ أَدْخَلَهُ اللهُ جَهَنَّمَ . رواه ابن ماجه أيضاً .

٦ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَنْ تَعلَّمَ عِلْماً لِغَيْرِ اللهِ ،

---

(١) في نسختين : حذفها. (٢) ليجري مع العلماء، ويتظاهر ، ويحب إذاعة الصيت بعلمه، وهو لا يعمل.
(٣) يجادل ويخاصم مع السفسطة ، ومنه قول الشاعر : * ولا تمار سفيها في محاورة * .
(٤) يحول ويوجه ألسنة الناس إليه ليلهجوا بذكره ، ويتحدثوا بشقشقة لسانه ، وقوة بيانه .
(٥) لأنه يقول ولا يعمل . إن النبي صلى الله عليه وسلم يتوعد بالنار ذلك العالم الذي اتخذ العلم آلة نصب واحتيال وجمع المال واستعماله في الرياء ، والنفاق ، والخداع ، والمباهاة ، وجدال الحمق بلا إقناع للحق ، ولا كشف غامض ولإزالة مبهم في أمور الدين : وويل لمن يتخير المجالس فيختار الأغنياء ويهجر الفقراء .

أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللهِ فَلْيَتَبَوَّأْ(١) مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ . رواه الترمذى وابن ماجه كلاهما عن خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ، ورجال إسنادهما ثقات .

٧ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ نَاساً مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِى الدِّينِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ نَأْتِى الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا ، وَلاَ يَكُونُ ذٰلِكَ كَمَا لاَ يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلاَّ الشَّوْكُ كَذٰلِكَ لاَ يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلاَّ (قال ابن الصباح كأنه يعنى) الْخَطَايَا(٢) . رواه ابن ماجه ، ورواته ثقات .

٨ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ(٣) الْكَلاَمِ لِيَسْبِيَ(٤) بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، أَوِ النَّاسِ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفاً(٥) وَلاَ عَدْلاً(٦) . رواه أبو داود .

[قال الحافظ] ويشبه أن يكون فيه انقطاع فان الضحاك بن شرحبيل ذكره البخارى وابن أبى حاتم ولم يذكروا له رواية عن الصحابة ، والله أعلم .

٩ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ(٧) يَرْبُو(٨) فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَهْرَمُ(٩) فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَتُتَّخَذُ سُنَّةً(١٠) ، فَإِنْ غُيِّرَتْ يَوْماً ، قِيلَ هٰذَا مُنْكَرٌ(١١) . قَالَ وَمَتَى ذٰلِكَ ؟ قَالَ إِذَا قَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ ، وَتُفُقِّهَ(١٢) لِغَيْرِ الدِّينِ ، وَالْتُمِسَتْ

---

(١) فليأخذ : أى عله جلب عليه العذاب لأنه لم يخش الله فى تعليمه واشترى به عرض الدنيا .

(٢) يشير صلى الله عليه وسلم إلى من تعلم لينال مركزا عند الحكام، ويكسب منهم مالا ، أو جاها، ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك لأن هذا الحطام (مهما كثر) فان ، بل لا يجتنى خير من قربهم كما لايجتنى من شجر القتاد إلا الشوك ثم أخبر صلى الله عليه وسلم أن قربهم سبب كثرة الذنوب. (٣) تزيينه بالزيادة فيه.

(٤) ليأسر . توبة وحيلة أو نافلة . (٦) فدية أو فرضاً ، أى لا يقبل الله منه فرضاً أو نفلا .

(٧) أمور تخالف الدين. (٨) ينمو. (٩) تسكر سنه. (١٠) طريقاً ينهج عليها الجمهور، ويتبعها المسلمون ، وهى تخالف الشرع . (١١) إن وضح الحق فيها وقيض الله لها من يزيلها أجاب الناس أن هذا منكر — مع أنهم ضلال وباطل، والعدل تغييرها ليرضى الله ورسوله، ثم أرشد صلى الله عليه وسلم إلى زمن وجود هذه الفتن والمحن ، إنما قل أمناء العلم العاملون ، وعمت الخيانة والجهالة ، وقل الفقهاء الذين يفهمون أسرار دين الله وينطقون بالحق ولايخشون غيرالله ، ويزيلون المنكر ويغضبون للحق ، وكثر حاملو القرآن غير العاملين بأوامره الذين لا ينتفعون به ويقرءونه فى مواطن الشبه ، وأماكن الفسق ، ومجالس اللهو واللعب .

(١٢) أصبح تعليم الفقه لغير الدين ، ولغير العمل به ، بل يتخذ سخرية وجدالا، ويطلب للوظائف، ويكون المتصفون بالعلم أسبق الناس إلى هدم مبادئه، وأسرع الناس إلى المعاصى ، وهنالك تزول الثقة بين العالم ، ومن يريد أن يتعلم وتتصف القيادة بالضعف والخمول والشك .

الدُّنيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ(١) . رواه عبد الرزاق فى كتابه موقوفاً .

١٠ — وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِتَناً تَكُونُ فى آخِرِ الزَّمَانِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَتَي ذٰلِكَ يَاعَلِيُّ ؟ قَالَ إِذَا تُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ ، وَتُعُلِّمَ الْعِلْمُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ . رواه عبد الرزاق أيضاً فى كتابه موقوفاً ، وتقدم حديث ابن عباس المرفوع وفيه : وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْماً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعاً ، وَشَرَى بِهِ ثَمَناً فَذٰلِكَ يُلْجَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ هٰذَا الَّذِي آتَاهُ اللهُ عِلْماً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعاً ، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَناً وَكَذٰلِكَ حَتَّي يَفْرُغَ الْحِسَابُ .

الترغيب فى نشر العلم والدلالة على الخير

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَداً صَالِحاً(٢) تَرَكَهُ ، أَوْ مُصْحَفاً وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتاً لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهَراً أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِى صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ رواه ابن ماجه باسناد حسن والبيهقي ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه .

٢ — وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ : وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا ، وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ . رواه ابن ماجه باسناد صحيح ، وتقدم حديث أبى هريرة : إِذَا مَاتَ

---

(١) يتزيا طالبو الدنيا بالصلاح والتقوى ؛ وينادون بالإرشاد إلى العمل الصالح ، رجاء كسب المال من وجوه الخداع والمكر والغش .

يريد النبى صلى الله عليه وسلم أن يرهب العلماء حتى تتجه سفينة التعليم لوجه الله ، فلا جدال يضيع حقا ، ولا شره ، ولا جشع فى الكد فى الدنيا ، فالمال زائل ولا رياء فى تعليمه ، رجاء حسن الثواب ، ولأجل أن يسلم العالم من العذاب يتق الله فى إرشاده ويعمل بقوله وينصح الأمراء والحكام ويدعوهم إلى العمل الصالح ، ولا يميل إلى هداياهم ؛ ولا يتقرب إليهم إلا بمقدار العظة والاعتبار .

فالعالم لا يقف على أبواب السلاطين ، بل الملوك تلجأ إلى أبواب العلماء ، ويرشد النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى اتباع الكتاب والسنة ، خشية أن يسود الجهل وتعم الفوضى ، فيأتى زمان يعد الناس القبيح حسناً والباطل حقاً ، ولا يجد أهل الحق نصيراً ، والله أعلم .

(٢) أرى من هذا الوصف (صالحاً) أن بر الوالدين وإكرامهما والدعاء لهما سبب الهداية وعنوان الصلاح والفلاح ومعين التقوى .

ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ . رواه مسلم .

٣ — وَرُوِيَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَاتَصَدَّقَ النَّاسُ بِصَدَقَةٍ مِثْلِ عِلْمٍ يُنْشَرُ(١) . رواه الطبرانى فى الكبير وغيره.

٤ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الْعَطِيَّةُ كَلِمَةُ حَقٍّ(٢) تَسْمَعُهَا ، ثُمَّ تَحْمِلُهَا إِلَى أَخٍ لَكَ مُسْلِمٍ فَتُعَلِّمُهَا إِيَّاهُ . رواه الطبرانى فى الكبير ، ويشبه أن يكون موقوفاً .

٥ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الْأَجْوَدِ الْأَجْوَدِ(٣) ، اللهُ الْأَجْوَدُ الْأَجْوَدُ ، وَأَنَا أَجْوَدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَأَجْوَدُكُمْ مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ عَلَّمَ عِلْماً فَنَشَرَ عِلْمَهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ ، وَرَجُلٌ جَادَ(٤) بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُقْتَلَ رواه أبو يعلى والبيهقى .

٦ — وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْعَشُ لِسَانُهُ حَقًّا يُعْمَلُ بِهِ بَعْدَهُ إِلاَّ جَرَى لَهُ أَجْرُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ وَفَّاهُ اللهُ ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه أحمد باسناد فيه نظر ، لكن الأصول تعضده .

[قوله ينعش] أى يقول ويذكر .

٧ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ : رَجُلٌ مَاتَ مُرَابِطاً(٥) فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَرَجُلٌ عَلَّمَ عِلْماً فَأَجْرُهُ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا عُمِلَ بِهِ ، وَرَجُلٌ أَجْرَى صَدَقَةً فَأَجْرُهَا لَهُ مَاجَرَتْ ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَداً صَالِحاً يَدْعُو لَهُ . رواه الإمام أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط ، وهو صحيح مفرقاً من حديث غير ما واحد من الصحابة رضى الله عنهم .

---

(١) سواء أكان العلم بطريق الإرشاد والوعظ أو بطريق التأليف والنشر .

(٢) مسألة علم ، أو حكمة ، أو كلمة خير وبر يستفيد منها أخوك المسلم .

(٣) الأخير الأفضل الذى بذل قصارى جهده فى تعليم العلم النافع الموصل الى رضوان الله ، وأمة أى فرداً محترماً مبجلا مضاعف الثواب ، والله الأكرم .

(٤) يحارب فى سبيل نصر دين الله ، لأنه نصر الحق ، ورفع لواء العدل ، وهدى الى الصواب ، وأزال الشبه والإبهام .

(٥) مقيماً فى مكان الغزو ليحارب فى سبيل رفعة الدين .

فصـــل

٨ ــ وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ بَدْرِيٍّ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لِيَسْتَحْمِلَهُ(١) فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ أُبْدِعَ بِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ائْتِ فُلاناً فَأَتَاهُ فَحَمَلَهُ . قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ ، أَوْ قالَ عَامِلِهِ. رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

[قوله] أبدع بي : هو بضم الهمزة وكسر الدال : يعني ظلعت ركابي ، يقال أبدع به إذا كلت ركابه أو عطبت وبقي منقطعاً به .

٩ ــ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَهُ فَقَالَ : مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَهُ ، وَلَكِنِ ائْتِ فُلاناً فَأَتَى الرَّجُلَ(٢) فَأَعْطَاهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ ، أَوْ عَامِلِهِ . رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه البزار مختصراً : الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث سهل بن سعد .

١٠ ــ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ، وَاللهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ(٣) . رواه البزار من رواية زياد بن عبد الله النميري وقد وثق ، وله شواهد .

١١ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً . رواه مسلم وغيره ، وتقدم هو وغيره في باب البداءة بالخير .

---

(١) ليطلب منه أن يركب دابة . (٢) قصد الرجل فلاناً فأركبه .

(٣) المستغيث : الذي وقع في مصيبة .

يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحث على إذاعة العلم ، والإرشاد إلى عمل الخير ليجد الإنسان بعد موته كنزاً باقياً من الثواب الخالد ، والنعيم المقيم ، ويدعو العلماء إلى تدوين بحوثهم ، ونشر علومهم بالكتب ليعم نفعها ، ويعظم أثرها مدى الحياة وبعدها ، ويرغب في بذل النصيحة ، والاستشارة ، والأمر بالمعروف ، والدلالة على الخير .

١٢ – وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) قالَ: عَلِّمُوا أَهْلِيكُمُ الْخَيْرَ. رواه الحاكم موقوفاً وقال صحيح على شرطهما.

الترهيب من كتم العلم

١ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ. رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقي، ورواه الحاكم بنحوه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفى رواية لابن ماجه قال: مَامِنْ رَجُلٍ يَحْفَظُ عِلْماً فَيَكْتُمُهُ إِلاَّ أُتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَلْجُومًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ.

٢ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ كَتَمَ عِلْماً[1] أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ. رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال صحيح لا غبار عليه.

٣ – وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَماً بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ، وَمَنْ قَالَ فِى الْقُرْآنِ بِغَيْرِ[2] مَا يَعْلَمُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَماً بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ. رواه أبو يعلى، ورواته ثقات محتج بهم فى الصحيح، ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بسند جيد بالشطر الأول فقط.

٤ – وَرُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ كَتَمَ عِلْماً مِمَّا يَنْفَعُ اللهُ بِهِ[3] النَّاسَ فِى أَمْرِ الدِّينِ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ. رواه ابن ماجه.

[قال الحافظ] وقد روى هذا الحديث دون قوله مما ينفع الله به عن جماعة من الصحابة غير من ذكر: منهم جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله ابن مسعود، وعمرو بن عبسة، وعلى بن طلق وغيرهم.

---

(١) لم ينشره للناس عذب بوضع لجام من نار فى فمه. (٢) أوله بغير علم، وتجرأ على تفسيره، وهو جاهل لا يفقه. (٣) من كل علم يفيد الناس فى دينهم ودنياهم. كمسائل الفقه، وأمور الشرع والمعاملة.

٥ — وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِذَا لَعَنَ(١) آخِرُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا فَمَنْ كَتَمَ حَدِيثاً فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللهُ(٢).

رواه ابن ماجه وفيه انقطاع ، والله أعلم .

٦ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ بِهِ كَمَثَلِ الَّذِي يَكْنِزُ الْكَنْزَ ثُمَّ لَا يُنْفِقُ مِنْهُ(٣).

رواه الطبراني في الأوسط ، وفي إسناده ابن لهيعة .

٧ — وَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَأَثْنَى عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً ، ثُمَّ قَالَ : مَا بَالُ(٤) أَقْوَامٍ لَا يُفَقِّهُونَ جِيرَانَهُمْ ، وَلَا يُعَلِّمُونَهُمْ ، وَلَا يَعِظُونَهُمْ ، وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ وَلَا يَنْهَوْنَهُمْ ، وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ ، وَلَا يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا يَتَّعِظُونَ . وَاللهِ لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ ، وَيُفَقِّهُونَهُمْ ، وَيَعِظُونَهُمْ ، وَيَأْمُرُونَهُمْ ، وَيَنْهَوْنَهُمْ ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ ، وَيَتَفَقَّهُونَ ، وَيَتَّعِظُونَ أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ : قَوْمٌ مَنْ تَرَوْنَهُ عَنَى(٥) بِهٰؤُلَاءِ ؟ قَالَ : الْأَشْعَرِيِّينَ هُمْ قَوْمٌ فُقَهَاءُ ، وَلَهُمْ جِيرَانٌ جُفَاةٌ مِنْ أَهْلِ الْمِيَاهِ(٦) وَالْأَعْرَابِ(٧) فَبَلَغَ ذٰلِكَ الْأَشْعَرِيِّينَ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ قَوْماً بِخَيْرٍ ، وَذَكَرْتَنَا بِشَرٍّ فَمَا بَالُنَا ؟ فَقَالَ : لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ ، وَلَيَعِظُنَّهُمْ ، وَلَيَأْمُرُنَّهُمْ ، وَلَيَنْهَوُنَّهُمْ ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ ، وَيَتَّعِظُونَ وَيَتَفَقَّهُونَ أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ أَنُفَطِّنُ(٨) غَيْرَنَا فَأَعَادَ قَوْلَهُ عَلَيْهِمْ فَأَعَادُوا قَوْلَهُمْ ، أَنُفَطِّنُ غَيْرَنَا . فَقَالَ ذٰلِكَ أَيْضاً ، فَقَالُوا أَمْهِلْنَا(٩) سَنَةً فَأَمْهَلَهُمْ

---

(١) إذا أساء وذم آخر هذه الأمة بأن عصوا الله ، وزاد فسقهم وطغيانهم . وبلغت الجرأة بذم السلف الصالح

(٢) من الحق ، وهنا يجب إرشاد العلماء ورد السفهاء ؟ وبذل العلم الصحيح لترجع الغواة المنافقون ، والكتمان هنا كبيرة . (٣) يشبه النبي صلى الله عليه وسلم العالم الذي لا يعلم الناس كالكنز الذي لا يتمتع بالإنفاق منه . وفيه الدعوة إلى التعليم . (٤) ماشأن . (٥) قصد وأراد . (٦) رواد الأرض الخصبة .

(٧) سكان البادية . (٨) أنفهم ونوقظ .

(٩) أعطنا مهلة : سبب الإمهال أن يفقهوهم : أي والله إن أمهلوا سنة لقاموا بالإفهام ، وأجابوا داعي الرسول صلى الله عليه وسلم — فاللام هنا للقسم .

ينذر صلى الله عليه وسلم الأشعريين ، ويوعدهم بالعذاب إن لم يفقهوا جيرانهم كما أنه أوعد هؤلاء الجيران أن يذهبوا إلى العلماء ليتعلموا ، وإلا وقع عليهم العذاب الأليم .

سَنَةً لِيُفَقِّهُوهُمْ ، وَيُعَلِّمُوهُمْ ، وَيَعِظُوهُمْ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ هَٰذِهِ الآيَةَ : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) الآية.

رواه الطبرانى فى الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة .

٨ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : تَنَاصَحُوا[١] فى الْعِلْمِ ، فَإِنَّ خِيَانَةَ أَحَدِكُمْ فى عِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فى مَالِهِ ، وَإِنَّ اللهَ مُسَائِلُكُمْ .

رواه الطبرانى فى الكبير أيضاً ، ورواته ثقات إلا أن أبا سعيد البقال ، واسمه سعيد بن المرزبان فيه خلاف يأتى .

ثم تلا صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) أى لعنهم الله فى الزبور والإنجيل على لسانهما ؛ وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم الله تعالى على لسان داود ، فسخهم الله تعالى قردة . وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عيسى عليه السلام عليهم ولعنهم فأصبحوا خنازير ، وكانوا خمسة آلاف رجل ، قال تعالى يبين سبب هذا العقاب : (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) أى لاينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه — فالله الله أيها العلماء إن عليكم حقوق الجار أن تعلموا جيرانكم ، وتمهدوا عملهم رجاء أن يوافق الشرع عسى الله أن يرحمنا ، ويزيل عنا الأذى ، وقال تعالى فى سورة البقرة فى الترهيب من كتمان العلم . (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وإن الله يرشد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ، وكذا من اتبعه فى سورة يوسف : (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) ويهدد سبحانه العلماء المقصرين فى الوعظ فى سورة البقرة بقوله تبارك وتعالى (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد) وقال تعالى فى سورة آل عمران (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) وقال تعالى فى سورة النحل : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) .

فهذا تصريح بعاقبة العلماء إن لم يقوموا بواجب النصح والإرشاد ، بل أمر جل شأنه السيدات المهذبات العالمات أن يقمن بالتذكير : (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا) من سورة الأحزاب . إن أكثر المصائب التى أحاطت بالمسلمين من جراء المعاصى ، وضياع حقوق الله ، من زكاة من صلاة ، من صيام ، من حج ، من أوامر أهملت ، وبدع نشرت — فمتى يرجع المسلمون إلى ربهم ويعملون عملا صالحا — إن أمامهم القرآن والسنة ، وقد تبين الرشد من الغى ، فلا عذر لجاهل ، أو مقصر : كل شاة برجلها معلقة .

(١) ابذلوا النصيحة فيرشد العالم الجاهل ويهديه إلى الحق ، وإن إنكار الإرشاد خيانة أشد فى العقاب من سرقة المال. نسأل الله السلامة، وفيه حث الزارع والصانع، والتاجر، والسيدة على بذل النصيحة ، وذكر مايعلم من طرق الخير لأخيه المسلم والمسلمة . قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) .

الترهيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه ويقول ولا يفعله

١ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا. رواه مسلم والترمذى والنسائى، وهو قطعة من حديث.

٢ - وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: يُجَاءُ[1] بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[2] فَيَدُورُهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَتَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَافُلاَنُ مَاشَأْنُكَ، أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ. قالَ وَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ[3] مِنْ نَارٍ، قُلْتُ مَنْ هٰؤُلاَءِ يَاجِبْرِيلُ؟ قَالَ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ. رواه البخارى ومسلم واللفظ له، ورواه ابن أبى الدنيا وابن حبان والبيهقى من حديث أنس، وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى رواية لهما: وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلاَ يَعْمَلُونَ بِهِ.

[قال الحافظ] وسيأتى أحاديث نحوه فى باب من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله.

٣ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: الزَّبَانِيَةُ أَسْرَعُ إِلَى فَسَقَةِ الْقُرَّاءِ[4] مِنْهُمْ إِلَى عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَيَقُولُونَ يُبْدَأُ بِنَا قَبْلَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ لَيْسَ مَنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لاَ يَعْلَمُ. رواه الطبرانى وأبو نعيم، وقال غريب من حديث أبى طوالة، تفرّد به العمرى عنه، يعنى: عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الزاهد.

[قال الحافظ] رحمه الله: ولهذا الحديث مع غرابته شواهد، وهو حديث أبى هريرة الصحيح: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْعُواللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ قَارِئٌ. وفى آخره

(١) يحضر زبانية جهنم العالم غير العامل. (٢) أمعاؤه تخرج من بطنه، ويمر عليها كما يدور الحمار برحاه، ويراه أهل المحشر لفضيحته والاستهزاء به. (٣) آلات القرض والقطع. (٤) قراء القرآن غير العاملين به وكذا العلماء.

أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ : أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسْعَرُ[١] بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وتقدم لفظ الحديث بتمامه فى الرِّياء .

٤ — وَرُوِىَ عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : مَا آمَنَ[٢] بِالقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ . رواه الترمذى، وقال هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوى.

٥ — وَعَنْ أَبِى بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ[٣] حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ[٤] ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ[٥] وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟[٦] رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، ورواه البيهقى وغيره من حديث معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: مَا تَزَالُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟

٦ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَمَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟ . رواه الترمذى أيضاً والبيهقى ، وقال الترمذى حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا من حديث حسين بن قيس .

[قال الحافظ] حسين هذا : هو حنش ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وضعفه غيره ، وهذا الحديث حسن فى المتابعات إذا أضيف إلى ما قبله ، والله أعلم .

٧ — وَرُوِىَ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم: إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَنْطَلِقُونَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ بِمَ دَخَلْتُمُ النَّارَ؟ فَوَاللهِ مَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ إِلَّا بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ . رواه الطبرانى فى الكبير .

٨ — وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليهِ وَسلم :

(١) توقد وتشعل . (٢) صدق ، نفى صلى الله عليه وسلم الإيمان عن ذلك الفاسق الذى أباح ما حرم الله فى القرآن .

(٣) يقف فى المحشر . (٤) فى أى شىء أذهبه . (٥) من أى مكان جمعه . (٦) أذهب قوته .

مَامِنْ عَبْدٍ يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُهُ عَنْهَا[١] أَظُنُّهُ قَالَ : مَا أَرَادَ بِهَا . قَالَ جعفر : كان مالك بن دينار إذا حدّث بهذا الحديث بَكَى حَتَّى يَنْقَطِعَ ، ثُمَّ يَقُولُ: تَحْسَبُونَ أَنَّ عَيْنِي تَقَرُّ بِكَلَامِي عَلَيْكُمْ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلِي عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا أَرَدْتَ بِهِ ؟[٢] . رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلًا بإسناد جيد .

٩ – وَعَنْ لُقْمَانَ يَعْنِي ابْنَ عَامِرٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِنَّمَا أَخْشَى مِنْ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْعُوَنِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ فَيَقُولُ لِي يَاعُوَيْمِرُ ، فَأَقُولُ لَبَّيْكَ[٣] رَبِّ ، فَيَقُولُ مَا عَمِلْتَ[٤] فِيمَا عَلِمْتَ ؟ . رواه البيهقي .

١٠ – وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : تَعَرَّضْتُ أَوْ تَصَدَّيْتُ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ[٥] غَفْرًا ، سَلْ عَنِ الْخَيْرِ ، وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الشَّرِّ[٦] شِرَارُ النَّاسِ ، شِرَارُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّاسِ . رواه البزار ، وفيه الجليل بن مرّة ، وهو حديث غريب .

١١ – وَرُوِيَ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ . مَثَلُ الْفَتِيلَةِ[٧] تُضِيءُ عَلَى النَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا . رواه البزار .

١٢ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ ، اقْرَإِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ[٨] ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ . رواه الطبراني في الكبير وفيه شهر بن حوشب .

١٣ – وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَاحِبِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى

---

(١) هل عمل بجميع مانصح به عباد الله في خطبته .

(٢) أي شيء قصدت بكلامك ياهذا . (٣) إجابة بعد إجابة . (٤) أي شيء عملته بعلمك .

(٥) يارب استر ذنوبنا ، اسأل عن الخير .

(٦) الأذى والضر ، أي المجرمون الأشرار ، أولئك العلماء الذين اتخذوا العلم آلة عاق ، وشقاق ، وإجرام وهم قوالون لافعالون وعاصون فاسقون . (٧) الذبالة : التي تغمس في الزيت لتضيء .

(٨) مدة نهيه إياك وأن تستفيد من وعظه .

نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ[1] يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ. الحديث رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن إن شاء الله تعالى .

١٤ ــ وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : كُلُّ بُنْيَانٍ وَبَالٌ[2] عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا كَانَ هٰكَذَا، وَأَشَارَ بِكَفِّهِ، وَكُلُّ عِلْمٍ وَبَالٌ[3] عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ. رواه الطبرانى فى الكبير أيضاً، وفيه هانىء بن المتوكل تكلم فيه ابن حبان.

١٥ ــ وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ رواه الطبرانى فى الصغير والبيهقى

١٦ ــ وَرُوِيَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى حَيٍّ مِنْ قَيْسٍ أُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ ، فَإِذَا قَوْمٌ كَأَنَّهُمُ الْإِبِلُ الْوَحْشِيَّةُ طَامِحَةٌ أَبْصَارُهُمْ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا شَاةٌ أَوْ بَعِيرٌ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا عَمَّارُ مَا عَمِلْتَ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْقَوْمِ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ السَّهْوَةِ[4]، فَقَالَ: يَا عَمَّارُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْهُمْ قَوْمٌ عَلِمُوا مَا جَهِلَ أُولَئِكَ، ثُمَّ سَهَوْا[5] كَسَهْوِهِمْ. رواه البزار والطبرانى فى الكبير .

١٧ ــ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنِّي لَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً : فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْجِزُهُ[6] إِيمَانُهُ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ[7] كُفْرُهُ ، وَلٰكِنْ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ مُنَافِقاً عَالِمَ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُ مَا تُنْكِرُونَ . رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من رواية الحارث وهو الأعور وقد وثقه ابن حبان وغيره .

١٨ ــ وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ[8] عَلِيمِ اللِّسَانِ . رواه الطبرانى

(١) المصباح . (٢) شر : يريد النبي صلى الله عليه وسلم أنك تعمل على قدر الحاجة ، والزائد تسأل عن شكر هذه النعمة ، فالقصور، والضيعات ، وكثرة المال فتنة إن لم يقم صاحبها بواجب الإنفاق، والصدقات، ومساعدة مشروعات الخير . (٣) ضر : يسأل الله عنه . (٤) التقصير والغفلة . (٥) نسوا وبعدوا عن الصالحات . (٦) يمنعه الإيمان بالله عن الوقوع فى المعاصى خشية من الله . (٧) يزجره بضم الجيم وفتحها . (٨) مذبذب ؛ ومراء، وخداع ، وكذاب استعمل العلم فى النفاق ، وكسب الحرام .

فى الكبير والبزار ، ورواته محتج بهم فى الصحيح، ورواه أحمد من حديث عمر بن الخطاب.

١٩ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَكُونُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ قَلْبُهُ مَعَ لِسَانِهِ سَوَاءً، وَيَكُونَ لِسَانُهُ مَعَ قَلْبِهِ سَوَاءً وَلَا يُخَالِفُ قَوْلُهُ عَمَلَهُ ، وَيَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ(١) . رواه الأصبهانى بإسناد فيه نظر.

٢٠ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : إِنِّي لَأَحْسِبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَمَا تَعَلَّمَهُ لِلْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا(٢). رواه الطبرانى موقوفاً من رواية القاسم بن عبد الرحمن ابن عبد الله عن جده عبد الله ولم يسمع منه ، ورواته ثقات .

٢١ ــ وَعَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَاذَانَ قَالَ : نُبِّئْتُ(٣) أَنَّ بَعْضَ مَنْ يُلْقَى فِى النَّارِ تَتَأَذَّى أَهْلُ النَّارِ بِرِيحِهِ ، فَيُقَالُ لَهُ وَيْلَكَ(٤) مَا كُنْتَ تَعْمَلُ(٥) مَا يَكْفِينَا مَا نَحْنُ فِيهِ(٦) مِنَ الشَّرِّ حَتَّى ابْتُلِينَا بِكَ ، وَبِنَتْنِ(٧) رِيحِكَ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ عَالِمًا فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِعِلْمِي. رواه أحمد والبيهقى .

---

(١) ظلمه ، وغشمه ، ومصائبه ومكره . (٢) أثناء فعل الخطيئة سحب الله منه نور العلم كما قال صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » . (٣) أخبرت . (٤) عذاب لك وواد فى جهنم للغير . (٥) أى شىء تعمل . (٦) أى ألا يكفينا الذى نحن فيه أيها المغفل الذى لم يعمل بعلمه . (٧) شدة الرائحة الكريهة القذرة .

فالحذر أيها المسلمون من القول بلا عمل ، فالله رقيب ، وعذابه مهين لمن ينصح الناس ، وهو فى حاجة إلى ناصح ، قال الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما تصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

وهل يوجد عذاب أفضح ، وأشنع يوم القيامة على ملأ من الناس من خروج الأمعاء الدقاق والغلاظ مكومة يدور حولها ذلك العالم الثرثار القوال لا الفعال ، ويدور بها دوران الحمار بالطاحون ويبكته أصحابه فى الدنيا ، فيطلقه الله بذنبه توبيخاً له ، ولا ينفع الندم ، قال تعالى فى سورة الصف : (يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال تعالى تقريرا مع توبيخ غير العاملين (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) من سورة البقرة . والبر : التوسع فى الخير ، ولذا قيل : البر ثلاثة : بر فى عبادة الله تعالى ، وبر فى مراعاة الأقارب ، وبر فى معاملة الأجانب .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى أحبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يتبعونه ، وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون : وحكى الله تعالى عن سيدنا شعيب عليه السلام فى سورة هود (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) .

الترهيب من الدعوى فى العلم والقرآن

١ — عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : قَامَ مُوسَى صلى الله عليه وسلم خَطِيباً فى بَنِى إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْداً(١) مِنْ عِبَادِى بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ يَارَبِّ كَيْفَ بِهِ ؟ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتاً فى مِكْتَلٍ(٢) فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ(٣) . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فى اجْتِمَاعِهِ بِالْخَضِرِ إِلَى أَنْ قَالَ : فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرَفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ(٤) فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ(٥) نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فى الْبَحْرِ ، فَقَالَ الْخَضِرُ : يَامُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِى وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هٰذَا الْعُصْفُورِ فى هٰذَا الْبَحْرِ . فذكر الحديث بطوله .

وَفى رِوَايَةٍ : بَيْنَمَا مُوسَى يَمْشِى فى مَلَإٍ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَعْلَمُ أَحَداً أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ مُوسَى : لَا ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى بَلْ عَبْدُنَا الْخَضِرُ ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ(٦) إِلَيْهِ ، الحديث . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

٢ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ حَتَّى تَخْتَلِفَ التُّجَّارُ(٧) فى الْبَحْرِ ، وَحَتَّى تَخُوضَ الْخَيْلُ فى سَبِيلِ اللهِ(٨) ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ مَنْ أَقْرَأُ مِنَّا ؟(٩) مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ؟ مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا ؟ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ فى أُولٰئِكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ أُولٰئِكَ مِنْكُمْ مِنْ

---

(١) الخضر عليه السلام . (٢) شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا . (٣) أى هناك .

(٤) أجر من نال له بالعطية من باب قال : وناله العطية ، والنوال : العطاء .

(٥) نقر الطائر الحبة : التقطها ، والمعنى أخذ جزءا يسيراً من ماء البحر . (٦) طريق الوصول إليه ليتعلم من فيض علمه . (٧) يسود الأمن ، وينتشر السلام فى ربوع المعمورة ، فيذهب المسلمون مطمئنين أنى شاءوا فى ظل الإسلام . (٨) يعم الجهاد فى سبيل نصر دين الله .

(٩) لا أحد أكثر منا قراءة ، وفهماً وعلماً ، وفقهاً ، فى غرور الشيطان ، وخداعه ، وعدم خوف الله . إن هؤلاء المتفيهقين الذين أصابهم العجب حطبجهم لأن المؤمن كلما كثر علمه زاد تقربا من الله ، وخشية منه ونظر إلى مكامن تقصيره ، فكمل نفسه ، وأبصر خفايا عيوبه ، فأزالها .

هٰذِهِ الْأُمَّةِ وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار بإسناد لا بأس به». ورواه أبو يعلى والبزار والطبرانى أيضاً من حديث العباس بن عبد المطلب .

٣ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قامَ لَيْلَةً بِمَكَّةَ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ (ثلاث مرات) فَقَامَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ أَوَّاهاً[1] ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ[2] ، وَحَرَّضْتَ وَجَهَدْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ : لَيَظْهَرَنَّ الْإِيمَانُ حَتَّى يُرَدَّ الْكُفْرُ إِلَى مَوَاطِنِهِ ، وَلَتَخَاضُنَّ الْبِحَارَ بِالْإِسْلَامِ[3] ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَعَلَّمُونَ فِيهِ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُونَهُ وَيَقْرَءُونَهُ ، ثُمَّ يَقُولُونَ قَدْ قَرَأْنَا وَعَلِمْنَا ، فَمَنْ ذَا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَّا ، فَهَلْ فِي أُولٰئِكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ : مَنْ أُولٰئِكَ ؟ قَالَ : أُولٰئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ . رواه الطبرانى فى الكبير ، وإسناده حسن إن شاء الله تعالى .

٤ — وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَالَ إِنِّي عَالِمٌ ، فَهُوَ جَاهِلٌ . رواه الطبرانى عن ليث ، هو ابن أبى سليم عنه وقال : لا يروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد .

[قال الحافظ] وستأتى أحاديث تنتظم فى سلك هذا الباب فى الباب بعده إن شاء الله تعالى .

الترهيب من المراء والجدال والمخاصمة والمحاجة والقهر والغلبة والترغيب فى تركه للمحق والمبطل

١ — عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ

---

(١) أواباً : كثير التأوه وهو الرجوع إلى الله والندم . (٢) إنك قد بلغت يارسول الله ، وبذلت قصارى جهدك فى الحث والتحريض ، والجهاد ، وجهد : بالغ فى الأمر وتكبد .

(٣) والله ليركبن المسلمون متن البحار ، يخبر صلى الله عليه وسلم بتيسير الأمور للمسلمين ، وتسهيل سبل الخير لهم ، وتذليل الصعاب لهم براً وبحراً ، ويحذر أن يأخذهم الطيش ، والحمق ، وتزيين الشيطان ، فيغترون بما علموا ، ويدعوا العلماء إلى زيادة التكمل والتجمل ، فما من كمال إلا وعند الله أكمل منه ؟ (وفوق كل ذى علم عليم) . وقد أمر سبحانه وتعالى نبيه : (وقل رب زدنى علما) فهل تعاهدنى يا أخى على التواضع ، وتذليل النفس ، واستراضتها على طلب العلم ، وقراءة القرآن ، وترك الزهو والعجب ، وتتق الله جل جلاله ، قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وسيدنا موسى عالم شرعى رأى بعضا من أسرار علم الحقيقة من سيدنا الخضر ، وهو أعلم منه ، وبعد ذلك أخبر أنها كنقرة طائر من بحر علم الله تعالى قال تعالى (وعلمناه من لدنا علما) .

تَرَكَ الْمِرَاءَ[1] وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلاَهَا . رواه أبو داود والترمذى ، واللفظ له وابن ماجه والبيهق ، وقال الترمذي حديث حسن ، ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر ولفظه : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ مَازِحٌ ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ .

[رَبَضِ الْجَنَّةِ] هو بفتح الراء والباء الموحدة وبالضاد المعجمة : وهو ماحولها .

٢ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَأَبِي أُمَامَةَ وَوَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالُوا : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا وَنَحْنُ نَتَمَارَى[2] فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيداً لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ ، ثُمَّ انْتَهَرَنَا ، فَقَالَ مَهْلاً يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهٰذَا ، ذَرُوا[3] الْمِرَاءَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُمَارِي[4] ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الْمُمَارِيَ قَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَكَفَى إِثْمًا أَنْ لاَ تَزَالَ مُمَارِيًا ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ الْمُمَارِيَ لاَ أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَأَنَا زَعِيمٌ بِثَلاَثَةِ أَبْيَاتٍ فِي الْجَنَّةِ فِي رِبَاضِهَا وَوَسَطِهَا وَأَعْلاَهَا لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ[5] ، ذَرُوا الْمِرَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ مَانَهَانِي عَنْهُ رَبِّي بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الْمِرَاءُ ، الحديث . رواه الطبرانى فى الكبير .

٣ — وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَتَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا[6] وَحَسَّنَ خُلُقَهُ . رواه البزار والطبرانى فى معاجيمه الثلاثة ، وفيه سويد بن إبراهيم أبو حاتم .

---

(١) الجدال الذى يؤدى إلى المخاصمة والمناقشة التى تضيع الحق ، والثرثرة : الجالبة الشقاق ، فالمؤمن يقبل المناقشة بهدوء وتؤدة ، فإن آثر صحها قبل ورضى ، وإلا تركها ولم يجادل حتى لا يحصل مالا تحمد عقباه .

(٢) نتحادث ونتجادل . (٣) اتركوا الجدال . (٤) لايجادل ، والمراد الجدل على الباطل ، وطلب المغالبة فيه ، فأما الجدل لإظهار الحق فذلك محمود لقوله تعالى : (وجادلهم بالتى هى أحسن) .

(٥) أظهر حجته ، وبين قوله ، واعتقد صواب قوله ، وترك النزاع لله .

(٦) قاصدا الدعابة ؟ وهزل القول ، وانشراح الصدر .

٤ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَتَذَاكَرُ يَنْزِعُ[١] هٰذَا بِآيَةٍ ، وَيَنْزِعُ هٰذَا بِآيَةٍ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ[٢] فَقَالَ يَا هٰؤُلَاءِ : بِهٰذَا بُعِثْتُمْ[٣] أَمْ بِهٰذَا أُمِرْتُمْ ؟ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ[٤] . رواه الطبراني في الكبير ، وفيه سويد أيضًا .

٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ[٥] . ثُمَّ قَرَأَ : مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا . رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وغيره ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

٦ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ . رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

[الألدّ] بتشديد الدال المهملة : هو الشديد الخصومة [الخصم] بكسر الصاد المهملة : هو الذي يحج من يخاصمه .

٧ - وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : كَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لَا تَزَالَ مُخَاصِمًا[٦] . رواه الترمذي ، وقال حديث غريب .

٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ . رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه ، ورواه الطبراني وغيره من حديث زيد بن ثابت .

---

(١) يجادل من نازعه منازعة : جاذبه في الخصومة . وبينهم نزاعة ، أي خصومة في حق .
(٢) فقأ ضغط على الشيء حتى سال - أقبل علينا ووجهه محمر كأنما طلى بعصارة حب الرمان نضارة .
(٣) أي هل أرسلتم لكثرة المناقشة فيما لا طائل تحته .
(٤) ينهاكم صلى الله عليه وسلم : عن التراشق ، والتنابذ ، والتقاطع ، والتطاحن ، والتحلي بصفة الكفار العصاة - والمسلمون إخوة يتوادون ويتحابون ، ويتعلمون بأدب العلم قصد الإفادة ، والاستفادة فقط .
(٥) المجادلة فيما لا يعني .
(٦) أن تستمر على العناد والقطيعة ، ولا تلجأ إلى عالم يزيل الإبهام ، فلا تخضع إلى الحق ، وهذا نهاية كبر الذنب .

٩ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّمَا الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ رُشْدُهُ[١] فَاتَّبِعْهُ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ غَيُّهُ[٢] فَاجْتَنِبْهُ، وَأَمْرٌ اخْتُلِفَ فِيهِ فَرُدَّهُ إِلَى عَالِمٍ[٣]. رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به.

كتاب الطهارة

الترهيب من التخلي على طرق الناس أو ظلهم أو مواردهم

والترغيب في الانحراف عن استقبال القبلة واستدبارها

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: اتَّقُوا[٤] اللَّاعِنَيْنِ: قَالُوا وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى[٥] فِي طُرُقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ. رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

[قوله اللاعنين] : يريد الأمرين الجالبين اللعن ، وذلك أن من فعلهما لعن وشتم ، فلما كانا سبباً لذلك أضيف الفعل إليهما فكانا كأنهما اللاعنان .

٢ ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ[٦] فِي الْمَوَارِدِ[٧] وَقَارِعَةِ[٨] الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ. رواه

---

(١) ظهر الحق فيه . (٢) ظهر ضلاله .

(٣) يقنعك بدليل من الكتاب ، أو السنة ، وهنا قطعت جهيزة قول كل خطيب ، ولنذكر الأدلة من الكتاب قال تعالى : (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) من سورة الكهف . أي فلا تجادل في شأن عدد فتية أهل الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه ، وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم ، والرد عليهم ، وقال تعالى في سورة الزخرف : (وقالوا أآلهتنا خير أم هو ؟ ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) قال النصارى آلهتنا عندك خير أم عيسى عليه السلام فإن يكن في النار فلتكن آلهتنا معه ـ أو آلهتنا خير أم محمد عليه الصلاة والسلام فنعبده وندع آلهتنا، ماضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل ، لأنهم شداد الخصومة حراص على اللجاج ، والطعن في كلام الغير ، وإظهار خلل فيه ، وتحقير آرائه ، وإظهار مزية الكياسة ، واللباقة . (٤) اجتنبوا . (٥) يقضي حاجته .

يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا يتبول ، أو يتغوط في الطريق ، أو في أمكنة الراحة .

(٦) اسم للفضاء الواسع وكناية عن ثقل الغذاء وهو الغائط تبرز . (٧) أمكنة وورود الناس إليها .

(٨) وسطه ، وقيل أعلاه ، والمراد نفس الطريق .

أبو داود وابن ماجه كلاهما عن أبى سعيد الحميرى عن معاذ ، وقال أبو داود هو مرسل ، يعنى أن أبا سعيد لم يدرك معاذا .

[الملاعن] مواضع اللعن . قال الخطابى : والمراد هنا بالظل هو الظل الذى اتخذه الناس مقيلا ومنزلا ينزلونه ، وليس كل ظل يحرم قضاء الحاجة تحته ، فقد قضى النبى صلى الله عليه وسلم حاجته تحت حايش من النخل ، وهو لا محالة له ظل انتهى .

٣ - وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ : قِيلَ : مَا الْمَلَاعِنُ الثَّلَاثُ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِى ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ بِهِ ، أَوْ فِى طَرِيقٍ ، أَوْ نَقْعِ مَاءٍ[1] . رواه أحمد .

٤ وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِى طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ[2] . رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن .

٥ - وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِأَبِى هُرَيْرَةَ أَفْتَيْتَنَا فِى كُلِّ شَيْءٍ يُوشِكُ أَنْ تُفْتِيَنَا فِى الْخَرَاءِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ غَسَلَ سَخِيمَتَهُ عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى وغيرهما ، ورواته ثقات إلا محمد بن عمرو الأنصارى

[قوله] يوشك : بكسر الشين المعجمة وفتحها لغية . معناه يكاد ويسرع ، والخراء والسخيمة : الغائط .

٦ - وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ[3] عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ ، وَالصَّلَاةَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ

---

(١) ما اجتمع فى البئر من الماء ، وفى الحديث : نهى أن يمنع نقع البئر ، ربما يشرب منه .

(٢) استحق أن يبعد من رحمة الله بدعاء الناس عليه ، فاللعن : الطرد والإبعاد من الخير ، والإسم اللعنة.

(٣) احذروا النزول فى السفر من آخر الليل قصد الاستراحة على الطريق الأعظم التى تجمع الطرق ، ولا بد من المرور عليه _ قال فى النهاية : الجواد ، الطرق: واحدها جادة : وهى سواء الطريق ووسطه ، وقيل هى الطريق الأعظم التى تجمع الطرق ، ولابد من المرور عليه اهـ .

وكذا نهاهم صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيها أى فى أطراف الطريق المجاورة للخراب ، والبعيدة عن العمران والنظافة لأنها ملأى بالحشرات الضارة المؤذية ، والوحوش الضارية، وكذا نهى صلى الله عليه وسلم عن البراز فيها وتقذيرها خشية أن يتضرر المارون. ما شاء الله ، قائد ماهر يحسن القيادة ويحكمها، ينصح أن يستريح أصحابها فى مكان بعيد عن مرور الناس، وفى أرض مظللة معبدة نظيفة حتى لايزعج النائم شىء، فيستيقظ

والسَّبَاعِ ، وَقَضَاء الحَاجَةِ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهَا المَلَاعِنُ : رواه ابن ماجه ، ورواته ثقات .

وهو فى غاية الصحة والنشاط، ويطلب من المصلى أيضاً أن يتجنب الأماكن القذرة فلا يصلى فيها ، وكذا لا يبول ولا غائط فى وسطها حتى يحمد القوم السرى ، ويرحلوا فى سرور وحبور .

وفى الآيات الواردة الحاثة على الطهارة من الحدث والنقاء من الأوساخ، قوله تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) أى يرضى عن الذين رجعوا إلى ربهم ، فخلصوا من الذنوب ، وبعدوا عن الفحشاء ، وتنزهوا عن الفواحش والأقذار ، ويأمر نبيه صلى الله عليه وسلم : (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر) ينادى صلى الله عليه وسلم لابس الدثار كما قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه : كنت بحراء فنوديت ، فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أر شيئاً ، فنظرت فوق ، فإذا هو على عرش بين السماء والأرض ، يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت دثرونى ، فنزل جبريل وقال : (يا أيها المدثر قم) من مضجعك قيام عزم وجد ، وعد بالخير المطيعين، وأوعد العاصين بالعذاب ، وخص ربك بالتكبير، وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا .

روى أنه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأيقن أنه الوحى، وذلك لأن الشيطان لا يأمر بذلك (وثيابك فطهر) من النجاسات فإن التطهير واجب فى الصلوات محبوب فى غيرها. وذلك بغسلها، أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها ، وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة ــ أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة ، والأفعال الدنيئة ، فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء إليه ــ أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر ــ اهـ بيضاوى ص ٧٩٨ .

فحافظوا على الطهارة أيها المسلمون ، فقد مدح الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحافظة على تطهير ثيابهم وأجسامهم ، والعناية بالنقاء من البول ، والغسل من الجنابة ــ قال تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) ١٠٩ من سورة التوبة ــ يعنى مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين إلى الجمعة ، أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أبى سعيد رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال : هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فطهر رجاله من المعاصى والخصال المذمومة طلباً لمرضاة الله سبحانه وتعالى، وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ، والله يرضى عنهم، ويدنيهم من جنابه تعالى إدناء المحب حبيبه ــ قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء ، فإذا الأنصار جلوس ــ فقال عليه الصلاة والسلام : أمؤمنون أنتم ؟ فسكتوا فأعادها فقال (عمر) : إنهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام : ترضون بالقضاء ؟ قالوا : نعم ، قال عليه الصلاة والسلام : أتصبرون على البلاء ؟ قالوا : نعم ، قال : أتشكرون فى الرخاء ؟ قالوا : نعم ، فقال صلى الله عليه وسلم: أنتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس فقال : يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم ، فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط ؟ فقالوا يا رسول الله : نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء ، فتلا : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) .

ولا تنس أيها المسلم فضل الوضوء ، ونظافة الأعضاء ، وغسل الجسم وحكمة ذلك فى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم(١) إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا(٢) وإن كنتم مرضى ، أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج (٣) ولكن يريد ليطهركم(٤) وليتم نعمته(٥) عليكم لعلكم تشكرون) من سورة المائدة .

---

(١) أردتم القيام . (٢) اغتسلوا . (٣) يضيق عليكم . (٤) لينظفكم ويزيل ذنوبكم .
(٥) ليتم بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم مكفرة لذنوبكم .

٧ – وَعَنْ مَكْحُولٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبَالَ بِأَبْوَابِ المَسَاجِدِ . رواه أبو داود فى مراسيله .

٨ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ لَمْ يَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ(١) وَلَمْ يَسْتَدْبِرْهَا فِى الغَائِطِ كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمُحِيَ عَنْهُ سَيِّئَةٌ . رواه الطبرانى ورواته رواة الصحيح .

[قال الحافظ] وقد جاء النهى عن استقبال القبلة واستدبارها فى الخلاء فى غير ماحديث صحيح مشهور تغنى شهرته عن ذكره لكونه نهياً مجرداً ، والله سبحانه و تعالى أعلم .

الترهيب من البول فى الماء والمغتسل والجحر

١ – عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم : أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِى المَاءِ الرَّاكِدِ(٢) . رواه مسلم وابن ماجه والنسائى .

٢ – وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبَالَ فِى المَاءِ الجَارِى . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد .

٣ – وَعَنْ بَكْرِ بْنِ مَاعِزٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : لَا يُنْقَعُ(٣) بَوْلٌ فِى طَسْتٍ فِى البَيْتِ ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ بَوْلٌ مُنْتَقِعٌ(٤) وَلَا تَبُولَنَّ فِى مُغْتَسَلِكَ(٥) . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن ، والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

٤ – وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ قَالَ : لَقِيتُ رَجُلاً صَحِبَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَمَا صَحِبَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنْ يَمْتَشِطَ(٦) أَحَدُنَا كُلَّ يَوْمٍ

(١) لم يجعلها قبلته ، ولم يجعل القبلة دبره أثناء قضاء الحاجة كما قال صلى الله عليه وسلم « ولكن شرقوا أو غربوا » جزاء ذلك يثيبه الله حسنة ويزيل عنه سيئة . (٢) الساكن الواقف . (٣) يقال نقع الماء فى الموضع استنقع . ينهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يجمع البول فى إناء ، رجاء دخول ملائكة الرحمة .
(٤) مجتمع . (٥) مكان غسلك . (٦) امتشطت المرأة مشطتها الماشطة من باب نصر .
يحث النبى صلى الله عليه وسلم على النظافة والطهارة والكمال والتجمل ، ولكن يحذر أن يستعمل المشط فى الشعر كل يوم خشية كثرة المشاطة (ماسقط من الشعر) وخشية أن يتغالى المسلمون فى الامتشاط ، فينصرف الناس عن عملهم أو يتأخرون عن مواعيدهم .

أَوْ يَبُولَ فى مُغْتَسَلِهِ . رواه أبو داود والنسائى فى أول حديث .

٥ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلي اللهُ عليه وسلم نَهَى أَنْ يَبُولَ الرَّجُلُ فى مُسْتَحَمِّهِ ، وَقَالَ إِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ[١] . رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى واللفظ له ، وقال : حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث أشعث بن عبد الله ، ويقال له أشعث الأعمى .

[قال الحافظ] إسناده صحيح متصل ، وأشعث بن عبد الله ثقة صدوق ، وكذلك بقية رواته ، والله أعلم .

٦ ــ وَعَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم أَنْ يُبَالَ فى الْجُحْرِ[٢] . قَالُوا لِقَتَادَةَ : مَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَوْلِ فى الْجُحْرِ ؟ قَالَ يُقَالُ إِنَّهَا مَسَاكِنُ الْجِنِّ . رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

الترهيب من الكلام على الخلاء

١ ــ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال : لَا يَتَنَاجَى[٣] اثْنَانِ عَلَى غَائِطِهِمَا[٤] يَنْظُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَوْرَةِ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّ اللهَ يَمْقُتُ[٥] عَلَى ذٰلِكَ . رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه ، ولفظه كلفظ أبى داود قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : لَا يَخْرُجُ الرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَاتِهِمَا يَتَحَدَّثَانِ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْقُتُ عَلَى ذٰلِكَ .

رووه كلهم من رواية هلال بن عياض ، أو عياض بن هلال عن أبي سعيد، وعياض هذا روى له أصحاب السنن ، ولا أعرفهُ بجرح ولا عدالة ، وهو فى عداد المجهولين .

[قوله يضربان الغائط] : قال أبو عمرو صاحب ثعلب : يقال ضربت الأرض إذا أتيت الخلاء ، وضربت فى الأرض : إذا سافرت .

(١) تحدث الشيطان وسلطانه على العقل منه ، من وسوست إليه نفسه .
(٢) الحفرة فى الأرض، وأفاد سيدنا قتادة أنها مواطن خلق الله الجن الذى هو يتأذى منا ويتطهر ويتنظف.
(٣) لا يتحادث . (٤) أصل الغائط : المطمئن من الأرض الواسع ، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يقضى الحاجة أتى الغائط ، وقضى حاجته ، فقيل لكل من قضى حاجته قد أتى الغائط ، يكنى به عن العذرة.
(٥) مقته من باب نصر : أبغضه، والمقت : أشد البغض . أى يكره الله فاعلها على فعلته .

٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ يَخْرُجُ اثْنَانِ مِنَ الْغَائِطِ فَيَجْلِسَانِ يَتَحَدَّثَانِ كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَاتِهِمَا ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْقُتُ عَلَى ذٰلِكَ . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد ليّن .

الترهيب من إصابة البول الثوب وغيره ، وعدم الاستبراء منه

١ — عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كَبِيرٍ ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ . أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ(١) ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ(٢) مِنْ بَوْلِهِ . رواه البخاريّ ، وهذا أحد ألفاظه ، ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ماجه .

٢ — وَفِى رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِى وَابْنِ خُزَيْمَةَ فِى صَحِيحِهِ : أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِى قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى اللهُ عليه وسلم : إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كَبِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ : بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ ، الحديث . وبوّب البخارى عليه : باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله .

[قال الخطابى] قوله : وما يعذبان فى كبير : معناه أنهما لم يعذبا فى أمر كان يكبر عليهما

---

(١) السعى بالإفساد بين الناس ، ولإيقاع التدابر بين المسلمين، وإيجاد التخاصم والشقاق . بنقل الحديث على وجه السعاية ، والدس، والكيد ، وقد نهى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصاحب من اتصف بخلال السوء ، قال الله تعالى: (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) وقد قال المفسرون: يريد الله به الوليد بن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده، وقيل الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة . والمهين : حقير الرأى القوال ، والهماز : العياب المفسد ، والمعتدى : الظالم.

(٢) أى يقضى حاجته على قارعة الطريق ، وتظهر عورته للناس ، ولا يتورع من إخفائها ، فيضطر الى الإسراع ولا يتحرز من النجاسة — وهاتان كبيرتان سببتا عذاب القبر من تهاون مرتكبهما مع أنهما شىء يسير كان يمكن تداركه فى حياته .

أيها الناس : إن من الكبائر أن يتبول فى الطريق فيتأذى المارون من القذارة أولا ومن الرائحة الكريهة، هذا إلى إظهار العورة وجلب غضب الله على من يفعل ذلك ، ويدخل فى الطريق المباول العامة التى لا ماء فيها للاستنجاء وفيها تظهر العورة . نعوذ بالله من زمن يتهاون المسلمون فى هذا العمل، وهو سبب اللعنة وعذاب القبر ، والوقاية من العذاب الاستنجاء الكامل ؛ والتحرز من النجاسة .

أو يشق فعله لو أرادا أن يفعلا ، وهو التنزه من البول ، وترك النميمة ، ولم يرد أن للمعصية في هاتين الخصلتين ليست بكبيرة في حق الدين ، وأن الذنب فيهما هين سهل .

[قال الحافظ عبد العظيم] ولخوف توهم مثل هذا استدرك، فقالَ صلى الله عليه وسلم: بَلَى إنَّهُ كَبِيرٌ ، والله أعلم .

٣ ــ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلمَ: عَامَّةُ عَذَابِ الْقَبْرِ فى الْبَوْلِ فَاسْتَنْزِهُوا[1] مِنَ الْبَوْلِ. رواه البزار والطبرانى فى الكبير والحاكم والدارقطنى كلهم من رواية أبي يحيى القتات عن مجاهد عنه ، وقال الدارقطنى إسناده لا بأس به ، والقتات مختلف فى توثيقه .

٤ ــ وَعَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم: تَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ ، فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ رواه الدارقطنى وقال: المحفوظ مرسل.

٥ ــ وَعَنْ أَبِى بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلي الله عليهِ وَسلم يَمْشِي بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ إِذْ أَتَي عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ : إِنَّ صَاحِبَيْ هٰذَيْنِ الْقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ (فَائْتِيَانِي بِجَرِيدَةٍ) قالَ أَبُو بَكْرَةَ : فَاسْتَبَقْتُ أَنَا وَصَاحِبِي فَأَتَيْتُهُ بِجَرِيدَةٍ فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَوَضَعَ فى هٰذَا الْقَبْرِ وَاحِدَةً،وَفِى ذَا الْقَبْرِ وَاحِدَةً،قالَ لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَادَامَتَا رَطْبَتَيْنِ ، إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ بِغَيْرِ كَبِيرٍ : الْغِيبَةِ[2] وَالْبَوْلِ. رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط واللفظ له ، وابن ماجه مختصرا من رواية بحر بن مرار عن جده أبي بكرة ولم يدركه .

٦ ــ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ[3] . رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة .

[قال الحافظ] وهو كما قال

---

(١) تطهروا وتحروا إزالته وتأنوا عند البراءة منه، وتحققوا نزول قطراته، وذلك بعد انقطاع البول يتأنى الإنسان ، ثم يضغط ضغطاً خفيفا على المثانة بتؤدة ولا أذى ، ثم ينترها نتراً هيناً ، ثم يستنجى .

(٢) بالكسر : هى أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صدقاً سمى غيبة، وإن كان كذبا سمى بهتاناً . فحذار أن تذكر أخاك بما يكره ، وأن تطلق لسانك فى ذكر عيوبه فهنا ضرر الدنيا بجلب العداوة وبشن غارة الخصام ، وعذاب فى القبر ، وفى الآخرة الجحيم . (٣) ترك الطهر منه .

٧ — وَعَنْ أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فى يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ نَحْوَ بَقِيعِ[(١)] الْغَرْقَدِ ، قالَ وَكَانَ النَّاسُ يَمْشُونَ خَلْفَهُ ،قالَ فَلَمَّا سَمِعَ صَوْتَ النِّعَالِ وَقَرَ ذٰلِكَ فى نَفْسِهِ فَجَلَسَ حَتَّى قَدَّمَهُمْ أَمَامَهُ ، فَلَمَّا مَرَّ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ إِذَا بِقَبْرَيْنِ قَدْ دَفَنُوا فِيهِمَا رَجُلَيْنِ . قالَ فَوَقَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : مَنْ دَفَنْتُمْ هَاهُنَا الْيَوْمَ؟ قالُوا فُلَانٌ وَفُلَانٌ . قالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ وَمَا ذَاكَ؟ قالَ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَتَنَزَّهُ مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً[(٢)] فَشَقَّهَا ، ثُمَّ جَعَلَهَا عَلَى الْقَبْرَيْنِ قالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ : لِمَ فَعَلْتَ هٰذَا ؟ قالَ لِيُخَفِّفَنَّ عَنْهُمَا . قالُوا يَا رَسُولَ اللهِ : حَتَّى مَتَى[(٣)] هُمَا يُعَذَّبَانِ ؟ قالَ غَيْبٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ ، وَلَوْلَا تَمَرُّغُ[(٤)] قُلُوبِكُمْ وَتَزَيُّدُكُمْ[(٥)] فى الْحَدِيثِ لَسَمِعْتُمْ مَا أَسْمَعُ . رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه ، كلاهما من طريق على ابن يزيد الألهانى عن القاسم عنه .

٨ — وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ حَسَنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى يَدِهِ الدَّرَقَةُ[(٦)] فَوَضَعَهَا[(٧)] ، ثُمَّ جَلَسَ فَبَالَ إِلَيْهَا ،فَقَالَ بَعْضُهُمْ : انْظُرُوا إِلَيْهِ يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ فَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ وَيْحَكَ[(٨)] : مَا عَلِمْتَ مَا أَصَابَ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَوْلُ قَرَضُوهُ[(٩)] بِالْمَقَارِيضِ

---

(١) موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها ، وكان به شجر الغرقد فذهب وبقى اسمه ـ والبقيع المكان المتسع ذو الأشجار . (٢) خضراء . (٣) الى أى زمان ينتهى حسابهما . (٤) تقلب .

(٥) خشية زيادتكم فى القول : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة وقدرة على سماع صوتهما ، وإدراك نوع عذابهما؛ وهذه ميزة له صلى الله عليه وسلم وخصوصية، ولولا خوف الفتنة ، وهلاك الإنس والجن لأسمعهم الله جل وعلا ، كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى: « يسمع بها كل شىء إلا الإنس والجن ولو سمعه صعق » أى مات ؛ أى تستغيث، وتنادى يا ويلاه من عذابها ؛ ويعقل لغتها كل شىء إلا الإنسان رأفة به ورحمة من الله جل وعلا. (٦) الترس إذا كان من جلد وليس فيه خشب ولا عصب . (٧) جعلها مائلة بينه وبين الناس ، وبال مستقبلا إليها ؛ فأنت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب بعيداً فى الفضاء ويبعد عن طرق الناس ونواديهم ثم يضع ستراً وحائلا يمنع كشف العورة ، وظن الجهال المغفلون أن هذه الوقاية للسيدات فقط، فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتجنبوا إظهار العورة ، ولا بد من التستر .

(٨) كلمة ترحم أى رحمك الله . (٩) قطعوه بآلة حادة ، والمعنى أن بنى إسرائيل كانوا يتحرزون من البول حتى يقطعوا ما نجسه من الثوب، فنهاهم عن هذا القطع صاحب بنى إسرائيل فعذبه الله فى قبره لأنه يوصى ببقاء النجاسة ، والله أعلم . وكانت الطهارة عدم إزالتها بالقطع ، وجاء الدين الإسلامى ، فخفف بغسلها . صلى الله عليه وسلم على صاحبه نبى الرحمة .

فَنهاهُمْ فَعُذِّبَ فى قَبْرِهِ . رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

٩ ــ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كُنَّا نَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَمَرَرْنَا عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَامَ فَقُمْنَا مَعَهُ فَجَعَلَ لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ حَتَّى رَعَدَ(١) كُمُّ قَمِيصِهِ ، فَقُلْنَا مَا لَكَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ أَمَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ ؟ فَقُلْنَا وَمَا ذَاكَ يَا نَبِىَّ اللهِ ؟ قالَ هَذَانِ رَجُلَانِ يُعَذَّبَانِ فِى قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيداً فِى ذَنْبٍ هَيِّنٍ ، قُلْنَا : فِيمَ ذَلِكَ ؟ قَالَ: كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَنْزِهُ(٢) مِنَ الْبَوْلِ ، وَكَانَ الآخَرُ يُؤْذِى النَّاسَ بِلِسَانِهِ(٣) وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ ، فَدَعَا بِجَرِيدَتَيْنِ مِنْ جَرَائِدِ النَّخْلِ فَجَعَلَ فِى كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً ، قُلْنَا : وَهَلْ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ ؟ قالَ نَعَمْ : يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا دَامَتَا رَطْبَتَيْنِ(٤) . رواه ابن حبان فى صحيحه .

[قوله : فى ذنب هين] يعنى هيّن عندهما وفى ظنهما ، أو هيّن عليهما اجتنابه ، لا أنه هين فى نفس الأمر لأن النميمة محرّمة اتفاقاً .

١٠ - وَعَنْ شُفَيِّ بْنِ مَاتِعٍ الأَصْبَحِيِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قالَ: أَرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أَهْلَ النَّارِ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الأَذَى يَسْعَوْنَ بَيْنَ الْحَمِيمِ(٥) وَالْجَحِيمِ(٦) يَدْعُونَ(٧) بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَدْ آذَوْنَا عَلَى مَابِنَا مِنَ الأَذَى ؟ قَالَ فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ(٨) عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ(٩) ،

---

(١) رجف واضطرب ــ رأى الصحابة شدة تأثر وتغير لون وجهه صلى الله عليه وسلم ، وخوفهم شدة اضطراب قيصه ، ولذا سألوا عن حاله . ماذا جرى يا رسول الله ؟ .

(٢) لا يتحرز من النجاسة ، ولا يستنجي استنجاء كاملا . (٣) يهتك العرض ؛ والذم ، والقدح ، والغيبة ، وتعداد العيوب . (٤) خضراوين . (٥) الماء الحار المغلى . (٦) جهنم،أى أن عذابه يستمر بين الحياة فى الماء المغلى شديد الحرارة وبين النار التى تلتهم جسمه. (٧) يطلبون الهلاك والدمار والعذاب أى يصخبون . (٨) عذب و ضريح عكم الإغلاق من جمر لأنه أكل أموال الناس بلا حق .

(٩) يعذب بخروج معدته، ويفضح على ملأ من أهل المحشر لقذارته فى حياته ، وبوله على جسمه ، وعدم عنايته بنظافة جسمه وثوبه، يفضحه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة بخروج (الكرشة) ليتقذر منه الناظرون ويشمئز من حاله الراءون: لماذا ؟ لأنه كان فى دنياه يبول فى طريقه . ولايحترس من النجاسة، ويذهب إلى المباول فيقضى هذه الحاجة ؛ ويلوث ملابسه وشعاره ، ويتقذر ، وعذره حقير من ضيق الحالة ، ويتجارأ على ترك الصلاة لأن ملابسه نجسة ، وبعد أن يغتسل ويتطهر ويصلى ، ولكن الشيطان قائده فيذهب إلى مواطن اللهو ومحال الفسوق والمقاهى وهناك يضيق وقته فيبول فى المباول بلا ماء فينجس ملابسه ، وحينئذ يخلف وعده .

اعتنوا أيها المسلمون بتطهير ملابسكم، وعمروا مساجد الله تعمر قلوبكم بالإيمان وتأمنوا عذاب القبر . وتنالوا من الله الرحمة والرضوان .

وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيْحًا وَدَمًا ، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ . قَالَ فَيُقَالُ لِصَاحِبِ التَّابُوتِ مَا بَالُ الأَبْعَدِ[1] قَدْ آذَانَا عَلَى مَابِنَا مِنَ الأَذَى ، فَيَقُولُ إِنَّ الأَبْعَدَ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أَمْوَالُ النَّاسِ مَا يَجِدُ لَهَا قَضَاءً أَوْ وَفَاءً ، ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذِي يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ مَا بَالُ الأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَى مَابِنَا مِنَ الأَذَى ، فَيَقُولُ : إِنَّ الأَبْعَدَ كَانَ لاَ يُبَالِي أَيْنَ أَصَابَ الْبَوْلُ مِنْهُ لاَ يَغْسِلُهُ . وذكر بقية الحديث . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت ، وكتاب ذمّ الغيبة ، والطبرانى فى الكبير بإسناد ليّن وأبو نعيم وقال : شفيّ بن ماتع مختلف فيه ، فقيل له صحبة : ويأتى الحديث بتمامه فى الغيبة إن شاء الله تعالى .

١١ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : اتَّقُوا[2] الْبَوْلَ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي الْقَبْرِ . رواه الطبرانى فى الكبير أيضاً بإسناد لا بأس به.

الترهيب من دخول الرجال الحمام بغير أزر ، ومن دخول النساء بأزر وغيرها إلا نفساء أو مريضة ، وما جاء فى النهى عن ذلك

١ — عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلاَّ بِمِئْزَرٍ[3] وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ[4] الْحَمَّامَ . رواه النسائى والترمذى وحسنه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُ الْعَجَمِ[5] ، وَسَتَجِدُونَ فِيهَا بُيُوتًا يُقَالُ لَهَا الْحَمَّامَاتُ فَلاَ يَدْخُلَنَّهَا الرِّجَالُ

---

(١) الأبعد : كناية عن حقارته وذله . (٢) احذروا نجاسة البول .

خلاصة معنى الباب

إن كشف العورة معصية كبيرة تسبب عذاب القبر ، فلابد من التستر عند قضاء الحاجة مع التحرز من النجاسة والانقاء والاستبراء ، وفيه زيارة القبور سنة ، ووضع شىء أخضر عليها ، وفى هذا الباب لفت نظر أهل المدنية الحديثة أن يعتنوا بالنظافة من البول ، وإلا تمرض العيون ، ويتسخ اللباس فى الدنيا ، وبعد موته يعذب فى القبر عذاباً أليماً ، وهذا خبر الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم ، وفيه أن الطهارة مرضاة للرب مجلبة للبر مكسبة للخير سبب النعيم ؟ نسأل الله التوفيق .

(٣) إزار يستر عورته وركبتيه إلى سرته . (٤) زوجته .

(٥) غير المسلمين ، وفيه إشارة إلى كثرة فتوح المسلمين ، وإغداق الخير عليهم واتساع رقعة الإسلام .

إلاَّ بِالْأُزُرِ ، وَامْنَعُوهَا النِّسَاءَ إلاَّ مَرِيضَةً أَوْ نُفَسَاءَ[١] . رواه ابن ماجه وأبو داود ، وفى إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم .

٣ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ دُخُولِ الْحَمَّامَاتِ، ثُمَّ رَخَّصَ لِلرِّجَالِ أَنْ يَدْخُلُوهَا فِي الْمَآزِرِ[٢] .رواه أبو داود ولم يضعّفه واللفظ له والترمذى وابن ماجه ، وزاد : نهى الرجال والنساء، وزاد ابن ماجه: ولم يرخّص للنساء .

[قال الحافظ] رحمه الله : رووه كلهم من حديث أبي عذرة عن عائشة ، وقد سئل أبو زرعة الرازى عن أبى عذرة هل يسمى ؟ فقال لا أعلم أحداً سماه،وقال أبو بكر بن حازم لايعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه ، وأبو عذرة غير مشهور ، وقال الترمذى : إسناده ليس بذاك القائم .

٤ - وَعَنْهَا رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الْحَمَّامُ حَرَامٌ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي . رواه الحاكم ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد .

٥ - وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ[٣] وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إلاَّ بِمِئْزَرٍ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ[٤] وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ . قال فنهيت بذلك إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى خلافته ، فكتب إلى أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم أن سل محمد بن ثابت عن حديثه فإنه رضى فسأله ، ثم كتب إلى عمر: فَمَنَعَ النِّسَاءَ عَنِ الْحَمَّامِ .رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط من رواية عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وليس عنده ذكر عمر بن عبد العزيز .

---

(١) استثنى النبى صلى الله عليه وسلم المريضة التى أثر فيها البرد فأجاز أن تدخل على شريطة عدم كشف العورة ، وأخذ الحيطة بالعمل بالشرع ، والنفساء : الوالدة . (٢) جمع مئزر : الوقاية التى تستر العورة .
(٣) يحسن معاملته ، ويقدم له صنوف الخير ، ويحفظ حرمته ويدافع عنه ويحمى حماه ويزيل عنه الأذى .
(٤) ليسكت لأن اللسان سبب المصائب ، فلا بد من ضبط قوله : يقول ما يرضى الله جل وعلا حتى يؤجر ، ويسكت .

٦ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَحْذَرُوا بَيْتًا يُقَالُ لَهُ الْحَمَّامُ . قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ إِنَّهُ يُنقِى(١) الْوَسَخَ ؟ قَالَ فَاسْتَتِرُوا(٢) رواه البزار ، وقال رواه الناس عن طاوس مرسلاً .

[قال الحافظ] ورواته كلهم محتج بهم فى الصحيح، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه: اتَّقُوا(٣) بَيْتًا يُقَالُ لَهُ الْحَمَّامُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ يُذْهِبُ الدَّرَنَ، وَيَنفَعُ الْمَرِيضَ قَالَ فَمَنْ دَخَلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ. ورواه الطبرانى فى الكبير بنحو الحاكم، وقال فى أوله: شَرُّ الْبُيُوتِ الْحَمَّامُ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَتُكْشَفُ فِيهِ الْعَوْرَاتُ (الدَّرَن) بفتح الدال والراء هو الوسخ.

٧ — وَعَنْ قَاصِ الْأَجْنَادِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقْعُدَنَّ عَلَى مَائِدَةٍ(٤) يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلَّا بِإِزَارٍ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُدْخِلِ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ . رواه أحمد . وقاص الأجناد لا أعرفه ، وروى آخره أيضا عن أبى هريرة ، وفيه أبو خيرة لا أعرفه أيضاً .

[الحليلة] بفتح الحاء المهملة هى الزوجة .

٨ — وَعَنْ أَبِى الْمَلِيحِ الْهُذَلِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نِسَاءً مِنْ أَهْلِ حِمْصَ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ دَخَلْنَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَتْ : أَنْتُنَّ اللَّاتِى تُدْخِلْنَ نِسَاءَكُنَّ الْحَمَّامَاتِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَامِنِ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا(٥) فِى غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا هَتَكَتِ السِّتْرَ(٦) بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا . رواه الترمذى واللفظ له ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

---

(١) من نق نقاوة : من باب تعب ، وأنق ينق يطهر ويزيل .
(٢) أمر صلى الله عليه وسلم بستر العورة . (٣) اجتنبوا .
(٤) خوان عليه طعام فان لم يكن عليه طعام فهو خوان لامائدة قال أبو عبيدة هى فاعلة بمعى مفعولة كعيشة راضية بمعنى مرضية : والفعل ماده لغة فى ماد بمعنى قدم له الغذاء. (٥) تخلع أو ترى أى جزء من جسمها.
(٦) أزالت الستر والوقاية والعطف . فيه أن المرأة يصح أن تغير شيئا من ثيابها فى غير بيت زوجها ، ولاتخلع شيئا منها؛ ولاتنهتك أوتظهر الخلاعة والمجون والدعارة مثل مايفعلهن المتبرجات الآن. نسأل الله السلامة .

وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم أيضاً من طريق درّاج أبي السمح عن السائب: أَنَّ نِسَاءً دَخَلْنَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَسَأَلَتْهُنَّ مَنْ أَنْتُنَّ ؟ قُلْنَ مِنْ أَهْلِ حِمْصَ . قَالَتْ مِنْ أَصْحَابِ الْحَمَّامَاتِ ؟ قُلْنَ وَبِهَا بَأْسٌ ؟[١] . قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَزَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا خَرَقَ[٢] اللهُ عَنْهَا سِتْرَهُ .

٩ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلاَّ بِمِئْزَرٍ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَسْعَ[٣] إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى[٤] عَنْهَا بِلَهْوٍ أَوْ تِجَارَةٍ اسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُ[٥] ، وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له ، والبزار دون ذكر الجمعة ، وفيه علي بن يزيد الألهاني .

١٠ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْحَمَّامِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي حَمَّامَاتٌ ، وَلاَ خَيْرَ فِي الْحَمَّامَاتِ لِلنِّسَاءِ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّهَا تَدْخُلُهُ بِإِزَارٍ ؟ فَقَالَ لاَ ، وَإِنْ دَخَلَتْهُ بِإِزَارٍ وَدِرْعٍ[٦] وَخِمَارٍ[٧] ، وَمَا مِنِ امْرَأَةٍ تَنْزِعُ خِمَارَهَا[٨] فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلاَّ كَشَفَتِ السِّتْرَ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا . رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبد الله بن لهيعة .

١١ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَشْرَبِ الْخَمْرَ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ

---

(١) عذاب . وهو أيضاً الشدة في الحرب والإثم .

(٢) شق وبان . من الخرق ، ما تخرق من الشيء ـ خرق الثوب فانخرق .

(٣) فلينهض لأداء فريضة الجمعة . (٤) شغله اللهو واللعب عن تأديتها .

(٥) لم يرحمه ولم يكرمه ، وهو تعالى الغني عن جميع خلقه المتصف بالمحامد والثناء .

(٦) درع المرأة قميصها ـ والدرع : الحديد مؤنثة .

(٧) اختمرت المرأة . لبست الخمار : أي الذي يوضع على رأسها . (٨) غطاء الرأس والوجه .

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَحْرَمٌ(١). رواه الطبرانى فى الكبير وفيه يحيى بن أبى سليمان المدنى .

١٢ ــ وَرُوِىَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أُفُقًا فِيهَا بُيُوتٌ يُقَالُ لَهَا الْحَمَّامَاتُ حَرَامٌ عَلَى أُمَّتِى دُخُولُهَا

(١) المحرم : الحرام ؛ ويقال: هو ذو محرم منها إذا لم يحل له نكاحها: أى الذى ثبت إيمانه بالله واليوم الآخر ، وصدق بثواب الله وعقابه يجتنب أن يخلو بامرأة يصح أن يخطبها له زوجة ـ قال الإمام النووى : الحمو أقارب الزوج (غير آبائه وأبنائه لأنهم محارم زوجته تجوز لهم الخلوة بها ، مثل الأخ وابن الأخ ، والعم وابن العم ونحوهم) .

خلاصة معنى الباب

ينهى النبى صلى الله عليه وسلم الرجال أن يدخلوا هذا الحمام الذى فيه تظهر العورات ، وتقل الآداب ، وتنتهك المحارم، ويحصل الاختلاط، وعدم التحرز من إظهار العورة، وفيها لعن الله وغضبه وسخطه ـ وإن كان ولا بد فليتحر الستر . أما النساء : فحرام وإثم كبير دخولهن لأنهن عرضة لإظهار العورة وجسمهن كله عورة ودعا صلى الله عليه وسلم إلى إكرام الجار وإلى النطق فى الخير أو السكوت :

الصمت زين والسكوت سلامة   فإذا نطقت فلا تكن مكثاراً
ما إن ندمت على سكوتى مرة   ولقد ندمت على الكلام مراراً

وفى حديث ــ ٧ ــ ينهى صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يجلس فى مجلس الحرم أو يتحادث، أو يتسامر ، أو يأكل ؛ خشية أن يعمه العذاب ، ويحيق به الأذى ويصيبه السوء ، وينال إثماً ، وطلب من الرجال أن يمنعوا زوجاتهم من بؤرة الفساد ، ومظنة الأخطاء ، وميدان كشف العورة ، ولا يخفى عدم حذر النساء وتهاونهن فى كشف أجسامهن، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن السيدة التى تترك أى شىء كان على رأسها أو جسمها فى غير بيت زوجها فضحها الله ، وأزال عطفه عليها ، ولحقها الشك وهتك سترها تعالى ، وكثرت ذنوبها ، وباءت بالخيبة ورجعت آثمة .

وفى حديث ــ ١٠ ــ حذر المسلمين أن يتركوا الجمعة ، وإلا لم يرحمهم ربهم ، ويغضب عليهم ، وأحبط أعمالهم ، وأصابهم الخسران والضلال .

وفى حديث ــ ١٢ ــ نهى النبى صلى الله عليه وسلم السيدة أن تدخل الحمام مطلقا ولو متقنعة متسترة درءاً للفساد ومنعاً للأذى ، وسداً لباب الشبه والقيل والقال .

ثم حذر المؤمن أن يختلط بامرأة أجنبية، ليست أخته، أو عمته ، أو خالته، أو أمه ، أو جدته ، وهكذا من المحرمة عليه أن يتزوجها إلى الأبد .

أدلة الباب من القرآن الكريم

قال الله تعالى: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ٣١ ــ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من

فَقَالُوا يَارَسُولَ اللهِ إِنَّهَا تُذْهِبُ الْوَصَبَ ، وَتَنْقِي الدَّرَنَ ؟ قال فَإِنَّهَا حَلاَلٌ لِذُكُورِ أُمَّتِي فِى الْأُزُرِ . حَرَامٌ عَلَى إِنَاثِ أُمَّتِي . رواه الطبراني .

[الأفق] بضم الألف وسكون الفاء وبضمها أيضًا : هى الناحية [والوصب] المرض .

الترهيب من تأخير الغسل لغير عذر

١ – عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال: ثَلاَثَةٌ لاَ تَقْرَبُهُمُ الْمَلاَئِكَةُ : جِيفَةُ(١) الْكَافِرِ ، وَالْمُتَضَمِّخُ(٢) بِالْخَلُوقِ ، وَالْجُنُبُ إِلاَّ أَنْ يَتَوَضَّأَ(٣) . رواه أبو داود عن الحسن بن أبي الحسن عن عمار ولم يسمع منه ، ورواه هو وغيره عن عطاء الخراسانيّ عن يحيى بن يعمر عن عمار قال :

الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون » ٣٢ من سورة النور .

إن الله تعالى لايخفى عليه إحالة أبصارهم ، واستعمال سائر حواسهم ، وتحريك جوارحهم ومايقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة أو سكون ـ والسيدات لاينظرن إلى ما لايحل لهن النظر إليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر ، وكذا جميع جسمهن ـ قال البيضاوى: أو التحفظ عن الزنا ، وتقديم الغض ، لأن النظر بريد الزنا، ولايظهرن حليهن وثيابهن وأصباغهن ـ فإن كل بدن الحرة عورة لايحل لغيرالزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة ، وتحمل الشهادة ، وليسترن أعناقهن إلى آخره اهـ .

فهذا تحريم عام ، فما بالك بالحمامات ! وهى موطن الاختلاط ، ومجلبة الفساد ، وكشف العورات.

(١) جثة الكافر التى فارقتها الحياة تبعد منها ملائكة الرحمة ، والكافر الحى تصحبه الملائكة الحفظة رقيب وعتيد ، ويرجى إسلامه .

(٢) التضمخ : التلطخ به والخلوق . قال فى النهاية : طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة ، وقد ورد تارة بإباحته وتارة بالنهى عنه ، والنهى أكثر وأثبت ، وإنما نهى عنه لأنه من طيب النساء ، وكن أكثر استعمالا له منهم ، والظاهر أن أحاديث النهى ناسخة اهـ .

(٣) فى البخارى « كان صلى الله عليه وسلم يغسل فرجه ويتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم ينام (فى الجنابة) » . فالمؤمن الذى يريد رحمة الله تشمله وملائكة الرحمة تحيط به وتستغفرله قبل أن ينام يتوضأ إذا لم يرد الغسل من الجنابة . وهنا أندد على أولئك المجرمين الذين يصبحون جنباً ويغسلون وجوههم كما تغسل الأعاجم ، ثم يذهبون إلى محال أعمالهم أو مدارسهم . يا عجباً ! رجل قرأ القرآن فى حياته وأعلم أنه يؤدى أعمال درسه وهو جنب ويتبجح ويذكر جنابته !!! إن هذا ملعون والله غضبان عليه وهو آثم وملائكة الرحمة تهجره ـ هذا إلى ضياع وقت الصلاة وترك صلاة الصبح ؟ وربما مرت عليه آية قرآنية فيتلوها كالببغاء .

أيها المسلمون : تطهروا من الجنابة فى وقتها أو توضئوا وناموا ، ثم بكروا للغسل وصلوا الصبح فى وقته رجاء أن الله يكلؤكم ويقيكم شر الأذى ، ويغدق عليكم نعمه ، ويكثر خيراته .

عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله ، فلايطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه فى نار جهنم » صفحة ٩٨ مختار الإمام مسلم الجزء الثانى.

قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي لَيْلاً وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ فَخَلَّقُونِي بِزَعْفَرَانٍ فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَلَمْ يُرَحِّبْ بِي ، وَقَالَ اذْهَبْ فَاغْسِلْ عَنْكَ هٰذَا فَغَسَلْتُهُ ، ثُمَّ جِئْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَقَالَ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَحْضُرُ جِنَازَةَ الْكَافِرِ بِخَيْرٍ ، وَلَا الْمُتَضَمِّخَ بِزَعْفَرَانٍ ، وَلَا الْجُنُبَ . قَالَ وَرَخَّصَ لِلْجُنُبِ إِذَا نَامَ ، أَوْ أَكَلَ ، أَوْ شَرِبَ أَنْ يَتَوَضَّأَ .

[قال الحافظ] رحمه الله : المراد بالملائكة هنا هم الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الحفظة فإنهم لايفارقونه على حال من الأحوال ، ثم قيل هذا فى حق كل من أخر الغسل لغير عذر ولعذر إذا أمكنه الوضوء فلم يتوضأ ، وقيل هو الذى يؤخره تهاونًا وكسلاً ، ويتخذ ذلك عادة ، والله أعلم .

٢ ــ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ(١) ، وَلَا كَلْبٌ(٢) وَلَا جُنُبٌ . رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

٣ ــ وعن البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس قَالَ : ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ : الْجُنُبُ ، وَالسَّكْرَانُ(٣) ، وَالْمُتَضَمِّخُ بِالْخَلُوقِ .

---

(١) أى صورة مجسمة لها عينان وأذنان ورأس وبطن؛ ويمكن أن تعيش لو مد الله فيها الحياة . إن هذا العمل من الكبائر وصاحبه معذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ سبحانه وتعالى فعذابه يستمر ويشتدحتى يشفع صلى الله عليه وسلم فى المسلم المذنب بعمله هذا ، أما الصورة التى على الورقة الشمسية ، فإن وضعت فى مكان محترم تمنع ملائكة الرحمة . أما إذا حفظت فى كتاب التاريخ ، أو للعظة ، أو لدرس مسألة ، أو لضبط سارق ، أو لتذكار صديق ، أو لبيان المشبوهين ، أو لإخراج صورة حاج ، أو إجازة سلاح ، أو غير أولئك من التى لها فوائد وعليها نظام العمران ، وترشد رجال الحكومة ، وتوضح مسائل العلوم والمعارف ، فأرى أنها حلال بقدر منفعتها ، وأنها لا توضع للنظارة . وأما التى توضع للامتهان فلا حرمة فيها كصورة البساط أو ما شابهه وتكون موطىء النعال .

(٢) الكلب لغير الحرث : أو الماشية الذى يقتنى للكبرياء ، والنطرسة والزينة ، ولا فائدة منه .

(٣) الذى يتعدى بإزالة عقله ويشرب كل مسكر من خمر ، أو بوظة ، أو حشيش ، أو الأفيون ، وهكذا من كل مغيب شأن الكرة الفجرة الفسقة فتبعد عنه ملائكة الرحمة ، وهم فى سخط الله وغضبه حتى يتوبوا ، والله أعلم .

الترغيب فى الوضوء وإسباغه

١ — عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فى سُؤَالِ جِبْرَائِيلَ إِيَّاهُ عَنِ الإِسْلَامِ فَقَالَ : الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَحُجَّ ، وَتَعْتَمِرَ ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَأَنْ تُتِمَّ الْوُضُوءَ(١) ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَٰلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : صَدَقْتَ. رواه ابن خزيمة فى صحيحه هكذا، وهو فى الصحيحين وغيرهما بنحوه ، بغير هذا السياق.

٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا(٢) مُحَجَّلِينَ(٣) مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ . رواه البخاريّ ومسلم ، وقد قيل إن قوله : من استطاع إلى آخره ، إنما هو مدرج من كلام أبى هريرة موقوف عليه، ذكره غير واحد من الحفاظ، والله أعلم

٣ — وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى يَبْلُغَ إِبْطَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَٰذَا الْوُضُوءُ؟ فقال: يا بنى فروخ أنتم هاهنا ! لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَٰذَا الْوُضُوءَ ، سَمِعْتُ خَلِيلِي رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم يَقُولُ: تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ(٤) مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ الْوُضُوءُ. ورواه ابن خزيمة

---

(١) أى أن تتقن الأعمال الظاهرة التى تنبىء عن اتباع الدين الحنيف المحمدى وأن تؤدى سننه وأن تفعل أركانه.

(٢) الغر جمع الأغر من الغرة : بياض الوجه ، يريد صلى الله عليه وسلم بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة ، وأصل الغرة البياض فى وجه الفرس. (٣) أى بيض مواضع الوضوء من الأيدى والوجه والأقدام استعار أثر الوضوء فى الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذى يكون فى وجه الفرس ويديه ورجليه.

(٤) أى المبالغة فى الوضوء أعظم حلية يتحلى بها المؤمن وأغلى كنز يدخر ثوابه عند الله وأبهى نور يكون له يوم القيامة بمعنى التحقق فى مرور الماء على العضو ، وزيادة ما فوق السنة من نهاية العضو المقرر للوضوء . فأنت تجد سيدنا أبا هريرة بالغ حتى وصل الماء الى إبطه فوق المرفقين بمسافة بعيدة كما قال سيدنا عبد الله ابن عمر (نور على نور) فليحذر المسلمون من السرعة فى الوضوء وعدم إتمام مرور الماء على العضو، وأرجو ألا يتكلموا أثناء الوضوء خشية أن يزول بهاء النور الذى يظللهم أثناءه ، وأن يخللوا الأصابع ويتحرزوا بإزالة الأوساخ التى تعلق بالأطراف ، وليجتهدوا أن يكونوا دائماً على وضوء : « الوضوء سلاح المؤمن » ، وقد سمع صلى الله عليه وسلم دف نعلى بلال فى الجنة ، وسأل بلالا عن سبب ذلك، فأجاب : أنه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين لله .

في صحيحه بنحو هذا إلا أنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إنَّ الحِلْيَةَ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الطَّهُورِ .

[الحلية] مايحلي به أهل الجنة من الأساور ونحوها .

٤ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ[1] قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ[2] اللهُ بِكُمْ عَنْ قَرِيبٍ لَاحِقُونَ ، وَدِدْتُ[3] أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا . قَالُوا : أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ . قَالُوا : كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ[4] خَيْلٍ دُهْمٍ[5] بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ[6] . رواه مسلم وغيره .

---

(١) منصوب على الاختصاص ، والمراد بالدار الجماعة أويا أهل الدار . (٢) وفي قوله صلى الله عليه وسلم « وإنا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون » استثناء للتبرك وامتثال أمرالله تعالى في قوله : (ولاتقولن لشيء ني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) ، وحكى الخطابي وغيره أنه عادة المتكلم يحسن به كلامه اه نووى .
وإن الموت لا شك فيه * الموت باب وكل الناس داخله *

(٣) قال النووى ص ١٣٨ ـ قال العلماء في هذا الحديث جواز التمني لا سيما في الخير ولقاء الفضلاء وأهل الصلاح ، والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم : « وددت أنا قد رأينا إخواننا » أى رأيناهم في الحياة الدنيا . قال القاضي عياض : وقيل المراد تمنى لقائهم بعد الموت ، وقال الإمام الباجي قوله صلى الله عليه وسلم : بل أنتم أصحابي ليس نفياً لأخوتهم ، ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة ، فهؤلاء إخوة صحابة ، والذين لم يأتوا إخوة ليسوا بصحابة، كما قال الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) اه .
ولا تنس يا أخي فضل صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن من رآه من عمره ، وحصلت له مزية الصحبة أفضل من كل من يأتي بعد ، كما قال العلماء ، وكما قال صلى الله عليه وسلم: « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

(٤) معنى بين ظهري : بينهما . (٥) جمع أدهم ، وهو الأسود ، والدهمة : السواد ، وأما البهم فقيل السود أيضاً ، وقيل البهم الذى لايخالط لونه لوناً سواه ، سواء أكان أسود ، أو أبيض ، أو أحمر ، بل يكون لونه خالصاً ، وهذا قول ابن السكيت وأبي حاتم السجستاني وغيرهما اه نووى ص ١٣٩ .

(٦) قال الهروى وغيره : أى أنا أتقدمهم على الحوض . قال النووى : يقال فرط القوم : إذا تقدمهم ليرتدى لهم الماء ، ويهيء لهم الدلاء والرشاء، وفي هذا الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً، فهنيئاً لمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرطه اه ، وزاد مسلم في هذه الرواية: « ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يزاد البعير الضال . أناديهم : ألا هلم ، فيقال إنهم بدلوا بعدك . فأقول : سحقاً سحقاً » .

٥ – وَعَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ تَرَ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ : غُرٌّ مُحَجَّلُونَ بُلْقٌ[١] مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ . رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، ورواه أحمد والطبرانى بإسناد جيد نحوه من حديث أبى أمامة .

٦ – وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَأَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ ، وَمِنْ خَلْفِي مِثْلَ ذٰلِكَ ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلَ ذٰلِكَ ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلَ ذٰلِكَ. فَقَالَ رَجُلٌ : كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ ؟ قَالَ : هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ لَيْسَ لِأَحَدٍ كَذٰلِكَ غَيْرِهِمْ وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، وَأَعْرِفُهُمْ تَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ . رواه أحمد ، وفى إسناده ابن لهيعة ، وهو حديث حسن فى المتابعات .

٧ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم قَالَ : إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ، أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ[٢] آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا[٣] يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ . رواه مالك ومسلم والترمذى ، وليس عند مالك والترمذى غسل الرجلين.

٨ – وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ عُثْمَانَ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هٰذَا ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ هٰكَذَا غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ

---

(١) جمع أبلق ، تتألق جباههم ويظهر فيها النور والبهاء: إذ البلق سواد وبياض، وكذا البلقة ، ويقال: فرس أبلق وبلقاء .

(٢) شك من الراوى، والمراد بالخطايا الصغائر. قال القاضى : والمراد بخروجها مع الماء ... ارة فى غفرانها لأنها ليست بأجسام فتخرج حقيقة ، والله أعلم . (٣) اكتسبتها .

وَمَشْيُهُ إِلَي الْمَسْجِدِ نَافِلَةً(١). رواه مسلم ، والنسائى مختصراً ، ولفظه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَامِنِ امْرِئٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَابَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاَةِ الْأُخْرَى حَتَّي يُصَلِّيهَا . وإسناده على شرط الشيخين ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه مختصراً بنحو رواية النسائى ، ورواه ابن ماجه أيضاً باختصار ، وزاد فى آخره : وقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : وَلاَ يَغْتَرَّ أَحَدٌ . وفى لفظ النسائى قال : مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ فَالصَّلَوَاتُ الْخَمسُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ .

٩ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِى هٰذَا ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ ، غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ(٢) ، قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وَسلم : لاَتَغْتَرُّوا(٣) . رواه البخارى وغيره .

١٠ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ ضَحِكَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَلاَ تَسْأَلُونِي مَا أَضْحَكَنِي؟ فَقَالُوا : مَا أَضْحَكَكَ يَاأَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وَسلم تَوَضَّأَ كَمَا تَوَضَّأْتُ ثُمَّ ضَحِكَ(٤) فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِي مَاأَضْحَكَكَ؟ فَقَالُوا:

---

(١) أى زيادة حسنات، بمعنى أن الوضوء يزيل الذنوب الصغائر . قال النووى : صالح للتكفير، فإن وجد ما يكفره من الصغائر كفره ، وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ، ورفعت به درجات، وإن صادف كبيرة أو كبائر ، ولم يصادف صغيرة رجونا أن يخفف من الكبائر. والله أعلم اهـ ص ١١٣ .

(٢) قال النووى : المراد بالغفران غفران الصغائر دون الكبائر ، وفيه استحباب صلاة ركعتين فأكثر عقب كل وضوء، وهو سنة مؤكدة ـ قال جماعة من أصحابنا : ويفعل هذه الصلوات فى أوقات النهى وغيرها لأن لها سببا واستدلوا بحديث بلال رضى الله عنه أنه كان متى توضأ صلى، وقال: إنه أرجى عمل عمله، ولو صلى فريضة أو نافلة مقصودة حصلت له هذه الفضيلة كما تحصل تحية المسجد بذلك ، والله أعلم اهـ ص ١٠٨ .

(٣) أى لا تركنوا إلى هذا الغفران بلا عمل صالح تقدمونه . أنعم بك يا رسول الله ونعم المؤدب أنت، تحث المسلمين على إتمام الوضوء واستكمال الفروض والسنن رجاء أن الله يعفو عن الصغائر ، ثم تدعوهم إلى تشييد قصور الصالحات ، وغرس المكارم الطيباب ، وعدم الغرور، والزهو، والتقصير ، والاكتفاء بثواب الوضوء: إن المؤمن من استكثر من الخير وعده قليلا فى كتابه. ولن يرسخ الإيمان فى القلب، وتثمر دوحته إلا إذا شعر الإنسان أنه فى حاجة إلى تكميل، وسعى إلى تجميل نفسه، تتخلى عن الرذائل ، وتحلى بالفضائل، ويطلب المزيد ماعاش ، ويتقصى نقائصه فيتكمل ، وينظر بمنظار المستفيد ، ويتجنب العجب والافتخار بعمله . يقولون فى الحكم : من اغتر بعمله هلك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحدا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة ، فسددوا وقاربوا » .

(٤) ضحك صلى الله عليه وسلم فرحاً بفضل الله وتكرمه بإزاحة الذنوب الصغيرة جزاء أفعال الوضوء ، وزاد سروره مضاعفة حسناته .

مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا بِوَضُوءٍ فَغَسَلَ وَجْهَهُ حَطَّ اللهُ عَنْهُ كُلَّ خَطِيئَةٍ أَصَابَهَا بِوَجْهِهِ ، فَإِذَا غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ كَانَ كَذٰلِكَ ، وَإِذَا طَهَّرَ قَدَمَيْهِ كَانَ كَذٰلِكَ . رواه أحمد بإسناد جيد ، وأبو يعلى ، ورواه البزار بإسناد صحيح ، وزاد فيه : فَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ كَانَ كَذٰلِكَ .

١١ ــ وَعَنْ حُمْرَانَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : دَعَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِوَضُوءٍ وَهُوَ يُرِيدُ الْخُرُوجَ إِلَى الصَّلَاةِ فِى لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ، فَقُلْتُ : حَسْبُكَ[(١)] اللهُ وَاللَّيْلَةُ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : لَا يُسْبِغُ[(٢)] عَبْدٌ الْوُضُوءَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . رواه البزار بإسناد حسن .

١٢ ــ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ الْخَصْلَةَ الصَّالِحَةَ تَكُونُ فِى الرَّجُلِ فَيُصْلِحُ اللهُ بِهَا عَمَلَهُ كُلَّهُ ، وَطُهُورُ الرَّجُلِ لِصَلَاتِهِ يُكَفِّرُ اللهُ بِطُهُورِهِ ذُنُوبَهُ[(٣)] ، وَتَبْقَى صَلَاتُهُ لَهُ نَافِلَةً . رواه أبو يعلى والبزار والطبراني فى الأوسط من رواية بشار بن الحكم .

١٣ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ الصُّنَابِحِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ فَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ[(٤)]

---

(١) كافيك الله . (٢) يكمل ويتمم الأركان والسنن ويجتهد فى صبور الماء على جميع الأعضاء .
(٣) أجمعت الأمة على أن الطهارة شرط فى صحة الصلاة . والطهور المراد به الفعل بضم الطاء ويجوز فتحها، منه قوله صلى الله عليه وسلم « الطهور شطر الإيمان » أى الأجر فيه ينتهى تضعيفه إلى نصف أجر الإيمان ص ١٠٠ نووى . وتحرم الصلاة بغير طهارة من ماء أو تراب . (٤) أى بأفعال الوضوء أزال الله سيئاته الصغيرة وضاعف حسنات خطواته إلى المسجد ، وثواب صلاته ، وكان ذلك كنزا ، وذخيرة له .

وَصَلاَتُهُ نَافِلَةً . رواه مالك والنسائي ، وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ، ولا علة له ، والصنابحيّ . صحابى مشهور .

١٤ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَنْبَسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ وَأَنَا فِى الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ فِى مَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ فَالْوُضُوءُ حَدِّثْنِي عَنْهُ ، فَقَالَ : مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ[(١)] فَيُمَضْمِضُ[(٢)] ، وَيَسْتَنْشِقُ[(٣)] فَيَسْتَنْثِرُ[(٤)] إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ فِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ[(٥)] ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلَّا خَرَّتْ[(٦)] خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثُمَّ يَغْسِلُ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ، فَإِنْ هُوَ قَامَ ، وَصَلَّى فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَمَجَّدَهُ[(٧)] بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وَفَرَّغَ[(٨)] قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى إِلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[(٩)] . رواه مسلم .

١٥ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ إِلَى وَضُوئِهِ يُرِيدُ الصَّلاَةَ ، ثُمَّ غَسَلَ كَفَّيْهِ نَزَلَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مِنْ كَفَّيْهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ ، فَإِذَا مَضْمَضَ ، وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ، نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ لِسَانِهِ وَشَفَتَيْهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ نَزَلَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ سَلِمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . قَالَ : فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ رَفَعَ اللهُ دَرَجَتَهُ ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ سَالِمًا . رواه أحمد وغيره

(١) بالفتح : الماء الذى يتوضأ منه ، وهو أيضاً مصدر كالولوع ، والقبول ، وقيل المصدر بالضم .
(٢) يضع الماء فى فمه . (٣) يضع الماء فى طرف أنفه .
(٤) يخرج الماء من أنفه مع مخاط ، أو شبهه . (٥) فمه وأطراف أنفه . (٦) سقطت .
(٧) عظمه وعبده . (٨) انقطع عن مشاغل الدنيا ووساوسها ، وصرف ذهنه وقلبه لله ولعبادته .
(٩) بمعنى أن صحيفته نقية طاهرة بيضاء سالمة من الصغائر .

من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب ، وقد حسنها الترمذى لغير هذا المتن ، وهو إسناد حسن فى المتابعات لا بأس به .

١٦ — وَفِى رِوَايَةٍ لَهُ أَيْضًا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه و سلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ[١] الْوُضُوءَ : غَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ ، غُفِرَ لَهُ فِى ذٰلِكَ الْيَوْمِ مَامَشَتْ[٢] إِلَيْهِ رِجْلُهُ ، وَقَبَضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ ، وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أُذُنَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ ، وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سُوءٍ[٣] . قَالَ : وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّ اللهِ صلي الله عليه وسلم مَالَا أُحْصِيهِ .

١٧ — ورواه أيضا بنحوه من طريق صحيح ، وزاد فيه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم قَالَ : الْوُضُوءُ يُكَفِّرُ مَا قَبْلَهُ ثُمَّ تَصِيرُ الصَّلَاةُ نَافِلَةً .

١٨ — وَفِى أُخْرَى لَهُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ خَرَجَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَيَدَيْهِ ، وَرِجْلَيْهِ ، فَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ مَغْفُورًا لَهُ . وإسناد هذه حسن .

١٩ — وَفِى أُخْرَى لَهُ أَيْضًا : إِذَا تَوَضَّأَ الْمُسْلِمُ فَغَسَلَ يَدَيْهِ كُفِّرَ عَنْهُ مَا عَمِلَتْ يَدَاهُ ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كُفِّرَ عَنْهُ مَانَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ ، وَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ كُفِّرَ بِهِ مَا سَمِعَتْ أُذُنَاهُ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ كُفِّرَ عَنْهُ مَامَشَتْ إِلَيْهِ قَدَمَاهُ ، ثُمَّ يَقُومُ إِلَي الصَّلَاةِ فَهِىَ فَضِيلَةٌ ، وإسناد هذه حسن أيضا .

---

(١) فأتم وأفاض . (٢) يعنى أن الله تعالى يغضى عن هفوات خطواته إذا مشت فى صغائر ، ويعفو عما اقترفت يداه ، ويسامح سمعه وبصره إذا سمع أو نظر إلى الذنوب الصغائر .

(٣) الله يتكرم بغفران مامر بخاطره أو فكر فيه ، وحسبك قول الله تبارك وتعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) وفسر هذه الآية حديث البخارى فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزلت عليه (وأقم الصلاة) الآية . قال الرجل ألى هذه ؟ قال عليه الصلاة والسلام: لك ولمن عمل بها من أمتى » والطرف الأول الصبح ، والثانى الظهر والعصر ، وزلف الليل المغرب والعشاء ، أو ساعات بعد ساعات . قال القسطلانى : أى هذه الآية بأن صلاتى مذهبة لمصيبتى مختصة بى أو عامة للناس كلهم ؟ وفيه عدم الحد فى القبلة ونحوها وسقوط التعزير عمن أتى شيئا منها وجاء تائبا نادماً ، وقال ابن المنذر : يؤخذ منه أنه لا حد على من وجد مع أجنبية فى لحاف واحد ، والله أعلم . اهـ ص ١٧٠ جواهر البخارى شرح القسطلانى .

وقال النسفى فى تفسير قوله تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) إن الصلوات الخمس يذهبن الذنوب ، وفى الحديث « إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب أو الطاعات » قال عليه الصلاة والسلام : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » . أو سبحان الله . والحمد لله . ولا إله إلا الله . والله أكبر اهـ ص ١٥٩ .

٢٠ — وفى رواية للطبراني فى الكبير . قالَ أبُو أُمَامَةَ : لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلاّ سَبْعَ مَرّاتٍ مَاحَدّثْتُ بِهِ . قَالَ : إِذَا تَوَضّأَ الرّجُلُ كَمَا أُمِرَ ذَهَبَ الإِثْمُ(١) مِنْ سَمْعِهِ ، وَبَصَرِهِ، وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وإسناده حسن أيضاً .

٢١ — وَعَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبَّادٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَا أَدْرِي كَمْ حَدّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم أَزْوَاجاً أَوْ أَفْرَادًا ، قَالَ : مَامِنْ عَبْدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ فَيَغْسِلُ وَجْهَهُ حَتّى يَسِيلَ الْمَاءُ عَلَى ذَقَنِهِ ، ثُمّ يَغْسِلُ ذِرَاعَيْهِ حَتّى يَسِيلَ الْمَاءُ عَلَى مِرْفَقَيْهِ ثمّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتّي يَسِيلَ الْمَاءُ مِنْ كَعْبَيْهِ ، ثُمّ يَقُومُ فَيُصَلِّي إِلاّ غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ . رواه الطبراني فى الكبير بإسناد ليّن .

[الذقن] بفتح الذال المعجمة والقاف أيضاً : وهو مجتمع اللّحيين من أسفلهما .

٢٢ — وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : الطُّهُورُ(٢) شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ(٣) ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ تَمْلآنِ ، أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ(٤) ، وَالصّلاَةُ نُورٌ(٥) ؛ وَالصّدَقَةُ بُرْهَانٌ(٦) .

---

(١) الذنب الصغير يعفو الله عنه تفضلا جزاء إقدامه على الطهارة .

(٢) بضم الطاء الفعل على المختار، ويجوز فتحها ، والمعنى: النظافة، والنقاء ، والإقدام على الطهارة نصف التصديق بالله ، والإيمان به ، وسبب الإقبال على الطاعات ، والإكثار من العبادات ، وشطر بمعنى نصف. وقيل المراد بالإيمان الصلاة، والطهارة شرط فى صحتها كما قال الله تعالى: ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ وقيل معناه الإيمان تصديق بالقلب ، وانقياد بالظاهر ، وهما شطران للإيمان ، والطهارة متضمنة الصلاة فهى انقياد فى الظاهر. (٣) عظم أجرها عند الله حتى أن ثوابها تملأ حسناته الميزان فيرجح لقائلها والمحافظ على ذكر الله وحده ، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال ، وثقل الموازين وخفتها .

(٤) لوقدر ثوابهما جسما لملأ مابين السموات والأرض،وسبب عظم فضلهما مااشتملت عليه من التنزيه لله تعالى بقوله : سبحان الله والتفويض والافتقار إلى الله تعالى بقوله والحمد لله — والله أعلم اهـ نوري ص ١٠١ .

(٥) قال النووى: معناه أنها تمنع من المعاصى وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدى إلى الصواب كما أن النور يستضاء به، وقيل معناه أن يكون أجرها نورا لصاحبه يوم القيامة ، وقيل لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها، وإقباله على الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) وقيل معناه أنها تكون به نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ، ويكون فى الدنيا أيضا على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل ، والله أعلم . اهـ .

(٦) قال صاحب التحرير : معناه يفزع إليها كما يفزع إلى البراهين، كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين فى جواب هذا السؤال فيقول تصدقت به — قال ويجوز أن يوسم المتصدق بسيماء يعرف

وَالصَّبْرُ(١) ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ(٢) كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو(٣) فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا . رواه مسلم والترمذى وابن ماجه إلا أنه قال : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ ،ورواه النسائى دون قوله : كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو إِلَى آخِرِهِ .

[قال الحافظ عبد العظيم] وقد أفردت لهذا الحديث وطرقه وحكمه وفوائده جزءاً مفرداً.

٢٣ — وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم قال: مَامِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ(٤) الْوُضُوءَ ، ثُمَّ يَقُومُ فِى صَلَاتِهِ فَيَعْلَمُ مَايَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ(٥) وَهُوَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . الحديث . رواه مسلم وأبو داود والنسائى، وابن ماجه ، وابن خزيمة والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح الإسناد .

بهاء فيكون برهانا له على حاله ولايسأل عن مصرف ماله — وقال غير صاحب التحرير:معناه الصدقة حجة على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها لكونه لايعتقدها فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه،والله أعلم.

(١) حبس النفس على طاعة الله تعالى، والامتناع عن المعاصى، وتحمل النائبات: وأنواع المكاره فى الدنيا: قال النووى : والمراد أن الصبر محمود ، ولا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب ، قال إبراهيم الخواص : الصبر: هو الثبات على الكتاب والسنة . وقال ابن عطاء الله : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وقال الأستاذ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى : حقيقة الصبر ألا يعترض على المقدور ، فأما إظهار البلاء لاعلى وجه الشكوى فلا ينافى الصبر قال الله تعالى فى أيوب عليه السلام : (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) مع أنه قال : (إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) اهـ . والله أعلم . وقال تعالى فى سورة هود : (واصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين) . (٢) قال النووى رحمه الله تعالى معناه ظاهر:أى تنتفع به إن تلوته وعملت به، وإلا فهو حجة عليك اهـ ص ١٠٢ .

يا أخى القرآن يتلى الآن أمامك ، وتسمعه بأذنك ، فعليك أن تعمل به ، وتصغى لإرشاداته ، وتتحلى بآدابه لتصل إلى الله وتفوز ، ولا تفرط فى درره ، وإلا تضيع لآلئه،وحذار أن تهمل نصائحه،خشية أن يكون لك يوم القيامة العدو الألد ، والخصم القوى الحجة عليك . قال الله تعالى : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ١٠ وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) ١١ من سورة الإسراء . قال البيضاوى : يبشر المؤمنين ببشارتين : ثوابهم ، وعقاب أعدائهم اهـ .

إن فيه فئة الآن تترك تعاليم القرآن، وتنتسب إلى الإسلام،وهى على شفا جرف هار فى النار. والدليل على ذلك أنها تجلس فى مجالسه فتلغوا ، وتتحدث أثناء القراءة ، وتشرب الدخان ، وتضحك، وتقهقه ، وتهوش ، وتلعب الشطرنج أو النارد — والقارئ يقرأ،وهكذا من صنوف قلة الأدب، وترك التأديب مع الله الذى أنزل القرآن للناس رحمة ونعمة — قال الله تعالى(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) .

(٣) قال النووى رحمه الله: معناه كل إنسان يسعى بنفسه،فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أى يهلكها . والله أعلم : اهـ . (٤) يتم .

(٥) خرج نقيا ، من فتل الحبل إذا جمع دقائقه ، وأوجد منها مايصلح .

٢٤ – وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قال: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِى الْمَكَارِهِ(١)، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ(٢) إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ(٣) يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا . رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

٢٥ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قالُوا بَلَى يَارَسُولَ اللهِ قالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا(٤) إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ، رواه مالك ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه بمعناه، ورواه ابن ماجه أيضاً، وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى إلا أنهما قالا فيه: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَزِيدُ بِهِ فِي الْحَسَنَاتِ، وَيُكَفِّرُ بِهِ الذُّنُوبَ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قال، إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكْرُوهَاتِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ(٥). رواه ابن حبان فى صحيحه عن شرحبيل بن سعد عنه.

٢٦ – وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: مَنْ أَسْبَغَ الْوُضُوءَ فِى الْبَرْدِ الشَّدِيدِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كِفْلَانِ(٧). رواه الطبراني فى الأوسط .

---

(١) عند البرد، أو المصائب، فيتمم المتوضئ الفروض والسنن، ويعمد إلى الصلاة، ويرجو عفو الله.
(٢) الذهاب إلى المساجد لصلاة جماعة. (٣) يصلى الفرض ويجلس حتى يأتى وقت الفريضة الأخرى.
(٤) كثرة المشى كل خطوة عشر حسنات ونحو عشر سيئات، فالصالح من حافظ على صلاة الجماعة فى المسجد وأكثر الخطوات رجاء الثواب، وعمرها بذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٥) قال ابن الأثير فى النهاية: فى الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها، فشبه ما ذكر من الأفعال الصالحة والعبادة بالرباط، وقال القتيبي أصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهم فى ثغر كل منهما معد لصاحبه فسمى المقام فى الثغور رباطا، ومنه قولهم فذلكم الرباط، أى إن المواظبة على الطهارة، والصلاة والعبادة كالجهاد فى سبيل الله تعالى فيكون الرباط مصدر رابطت: أى لازمت، وقيل الرباط هاهنا اسم لما يربط به الشىء أى يشد، يعنى أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصى وتكفه عن المحارم ص ١٠ ج ٢.
(٦) أتم. (٧) نصيبان من الأجر.

٢٧ – وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَتَانِى اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّى، قَالَ يَا مُحَمَّدُ: أَتَدْرِى[1] فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ فِى الْكَفَّارَاتِ[2]، وَالدَّرَجَاتِ[3]، وَنَقْلِ الأَقْدَامِ لِلْجَمَاعَاتِ[4]، وَإِسْبَاغِ[5] الْوُضُوءِ فِى السَّبَرَاتِ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، رواه الترمذى فى حديث يأتي بتمامه إن شاء الله تعالى فى صلاة الجماعة، وقال حديث حسن

[السبرات] جمع سبرة، وهى شدة البرد.

٢٨ – وَعَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: مَنْ تَوَضَّأَ وَاحِدَةً[6] فَتِلْكَ وَظِيفَةُ الْوُضُوءِ الَّتِى لَابُدَّ مِنْهَا، وَمَنْ تَوَضَّأَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُ كِفْلَانِ مِنَ الأَجْرِ، وَمَنْ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا[7] فَذَلِكَ وُضُوئِى وَوُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِى، رواه الإمام أحمدُ وابن ماجه، وفى إسنادهما زيد العمىّ، وقد وُثق، وبقية رواة أحمد رواة الصحيح، ورواه ابن ماجه أطول منه من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف.

٢٩ – وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، رواه النسائى وابن ماجه بإسناد صحيح.

٣٠ – وَعَنْ أَبِى أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ[9] وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

(١) أتعلم فى أى شىء يتنازع ويتخاصم الملائكة سكان السماء، عباد الرحمن.
(٢) أسباب إزالة الخطايا، وحوز رضا الله، ونيل فضله، وكسب إحسانه. (٣) الرقى والمحامد والفوز.
(٤) وثواب الخطا إلى المساجد: وحسبك قوله صلى الله عليه وسلم: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح». (٥) إتمام. (٦) اقتصر على واحدة، وهى أداء الفرض.
(٧) السنة أن يعمل ثلاثا، وهى الموافقة شرائعهم. (٨) مزيلات صغائر الذنوب.
(٩) أى توضأ وضوءا جائزا تام الفروض والسنن، وصلى بتؤدة، وتأن، وكانت صلاته تامة الأركان والشروط والسنن.

قال القاضى عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها، قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة، ويكون دليلا على غفرانها، ورفع الدرجات إعلاء المنازل فى الجنة. وإسباغ الوضوء تمامه، والمكاره تكون بشدة البرد، وألم الجسم، ونحو ذلك، وكثرة الخطا تكون ببعد الدار، وكثرة التكرار: اهـ ص ١٤١ نووى.

عملٍ، رواه النسائى، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال:

والدليل من الكتاب قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) إلى آخر الآية.

قال البيضاوى: أى إذا أردتم القيام، كقوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز، والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغى أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة — أو إذا قصدتم الصلاة لأن التوجه إلى الشيء والقيام إليه قصد له، وظاهر الآية وجوب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة، وإن لم يكن محدثاً والإجماع على خلافه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله عنه: صنعت شيئاً لم تكن تصنعه، فقال: عمداً فعلته، فقيل مطلق أراد به التقييد — والمعنى إذا قمتم إلى الصلاة محدثين. وقيل الأمر فيه للندب اهـ ص ١٦٩.

قال النووى: اختلف أصحابنا فى الموجب للوضوء على ثلاثة أوجه: أحدها أنه يجب بالحدث وجوباً موسعاً ثانيها: ألا يجب إلا عند القيام إلى الصلاة. ثالثها: يجب بالأمرين وهو الراجح اهـ.

الآية الثانية: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ٢٢٢ من سورة البقرة: أى يحب من طهر من الذنوب والأقذار، وبعد من الفواحش، وتنزه عن الكبائر، وأقدم إلى ربه نادماً راجياً.

الآية الثالثة قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) ٩ سورة التحريم: أى ارجعوا عن ذنوبكم واعزموا عزمة بالغة فى النصح أو توبوا نصيحاً لأنفسكم. وسئل على رضى الله تعالى عنه عن التوبة فقال: يجمعها ستة أشياء: على الماضى من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم. وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تربى بنفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية اهـ. دليلنا (نورهم يسعى بين أيديهم) على الصراط، وكما قال صلى الله عليه وسلم «هم غر محجلون من أثر الوضوء».

اقرأ باب الوضوء أيها المسلم، وتمعن فى تفهمه، وترو فى درسه، تجد حلاوة الوضوء بهاء، وجلاء ونظافة، وكمالا، وصحة ونوراً — طهارة الفم من الأقذار والجراثيم الباقية من الطعام والشراب، والمحافظة على كنز الأسنان وحفظها من السوس الألد فى الضرر. هذا إلى نظافة الفم مما علق به من الغبار والتراب ثم نظافة العينين والخدين (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) والمعجزة الخالدة مسح الرأس حتى يتمرن الجسم على مصادمة الهواء، وحتى يزول العرق السام وحتى يتنعم الجسم نضارة، فلا يمرض من شدة الهواء، ولا تصيبه كحة، ولا ترمد عيناه. وعنه صلى الله عليه وسلم أخذت المدنية الحديثة اليوم: غسل الرأس، وكشفها وتمشيطها، وتعريضها للهواء، ثم تنظف القدمان من الأوساخ وتخلل الأصابع، وقد غبط الفرنجة المسلمين فى هذه الفعلة المحمودة وعملوها صباحاً وظهراً ومساء، وآسفاه من قوم يفعلونها نظافة وطهارة ولكن لا يصلون. لعمرى الوضوء مطهرة غفل عنها اللاهون عن الله، الناسون حقوق الله، والله تعالى ما فرضه إلا سياجاً للحكمة وثمرة للصحة، وباباً للنظافة، وعنواناً للخير والبر والإحسان والكمال.

وهل تجد أبدع فائدة للوضوء من ميزة خاصة ونور يتلألأ يوم الشدائد والأهوال، فيميز الله الخبيث من الطيب فيردون على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحاط بهم ملائكة الرحمة، ويمدهم الله بظله، ويقيهم المكاره، ويمنع عنهم العذاب، ومصداق ذلك قوله تعالى:

(الدليل الرابع) (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) ١٢ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا

غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ .

انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ١٣ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ١٤ فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير) ١٥ من سورة الحديد:أى الشيء الذى يوجب نجاتهم وهدايتهم إلى الجنة يتلألأ فى جباههم تلألؤ الشمس فى واضحة النهار ، أو البدر فى كبد السماء ، تستقبلهم ملائكة الرحمة بحفاوة ، وجليل استقبال وتحمل البشرى الحسنة بالنعيم المقيم ، وينادى المنافقون والفاسقون انتظرونا أيها الصحاب . لماذا تسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف ، أو انظروا إلينا. قال البيضاوى: فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين أيديهم اهـ . وقرأ حمزة : انظرونا . على أن اتئادهم ليلحقوا بهم إمهال لهم.

وإن جواب الصالحين لأولئك الكفرة الفجرة اذهبوا إلى الدنيا دار العمل، ودار التحصيل ، ودار الثواب والعقاب . هنالك تكتسب المعارف الإلهية، والأخلاق الفاضلة، وتشيد الصالحات ، وتطاع أوامر الرحمن الديان الحنان المنان . الباعث الوارث . ذى الجلال والإكرام ، ابحثوا عن غير هذا تهكما بهم ، وتجديد الحسرة لهم، اليوم تجنون ثمرة أعمالكم وغوايتكم وضلالكم وغفلتكم عن ربكم ، ويقام جسر، أو حائط ، أو حائل بين المؤمنين والمنافقين . الجهة الأولى : تلى الجنة ، والصفحة الثانية : تلى النار، يقول المؤمنون : ذوقوا نتيجة الغواية والنفاق . فإنكم تربصتم بالمؤمنين الدوائر، وشككتم فى الدين، وغرتكم الآمال والأموال ، وامتداد العمر، وحلم الله وصبره على معاصيكم ، وكان قائدكم الشيطان الخناس ، وزهزهت لكم الدنيا وزخارفها . وشاهدنا قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث « وددت أنا قد رأينا إخواننا، وإخواننا لم يأتوا بعد ، يأتون غرا محجلين من الوضوء » وإن كان البيضاوى رحمه الله علق قوله تعالى: (يوم ترى) الظرف على قوله تعالى فيضاعفه ، أو قدرباذكر،(من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له، وله أجر كريم) ١٢ من سورة الحديد والله فضله واسع يجازى المحسن المتصدق ؟ ويجازى المتوضئ أيضا إذ رحمته لاحد لها .

وفى الحديث بيان الوضوء الكامل ، وقد عبر عنه الفقهاء بفرائض :

(١) النية: وهى قصد الشيء مقترنا بفعله، فينوى الشخص رفع الحدث الأصغر وتكون النية مقرونة بغسل أول جزء من الوجه ، ومحلها القلب ، وحكمها الوجوب . (٢) غسل الوجه، وطوله من منابت شعر الرأس المعتاد إلى مجمع اللحيين ، وعرضه من الأذن إلى الأذن، ويجب إزالة ما على الوجه من وسخ أو رمص يمنع من وصول الماء ، وغسل الهدب ، والشارب ، والحاجب، والعنفقة، والعذار . (٣) غسل اليدين مع المرفقين (٤) مسح بعض الرأس . (٥) غسل الرجلين مع الكعبين ، ويجب غسل ما بين الأصابع والثقوب، وإزالة ما عليهما ، وما تحت الأظفار من وسخ ونحوه . (٦) الترتيب فى أفعال الوضوء بأن يبدأ بغسل الوجه ، ثم اليدين ، ثم مسح الرأس، ثم غسل الرجلين ، ويسقط الترتيب بانغماسه فى ماء بنية الوضوء بعد تمام الانغماس، وفى غسله من الجنابة . وسننه التوجه للقبلة . وتوقى الرشاش والاستفاذة والتسمية وقول: الحمد لله على الإسلام ونعمته . الحمد لله الذى جعل الماء طهورا والإسلام نورا. رب أعوذ بك من همزات الشياطين ؟ وأعوذ بك رب أن يحضرون : اللهم احفظ يدى من معاصيك كلها ، وغسل الكفين إلى الكوعين والسواك ، والمضمضة ، والاستنشاق مع الج والاستنثار بثلاث غرف يتمضمض من كل منها، ثم يستنشق أفضل من الفصل ، ومسح جميع الرأس ؟ ومسح جميع الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد، وتخليل اللحية الكثة (الكثيفة) وتخليل أصابع اليدين والرجلين إن وصل الماء إليها من غير تخليل وإلا وجب، وتقديم اليمنى على اليسرى ، وتكرار المغسول أو الممسوح ثلاثا ، والموالاة أى التتابع ، وترك التنشيف بلا عذر .

تنبيه : يسن الوضوء لقراءة القرآن وسماعه والحديث وسماعه وروايته ، وحمل كتب الحديث أو التفسير ؟ والفقه وكتابتها ، وقراءة العلم الشرعى، والأذان ، والجلوس فى المسجد، ودخوله ، والوقوف بعرفة، والسعى ، وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم ، ومن حمل الميت ، وعند الغضب .

الترغيب فى المحافظة على الوضوء وتجديده

١ ــ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ اللهِ صلي اللهعليه وَسلم: اُسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ ، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما ولا علةله سوى وهم أبي بلال الأشعرى ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من غير طريق أبى بلال ، وقال فى أوّله : سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ، الحديث . ورواه ابن ماجه أيضاً من حديث ليث هو ابن أبى سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمر من حديث أبى حفص الدمشق، وهو مجهول عن أبى أمامة يرفعه .

٢ ــ وَعَنْ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ أَن رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلم قالَ : اُسْتَقِيمُوا(١) ، وَنِعِمَّا إِنِ اسْتَقَمْتُمْ ، وَحَافِظُوا عَلَى الْوُضُوءِ ، فَإِنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ، وَتَحَفَّظُوا(٢) مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ عَامِلٌ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا إِلَّا وَهِيَ مُخْبِرَةٌ بِهِ. رواه الطبرانى فى الكبير من رواية ابن لهيعة .

[قال المملى الحافظ عبد العظيم] : وربيعة الجرشى مختلف فى صحبته ، وروى عن عائشة وسعد وغيرهما ، قتل يوم مرج راهط .

---

(١) امشوا على سنن الحق والشرع ، فالاستقامة مثال التقوى الكامل وهى أحصن المعاقل ، وأعذب المناهل وأنفع الذخائر : يوم تبلى السرائر . ولذا مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : (ونعما) لأن الاستقامة أفضل الأعمال ، وأوضح المسالك إلى الفوز برضا المتعال ، وأجلب الأشياء للسعادة الباقية ، وأجناها لقطوف الجنان الدانية ، وتنفتح عن نور الصلاح .

(٢) يبين النبى صلى الله عليه وسلم أن الأرض ، وأمكنتها شاهدة على ما عمل فوقها ، ويأمر المسلمين أن يحترسوا أن يفعلوا على وجهها شرا ، ويعملوا الخير رجاء أن تشهد الأرض بحسن الأعمال . قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم .

(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ١١٢ ، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) ١١٤ : من سورة هود . قال البيضاوى : لما بين أمر المختلفين فى التوحيد والنبوة ، وأطنب فى شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها ، وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين ، والأعمال من تبليغ الوحى ، وبيان الشرائع كما أنزل ، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها ، وهى فى غاية العسر ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « شيبتنى هود » .

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ[١] عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِوُضُوءٍ ، وَمَعَ كُلِّ وُضُوءٍ بِسِوَاكٍ. رواه أحمد بإسناد حسن .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَوْمًا فَدَعَا بِلَالًا ، فَقَالَ يَا بِلَالُ : بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ ؟ إِنِّي دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي ، فَقَالَ بِلَالٌ : يَا رَسُولَ اللهِ : مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ، وَلَا[٢] أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهُ[٣] ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : لِهَذَا[٤] . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

٥ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طُهْرٍ[٥] كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

[قال الحافظ] : وأما الحديث الذى يُروى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : الوُضُوءُ عَلَى الوُضُوءِ نُورٌ عَلَى نُورٍ . فلا يحضرنى له أصل من حديث النبى صلى الله عليه وسلم ولعله من كلام بعض السلف ، والله أعلم .

الترهيب من ترك التسمية على الوضوء عامدا

١ — قَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ : ثَبَتَ لَنَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُسَمِّ اللهَ[٦] كَذَا قَالَ :

٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم :

---

(١) لولا أن أسن عملا عسيرا . (٢) فى نسخة : وما . (٣) فى نسخة : عندها .

(٤) فى نسخة: بهذا.أى أن النبى صلى الله عليه وسلم طلب بلالا يحدث عن هذا الفضل العظيم فسأله أى شىء عمله فسبقنى الى الجنة؟وقد سمعت صوت مشيك فى الجنة ؟ فأجاب بلال : بالمحافظة على الطهارة والوضوء فإذا حصل ناقض جدد وضوءه ، بهذا رفع الله درجته فى الجنة .

(٥) وضوء : يعنى أن يجدد الإنسان وضوءه مرة ثانية كلابس ثوب جديد، يقبل على عبادة ربه بطهارة حديثة ، وقد فسرت فيما بعد « بنور على نور » .

(٦) أى أن الذى يتوضأ ولا يقول : بسم الله الرحمن الرحيم وضوءه ناقص .

لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ(١) : وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبرانى والحاكم وقال صحيح الإسناد .

[قال الحافظ عبد العظيم] : وليس كما قال ، فإنهم رووه عن يعقوب بن سلمة الليثى عن أبيه عن أبى هريرة ، وقد قال البخارى وغيره : لايعرف لسلمة سماع من أبى هريرة ، ولا ليعقوب سماع من أبيه انتهى ، وأبوه سلمة أيضا لايعرف ماروى عنه غير ابنه يعقوب، فأين شرط الصحة ؟

٣ ــ وَعَنْ رَبَاحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حُوَيْطِبٍ عَنْ جَدَّتِهِ عَنْ أَبِيهَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ رواه الترمذى واللفظ له وابن ماجه والبيهقى، وقال الترمذى: قال محمد بن إسمعيل يعنى البخارى: أحسن شىء فى هذا الباب حديث رباح بن عبد الرحمن عن جدته عن أبيها ، قال الترمذى: وأبوها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

[قال الحافظ] : وفى الباب أحاديث كثيرة لايسلم شىء منها عن مقال . وقد ذهب الحسن وإسحاق بن راهويه ، وأهل الظاهر إلى وجوب التسمية فى الوضوء ، حتى إنه إذا تعمد تركها أعاد الوضوء، وهو رواية عن الامام أحمد، ولا شك أن الأحاديث التى وردت فيها، وإن كان لايسلم شىء منها عن مقال، فإنها تتعاضد بكثرة طرقها ، وتكتسب قوة، والله أعلم .

الترغيب فى السواك وماجاء فى فضله

ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ(٢) عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ. رواه البخارى واللفظ له، ومسلم إلا أنه قال: عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ .والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، إلا أنه قال: مع

---

(١) تبطل الصلاة بدون وضوء كما أن الوضوء الكامل بذكر اسم الله عليه ، والتسمية سنة .

(٢) لولا أن أصعب وأشدد، والسواك يطلق على العمل ، وعلى العود الذى يتسوك به، وفى اصطلاح العلماء: استعمال عود أو نحوه فى الأسنان لتذهب الصفرة وغيرها عنها ، والسواك مستحب فى جميع الأوقات ، ويزيد استحبابه فى خمسة أوقات : عند الوضوء، والقيام إلى الصلاة ، وقراءة القرآن ، وعند الاستيقاظ من النوم ، وعند تغير الفم . وعند الشافعى يكره للصائم بعد زوال الشمس ، ويستحب أن يمر السواك على طرف أسنانه ، وكراسى أضراسه ، وسقف حلقه إمرارا لطيفا ، ويبدأ بالجانب الأيمن .

الْوُضُوءِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ورواه أحمد وابن خزيمة فى صحيحه ، وعندهما : لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ .

٢ ــ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

٣ ــ وَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ كَمَا يَتَوَضَّئُونَ رواه أحمد بإسناد جيد ، ورواه البزار والطبرانى فى الكبير من حديث العباس بن عبد المطلب ولفظه : لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ[1] عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُ عَلَيْهِمُ السِّوَاكَ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْوُضُوءَ . ورواه أبو يعلى بنحوه وزاد فيه : وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

وَمَا زَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ السِّوَاكَ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُنْزَلَ فِيهِ قُرْآنٌ .

٤ ــ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ[2] لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ[3] لِلرَّبِّ . رواه النسائى وابن خزيمة وابن خزيمة فى صحيحيهما ، ورواه البخارى معلقا مجزوما ، وتعليقاته المجزومة صحيحة ، ورواه الطبرانى فى الأوسط والكبير من حديث ابن عباس ، وزاد فيه : وَمَجْلَاةٌ لِلْبَصَرِ .

٥ ــ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَرْبَعٌ

---

(١) قال الشافعى رحمه الله تعالى : لو كان واجباً لأمرهم ، شق أو لم يشق . قال النووى رحمه الله : إنه مسنون ، وفيه دليل على جواز الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم فيما لم يرد فيه نص من الله سبحانه وتعالى .

(٢) آلة نظافة وطهارة. (٣) يجلب رضا الرب سبحانه ويستحب عند قراءة الحديث ، ودرس العلم والذكر وعند دخول الكعبة ، وعند دخول الإنسان بيته ، وعند جماعه لزوجته وأمته ، وعند اجتماعه بإخوانه ، وعند العطش والجوع ، وعند الأحتضار ، ويقال إنه يسهل خروج الروح ، وفى السحر ، وإرادة الأكل ، وبعد الوتر ، وإرادة السفر ، وعند القدوم منه ، على أنه مسخطة للشيطان . مطيب للنكهة . مصف للخلقة . مزك للفطنة والفصاحة . قاطع للرطوبة . محد للنصر . مبطئ للشيب . مسو للظهر . مضاعف للأجر . مرهب للعدو . هاضم للطعام ، مذكر للشهادة عند الموت :

مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ : الْخِتَانُ(١) ، وَالتَّعَطُّرُ(٢) ، وَالسِّوَاكُ ، وَالنِّكَاحُ(٣) . رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

٦ ــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : عَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ ، فَإِنَّهُ مَطْيَبَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . رواه أحمد من رواية ابن لهيعة

٧ ــ وَعَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ؟ قَالَتْ : بِالسِّوَاكِ(٤) . رواه مسلم وغيره.

٨ ــ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ لِشَيْءٍ مِنَ الصَّلَاةِ(٥) حَتَّى يَسْتَاكَ . رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به.

٩ ــ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِاللَّيْلِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَسْتَاكُ ، رواه ابن ماجه والنسائى ، ورواته ثقات .

١٠ ــ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : تَسَوَّكُوا(٦) ، فَإِنَّ السِّوَاكَ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ ، مَا جَاءَنِي جِبْرِيلُ إِلَّا أَوْصَانِي بِالسِّوَاكِ حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي ، وَلَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي لَأَسْتَاكُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أُحْفِيَ مَقَادِمَ فَمِي . رواه ابن ماجه من طريق عليّ بن يزيد عن القاسم عنه .

١١ ــ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَقَدْ أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُنْزَلُ(٧) عَلَيَّ فِيهِ قُرْآنٌ ، أَوْ وَحْيٌ . رواه أبو يعلى وأحمد ، ولفظه : قَالَ : لَقَدْ أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُوحَى إِلَيَّ فِيهِ شَيْءٌ . ورواته ثقات .

١٢ ــ وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فى نسخة : الحناء ، والختان للرجل أن يقطع جميع الجلدة التى تغطى الحشفة حتى ينكشف جميعها ، وفى المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التى فى أعلى الفرج ، والختان واجب عند الشافعى ، وكثير من العلماء . وسنة عند مالك ــ قال النووى : والصحيح من مذهبنا أنه جائز فى حال الصغر .

(٢) استعمال الرائحة الذكية والطيب (٣) الزواج . (٤) كتب النووى رحمه الله على هذا : فيه بيان فضيلة السواك فى جميع الأوقات ، وشدة الاهتمام به وتكراره . والله أعلم .

(٥) فى نسخة : من الصلوات . (٦) استعملوا السواك . (٧) أن الله تعالى يرسل إلى آية فى بيان اتخاذه .

أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ[١] . رواه أحمد والطبرانى ، وفيه ليث ابن أبى سليم .

١٣ — وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليْه وَسلم : مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالسِّوَاكِ حَتَّى خِفْتُ عَلَى أَضْرَاسِي . رواه الطبرانى بإسناد ليِّن .

١٤ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَزِمْتُ السِّوَاكَ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُدْرِدَ فِيَّ[٢] . رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورواته رواة الصحيح، ورواه البزار من حديث أنس ، ولفظه : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

لَقَدْ أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَدْرَدَ[٣] [الدَّرَد] : سقوط الأسنان .

١٥ — وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَمِرَ بِالسِّوَاكِ، وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ[٤] ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ فَيَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا صَارَ فِى جَوْفِ[٥] الْمَلَكِ ، فَطَهِّرُوا[٦] أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ . رواه البزار بإسناد جيد لا بأس به . وروى ابن ماجه بعضه موقوفا ، ولعله أشبه .

١٦ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وَسلم عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم قَالَ : فَضْلُ الصَّلَاةِ[٧] بِالسِّوَاكِ عَلَى الصَّلَاةِ بِغَيْرِ سِوَاكٍ سَبْعُونَ ضِعْفاً .

---

(١) يفرض علي . (٢) يؤثر على فمى، والدرد : سقوط الأسنان، وفى النهاية حديث «لزمتُ السواك حتى خشيت أن يدردنى » أى يذهب بأسنانى اهـ . ورجل أدرد : ليس فى فمه سن ، والأنثى درداء ، وبابه طرب، ودريد : تصغير أدرد . (٣) فى نسخة : يدردنى .

(٤) يخبر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يحافظوا على السواك، رجاء أن الحفظة ، وملائكة الرحمة يتقربون منه ، ويتلذذون بسماع قراءته ، ويدعون له بالغفران والرضوان ، ويشمون فاه ، فإذا شموا رائحة كريهة نفروا منه ، وبعدوا عنه ، وحرم نفسه من جوار الملائكة البررة . (٥) بطنه ليبقى أثرها ، ويدوم نفعها ، ويتجلى فضلها إلى يوم القيامة .

(٦) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتطهير الفم ، استعدادا للعبادة ، واحتراماً لذكر الله وقرآنه .

(٧) أى إن الصلاة مع استعمال سنة السواك يضاعف الله ثواب حسناتها بسبعين ضعفا عن صلاة بلا سواك . فعليك أيها المسلم بفائدته الجليلة العصرية، وقد استعمله الأجانب فى نظافة الأسنان، وأوصى الأطباء الأفرنج بعمل مسحوق منه يباع فى الصيدليات ، قال عنه الحافظ بن حجر :

رواه أحمد والبزار، وأبو يعلى،وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال: فى القَلْبِ مِنْ هٰذَا الخَبَرِ شَئٌ، فإنى أخاف أن يكون محمد بن إسحاق لم يسمعه من ابن شهاب ، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، كذا قال ، ومحمد بن إسحاق إنما أخرج له مسلم فى المتابعات .

١٧ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : لَأَنْ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ بِسِوَاكٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ . رواه أبو نعيم فى كتاب السواك بإسناد جيد .

١٨ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: رَكْعَتَانِ بِالسِّوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ . رواه أبو نعيم أيضا بإسناد حسن .

الترغيب فى تخليل الأصابع ، والترهيب من تركه وترك الإسباغ

إذا أخلّ بشىء من القدر الواجب

١ — عَنْ أَبِى أَيُّوبَ، يَعْنِي الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ:خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقالَ: حَبَّذَا[1] الْمُتَخَلِّلُونَ مِنْ أُمَّتِى . قالَ:[2] وَمَا الْمُتَخَلِّلُونَ يَارَسُولَ اللهِ؟ قالَ : الْمُتَخَلِّلُونَ فى الْوُضُوءِ ، وَالْمُتَخَلِّلُونَ مِنَ الطَّعَامِ . أَمَّا تَخْلِيلُ الْوُضُوءِ: فَالْمَضْمَضَةُ،

ومرغم الشيطان والعدو — والعقل والجسم كذا يقوى
ومورث لسعة مع الغنى — ومذهب الآلام حتى للعنا
وللصداع وعروق الراس — مسكن وجع الأضراس
يزيد فى المال وينمى الولدا — مطهر للقلب جال للصدا

وقد حكى أن جيش المسلمين كان يغزو فى سبيل الله ، ويحارب الأعداء ، وكاد ينهزم ، وقرب منه العدو ، فبحثوا عن أسباب الهزيمة والتقهقر ، فأجاب صالحوهم : من عدم السواك ؟ وما كان عندهم ، فلجأ الجند إلى جريد النخل فقطعوه ليأخذوا منه السواك ، فرآهم العدو ؟ فدخل فى قلبه الرعب والفزع ، ودب فى صفوفه الخوف والوجل ونادى بالثبور والهلاك ، وقالوا : يأويلنا ! يأكلون الأشجار ؟ وفروا هاربين، وإذا نظرته إلى تفسير قوله تعالى :(وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) وجدت سيدنا موسى كان يستعمل السواك وأزال خلوفه به فبعدت عنه الملائكة فى صومه .

(١) حبذا : كلمة مدح وثناء . (٢) فى نسخة قالوا .

وَالِاسْتِنْشَاقِ[1]، وَبَيْنَ الْأَصَابِعِ[2]، وَأَمَّا تَخْلِيلُ[3] الطَّعَامِ فَمِنَ الطَّعَامِ، إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدُّ عَلَى الْمَلَكَيْنِ مِنْ أَنْ يَرَيَا بَيْنَ أَسْنَانِ صَاحِبِهِمَا طَعَاماً وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي. رواه الطبرانى فى الكبير، ورواه أيضاً هو والإمام أحمد كلاهما مختصراً عن أبى أيوب وعطاء، قالا: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: حَبَّذَا الْمُتَخَلِّلُونَ مِنْ أُمَّتِي فِي الْوُضُوءِ وَالطَّعَامِ. ورواه فى الأوسط من حديث أنس. ومدارُ طرقه كلها على واصل بن عبد الرحمن الرقاشى، وقد وثقه شعبة وغيره.

٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: تَخَلَّلُوا، فَإِنَّهُ نَظَافَةٌ، وَالنَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ. رواه الطبرانى فى الأوسط هكذا مرفوعاً، ووقفه فى الكبير على ابن مسعود بإسناد حسن، وهو الأشبه.

٣ — وَرُوِيَ عَنْ وَاثِلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ لَمْ يُخَلِّلْ أَصَابِعَهُ بِالْمَاءِ خَلَّلَهَا اللهُ بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه الطبرانى فى الكبير

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَتَنْتَهِكُنَّ[4] الْأَصَابِعَ بِالطُّهُورِ، أَوْ لَتَنْتَهِكَنَّهَا النَّارُ. رواه الطبرانى فى الأوسط. مرفوعاً ووقفه فى الكبير على ابن مسعود بإسناد، والله أعلم.

٥ — وفى رواية له فى الكبير موقوفة قال:

---

(١) مع المج والاستنثار ثلاثا ثلاثا، وجمعهما بثلاث غرف: يتمضمض، ثم يستنشق من كل منها أفضل، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد يتمضمض، ثم يستنشق إلا خرت خطايا وجهه وخياشيمه» والمبالغة فيهما لمفطر، ويقول عند المضمضة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك. وعند الاستنشاق: اللهم أرحنى رائحة الجنة. (٢) أى تخليل أصابع اليدين بالتشبيك، والرجلين بخنصر يده اليسرى مبتدئاً بخنصر الرجل اليمنى خاتماً بخنصر الرجل اليسرى. ولقوله صلى الله عليه وسلم: «خللوا بين أصابعكم لا يخلل الله بينها بالنار»

(٣) أن تخرج بعود الخلال فضلات الطعام، وأن تزيل ما بقى على أسنانك.

يا عجبا! دين نظافة وطهارة وصحة. يشكر سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أولئك المحافظين على طهارة الفم، ويكيل لهم المدح والثناء، ليشم الإنسان رائحتهم الذكية، وتقرب منهم ملائكة الرحمة فى العبادة، ولتبقى نضارة الأسنان وبهجتها وقوتها، فيجود هضم الطعام، ويكثر اللعاب، وتقوى الصحة.

ويذم صلى الله عليه وسلم أولئك الأشرار المتساهلين فى نظافة فمهم، ويتوعدهم بالسخط، ونفور الملكين المرافقين لكل إنسان، ويخص حالة القرب من الله، والصلاة له جل وعلا.

(٤) يقال نهكت الناقة حلبا أنهكها: إذا لم تبق فى ضرعها لبنا: أى ليبالغ المتوضئ فى غسل ما بين أصابعه فى الوضوء أو لتبالغن النار فى إحراقه، ومنه الحديث فى النهاية «لينهك الرجل ما بين أصابعه أو لتنهكه النار».

خَلِّلُوا الْأَصَابِعَ الْخَمْسَ لَا يَحْشُوهَا اللهُ نَارًا .

[قوله لتنتهكن] : أي لتبالغن في غسلها ، أو لتبالغن النار في إحراقها ، والنهك : المبالغة في كل شيء .

٦ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلاً لَمْ يَغْسِلْ عَقِبَيْهِ فَقَالَ : وَيْلٌ[1] لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ

٧ — وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَأَى قَوْمًا يَتَوَضَّئُونَ مِنَ الْمَطْهَرَةِ[2] فَقَالَ : أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ، أَوْ وَيْلٌ لِلْعَرَاقِيبِ[3] مِنَ النَّارِ . رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه مختصرًا .

٨ — وروى الترمذي منه : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ وَبُطُونِ الْأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ

[قال الحافظ] : وهذا الحديث الذي أشار إليه الترمذي ، رواه الطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحه من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي مرفوعًا ، ورواه أحمد موقوفا عليه .

٩ — وَعَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ قَالَ : رَآنِي رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَتَوَضَّأُ فَقَالَ : بَطْنَ[4] الْقَدَمِ يَا أَبَا الْهَيْثَمِ . رواه الطبراني في الكبير ، وفيه ابن لهيعة .

١٠ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى قَوْمًا وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ[5] فَقَالَ : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ رواه مسلم

---

(١) واد في جهنم ، وهلكة وخيبة لمن لم يغسل قدميه مع الكعبين ، ولا يجزئ مسحهما ، وتواعدها صلى الله عليه وسلم بالنار لعدم طهارتها ؛ ولو كان المسح كافيا لما تواعده من ترك غسل عقبيه ، وقد صح من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن رجلا قال : يارسول الله كيف الطهور ؟ فدعا بماء فغسل كفيه ثلاثا إلى أن قال ، ثم غسل رجليه ثلاثا ، ثم قال : هكذا الوضوء ، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم » هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود وغيره بأسانيدهم الصحيحة ، والله أعلم اهـ نووي ص ١٢٩ جزء ٣ . تواعد ووعد في الخير وأوعد واتعد في الشر . (٢) هي المطهرة : أي كل إناء يتطهر به . (٣) جمع عرقوب : العصبة التي فوق العقب .

(٤) أي اغسل بطن القدم واعتن بمرور الماء عليه وتعميمه . (٥) قال عبد الله بن عمرو في رواية مسلم : « رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر فتوضئوا وهم عجال فانتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء الخ ص ١٢٨ .

وأبو داود واللفظ له ، والنسائى وابن ماجه ، ورواه البخارى بنحوه .

١١ — وَعَنْ أَبِي رَوْحٍ الْكَلَاعِيِّ قَالَ : صَلَّى بِنَا نَبِيُّ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم صَلَاةً فَقَرَأَ فِيهَا بِسُورَةِ الرُّومِ فَلَبِسَ عَلَيْهِ بَعْضُهَا ، فَقَالَ : إِنَّمَا لَبِسَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ الْقِرَاءَةَ[1] مِنْ أَجْلِ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ الصَّلَاةَ بِغَيْرِ وُضُوءٍ ، فَإِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ[2] .

١٢ — وَفِي رِوَايَةٍ : فَتَرَدَّدَ فِي آيَةٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : إِنَّهُ لُبِسَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ إِنَّ أَقْوَامًا مِنْكُمْ يُصَلُّونَ مَعَنَا لَا يُحْسِنُونَ الْوُضُوءَ ، فَمَنْ شَهِدَ الصَّلَاةَ مَعَنَا فَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ رواه أحمد هكذا ، ورجال الروايتين محتج بهم فى الصحيح ، ورواه النسائى عن أبى روح عن رجل

١٣ — وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَالَ : إِنَّهَا لَا تَتِمُّ صَلَاةٌ لِأَحَدٍ حَتَّى يُسْبِغَ[3] الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَ اللهُ : يَغْسِلُ[4] وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ، وَيَمْسَحُ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ رواه ابن ماجه باسناد جيد .

الترغيب فى كلمات يقولهن بعد الوضوء

١ — رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ[5] ، أَوْ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ . رواه مسلم ، وأبو داود وابن ماجه ، وقالا فيحسن الوضوء .
وزاد أبو داود : ثُمَّ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَقُولُ ، فذكره ، ورواه الترمذى كأبى داود وزاد : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ الحديث ، وتكلم فيه .

---

(١) فى نسخة : القرآن . (٢) أتموا فروضه وسننه ، ولا بد أن يعم الماء أجزاء العضو .
(٣) يتم . (٤) فى نسخة : بغسل بالباء .
(٥) قال النووى : هما بمعنى واحد أى يتمه ويكمله ، فيوصله مواضعه على الوجه المسنون ، والله أعلم . وفيه يستحب للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » ويضم إليه من رواية الترمذى : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » ورواية النسائى : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك » ـ قال أصحابنا : وتستحب هذه الأذكار للمغتسل أيضا ، والله أعلم اهـ ص ١٢١ .

٢ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مُقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَمَنْ قَرَأَ عَشْرَ[1] آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ، ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يَضُرَّهُ ، وَمَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، كُتِبَ فِي رَقٍّ ، ثُمَّ جُعِلَ فِي طَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورواته رواة الصحيح واللفظ له ، ورواه النسائى ، وقال فى آخره : خُتِمَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ فَوُضِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وصوّب وقفه على أبى سعيد .

٣ — وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ مَضْمَضَ ثَلَاثًا ، وَاسْتَنْشَقَ ثَلَاثًا ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا ، وَمَسَحَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَقُولَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ[2] أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ . رواه أبو يعلى والدارقطنى .

الترغيب فى ركعتين بعد الوضوء

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِبِلَالٍ : يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى[3] عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، إِنِّي[4] سَمِعْتُ دُفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا[5] فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ . رواه البخارى ومسلم .

---

(١) فى نسخة : العشر الآيات ، وفى رواية : العشريات .

(٢) فى رواية : وأن محمدا عبده ورسوله . (٣) أكثر أمل ، وانتظار ثواب .

(٤) فى نسخة : فإنى . (٥) الطهور بالضم : التطهر ، وبالفتح : الماء الذى يتطهر به كالوضوء ، والوضوء بضم وفتح ، ويجوز أن يكون فى الحديث بفتح الطاء وضمها ، والمراد بهما التطهر ، والماء الطهور بالفتح يرفع الحدث ، ويزيل النجس كالمستعمل فى الوضوء والغسل .

سيدنا بلال صحابى جليل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت مشيه فى الجنة ، وبين لحبيبه صلى الله عليه وسلم أنه يحدث ، فيتوضأ ويصلى ما قدره الله له ، ويبقى على وضوئه ، ويحافظ على طهارته ، شأن المؤمنين المتطهرين .

[الدف] بالضم : صوت النعل حال المشى .

٢ — وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم : مَامِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ[١] يُقْبِلُ[٢] بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ[٣] عَلَيْهِمَا ، إلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ . رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه فى حديث .

٣ — وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ[٤] ، ثُمَّ صَلَّي رَكْعَتَيْنِ لاَ يَسْهُو فِيهِمَا ، غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ[٥] . رواه أبو داود .

٤ — وَعَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ دَعَا بِوَضُوءٍ[٦] فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إنَائِهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فى الْوَضُوءِ ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثاً ، وَيَدَيْهِ إلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلاَثاً ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلاَثاً ، ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِى هٰذَا ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِى هٰذَا ، ثُمَّ صَلَّي رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ[٧] فِيهِمَا نَفْسَهُ ، غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

٥ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْأَرْبَعاً ـ يَشُكُّ سَهْلٌ ـ يُحْسِنُ الرُّكُوعَ وَالْخُشُوعَ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللّٰهَ ، غُفِرَ لَهُ[٨] . رواه أحمد بإسناد حسن .

---

(١) نافلة . (٢) أى يخلص لله جل وعلا ولا يحدث نفسه فى أمور الدنيا ويتفرغ فيها للتفكير فيما يقرأ
(٣) لايكثر من الحركات والإشارات . (٣) فى نسخة : فأحسن وضوءه .
(٥) فى نسخة : من ذنبه . (٦) بماء . (٧) فى رواية : لايسهو فيهما .
(٨) فى نسخة : إلا غفر له .

والغرض من هذا الباب أن يحافظ المسلم على ركعتين بعد وضوئه تحدثا بنعمة الله ، وتجديدا لعهد الله والوفاء لله على شريطة إحسان الوضوء ، والإقبال على الله بقلبه ووجهه ، يفسر ذلك قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) . هنا إلى عدم السهو فى الصلاة ، والشعور بالذلة ، والوقوف بين يدى أحكم الحاكمين ، وحصر الفكر فى معنى قراءته ، ولا يحدث نفسه عن الدنيا وزهرتها ووساوسها وأشغالها ، مع إجادة الألفاظ وترتيلها ، والطمأنينة فى أركانها ، وأخص الركوع والسجود ، وحسبك جوابه صلى الله عليه وسلم

كتاب الصلاة

الترغيب فى الأذان وما جاء فى فضله

١ — عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَافِى النِّدَاءِ(١) ، وَالصَّفِّ الأَوَّلِ(٢) ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَافِى التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَافِى الْعَتَمَةِ(٣) وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا(٤) . رواه البخارى ومسلم .

[قوله] لَاسْتَهَمُوا : أى لاقترعوا ، والتهجير : هو التبكير إلى الصلاة .

٢ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَافِى التَّأْذِينِ(٥) لَتَضَارَبُوا(٦) عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ . رواه أحمد ، وفى إسناده ابن لهيعة .

٣ — وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِى صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ

لسيدنا جبريل عليه السلام حين سأل : ما الإحسان ؟ قال عليه الصلاة والسلام: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والفلاح فى الآية : الظفر بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب .

وقال ابن عباس : قد سعد المصدقون بالتوحيد ، وبقوا فى الجنة اهـ ، ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « وجبت له الجنة » ومعنى خاشعين خائفين بالقلب ساكنون الجوارح ، وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره إلى نحو مسجده: أى موضع سجوده

(١) فضل الأذان . (٢) ثواب المبادرة إلى إدراك مكان فى الصف الأولى فى الجماعة. قال النووى : النداء: الأذان والاستهام الاقتراع، ومعناه أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقا يحصلونه به لضيق الوقت عن أذان بعد أذان، أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا فى تحصيله ! ولو يعلمون مافى الصف الأول من الفضيلة نحو ماسبق وجاءوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه . وفيه إثبات القرعة فى الحقوق التى يزدحم عليها [و]يتنازع فيها اهـ ١٥٨ ج ٤ .

(٣) العشاء (٤) ماشين على الركب ، أى إذا علموا فضل المحافظة على صلاة العشاء وصلاة الفجر لأدوهما فى المسجد ، ولو على ضعف الخطا ؛ وتثاقل المشى : وعدم القدرة على السعى . قال النووى : وفيه الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين والفضل الكثير فى ذلك بما فيهما من المشقة على النفس من تنقيص أول نومه وآخره ، ولهذا كانتا أثقل الصلاتين على المنافقين اهـ .

(٥) حب رفع الصوت بألفاظ الأذان لتحصيل ثواب الله ، وشهادة كل شىء له بالتوحيد .

(٦) أى لحصل نزاع شريف، وتقاتل بسيط على النصر والفوز فى المنافسة الخيرية ، والفضل لمن سبق ونال. وهذا من باب الترغيب فى الخير . وإن حصل شقاق ونفور ، فنعم أولى .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ لَهُ : إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ[١] ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ لِلصَّلَاةِ ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . ورواه مالك والبخارى والنسائى وابن ماجه ، وزاد : وَلَا حَجَرٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ ، وابن خزيمة فى صحيحه ، ولفظه قال :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : لَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ شَجَرٌ ، وَلَا مَدَرٌ[٢] ، وَلَا حَجَرٌ ، وَلَا جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ .

٤ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يُغْفَرُ[٣] لِلْمُؤَذِّنِ مُنْتَهَى أَذَانِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ[٤] وَيَابِسٍ سَمِعَهُ . رواه أحمد بإسناد صحيح ، والطبرانى فى الكبير ، والبزار ، إلا أنه قال : وَيُجِيبُهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ .

٥ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ ، وَيُصَدِّقُهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ . رواه أحمد واللفظ له ، وأبو داود ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وعندهما : وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ . والنسائى ، وزاد فيه : وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ . وابن ماجه ، وعنده : يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ صَوْتِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَشَاهِدُ[٥] الصَّلَاةِ تُكْتَبُ لَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حَسَنَةً ، وَيُكَفَّرُ[٦] عَنْهُ مَا بَيْنَهُمَا .

[قال الخطابى] رحمه الله : مدى الشىء غايته ، والمعنى أنه يستكمل مغفرة الله تعالى إذا استوفى وسعه فى رفع الصوت فيبلغ الغاية من المغفرة إذا بلغ الغاية من الصوت .

[قال الحافظ] رحمه الله : ويشهد لهذا القول رواية من قال : يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ صَوْتِهِ . بتشديد الدال : أى بقدر مده صوته .

---

(١) الصحراء ، وهذه نصيحة لمن لم يحضر أذان المسجد أن يرفع صوته بالأذان لينال شهادة ما خلق الله وحده .
(٢) المدر : الطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء ، من حديث « ثم مداره » أى طيناه وأصلحاه بالمدر . والمدر : البلد ، من حديث « أما إن العمرة من بلدكم » (٣) أى إنعام غفران الله للمؤذن ، ودرك رحمته تعالى له بقدر الفراغ الذى يملؤه صوته . (٤) اللين الذى لا شدة فيه ، وهو ما لا يدخر ، ولا يبقى كالفواكه والبقول والأطعمة . واليابس : الجامد . (٥) حاضرها ومؤديها . (٦) يعنى أن الله تعالى يتفضل على من أجاب النداء بكتابة حسنات مضاعفة الثواب له ، وحط عنه الخطايا ، وأزال الأوزار تكفيرا له على ما اقترف بينه الوقتين .

[قال الخطابى] رحمه الله : وفيه وجه آخر وهو أنه كلام تمثيل وتشبيه ، يريد أن الكلام الذى ينتهى إليه الصوت لو يقدَّر أن يكون مابين أقصاه وبين مقامه الذى هو فيه ذنوب تملأ تلك المسافة غفرها الله ، انتهى .

٦ — وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ(١) عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ ، وَصدَّقه(٢) مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَلَهُ أَجْرُ مَنْ صَلَّي مَعَهُ(٣) . رواه أحمد والنسائى بإسناد حسن جيد ، ورواه الطبرانى عن أبى أمامة ، ولفظه قال :

قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَّ(٤) صَوْتِهِ ، وَأَجْرُهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ .

٧ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَدُ(٥) الرَّحْمٰنِ فَوْقَ رَأْسِ الْمُؤَذِّنِ ، وَإِنَّهُ لَيُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ أَيْنَ(٦) بَلَغَ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

٨ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْإِمَامُ ضَامِنٌ(٧) ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ . رواه أبو داود والترمذى ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، إلا أنهما قالا : فَأَرْشَدَ اللهُ الْأَئِمَّةَ ، وَغَفَرَ لِلْمُؤَذِّنِينَ . ولابن خزيمة رواية كرواية أبى داود .

٩ — وَفِى أُخْرَى لَهُ : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْمُؤَذِّنُونَ أُمَنَاءُ(٨) وَالْأَئِمَّةُ

---

(١) يدعون لمن أدرك الصف الأول. والدعاء من الله الرحمة والرضوان.
(٢) لبي نداءه!وردد معه وذكر الله . (٣) يتكرم الله كثير العطايا الذى لاتنفد خزائنه أن يعطى ثوابا للمؤذن مثل ثواب من أدرك الصلاة معه . (٤) مثل امتداد ونهاية .
(٥) رحمته وعونه ومساعدته وإحسانه . (٦) فى أى مكان سار ووصل تحيط به رحمته تعالى ،
(٧) قال فى النهاية أراد بالضمان هاهنا الحفظ والرعاية ، لاضمان الغرامة، لأنه يحفظ على القوم صلاتهم وقيل إن صلاة المقتدين بهفى عهدته وصحتها مقرونة بصحة صلاته فهو كالمتكفل لهم بصحة صلاتهم . اهـ ص٢٦ أى متصف بالأمانة وصدق القول ويتمتع بثقة الناس، فمن سمعه تلزمه الإجابة. وانظر رعاك الله إلى براعة أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ودماثتها ، يطلب من مولاه جل وعلا أن يفقه الأئمة، ويعلم الرؤساء ليعملوا ، ويستر عورات المؤذنين ويقيهم شر السوء خشية ظن الناس بهم شرا ، والله أعلم .
(٨) تضع الناس الثقة بهم فيصدقون أن الوقت حان فيفطرون إن صاموا ويقبلون على الصلاة المكتوبة.

ضُمَنَاء ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ ، وَسَدِّدِ الأَئِمَّةَ[١] ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . ورواه أحمد من حديث أبى أمامة بإسناد حسن .

١٠ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الإِمَامُ ضَامِنٌ ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ ، فَأَرْشَدَ اللهُ الأَئِمَّةَ ، وَعَفَا[٢] عَنِ الْمُؤَذِّنِينَ . رواه ابن حبان فى صحيحه .

١١ - وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا نُودِىَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ[٣] الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ ، فَإِذَا قُضِىَ الأَذَانُ أَقْبَلَ ، فَإِذَا ثُوِّبَ[٤] أَدْبَرَ ، فَإِذَا قُضِىَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ[٥] بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا ، اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ[٦] يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِى[٧] كَمْ صَلَّى . رواه مالك والبخارى ومسلم ، وأبو داود والنسائى .

[قال الخطابى] رحمه الله : التثويب هنا الإقامة ، والعامة لاتعرف التثويب إلا قول المؤذن فى صلاة الفجر : الصلاة خيرٌ من النوم ، ومعنى التثويب الإعلام بالشىء والإنذار بوقوعه ، وإنما سميت الإقامة تثويباً لأنه إعلام بإقامة الصلاة ، والأذان إعلام بوقت الصلاة .

١٢ - وَعَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ الرَّوْحَاءِ . قال الرَّاوى : وَالرَّوْحَاءُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ مِيلاً . رواه مسلم .

١٣ - وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) القادة . دعاء من النبى صلى الله عليه وسلم بطلب المغفرة للمؤذنين وإرشاد الأئمة إلى الحكمة والصواب .

(٢) سامح - ولعل هذا سر ، وأرى أن المؤذن مقصر فى حقوق الله ، ومضيع واجباته ، فيطلب المصطفى (وهو بالمؤمنين رءوف رحيم) العفو والغفران له - اللهم اغفر لنا وسامحنا . (٣) فر وجرى .

(٤) أقام المؤذن الصلاة . (٥) يدخل ويوسوس ، ويترك عنان غوايته . يخطر بالضم : يدنو منه ، فيمر بينه وبين قلبه ، فيشغله عما هو فيه ؟ وبالكسر : يوسوس . (٦) فى نسخة لما لم يذكر .

(٧) يقع عليه الخبال ، وتزول خشية الصلاة ، وينسى عدد الركعات - وفى هذا ضياع الثواب وعدم قبول الفرض - وقد قال تعالى : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) وقال تعالى على لسانه (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) .

قال النووى : إنما يدبر الشيطان لعظم أمر الأذان لما اشتمل عليه من قواعد التوحيد ، وإظهار شعائر الإسلام وإعلانه ، وقيل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد اهـ ص ٩٢ ج ٤ .

يَقُولُ : المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا[١] يَوْمَ القِيَامَةِ . رواه مسلم ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

١٤ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَوْ أَقْسَمْتُ لَبَرِرْتُ ، إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ لَرُعَاةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ[٢] يَعْنِى المُؤَذِّنِينَ ، وَإِنَّهُمْ لَيُعْرَفُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِطُولِ أَعْنَاقِهِمْ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

١٥ — وَعَنِ ابْنِ أَبِى أَوْفَى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ[٣] وَالنُّجُومَ لِذِكْرِ اللهِ . رواه الطبرانى واللفظ له والبزّار والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ثم رواه موقوفا ، وقال : هذا لا يفسد الأول لأن ابن عيينة حافظ ، وكذلك ابن المبارك انتهى ، ورواه أبو حفص بن شاهين ، وقال : تفرّد به ابن عيينة عن مسعر ، وحدّث به غيره ، وهو حديث غريب صحيح .

١٦ — وَرُوِىَ عَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

---

(١) قامة: أى أكثر الناس تشوفا إلى رحمة الله تعالى لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه، فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب . وقال النضر بن شميل : إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق ، وقيل معناه أنهم سادة ورؤساء ، والعرب تصف السادة بطول العنق، وقيل أكثر أتباعا وقال ابن الأعرابى : معناه أكثر الناس أعمالا . قال القاضى عياض وغيره ورواه بعضهم إعناقا بكسر الهمزة أى إسراعا إلى الجنة من سير العنق، وقال العلماء: وإنما أدبر الشيطان عند الأذان لئلا يسمعه فيضطر إلى أن يشهد له يوم القيامة بذلك . وفيه فضيلة الأذان والمؤذن . واختلف هل الأذان أفضل أم الإمامة ؟ كل له رأى ، والله أعلم ، إنما المدار على إخلاص العمل لله . وأرى أن الإمامة أفضل على شريطة القيام بحقوقها ، وجميع خصالها كما قال العلماء ، وإلا فالأذان أفضل. إن الإمام أينما وجد قدوة حسنة فيجب أن يكون عنوان الأدب ومثال الكمال، وقد واظب على الإمامة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر ، والأئمة بعدهم رضى الله عنهم . وقول بعض السلف : ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين.

قال الغزالى : أمانة الإمام الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر ، فالمترشح للإمامة ينبغى أن يحترز عن ذلك بجهده فإنه كالوفد، والشفيع للقوم، فينبغى أن يكون خير القوم، وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث ، فإنه لا يطلع عليه سواه ؛ فإن تذكر فى أثناء صلاته حدثا ، أو خرج منه ريح فلا ينبغى أن يستحى بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه ، فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة فى أثناء الصلاة ، فاستخلف واغتسل ، ثم رجع ، ودخل فى الصلاة . اهـ ص ١٥٧ ج ١ .

وقال سفيان : صل خلف كل بر وفاجر إلا مدمن خمر ، أو معلناً بالفسوق ؛ أو عاقا لوالديه، أو صاحب بدعة، أو عبدا آبقا .

(٢) أى الذين يترقبون حركات الكواكب لترشدهم إلى أوقات عبادة الله من صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء، وصلاة السنة كالضحى والسحر .

(٣) فى نسخة: يراعون الشمس والنجوم.

إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ وَالْمُلَبِّينَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يُؤَذِّنُ الْمُؤَذِّنُ[١] وَيُلَبِّي الْمُلَبِّي. رواه الطبراني في الأوسط .

١٧ – وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ثَلَاثَةٌ عَلَى كُثْبَانِ[٢] الْمِسْكِ . وَأُرَاهُ قَالَ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ . زاد في رواية : يَغْبِطُهُمُ[٣] الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ : عَبْدٌ[٤] أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ ، وَرَجُلٌ أَمَّ[٥] قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، وَرَجُلٌ[٦] يُنَادِي بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . رواه أحمد والترمذي من رواية سفيان عن أبي اليقظان عن زاذان عنه ، وقال : حديث حسن غريب .

[قال الحافظ] :وأبو اليقظان واهٍ ، وقد روى عنه الثقات، واسمه عثمان بن قيس ، قاله

---

(١) أي إن الذين يحافظون على أداء وظيفة الأذان في الدنيا يحييهم الله مؤذنين فيذهبون إلى المحشر يهللون ويكبرون ويرتعون بذكر الله ، وكذا الملبون الذين يجيبون داعي الله لفريضة الحج ، ويكثرون من التلبية «لبيك اللهم لبيك» أي إجابتي لك يارب ،وقيل معناه اتجاهي وقصدي يارب إليك ؟ من قولهم : داري تلب دارك أي تواجهها ، وقيل معناه إخلاص لك ، من قولهم : حسب لباب إذا كان خالصا محضا : ومنه لب الطعام ولبابه . اهـ نهاية ص ٤٤ — ٣ ،الأذان من خصائص هذه الأمة،وشرع في السنة الثانية من الهجرة.وشروطه الإسلام، والتمييز ، والترتيب ، والولاء بين كلماته ، وعدم بناء غيره . والجماعة : جهر ، ودخول الوقت ، والذكورة يقينا ، ويسن الترجيع فيه (يأتي بالشهادتين سرا قبل الجهر) والترتيل فيه ، والتوجه للقبلة ، والتثويب في أذان الصبح (بعد الحيعلتين : الصلاة خير من النوم) مرتين ، ويسن للمؤذن والسامع أن يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من أذانه ، ثم يقول : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته إنك لاتخلف الميعاد .

(٢) جمع كثيب ، وكثب الرمل المستطيل المحدودب. (٣) يتمنون أن يكونوا مثلهم ، وينالوا حظهم

(٤) خادم ملكه سيده،فأدى فروض الله وواجباته ، ثم أتقن أعمال سيده وأخلص في واجبه،وأطاعه وحافظ على حقوقه ، فالله وسيده راضيان عنه،وفي هذا الزمن الأجير أو الخادم تلزمه طاعة الله وطاعة مخدومه ليرضى الله عنه . (٥) صلى إماما ، وفي هذا المعنى كتب الغزالي : وظائف الإمام قبل الصلاة .

واحدها : أن لايتقدم للإمامة على قوم يكرهونه ، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين ، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين، فالنظر إليهم ، وينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه ، فله التقدم، ويكره عند ذلك المدافعة ، فقد قيل : إن قوما تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤثرون من رأوه أنه أولى بذلك،أو يخافون على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم ، فإن الأئمة ضمناء . ثانيها : إذا خير بين الأذان والإمامة يختار الإمامة . ثالثها : يصلي الامام في أول الوقت ليدرك رضوان الله سبحانه وتعالى . رابعها: يؤم مخلصاً لله عز وجل مؤديا أمانة الله تعالى في طهارته . خامسها : أن لايكبر حتى تستوى الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فإن رأى خللا أمر بالتسوية . سادسها : أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام ، وسائر التكبيرات ، ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر مايسمع نفسه اهـ ص ١٥٧ ج ١ . (٦) المؤذن .

الترمذى ، وقيل عثمان بن عمير ، وقيل عثمان بن أبى حميد ، وقيل غير ذلك ، وَرواه الطبرانى فى الأوسط ، والصغير بإسناد لا بأس به .

١٨ — وَلَفْظُهُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : ثَلاَثَةٌ لاَ يَهُولُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ، وَلاَ يَنَالُهُمُ الْحِسَابُ ، هُمْ عَلَى كَثُبٍ[1] مِنْ مِسْكٍ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلاَئِقِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ابْتِغَاءَ[2] وَجْهِ اللهِ ، وَأَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، وَدَاعٍ[3] يَدْعُو إِلَى الصَّلاَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَالِيهِ . ورواه فى الكبير .

١٩ — وَلَفْظُهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ لَمَا حَدَّثْتُ بِهِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : ثَلاَثَةٌ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَهُولُهُمُ[4] الْفَزَعُ ، وَلاَ يَفْزَعُونَ حِينَ يَفْزَعُ النَّاسُ : رَجُلٌ عَلِمَ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ يَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللهِ وَمَا عِنْدَهُ ، وَرَجُلٌ نَادَى فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ يَطْلُبُ وَجْهَ اللهِ وَمَا عِنْدَهُ ، وَمَمْلُوكٌ لَمْ يَمْنَعْهُ رِقُّ الدُّنْيَا مِنْ طَاعَةِ رَبِّهِ .

٢٠ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً وَهُوَ فِى مَسِيرٍ[5] لَهُ يَقُولُ : اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ . فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْفِطْرَةِ . فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، قَالَ : خَرَجَ مِنَ النَّارِ ، فَاسْتَبَقَ الْقَوْمُ إِلَى الرَّجُلِ . فَإِذَا رَاعِي غَنَمٍ حَضَرَتْهُ الصَّلاَةُ فَقَامَ يُؤَذِّنُ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه وهو فى مسلم بنحوه .

٢١ — عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم

---

(١) ذرات دقيقة كالرمل . (٢) طالباً ثواب الله عز وجل، يفيد نفسه ، ويعظ قومه .
(٣) مؤذن . (٤) هاله الشيء : أفزعه ، وبابه قال : وهاله فاهتال ، أى أفزعه ففزع .
(٥) فى عمل له .

انظر يا أخى راعى غنم يتق الله ويواظب على طاعة الله ويتقن، ولما حضرت الصلاة أذن، فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراءة من النار : هل لنا أن نعمل مثله ؟ فمن كان فى حقله، أو فى مصنعه ، أو متجره، ولم يمكنه بعد المسجد من الذهاب إليه يتوضأ ويؤذن ويصلى ، ولا تنس ثواب الخطا إلى المساجد .

فَقَامَ بِلَالٌ يُنَادِي . فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ قَالَ مِثْلَ(١) هٰذَا يَقِيناً دَخَلَ الْجَنَّةَ . رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

٢٢ - وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: عَلِّمْنِي أَوْ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : كُنْ مُؤَذِّناً قالَ لَا أَسْتَطِيعُ قالَ : كُنْ إِمَاماً ، قالَ لَا أَسْتَطِيعُ ، فَقَالَ : فَقُمْ بِإِزَاءِ الْإِمَامِ(٢) : رواه البخارى فى تاريخه والطبرانى فى الأوسط .

٢٣ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْمُؤَذِّنُ الْمُحْتَسِبُ(٣) كَالشَّهِيدِ الْمُتَشَحِّطِ(٤) فى دَمِهِ يَتَمَنَّي عَلَى اللهِ مَايَشْتَهِى بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ(٥) . رواه الطبراني فى الأوسط ، ورواه فى الكبير .

٢٤ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْمُؤَذِّنُ الْمُحْتَسِبُ كَالشَّهِيدِ الْمُتَشَحِّطِ فى دَمِهِ ، إِذَا مَاتَ لَمْ يُدَوَّدْ(٦) فى قَبْرِهِ وفيهما إبراهيم بن رستم ، وقد وُثِّقَ .

٢٥ - وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

---

(١) نطق مع المؤذن ، واعتقد صدق قوله مع اتباع أوامر الله المأخوذة من الكتاب والسنة .

(٢) علق الغزالى على هذا الحديث ، فلعله ظن أنه لايرضى بإمامته، إذ الأذان إليه ، والإمامة للجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها ص ١٥٦ - ١ ، ولكن عنده الإمامة أفضل بدليل تقديم أبى بكر للخلافة ، وقال الصحابة : نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين، فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، وقد قدم الصحابة بلالا احتجاجا على أنه رضيه للأذان اهـ .

(٣) الذى يطلب أجره من الله تعالى أكثر ثوابا من المؤجر، وأصبح الأذان الآن مهنة يحترف بها الملايين من الفقراء ، فالله يثيبهم ويهب لهم الأجر الجزيل، والأذان خير عمل ينفع دنيا وأخرى ، ويريد النبى صلى الله عليه وسلم أن يحث المؤذنين على الزهد والصبر ، وحسن العمل ، وأدائه بإخلاص ، وتحمل المشاق ، والرضا بالقليل مع القناعة .

(٤) المتخبط فيه : المضطرب المتمرغ . (٥) أفضل وقت الرحمات والإحسان مابين الأذان والإقامة فالدعاء مستجاب ، وباب فضل الله مفتوح حينئذ على مصراعيه .

(٦) من داد الطعام يدود: أى جسمه يحفظ ولا يبلى، يكافئ الله المؤذن الذى يحافظ على إيقاظ الناس أن يحيا فى قبره ، ويشعر بنعيم ربه ، وينتق ، ويتطهر جسمه : ولا ينتن ، ولا يقذر، ويسلم من الدود الذى ينشأ من عفونة الجسم : لكن الشرط (المحتسب) أما إذا كان مؤذنا وفاسقا وطماعا وعاتلا ، فيطلق الله عليه الحشرات فى قبره تنهشه نهشاء ويبلى جسمه ويعذب عذابا أليما .

فاتق الله أيها المؤذن وتوضأ وصل بإخلاص وعامل ربك وأحسن معاملتك .

عليه وَسلم : إِذَا أُذِّنَ فِي قَرْيَةٍ أَمَّنَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَذَابِهِ ذَٰلِكَ الْيَوْمَ . رواه الطبرانى فى معاجيمه الثلاثة .

٢٦ ــ ورواه فى الكبير من حديث مَعْقِل بن يسار ، ولفظه: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : أَيُّمَا قَوْمٍ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْأَذَانِ صَبَاحاً إِلَّا كَانُوا فى أَمَانِ اللهِ حَتَّى يُمْسُوا ، وَأَيُّمَا قَوْمٍ نُودِيَ فِيهِمْ بِالْأَذَانِ مَسَاءً إِلَّا كَانُوا فى أَمَانِ اللهِ حَتَّى يُصْبِحُوا[١] .

٢٧ ــ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : يَعْجَبُ[٢] رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ عَلَى رَأْسِ شَظِيَّةٍ لِلْجَبَلِ[٣] يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي . فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أنْظُرُوا إِلَي عَبْدِي هٰذَا ، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ ، يَخَافُ مِنِّي ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ . رواه أبو داود والنسائى

[الشظية] بفتح الشين وكسر الظاء معجمتين وبعدها ياء مثناة تحت مشددة ، وتاء تأنيث ، هى : القطعة تنقطع من الجبل ولم تنفصل منه .

٢٨ ــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم قَالَ : مَنْ أَذَّنَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً[٤] وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فى كُلِّ يَوْمٍ سِتُّونَ حَسَنَةً وَبِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً . رواه ابن ماجه والدارقطنى والحاكم ، وقال صحيح على شرط البخارىّ .

[قال الحافظ] وهو كما قال ، فإن عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وإن كان فيه كلام فقد روى عنه البخارىّ فى الصحيح .

(١) يطلب النبى صلى الله عليه وسلم من الراعى صاحب الكلمة النافذة على القرية أو المدينة أن يتعهد بإقامة الشعائر رجاء أن الله تعالى يشمله برحمته وحفظه صباح مساء . (٢) معنى يعجب ربك: أى يعظم ذلك عنده هذا العمل الصادر من الراعى ، فيتجلى عليه بغفران ذنبه ، ويمتعه بنعيم جنته ، ويكبر لديه .
قال فى النهاية: أعلم الله أنما يتعجب الآدمى من الشىء إذا عظم موقعه عنده، وخفى عليه سببه، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده ، وقال معنى عجب ربك : أى رضى وأثاب ، فسماه عجباً مجازا ، وليس بعجب فى الحقيقة ، والأول الوجه اهـ ص ٦٩ . (٣) فى نسخة . فى رأس شظية الجبل .
(٤) أى دام على ذلك ، وكان فى خلال هذه المدة رجلا صالحا. وأرى أن الأجر على هذا العمل الآن مباح لأن المؤذن رب أسرة ينفق عليها ، ويطعم أهله ، ويربى أولاده ، وليس له عمل آخر ، فأجرة المؤذن مكروهة إذا كان لديه عمل آخر يقتات منه ،! والله فضله عميم يسامح ويصفح، ويثيب من يشاء تفضلا وتكرما ولا يمنع ثواب الله اتخاذ الأجر بل الذى يمنع الغش والكذب والتقصير فى حقوق الله ، والله أعلم .

٢٩ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ أَذَّنَ مُحْتَسِباً سَبْعَ سِنِينَ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ[1] مِنَ النَّارِ. ورواه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث غريب .

٣٠ — وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ فَحَانَتِ[2] الصَّلَاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتَيَمَّمْ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ[3]، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ[4] اللهِ مَا لَا يُرَى طَرَفَاهُ. رواه عبد الرزاق في كتابه عن ابن التيمي عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عنه .

[القيّ] بكسر القاف وتشديد الياء : هي الأرض القفر .

الترغيب في إجابة المؤذن ، وبماذا يجيبه ؟ وما يقول بعد الأذان ؟

١ — عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ . رواه البخاريّ ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(١) فوز ونجاة . يا أخي : المداومة على العمل لله سبب الفلاح، وليس هنا قاصراً على المؤذن الراتب، بل المؤمن يداوم على الأذان مهما حل وأين سار، ولعلك فهمت سر « محتسب » وأرى أنها للغني غير محتاج الى أجر ولكن الفقير الصالح ، ويتناول أجرا فله هذا الثواب ، والله أعلم . (٢) جاء وقتها .
(٣) في نسخة : ملكان ، وفي رواية : فإن أقام الصلاة صلى معه ملكان . (٤) ملائكته .

الآيات المناسبة لهذا الباب

قال الله تعالى :

ا — (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) .

أي دعا الى عبادة ربه، وذكر الناس بواجباتهم نحو خالقهم، ومغدق نعمه عليهم ، وهلل ، وكبر ، وعظم وجاهر بالحق ، وأعلن الطاعة ، وأظهر الإخلاص ، وكان قدوة حسنة، ومثلا كاملا للإسلام ، ونور الإيمان وشمس الهداية ، وكواكب يستنير بها العاملون ، وعمل صالحاً فيما بينه وبين ربه . قال المفسرون : نزلت في المؤذنين ،أو نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم،وانظر الى هذا العطف شرط نيل ثواب الله (وعمل صالحاً) وافهم الباب .

ب — (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ١٠ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ١١ . من سورة الجمعة .

أي إذا أذن للصلاة،فامضوا الى عبادة الله مسرعين، واتركوا المعاملة ، ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة نزل قباء فأقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في واد لبني سالم بن عوف .

٢ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ(١) بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ(٢) فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِى الْجَنَّةِ لاَتَنْبَغِى إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ(٣) لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ(٤) لَهُ الشَّفَاعَةُ(٥) . رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

٣ ــ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ(٦) اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ(٧)، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ،

---

(١) فى نسخة : صلى الله عليه بها أى زاده الله بها درجات .

(٢) فسرها صلى الله عليه وسلم بأنها منزلة فى الجنة — قال أهل اللغة : الوسيلة : المنزلة عند الملك .

(٣) فى نسخة : من سأل الله لى الوسيلة . (٤) فى رواية : حلت عليه الشفاعة .

(٥) وجبت، وقيل نالته . أخى: هل تأخذ من هذا الحديث درس أخلاق، المصطفى صلى الله عليه وسلم: فتح الله له فتحاً مبينا ، وغفر له ماتقدم من ذنبه ومع هذا يطلب من أمته أن تدعو له ، ويتواضع إلى درجة الدزة بالله . « وأرجو أن أكون أنا هو » .

ماذا عملت أيها المسلم؟ وما هذه الغطرسة والغفلة ؟ تب إلى الله، وحافظ على إجابة نداء المؤذن، وداوم على صلاة الجماعة فى المسجد ، وأكثر من ذكر الله، والصلاة على حبيب الله ، فإن صليت على رسول الله مرة أعطاك ربك عشر حسنات ، وأحاطت بك الرحمات .

(٦) قال النووى: معناه قال كل نوع من هذا مثنى كما هو المشروع فاختصر صلى الله عليه وسلم من كل نوع شطرة تنبيها على باقيه ، ومعنى حى على كذا : أى تعالوا إليه . والفلاح : الفوز والنجاة وإصابة الخير ، قالوا : وليس فى كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظة الفلاح ، فمعنى حى على الفلاح : تعالوا إلى سبب الفوز والبقاء فى الجنة ، والخلود فى النعيم اهـ ص ٨٧ ــ (جـ٤) .

(٧) قال أبو الهيثم : الحول الحركة ، أى لاحركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله تعالى اهـ . وقيل : لاحول فى دفع شر ، ولا قوة فى تحصيل خير إلا بالله ، وقيل : لاحول عن معصية الله إلا بعصمته ، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته .

أحكام الباب كما قال النووى رحمه الله

ا ــ فيه استحباب قول سامع المؤذن مثل مايقول إلا فى الحيعلتين ، فإنه يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله .

ب ــ استحباب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من متابعة المؤذن .

قالَ : اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ، ثمَّ قالَ : لا إلهَ إلَّا اللهُ . قالَ : لا إله إلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ . رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

٤ — وعَنْ جابِرِ بْنِ عبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: مَنْ قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّداءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلاةِ القائمَةِ ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفاعَتِي يَوْمَ القِيامَةِ . رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، ورواه البيهقى فى سننه الكبرى، وزاد فى آخره : إنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعادَ .

٥ — وعَنْ سَعْدِ بْنِ أبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلَّم قالَ : مَنْ قالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ : وَأَنا أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالإسْلامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم رَسُولًا غَفَرَ[(١)] اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ . رواه مسلم والترمذى واللفظ له ، والنسائى وابن ماجه وأبو داود ولم يقل : ذُنُوبَهُ ، وقال مسلم : غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ .

٦ — وعَنْ هِلالِ بْنِ يَسافٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعاوِيَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَى اللهُ عليه وسلَّمَ يَقُولُ : مَنْ سَمِعَ المُؤَذِّنَ فَقالَ : مِثْلَ ما يَقُولُ[(٢)] فَلَهُ مِثْلُ

ج — واستحباب سؤال الوسيلة له صلى الله عليه وسلم .

د — ويستحب أن يقول بعد قوله : « وأنا أشهد أن محمداً رسول الله : رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولا ، وبالإسلام ديناً » .

هـ — يستحب الترغيب فى الخير ، وذكر دلائل النشاط لقوله صلى الله عليه وسلم : « صلى الله عليه بها عشرا » .

و — يشترط للأعمال : القصد والإخلاص لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قلبه » .

ز — يستحب لإجابة المؤذن بالقول مثل قوله لكل من سمعه من متطهر، ومحدث ، وجنب ، وحائض ، وغيرهم. إلا إذا كان فى الخلاء ، أو يجامع أهله ، أو فى صلاة .

ح — يقطع قراءته أو تسبيحه ، وتابع المؤذن أو المقيم ص ٨٨ ج ٤ .

(١) فى نسخة : غفر له ذنوبه . (٢) أى يقول مثل قوله .

وعلق القاضى عياض على قوله صلى الله عليه وسلم : إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر الخ ، لأن ذلك توحيد وثناء على الله تعالى ، وانقياد لطاعته ، وتفويض إليه لقوله : لاحول ولا قوة إلا بالله ، فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان ، وكمال الإسلام ، واستحق الجنة بفضل الله تعالى .

هذا إلى إثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا إلى الصلاة والنعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء اهـ بتصرف ص ٨٨ — ٤ .

أَجْرِهِ . رواه الطبرانى فى الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين، لكن متنُه حسن ، وشواهده كثيرة .

٧ ـ وَرُوِىَ عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قامَ بَيْنَ صَفِّ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فقَالَ : يَامَعْشَرَ النِّسَاءِ إِذَا سَمِعْتُمْ أَذَانَ هٰذَا الْحَبَشِىِّ وَإِقَامَتَهُ ، فَقُلْنَ كَمَا يَقُولُ، فَإِنَّ لَكُنَّ بِكُلِّ حَرْفٍ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ. قالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عنهُ:هٰذَا لِلنِّسَاءِ(١)، فَمَا لِلرِّجَالِ ؟ قالَ : ضِعْفَانِ يَا عُمَرُ . رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه نكارة .

٨ ـ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم فَقَامَ بِلَالٌ يُنَادِى، فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم: مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ هٰذَا يَقِيناً(٢) دَخَلَ الْجَنَّةَ .رواه النسائى وابن ماجه فى صحيحه والحاكم وقال:صحيح الإسناد.

---

(١) الآن وجب على النساء ملازمة بيوتهن، ولا يصلح ذهابهن إلى المسجد لخوف الفتنة،فكن يذهبن فى مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند أمن الفتنة،بل فى غلس الليل وشدة ظلامه حتى لايراهن أحد ، فما بالك الآن ، وقد بلغ السيل الزبى ، واختلط الحابل بالنابل،وأصبحت الفتيات تزاحمن الشبان فى مواطن الفسوق ، فلا حول ولا قوة إلا بالله،على أن النساء يقلن فى بيوتهن وخدرهن لينلن ألف ألف درجة ، كما قال صلى الله عليه وسلم:ويصلين فى بيوتهن والله عنهن راض. (٢) بنية صادقة وإخلاص. وترى يا أخى هذا يسبق القول والفعل ، فيحافظن على أوامر الله ، ويجتنبن نواهيه .أما قول اللسان بلا عمل فباطل ويكون حجة على صاحبه يشهد أنه سمع الأذان ، ولها ولعب ، وغفل عن الله ، وقصر فى حق الله .

إن الله أرشدنا فى كتابه أن مهر الجنة العمل لها،قال تعالى:(وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) مالك الملوك يقص علينا ثمن هذا النعيم ،ويقول علماء النحو فى طرق الإعراب : وتلك مبتدأ، والجنة بدل مطابق والتى صفة ، والخبر بما كنتم تعملون ، وعليه يتعلق الباء بمحذوف، لابأورثتموها اهـ بيضاوى ص ٦٨٣ .

يا أخى : فكر فى « يقيناً » . واعلم أن اليقين الثابت يتدفق منه معين العمل الصالح ، ويشرق منه نور الحكمة ، وتطلع فى سماء العاملين شموس السعادة ، وهناك التوفيق والهداية ، وجنة الله للمحسنين .

وذلك ماقصه الله علينا قبل هذه الآية لتقرن عملك بقولك دائماً : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ،يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) ٦٨ ـ ٧٤ من سورة الزخرف .

مامناسبة هذه الآيات ؟ أريد أن أبين للمسلمين أن يقولوا فيفعلوا، وبذا «وجبت لهم الجنة» كما فى الحديث فتجد مودة المتقين باقية ونافعة أبد الآباد ، ووصف الله المنادى « ياعباد » بصفتين المؤمنين المسلمين لحسن الاعتقاد فى الله ، وتوجد الأعمال،وقال تعالى:"(تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) ٦٣ من سورة مريم.أى نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه، وقيل : يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة فى كرامتهم .

ورواه أبو يعلى عن يزيدَ الرقاشى عن أنس بن مالك .

ولفظه: إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَرَّسَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَذَّنَ بِلَالٌ ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ قالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ ، وَشَهِدَ مِثْلَ شَهَادَتِهِ فَلَهُ الْجَنَّةُ .

[عرّس المسافر] بتشديد الراء : إذا نزل آخر الليل ليستريح .

٩ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قالَ : مَنْ قالَ حِينَ يُنَادِى الْمُنَادِى : اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ النَّافِعَةِ ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَارْضَ عَنِّى رِضاً لَا سَخَطَ بَعْدَهُ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ دَعْوَتَهُ . رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ، وفيه ابن لهيعة ، وسيأتى فى باب الدعاء بين الأذان والإقامة حديث أبى أمامة إن شاء الله تعالى .

١٠ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يُفْضِلُونَنَا[١] . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : قُلْ كَمَا يَقُولُونَ ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ[٢] . رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

١١ — وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وَسلم كَانَ يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَ يُسْمِعُهَا مَنْ حَوْلَهُ ، وَيُحِبُّ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَ ذٰلِكَ إِذَا سَمِعُوا الْمُؤَذِّنَ ، قالَ : وَمَنْ قالَ مِثْلَ ذٰلِكَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وَسلم يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٣] . رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

---

(١) أفضل عليه وتفضل: تطاول وافتخر، أى يزيدون علينا فى الثواب . (٢) اسأل الله يجب طلبك.

(٣) فسر الشفاعة صلى الله عليه وسلم فى حديث «يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيهتمون لذلك، فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال : فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم ..... إلى أن قال صلى الله عليه وسلم : فيأتونى ، فأستأذن على ربى فيؤذن لى ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعنى ماشاء الله ، فيقال : يامحمد ارفع رأسك ، قل تسمع : سل تعطه ، اشفع تشفع » الحديث ص ٥٨ — ٣ .

يمر الناس على سادتنا : آدم ، ونوح ، وإبراهيم، وموسى ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام ؛ فيقولون: ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فيقول صلى الله عليه وسلم : أمتى أمتى . وأيضا تحل الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم . فالشفاعة : الإراحة من الموقف والفصل بين العباد .

ولفظه : كان رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاء قالَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ ، صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، وَاجْعَلْنَا فى شَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ قَالَ هٰذَا عِنْدَ النِّدَاءِ جَعَلَهُ اللهُ فى شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وفى إسنادهما صدقة بن عبد الله السمين .

١٢ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهَا لِي عَبْدٌ فى الدُّنْيَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية الوليد بن عبد الملك الحرانى عن موسى ابن أعين ، والوليد مستقيم الحديث فيما رواه عن الثقات ، وابن أعين ثقة مشهور .

١٣ — ورواه فى الكبير أيضاً،ولفظه قال: مَنْ سَمِعَ النِّدَاء فَقَالَ:أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَبَلِّغْهُ دَرَجَةَ الْوَسِيلَةِ عِنْدَكَ ، وَاجْعَلْنَا فى شَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَبَتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ، وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان ، وهو لين الحديث

= عن جابر بن عبد الله قال:قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لكل نبي دعوة قد دعا بها فى أمته ، وخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص «أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم: (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فإنه منى) الآية . وقال عيسى عليه الصلاة والسلام (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم).فرفع يديه وقال : اللهم أمتى أمتى، وبكى ، فقال الله عز وجل: ياجبريل اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ،فسله مايبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله : ياجبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك » .

قال النووى : فى الحديث كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ، واعتنائه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم ، واستحباب رفع اليدين فى الدعاء ، والبشارة العظيمة لهذه الأمة، زادها الله تعالى شرفا بما وعدها الله تعالى بقوله : سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك ، وعظيم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى،وعظم لطفه سبحانه به صلى الله عليه وسلم . والحكمة فى إرسال جبريل لسؤاله صلى الله عليه وسلم إظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم وأنه بالمحل الأعلى ، فيسترضى ويكرم بما يرضيه ، والله أعلم . وموافق لقول الله عز وجل : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ، ومعنى لانسوءك لانحزنك : أى نرضيك ، ولا ندخل عليك حزنا ، بل ننجى الجميع ، والله أعلم ص ٧٩ — ١ .

ولى كلمة رجاء لأئمة هذا الزمن ومؤذنيه ، وأعد قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين » معجزة خالدة تجلت فى عصرنا هذا، وأن دين الإسلام براء ممن لم يتحل بآدابه،ويعمل بأوامره . إن منصب الإمام جليل يلزمه الاطلاع على الكتاب والسنة ، والتفقه فى الدين ، والسير المستقيم ليكون الإمام قدوة حسنة للمسلمين ، وإلا ساء العمل ، وساد الإلحاد وكثرت البغضاء ، وضل الناس .

١٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم كَانَ إِذَا سَمِعَ المُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ قالَ : وَأَنَا وأَنَا . رواه أبو داود واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

الترغيب فى الإقامة

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ[١] الشَّيْطَانُ ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ ، فَإِذَا قُضِيَ[٢] الأَذَانُ أَقْبَلَ ، فَإِذَا ثُوِّبَ[٣] أَدْبَرَ ، الحديث تقدم ، والمراد بالتثويب هنا : الإقامة .

٢ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم قالَ: إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ . رواه أحمد من رواية ابن لهيعة .

٣ ـ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : سَاعَتَانِ لَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ : حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ[٤] ، وَفِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللهِ . رواه ابن حبان فى صحيحه .

الترهيب من الخروج من المسجد بعد الأذان لغير عذر

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: خَرَجَ رَجُلٌ بَعْدَ مَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ ، فَقَالَ أَمَّا هٰذَا[٥] فَقَدْ عَصَى[٦] أَبَا القَاسِمِ صلى الله عليه وسلم ، ثم قالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا كُنْتُمْ فِي المَسْجِدِ فَنُودِيَ[٧] بِالصَّلَاةِ فَلَا يَخْرُجْ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُصَلِّيَ . رواه أحمد واللفظ له ، وإسناده صحيح، ورواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه دون قوله : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الخ .

٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : لَا يَسْمَعُ النِّدَاءَ فِي مَسْجِدِي[٨] هٰذَا ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ

---

(١) ولى . (٢) تم . (٣) أقيم للصلاة . (٤) أى بعد ذكر ألفاظ الإقامة يحسن الدعاء .

(٥) الذى خرج ، ولم ينتظر الجماعة مع الإمام . (٦) ضحك عليه الشيطان ، وحرمه من ثواب الجماعة ، وخالف نبيه صلى الله عليه وسلم . (٧) أذن لها .

(٨) ويقاس عليه جميع المساجد التى يؤذن فيها ، فلا يصح ضياع جماعة الإمام الراتب لأن هذا عده رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاقا ، ونقص إيمان ، وقلة اكتراث بثواب الله عز وجل ، وغفلة عنه سبحانه ، وإهمالا فى أداء حقوق الله تبارك وتعالى ، واشتغالا بعرض الدنيا الفانى عن الأجر الباقى .

إِلَّا مُنَافِقٌ[١] . رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورواته محتج بهم فى الصحيح .

٣ — وَرُوِىَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مَنْ أَدْرَكَهُ الْأَذَانُ فِى الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يَخْرُجْ لِحَاجَةٍ ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ الرَّجْعَةَ فَهُوَ مُنَافِقٌ[٢] . رواه ابن ماجه .

٤ — وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ أَحَدٌ بَعْدَ النِّدَاءِ إِلَّا مُنَافِقٌ إِلَّا لِعُذْرٍ أَخْرَجَتْهُ حَاجَةٌ ، وَهُوَ يُرِيدُ الرُّجُوعَ . رواه أبو داود فى مراسيله .

الترغيب فى الدعاء بين الأذان والإقامة

١ — عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ[٣] . رواه أبو داود والترمذى ، واللفظ له ، والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، وزاد : فَادْعُوا ، وزاد الترمذى فى رواية : قالوا : فَمَاذَا نَقُولُ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ[٤] فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٢ — وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم: سَاعَتَانِ تُفْتَحُ فِيهِمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَقَلَّمَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ: عِنْدَ حُضُورِ النِّدَاءِ[٥] ، وَالصَّفِّ فِى سَبِيلِ اللهِ .

---

(١) منافق يخفى كفره ، ويظهر إيمانه ، وفى حديث : نافق حنظلة ، أراد أنه إذا كان عند النبى صلى الله عليه وسلم أخلص وزهد فى الدنيا ، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه، ورغب فيها فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه اهـ نهاية ص ١٦٦ .

(٢) قد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافق الذى وجد فى المسجد وقت الأذان، ويريد أن يخرج بلا عذر .

(٣) الله يتفضل بإجابته .

(٤) اطلبوا من الله جل وعلا السلامة من الأسقام والبلايا وكسب الصحة ، والنجاة من الشدائد والمصائب فى الحياة وبعد الممات ، ومنه حديث أبى بكر «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة» العفو : محو الذنوب ، والمعافاة : أن يعافيك الله من الناس ، ويقيك شرهم ، ويعافيهم منك .

(٥) الأذان ، ووقت نشوب المعركة ، وازدحام الصفوف : المجاهدة فى سبيل نصر دين الله، وقمع أعداء الباطل ، والآن لاحرب ولا جهاد إلا لإخراج المستعمر ، فوقت الإجابة الدفاع عن الباطل ، ونصر المظلوم ، وقول الحق ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ورد الظالم عن ظلمه ، وإغاثة الضعيف ، وجهاد النفس أن تحضر مجالس الصالحين ، وتقتدى بمعالمهم ، وتجتنب الأشرار ، وهكذا من الأمور المدركة الآن . لعل وقتها تفتح أبواب رحمة القادر فيلطف بعباده .

وفى لفظ قال: ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَالَ مَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ[١] حِينَ يُلْحِمُ بَعْضٌ بَعْضًا. رواه أبو داود، وابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحيهما إلا أنه قال: فى هذه: عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ.

٣ — وفى رواية له: سَاعَتَانِ لَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ: حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ، وَفِى الصَّفِّ فِى سَبِيلِ اللهِ، ورواه الحاكم وصححه، ورواه مالك موقوفا.

[قوله يلحم] هو بالحاء المهملة: أى حين ينشب بعضهم ببعض فى الحرب.

٤ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا نَادَى الْمُنَادِى[٢] فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ، أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَتَحَيَّنِ الْمُنَادِىَ، فَإِذَا كَبَّرَ كَبَّرَ، وَإِذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدَ، وَإِذَا قَالَ: حَىَّ عَلَى الصَّلَاةِ قال: حَىَّ عَلَى الصَّلَاةِ، وَإِذَا قَالَ: حَىَّ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ: حَىَّ عَلَى الْفَلَاحِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ الصَّادِقَةِ الْمُسْتَجَابَةِ، الْمُسْتَجَابِ لَهَا دَعْوَةِ الْحَقِّ[٣]،

---

(١) القتال. (٢) المؤذن يسمع نداءه فيجيب، فيذهب إلى المسجد ويتطهر ويتوضأ، ثم يتوجه للقبلة بذلة وخشوع ويتضرع إلى مولاه بعد التوبة الصادقة، ورد المظالم.

وفى كتابى (النهج السعيد فى علم التوحيد) ص ١٠٨: الدعاء: الطلب على سبيل التضرع، وقيل: رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات. وشروطه أكل الحلال، وأن يدعو الله وهو موقن بالإجابة، وألا يكون قلبه غافلا، وألا يدعو بما فيه إثم، أو قطيعة رحم، أو إضاعة حقوق المسلمين، وألا يدعو بمحال ولو عادة لأن الدعاء يشبه التحكم على القدرة القاضية بدوامها، وذلك إساءة أدب على الله تعالى.

وله آداب: منها أن يتحرى الأوقات الفاضلة كأن يدعو فى السجود، أو عند الأذان والإقامة. هذا إلى افتتاحه بالحمد، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وختمه بهما. اهـ.

(٣) العزيز القادر القاهر، المرجو بتثبيت العزائم على العمل الصالح تلبية لها، قال تعالى فى وصف جلال الحق ورهبوته:

ا — (يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لايقضون بشىء إن الله هو السميع البصير). ٢١ سورة المؤمن، أى يعلم النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم؛ واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين. إذا يستحق إجابة أوامره لأنه المسيطر على القلوب، وهو المالك الحاكم على الإطلاق، فلا يقضى بشىء إلا وهو حقه، فما لك يابن آدم تسمع دعوة الحق، ولا تسعى إلى أداء طلبها، وهى الصلاة فى أوقاتها والعمل بتوحيدها، وويل للغافل، الجاهل، المقصر فى حقوق الله، المحروم من خيرات مولاه.

ب — (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) ١٨٦ من سورة البقرة. قل لهم يا محمد إنى قريب، وهذا تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم، واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم — فى دعوة الحق فليستجيبوا لى إذا دعوتهم للإيمان والطاعة

وَكَلِمَةِ التَّقْوَى(١) أَحْيِنَا عَلَيْهَا(٢) وَأَمِتْنَا عَلَيْهَا ، وَابْعَثْنَا عَلَيْهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا

كما أجيبهم إذا دعونى لمهماتهم ، وليحافظوا على الثبات ؛ والمداومة على الإيمان والتقوى رجاء إصابة الرشد واتباع الحق .

ج — (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) ٦١ من سورة المؤمن . ادعونى أى اعبدونى أثبكم . صاغرين معنى لداخرين ، وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة ، أو المراد بالعبادة الدعاء ، فإنه من أبوابها اه بيضاوى ، فالدعوة إلى الحق الإرشاد إلى عبادة الله وطلب قضاء الحاجات منه وطاعته .

(١) كلة الشهادة سبب التقوى ، أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله ، وكلة أهل الإسلام التى يعنيها الله تعالى بقوله : (إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شىء عليما) ٢٧ من سورة الفتح فأنت ترى جلال الله يذكر حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم بوجود أنفة الكفار ؛ وعدم إذعانهم للحق . أما المسلمون فأنزل عليهم الثبات والوقار ، وذلك ماروى أنه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتال الكفار بعثوا سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ؛ ومكرز بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام ، فأجابهم وكتبوا بينهم كتابا ، فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالوا : ماعرف هذا ، اكتب باسمك اللهم ، ثم قال : اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة ، فقالوا ، لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت، وما قاتلناك ، اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : اكتب مايريدون، فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم ، فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا ، وهو تعالى يعلم أهل كل شىء ، وييسره له اه بيضاوى ص ٧١٠ .

ومعنى الشهادتين : أشهد أن لامعبود بحق سوى الله ، ويلزم من هذا أنه جل وعلا مستغن عن كل ماسواه فيوجب له تعالى صفات الكمال ، وينزه عن صفات النقص . وأشهد أن محمداً رسول الله ، ويلزم منها الإيمان بسائر الأنبياء ، والملائكة ، والكتب السماوية . واليوم الآخر ، والجنة ، والنار ، وعذاب القبر ، وجميع السمعيات ، ووجود الصفات الأربعة فى الرسل عليهم الصلاة والسلام . الصدق . والأمانة . والتبليغ . والفطانة وجواز فعل كل ممكن أو تركه فى حق الله جل وعلا ، وجواز الأعراض البشرية التى لاتؤدى إلى نقص فى مراتبهم العلية عليهم الصلاة والسلام ص ٨٧ النهج السعيد فى التوحيد .

(٢) أى على العمل بما جاء بكتاب الله الداعية إليه . أو على كلة التوحيد لنحظى بالسعادة التى يعنيها الله تعالى بقوله : (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) ١٠٩ من سورة هود . أى الذين أسعدهم الله بحسن الخاتمة ثمرة عملهم الصالح أعطاهم ربهم ثواباً غير منقطع ، والله أعلم . « اللهم أحينا ، وأمتنا على دعوة الحق ، وكلة التقوى » .

مثال دعوة الحق

إن الكافرين يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة . والتفرد بالألوهية وإعادة الناس ومجازاتهم .

روى أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله . فأخذه عامر بالمجادلة ، والتشدد فى الخصومة ، وإساءة الأدب فى المناظرة ، ورداءة القول ، ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف ، فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : اللهم اكفنيهما بما شئت ، فأرسل الله

أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ حَاجَتَهُ . رواه الحاكم من رواية عفير بن معدان وهو واه ، وقال صحيح الإسناد .

[قوله فليتحين المنادى] : أى ينتظر بدعوته حين يؤذن المؤذن فيجيبه ، ثم يسأل الله تعالى حاجته .

٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ المُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا[١] ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قُلْ كَمَا يَقُولُونَ : فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ . رواه أبو داود والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، وقالا : تعط بغير هاء .

الترغيب فى بناء المساجد فى الأمكنة المحتاجة إليها

١ — عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ حِينَ بَنَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ بَنَى مَسْجِداً يَبْتَغِي[٢] بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ، وفى رواية : بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِى الْجَنَّةِ . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

٢ — وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ بَنَى لِلهِ مَسْجِداً قَدْرَ مَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِى الْجَنَّةِ . رواه البزار واللفظ له ، والطبرانى فى الصغير ، وابن حبان فى صحيحه .

على أربد صاعقة فقتلته ، ورمى عامر بغدة فمات فى بيت سلولية ، وكان يقول : غدة كغدة البعير ، وموت فى بيت سلولية ، قال الله تعالى : (وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) ١٥ من سورة الرعد : أى هو شديد المماحلة والمكايدة لأعدائه ، وله الدعاء الحق فإنه الذى يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره ، أو له الدعوة المجابة ، فإن من دعاه أجابه ، والحق ما يناقض الباطل ، وقيل : الحق هو الله تعالى ، وكل دعاء إليه دعوة الحق .

وشبه الكفار فى قلة جدوى دعائهم للأصنام بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه ، فبسط كفيه ليشربه ، وما هو ببالغه لأنه جاد لا يشعر بدعائه ، ولا يقدر على إجابته ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، أى فى ضياع وخسارة وباطل . نسأل الله السلامة .

(١) يحصل لهم فضل ومزية علينا فى الثواب بسبب الأذان .

(٢) يرجو من إقامته ثواب الله ، ولا يريد الرياء والظهور ، وثناء الناس .

٣ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ بَنَى لِلّهِ مَسْجِدًا يُذْكَرُ فِيهِ(١) بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ. رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

٤ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ حَفَرَ بِئْرَ مَاءٍ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ كَبِدٌ حَرَّى(٢) مِنْ جِنٍّ، وَلَا إِنْسٍ، وَلَا طَائِرٍ إِلَّا آجَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ بَنَى لِلّهِ مَسْجِدًا كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ رواه ابن خزيمة فى صحيحه، وروى ابن ماجه منه ذكر المسجد فقط بإسناد صحيح، ورواه أحمد والبزار عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم إِلَّا أَنَّهُمَا قَالَا: كَمَفْحَصِ(٣) قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا

(١) تقام فيه الصلوات . وتفتح أبوابه للفقراء لذكر الله ، وتلاوة كلامه . وتدريس العلم .
(٢) سقى كل ذى روح شديد العطش فى حاجة إلى الظمأ .
(٣) قدر عشها ومأواها . دلائل كتاب الله ، قال الله تعالى :
ا — (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين . لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) . ١١٥ من سورة البقرة .
قال البيضاوى : عام لكل من خرب مسجداً ، أو سعى فى تعطيل مكان مرشح للصلاة وإن نزل فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله ، وفى المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية .
إن هؤلاء المانعين المخربين ما كان لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع فضلا عن أن يجترئوا على تخريبها ، أو ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم ، فضلا عن أن يمنعوهم منها ، أو ما كان لهم فى علم الله وقضائه ، فيكون وعداً للمؤمنين بالنصرة ، واستخلاص المساجد منهم ، وقد أنجز وعده سبحانه ، وأصاب الكفار خزى الدنيا بالقتل ، والسبى ، والذلة بضرب الجزية إلى عذاب الآخرة بكفرهم وظلمهم .
ب — (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) . ١٩ من سورة الجن . أى إنها مختصة بالله عز شأنه فلا تعبدوا فيها غيره : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ١٧ ، ١٨ من سورة التوبة . أى شيئاً من المساجد فضلا عن المسجد الحرام .
قال البيضاوى : إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ، ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها ، وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى : إن بيوتى فى أرضى المساجد ، وإن زوارى فيها عمارها ، فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحق على المزور أن يكرم زائره » وإنما لم يذكر الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم أن الإيمان بالله قرينه ، وتمامه الإيمان به ، ولدلالة قوله : وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فى أبواب الدين ، وقوله (فعسى أولئك) ذكره بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين فى اهتدائهم والانتفاع بأعمالهم ، وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم مهتدون اهـ ص ٢٧٧ .

[مفحص القطاة] بفتح الميم والحاء المهملة : هو مُجَثَّمُهَا .

٥ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قالَ : مَنْ بَنَى لِلهِ مَسْجِدًا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فى الْجَنَّةِ رواه الترمذى .

٦ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ بَنَي لِلهِ مَسْجِدًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا أَوْسَعَ مِنْهُ . رواه أحمد بإسناد لين .

٧ — وَرُوِىَ عَنْ بِشْرِ بْنِ حَيَّانَ قالَ : جَاءَ وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ ، وَنَحْنُ نَبْنِي مَسْجِدًا قَالَ : فَوَقَفَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُصَلَّى فِيهِ بَنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فى الْجَنَّةِ أَفْضَلَ مِنْهُ . رواه أحمد والطبرانى .

٨ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ بَنَى بَيْتًا يُعْبَدُ اللهُ فِيهِ مِنْ مَالٍ[١] حَلَالٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فى الْجَنَّةِ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ . رواه الطبرانى فى الأوسط ، والبزار دون قوله : مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ .

٩ — وَرُوِىَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عايه وسلم قالَ : مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءً[٢] وَلَا سُمْعَةً[٣] بَنَى اللهُ[٤] لَهُ بَيْتًا فى الْجَنَّةِ . رواه

---

(١) اكتسب من بنى مسجداً مالاطيبا جمعه من طرق الحل التى ترضى الله جل وعلا بأن نمى مالهفى التجارة أو الزراعة أو الصناعة ، أو سلك عملا من عرق جبينه ، أو ورثه من أبيه بلا ظلم ولاجور ، واجتنب الغش والربا ، وتجنب موارد الكسب الخسيسة الخبيثة . (٢) قصد الظهور والخيلاء .

(٣) تحدث الناس بحسن أعماله وإقدامه على مشروعات الخير ، قال العلامة ابن الجوزى : من كتب اسمه على المسجد الذى بناه كان بعيداً من الإخلاص اه . وفى البلاد يبنى للتفاخر والتنافس لا لله .

(٤) أى أمر ملائكته ببنائه ، والله تعالى أسند البناء إليه مجازاً ، هذا إلى نضارة مثله فى الجنة . وبهجة رونائه وحسن منظره ، وزيادة توقيره .

شروط نيل الثواب فى تشييد مسجد جامع

ذكر صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشياء عند إقامة المسجد سبب وجود قصر مثله فى الجنة .
أولا : الإنفاق من مال حلال . ثانيا : إخلاص العمل لله تعالى فقط . ثالثاً : عدم انتظار المدح ، وإلافال ضائع ، وعذاب أليم ، وضرب لذلك صلى الله عليه وسلم مثلا فى هدم مسجد بنى فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وفى أصحابه يقول الله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) . ١٠٨ من سورة التوبة : لاتقم فيه أبدا . . . . الآية . ضرارا أى مضارة للمؤمنين ، روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا

الطبرانى فى الأوسط .

١٠ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ، أَوْ نَهَرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ[1] مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ . رواه ابن ماجه واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى ، وإسناد ابن ماجه حسن ، والله أعلم .

الترغيب فى تنظيف المساجد وتطهيرها وما جاء فى تجميرها

١ ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ : فَهَلَّا[2] آذَنْتُمُونِي ، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا رواه البخارى ومسلم وابن ماجه بإسناد صحيح ، واللفظ له وابن خزيمة فى صحيحه إلا أنه قال :

إِنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَلْقُطُ الْخِرَقَ ، وَالْعِيدَانَ مِنَ الْمَسْجِدِ .

٢ ــ ورواه ابن ماجه أيضا وابن خزيمة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ سَوْدَاءُ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ ، فَتُوُفِّيَتْ لَيْلًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم أُخْبِرَ بِهَا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم ، فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف ، فبنوا مسجداً على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ، فلما أتموه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: إنا قد بنينا مسجداً لذى الحاجة ، والعلة ، والليلة المطيرة ، والشاتية ، فصل فيه حتى نتخذه مصلى ، فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت . فدعا بمالك بن الدخشم ، ومعن بن عدى ، وعامر بن السكن ، والوحشى ، فقال لهم : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا ، واتخذ مكانه كناسة .

مسجد يبنى لتقوية الكفر الذى يضمره أولئك المنافقون المفرقون الجماعة ، ويترقبون حضور ذلك الراهب الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك ، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن ، وهرب إلى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بقنسرين وحيدا . يحلف الملحدون ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى ، أو الإرادة الحسنى ، وهى : الصلاة ، والذكر ، والتوسعة على المصلين ، ويشهد الله أنهم كاذبون فى حلفهم . إن كل عمل لغير الله يضرب به عرض الحائط . فأرجو من مؤسسى المساجد أن يقصدوا ثواب الله فقط ، وإياهم وحب الإطراء والثناء .

(١) ينال ثواب نعيمها : (٢) فى نسخة : هلا بالتخفيف .

فَقَالَ : أَلاَ آذَنْتُمُونِى فَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا فَكَبَّرَ عَلَيْهَا وَالنَّاسُ خَلْفَهُ وَدَعَا لَهَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

٣ — وروى الطبرانى فى الكبير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَلْقُطُ الْقَذَى مِنَ الْمَسْجِدِ فَتُوُفِّيَتْ فَلَمْ يُؤْذَنِ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم بِدَفْنِهَا . فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِذَا مَاتَ لَكُمْ مَيِّتٌ فَآذِنُونِى ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ، وَقَالَ : إِنِّى رَأَيْتُهَا فِى الْجَنَّةِ تَلْقُطُ الْقَذَى مِنَ الْمَسْجِدِ .

٤ — وروى أبو الشيخ الأصبهانى عن عبيد الله بن مرزوق قال : كَانَتِ امْرَأَةٌ بِالْمَدِينَةِ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَتْ فَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم ، فَمَرَّ عَلَى قَبْرِهَا فَقَالَ : مَاهٰذَا الْقَبْرُ ؟ فَقَالُوا : قَبْرُ[1] أُمِّ مِحْجَنٍ . قَالَ : الَّتِى كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . فَصَفَّ النَّاسَ فَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَىُّ الْعَمَلِ وَجَدْتِ أَفْضَلَ[2] ؟ قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ أَتَسْمَعُ ؟ قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهَا ، فَذَكَرَ أَنَّهَا أَجَابَتْهُ : قَمَّ الْمَسْجِدِ ، وَهٰذَا مُرْسَلٌ .

[قَمّ المسجد] بالقاف وتشديد الميم : هو كنسه .

٥ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِى قِرْصَافَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ابْنُوا الْمَسَاجِدَ ، وَأَخْرِجُوا الْقُمَامَةَ مِنْهَا ، فَمَنْ بَنَى لِلّٰهِ مَسْجِدًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللهِ وَهٰذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِى تُبْنَى فِى الطَّرِيقِ[3] ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِخْرَاجُ الْقُمَامَةِ مِنْهَا مُهُورُ الْحُورِ الْعِينِ[4] . رواه الطبرانى فى الكبير .

[القمامة] بالضم : الكناسة ، واسم أبى قرصافة بكسر القاف : جندرة بن خيشنة .

٦ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : عُرِضَتْ عَلَىَّ أُجُورُ أُمَّتِى حَتَّى الْقَذَاةُ[5] يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَعُرِضَتْ عَلَىَّ ذُنُوبُ أُمَّتِى

---

(١) فى نسخة ص ١٠٥ : بلا قبر ، بذكر أم محجن . (٢) سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى أعطاه قوة سمع ، وإدراك ، وميزات ، فسمع جوابها : المحافظة على تنظيف المساجد وتنويرها وعمرانها .

(٣) الأمكنة التى تقام فى الطرق العامة للمسلمين ، ومنها مصليات الأنهار للفلاحين . (٤) نساء أهل الجنة ، واحداتهن حوراء ، وهى : الشديدة بياض العين ، الشديدة سوادها ، كناية عن نهاية الجمال ، ورشاقة القد ، وبداعة الصورة ، يتمتع بها خدام المساجد المحافظون على إضاءته ، وإزالة الكناسة . (٥) جمع مايقع فى العين ، والماء ، والشراب : من تراب ، أو تبن ، أو وسخ : أو غير ذلك ، والمعنى يخرج الرجل كل قذر ، ولو قل .

فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ[١] مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، أَوْ آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا . رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ، كلهم من رواية المطلب بن عبد الله ابن حنطب عن أنس ، وقال الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال : وذاكرت به محمد بن إسماعيل ، يعنى البخارى فلم يعرفه واستغربه ، وقال محمد : لا أعرف للمطلب بن عبد الله سماعا من أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلا قوله : حدثنى من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمعت عبدالله بن عبدالرحمن يقول : لا نعرف للمطلب سماعا من أحد من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ، قال عبد الله : وأنكر علىّ بن المدينى أن يكون المطلب سمع من أنس .

[قال الحافظ عبد العظيم] قال أبو زرعة : المطلب ثقة أرجو أن يكون سمع من عائشة ، ومع هذا ففى إسناده عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد ، وفى توثيقه خلاف يأتى فى آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

٧ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ أَخْرَجَ أَذًى[٢] مِنَ الْمَسْجِدِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فى الْجَنَّةِ . رواه ابن ماجه ، وفى إسناده احتمال للتحسين .

٨ — وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : أَنْ نَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ فِى دِيَارِنَا[٣] ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُنَظِّفَهَا . رواه أحمد والترمذى ، وقال : حديث صحيح .

---

(١) أكبر من ذنب رجل حفظ آية أو سورة ثم ترك القراءة فيها حتى أنساه الله ، وهذا ترهيب من ترك القراءة كل يوم أعاذنا الله وأعاننا على ورد دائم منه .

فاستيقظوا يامن قرأتم ماتيسر من كلامه ، وحافظوا على دوام القراءة فيه خشية أن الله يعذبكم بهذه الجريرة ويحاسبكم على هذه الكبيرة . وآسف لأن كثيراً ممن حفظوا القرآن فى صغرهم الآن أهملوا ، فضلوا وأضلوا . قال أبو سليمان الدارانى : الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال ميسرة : الغريب : هو القرآن فى جوف الفاجر .

(٢) مايؤذى فيها المصلى كالشوك ، والحجر ، والنجاسة ، ونحوها ، ومنه حديث « إماطة الأذى عن الطريق صدقة » .

(٣) منازلنا — يبنى الصالح مصلى يؤدى فيها الصلاة مع أهله وزوجه وأبنائه ، وكان عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يحضر صلاة الجماعة فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤدى النافلة فى بيته وتقتدى به زوجته رضى الله عنهما — والسنة صلاة النافلة فى البيت ، وقد قص الله علينا فعل بنى إسرائيل : (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) . أى اتخذوا

٩ – وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِى الدُّورِ ، وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ . رواه أحمد والترمذى ، وقال : حديث صحيح إلىّ وأبو داود ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، ورواه الترمذى مسندا ومرسلا ، وقال فى المرسل : هذا أصح .

١٠ – وَرُوِىَ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ[١] صِبْيَانَكُمْ ، وَمَجَانِينَكُمْ ، وَشِرَاءَكُمْ[٢] ، وَبَيْعَكُمْ ، وَخُصُومَاتِكُمْ[٣] ، وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ ، وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ ، وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ ، وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ[٤] ، وَجَمِّرُوهَا فِى الْجُمَعِ رواه ابن ماجه ، ورواه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء وأبى أمامة وواثلة ، ورواه فى الكبير أيضا بتقديم وتأخير من رواية مكحول عن معاذ ، ولم يسمع منه

[جمروها] : أى بخروها وزنا ومعنى

الترهيب من البصاق فى المسجد ، وإلى القبلة ، ومن إنشاد الضالة

فيه ، وغير ذلك مما يذكر هنا

١ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ يَوْمًا إِذْ رَأَى نُخَامَةً[٥] فِى قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَغَيَّظَ[٦] عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ حَكَّهَا[٧]

مباءة تسكنون فيها ؟ أو ترجعون إليها للعبادة – وخذوا من تلك البيوت مصلى ، وقيل : مساجد متوجهة نحو القبلة : يعنى الكعبة ، وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلى إليها ، وأمروا بالصلاة أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة ، فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم ، والبشارة : وظيفة صاحب الشريعة بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى .

(١) فى نسخة : تقديم وتأخير : أى أبعد المجانين ، والصبيان ، والسكارى ، ولا بأس بدخول الصبى المسجد إذا لم يلعب ، ويجب منع من اتخذ المسجد ملعبا . (٢) التجارة والصناعة .

(٣) العداوة ، والشقاق ، والتنابذ ، وارتفاع الصوت ، والتقاضى ، وتنظيف السيوف .

(٤) جمع مطهرة . الإداوة : أى اجعلوا دورة الماء للوضوء بعيدة عن مكان العبادة ، وكذا المراحيض ، وقد عد الغزالى من منكرات المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود ، أو ما يقدح فى صحتها من نجاسة ، وانحراف عن القبلة ، وقراءة القرآن باللحن ، وكلام القصاص ، والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدع ، والفسوق ، والمزاح الخارج عن الأدب ، والحلق يوم الجمعة ، وكذا المكث فيها لبيع الأدوية ، والأطعمة ، والتعويذات ، وكقيام السؤال ، وإنشاد الأشعار ، فإن فى ذلك تضييقا على المصلين ، وتشويشا عليهم فى صلاتهم ، ولا يجب إخراج المجنون الهادى ، ونهى صلى الله عليه وسلم «من أكل ثوما أو بصلا» من دخول المساجد . اهـ ص ٢٦٦ – ٢ . (٥) النخامة : البزقة التى تخرج من أقصى الحلق ، ومن مخرج الخاء المعجمة وتسمى النخاعة . (٦) أظهر الغضب .

(٧) غضب عليها صلى الله عليه وسلم ليذهب أثرها . حك الشىء ، واحتك به : حتى تذهب عليه .

قالَ(١) : وَأَحْسِبُهُ . قالَ : فَدَعَا بِزَعْفَرَانٍ فَلَطَخَهُ بِهِ وَقالَ(٢) إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قِبَلَ(٣) وَجْهِ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى فَلَا يَبْصُقْ(٤) بَيْنَ يَدَيْهِ . رواه البخارى ومسلم وأبو داود واللفظ له .

٢ — وروى ابن ماجه عن القاسم بن مهران ، وهو مجهول عن أبى رافع عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى نُخَامَةً فِى قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : مَابَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فى وَجْهِهِ ؟ إِذَا بَصَقَ(٥) أَحَدُكُمْ فَلْيَبْصُقْ عَنْ شِمَالِهِ ، أَوْ لِيَتْفُلْ هٰكَذَا فى ثَوْبِهِ ثُمَّ أَرَانِى إِسْمَاعِيلُ ، يَعْنِى ابْنَ عُلَيَّةَ يَبْصُقُ فى ثَوْبِهِ ، ثُمَّ يَدْلُكُهُ .

٣ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعْجِبُهُ الْعَرَاجِينُ(٦) أَنْ يُمْسِكَهَا بِيَدِهِ ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَفى يَدِهِ وَاحِدٌ مِنْهَا ، فَرَأَى نُخَامَاتٍ فى قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَحَتَّهُنَّ(٧) حَتَّى أَنْقَاهُنَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ مُغْضَبًا فَقَالَ : أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ رَجُلٌ فَيَبْصُقَ فى وَجْهِهِ ، إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ ، وَالْمَلَكُ(٨) عَنْ يَمِينِهِ ، فَلَا يَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ الحديث . رواه ابن خزيمة فى صحيحه

٤ — وَفى رِوَايَةٍ لَهُ بِنَحْوِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ : فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ(٩) فى صَلَاتِكُمْ ، فَلَا تُوَجِّهُوا شَيْئًا مِنَ الْأَذَى بَيْنَ أَيْدِيكُمْ . الحديث ، وبوّب عليه ابن خزيمة : باب الزجر عن توجيه جميع مايقع عليه اسم أذى تلقاء القبلة فى الصلاة .

---

(١) فى نسخة : حذف قال . (٢) فى نسخة : ثم قال .

(٣) أى عيانا ومقابلة. يفسر ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الجواب على سؤال جبريل عليه السلام : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وفى حديث آدم عليه السلام : « إن الله خلقه بيده ثم سواه قبلا » وفى رواية « إن الله كلمه قبلا » أى عيانا ومقابلة ، لا من وراء حجاب ، ومن غير أن يولى أمره أو كلامه أحداً من ملائكته . (٤) يخرج مادة اللعاب من فمه أمام وجهه لأنه واقف بين أحكم الحاكمين جل جلاله ، فينبغى أن يتأدب ، ويترق ، ويذوق رهبة العظيم القادر .

(٥) فى نسخة : بزق أحدكم فليبزق . (٦) القنو ، والجمع القنوان ، والأقناء : العزق الذى يثمر عليه البلح ، يستعمل الكناسة والنظافة . (٧) حكهن ، والحك ، والحت ، والقشر سواء . بمعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم أزال هذه الفضلة القذرة . (٨) فى نسخة : والملائكة .

(٩) الله تعالى مطلع على حركاتكم وسكناتكم ، تشملكم رحمته ومراقبته ، والله تعالى ليس له زمان أو مكان بل هو محيط بعباده رقيب رحيم .

٥ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَانَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فى مَسْجِدِنَا ، وَفى يَدِهِ عُرْجُونٌ ، فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فَحَتَّهَا بِالْعُرْجُونِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ(١) اللهُ عَنْهُ ؟ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّى ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قِبَلَ وَجْهِهِ ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ(٢) وَجْهِهِ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى ، فَإِنْ عَجِلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ(٣) فَلْيَتْفُلْ(٤) بِثَوْبِهِ هٰكَذَا ، وَوَضَعَهُ عَلَى فِيهِ ، ثُمَّ دَلَكَهُ . الحديث رواه أبو داود وغيره .

٦ — وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : مَنْ تَفَلَ(٥) تُجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَتَفْلَتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ(٦) . رواه أبو داود وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما ، ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة ، ولفظه قال : مَنْ بَصَقَ فى قِبْلَةٍ وَلَمْ يُوَارِهَا(٧) جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْمَى(٨) مَا تَكُونُ حَتَّى تَقَعَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

[تفل] بالتاء المثناة فوق : أى بصق بوزنه ومعناه .

٧ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يُبْعَثُ صَاحِبُ النُّخَامَةِ فى الْقِبْلَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ فى وَجْهِهِ(٩) . رواه البزار وابن خزيمة فى صحيحه ، وهذا لفظه ، وابن حبان في صحيحه .

٨ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وَسلم: قَالَ : الْبُصَاقُ فى الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا(١٠) . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

---

(١) يغضب عليه جل وعلا ، ويصب عليه جام سخطه ، ويرد عليه صلاته .
(٢) أمام . (٣) سالة اضطراراً من كثرة لعابه ، وفيه حديث اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه ، قال عمر : « فابتدرت عيناى » أى سالتا بالدموع . اه نهاية .
(٤) أى فلينفخ لإخراج أدنى البزاق . (٥) أخرج اللعاب والمخاط .
(٦) الله تعالى يحشره ومخاطه بين عينيه والقذارة بادية على وجهه ، لأن صلاته خالية من الخشوع وخوف الله جل وعلا . وإن التافل لايستحى من الله ، ولا يضبط نفسه فى هذه الساعة الرهيبة ، ويكون طوع إرادة الشيطان يبصق كما شاء .
(٧) لم يخفها فى ثوبه عن يساره ، ولم يدفنها فى تراب المسجد ، أو لم يخرجها .
(٨) فى درجة عالية من النار المتقدة الحامية فتلسعه وتؤلمه . (٩) علامة دناءته ، وحقارته ، وتهاونه أمام ربه فى صلاته فى بيت مولاه . (١٠) فى التراب أو إزالة أثرها ، أو إخراجها من المسجد .

٩ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : التَّفْلُ فِى الْمَسْجِدِ سَيِّئَةٌ ، وَدَفْنُهُ حَسَنَةٌ . رواه أحمد بإسناد لا بأس به .

١٠ — وَعَنْ أَبِى سَهْلَةَ السَّائِبِ بْنِ خَلَّادٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم : أَنَّ رَجُلاً أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِى الْقِبْلَةِ ، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَنْظُرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ فَرَغَ : لَا يُصَلِّى لَكُمْ هٰذَا[1] ، فَأَرَادَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يُصَلِّىَ لَهُمْ فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّكَ آذَيْتَ[2] اللهَ وَرَسُولَهُ . رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه .

١١ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم رَجُلاً يُصَلِّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ فَتَفَلَ فِى الْقِبْلَةِ ، وَهُوَ يُصَلِّى لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا كَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ أَرْسَلَ إِلَى آخَرَ ، فَأَشْفَقَ[3] الرَّجُلُ الْأَوَّلُ ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ : أَأُنْزِلَ فِىَّ شَىْءٌ ؟ قَالَ : لَا ، وَلٰكِنَّكَ تَفَلْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَنْتَ قَائِمٌ[4] تَؤُمُّ النَّاسَ ، فَآذَيْتَ اللهَ وَالْمَلَائِكَةَ . رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

١٢ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِى الصَّلَاةِ فُتِحَتْ لَهُ الْجِنَانُ ، وَكُشِفَتْ لَهُ الْحُجُبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْحُورُ الْعِينُ مَالَمْ يَمْتَخِطْ[5] ، أَوْ يَتَنَخَّعْ . رواه الطبرانى فى الكبير ، وفى إسناده نظر .

١٣ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً[6] فى الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ : لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهٰذَا . رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وغيرهم .

١٤ — وَعَنْهُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَالَ : إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ

(١) فى نسخة : بلا ذكر هذا ، يعنى بالإشارة إلى الإمام غير الخاشع فى صلاته، وغير المكترث بأداء هذا الفرض . (٢) فعلت خطأ يشعر بقلة أدبك أمام الله ، وأنك غير عامل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) خاف . (٤) فى نسخة : بلا قائم . (٥) فى نسخة : يتمخط . ص ١٠٨ ع .
(٦) تائها هائما : أى ضاعت له حاجة ويطلبها بصوت مرتفع أمام المصلين فى المسجد .

يَبِيعُ، أَوْ يَبْتَاعُ[١] فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً، فَقُولُوا: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ. رواه الترمذى، وقال حديث حسن صحيح، والنسائى وابن خزيمة والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن حبان فى صحيحه بنحوه بالشطر الأول.

١٥ — وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلم: لَا وَجَدْتَ[٢] إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ. رواه مسلم والنسائى وابن ماجه.

١٦ - وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ: سَمِعَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَجُلاً يَنْشُدُ[٣] ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَأَسْكَتَهُ وَانْتَهَرَهُ[٤]، وَقَالَ: قَدْ نُهِينَا عَنْ هٰذَا. رواه الطبرانى فى الكبير، وابن سيرين لم يسمع من ابن مسعود، وتقدم حديث واثلة فى الباب قبله:

جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ، وَمَجَانِينَكُمْ، وَشِرَاءَكُمْ، وَبَيْعَكُمْ. الحديث.

١٧ — وَعَنْ مَوْلًى لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِذْ دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ مُحْتَبِياً[٥]

---

(١) يشترى: ادعوا عليه بعدم الربح لأنه شوش على المصلين وتجارأ على العصيان: وهوش، وضيق وأوجد شغبا، وجلبة ضد العبادة، أى امنعوه من النداء بصوت مزعج مقلق معطل مؤلم، وصدوه عن غوايته، واطلبوا منه أن يقف على الباب، وينادى بما فقد منه.

إن الله تعالى يتجلى برحماته وإحسانه على المصلين فى المسجد، ويريد منهم الخشوع، وحصر الفكر فى العبادة ونهى المسلمين عن وجود الشغب، والشقاق ورفع الصوت حتى فى العبادة، فما بالك بحركة البيع والشراء؟ إذن يكون سوقا لا مسجداً، ونهى أيضا عن تعريف الضالة فى المسجد. فاحذر أخى أن تكثر من اللغو، أو تعطل مصلياً، أو تزعج عابدا رجاء الفوز إن شاء الله تعالى.

(٢) دعا صلى الله عليه وسلم على ذلك الذى رفع صوته فى المسجد، وطلب منهم التعريف به ألا يجده، وأخبره أن المساجد لغير هذا، إنما هى للعبادة، وللذكر، وللقراءة، وهكذا.

(٣) نشد الضالة: طلبها، وأنشدها: عرفها. (٤) زجره.

(٥) الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، وإنما نهى صلى الله عليه وسلم عن الاحتباء لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته، ومنه الحديث: أنه نهى عن الحبوة يوم الجمعة، والإمام يخطب لأن الاحتباء يجلب النوم، فلا يسمع الخطبة ويعرض طهارته للانتقاض اهـ نهاية ص ١٩٩.

هذا الرجل جالس ورافع ركبتيه ومشبك أصابعه، وتلك جلسة الكسالى الغافلين عن الله الذين يلهيهم الشيطان عن ذكره سبحانه وتعالى.

مُشَبِّكاً أَصَابِعَهُ بَعْضَهَا فى بَعْضٍ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمْ يَفْطِنِ(١) الرَّجُلُ لِإِشَارَةِ رَسُولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ ، فَقَالَ : إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فى المَسْجِدِ فَلاَ يُشَبِّكَنَّ فَإِنَّ التَّشْبِيكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَيَزَالُ فى صَلاَةٍ(٢) مَا كَانَ فى المَسْجِدِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ . رواه أحمد بإسناد حسن :

١٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عايه وسلم : إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فى بَيْتِهِ ، ثُمَّ أَتَي المَسْجِدَ كَانَ فى الصَّلاَةِ(٣) حَتَّى يَرْجِعَ ، فَلاَ يَقُلْ هٰكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه والحاكم ، وقال صحيح على شرطهما ، وفيما قاله نظر .

١٩ - وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم يَقُولُ : إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الصَّلاَةِ فَلاَ يُشَبِّكَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ فى صَلاَةٍ(٤) . رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد والترمذى ، واللفظ له من رواية سعيد المقبرى عن رجل عن كعب بن عجرة ، وابن ماجه من رواية سعيد المقبرى أيضاً عن كعب ، وأسقط الرجل المبهم .

٢٠ - وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلي الله عايه وَسلم فِى المَسْجِدِ ، وَقَدْ شَبَّكْتُ بَيْنَ أَصَابِعِ(٥) ، فَقَالَ لِي : يَا كَعْبُ : إِذَا كُنْتَ فى المَسْجِدِ فَلاَ تُشَبِّكَنَّ بَيْنَ أَصَابِعِكَ ، فَأَنْتَ فى صَلاَةٍ مَا(٦) انْتَظَرْتَ الصَّلاَةَ . ورواه ابن حبان فى صحيحه بنحو هذه .

٢١ - وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم قال :

---

(١) لم يفهم لأنه كان فى سبات عميق ، وجهالة عمياء .
(٢) إذا بقى وضوؤه وفى مصلاه استمر ثواب الله مالم يحدث . (٣) فى نسخة : فى صلاة .
(٤) أرادصلى الله عليه وسلم أن يجلس بهيبة ووقار ونشاط للعبادة . (٥) فى نسخة بين أصابعى . ص ١٠٩ ع .
(٦) ما مصدرية ظرفية : أى مدة جلوسك على مكان طاهر وعلى وضوء تام، فكأنك فى تسبيح ، وتحميد ، وتكبير ودعاء وصلاة ، تصب عليك الرحمات ، وتشملك البركات ، ويحوطك الرضوان ، والإجلال ، وترفرف عليك شارة القبول ، ويتصل ثواب الله ، وتملأ به صحائفك النقية ، وتلك خلوة الصالحين مع الله تعالى .

خِصَالٌ لَا يَنْبَغِينَ(١) فى المَسْجِدِ : لَا يُتَّخَذُ طَرِيقاً(٢) ، وَلَا يُشْهَرُ فِيهِ سِلَاحٌ(٣) ، وَلَا يُنْبَضُ فِيهِ بِقَوْسٍ(٤) ، وَلَا يُنْثَرُ(٥) فِيهِ نَبْلٌ ، وَلَا يُمَرُّ فِيهِ بِلَحْمٍ نِيءٍ ، وَلَا يُضْرَبُ فِيهِ(٦) حَدٌّ ، وَلَا يُقْتَصُّ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَا يُتَّخَذُ سُوقاً(٧) . رواه ابن ماجه ، وروى منه الطبرانى فى الكبير : وَلَا تَتَّخِذُوا المَسَاجِدَ طُرُقاً إِلَّا لِذِكْرٍ ، أَوْ صَلَاةٍ . وإسناد الطبرانى لا بأس به .

[قوله ولا ينبض فيه بقوس] يقال: أنبض القوس بالضاد المعجمة إذا حرّك وترها لترنّ

[نىء] : بكسر النون ، وهمزة بعد الياء ممدودا : هو الذى لم يطبخ ، وقيل لم ينضج .

٢٢ ــ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَبُو بَدْرٍ أَرَاهُ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ الحَصَاةَ تُنَاشِدُ(٨) الَّذِى يُخْرِجُهَا مِنَ المَسْجِدِ . رواه أبو داود بإسناد جيد ، وقد سئل الدارقطنى عن هذا الحديث فذكر أنه روى موقوفا على أبى هريرة ، وقال : رفعه وهم من أبى بدر ، والله أعلم .

٢٣ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ ، يَعْنِى ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : سَيَكُونُ فى آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ(٩) فى مَسَاجِدِهِمْ ، لَيْسَ لِلهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ . رواه ابن حبان فى صحيحه .

---

(١) لايصح أن توجد . (٢) لا يكون المسجد ممرا أو ممشى .

(٣) لايخرج السيف من غمده المبارزة والقتال . (٤) فى نسخة : ولا ينبض فيه قوس .

(٥) فى نسخة : ولا ينشر . والنبل : السهام العربية : يعنى أن المساجد لايتراشق فيها بالسهام ، ولا يرمى فيها بالحجارة . (٦) يعنى أن المساجد ليست أمكنة للإمام يجلد فيها ، أو يعاقب ، أو يتخذها محكمة للقضاء ، ولا يكون فيها اقتصاص ، أو انتقام ، أو نزاع ، أو يسود فيها جدل وشقاق .

(٧) لاتكون أمكنة للتجارة ، والصناعة ، والمبادلة ، والبيع والشراء . واعلم أن المسجد المفروش بالحصر أو الرخام أو البلاط إذا أراد المصلى أن يبزق فليبزق فى طرف ردائه ، ويحكها إن أكره على البزق خشية استقذار المسجد إن بزق فيه ، وكثرة الذباب الذى يجتمع على البزاق فيشوش على من فى المسجد ، ويتغذى بها الخشاش ، وتتسمم ملائكة الرحمة من رائحة القذارة . هذا إلى خشية أن يخرج مع البصاق شىء من الدم ، وهو نجس أو غيره من قيح ، وصديد ممن به مرض ، والمسجد من رعية الإمام فيحتاج أن يتفقده ، فما كان فيه على منهاج السلف الصالح الماضين أبقاه ، وما كان من غير ذلك أزاله برفق وتلطف إن قدر على ذلك ، كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم .

(٨) تطالب ، يقال ناشدتك الله وبالله أى سألتك وأقسمت عليك . وكل شىء مضر مؤذ يدعو المصلى أن يخرجه .

(٩) فى مشاغل الدنيا ، ومتاعبها ، وكدها ، ويتسلط عليهم الشيطان بالغيبة ، والنميمة ، والقيل والقال ، وأنهم هجروا العبادة ، ونسوا الله فنسيهم : ولم يعطهم الله ثواب الانتظار فى المسجد .

الترغيب فى المشى إلى المساجد سيما فى الظلم وما جاء فى فضلها

١ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: صَلَاةُ الرَّجُلِ فِى الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ[١] عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِى سُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ[٢] لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ[٣] عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي[٤] عَلَيْهِ مَا دَامَ فِى مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ[٥] الصَّلَاةَ، وَفِى رِوَايَةٍ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ[٦] فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ[٧]. رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه باختصار. ومالك فى الموطأ، ولفظه:

مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ[٨]، ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ فِى صَلَاةٍ مَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ بِإِحْدَى خَطْوَتَيْهِ حَسَنَةٌ، وَيُمْحَى عَنْهُ بِالْأُخْرَى سَيِّئَةٌ، فَإِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمُ الْإِقَامَةَ فَلَا يَسْعَ[٩]، فَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ أَجْرًا أَبْعَدُكُمْ دَارًا. قَالُوا لِمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: مِنْ أَجْلِ كَثْرَةِ الْخُطَا.

٢ – ورواه ابن حبان فى صحيحه، ولفظه: أن النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال: مِنْ حِينِ يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى مَسْجِدِي فَرِجْلٌ تَكْتُبُ لَهُ حَسَنَةً، وَرِجْلٌ تَحُطُّ عَنْهُ سَيِّئَةً حَتَّى يَرْجِعَ[١٠]، ورواه النسائى والحاكم بنحو ابن حبان، وليس عندهما حتى يرجع، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وتقدم فى الباب قبله حديث أبى هريرة قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فِى بَيْتِهِ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ كَانَ فِى صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الحديث.

٣ – وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: إِذَا تَطَهَّرَ[١١]

---

(١) تزيد، وتنمو. (٢) فى نسخة: إلى المسجد. (٣) محى. (٤) تدعوا له.
(٥) مدة انتظاره الصلاة: أى ذهب للعبادة. (٦) مدة عدم ارتكاب المحارم، وإضرار الناس.
(٧) مدة عدم انتقاض وضوئه. (٨) فى نسخة: وضوءه، أى أتمه. (٩) فلا يمد رجليه، ويسرع ويخصف الأرض نهبا. بل يتأنى فى خطاه لتكثر حسناته، ولا ناهية ينهى عن عجلة السير.
(١٠) أى عند عزم الإنسان إلى الذهاب إلى المسجد يحسب الله له خطواته، فحركة الرجل اليمنى حسنة، واليسرى حتى يثوب إلى منزله. (١١) حاز شروط الطهارة للصلاة من استنجاء ووضوء.

الرَّجُلُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ يَرْعَى الصَّلَاةَ كَتَبَ لَهُ كَاتِبَاهُ أَوْ كَاتِبُهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَالْقَاعِدُ يَرْعَى الصَّلَاةَ كَالْقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ. رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني فى الكبير والأوسط وبعض طرقه صحيح، وابن خزيمة فى صحيحه، ورواه ابن حبان فى صحيحه مفرقا فى موضعين.

[القنوت] يطلق بإزاء معان منها: السكوت، والدعاء، والطاعة، والتواضع، وإدامة الحج، وإدامة الغزو، والقيام فى الصلاة، وهو المراد فى هذا الحديث، والله أعلم.

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ فَخَطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخَطْوَةٌ تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةً ذَاهِبًا وَرَاجِعاً. رواه أحمد بإسناد حسن والطبرانى وابن حبان فى صحيحه.

٥ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: عَلَى كُلِّ مِيسَمٍ (١) مِنَ الْإِنْسَانِ صَلَاةٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: هٰذَا مِنْ أَشَدِّ مَا أُوتِينَا (٢) بِهِ. قَالَ: أَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَلَاةٌ، وَحِمْلُكَ عَلَى (٣) الضَّعِيفِ صَلَاةٌ، وَإِنْحَاؤُكَ الْقَذَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَلَاةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَلَاةٌ (٤). رواه ابن خزيمة فى صحيحه.

٦ — وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ (٥) الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ (٦) فَصَلَّاهَا مَعَ الْإِمَامِ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ. رواه ابن خزيمة أيضاً

٧ — وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَضَرَ رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ الْمَوْتُ

(١) جمال عضو. ووسيم حسن الوجه، وفى صفته صلى الله عليه وسلم: وسيم قسيم. الوسامة: الحسن الوضىء الثابت. المعنى أن كل عضو موسوم بصنع الله عز وجل يصلى صاحبه صلاة نافلة زكاة له، وشكراً للخالق جل وعلا، وتحدثا بنعمه كما قال صلى الله عليه وسلم: «كل سلامى من الناس صدقة».

(٢) فى نسخة: ابتلينا. (٣) فى نسخة: عن ص ١١٠ ع.

(٤) تلك خصال ستة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفعال الخير، الجالبة الأجر، المضاعفة الثواب. فنضارة أعضائك، وحسن خلقك، ورواء منظرك يحتاج الى طاعة الله، ودعاء، وصلاة، وعبادة وذكر، وسلوك منهج النصيحة عبادة، وإنذار الفساق، ونهيهم طاعة. كما أن استعمال الرأفة، والتخلق بالأخلاق الكاملة، وإزالة أذى عن الطريق من شوك، أو حجر، كذا خطوات الصلاة جلبة الثواب.

(٥) أتم وأكمل. (٦) فريضة الصبح، أو الظهر، أو العصر، أو المغرب، أو العشاء.

فَقَالَ : إِنِّى مُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً مَا أُحَدِّثُكُمُوهُ إِلَّا احْتِسَاباً: إِنِّى سمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وَسلم يَقُولُ : إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمَهُ الْيُمْنَى إِلَّا كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ حَسَنَةً، وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ الْيُسْرَى إِلَّا حَطَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَيِّئَةً ، فَلْيَقْرُبْ أَحَدُكُمْ أَوْ لِيَبْعُدْ ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى فى جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا بَعْضاً وَبَقِيَ بَعْضٌ صَلَّى مَا أَدْرَكَ وَأَتَمَّ مَا بَقِيَ كَانَ كَذَلِكَ[1] فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ كَانَ كَذَلِكَ . رواه أبو داود

٨ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ : قَالَ لِي[2] يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِى[3] فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ ، وَنَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَةِ[4] ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ[5]، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ،وَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ،وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . الحديث رواه الترمذى ، وقال حديث حسن غريب ، ويأتى بتمامه إن شاء الله تعالى .

٩ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ فَيُسْبِغُهُ[6]، ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ[7] إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

١٠ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ[8] حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَالَ لَهُمْ: بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ: قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ،

---

(١) فى نسخة : كان ذلك . (٢) فى نسخة : بحذف قال لى . (٣) أتعلم فى أى شىء يتنافس الملائكة المقربون؟ فى كتابة ثواب الله ، ومن يسبق ؟ . (٤) فى نسخة : الجماعات .

(٥) جمع سبرة : شدة البرد .

(٦) يتمه . (٧) فى نسخة فيه إلا تبشبش . البش فرح الصديق بالصديق ، واللطف فى المسألة ، والإقبال عليه. وقد بششت به ــ أبش . والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يتلقى قاصد المسجد للصلاة ببره ، وتقريبه وإكرامه، ويتجلى عليه بالقبول والرضوان، لأنه أوى إلى بيته، وأراد عبادته، وهو جل وعلا الكريم الوهاب. وهذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم ليبين الفرح العظيم المحسوس الظاهر من أهل الغائب عند تشريفه، ورؤية طلعته . فإكرام الله أجل وأبهى للمصلى . (٨) جمع بقعة : الأرض الفضاء ، والبقيع : موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، وبه سمى بقيع الغرقد ، وهى مقبرة بالمدينة .

فَقَالَ يَا بَنِى سَلِمٍ[(١)] دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ[(٢)] دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، فَقَالُوا: مَا يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا . رواه مسلم وغيره

وَفِى رِوَايَةٍ: لَهُ بِمَعْنَاهُ، وَفِى آخِرِهِ: إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ[(٣)] دَرَجَةً .

١١ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَتِ الْأَنْصَارُ بَعِيدَةً مَنَازِلُهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادُوا أَنْ يَتَقَرَّبُوا[(٤)] فَنَزَلَتْ: وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ، فَثَبَتُوا . رواه ابن ماجه بإسناد جيد .

١٢ - وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْأَبْعَدُ[(٥)] فَالْأَبْعَدُ مِنَ الْمَسْجِدِ أَعْظَمُ أَجْراً . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم، وقال: حديث صحيح مدنىّ الإسناد .

١٣ - وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِى مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، وَنَحْنُ نُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَكَانَ يُقَارِبُ[(٦)] الْخُطَا، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ أُقَارِبُ الْخُطَا؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فى صَلَاةٍ مَا دَامَ فى طَلَبِ الصَّلَاةِ .

وَفى رِوَايَةٍ: إِنَّمَا فَعَلْتُ[(٧)] لِتَكْثُرَ خُطَاىَ فى طَلَبِ الصَّلَاةِ . رواه الطبرانى فى الكبير مرفوعا وموقوفا على زيد، وهو الصحيح .

١٤ - وَعَنْ أَبِى مُوسَى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْراً فى الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى[(٨)] فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِى يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِى يُصَلِّيهَا[(٩)] ثُمَّ يَنَامُ . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

١٥ - وَعَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا أَعْلَمُ

---

(١) فى نسخة: يابنى سلمة ١١٢ع. (٢) المعنى الزموا دياركم البعيدة، واسكنوا فيها فإن المشى الكثير يزيد فى الحسنات، ويخلد الآثار الصالحة . (٣) الخطوة بالضم: بعد مابين القدمين فى المشى، وبالفتح المرة، وجمع الكثرة خطا، والقلة خطوات، ومنه الحديث «وكثرة الخطا إلى المساجد» و (خطوات الشيطان).

(٤) فى نسخة «يقتربوا» . (٥) الأبعد ممشى .

(٦) يمشى بتؤدة، ويتأنى، ولا يفتح رجليه لتطول الخطوة .

(٧) فى نسخة: فعلت هذا . (٨) يأتى إلى الصلاة؟ ومشى كثيرا لبعد داره من المسجد .

(٩) وحده ويترك الجماعة ويصلى بسرعة وتشغله الدنيا فى صلاته ولا ينتظر الإمام .

أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ كَانَتْ لَا تُخْطِئُهُ(١) صَلَاةٌ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِى الظَّلْمَاءِ وَفِى الرَّمْضَاءِ ، فَقَالَ مَا يَسُرُّنِى أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ ، إِنِّى أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَاىَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ .

وَفِى رِوَايَةٍ : فَتَوَجَّعْتُ لَهُ ، فَقُلْتُ يَا فُلَانُ : لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ(٢) الرَّمْضَاءَ وَهَوَامَّ(٣) الْأَرْضِ ؟ قَالَ : أَمَا وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ(٤) بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم قَالَ : فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ(٥) نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَاهُ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَرْجُو أَجْرَ الْأَثَرِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : لَكَ مَا احْتَسَبْتَ . رواه مسلم وغيره ، ورواه ابن ماجه بنحو الثانية .

[الرمضاء] ممدوداً : هى الأرض الشديدة الحرارة من وقع الشمس .

١٦ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : كُلُّ سُلَامَي مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ : تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ

---

(١) فى نسخة : لاتخطيه ، لاتفوته . (٢) يدفع أذى الحر .

(٣) حشراتها . (٤) يعنى : ما أحب أن يكون بيتى إلى جانب بيته ، لأنى أحتسب عند الله كثرة خطاى من بيتى إلى المسجد . ومعنى مطنب : أى مشدود بالأطناب : والطنب بضمتين : حبل الخباء . يعنى ما أحب أن يكون بيتى إلى جانب بيته لأنى أحتسب عند الله كثرة خطاى من بيتى إلى المسجد . (٥) فى نسخة : أتيت به .

أشار إلى حديث الأنصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم ، وفدوه بأرواحهم وأموالهم . إن منازلهم بعيدة من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأرادوا أن يقتربوا منه ، فنزلت : (ونكتب ماقدموا وآثارهم) قال الله تعالى : (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم . إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين) ١٣ من سورة يس . إنك تخوف يا محمد من تأمل فى القرآن وعمل به ، وخاف عقاب ربه قبل حلوله ، ومعاينة أهواله ، وامتلأ قلبه إيمانا به فى سريرته ، ولم يغتر برحمة العزيز الرحمن ، المنتقم القهار ، والغفور الجبار ، والمحيي الأموات بالبعث ، والجهال بالهداية (ونكتب ماقدموا) أى ما أسلفوا من الأعمال الصالحة ، والطالحة (وآثارهم) الحسنة كعلم علموه ، وحبيس وقفوه ، والسيئة كإشاعة باطل ، وتأسيس ظلم ، وهكذا نحصى الأعمال جليلها ، وحقيرها فى اللوح المحفوظ . وقد رأيت فى حديث ١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى رويدا تحفه السكينة ، والوقار ليعلم الناس الأدب فى المشى ، والتؤدة فى السير ، وعدم الإجهاد ، والعدو ، شفقة على النفس ، ورأفة بها ، وجلب الخير لها بكثرة الخطوات والحسنات . وفى حديث ١٥ : رجل هرم : اشتعل رأسه شيبا ، وبلغ به الضعف مبلغه ، فقيل له اتخذ حمارا يخفف عنك مشقة الحر وتعب المشى وظلمة الليل فأبى رجاء ثواب الله فى غدواته وروحاته ، فبشره صلى الله عليه وسلم « قد جمع الله لك ذلك الخير كله » .

صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فى دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ . رواه البخارى ومسلم .

[السلامى] : بضم السين ، وتخفيف اللام ، والميم مقصور : هو واحد السلاميات وهى : مفاصل الأصابع . قال أبو عبيد: هو فى الأصل عظم يكون فى فرسن البعير ، فكان المعنى : على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة [تعدل بين الاثنين]:أى تصالح بينهما بالعدل.

[تميط الأذى عن الطريق] : أى تنحيه وتبعده عنها .

١٧ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[1] رواه مالك ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وَلَفْظُهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : كَفَّارَاتُ الْخَطَايَا : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ .

١٨ — ورواه ابن ماجه أيضاً من حديث أبى سعيد الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْه إلَّا أنَّه قالَ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، فَذَكَرَهُ .

١٩ — ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث جابر ، وعنده : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيُكَفِّرُ بِهِ الذُّنُوبَ ؟

٢٠ — وَعَنْ عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فى الْمَكَارِهِ ، وَإِعْمَالُ[2] الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ تَغْسِلُ[3] الْخَطَايَا غَسْلاً . رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح .

---

(١) فى الأصل الإقامة على جهاد العدو فى الحرب، وارتباط الخيل وإعدادها ، فشبه به ما ذكر من الأعمال الصالحة ، والعبادة : أى المواظبة على الطهارة، والصلاة ، والعبادة كالجهاد فى سبيل الله ، فعليك أخى بالعكوف فى المسجد فى أوقات فراغك ، واترك المقاهى ، وسمر اللهو .

(٢) نقل الأقدام وخطاها .

(٣) تزيل الذنوب .

٢١ ـ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وَسلم قالَ : مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فى الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ(١) . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

٢٢ - وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْغُدُوُّ(٢) وَالرَّوَاحُ إِلَى الْمَسْجِدِ مِنَ الْجِهَادِ فى سَبِيلِ اللهِ . رواه الطبرانى فى الكبير من طريق القاسم عن أبى أمامة .

٢٣ ـ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبىِّ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ: بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فى الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث غريب .

[قال الحافظ عبد العظيم] رحمه الله : ورجال إسناده ثقات ، ورواه ابن ماجه بلفظ من حديث أنس .

٢٤ ـ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ : إِنَّ اللهَ لَيُضِىءُ لِلَّذِينَ يَتَخَلَّلُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فى الظُّلَمِ بِنُورٍ سَاطِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

٢٥ - وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبىِّ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ : مَنْ مَشَى فى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ لَقِىَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن ، وابن حبان فى صحيحه .

ولفظهُ قالَ : مَنْ مَشَى فى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ آتاهُ اللهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٢٦ - وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وَسلم قالَ :

---

(١) غدا : ذهب ، أو راح : رجع .

(٢) الذهاب مبكراً، والمجىء فى غلس الليل للعشاء ، وللفجر : أى إن الذين يحافظون على صلاة العشاء، والفجر جماعة يضىء الله بصائرهم ، ويتمم نورهم ، ويزيد إيمانهم فتنجلى عنهم غياهب الأهوال ، وتبعد عنهم الشدائد ، ويأمنون العذاب ، ويهتدون إلى نعيم الجنة . يقال: إن جباههم تضىء كالقمر ليلة البدر يوم القيامة والله أعلم ، وسمعت أبى رحمه الله يحدث : أن الرجل الصالح هو الذى يحافظ على صلاتى العشاء والفجر جماعة فى المسجد ويقول: إذا رأيته زاد عن أربعين يوما محافظا فصاحبه ، واتخذه لك أنيسا وجليساً ، ووالله لا أعرف الرجل صالحاً إلا من ملازمته لهذين الوقتين اهـ .

بَشِّرِ الْمُدْلِجِينَ[(١)] إِلَى الْمَسَاجِدِ فى الظُّلَمِ بِمَنَابِرَ مِنَ النُّورِ[(٢)] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلاَ يَفْزَعُونَ[(٣)] . رواه الطبرانى فى الكبير ، وفى إسناده نظر .

٢٧ – وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَيَبْشُرُ الْمَشَّاءُونَ[(٤)] فى الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ، واللفظ له ، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين كذا قال.

[قال الحافظ] وقد روى هذا الحديث ، عن ابن عباس ، وابن عمر ، وأبى سعيد الخدرىّ وزيد بن حارثة ، وعائشة وغيرهم .

٢٨ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْمَشَّاءُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فى الظُّلَمِ أُولَئِكَ الْخَوَّاضُونَ[(٥)] فى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى رواه ابن ماجه ، وفى إسناده إسمعيل بن رافع تكلم فيه الناس ، وقال الترمذى ضعفه بعض أهل العلم ، وسمعت محمداً ، يعنى البخاري يقول : هو ثقة مقارب الحديث .

٢٩ – وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ[(٦)] ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ[(٧)] ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى[(٨)] لاَ يَنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ ، وَصَلاَةٌ عَلَى إِثْرِ صَلاَةٍ

---

(١) الذين يسيرون إلى المساجد فى ظلمة العشاء والفجر والسحر للتهجد ، من أدلج : إذا سار بالليل ، وأنشدوا لعلى رضى الله عنه :

اصبر على السير والإدلاج فى السحر ... وفى الرواح على الحاجات والبكر

فجعل الإدلاج فى السحر . (٢) فى نسخة : من نور . (٣) يخاف الناس يوم القيامة من شدة الحساب ، وهوله ، وشدائده . ولكن الصالحين يظلهم الله بظل رحمته ونوره ، كما قال تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر) يقال : هذا اليوم يطول على الكفار ، ويتوسط على الفساق ، ويخف على الطائعين . نسأل الله السلامة .

(٤) فى نسخة : الماشون ، واللام فى (ليبشر) للقسم ، فليفرح أى والله لتحصل بشارة لمن يمشى فى الليل الحالك لصلاة الجماعة فى المسجد ، والبشرى من الله رحمة ورضوان ، وسعادة ، ونعيم ، وثواب ، واطمئنان من العذاب . فى ع بكسر اللام ليبشر . (٥) الخوض : المشى فى الماء ، واستعمل فى التلبس ، ونيل رحمة الله ، وإغداق نعمه بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يشمله برضاه ، فيخطو فى جناته ، ويمشى فى نعيمه .

(٦) أى فريضة . (٧) كناية عن ثواب كامل .

(٨) صلاة ركعتين للضحى يعطيه الله ثواب من فعل عمرة بمعنى أنه يكفر ذنوب سنة . أما ثواب الحج التام فكما قال صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

لَاَ لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِى عِلِّيِّينَ(١) رواه أبو داود من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة . تسبيح الضحى يريد صلاة الضحى ، وكل صلاة يتطوع بها فهى تسبيح وسبحة .

[قوله لاينصبه] : أى لايتعبه ، ولابن محجة : إلا ذلك .

[والنصب] بفتح النون والصاد المهملة جميعاً : هو التعب .

٣٠ – وَعَنْهُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ثَلاَثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ(٢) عَلَى اللهِ ، إِنْ عَاشَ رُزِقَ وَكُفِىَ ، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ : مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَسَلَّمَ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ ، وَمَنْ خَرَجَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ . رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه ، ويأتى أحاديث من هذا النوع فى الجهاد وغيره إن شاء الله تعالى .

٣١ – وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَي الْمَسْجِدَ فَهُوَ زَائِرُ(٣) اللهِ ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ(٤) أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ ، رواه الطبرانى فى الكبير بإسنادين : أحدهما جيد ، وروى البيهقي نحوه موقوفا على أصحاب رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح .

---

(١) يعنى أن ثواب انتظار الصلاة الجديدة بعد تأدية السابقة يحفظ فى كتاب جامع لأعمال الأبرار تشهد الملائكة على مافيه يوم القيامة ، وفى ذلك يقول الله تعالى : (إن كتاب الأبرار لفى عليين وما أدراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون) أى يحضرونه فيحفظونه . (إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عيناً يشرب بها المقربون) ٢٩ سورة المطففين . أى على الأسرة فى الحجال يرون مايسرهم من نعم المحسن جل وعلا ، وفى وجوههم علامة التنعم وبريقه ، ويروون من شراب خالص مختوم أوانيه بالمسك ، فليرتقب المرتقبون هذا النعيم وهذا جزاء من لم يشتغلوا بغير الله .

(٢) الله كفيل بحفظهم ، وقادر على زيادة أجرهم ، يبسط لهم الرزق ، ويسلمهم من غوائل الشر ؛ ويقيهم السوء . أولا : القادم إذا سلم على أهله . ثانياً : قاصد المسجد للصلاة . ثالثاً : المجاهد المحارب لنصر دين الله تعالى . أولئك ثلاثة يلحظهم الله بعنايته ، فعليك يا أخى أن تؤانس أهل بيتك وتبدأهم بتحية المسلمين « السلام عليكم ورحمة الله » ، وتعلمهم آداب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن تحافظ على جماعة المسجد فى أول الوقت ؛ وأن تجاهد فى إعلاء كلمة الله العليا ، والآن جهادك أن تتق الله ومحارمه ، وتترك الأشرار وتنصحهم أن يعملوا صالحا ، وتلازم السنة .

(٣) ضيفه ، وطالب ثوابه . إنه من أسماء الله تعالى الكريم : أى الجواد المعطى الذى لاينفد عطاؤه ، وهو الكريم المطلق . والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل . (٤) الذى قصد ثوابه ، بالتقرب إليه.

٣٢ - وَرُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هٰذَا ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا ، وَلَا بَطَرًا ، وَلَا رِيَاءً ، وَلَا سُمْعَةً ، وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ(١) سَخَطِكَ ، وَابْتِغَاءَ(٢) مَرْضَاتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي(٣) مِنَ النَّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ أَقْبَلَ(٤) اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ . رواه ابن ماجه .

[قال المملى] رضى الله عنه : ويأتى باب فيما يقوله إذا خرج إلى المسجد إن شاء الله تعالى.

[قال الهروى] : إذا قيل فعل فلان ذلك أشراً و بطراً ، فالمعنى : أنه لجّ فى البطر .

[وقال الجوهرى] : الأشر والبطر بمعنى واحد .

٣٣ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ تَعَالَى مَسَاجِدُهَا(٥) ، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا(٦) . رواه مسلم .

٣٤ – وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ

---

(١) اجتناب غضبك . (٢) طلب . (٣) تجيرنى .

(٤) فتح الله له أبواب رحماته وبركاته يطلبون له المغفرة والعفو . (٥) لأنها مصدر الذكر والخير .

(٦) لما فيها من المنكرات ، والفسوق ، والكذب ، وأهلها يغفلون عن حقوق الله ، وفيها الشقاق والبغضاء ، والجلبة ، والمؤمن يذهب ، ويتق الله فيها ما استطاع ، ولا يفوته حق من حقوق مولاه ، ويدع الفجور ، والختال ، والغش ؛ واللغو ، ولا ينسى ذكر الله بقلبه ولسانه ، فالمراد بمحبة الله وبغضه ما يتعلقان بما يقع فيهما ، فعليك يا أخى بملازمة بيوت الطاعة ، وأساس التقوى ، ومحل نزلات رحمة مولاك ، وحذار من مواطن الغفلة . والشره على جمع المال ، والحرص على كسب الحرام ، والغش ، والطمع ، والخيانة ؛ والأيمان الكاذبة ، والأعراض الفانية عسى أن تدرك فوز الله فى قوله :

ا — أولا : (وكذلك ننجي المؤمنين) وفى قوله :

ب — (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وفى قوله :

ج — ثانياً : (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) وفى قوله : ينادى المؤمنين الذين صدقوا بالله وبرسله ، وأيقنوا بصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبأن دينه قويم ، وشرعه حكيم ، واتباعه سعادة ، والعمل بقونه سيادة ، ومناعة ، وحصانة ، ونور .

د — (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) يؤتكم الله جل جلاله نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم والاقتداء بأفعاله ، ومنها المحافظة على أداء الوقت فى المسجد . هذا إلى إيمانكم بمن قبله ، وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره ، إن شاهدنا فى الآية (يجعل لكم نوراً تمشون به) ، ويؤيد هذا شاهد الأحاديث .

الْبُلْدَانِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ، وَأَيُّ الْبُلْدَانِ أَبْغَضُ إِلَي اللهِ ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِى حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ : أَنَّ أَحْسَنَ[1] الْبِقَاعِ إِلَي اللهِ الْمَسَاجِدُ ، وَأَبْغَضَ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ الأَسْوَاقُ. رواه أحمد والبزار واللفظ له ، وأبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

٣٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم : أَىُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ ، وَأَىُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ ؟ قَالَ : لاَأَدْرِى[2] حَتَّي أَسْأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَسَأَلَ جِبْرِيلَ ، فَقَالَ: لاَ أَدْرِى حَتَّى أَسْأَلَ مِيكَائِيلَ فَجَاءَ[3] فَقَالَ: خَيْرُ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرُّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ . رواه الطبراني فى الكبير ، وابن حبان فى صحيحه .

٣٦ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِجِبْرِيلَ : أَىُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِى . قَالَ : فَاسْأَلْ عَنْ ذٰلِكَ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : فَبَكَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَقَالَ يَامُحَمَّدُ : وَلَنَا أَنْ نَسْأَلَهُ ، هُوَ الَّذِى يُخْبِرُنَا بِمَا يَشَاءُ فَعَرَجَ إِلَي السَّمَاءِ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : خَيْرُ الْبِقَاعِ بُيُوتُ اللهِ فِى الْأَرْضِ . قَالَ فَأَىُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ[4] ؟ فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : شَرُّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

الترغيب فى لزوم المساجد والجلوس فيها

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى نسخة : أحب .

(٢) لاأعلم . سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل فيقول «لاأدرى» حتى يتلقى الحكمة من الحكيم والجواب من العليم ، والعلم أمانة ، والله رقيب وحسيب ؛ فهل لأدعياء العلم أن يجيبوا إذا علموا فقط ، وأن يفوضوا العلم لله إذا جهلوا . إن مصيبة بعض المسلمين الآن الثرثرة ، والفتوى بلا علم ، والقول مع الجهالة . يظن البعض أنه أحسن ، وأجاد ، وتفقه ، وساد ، وحينئذ يتهجم على مسائل الدين ، ويتشدق بكلام خير المرسلين ، وهو غير عالم ، وهو غر جاهل ؛ فيقع فى شركه سليم النية ، حسن الطوية .

(٣) فى نسخة : فجاءه جبريل رئيس الملائكة ، ولا يعلم هذا الجواب ، فيسأل ميكائيل ، هذا هو العلم الصراح ، والماء العذب القراح ؛ والدرس المفيد لأهل العلم ، فهل آن لطالب العلم أن يستفيض ويستزيد ويدعو كما قال الله تعالى لنبيه (وقل رب زدنى علما) .

(٤) شر فعرج ١١٦ ع . فى نسخة : شر قال فعرج .

يقولُ : سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فى ظِلِّهِ(١) يومَ لاظِلَّ إلاظِلُّهُ : الإمامُ العادِلُ(٢) ، والشَّابُّ(٣) نَشأ فى عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ورَجلٌ قَلبُهُ مُعلَّقٌ بالمَساجِدِ(٤) ، ورَجُلانِ تَحابَّا(٥) فى اللهِ اجْتمعَا على ذلكَ ، وتَفرَّقَا عليهِ ، ورَجُلٌ دعتهُ(٦) امْرأةٌ ذاتُ مَنصبٍ وجمالٍ ، فقالَ إنِّى أخافُ اللهَ ، ورَجُلٌ(٧) تصدَّقَ بِصدقةٍ فأخفاهَا حتَّى لاتعلمَ شِمالُهُ مَا تُنفِقُ يمينُهُ ،

---

(١) كنفه ورحمته وحياطته . يوم القيامة تدنو الشمس من الخلائق ، وينالون أشد الأهوال ، ولكن هؤلاء السبعة تشرق عليهم شمس السعادة والنعيم ، ويشعرون بالحفاوة ، وإكرام الجليل . لماذا ؟ ؛ لأن عقيدتهم صفت لله ، وأخلصت نفوسهم وزكت ، وعرفوا فى حياتهم كيف يرضون الرب جل وعلا ؟ ويراقبونه فى السر والعلانية ويدعونه رغبا ورهبا ، وكانوا له خاشعين . (٢) الذى يتولى أمور المسلمين ، ويرعى مصالحهم ، وينظر فيما يرقيهم ، ويرفع شأنهم . فيسير على منهج الحق والعدل ، وينتصف للمظلوم من الظالم ، ويقيم أوامر الله ، ويدعو الناس إلى العمل بكتاب الله ، ولم يخش ضعيف من جوره ، ولم يطمع قوى فى جاهه وسلطانه ، والحزم ديدنه ؛ والحق مطلبه . من تقرب إليه نصحه ، ومن تباعد عنه وصله ، وهكذا يكون سباقا إلى الخير معوانا على البر ، ويدخل فيه كل من ولى شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه : الملك . الوزير . المدير . المأمور العمدة . كل رئيس عمل . إمام حتى رب البيت .

(٣) فى نسخة : شاب . الشباب : الحداثة : أى فتى حديث السن امتلأ قوة ونشاطا ، وترعرع على تقوى الله ولازم عبادة مولاه من صغره ، وأينع ثمره فى طاعة الله ، وخشى ربه ، وراقبه فى سره وجهره ، لم يرتكب صغيرة أو كبيرة ، ولم يعش فى دناءة ، ولم يخط إلى جهالة ، ولم تغلبه شهوته ، ولم تخضعه لطاعتها ، ودافع الهوى والطيش . إنسان كله الله وجله ووقفه ، وعلى الكتاب والسنة أنشأه وأمده ؟ وقربك منه عبادة ، وجلوسك معه خير مجتنى ، وعلم مقتنى ، وهو لك ناصح أمين ، وقدوة حسنة .

أخى : ابحث عن هذا وعاشره ، واغبطه بما نال . فاللهم غبطاً لاهبطا : أى نسألك الغبطة ، ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا .

(٤) محافظ على الصلاة فى أوقاتها فى المسجد ، ويكثر من الاعتكاف فيها ، والتضرع إليه جل وعلا مع إصلاحها وتنظيفها وتعميرها والذب عنها . ويكثر من التردد إلى بيوت الله لأنها مجتمع المسلمين ، ومناط وحدتهم والتئام كلمتهم . (٥) رجلان تمكنت بينهما أواصر المحبة الصادقة ، والصداقة المتينة الخالصة لله من شوائب النفاق وابتغاء النفع ، لايؤثر فيها غنى ، ولا فقر ولا تزيدها الأيام إلا وثوقا وإحكاما ، سرهما فى طاعة الله وجهرهما فى مرضاته ولا يتناجيان فى معصية ولا يسران منكرا ولا تسعى أقدامهما إلى فسق أو فجور تجمعهما رابطة الدين وحبه ، وتفرقهما الغيرة على الدين والدفاع عن آدابه والذياد عن حرمته . لالعرض زائل أو متاع من الدنيا قليل . (٦) طلبته سيدة حازت الجمال الرائع ومن أسرة عريقة فى المجد صاحبة حسب وجاه قوى وسلطان نافذ الكلمة ومال جم لتغرى ذوى النفوس المريضة والإيمان الضعيف ولكن هذا خاف الله وحده ، وضرب بحسنها ومالها عرض الحائط وصدها عن غيها لله وزجرها عما تطلبه منه لله ، وذكرها بقوة الله وشدة بطشه ولا يقوى على عصيان الله ولا يطيق عذابه فى الآخرة ، فأزال غرورها بنصبها الفانى الضعيف ، وحسنها البالى الفتان حياء من الله تعالى .

(٧) متصدق ينفق فى مشروعات الخير لله . يجتنب المراءاة ، ويترك الزلفى والمخادعة ؛ ولا يحب ثناء الناس ولا يبتغى جزاء ولا شكورا ويكاد لإخفائه الصدقة ألا تعلم شماله ماتنفق يمينه . كناية عن طلب السر فى صرفها .

وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا[١] فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

٢ – وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ[٢] الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ[٣] . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . رواه الترمذي واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم ، كلهم من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

٣ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا تَوَطَّنَ[٤] رَجُلٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ ، وَالذِّكْرِ إِلَّا تَبَشْبَشَ[٥] اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ[٦] أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ . رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين .

وفي رواية لابن خزيمة قال : مَا مِنْ رَجُلٍ كَانَ تَوَطَّنَ الْمَسَاجِدَ فَشَغَلَهُ أَمْرٌ أَوْ عِلَّةٌ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ إِلَّا يَتَبَشْبَشُ[٧] اللهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ .

٤ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : سِتُّ مَجَالِسَ : الْمُؤْمِنُ ضَامِنٌ[٨] عَلَى اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ فِي شَيْءٍ[٩] مِنْهَا : فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ[١٠]

---

(١) مفردا في مكان ليس معه أحد فذكر عظمة ربه ، وقوة سلطانه ورحمته على عباده ، وجزيل إحسانه وتذكر أعماله لمولى هذه النعم ، فبكى واغرورقت عيناه بالدموع خوفا من الله ، وفاضتا طمعا في ثواب الله وغفرانه ورهبته من سؤاله وأليم عقابه وتأمل أخي في (خاليا) ذكر الله بلا رياء ولم يفعل ذلك أمام الناس ليقولوا إنه ولي صالح ، ويلهجوا بمدحه . لا . خلا إلى نفسه وربه وحدث نفسه عن تقصيره . وكله أمام واجبات الخالق الوهاب المنتقم الجبار ، فتألم من خلو صحائفه من الصالحات وأن وتألم وتحسر وما كان هذا خديعة على ملأ من الناس ومشهدهم مما يدل على صدق تأثره بتقصيره وعمق رهبته وخوف الله جل وعلا .

(٢) يغدو ويروح بمعنى أنه يواظب على أداء الفرائض مع الإمام دائما .

(٣) بحسن العقيدة في الله ورسله وأنه مصدق بوجود الله وملائكته وكتبه ورسله وأنه يعمل صالحا لله .

(٤) توطين النفس على الشيء كالتمهيد . ووطنها واستوطنها : اتخذها وطنا ، والمعنى والله أعلم : ما ألف الذهاب إلى المساجد ، واعتاد ذلك ومال إليها بقصد العبادة والتسبيح ، والتحميد ، والتكبير والصلاة وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن إيطان المساجد : أي اتخاذها وطنا . (٥) تلقاه الله بالرضا والرحمة .

(٦) يفرح وينشرح . (٧) في نسخة : تبشبش . (٨) الله تعالى متكفل بحفظه ورعايته مدة وجود شيء من هذه الستة ومعنى ضامن مضمون على الله أن يدخله الجنة وينجيه .

(٩) أي مدة كونه في شيء منها ، أي متلبساً به . (١٠) أي مدة كونه متلبسا بلبثه في المسجد للصلاة

وَعِنْدَ مَرِيضٍ(١) ، أَوْ فِي جَنَازَةٍ(٢) ، أَوْ فِي بَيْتِهِ(٣) ، أَوْ عِنْدَ إِمَامٍ مُقْسِطٍ(٤) يُعَزِّرُهُ(٥) وَيُوَقِّرُهُ(٦) ، أَوْ فِي مَشْهَدِ جِهَادٍ(٧) رواه الطبرانى فى الكبير والبزار، وليس إسناده بذاك، لكن روى من حديث معاذ بإسناد صحيح ، ويأتى فى الجهاد وغيره إن شاء الله تعالى

٥ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ عُمَّارَ(٨) بُيُوتِ اللهِ هُمْ أَهْلُ اللهِ(٩) عَزَّ وَجَلَّ . رواه الطبرانى فى الأوسط.

٦ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَلِفَ(١٠) الْمَسْجِدَ أَلِفَهُ اللهُ . رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه ابن لهيعة .

٧ — وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ(١١) الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ(١٢) فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ(١٣) ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ . رواه أحمد من رواية العلاء بن زياد عن معاذ ولم يسمع منه .

جماعة أو لنحو اعتكاف أو تلاوة قرآن أو يذكر الله سرا . وعبارة المناوى أنه ضامن على الله أن ينجيه من أهوال يوم القيامة اهـ .

(١) لعيادته أو خدمته ، والقيام بمصالحه رأفة به لله تعالى .

(٢) المراد هنا المشى فى تشييع الجنازة ، والذهاب معها حتى تدفن . (٣) بأن ينعزل عن الناس ويمكث فى بيته سواء كان جالساً ، أو قائما ، أو نائما ناويا بذلك دفع شره عنهم كما هو شأن الموفق الزاهد المتوكل على الله . (٤) عادل يحكم بالحق — أما القاسط فهو الجائر . (٥) يقويه على مصالح الناس ، ويأمره بما ينفعه ويرشده إلى الخير ، وإزالة المظالم ، وتشييد الصالحات . (٦) يعظمه لله ، ويحترمه لحسن سيرته ، وسلوكه منهج الشرع تشجيعاً له على الزيادة فى أعمال البر . (٧) مدة كونه فى مشاهدة الجهاد لنصر دين الله يحارب ، ويجالد ، ويدافع عن وطنه . (٨) المداومون على وجودهم فى المساجد يذكرون ويعبدون الله .

(٩) المنتسبون إليه الذين يرعاهم ويحبهم . (١٠) أحب .

(١١) مفترسه وعدوه يتهز فرصة ضعف إيمانه ، ويهجم عليه ، فيسلب إخلاصه ، ويؤذيه من تفكره فى العبادة إلى وساوس ، وأعمال الدنيا ليحبط ثوابه ، ووضح ذلك صلى الله عليه وسلم بتشبيهه بذئب الغنم . ذلك الحيوان الوحشى الذى يخطف الشاة فيبقر بطنها ، وينشب أظفاره فى عنقها إن غفل عنها راعيها . أو تباعدت عنه ، ومعنى القاصية : النائية التى شذت عن أخواتها ، فسلكت مسلكا بعيدا .

(١٢) المائلة إلى جهة ، والقاصدة مرعى منفردة ، من نحا نحوه : قصد قصده .

(١٣) إياكم : اسم فعل بمعنى احذروا ، والشعبة بالضم مابين القرنين ، والغصنين ، والطائفة من الشىء ، وطرف الغصن ، والمسيل فى الرمل ، وصدع فى الجبل يأوى إليه المطر ، والجمع شعب وشعاب . يرجو النبى صلى الله عليه وسلم أن يتحد المسلمون ، ويتعاونوا ، ويتضافروا ، ولا يشذ إنسان على الاتفاق ، ولا يتنحى عن رأى الجماعة المصفى ، وكل يستشير ويشاور ، ويختار الأحسن والأصلح ، وعليكم اسم فعل بمعنى : الزموا

٨ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا(١) المَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ، إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُوهُمْ(٢)، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ(٣)، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ، ثُمَّ قَالَ: جَلِيسُ المَسْجِدِ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَخٌ(٤) مُسْتَفَادٌ أَوْ كَلِمَةٌ حِكْمَةٍ(٥)، أَوْ رَحْمَةٌ مُنْتَظَرَةٌ(٦). رواه أحمد من رواية ابن لهيعة، ورواه الحاكم من حديث عبد الله بن سلام دون قوله: جليس المسجد إلى آخره، فإنه ليس في أصلي، وقال صحيح على شرطهما.

٩ ــ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ(٧)، وَتَكَفَّلَ(٨) اللهُ لِمَنْ كَانَ المَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ(٩)

مجالس الصالحين، ومشاورة الفضلاء، ونصائح الحكماء، وتجارب العقلاء، وأوامر المرشدين، واعملوا بقول الله تبارك وتعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وحبل الله: دين الإسلام، ونور كتابه، وسنة حبيبه، ولا تفرقوا عن الحق، ولا تميلوا إلى الهوى، وحافظوا أيها المسلمون على ما اجتمع عليه المؤمنون وأكثروا من الذهاب إلى المساجد.

(١) أي رواداً محافظين على الجلوس فيها، وفي المحيط: أوتاد الأرض: جبالها، ومن البلاد: رؤساؤها ومن الفم: أسنانه، والوتد مارز في الأرض أو الحائط من خشب اهـ. (٢) يسألوا عنهم، ويشعروا بفقدهم، ويروا ثغرة في عدم وجودهم. (٣) زاروهم ودعوا لهم بالشفاء والثواب.

(٤) صحبته فيها فائدة، وناصح أمين لله، ومستقيم، وذو مروءة لله، وثقة وثبت لله، وأخوة دائمة ومحبة باقية ينتظر منه العون، والمساعدة، والإخلاص لله. ما أحلى صحبة أخ لله عرفته من بيت الله. وقد قال الإمام علي كرم الله وجهه:

وكل مودة لله تصفو ... ولا يصفو على الفسق الإخاء

(٥) في نسخة: محكمة: أي تسمع في المسجد تفسير آية من كلام الله جل وعلا، أو حديث من قول خير البرية صلى الله عليه وسلم، أو حكمة، أو مثلا، أو رأى عاقل صالح مؤمن.

(٦) لاشك أن الذي في المسجد لعبادة الله يغمره الله برحمته، ويعده بإحسانه ونعيمه.

(٧) خائف من الله، وامتلأ قلبه خشية، وعمل صالحاً. (٨) ضمن.

(٩) أي الحياة الصحيحة المشوبة بالسعادة.

في النهاية حديث «تحابوا بذكر الله وروحه» أراد ما يحيا به الخلق ويهتدون، فيكون حياة لهم، وقيل: أراد أمر النبوة، وقيل: هو القرآن اهـ ص ١٠٨. والمعنى: تعهد الله بثلاثة لمن اتخذ المسجد منزلا وعكف على عبادة ربه وأدى أوقاته الخالية من عمله فيها.

أولا: أن يفقهه في الدين ويسلمه، ويمن عليه بالقبول والرضوان، وأن يمر على الصراط فائزاً منصوراً والصراط: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار. أرق من الشعرة، وأحد من السيف، وأوله في الموقف، وآخره على باب الجنة، وطول مسيره ثلاثة آلاف سنة. ألف منها صعود، وألف منها هبوط، وألف منها استواء، والله أعلم. وقال سيدي محيي الدين العربي: هو سبع قناطر كل قنطرة ثلاثة آلاف عام يسأل عن الإيمان، ثم الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والطهر، والمظالم اهـ.

وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ إِلَى الْجَنَّةِ . رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط

والدليل من الكتاب قول الله تبارك وتعالى

(فأما إن كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) ٩٢ من سورة الواقعة . أى أن الذى حافظ على الذهاب إلى المسجد فى أوقات صلاته وتوفاه الله (روح) أى استراحة دائمة (وريحان) أى رزق طيب ، وقيل لأعرابى : إلى أين ؟ فقال : أطلب من ريحان الله : أى من رزقه ، وروى : « الولد من ريحان الله » وذلك كنحو ماقال الشاعر :

ياحبــذا ريح الولد ريح الخزامى فى البلد

الله الله . عباد الله . إن نبيكم صلى الله عليه وسلم يرشد الذين يودون النسل ، ولا يعيش لهم ولد أن يكثر من الاعتكاف فى المساجد يتضرع إلى الله ليعطيه الله « وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح » هذا إلى حياة مغمورة بالرغد والرزق الحسن الطيب .

انظر رعاك الله إلى الملوك السابقين ، والأغنياء الماضين : شادوا مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، فكان نصيبهم من الله عظيم الأجر كما قرئ فى الآية (فروح) بالضم ، وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم ، وبالحياة الدائمة ، وأعتقد أن الله رحمهم . لماذا ؟ لأنهم كانوا سبباً لرزق ملايين من الأنفس . كل مسجد فيه إمام ومؤذن وخدم يعتفون من فضل الله ، ومنشئ المسجد : وفقه الله تعالى لذلك . أما أغنياء المسلمين الآن فلا يبنون مساجد ، ولذا أموالهم تصرف فى المحارم ، وتنفق فى المكروهات . ويذهبون إلى بلاد الأفرنج ، ويضيعون أموالهم سدى ؛ وأمامهم كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يدعوان لتشييد الصالحات الباقيات فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفى حديث ٧ دعوة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأخذ بالرأى العام ، وجمع كلمة المسلمين لينجحوا فى الحياة . هل تقرأ تاريخ الصدر الأول لينبئك عن عزة الإسلام ، وكيف كان المؤمنون عليه ! أما الآن فنرى الاتحاد مفككا ، وقلوب المسلمين متنافرة خالية من التوكل على الله ، والاعتماد عليه ، وآذانهم معرضة عن كتاب الله ، ولذا تفرقت قوتهم ، وانحلت رابطتهم ، وأصبحوا أذلاء ، ونبيهم صلى الله عليه وسلم يقول لهم : « وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد » . يا أخى : المسجد لماذا ؟ ليقوى المحبة لله ، ويجدد الرابطة لله ، ويزيل الضغائن من القلوب لله ، وليجمع الكلمة لله ، وليوجد الألفة لله ، وحينئذ تشرق شمس السعادة ، والعزة على المسلمين العاملين بقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون) ٩ من سورة المنافقون (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى أيدنا أنصار الله وأصفياءه بالحجة والقوة فى الحرب ، فصاروا غالبين ، والحمد لله ، وهذه الآية مسوقة للحواريين أتباع سيدنا عيسى عليه السلام ، ولكن النصر عاقبته لكل مؤمن متحد .

قد يقول قائل : إن مساجد الله الآن كثيرة ، فماذا يصنع أغنياء المسلمين ؟ . أجيب بإنشاء مصانع يأوى إليها آلاف العاطلين من أبناء الأمة . ورب فقير كسوته وأطعمته ؛ لحمد الله فشكر الله للمؤسس هذا الصنيع وشكر الله رحمته وإحسانه أو إقامة ملاجئ لتربية اليتامى أو مصحات ومشاف لمداواة المرضى الفقراء . فكما يرغب صلى الله عليه وسلم فى تعمير المساجد يرهب صلى الله عليه وسلم ذلك الغنى الذى عاش لنفسه ؛ ولقضاء لذاته ولإدراك شهواته ولا يرعى حق جاره وبنى وطنه . والدنيا ظل زائل فيدركه الموت ولم يخلد له عملا باقيا هذا الذى إن عاش لايعتنى به وإن مات لم تحزن عليه أقاربه .

أيها الأغنياء المسلمون والله إن إيمانكم بالله وحده فى غير مكرمات تشيد لإيمان ناقص وسيحاسبكم الله حساباً عسيرا على هذه الأموال حتى تنفق فى المحرمات . أخرجوا الأموال من بطون الأرض أو من المصارف

والبزار ، وقال إسناده حسن ، وهو كما قال رحمه الله تعالى ، وفى الباب أحاديث غير ماذكرنا تأتى فى انتظار الصلاة إن شاء الله تعالى .

الترهيب من إتيان المسجد لمن أكل بصلا أو ثوما

أو كراثا أو فجلا ونحو ذلك مما له رائحة كريهة

١ — عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ ، يَعْنِي الثُّومَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا . رواه البخارى ومسلم ، وفى رواية لمسلم : فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا ، وفي رواية لهما : فَلَا يَأْتِيَنَّ الْمَسَاجِدَ ، وفى رواية لأبى داود : مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ الْمَسَاجِدَ .

٢ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبْنَا وَلَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا . رواه البخارى ومسلم ورواه الطبرانى ولفظه قال:

وأدوا زكاتها أولا ثم استثمروها فى المشروعات الحيوية ونحوها فى تجارة أو صناعة أو زراعة وكونوا سبب عمل لمواطنيكم فالله تعالى يأمركم باثنين ويطلب منكم شيئين وإلا فهو غضبان عليكم وأنتم آثمون .

قال الله تعالى : (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور . يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور . آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) ٨ من سورة الحديد .

الله أكبر . إله يسبح له مافى السموات وما فى الأرض وهو الموجد لها المتصرف فيهما ويأمر عباده الأغنياء بالإنفاق فى البر لأنه تعالى جعلهم خلفاء فى هذا المال يتصرفون فيه وهو وديعة وهو القادر على أخذه من يد أولئك الفسقة الفجرة الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ؛ ومن سبيل الله المساجد المساعدة على مشروعات العمل كمد سكك حديد أو ترام أو إنشاء خطوط سيارات أو طيارات أو إنشاء مدارس ومعاهد أو فتح حوانيت لإيجاد أعمال للعاطلين فقه . لعلك فهمت حكمة اجتماع المسلمين فى المساجدليرى غنيهم فقيرهم فيعطف عليه أو طبيبهم مريضهم فيعالجه أو تاجرهم خالى عمل فيوجد له عملا .

اذهب إلى الجمعية الشرعية بالقاهرة التى أنشأها المرحوم أستاذنا الشيخ محمود خطاب . تجدمصانع للغزل والنسيج يعمل فيها مئات الصالحين ويجتمع فى درسه الحلاق والبناء والتاجر والزارع والحداد والموظف والنجار والخضرى والقصاب ؛ فيقف عاطل ويطلب من فضيلة الأستاذ عملا والشيخ ينصحهم ويعلمهم وحينئذ يطلبه التاجر إن رأى فيه كفاءة القيام بالتجارة أو الصناعة ، وهكذا يحن إليه ابن حرفته ويميل إليه ابن مهنته . صلى الله عليك يارسول الله تعلم أمتك الاجتماع على البر والاتحاد على الخير واتباع رأى الجمهور وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « الإنابة إلى دار الخلود » .

إِيَّاكُمْ وَهَاتَيْنِ الْبَقْلَتَيْنِ الْمُنْتِنَتَيْنِ أَنْ تَأْكُلُوهُمَا وَتَدْخُلُوا مَسَاجِدَنَا ، فَإِنْ(١) كُنْتُمْ لَابُدَّ آكِلُوهُمَا اقْتُلُوهُمَا بِالنَّارِ قَتْلاً .

٣ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَكَلَ بَصَلاً ، أَوْ ثُومًا ، فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ فَلْيَعْتَزِلْ(٢) مَسَاجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

وفى رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ ، وَالثُّومَ ، وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا(٣) ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ(٤) تَتَأَذَّى(٥) مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ .

وَفى رِوَايَةٍ : نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ فَغَلَبَتْنَا(٦) الْحَاجَةُ فَأَكَلْنَا مِنْهَا ، فَقَالَ : مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ(٧) فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ النَّاسُ . رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير ولفظه قال :

إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الْخَضْرَاوَاتِ(٨) الثُّومِ

---

(١) فى نسخة : وإن . (٢) فى نسخة : ليعتزل مسجدنا قرب من يابى كرم وسمع .

(٣) لايحضر مكان الصلاة لأن البصل والثوم والكرات توجد رائحة كريهة فى الفم ، وملائكة الرحمة تحضر صلاة الجماعة ؛ فتتألم من هذه القذارة والله تعالى أمرنا بالنظافة والطهارة والاستعداد للعبادة . قال تعالى : (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) أى البسوا ثياباً نظيفة لمواراة عورتكم لطواف أوصلاة . قال البيضاوى : ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة ، وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة اهـ . ومن الزينة التعطر واجتناب كل مافيه رائحة تنفر المصلين .

(٤) للإنسان ملائكة حفظة موكلون به ولو صغيراً وكافرا من الجن والعاهات والآفات ترافق بنى آدم تكريمة له وتصاحبه تفضلا منه جل وعلا . قال تعالى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وللإنسان أيضا كتبة موكلون بكتابة مايصدر عن المكلف قولا أو فعلا أو اعتقادا أو هما أو جزما أو عزما أو تقريرا ، خيرا أو شرا . لايفارقونه إلا فى حالة الجماع والغسل والخلاء ، والمشهور (رقيب) كاتب الحسنات . و (عتيد) كاتب السيئات (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد . مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) اهـ ص ١٤٠ النهج السعيد فى علم التوحيد

(٥) تنفر وتكره وتتألم . (٦) اشتاقت نفسنا إليها

(٧) ذات الرائحة الكريهة ، وفى النهاية خبثها من جهة كراهة طعمها وريحها لأنها طاهرة وليس أكلها من الأعذار المذكورة فى الانقطاع عن المساجد ، وإنما أمرهم بالاعتزال عقوبة ونكالا لأنه كان يتأذى بريحها اهـ ص٢٧٨ .

(٨) الخضر : النبات .

وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ وَالْفُجْلِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ . ورواته ثقات إلا يحيى بن راشد البصري .

٤ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الثُّومُ ، وَالْبَصَلُ ، وَالْكُرَّاثُ . وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ : وَأَشَدُّ ذٰلِكَ كُلِّهِ الثُّومُ أَفَتُحَرِّمُهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : كُلُوهُ ، مَنْ أَكَلَهُ مِنْكُمْ فَلَا يَقْرَبْ هٰذَا الْمَسْجِدَ حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهُ مِنْهُ . رواه ابن خزيمة في صحيحه .

٥ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ : الْبَصَلَ وَالثُّومَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا[(١)] مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ[(٢)] فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا . رواه مسلم والنسائي وابن ماجه .

٦ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الثُّومِ فَلَا يُؤْذِينَا بِهَا فِي مَسْجِدِنَا هٰذَا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه واللفظ له .

٧ — وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم خَيْبَرَ فَوَجَدُوا فِي جِنَانِهَا بَصَلًا وَثُومًا فَأَكَلُوا مِنْهُ وَهُمْ[(٣)] جِيَاعٌ ، فَلَمَّا رَاحَ[(٤)] النَّاسُ إِلَى الْمَسْجِدِ إِذَا رِيحُ الْمَسْجِدِ بَصَلٌ وَثُومٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَقْرَبْنَا فذكر الحديث بطوله رواه الطبراني بإسناد حسن وهو في مسلم من حديث أبي سعيد الخدري بنحوه ليس فيه ذكر البصل .

٨ — وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ تَفَلَ[(٥)] تُجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَفْلُهُ[(٦)] بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَمَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الْبَقْلَةِ[(٧)]

---

(١) فى نسخة : ريحهما . (٢) يخرج بعيدا عن المسجد فى هذا المكان بظاهر المدينة .
(٣) عندهم الجوع والحاجة إلى الطعام . (٤) ذهب .
(٥) نفخ ببزاق وهو أكثر من النفث . (٦) فى نسخة : وتفلته . (٧) فى نسخة : الشجرة .
والمعنى : أن الذى أكل من هذه الشجرة يمتنع عن دخول المسجد حتى يتطهر فمه وينقى من الرائحة الكريهة وفيه يحافظ المرء على نظافة فمه لحضور صلاة الجماعة ؛ فيستاك ويغسل فمه وأسنانه ، وفيه يحرم شرب الدخان

الخَبِيثَةِ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ثَلاَثاً . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

ترغيب النساء فى الصلاة فى بيوتهن ولزومها

وترهيبهن من الخروج منها

١ ـــ عَنْ أُمِّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ : يَارَسُولَ اللهِ إِنِّي أُحِبُّ الصَّلاَةَ مَعَكَ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلاَةَ مَعِي ، وَصَلاَتُكِ فِى بَيْتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِكِ فِى حُجْرَتِكِ ، وَصَلاَتُكِ فِى حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِكِ فِى دَارِكِ ، وَصَلاَتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِكِ فِى مَسْجِدِ قَوْمِكِ ، وَصَلاَتُكِ فِى مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِكِ فِى مَسْجِدِي . قَالَ : فَأَمَرَتْ فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ[1] ، وَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيَتِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

وبوّب عليه ابن خزيمة : باب اخْتِيَارِ صَلاَةِ الْمَرْأَةِ فِى حُجْرَتِهَا عَلَى صَلاَتِهَا فِى دَارِهَا ، وَصَلاتِهَا فِى مَسْجِدِ قَوْمِهَا عَلَى صَلاَتِهَا فِى مَسْجِدِ النَّبِيِّ[2] صلى الله عليه وسلم ، وَإِنْ كَانَتْ صَلاَةٌ فِى مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَعْدِلُ أَلْفَ صَلاَةٍ فِى غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هٰذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ صَلاَةَ الرِّجَالِ دُونَ صَلاَةِ[3] النِّسَاءِ ، هٰذَا كَلاَمُهُ .

ويكره ذهاب الرجل بثوب المهنة القذرة ؛ والمسبح والسمك ونحو ذلك مما له رائحة يتأذى منه المصلون ، ويكره ذهاب المسجد لمن به بخرأو جرح رائحته كريهة ، أو إبطه قذرة أو تورمت قدماه ولها رائحة وهكذا ينال كراهة كل من لم يتحر النظافة فى جسمه أو ملابسه . وصلاته ناقصة الثواب والملائكة لاتدعو له بالرحمة فانظر رعاك الله إلى مدى شرع خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ؛ وأفحم به حجة الملاحدة الزنادقة المسقعسى يعلمون أن هذا الدين يحث على النظافة ، وقرر أن اتخاذ الطيب والعطر فى البيت سنة محمودة لاستعماله . والله تعالى طيب ولايقبل إلا طيباً . وجميل يحب الجمال . قال تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة — والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه — بلدة طيبة ورب غفور) إشارة إلى الأرض الزكية ، أسأل الله السلامة .

(١) أرشدها صلى الله عليه وسلم إلى مصلى لاأحد فيها فى جهة مظلمة لايراها إلا خالقها جل وعلا . وكلما اختفت فى أداء هذا الفرض كثر ثوابها وزاد أجرها وعظم رضوان الله عليها .

(٢) لبعده عن دارها ووجود رجال فيه غير محارم ، وعرضة لأن يراها جماعة .

(٣) فى نسخة : دون النساء .

٢ ـــ وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم قالَ : خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ(١) بُيُوتِهِنَّ . رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفي إسناده ابن لهيعة ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم من طريق درّاج أبي السمح عن السائب مولى أم سلمة عنها ، وقال ابن خزيمة : لا أعرف السائب مولى أم سلمة بعدالة ولا جرح ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

٣ ـــ وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : صَلاَةُ المَرْأَةِ في بَيْتِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِهَا في حُجْرَتِهَا ، وَصَلاَتُهَا في حُجْرَتِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِهَا في دَارِهَا ، وَصَلاَتُهَا في دَارِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِهَا في مَسْجِدِ قَوْمِهَا(٢) . رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد .

٤ ـــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ المَسَاجِدَ(٣) ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ . رواه أبو داود .

٥ ـــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : المَرْأَةُ عَوْرَةٌ(٤) وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا اسْتَشْرَفَهَا(٥) الشَّيْطَانُ ، وَإِنَّهَا لاَ تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ

---

(١) نهايتها ، وقعر البئر : عمقها ، وتعرت الشجرة : قلعتها . ومنه قوله تعالى (أعجاز نخل منقعر) والمراد أن تتخذ السيدة جهة لايسمع صوتها ولا يراها أحد ، لعل الحجرة مكان الاستقبال ، والبيت أخفى وأستر منها ثم الحجرة من الدار أستر لها ، والدار لاشك أستر وأمنع من مسجد رهطها وأهلها ومحارمها .

(٢) وفي نسخة : خارج مسجد قومها . (٣) النهي للفتنة ، فإذا أمن الإنسان الفتنة وعدم النظر إليهن ، فلا يمنعن ؛ وهذا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآداب الدين منتشرة والإسلام بالغ بجرانه ، وفي قمة رفعته وعزته والكل يخاف الله جل وعلا .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « وبيوتهن خير لهن » فما بالك الآن أيها المسلم في أمس نساء فاجرات وبنات فاسقات وفتيات عاهرات عاريات مائلات مميلات تراهن في الشارع وفي الأسواق والمجتمعات والنوادي وعلى شواطئ الأنهار والبحار .

ياعجبا ! يمنعهن قائد الشرع عن الذهاب في المسجد لعبادة الله والأزواج والإخوة والأعمام لايمنعونهن من هذا التبرج . ويل لكم أيها الأزواج ، وعذاب لكم أيها الأخوات وجهنم لكم أيها الأعمام إذا قدرتم على منعهن ولم تمنعوهن . تحيط بكم اللعنات ، وتشملكم السخطات ويلحقكم الذم وغضب الله .

(٤) قال في النهاية : جعلها نفسها عورة لأنها إذا ظهرت يستحيا منها كما يستحيا من العورة إذا ظهرت اهـ والعورة سوءة يستحيا منها ، وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهوره من العار ؛ أي المذمة ولذلك سمى النساء عورة ، ومن ذلك العوراء للكلمة القبيحة ، والعورة شق في الشيء كالثوب والبيت ونحوه . قال تعالى (إن بيوتنا عورة وما هي بعورة) أي متخرقة ممكنة لمن أرادها . وقوله : (ثلاث عورات لكم) أي نصف النهار وآخر الليل وبعد العشاء الآخرة ، وقوله (الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يبلغوا الحلم اهـ غريب القرآن ص ٣٥٩ .

(٥) تقرب ، تطلع إليها وتعرض لها ، ومنه حديث الفتن : « من تشرف لها استشرفته » ومنه حديث

مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا(١) . رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

٦ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فى بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فى حُجْرَتِهَا، وَصَلَاتُهَا فى مِخْدَعِهَا(٢) أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فى بَيْتِهَا. رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه ، وتردّد فى سماع قتادة هذا الخبر من مورق .

[والمخدع] بكسر الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة: هو الخزانة فى البيت.

٧ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما بلفظه ، وزاد : وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا .

٨ — وَعَنْهُ أَيْضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَا صَلَّتِ امْرَأَةٌ مِنْ صَلَاةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ أَشَدِّ مَكَانٍ فى بَيْتِهَا ظُلْمَةً . رواه الطبرانى فى الكبير .

٩ — ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية إبراهيم الهجرى عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ أَحَبَّ صَلَاةِ الْمَرْأَةِ إِلَى اللهِ فِي أَشَدِّ مَكَانٍ فى بَيْتِهَا ظُلْمَةً .

١٠ — وفى رِوَايَةٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ قَالَ : النِّسَاءُ عَوْرَةٌ ، وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا وَمَا بِهَا بَأْسٌ(٣) فَيَسْتَشْرِفُهَا الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: إِنَّكِ لَا تَمُرِّينَ بِأَحَدٍ إِلَّا أَعْجَبْتِهِ وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَلْبَسُ ثِيَابَهَا ، فَيُقَالُ أَيْنَ تُرِيدِينَ؟ فَتَقُولُ: أَعُودُ مَرِيضاً، أَوْ أَشْهَدُ جَنَازَةً،

أبى عبيدة لعمر : « مايسرنى أن أهل البلد استشرفوك » أى خرجوا إلى لقائك ، والمعنى يلازمها حتى تعصى الله فى خروجها .

(١) وسلامتها من المعاصى والفتن فى لزوم بيتها ، واتباع خدرها .

(٢) البيت الصغير الذى يكون داخل البيت الكبير .

وفى حديث عمر أن أعرابيا قال له : قحط السحاب ، وخدعت الضباب، وجاعت الأعراب . خدعت: أى استترت فى حجرتها لأنهم طلبوها ، ومالوا عليها للجدب الذى أصابهم ، والمخدع : إخفاء الشىء، وبه سمى المخدع وتضم فيمه وتفتح اهـ نهاية ص ٢٨٤ .

(٣) لاذنب عليها وصحيفتها نقية طاهرة ، ولكن خروجها يملؤها ذنوبا وسيئات بنظرها إلى الرجال، ونظر الرجال إليها . قال صلى الله عليه وسلم: « العين زانية ، واليد زانية، والرجل زانية، والفرج يصدق ذلك ويكذبه » — وقال صلى الله عليه وسلم « إذا خرجت المرأة من بيتها متعطرة فهى زانية » .

أَوْ أُصَلِّي فِى مَسْجِدٍ(١)، وَمَاعَبَدَتِ امْرَأَةٌ رَبَّهَا مِثْلَ أَنْ تَعْبُدَهُ فِى بَيْتِهَا. وإسناد هذه حسن.

[قوله : فيستشرفها الشيطان] : أى ينتصب، ويرفع بصره إليها، ويهم بها لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها.

١١ — وَعَنْ أَبِى عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللهِ يُخْرِجُ النِّسَاءَ مِنَ الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَقُولُ : أُخْرُجْنَ إِلَى بُيُوتِكُنَّ خَيْرٌ لَكُنَّ. رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به.

---

(١) إن ذهاب المرأة يجلب القيل والقال، وقلة أدب، ومنعها واجب خشية زخرفة الشيطان لها، ووسوسته، وغرورها بنفسها، وعملا بقوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) وعيادة المريض وشهود جنازة، والصلاة فى مسجد. أفعال خير، ولكن للرجل لا للمرأة، وأشار صلى الله عليه وسلم إلى أن كثرة الثواب فى عبادة بيتها، وقد أخرج سيدنا عبد الله النساء من المسجد يوم الجمعة، وهن يعبدن الله ويخلصن له. لماذا؟ لعزلة المرأة، وعدم اختلاط الرجل بالمرأة، وخشية الفتنة، وطردا لوساوس الشيطان.
أيها المسلمون: هذا دين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. إذاً النساء والفتيات اللائى يخرجن الآن ناقصات الإسلام، وعاصيات الله ورسوله، ومعلنات الحرب على آداب الدين، ومستهترات بشرع سيد المرسلين، وكذلك أولياء أمورهن ناقصو الإسلام. وإن فى القرن الأول تطرد النساء من بيوت الله، وأمكنة طاعة الله وذكر الله، وتسبيح الله، وفى القرن الرابع عشر سنة ١٣٥٢ هـ يحصل الاختلاط، ويباح الخروج عند الأزواج والآباء. قال تعالى: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها).
آه. آه. إن صحائفى تنفد لو سردت عليك (أيها المسلم العاقل الذى تعلم، وتسمح بخروج زوجك أو بنتك) حوادث: هتك عرض، وموبقات، وفسوق الإباحيين والإباحيات، وقديما قال العرب فى أمثالها: (من العصمة ألا تجد) ولعلك فهمت حكمة منع النساء حتى من المساجد. والحمد لله. قد عاقب الله هؤلاء بالأمراض السرية، ونزع البركة من الذرية، وعقوق الأبناء للآباء، وإن بناتهن عوانس، ووجود الأزمة وقلة الرزق، وهكذا من مصائب الفجور. نعوذ بالله من زمن قل حياؤه، وعصى أهله، وفجرت نساؤه، وضاع العلم بلا عمل، وفشا الجهل، وقل رجاء عند ذى سلطان، وحول وطول أن يشدد على أولئك المتمصات المتبرجات، فلا يطهرن تهتكا وفجورا. وأود هداية آبائهن وأزواجهن وإلزامهم تنفيذ عدم خروجهن عسى الله أن يتوب عليهم إنه غفور رحيم، ثم آخذ عليهم شروط تربية بناتهم على آداب الشرع، والعمل بقوله صلى الله عليه وسلم: «من بلى من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» افهم شرط وقاية النار (الإحسان إليهن) أى تربيتهن تربية حسنة على منهج الإسلام ثم افتح لهن مدارس تعلم الفقه والحديث والتفسير بعد مبادئ القراءة، وتدبير المنزل.

والأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طاهر الأعراق

وقد ذكر ابن الحاج فى المدخل كراهة زيارة النساء فى القبور وعاداتهن المستهجنة مثل ركوبهن على الدواب فى الذهاب والرجوع، وفى مس المكارى لهن وتحضينه للمرأة فى إركابها وإنزالها، وحين مضيها يجعل يده على فخذها وتجعل يدها على كتفه مع أن يدها ومعصمها مكشوفان لا ستر عليهما، بل العجب أن زوجها وغيره يشاهدون ذلك بالحضرة ويعلمونه بالغيبة. هذا إلى مشيهن بالليل مع كثرة الخلوات وكشفهن لوجوههن، ومزحهن وملاعبتهن وكثرة الضحك مع الغناء فى موضع الخشوع والاعتبار والذل. هذا إلى اجتماع الرجال والنساء مختلطين وخروجهن إلى دور البركة والدور التى على البساتين وركوبهن البحر وخروجهن إلى المحمل، واجتماع النساء بعضهن مع بعض ص ٢٧٧ نسأل الله السلامة.

الترغيب فى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والإيمان بوجوبها

فيه حديث ابن عمر وغيره

١ – عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : بُنِيَ(١) الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ . رواه البخاريّ ومسلم وغيرهما عن غير واحد من الصحابة .

٢ – وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : بَيْنَمَا(٢) نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ

(١) معنى بنى: أقيم وأسس، والإسلام والإيمان فى هذا الحديث على سبيل الترادف والتوارد، قال تعالى: (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ولم يكن باتفاق إلا بيت واحد ، وقال تعالى : (ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) .

وفى حديث ابن عباس فى قصة وفد عبد القيس « تدرون ما الإيمان ؟ شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت » قال الخطابى : والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام فى هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً فى بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً فى بعضها والمؤمن مسلم فى جميع الأحوال اهـ .

(٢) فى نسخة : بينا ١٢١ ع .

قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الشافعى رحمه الله: جعل النبى صلى الله عليه وسلم الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد ، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام ، بل ذلك تفصيل الجملة هى كلها شىء واحد وجماعها الدين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا . يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: (ا – إن الدين عند الله الإسلام... ب – ورضيت لكم الإسلام دينا... جـ – ومن و – يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) فأخبر سبحانه وتعالى أن الدين الذى رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام ولا يكون الدين فى محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل اهـ.

وقال الأصبهانى الشافعى رحمه الله : الإيمان فى لسان الشرع هو التصديق بالقلب ، والعمل بالأركان ، وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص ، وهو مذهب أهل السنة ، فالخلاف فى هذا على التحقيق ، إنما هو أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بمواجب الإيمان هل يسمى مؤمناً مطلقاً أم لا ؟، والمختار عندنا أنه لايسمى به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق .

وقال الإمام أبو الحسن على بن خلف بن بطال المالكى المغربى فى شرح صحيح البخارى: مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصه ما أورده البخارى من الآيات - يعنى قوله عز وجل : (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) وقوله تعالى :(والذين اهتدوا زادهم هدى) وقوله تعالى : (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) وقوله تعالى (أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) وقوله تعالى : (ومازادهم إلا إيمانا وتسليما) .

رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ

قال ابن بطال: فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص. فإن قيل الإيمان فى اللغة التصديق. فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها، فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان إيمانه أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان، وبنقصانها ينقص. فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان، ومتى زادت زاد الإيمان كمالا. هذا توسط القول فى الإيمان. وأما التصديق بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقص اه.

قال عبد الرزاق: سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا: سفيان الثورى، ومالك بن أنس، وعبيد الله ابن عمر والأوزاعى، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعى والحسن البصرى وعطاء وطاوس ومجاهد وعبد الله ابن المبارك، فالمعنى الذى يستحق به العبد المدح، والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة.

أولا: التصديق بالقلب. ثانيا: الإقرار باللسان. ثالثا: العمل بالجوارح. وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لايستحق اسم مؤمن، ولو عرفه وعمل وجحد بلسانه وكذب ماعرف من التوحيد لايستحق اسم مؤمن، وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولم يعمل بالفرائض لايسمى مؤمناً بالإطلاق، وإن كان فى كلام العرب يسمى مؤمنا بالتصديق، فذلك غير مستحق فى كلام الله تعالى لقول الله عز وجل: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقا) فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن من كانت هذه صفاته. قال المهلب: الإسلام على الحقيقة هو الإيمان الذى عقد القلب المصدق لإقرار اللسان الذى لاينفع عند الله تعالى غيره اه.

فالإيمان: التصديق الباطن، والإسلام: الاستسلام، والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام فى الظاهر ثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما صلى الله عليه وسلم الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده، أو اختلاله اه. من كلام أبى عمرو بن الصلاح رحمه الله. فسائر الطاعات، والأعمال الصالحة ثمرات للتصديق الباطن الذى هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات له، والإسلام يتناول التصديق بالباطن، وسائر الطاعات. ويطلق اسم الإيمان على الأعمال، قال تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلاتكم. انظر ص ١٤٨ — ١ شرح صحيح مسلم.

قال النووى: اتفق أهل السنة من المحدثين، والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذى يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد فى النار لايكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداهما لم يكن من أهل القبلة أصلا إلا إذا عجز عن النطق لخلل فى لسانه. أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لغير ذلك. اه وإذا أقر بالشهادتين بالعجمى، وهو يحسن العربية يصير مسلما على الصحيح، وإذا أقر بوجوب الصلاة، أو الصوم أو غيرهما من أركان الإسلام وهو على خلاف ملته التى كان عليها، قال النووى: وجهان لأصحابنا، فمن جعله مسلما قال: كل ما يكفر المسلم بانكاره يصير الكافر بالإقرار به مسلما اه.

قال النووى رحمه الله: واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لايكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وإن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام: أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفره، وكذا حكم من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التى يعلم تحريمها ضرورة. والله أعلم بالصواب، وله الحمد والمنة والنعمة وبه التوفيق والعصمة. اه ص ١٥٠.

الشَّعَرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَي النَّبِيِّ صلى الله

وأنا أقول : الإيمان عقيدة راسخة فى النفس توجد الثقة بالله ، وتؤكد الاعتماد على الله ، والتفويض إليه فى تصريف الأمور كما يشاء بلا اعتراض ، أو جزع ، والشمس المشرقة فى القلب تضيئه ليعمل صالحاً ، ويتقنه ويراقب ربه فيه ابتغاء رضاه ، وخوفا منه جل وعلا ، وهو الضمير الذى يعبر عنه أهل المدنية الحديثة بسلوك مناهج الصالحين فى نياتها حبا فى الله ، وأما الإسلام: فظاهر الدين ، وأعمال محسوسة ملموسة تتمثل فى إقامة الصلاة ، وترى فى إخراج الزكاة ، ومثلها كطلاء مزخرف تنظر إليه عينك وهو الذى يعنيه الله جل وعلا فى قوله لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) ٢٦ من سورة البقرة . قال البيضاوى: المقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه ، وإنما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم،أو عالم كل عصر، أو كل أحد يقدر على البشارة بأن يبشرهم ، والبشارة : الخبر السار ، والصالحات: جمع صالحة وهى من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه ، والإيمان عبارة عن التحقيق والتصديق : أس ، والعمل الصالح كالبناء عليه ، ولا غناء بأس لابناء عليه ، ولذلك قلما ذكرا منفردين اهـ ص ١٩ .

اقرأ القرآن كله تجد تكرار (آمنوا وعملوا الصالحات) لماذا؟ لأن الإيمان شجرة ثمرتها الإسلام، والعمل الصالح زهرته اليانعة ، والإيمان كالكهرباء ، وأعنى به السر المكنون فى قلوب المتقين ، ويتجلى نوره بالعمل الصالح الذى يتلألأ ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

ا ـ (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) ٢٣ من سورة الزمر . الله تعالى وفقه حتى تمكن الاسلام فى صدره بيسر ، قال البيضاوى : عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث إن الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابلة للإسلام ، ونور ربه المعرفة ، والاهتداء إلى الحق ، وعنه عليه الصلاة والسلام : « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، فقيل: فما علامة ذلك ؟ قال الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله » اهـ ص ٦٣٩ .

ا ــ عمل صالح ب ــ قناعة جـ ــ حذر تورع أحكم أموره بالتقوى .

ب ـ (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام،ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) ١٢٦ من سورة الأنعام . يتسع صدره للعمل الصالح ويفسح مجاله فى مشروعات الخير ، ويميل إلى البر ، والمجرم الفاسق ينبو عن قبول الحق ، ويبعد عن أوامر الله ولا يدخله الإيمان الباعث على الصالحات والمكرمات (كأنما يصعد فى السماء) شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالا يقدر عليه ، فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ، ونبه به على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود ، وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبوا عن الحق ، وتباعداً فى الهرب منه كذلك يجعل الله العذاب أو الخذلان على الكسالى المقصرين فى حقوق الإسلام .

ياتاركى الصلاة : أمعنوا فى هذه الآية ، واعلموا أن أعمال الخير التى أنتم عليها كما تظنون ناقصة، تجادلون بحسن نياتكم ، وعظيم إخلاصكم لربكم ، وتجتنبون الإشراك بالله والإضرار بالناس ، وتخافون الله فلا تؤذون أحداً ، وتقولون : يسامحنا الله فى الصلاة . حقاً إن الدين المعاملة،وحب الخير ، والنية الصالحة،ولكن الصلاة عماد الدين،وعبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم بركن من أركان الإسلام فأعمالكم كما تظنون ـ قصر فخم هدمت منه جهة وجسم اشل منه ركن ومنزل تصدع منه جانب؟ وذلك عيب فاضح فى منظر المهندسين. أفلاتتوبون الى الله معى «تبنا إلى الله وعزمنا على طاعة الله وندمنا على مافعلنا » وتقيمون هذا الركن عسى الله أن يتمم إيماننا

عليه وسلم فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ(١) وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَنْ تَشْهَدَ(٢) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

ويكفر عنا سيئاتنا، وهل تجد فائدة للإسلام أكثر من فك رقاب الذين أحسنوا فى الدنيا وعملوا صالحاً، ووقوف المجرمين فى المحشر، ونفوسهم مرهونة عند الله تعالى، وقد حكى الله عن المؤمنين والفاسقين فى قوله جل شأنه فى جهنم: (إنها لإحدى الكبر. نذيراً للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر. كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين: فى جنات يتساءلون. عن المجرمين. ماسلككم فى سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم من التذكرة معرضين، كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة. بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة. كلا بل لايخافون الآخرة. كلا إنه تذكرة. فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة) من سورة المدثر، وإن سقر لإحدى البلايا الكبيرة، وكبرت منذرة العاصين ليطيعوا الله ويتقدموا إلى اتباع الكتاب والسنة، ويتأخروا عن الفسوق والمجون والكذب خشية أن يموتوا فلاشفيع لهم عند الله، وقد شبههم الله تعالى فى إعراضهم عن استماع الحق، واتباع القرآن بالحمر النافرة والوحوش الضارية التى فرت وهربت من الأسد القاهرة (قسورة) فعولة من القسر وهو القهر، والله تعالى حقيق بأن يتقى عقابه ويستمع كلامه، وحقيق بأن يغفر لعباده سيما الذين آمنوا وعملوا صالحاً، والصلاة من العمل الصالح لأنها مدرسة الأخلاق الكاملة، ومعهد التربية يعالج تذليل النفس ومرونتها فتتعود الصبر والحلم، وتحمل الشدائد، ومصداق ذلك قوله تعالى: (إن الإنسان خلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعاً. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين فى أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إن عذاب ربهم غير مأمون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم بشهاداتهم قائمون. والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئك فى جنات مكرمون) ٣٦ من سورة المعارج. أعرفت استثناء القادر الخالق للمصلين، والإنسان بفطرته شديد الحرص كثير الطمع قليل الصبر ويكثر الجزع ويشح ويبخل إلا الموصوفين بالأوصاف الدالة على الاستغراق فى طاعة الحق، والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء، والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل. أولئك لايشغلهم عن الصلاة شاغل، وكذا الزكوات والصدقات لمن يسأل ومن لايسأل فيحسب نفسه غنياً فيحرم. قال البيضاوى: وتكرير ذكر الصلاة؛ ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها، ومعنى (يحافظون): يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها اهـ ٧٨٩.

ياأخى: الصلاة واجبة الأداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة، ووعد المؤمنين بالنصر، وأمرهم بالحزم (وخذوا حذركم) لتقوى قلوبهم، ويحافظوا على ذكر الله، والتيقظ والتدبر؛ ويتوكلوا على الله سبحانه وتعالى. قال جل شأنه: (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم، فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) ١٠٤ من سورة النساء، أى فرضاً محدد الأوقات لايجوز إخراجها عن أوقاتها فى أى حال من الأحوال.

(١) يريد القرب من النبى صلى الله عليه وسلم، أو هذا الرجل الداخل وضع كفيه على فخذى نفسه، وجلس على هيئة المتعلم المتأدب.

(٢) تعتقد أن الله واحد، ومحمداً رسول الله، بأن تعمل بكتابه وسنة حبيبه، ولا تسأل إلا الله ولا تخف إلا من الله.

اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ (١) الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِيَ (٢) الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ (٣) رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ (٤) الحديث ، رواه البخارى ومسلم ، وهو مروى عن غير واحد من الصحابة فى الصحاح وغيرها .

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا (٥) بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ (٦) شَيْءٌ ؟ قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ . قَالَ : فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو (٧) اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا . رواه البخارىّ ومسلم والترمذى والنسائى ، ورواه ابن ماجه من حديث عثمان .

[الدرن] بفتح الدال المهملة والراء جميعاً : هو الوسخ .

٤ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

---

(١) تؤديها فى أوقاتها . (٢) تعطى زكاة المال والحبوب والثمار والحيوان ، وتتصدق على الفقراء وتحسن إلى جيرانك وتساعد على إقامة مشروعات الخير لتنفع بنى وطنك . إن الغنى مطالب أمام الله بإيجاد أعمال لأبناء جنسه الخالين من العمل بفتح مصانع أو إصلاح الأرض ، وهكذا طلباً لرضا الله ووجود الألفة وعظيم المحبة « والله فى عون العبد ... » :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

(٣) تقوم بصيامه خير قيام ، وتكثر فيه من الصدقات وتشييد الصالحات . (٤) تؤدى فريضة الحج وتزور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٥) مجرى الماء الفائض . (٦) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس تذهب الخطايا كما يذهب الماء الدرن » . (٧) يزيل ، فأنت ترى المحافظة على أداء الصلوات تكفر الذنوب الصغيرة ، وتحثّ على اجتناب الكبيرة ، ومتى حافظ العبد على الصلوات تاب الله عليه وسامحه وعفا عنه .

أيها المسلمون : إن نبيكم خير الخلق صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا أعلى فى التربية ، ويعطى درساً شيقاً بوسائل محسوسة ليبين فائدة الصلاة ، وقد سبق علماء التربية الألمان والإنجليز فى إعطاء الدرس الحسن الشيق الجذاب بالغ النهاية فى السمو والإيضاح ، موضوعه : ــ بجوار منزلكم نهر حافظتم على الاستحمام فيه خمس مرات هل توجد وساخة على أجسامكم ؟ ــ فهموا السؤال وأحسنوا الإجابة ــ قالوا : لا ــ هكذا أداء الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ينقى صحائفكم . ويطهر أعمالكم ، ويرضى عنكم ربكم كما جعل تعالى (النهر) مثلا لما يغدق من فيضه وفضله فى الجنة على الناس . قال عز شأنه : (إن المتقين فى جنات ونهر . فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) من سورة القمر . وقال تعالى (ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) (جنات تجرى من تحتها الأنهار) وأرى أن النبي صلى الله عليه وسلم يحث على النظافة ويدعو إلى الاستحمام والطهارة ويذكر المسلمين أن المحافظة على الصلاة فى الدنيا توصل إلى نعيم الجنة وأنهارها .

الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ(١) لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ(٢) الْكَبَائِرُ(٣) رواه مسلم والترمذي وغيرهما .

٥ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ : كَفَّارَةٌ(٤) لِمَا بَيْنَهَا، ثُمَّ قَالَ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَعْتَمِلُ(٥)، وَكَانَ بَيْنَ مَنْزِلِهِ وَبَيْنَ مُعْتَمَلِهِ خَمْسَةُ أَنْهَارٍ، فَإِذَا أَتَى مُعْتَمَلَهُ عَمِلَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ فَأَصَابَهُ الْوَسَخُ أَوِ الْعَرَقُ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِنَهَرٍ اغْتَسَلَ، مَا كَانَ ذٰلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ، فَكَذٰلِكَ الصَّلَاةُ كُلَّمَا عَمِلَ خَطِيئَةً فَدَعَا وَاسْتَغْفَرَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا. رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير بإسناد لا بأس به، وشواهده كثيرة.

٦ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ : كَمَثَلِ نَهَرٍ جَارٍ غَمْرٍ(٦) عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ . رواه مسلم .

[والغمر] : بفتح الغين المعجمة وإسكان الميم بعدها راء : هو الكثير .

٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ(٧)، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الصُّبْحَ غَسَلَتْهَا(٨)، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلَتْهَا ، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلَتْهَا ، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا ، ثُمَّ تَنَامُونَ ، فَلَا يُكْتَبُ(٩) عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا . رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وإسناده حسن ، ورواه في الكبير موقوفا عليه ، وهو أشبه ، ورواته محتج بهم في الصحيح .

---

(١) مزيلة الصغائر التي ترتكب من وقت الصبح مثلا إلى الظهر وهكذا ، أو من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة الأخرى .

(٢) تفعل ، من غشى الشيء : لابسه . (٣) كالإشراك وقتل النفس والزنا والسرقة وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات والربا والباطل وضياع الحق وأخذ أموال الناس ظلما وهكذا .

(٣) في نسخة : كفارات . (٥) يلي عملا ، وفي نسخة : يعمل. (٦) كثير يغمر من دخله ويغطيه

(٧) تكثرون من ارتكاب الذنوب وتقترفون ما يحبط أعمالكم الصالحة حتى تزيلوا حسناتكم وتكون الصحيفة كالمحروقة المتقدة خطايا . (٨) فإذا صليتم الفريضة أزالت هذه الخطايا ورجعت صحيفتكم طاهرة نقية

(٩) يأتي الليل والملائكة الكتبة لا يقيدون لكم ذنوبا حتى تقوموا من نومكم .

٨ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ لِلهِ مَلَكاً(١) يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صلاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا فَأَطْفِئُوهَا. رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وقال: تفرّد به يحيى بن زهير القرشي.

[قال المملي] رضي الله عنه: ورجاله كلهم محتجّ بهم في الصحيح سراة.

٩ — وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: يُبْعَثُ مُنَادٍ عِنْدَ حَضْرَةِ كُلِّ صلاةٍ، فَيَقُولُ يَا بَنِي آدَمَ: قُومُوا فَأَطْفِئُوا مَا أَوْقَدْتُمْ(٢) عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ(٣) وَيُصَلُّونَ الظُّهْرَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَصْرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْمَغْرِبُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَتَمَةُ(٤) فَمِثْلُ ذَلِكَ فَيَنَامُونَ فَمُدْلِجٌ(٥) فِي خَيْرٍ، وَمُدْلِجٌ فِي شَرٍّ. رواه الطبراني في الكبير.

١٠ — وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَنْظُرَ

(١) منادياً من بني آدم أن ينهض فيصلي الفريضة رجاء أن يسد طاقة من جهنم فتحت عليه تنتظر موته ولا يعلم أحد نهاية عمره إلا الله، فالعاقل من أسرع في تأدية الفرض في أول وقته ليسد باب جهنم المنتظرة، وليطفئ ما أعد الله له من العذاب إذا تأخر عن الصلاة ولم يؤدها.

(٢) مما جلبه عليكم لسانكم من غيبة أو نميمة أو تقصير في واجبات الله. (٣) يتوضئون.

(٤) المراد العشاء والفجر. (٥) أدلج: سار من أول الليل، والمعنى بعد صلاة العشاء ينام الإنسان أو يسير في طريق الخير، ويسهر في السمر البرئ والأنس الذي يرضى الله جل وعلا، أو يقضي باقي ليله في طاعة وعبادة. والصنف الثاني: يتم ليله في لهو ومحرمات وسهر يغضب الله جل وعلا وينسى واجب زوجه ويعربد ويسكر، ويذهب إلى الملاهي والمواخير ومحال الفجور والدعارة، أو يقطع الطريق ويسلب أموال الناس أو يسرق، وهكذا من أفعال الشر ويريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرشد المسلمين إلى أن الصلوات الخمس أزالت مااقترفوه، ويوصيهم أن ينتهي ليلهم كما يحب الله ورسوله، ولا يتخلل زمنه مايكثر من السيئات ويحبط الحسنات. قال تعالى:

ا — (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ٣٦ من سورة الأحزاب.

ب — (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ١٣ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) ١٤ من سورة النساء

ماأسعد من ينتهي ليله في طاعة، ينام ليستريح أو يؤنس أهله ويسرى عنهم متاعب الحياة، ويمتعهم برؤيته وحديثه العذب ويكرم ضيوفه ويؤدى واجب زوجه حتى لاتنظر إلى غيره، ويتفقد مصالحه ويرعى طعام ماشيته. هل أدى الخدم مايلزم لها من سقى أو علف أو نظافة؟ ويقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم بما رواه البخاري أنه عليه الصلاة والسلام: «كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها» وأعنى بالحديث الذي يجلب غضب الرب، ويذهب في لهو ولغو أو في مجالس الفسوق، نسأل الله السلامة.

مَا اجْتِهَادُهُ . قَالَ : فَقَامَ يُصَلِّي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَرَ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ، فَذُكِرَ ذَٰلِكَ لَهُ فَقَالَ سَلْمَانُ : حَافِظُوا عَلَى هَٰذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، فَإِنَّهُنَّ كَفَّارَاتٌ لِهَٰذِهِ الْجِرَاحَاتِ مَا لَمْ تُصِبِ الْمَقْتَلَةَ . رواه الطبرانيّ فى الكبير موقوفا هكذا بإسناد لا بأس به ، ويأتى بتمامه إن شاء الله تعالى .

١١ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ(١) الْخَمْسَ ، وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَقُمْتُهُ(٢) فَمِمَّنْ أَنَا ؟ قَالَ : مِنَ الصِّدِّيقِينَ(٣) وَالشُّهَدَاءِ(٤) . رواه البزار ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما واللفظ لابن حبان .

١٢ — وَعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ التَّغْلَبِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ يَا أَبَا أُمَامَةَ : إِنَّ رَجُلًا حَدَّثَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ، فَغَسَلَ(٥) يَدَيْهِ ، وَوَجْهَهُ ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَأُذُنَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ غَفَرَ(٦) اللهُ لَهُ فِي ذَٰلِكَ الْيَوْمِ مَا مَشَتْ إِلَيْهِ رِجْلَاهُ، وَقَبَضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ ، وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أُذُنَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ، وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سُوءٍ . فَقَالَ : وَاللهِ قَدْ(٧) سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَمْرًا(٨) . رواه أحمد ، والغالب على سنده الحسن ، وتقدم له شواهد فى الوضوء ، والله أعلم .

١٣ — وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْمُسْلِمُ يُصَلِّي وَخَطَايَاهُ مَرْفُوعَةٌ عَلَى رَأْسِهِ كُلَّمَا سَجَدَ تَحَاتَّتْ(٩) عَنْهُ فَيَفْرُغُ مِنْ

---

(١) فى نسخة : الصلاة . (٢) شغلت أوقات ليله فى طاعة وذكر وتسبيح وتحميد وتكبير وتهجد
(٣) قوم أقل من الأنبياء فى الفضيلة ، لأنهم صدقوا بقولهم واعتقادهم وحققوا صدقهم بالفعل ؛ ومنه قوله تعالى :
ا — (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبياً) .
ب — وقوله تعالى : (وأمه صديقة) .
ح — وقوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .
(٤) الذين جاهدوا فى سبيل الله حق جهاده حتى ماتوا فى حومة الوغى . (٥) فى نسخة : وغسل
(٦) محا الذنوب التى ارتكبتها رجلاه أو يداه أو أذناه أو عيناه . (٧) فى نسخة : لقد .
(٨) فى نسخة : مراراً ١٢٤ ع . (٩) تتساقط بذلته لربه ، وخضوعه لخالقه وشكره .

صَلاَتِهِ ، وَقَدْ تَحَاتَّتْ(١) عَنْهُ خَطَايَاهُ . رواه الطبرانى فى الكبير والصغير ، وفيه أشعثُ ابن أشعث السعدانى لم أقف على ترجمته .

١٤ — وَعَنْ أَبِى عُثْمَانَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْناً يَابِساً(٢) ، فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ(٣) وَرَقُهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عُثْمَانَ أَلاَ تَسْأَلُنِى لِمَ أَفْعَلُ هٰذَا . قُلْتُ : وَلِمَ تَفْعَلُهُ ؟ قَالَ : هٰكَذَا فَعَلَ بِى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، وَأَخَذَ مِنْهَا غُصْناً يَابِساً(٤) فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ . فَقَالَ : يَاسَلْمَانُ أَلاَ تَسْأَلُنِى لِمَ أَفْعَلُ هٰذَا . قُلْتُ : وَلِمَ تَفْعَلُهُ ؟ قَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ(٥) ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتَّ(٦) هٰذَا الْوَرَقُ ، وَقَالَ : (أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذٰلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) رواه أحمد والنسائى والطبرانى ، ورواة أحمد محتج بهم فى الصحيح إلا علىّ بن زيد .

١٥ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالاَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَوْماً فَقَالَ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَكَبَّ فَأَكَبَّ(٧) كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَبْكِى ، لاَ نَدْرِى عَلَى مَاذَا حَلَفَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَفِى وَجْهِهِ الْبُشْرَى(٨) ، وَكَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ حُمْرِ(٩) النَّعَمِ : قَالَ : مَا مِنْ رَجُلٍ(١٠) يُصَلِّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ،

---

(١) زالت وسقطت كما يتحات ورق الشجر : أى ينتثر ويقع . (٢) صلباً . (٣) يتحات : يتساقط فعل مضارع حذف منه حرف المضارعة منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى . (٤) يقال : حطب يبس . قال ابن السكيت جمع يابس كراكب وركب اهـ ، واليبس : المكان يكون رطباً ثم ييبس، ومنه قوله تعالى : (فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لاتخاف دركا ولا تخشى) ، وهذا مثل آخر ضربه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى درس فوائد الصلاة : حرك الغصن بقوة وعنف فنزلت أوراقه . هكذا أيها المسلمون المحافظة على الصلوات فى أوقاتها تسقط الخطايا ، فتنجون وتفلحون .

(٥) أتمه : أى راعى فروضه وسننه وآدابه . (٦) وفى نسخة : يتحات . (٧) أكب الرجل يكب على عمل عمله : إذا لزمه ، من كبته فأكب أى ألزمته . أى استمر البكاء منا ومنه صلى الله عليه وسلم خشية وخوفا من الله جل وعلا . (٨) هى الخبر السار المفرح . قال تعالى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وقال تعالى (لابشرى يومئذ للمجرمين) . (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) . (يابشرى هذا غلام) يابشارة . (٩) الحمار . جمعه حمر كقفل ، وحمر بضمتين الحمير ، وحمارة للأتان ، والنعم واحد الأنعام وهى المال الراعية ، وأكثر مايقع هذا الاسم على الإبل . قال الفراء ، هو ذكر لايؤنث ، يقولون ، هذا نعم وارد وجمعه نعمان ، كحمل وحملان ، والأنعام يذكر ويؤنث . قال الله تعالى (مما فى بطونه) وقال (مما فى بطونها) وجمع الجمع أناعيم ، والمعنى أن بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم زادتنا فرحاً أكثر من المال الوفير ، والنعم الإبل وغيرها . (١٠) فى نسخة: عبد .

وَيَصُومُ رَمَضَانَ ، وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِنَّهَا لَتَصْطَفِقُ(١) ، ثُمَّ تَلَا : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ(٢) مَا تُنْهَوْنَ(٣) عَنْهُ نُكَفِّرْ(٤) عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) . وقال الحاكم صحيح الإسناد .

١٦ – وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ . حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ انْصِرَافِنَا مِنْ صَلَاتِنَا ، أُرَاهُ قَالَ الْعَصْرَ . فَقَالَ : مَا أَدْرِي أُحَدِّثُكُمْ أَوْ أَسْكُتُ ؟ قَالَ :فَقُلْنَا يَارَسُولَ اللهِ إِنْ خَيْرًا فَحَدِّثْنَا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذٰلِكَ فَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قال : مَامِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطَّهَارَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ فَيُصَلِّي هٰذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ(٥) لِمَا بَيْنَهَا .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : وَاللهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةٌ(٦) فِي كِتَابِ اللهِ مَاحَدَّثْتُكُمُوهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم يَقُولُ : لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ

---

(١) ينتشر ضوؤها وتضطرب أبوابها ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه «إذا اصطفق الآفاق بالبياض» أي اضطرب وانتشر الضوء ، وهو افتعل من الصفق أي التتابع . صفق الباب : رده ، وأصفقه أيضا والريح تصفق الأشجار فتصطفق : أي تضطرب . (٢) الكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته ، والجمع الكبائر قال تعالى: (ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى. الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ٣٢ من سورة النجم ، أي بسبب الأعمال الحسنة دخلوا الجنة . والإثم ما كبر عقابه ، وصعب وعيده والفواحش أقبح الذنوب: كالزنا وقتل النفس والله يغفر اللمم أي ماقل وصغر . (٣) وفي غريب القرآن : قيل أريد به الشرك ؛ لقوله : (إن الشرك لظلم عظيم) . وقيل هو الشرك وسائر المعاصي الموبقة ، كالزنا وقيل النفس المحرمة ولذلك قال (إن قتلهم كان خطئا كبيرا) اهـ ص ٤٣٢ . (٤) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم. قال البيضاوي : الكبيرة : كل ذنب رتب الشارع عليه حدا ، أو صرح بالوعيد فيه ، وقيل : ماعلم حرمته بقاطع ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع : «الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والربا ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين » وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: « والكبائر إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع » والمدخل الكريم : الجنة ، أو ماوعد من الثواب . أو إدخال مع كرامة .

(٥) مزيلات الصغائر . (٦) مثل قوله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) ١٦١ من سورة البقرة . أحبار اليهود يخفون الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومايهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به ، وفي التوراة أدلة ذلك ، ومن ذا جاءت الشريعة المحمدية ، وألزمت العالم أن يجود بعلمه .

فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلَاةَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا . رواه البخاريّ ومسلم .

١٧ — وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ ، فَأَسْبَغَ(١) الْوُضُوءَ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ(٢) أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ(٣) ، أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ .

١٨ — وَفِي رِوَايَةٍ أَيْضًا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ(٤) ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ(٥) كَبِيرَةٌ ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ(٦) .

١٩ — وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ كُلَّ صَلَاةٍ تَحُطُّ(٧) مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ خَطِيئَةٍ . رواه أحمد بإسناد حسن .

٢٠ — وَعَنِ الْحَارِثِ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ : جَلَسَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا وَجَلَسْنَا مَعَهُ فَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ أَظُنُّهُ يَكُونُ فِيهِ مُدٌّ(٨) فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : يَتَوَضَّأُ(٩) وُضُوئِي هَذَا ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي هَذَا(١٠) ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي صَلَاةَ الظُّهْرِ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّهْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعَصْرِ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَبِيتُ يَتَمَرَّغُ(١١) لَيْلَتَهُ ، ثُمَّ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ فَصَلَّى الصُّبْحَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، وَهُنَّ : الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ

---

(١) أتم . (٢) منفردا فى منزله ، أو سوقه ، أو مصنعه . (يصح تعدد أو شك من الراوى) .

(٣) أو صلاها جماعة . (٤) مفروضة . (٥) فى نسخة : مالم يأت ، والفاعل المصلى .

(٦) من حافظ مدة حياته على الصلاة ، ولم يفعل الكبائر ، عفا الله عنه وسامحه ودخل الجنة .

(٧) تبعد ، من حط الشيء يحطه : إذا أنزله وألقاه ، وفيه من ابتلاه الله ببلاء فى جسده فهو له حطة أى تحط عنه خطاياه وذنوبه . (٨) المد فى الأصل ربع الصاع ، أى رطل ماء قدر قلة أو إبريق .

(٩) فى نسخة : توضأ . (١٠) فى نسخة : هكذا ١٢٥ . ع

(١١) يتقلب ، من مراغ دواب الجنة المسك ، أى الموضع الذى يتمرغ فيه من ترابها ، يرجو سيدنا عثمان رضى الله عنه أن يبيت المسلم على توحيد الله وذكره ، وترقب اليقظة لعبادته ورجاء رحمته .

السَّيِّئَاتِ . قالُوا : هٰذِهِ الحَسَنَاتُ فَمَا البَاقِيَاتُ[١] يا عُثْمانُ ؟ قالَ : هِيَ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ . رواه أحمد بإسناد حسن ، وأبو يعلى والبزار .

٢١ وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ[٢] اللهِ فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ[٣] اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبُّهُ[٤] عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ . رواه مسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي وغيرهم . ويأتي في باب صلاة الصبح والعصر إن شاء الله تعالى.

٢٢ – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ[٥] ، وَصَلاَةِ العَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ[٦] الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : كَيْفَ

---

(١) أي الثابت ثوابها ، المورق غصنها ، المزهرة حسناتها ، الخالد أجرها . قال الله تعالى :
ا ـ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا) ٤٧ من سورة الكهف . يتزين بهذا العرض الإنسان في حياته وتمنى به عما قرب ، ولكن أعمال الخيرات هي التي تبق ثمراتها له أبد الآباد ، ويندرج فيها الكلام الطيب والأمر بالمعروف ،وينال بها صاحبها المحافظ على ذكر الله بها النعيم في الآخرة . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن أثمار أهل الجنة يقطفها أهلها ويأكلونها ثم تخلف مكانها مثلها ، ولكون ماق الآخرة دائما . قال عز وجل : (وما عند الله خير وأبقى) ، ومعنى الباقيات الصالحات : مايبقى ثوابه للإنسان من الأعمال ، وقد فسر بأنها الصلوات الخمس ، ولكن أرشدنا إلى الشهادة والتسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة سيدنا عثمان رضى الله عنه ليحافظ الإنسان على أن يقولها مئات منها صباح مساء ليغرس له في الجنة أشجاراً، وينتظر ثمرها بعد موته إن شاء الله ـ وفي غريب القرآن : والصحيح أنها كل عبادة يقصد بها وجه الله تعالى اهـ ، وعلى هذا قوله تعالى :
ب ـ (بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) أي ما أبقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم ، فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة ، وذلك مشروط بالإيمان .

(٢) عهد الله وأمانه وضمانه ورحمته . (٣) في نسخة : فلا يطلبنكم .

(٤) الكب : إسقاط الشيء على وجهه ، قال تعالى: (فكبت وجوههم في النار) والاكباب : جعل وجهه مكبوبا على العمل ، قال تعالى: (أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى)، وفيه يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلم أن يحافظ على صلاة الصبح قبل طلوع الشمس جماعة ليرعاه ربه ، ويقضى حاجاته ، ويسهل أموره ، ويزيد في رزقه ، ويفرج كربه ، ويقيه شر يومه ، ومن لم يحافظ فقد يلحظه الله برحمته تفضلا ، ولكن إن مات زج في جهنم والعياذ بالله تعالى . (٥) في نسخة : الفجر .

(٦) يصعد الحراس الذين يسجلون أعمال العبد من الفجر إلى العصر ، والفريق الثاني : يتعهد من العصر إلى الفجر. ماشاء الله كتبة مهرة ذوو يقظة مقسمة أعمالهم بنظام الحكيم العليم الخبير يبثون عباده ليحصوا أعماله .

تَرَكْتُمْ عِبَادِى ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ . رواه مالك والبخاري ومسلم والنسائى .

٢٣ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ دِينِهِمُ : الصَّلَاةُ ، وَآخِرَ مَا يَبْقَى : الصَّلَاةُ ، وَأَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ : الصَّلَاةُ ، وَيَقُولُ اللهُ : أُنْظُرُوا فى صَلَاةِ عَبْدِى ، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِصَةً يَقُولُ : أُنْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِى مِنْ تَطَوُّعٍ ؟[1] ، فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ تَمَّتِ الْفَرِيضَةُ مِنَ التَّطَوُّعِ ، ثُمَّ قَالَ : أُنْظُرُوا : هَلْ زَكَاتُهُ تَامَّةٌ ؟ ، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَتْ نَاقِصَةً .قَالَ : أُنْظُرُوا هَلْ لَهُ صَدَقَةٌ ؟ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ تَمَّتْ لَهُ زَكَاتُهُ . رواه أبو يعلى .

٢٤ — وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ : مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ : عَلَى وُضُوئِهِنَّ ، وَرُكُوعِهِنَّ ، وَسُجُودِهِنَّ ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَآتَى[2] الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ . قِيلَ يَارَسُولَ[3] اللهِ : وَمَا أَدَاءُ الْأَمَانَةِ ؟ ، قَالَ : الْغُسْلُ[4] مِنَ الْجَنَابَةِ ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَىْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهَا . رواه الطبرانى بإسناد جيد .

العباد باذن الله جل جلاله . فالعروج : ذهاب فى صعود ، قال تعالى : (تعرج الملائكة والروح) وسميت ليلة المعراج لصعود الدعاء فيها إشارة إلى قوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) — وفيه المحافظة أيها المسلمون على صلاة الفجر ، وصلاة العصر جماعة .

حدثنى والدى رحمه الله أن الرجل لايعد صالحاً إلا إذا حافظ على هاتين الصلاتين فى إبان وقتهما ، وداوم مراراً ، على أن هذا العمل يجدد النشاط ، ويزيد فى القوة ، ويصحح الجسم ، وقيام الفجر يطيل العمر ، ويجلب البهاء والنضارة ، ويقوى الدورة الدموية ، ويزيل البلغم ويذهب الحزن ويدعو إلى الفرح ، وزيادة الرزق وطيب الكسب ، والبركة فى البكور .

(١) نافلة . (٢) فى نسخة : وأعطى ١٢٦ ع (٣) فى نسخة : يانبي الله ، والأمانة طمأنينة النفس على أداء الواجب عليها ، أو حفظه وصيانته ، وزوال الخوف من التقصير فى رعايته ، قال تعالى : (وتخونوا أماناتكم) أى ما ائتمنتم عليه ، وقوله تعالى : (إنا عرضنا الأمانة) قيل : هى كلمة التوحيد ، أو العدالة ، أو حروف التهجى ، أو العقل الذى يدرك به توحيد الله وطاعته .

(٤) لأن الغسل منها سر بينه وبين ربه وفتح النهى المصدر .

٢٥ – وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ رواه مالك وأبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

٢٦ – وفى رواية لأبى داود : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ ، وَصَلاَّهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ ، وَخُشُوعَهُنَّ[1] كَانَ لَهُ عَلَى[2] اللهِ عَهْدٌ[3] أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ عَلَى اللهِ عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ .

٢٧ – وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَجُلاَنِ أَخَوَانِ فَهَلَكَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَذُكِرَتْ فَضِيلَةُ الأَوَّلِ مِنْهُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ

أخى المسلم : قد رأيت أداء الأمانة موصلا إلى الجنة ، وسئل صلى الله عليه وسلم عنها،فقال عليه الصلاة والسلام: «الغسل من الجنابة» لعمرى تلك معجزة جديدة فى القرن العشرين . قائد الشرع سبر غور المسلمين ، وقدر بمخبار الحكمة، وسداد الرأى والفطنة،والفراسة حال المؤمنين بمراعاة الطهارة من الحدث الأكبر. كأن من يحافظ على الطهارة يكاد يكمل إيمانه،ويسهل عليه أداء واجب الله من ذكر وصلاة،ويقشعر قلبه من خشية الله ، وهو صالح للعبادة أنى شاء . أما الآن فلاحظت رجالا يذهبون إلى محال أعمالهم ، ويتبجحون أنهم جنب ولا يصلون ولا يصومون ، وهذا من التهاون ، وغفلة القلب عن الله التى جرت عليهم ارتكاب كثير من الموبقات وهم ساهون لاهون مغفلون لايدرون أن الدنيا زائلة وفيه جنة للصالحين ونار للفاسقين والعاصين(إن ربك لبالمرصاد) قال تعالى :

ا – (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون غير مبالين بها.إن الإنسان لايضمن أن يعيش ثانية من حياته فكيف يتجرأ ذلك الخائن ، ويستمر جنباً ردحا من الزمن والملائكة تسخط عليه وتذمه. لقد علمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا أتى الإنسان أهله ليلا،وأراد أن ينام يتوضأ خشية أن يموت ، فيقابل ربه طاهراً حتى مطلع الفجر، ثم يستيقظ فيغتسل،ويصلى الصبح . وفى حديث البخارى «كان صلى الله عليه وسلم يغسل فرجه ويتوضأ كما يتوضأ للصلاة».

ب – وقال تعالى: (وإن كنتم جنباً فاطهروا) أى فاغتسلوا .

(١) تفريغ القلب لإتمام أركان الصلاة وسننها . (٢) فى نسخة : عند ، فليس له عند الله .

(٣) قال فى غريب القرآن: العهد:حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال،وسمى الموثق الذى يلزم مراعاته عهداً، قال تعالى:(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) أى أوفوا بحفظ الإيمان قال الله :(لاينال عهدى الظالمين) أى لاأجعل عهدى لمن كان ظالما ، قال تعالى : (ومن أوفى بعهده من الله) اهـ ص ٣٥٦ .

صلي الله عليه وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ يَكُنِ الآخرُ مُسْلِماً ؟ قَالُوا بَلَى[1] وَكَانَ لاَ بَأْسَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : وَمَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلاَةِ كَمَثَلِ نَهَرٍ عَذْبٍ غَمْرٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَقْتَحِمُ[2] فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا تَرَوْنَ فِي ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ[3] ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ[4] . رواه مالك واللفظ له ، وأحمد بإسناد حسن ، والنسائي وابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال : عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال :

سَمِعْتُ سَعْداً وَنَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُونَ : كَانَ رَجُلاَنِ أَخَوَانِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلي الله عليه وسلم ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَفْضَلَ مِنَ الآخَرِ ، فَتُوُفِّيَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُهُمَا ، ثُمَّ عُمِّرَ الآخَرُ بَعْدُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلي الله عليه وسلم ، فَقَالَ : أَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي ؟ قَالُوا : بَلَي يَارَسُولَ اللهِ ، وَكَانَ لاَ بَأْسَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم : وَمَاذَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ . الحديث .

٢٨ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَجُلاَنِ مِنْ بَلِي حَيٌّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلي الله عليه وسلم فَاسْتُشْهِدَ أَحَدُهُمَا ، وَأُخِّرَ الآخَرُ سَنَةً . قالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ : فَرَأَيْتُ الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الشَّهِيدِ[5] فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ

---

(١) إنه مسلم . بلى يجاب بها عند النفي . (٢) يخوض : يجوز . (٣) وسخه .

(٤) أرى والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بزيادة درجات من عمر ، وعلو مركزه في الجنة من جراء كثرة ركعاته ، وثواب صلاته .

(٥) مد الله في عمر ذلك الأخ حتى صام رمضان ، وأدى الفروض كما يجب ، وأكثر من التهجد والنافلة والسنة ، فقبل الله عمله فأدخله الجنة قبل أخيه المجاهد في سبيل الله لنصر دين الله ، فأعجب أخي كما عجب سيدنا طلحة بن عبيد الله ! وقد أزال هذا العجب سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى أن الإخلاص لله في العبادة مهبط الرحمات . ويجلب الحسنات ، ومرضي الرحمن ، ولعل هذا من الصديقين الذين قدمهم الله تعالى في قوله : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) ٧٠ من سورة النساء . قال البيضاوي : قسمهم أربعة بحسب منازلهم في العلم والعمل ، وحث كافة الناس على ألا يتأخروا عنهم :

أولا : الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل : ثانيا : الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات ، وأخرى بمعارج التصفية والرياضيات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء ، وأخبروا عنها على ما هي عليها . ثالثاً : الشهداء : الذين أدى بهم الحرص على الطاعة ، والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله تعالى . رابعاً : الصالحون : الذين صرفوا أعمارهم في طاعته ، وأموالهم في مرضاته ، ولك أن تقول : المنعم عليهم هم العارفون بالله ، وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين

فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَوْ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ ، وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ ، وَكَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ سَنَةٍ . رواه أحمد بإسناد حسن ، ورواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ، كلهم عن طلحة بنحوه أطول منه ، وزاد ابن ماجه وابن حبان فى آخره : فلما بينهما أبعد من السماء والأرض .

٢٩ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : ثَلَاثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ(١) لَا يَجْعَلُ اللهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ(٢) فى الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ ، وَأَسْهُمُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ : الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ ، وَالزَّكَاةُ ، وَلَا يَتَوَلَّى(٣) اللهُ عَبْداً فى الدُّنْيَا فَيُوَلِّيهِ

درجة العيان ، أو واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والأولون: إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشى قريبا،وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أولا:فيكونون كمن يرى الشىء بعيداً،وهم الصديقون والآخرون: إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة،وهم العلماء الراسخون فى العلم الذين هم شهداء الله فى أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم ، وهم الصالحون . وحسن كل واحد منهم رفيقاً .

روى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما ، وقد تغير وجهه، ونحل جسمه، فسأله عن حاله فقال : مابى من وجع غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك،واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك،ثم ذكرت الآخرة ، فخفت أن لاأراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين ، وإن أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك ، وإن لم أدخل فذاك حين لاأراك أبداً ، فنزلت : (ذلك الفضل من الله) إشارة إلى ماللمطيعين من الأجر ، ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم — أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم — وهو عز شأنه خبير بجزاء من أطاعه — أو بمقادير الفضل ، واستحقاق أهله اهـ ص ١٤٤ . لقد زال العجب بفهم تفسير هذه الآية وذلك من حسن العبادة . هنيئاً لك ياثوبان تتمتع برؤية الحبيب صلى الله عليه وسلم، ثم يزيدك الإيمان تعلقاً بجوار منزلته فى الجنة . رب إنى أحب سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مدى الحب، فهل تتفضل على عبدك الخاضع الذليل الحقير أن تمن عليه بالرؤيا الصالحة لأتمتع بمشاهدة محياه ، ولأطفىء حرارة الشوق إلى جماله وكماله ومحامده ومحاسنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « من رآنى فقد رأى الحق فإن الشيطان لايتكونى » ويقول العارفون إن كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم سبب الرؤية مع الاستقامة .

(١) أقسم بالله بصدق وجودهن ، وصحة إدراكهن .

(٢) السهم فى الأصل واحد السهام التى يضرب بها فى الميسر وهى القداح، ثم يفوز به الفالج سهمه ، ثم كثر حتى سمى كل نصيب سهما ويجمع السهم على أسهم وسهام وسهمان ، ومنه حديث بريدة: خرج سهمك بالفلج والظفر . أى إن الله جل جلاله يعطى ثوابه الكثير لمن له نصيب فى أعمال الإسلام ، ويجعل المقصر والكسلان محروما من الأجر خاليا من الحسنات، وعد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أركان الإسلام ، فإن أخلص المسلم فى أدائها فاز ، وحظى بنعيم الله ورضوانه ، وإلا فياخيبته ، وياحسرته يوم توزع الأجور ، ويحاسب على الأعمال . (٣) يجعله عماده فى أعماله ، ووجهته فى حاجاته ، فيسأله ، ويستعين به ، ويخاف منه .

غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[١] وَلاَ يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إِلاَّ جَعَلَهُ اللهُ مَعَهُمْ[٢] ، وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لاَ إِثْمَ[٣] لاَ يَسْتُرُ اللهُ عَبْدًا فى الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه أحمد بإسناد جيد ، ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود .

٣٠ – وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِىِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلاَةُ . رواه الدارمىّ ، وفى إسناده أبو يحيى القتات .

٣١ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلاَةُ ، فَإِنْ صَلَحَتْ[٤] صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ ،

ويدعوه رغبا ورهبا ، ويخشى بأسه ، وله عليه السلطان ، والحول والطول دون سواه سبحانه ، والولاية تولى الأمر والنصرة ، قال تعالى .

ا ـ (الله ولى الذين آمنوا).ب ـ (إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين).ج ـ (والله ولى المؤمنين) . د ـ (واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير).هـ ـ (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) أى جعل للشيطان فى الدنيا على العصاة سلطانا .

(١) يطمئنه ربه وينعمه ويكرمه ، ولا يجعل لغيره رياسة عليه يتصرف فيه .

(٢) المرء مع من أحب يحشر فى زمرتهم . (٣) لاذنب،والمعنى : إذا تكرم الله بعدم فضيحةعبد خاضع ومطيع له ، سامحه وعفا عنه وستره فى المحشر . ومحبة المرء للمرء أن لايذكر قبائحه ويغض عن هفواته، ويدارى عوراته ، ولا يذيع شيئا من شؤونه الخاصة فى نفسه أو منزله فلكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة، ولكل إنسان زلة وفى إذاعتها تشهير وتسميع للمسلمين وإثارة للأحقاد والضغائن وهنا قال علماء الحديث : وليس مما يجب ستره والإغضاء عنه الجرائم التى تضر بالمجتمع كالسرقة ، والمؤامرة على الإجرام ، وقتل النفس وشهادة الزور . لايصح الإغضاء عنها بل يجب الأخذ على يد مرتكبيها تأديباً لهم ، وردعا لغيرهم قال تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يأولى الألباب لعلكم تتقون) .

(٤) أى أثمرت الاستقامة ودعت إلى التحلى بآداب الدين والتجمل بالكمالات ، والتخلى عن الرذائل وأرسلت أشعة الإحسان والخوف من الله جل وعلا فى قلب المصلى ، وحينئذ تشرق شمس القبول والإتقان ، ورضا الله فى سائر أعماله . الصلاة : جسر السعادة ، ومعين السيادة ، ونور الإيمان الذى ينبعث من فاعلها ، روى أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه ، فوصف له عليه الصلاة والسلام،فقال : إن صلاته ستنهاه ، فلم يلبث أن تاب ، ومصداق ذلك قوله تبارك وتعالى:(اتل ما أوحى إليك من الكتاب ، وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون) ٤٦ من سورة العنكبوت، يأمره الله تعالى أن يقرأ كتابه تقربا إليه وتحفظا لألفاظه ، واستكشافا لمعانيه . فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له أول ماقرع سمعه ، ولا تقبل صلاة عند البارئ جل وعلا إلا إذا غرست الهيبة والخشية، وكانت سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله ، وتورث النفس خشية منه جل وعلا(ولذكر الله أكبر) وللصلاة أكبر من سائر الطاعات لأنها العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات ، أو ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته ، والله الذى يجازيكم بعملكم أحسن المجازاة : « من لم تنهه صلاته

وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ . رواه الطبراني في الأوسط ، ولا بأس بإسناده إن شاء الله .

٣٢ ــ وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ يُنْظَرُ فِي صَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ[١] وَإِنْ فَسَدَتْ خَابَ[٢] وَخَسِرَ . رواه في الأوسط أيضاً .

٣٣ ــ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا إِيمَانَ[٣] لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهُورَ[٤] لَهُ ، وَلَا دِينَ[٥] لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وقال : تفرّد به الحسين بن الحكم الحبري .

٣٤ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أُمَّتِهِ : اكْفُلُوا[٦] لِي بِسِتٍّ أَكْفُلْ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ . قَالُوا :[٧] وَمَا هِيَ

فلا صلاة له » وعمله فاسد . وهنا درس لناس للذين يصلون ويخدعون الناس ويكذبون ويسرقون ويؤذون ويقطعون الرحم وهكذا إن صلاتهم تزيدهم خطايا وتحملهم ذنوبا للجراءة على الله ؟ والتهاون بالوقوف أمامه، وقلة الأدب مع الخالق الحليم الصبور المنتقم الجبار .

عجبا لك يا ابن آدم ؟ تقف أمام مخلوق ضعيف مثلك خائفا وجلا تجملا بأبهى الثياب، ويقشعر جسمك عند طلبه لك (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) .

(١) فاز بالجنة . (٢) ضاع عمله وخسر الدنيا والآخرة وعذب .

(٣) اعتقادا موصلا إلى الله جل وعلا ولا قول صدق وعمل صالح للخائن المجرم-قال في غريب القرآن: يراد بالإيمان: إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى : (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) اهـ .

(٤) وضوء وطهارة. (٥) في غريب القرآن والدين: يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة، والدين كالملة لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة قال: (إن الدين عند الله الإسلام. ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) أي طاعة وأخلصوا دينهم لله فالنبي صلى الله عليه وسلم نفى الخضوع لله والانقياد لأوامره عن تارك الصلاة وقد شبهها صلى الله عليه وسلم في الجسم بالرأس. وإذا عدم الرأس في الجسم ، كذلك تارك الصلاة خربت ذمته، وفسد عمله، وحبط ثوابه، وانتزعت البركة منه، وحاد عن الحق وأغضب الرب وأظلم قلبه ، وعميت بصيرته ، وغوى ونأى عن الصواب ، ومات ذكره في الناس .

(٦) اضمنوا ، والكفيل : الضامن، والكافل : الذي يكفل إنسانا يعوله . قال الله تعالى: (وكفلها زكريا)، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم في الجنة » .

(٧) في نسخة : قلت .

يَارَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الصَّلاةُ، وَالزَّكاةُ، وَالْأَمَانَةُ(١)، وَالْفَرْجُ(٢)، وَالْبَطْنُ(٣)، وَاللِّسَانُ(٤)، رواه الطبرانى فى الأوسط، وقال: لايُروى عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد.

[قال الحافظ]: ولا بأس بإسناده.

٣٥ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَسَأَلَهُ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: الصَّلاةُ. قالَ: ثُمَّ مَهْ(٥)؟ قالَ: ثُمَّ الصَّلاةُ. قال: ثُمَّ مَهْ؟ قالَ: ثُمَّ الصَّلاةُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. قالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قالَ: الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ، فذكر الحديث. رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه واللفظ له:

٣٦ - وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ. رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ولا علة له سوى وَهَمِ أبى بلال، ورواه ابن حبان فى صحيحه من غير طريق أبى بلال بنحوه، وتقدم هو وغيره فى المحافظة على الوضوء، ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث سلمة بن الأكوع، وقال فيه:

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاةُ.

٣٧ – وَعَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ: رُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ قالَ: وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، أَوْ قالَ: حَرُمَ(٦) عَلَى النَّارِ. رواه أحمد بإسناد جيد، ورواته رواة الصحيح.

٣٨ – وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلاةَ حَقٌّ مَكْتُوبٌ(٧) وَاجِبٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ. رواه أبو يعلى، وعبد الله بن الإمام أحمد على المسند، والحاكم، وصححه، وليس عنده ولا عند عبد الله لفظة «مكتوب».

---

(١) حفظ الوديعة وأداء ما ائتمنت عليه كما يرضى الله ورسوله. (٢) يحفظه من الزنا.
(٣) لايأكل حراما، ولا يدخله إلا حلالا. (٤) يحفظه من الغيبة والنميمة والكذب والسب، والشتم والدس وكل النقائص. (٥) اسم فعل بمعنى زدنى.
(٦) فى نسخة: حرام، بمعنى أن جسمه لايعذب أبدا. (٧) فرضه الله جل وعلا وأداها تامة كاملة.

[قال الحافظ] رضى الله تعالى عنه : وستأتى أحاديث أخر تنتظم فى سلك هذا الباب فى الزكاة والحج وغيرهما إن شاء الله تعالى .

الترغيب فى الصلاة مطلقاً ، وفضل الركوع والسجود والخشوع

١ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ ، أَوْ عَلَيْكَ . رواه مسلم وغيره ، وتقدم .

٢ — وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ فى الشِّتَاءِ ، وَالْوَرَقُ يَتَهَافَتُ[١] فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ شَجَرَةٍ . قَالَ : فَجَعَلَ ذَلِكَ الْوَرَقُ يَتَهَافَتُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ . قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ فَتَهَافَتُ[٢] عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَهَافَتَ هَذَا الْوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ . رواه أحمد بإسناد حسن .

٣ — وَعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ ، أَوْ قَالَ قُلْتُ : بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ ، فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ : سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[٣] ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ[٤] بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةً . رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

٤ — وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَمَحَا[٥] عَنْهُ بِهَا

---

(١) يتمايل يمنة ويسرة ، ويتساقط وفيه يتهافتون فى النار : أى يتساقطون من الهنت وهو السقوط قطعة قطعة .

(٢) مضارع حذف منه حرف المضارعة أى فتتهافت ، وهذا مثل فى توضيح فوائد الصلاة : إزالة الذنوب كما زال الورق الجاف من الشجرة الغضة المخضرة . (٣) فى نسخة زيادة : (لله) : أى الزم .

(٤) محا . وقد أمر سبحانه وتعالى بنى إسرائيل بكلمة : ((وقولوا حطة)) أى حط عنا أوزارنا ـ قيل لو قالوها حطت أوزارهم . (٥) أزال .

سَيِّئَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً فاسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّجُودِ[١] رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

٥ — وَعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاء . رواه مسلم .

٦ — وَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم نَهَارِى ، فَإِذَا كانَ اللَّيْلُ آوَيْتُ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَبِتُّ عِنْدَهُ فَلَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ يَقُولُ: سبحانَ اللهِ، سُبْحانَ اللهِ، سُبْحَانَ رَبِّى حَتَّى أَمَلَّ أَوْ تَغْلِبَنِى عَيْنِى فَأَنَامُ ، فَقَالَ يوماً يَارَبِيعَةُ : سَلْنِى فَأُعْطِيكَ ؟ فَقُلْتُ : أَنْظِرْنِى حَتَّى أَنْظُرَ ، وَتَذَكَّرْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ مُنْقَطِعَةٌ ، فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ أَسْئَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ أَنْ يُنَجِّيَنِى مِنَ النَّارِ ، وَيُدْخِلَنِى الْجَنَّةَ ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَمَرَكَ بِهٰذَا ؟ قُلْتُ مَا أَمَرَنِى بِهِ أَحَدٌ ، وَلٰكِنِّى عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ فَانِيَةٌ ، وَأَنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَكَانِ الَّذِى أَنْتَ مِنْهُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ لِى ، قالَ : إِنِّى فَاعِلٌ فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[٢] . رواه الطبرانى فى الكبير من رواية ابن إسحق واللفظ له ، ورواه مسلم وأبو داود مختصرا ، ولفظ مسلم قال :

---

(١) الصلاة لله تعالى . ينصح النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بأداء الفرائض ، وزيادة النافلة ، وكثرة التضرع الى الله جل وعلا ، ولن تجد أقرب مكان لإجابة الدعاء من السجود والخضوع إليه جل وعلا ، وإظهار التذلل ، والاحتياج للقادر العظيم .

(٢) المراد ـ والله أعلم ـ أن تكثر من الصلاة ، وتتذلل الى المولى ، عسى أن يجيب طلبك ويقيك شر النار . « فأعنى على نفسك » هذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لربيعة بن كعب رضى الله عنه . تأمل فيه أيها المسلم وافقه معناه ، وترو فى مغزاه : خادم أحسن الى سيده فى خدمته ، والمخدوم مثال الأدب وعنوان الكمال وخير من يكافئ ويجازى ، فيقول صلى الله عليه وسلم : «سلنى فأعطيك» فطلب الخادم دعوة صالحة فوزاً بالجنة ونجاة من النار . لماذا ؟ لأنه كما قال : «علمت أن الدنيا منقطعة فانية ، وأنت من الله بالمكان الذى أنت منه» شهادة طيبة ورجاء مجاب وإخلاص فى المحبة ، ولكن السيد المجتبى أرشده الى العناية فى إتمام صلاته والزيادة فيها ، والتغالى فى حسن أدائها لأن فيها سجودا وخشوعا لله ، وذلك آداب من آداب إجابة الدعاء .

ماذا تنتظر ياتارك الصلاة ؟ ألا تستحى أن تطلب من ربك شيئا وأنت تخالف أوامره وكتاب الله يتكرر فيه : (أقيموا الصلاة) ؟ انظر الى نعم الله عليك : صحة ، عينان ، أذنان ، رأس مفكر ، عقل ، حركة ؟ خيرات ، وهكذا : فماذا أعددت لشكر الله وحده ، والثناء عليه . قال الشاعر :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي : سَلْنِي ؟ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ[1] فِى الْجَنَّةِ . قَالَ : أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ ؟ قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ .

٧ - وَعَنْ أَبِي فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ[2] عَلَيْهِ ، وَأَعْمَلُهُ[3] ؟ قَالَ : عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلّٰهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً . رواه ابن ماجه بإسناد جيد ، ورواه أحمد مختصرا .

ولفظه قال : قَالَ لِي نَبِيُّ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : يَا أَبَا فَاطِمَةَ[4] : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَانِي فَأَكْثِرِ السُّجُودَ .

٨ - وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَا مِنْ حَالَةٍ يَكُونُ الْعَبْدُ عَلَيْهَا أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ أَنْ يَرَاهُ سَاجِدًا يُعَفِّرُ[5] وَجْهَهُ فِى التُّرَابِ رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال : تفرّد به عثمان .

[قال الحافظ] عثمان هذا هو ابن القاسم ذكره ابن حبان فى الثقات .

٩ - وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ . رواه الطبراني فى الأوسط .

---

(١) أطلب مصاحبتك والرفقة : الجماعة ترافقهم فى سفرك - وفى حديث الدعاء : « وألحقنى بالرفيق الأعلى » أى بالله تعالى - الرفيق جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين - ومنه قوله تعالى : (وحسن أولئك رفيقاً) الرفيق : المرافق فى الطريق - والله رفيق بعباده ، من الرفق والرأفة .

(٢) أجعله منهجا : أتبعه وأمشى على ضوئه . (٣) فى نسخة : وأعمل .

(٤) ينادى ذلك الصحابى الجليل الصالح، ويلزمه بكثرة الصلاة، نصيحة غالية، ليقرب مكانه فى الجنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة التقرب إلى الله بالصلاة . لماذا ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة عاملا بقول الله تبارك وتعالى: (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب من الشرك والطعن فى القرآن ، والاستهزاء به فيرشده الرحيم به إلى الصلاة، وعبادة الله حتى الموت فإنه متيقن لحاقه كل مخلوق حى ، والمعنى كما قال البيضاوى : دعبده مادمت حياً ، ولا تخل بالعبادة لحظة اهـ .

(٥) يضع الغبار بوضع جبهته على التراب، والعافر الوجه فى الصلاة: المترب وكذا المعفور . ومنه حديث أبى جهل : « هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم » يريد به سجوده على التراب اهـ نهاية .

١٠ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقَبْرٍ فَقَالَ : مَنْ صَاحِبُ هٰذَا الْقَبْرِ ؟ فَقَالُوا : فُلَانٌ ، فَقَالَ : رَكْعَتَانِ[١] أَحَبُّ إِلَى هٰذَا مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ . رواه الطبراني فى الأوسط بإسناد حسن.

١١ — وَعَنْ مُطَرِّفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَعَدْتُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَعَلَ يُصَلِّي ، وَيَرْفَعُ وَيَسْجُدُ ، وَلَا يَقْعُدُ ، فَقُلْتُ : وَاللهِ مَا أَرَى هٰذَا يَدْرِي يَنْصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ[٢] ، أَوْ عَلَى وِتْرٍ[٣] ، فَقَالُوا : أَلَا تَقُومُ إِلَيْهِ فَتَقُولَ لَهُ ؟ . قَالَ : فَقُمْتُ فَقُلْتُ لَهُ : يَا عَبْدَ اللهِ مَا أَرَاكَ تَدْرِي تَنْصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ ، أَوْ عَلَى وِتْرٍ ؟ قَالَ : وَلٰكِنَّ اللهَ يَدْرِي[٤] ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ سَجَدَ لِلّٰهِ سَجْدَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ، فَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَبُو ذَرٍّ فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَقُلْتُ : جَزَاكُمُ اللهُ مِنْ جُلَسَاءِ شَرًّا[٥] أَمَرْتُمُونِي أَنْ أُعَلِّمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

وَفِي رِوَايَةٍ: فَرَأَيْتُهُ يُطِيلُ الْقِيَامَ ، وَيُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ، فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ فَقَالَ : مَا آلَوْتُ أَنْ أُحْسِنَ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ رَكَعَ رَكْعَةً ، أَوْ سَجَدَ سَجْدَةً رَفَعَ اللهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً . رواه أحمد والبزار بنحوه ، وهو بمجموع طُرُقه حسن أو صحيح . ما آلوت : أى قصرت .

---

(١) خير مقصد يجلب الخير كله ثواب صلاة ركعتين يعود عليه بالنعيم فى قبره إشارة إلى أن الميت ينتفع بدعاء غيره . (٢) ثنتين . (٣) واحدة ، والمعنى أن أبا ذر رضى الله عنه يطيل الركوع والسجود حتى لايعلموا أيصلى ركعتين أم واحدة ؟ . (٤) يصلى لوجه الله وهو يعلم صلاته .

(٥) خشى مطرف شراً من سؤاله؟ وتوجس فى نفسه خيفة، فأنت ترى نفراً من قريش يشهد بحسن صلاة أبى ذر، وكثرة ركوعه وسجوده واطمئنانه ؟ وهو الصاحب المقرب ، ومع ذلك يصلى ركعات عديدة يحتار فى عددها الرائون . الله أكبر : كلما تقرب العبد إلى ربه ، سطع نور إيمانه ، وزاد يقينه ، وكثر خوفه منه جل وعلا واستكثر من الطاعات ، واستزاد من الخيرات ، وشعر برضوان حبيبه ، ولذة طاعته، واستلذ بذكره، ولذا يقول أبو ذر : (فى رواية) ما آلوت أن أحسن إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من ركع ركعة . . . . » أى ما أوليت تقصيرا بحسب الطاقة ، واجتهدت أن أحسن العمل بقوله صلى الله عليه وسلم . يقال ألوت فى الأمر : قصرت فيه هو منه كأنه رأى فيه الانتهاء ، ألوت فلاناً: أى أوليته تقصيراً نحو كسبته : أى أوليته كسباً ، وما ألوته جهداً : أى ما أوليته تقصيراً بحسب الجهد ، فقولك جهداً تمييز، وكذلك ما ألوته نصحاً اهـ غريب ص ٢٠ .

١٢ — وَعَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِى مَرَضِهِ الَّذِى قُبِضَ[1] فِيهِ ، فَقَالَ يَابْنَ أَخِي : مَا عَلِمْتَ[2] إِلَى هٰذِهِ الْبَلْدَةِ، أَوْ مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَا : إِلَّا صِلَةُ[3] مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ وَالِدِى : عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ ، فَقَالَ : بِئْسَ سَاعَةُ الْكَذِبِ هٰذِهِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، أَوْ أَرْبَعاً (يَشُكُّ سَهْلٌ) يُحْسِنُ[4] فِيهِنَّ الرُّكُوعَ وَالْخُشُوعَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ غُفِرَ لَهُ . رواه أحمد بإسناد حسن .

١٣ — وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ[5] ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو[6] فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . رواه أبو داود .

وَفِى رِوَايَةٍ عِنْدَهُ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ[7] وَبِوَجْهِهِ[8] عَلَيْهِمَا إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ .

١٤ — وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم خُدَّامَ أَنْفُسِنَا نَتَنَاوَبُ[9] الرِّعَايَةَ رِعَايَةَ إِبِلِنَا ، فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَرَوَّحْتُهَا[10] بِالْعَشِيِّ ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ النَّاسَ فَسَمِعْتُهُ يَوْماً يَقُولُ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ

---

(١) مات . (٢) فى نسخة، ما أعمالك ١٣٢ ع. أى أى شئ علمته فى هذه البلدة أو أى شئ أقدمك وشرفت . (٣) لاشئ جديد أحضرنى إلا مودة قديمة بينك وبين والدى رحمه الله. هنا درس ألفة ومحبة ووداد سيدنا يوسف يراعى عهد أبيه، وأصحاب أبيه يزورهم ويبرهم ويذكرهم مودة أبيه، وتجد أن أبا الدرداء هش وبش وآنسه ودعا له، وذم الكاذب ومدح الصادق وأرشد إلى قول خير البرية تذكرة ليوسف عسى أن يعمل ، فيلبس عليه ربه ستره ويغدق عليه نعمه ويبوء مغفوراً له .

وللحارث بن عباس السلمى رضى الله عنه :

أكرم خليل أبيك حيث لقيته ولقد عققت أباك إن لم تفعل

(٤) يتمم . (٥) فى نسخة: الوضوء . (٦) لايخطئ ولا يوسوس، ولا تحدثه نفسه بمشاغل الدنيا بل يخضع ويفكر فيما يقرأ ، ويتذكر جلال الله ، وأنه واقف بين يديه « أن تعبد الله كأنك تراه » إحسان.
(٧) يفرغ قلبه لإتمام القراءة، وأدائها على الوجه الأكمل ، ولا يجد الشيطان عليه سبيلا فى وساوسه .
(٨) يتجه للقبلة، ويبعد عن الحركات . (٩) يوزعون زمن الحفظ والرعاية فيأخذ كل قسطه وزمنه.
(١٠) فى نسخة : فروحناها ، أى أحضرناها إلى منازلنا وقت العشاء .

عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ ، فَقُلْتُ : بَخٍ بَخٍ(١) مَا أَجْوَدَ هٰذِهِ ! . رواه مسلم وأبو داود واللفظ له ، والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ، وهو بعض حديث ، ورواه الحاكم إلا أنه قال :

مَامِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ(٢) الْوُضُوءَ ، ثُمَّ يَقُومُ فِي صَلَاتِهِ فَيَعْلَمُ(٣) مَا يَقُولُ إِلاَّ انْفَتَلَ(٤) ، وَهُوَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . الحديث ، وقال صحيح الإسناد .

[أوجب] أى أتى بما يوجب له الجنة .

١٥ — وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ سُفْيَانَ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ غَزَوْا غَزْوَةَ السَّلَاسِلِ فَفَاتَهُمُ الْغَزْوُ فَرَابَطُوا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ أَبُو أَيُّوبَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، فَقَالَ عَاصِمٌ : يَا أَبَا أَيُّوبَ ، فَاتَنَا الْغَزْوُ الْعَامَ ، وَقَدْ أُخْبِرْنَا أَنَّهُ مَنْ صَلَّى فِي الْمَسَاجِدِ الْأَرْبَعَةِ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ ، فَقَالَ يَابْنَ أَخِي : أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَيْسَرَ مِنْ ذٰلِكَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ . غُفِرَ لَهُ مَاقَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ كَذٰلِكَ يَا عُقْبَةُ . قَالَ : نَعَمْ . رواه النسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، وتقدم فى الوضوء حديث عمرو بن عبسة ، وفى آخره :

فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلّٰهِ تَعَالَى إِلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . رواه مسلم ، وتقدم فى الباب قبله حديث عثمان ، وفيه :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وَسلم يَقُولُ:مَامِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً(٥) لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَالَمْ يُؤْتِ(٦) كَبِيرَةً، وَكَذٰلِكَ الدَّهْرَ(٧) كُلَّهُ . رواه مسلم ، وتقدم أيضاً حديث عبادة .

(١) كلمة تقال عند المدح والرضا بالشىء ، وتكرر للمبالغة ، وهى مبنية على السكون كبل ، فإن وصلت جررت ونونت . فقلت بخ بخ ، وربما شددت ، وبخبخت الرجل ، إذا قلت له ذلك ، ومعناه : تعظيم الأمر وتفخيمه اهـ نهاية .

(٢) يتوضأ وضوءا كاملا تاما . (٣) يفرغ قلبه وعقله وسمعه وبصره للصلاة ، ولا يفكر فى شىء غير أداء القراءة كاملة ، ويفهم معناها ، ويطمئن ويتئد . (٤) انتهى أمره نقيا ، من فتلت الحبل فتلا فانفتل ، وهو مافتلته بين أصابعك من خيط أو وسخ ، ويضرب به المثل فى الشىء الحقير ، وسمى مايكون فى شق النواة فتيلا لكونه على هيئته ، قال تعالى : (ولا يظلمون فتيلا) .

(٥) مزيلات . (٦) فى نسخة : مالم تؤت ، فعل مضارع مبنى للمجهول ، وكبيرة نائب فاعل ١٣٣ع .

(٧) يعنى أنه إذا حافظ على حسن أداء الصلوات فى أوقاتها غفر الله له الصغائر مدة عدم غشيان الكبائر وفعل الموبقات .

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ، وَسُجُودَهُنَّ، وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ(١) أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، ويأتى فى الباب بعده حديث أنس إن شاء الله.

---

(١) إن الله تعالى تفضل أن يطمئن عبده، ويشرح صدره بضمان غفرانه جل وعلا إذا حافظ على أداء الفرائض. قال تعالى: (ومن أوفى بعهده من الله؟).

الخلاصة: إن الصلاة ركن الدين وعماده المتين، وعنوان الاستقامة، ومثال الكمال، وباب التقوى، ومعين الإخلاص وشمس الهداية، وكواكب السعادة ونور الإيمان ومنبع العرفان ومجلبة الإحسان، ومظهر الإسلام، وهى تنق صحيفة المسلم من الذنوب كالمستحم فى نهر مراراً، وهى تزيل ما اقترفه الإنسان من الخطايا وتغسل أدران المعاصى، وتطفئ نار غضب الرب تبارك وتعالى، ومن حافظ عليها كما أمر الله أوصلته إلى درجة الصديقين، بل سبق نعيمه الشهداء والصالحين، وتتحات خطايا المصلى كما تقع أوراق الشجرة الذابلة البالية المصفرة غير النضرة الخضراء، وقد بشر صلى الله عليه وسلم بالجنة مدة اجتنابه الكبائر، والمحافظة على صلاة الفجر، نضارة، وصحة واستنشاق النسيم العليل، وذلك مايدعو إلى البهجة، وطول العمر، وزيادة الرزق، والاستظلال برحمة الله ورعايته طول يومه. هذا إلى أن الملائكة تورد أخبار صلاته إلى ربه كاملة تامة، مستوفاة الأجور، والصلاة مطهرة، وداعية إلى النظافة والطيب، وتجميل الهيئة وتكميلها، واتخاذ الزى الحسن، والدثار البديع، والشعار النظيف، ومن صلى جعل له مع الله سهماً ونصيباً فى المعاملة مع خالقه وقد أقسم صلى الله عليه وسلم أن الله يجعل له نصيباً من نعم الآخرة يوم القيامة، على أن الصلاة أول مايحاسب عليها العبد، وهى عنوان عمله الصالح أو الطالح لأنها أفضل الأعمال عند الله، وقد نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان: «عليك بكثرة السجود»، ونصح ربيعة بن كعب: «فأعنى على نفسك بكثرة السجود»، ونصح أبا فاطمة: «إذا أردت أن تلقانى فأكثر السجود»، وشاهد مطرف، ونفر من قريش صلاة أبى ذر وإتمام ركوعه وسجوده ابتغاء رفع الدرجات، وكذا نصح أبو الدرداء زائره يوسف رضى الله عنهما بحسن الوضوء والصلاة رجاء مغفرة الله.

ويخطب الناس صلى الله عليه وسلم ويدعو إلى صلاة ركعتين بوضوء حسن مفرغاً قلبه ووجهه لربه لينال المصلى الجنة، والصلاة كالجهاد فى سبيل الله تعالى: اللهم وفقنا وهب لنا السعادة.

أخى: هذا أبو ذر، وأبو الدرداء، وربيعة بن كعب، وأبو فاطمة يكثرون من الصلاة، وهم فى الدين الذروة، والقمة فى العمل الصالح، وقد نقل لنا رواة الأدب قلا من كثر أعمال أبى فاطمة، وغيضا من فيض خلاله الحميدة وصفاته المجيدة ومع ذلك يقول له السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إن أردت أن تلقانى فأكثر السجود» هؤلاء صحابة فضلاء، والإمام على رضى الله عنه مع جلالة قدره، وعظيم عمله يشكو من قلة الزاد ويخاف الله.

أريد أن أنقل لك بهذه المناسبة وصف الإمام على كرم الله وجهه الذى أجاد ضرار وصفه.

قال أبو على: وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنى العكلى عن الحرزى عن رجل من همدان قال: قال معاوية لضرار الصدائى: ياضرار، صف لى علياً رضى الله عنه؟ قال: اعفنى ياأمير المؤمنين. قال لتصفنه، قال: أما إذ لابد من وصفه، فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ماقصر، ومن الطعام ماخشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته

الترغيب فى الصلاة فى أول وقتها

١ – عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله

ولا نبتدئه لعظمته يعظم هل الدين ويحب المساكين لايطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا غرى غيرى ، إلى تعرضت أم إلى تشوقت ؟ هيهات هيهات. قد باينتك ثلاثا لارجعة فيها ، فعمرك قصير وخطرك حقير . آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق ». فبكى معاوية رحمه الله وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه ياضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها فى حجرها ص ١٥٠ ج ٢ . الأمالى .

الخشوع فى الصلاة

وفى إحياء الغزالى : كان على بن أبى طالب كرم الله وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل، ويتلون وجهه فقيل له: مالك ياأمير المؤمنين ؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . ويروى عن على بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله : ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم . ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال داود صلى الله عليه وسلم فى مناجاته : إلهى من يسكن بيتك، وممن تتقبل الصلاة ؟ فأوحى الله إليه: ياداود إنما يسكن بيتى، وأقبل الصلاة منه ـ من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات. من أجلى: يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم المصاب فذلك الذى يضىء نوره فى السموات كالشمس إن دعانى لبيته وإن سألنى أعطيته ، أجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرى وفى الظلمة نوراً وإنما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لاتيبس أنهارها ، ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته ، فقال : إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه ، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى. ثم أقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى . أظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف. وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص ثم لاأدرى أقبلت منى أم لا ؟ .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان فى تفكر أى تأمل خير من قيام ليلة والقلب ساه اهـ . ص ١٣٥ ج ١ .

اشتراط الخشوع وحضور القلب

قال صلى الله عليه وسلم: إنما الصلاة تمسكن وتواضع، وحضور القلب روح الصلاة. قال الغزالى: ونعنى به أن يفرغ القلب عن غير ماهو ملابس له ، ومتكلم به فيكون العلم بالفعل ، والقول مقرونا بهما ، ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما اهـ ، ويتبع ذلك التعظيم والهيبة والرجاء والحياء والخوف بمعنى أن المؤمن يكون معظما لله جل وعلا ، وخائفا منه وراجيا له ومستحيياً من تقصيره ولا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ، فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر من كل مايقرع السمع ، أو يظهر للبصر ؛ وترك الأمر الباطن من تشعب الهموم فى أودية الدنيا فيرد النفس قهرا إلى فهم مايقرؤه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ويتذكر الآخرة وموقف المناجاة ، وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وتعالى .

عَلَيْهِ وسلم : أَىُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تعالَى؟ قال: الصَّلاةُ[١] عَلَى وَقْتِهَا. قُلْتُ، ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ[٢] . قُلْتُ ، ثُمَّ أَيٌّ ، قَالَ : الْجِهَادُ[٣] فِى سَبِيلِ اللهِ قَالَ : حَدَّثَنِى بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِى. رواه البخارىّ ومسلم والترمذى والنسائى.

٢ — وَرُوِىَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِى عَبْدِ الْقَيْسِ يُقَالُ لَهُ عِيَاضٌ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ[٤] رَبِّكُمْ، وَصَلُّوا صَلاتَكُمْ فِى أَوَّلِ وَقْتِكُمْ فَإِنَّ اللهَ يُضَاعِفُ[٥] لَكُمْ . رواه الطبرانى فى الكبير .

٣ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْوَقْتُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّلَاةِ رِضْوَانُ[٦] اللهِ، وَالآخِرُ عَفْوُ اللهِ[٧]. رواه الترمذى والدارقطنىّ

٤ — وروى الدارقطنى أيضا من حديث إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبى محذورة عن أبيه عن جده قال : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللهِ ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللهِ ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

٥ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : فَضْلُ[٨] أَوَّلِ الْوَقْتِ عَلَى آخِرِهِ كَفَضْلِ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا ، رواه أبو منصور الديلمىّ فى مسند الفردوس .

٦ - وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَىُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ شُعْبَةُ : قَالَ : أَفْضَلُ الْعَمَلِ الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، وَالْجِهَادُ . رواه أحمد ، ورواته محتج بهم فى الصحيح .

٧ — وَعَنْ أُمِّ فَرْوَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ مِمَّنْ بَايَعَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) المحافظة على أداء الصلوات بتؤدة وجماعة. (٢) إكرام الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما وعدم إزعاجهما ؛ أو إساءتهما أو تكديرهما . (٣) بذل الهمة لنصر دين الله والدفاع عن الحق والنصيحة ومجاهدة النفس فى الطاعات والإغضاء عن الهفوات وأعلاء الحرب مع المسلمين لرد الأعداء عن صدمات الدين والذب عن حياضهم ، وإذالة الكيد عنهم . (٤) الإكثار من قراءة القرآن ، وتلاوة الأذكار والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل . (٥) يزيد أجوركم . (٦) سبب إحسانه ورحماته .

(٧) مسامحته وغفرانه . (٨) معناه : أن الثواب الكثير فى تأدية الفرض فى أول وقته ، وزيادة الحسنات تترى . أما الصلاة فى آخر الوقت فلا ثواب بل يؤدى الفرض فقط ، والدنيا لا فائدة فيها . وهى جسر الأعمال الصالحة .

قَالَتْ : سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا .
رواه أبو داود ، والترمذيّ ، وقال لايروى إلا من حديث عبد الله بن عمر العمرى ، وليس بالقوىّ عند أهل الحديث . واضطربوا فى هذا الحديث .

[قال الحافظ] رضى الله عنه : عبدالله هذا صدوق حسن الحديث فيه لِين . قال أحمد صالح الحديث لا بأس به ، وقال ابن معين : يكتب حديثه ، وقال ابن عدى : صدوق لا بأس به ، وضعّفه أبو حاتم ، وابن المدينىّ . وأمّ فروة هذه : هى أخت أبى بكر الصديق لأبيه ، ومن قال فيها : أم فروة الأنصارية فقد وهِم .

٨ — وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ(١) أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ
رواه مالك وأبو داود والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه .

٩ — وَرُوِيَ عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ سَبْعَةُ نَفَرٍ : أَرْبَعَةٌ مِنْ مَوَالِينَا(٢) ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ عُرْبِنَا(٣) مُسْنِدِي ظُهُورِنَا إِلَى مَسْجِدِهِ ، فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قُلْنَا : جَلَسْنَا نَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ ، قَالَ : فَأَرَمَّ(٤) قَلِيلًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ ؟ قُلْنَا : لَا ، قَالَ : فَإِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا ، وَحَافَظَ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا ، فَلَهُ

---

(١) ميثاق ، معناه أخذ من الله جل وعلا ضمانه ووعداً صادقا أن يعفو عنه ويزيل سيئاته . وتارك الصلاة مقصر فى حقوق الله وليست عنده كفالة ، ورعاية الرضوان من المنتقم الجبار الذى يحاسب على الصغيرة والكبيرة .

(٢) جمع مولى اسم يقع على جماعة كثيرة أى عبيدنا أو أصهارنا أو المعتقين أو أبناء العم أو الجيران أو الناصرين ، أو المحبين ـ والمولى الرب والمالك والسيد والمنعم ومكننا ، قال تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم) . (٣) تعرب واغترب فهو غريب جمع غرب بضمتين ، والجمع الغرباء : أى الأباعد ، واغترب فلان : إذا تزوج لغير أقاربه ، وفى الحديث « اغتربوا ولا تضووا » قال فى مختار الصحاح : أى تزوجوا فى الأجنبيات ولا تتزوجوا فى العمومة ، وذلك أن العرب تزعم أن ولد الرجل من قرابته يجىء ضاويا نحيفاً غير أنه يجىء كرعا على طبع قومه . الضوى : الهزال . اهـ فى نسخة عربنا ١٣٤ ع .

(٤) فى نسخة (فأزم) كما ترى قال فى النهاية فى حديث الصلاة أنه قال : « أيكم المتكلم فأزم القوم » أى أمسكوا عن الكلام كما يمسك الصائم عن الطعام ، ومنه سميت الحية أزما اهـ .

عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا لِوَقْتِهَا ، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَضَيَّعَهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا ، فَلَا عَهْدَ لَهُ عَلَيَّ ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ ، وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ[1] . رواه الطبراني فى الكبير والأوسط ، وأحمد بنحوه .

[أَرَمَّ] هو بفتح الراء وتشديد الميم : أى سكت .

١٠ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى أَصْحَابِهِ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ تَدْرُونَ[2] مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَهَا ثَلَاثًا ، قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يُصَلِّيهَا أَحَدٌ لِوَقْتِهَا ، إِلَّا أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ صَلَّاهَا بِغَيْرِ وَقْتِهَا ، إِنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ ، وَإِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ . رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن إن شاء الله تعالى .

١١ – وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ لِوَقْتِهَا ، وَأَسْبَغَ لَهَا وُضُوءَهَا، وَأَتَمَّ لَهَا قِيَامَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، خَرَجَتْ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ[3] تَقُولُ: حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي، وَمَنْ صَلَّاهَا لِغَيْرِ وَقْتِهَا ، وَلَمْ يُسْبِغْ لَهَا وُضُوءَهَا ، وَلَمْ يُتِمَّ لَهَا خُشُوعَهَا ، وَلَا رُكُوعَهَا، وَلَا سُجُودَهَا ، خَرَجَتْ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ، تَقُولُ: ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ[4] ، ثُمَّ ضُرِبَ[5] بِهَا وَجْهُهُ . رواه الطبرانى فى الأوسط ، وتقدم فى باب الصلوات الخمس حديث أبى الدرداء وغيره .

---

(١) عفوت عنه. ويل لك ياتارك الصلاة تعيش فى الدنيا وتكد وتتعب لتنال رغد الحياة وتسعى إلى مرضاة مخلوق مثلك وتتذبذب إلى قربه وتجيب طلبه والله تعالى يأمرك بالصلاة وجعلها ضمانة ونجاة لك من النار وأنت تهمل وتكسل وتتهاون فلا حول ولا قوة إلا بالله . (٢) هل تعلمون؟. يقص رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه حديثا قدسياً عن الرب تبارك وتعالى، ويقسم الرب جل وعلا بعظمته وجبروته إن الصلاة الكاملة وصلة للجنة ومفتاح للرحمة ودليل القبول ومجلب الرضا والخيرات (ومن أصدق من الله قيلا ؟) أى عذر لك أيها الملحد الزنديق الذى يتبجح فى ترك الصلاة ويقول . (الدين معاملة — وحسبي عدم إضرار أحد) نعم الدين المعاملة ، وهل تجد سعادة أكثر من حسن المعاملة مع الخالق جل وعلا ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ضمانة من غضب القهار الجبار الرقيب المجيب: تب إلى الله ياأخى ، وحافظ على الصلاة وقو العزيمة فى طاعة الله عسى أن تنجح وتربح .

(٣) أى بينة مضيئة ، ومنه حديث عمر : صلوا المغرب والفجاج مسفرة .

(٤) ملحفة خلق ، وثوب خلق : أى بال .

(٥) فى نسخة : يضرب ؛ أى ردت عليه أعماله فصفع بها وآلمته .

وأريد أن أنقل إليك شعر أبى العتاهية وتجاربه فى الحياة ، ولعل الصلاة تقلل من متاعب الدنيا وتؤنس

الترغيب فى صلاة الجماعة وما جاء فيمن خرج يريد الجماعة فوجد الناس قد صلوا

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَضْعُفُ(١) عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ ، وَفِي سُوقِهِ(٢) ، خَمْساً وَعِشْرِينَ

الإنسان فى قبره ، وتطرد عنه الوحشة ، وحسبك أنها العهد الذى يقيك سوءا ، قال المعرى : أخبرنى إسحق قال : رأيت أبا العتاهية واقفاً طرف المقابر ، وهو ينشد :

تنافس فى الدنيا ونحن نعيبها ... وقد حذرتناها لعمرى خطوبها
وما نحسب الأيام تنقص مدة ... بلى إنها فينا سريع دبيبها
كأنى برهطى يحملون جنازتى ... إلى حفرة يحثى عليها كثيبها
فكم ثم من مسترجع متوجع ... ونائحة يعلو على نحيبها
وباكية تبكى على وإننى ... لفى غفلة عن صوتها ما أجيبها
أيا هاذم اللذات مامنك مهرب ... تحاذر نفسى منك ماسيصيبها

ص ٧٠ نوادر الأمالى . هذا شاعر فى الدولة العباسية منذ مئات السنين عرف أن الدنيا فانية ، وعمادها صالح الأعمال .

الراكعون الساجدون صفتان للمؤمنين الذين ضمن الله لهم الجنة فى قوله تعالى :

ا ـ (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) ١١٤ من سورة التوبة. التائبون من أهل الجنة، وإن لم يجاهدوا والذين عبدوا الله مخلصين له الدين ، والشاكرون لنعمائه، والمثنون على الله فى السراء والضراء والصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم : « سياحة أمتى الصوم أو المجاهدون أو طالبو العلم » ، والناصحون : الداعون إلى الإيمان والطاعة والمنفرون من القبائح والمتبعون الحقائق والشرائع .

ب ـ قال الله تعالى : (وأقم الصلاة لذكرى) وقال تعالى :

ج ـ (ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى :

د ـ (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) . وقال صلى الله عليه وسلم للذى أوصاه : « وإذا صليت فصل صلاة مودع » أى مودع لنفسه مودع لهواه مودع إلى عمره، سائر إلى مولاه كما قال الله عز وجل :

هـ ـ (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال تعالى :

و ـ (واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) . وقال صلى الله عليه سلم: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » والصلاة مناجاة ، فكيف تكون مع الغفلة ، وقال تعالى :

ز ـ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٢٧٧ من سورة البقرة . قدم الله العمل الصالح ، ثم خص إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة لأنهما مقدمتا القبول وركناه — هذا عهد الله لايخافون من آت ، ولا يحزنون على مافات ، اللهم اجعلنا منهم تكرما .

(١) تزيد مراراً . (٢) محل البيع والشراء .

ضِعفاً، وَذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ[١]، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي[٢] عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ[٣]: اللَّهُمَّ صَلِّ[٤] عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ[٥] الصَّلَاةَ. رواه البخارى، واللفظ له، ومسلم، وأبو داود، والترمذىّ، وابن ماجه.

٢ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم قالَ: صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ[٦] بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً. رواه مالك والبخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى.

٣ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَداً[٧] مُسْلِماً فَلْيُحَافِظْ عَلَى هٰؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى[٨] بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم سُنَنَ الْهُدَى[٩] وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَي، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هٰذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ[١٠]، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هٰذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ

---

(١) منزلة، زاده رفعة وكمالا، وأزال عنه سيئة تفضلا وتكرما. قال النووى يختلف ذلك باختلاف أحوال المصلين والصلاة، فيكون لبعضهم خمس وعشرون، ولبعضهم سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة، ومحافظته على هيئاتها وخشوعها، وكثرة جماعتها، وفضلهم، وشرف البقعة. والمختار أن الجماعة فرض كفاية، وقيل سنة اهـ ص ١٥١ ج ٥.

(٢) تدعو له مدة وجوده فى مكان صلاته متطهرا. (٣) ينتقض وضوؤه.

(٤) أى ترحم وبارك، ومعنى اللهم صل على محمد: أى عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته وتضعيف أجره ومثوبته — وقيل: المعنى لما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالصلاة عليه، ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه على الله، وقلنا: اللهم صل أنت على محمد لأنك أعلم بما يليق به اهـ نهاية. ص ٢٧٣. (٥) مدة انتظاره للصلاة. (٦) الفرد: معناه ركعة جماعة تزيد فى ثواب أدائها عند الله بسبع وعشرين حسنة عن ركعة بلا جماعة، فمن أراد زيادة الحسنات ومضاعفة الأجور فى الركعات فعليه بالجماعات، وحذار أن يصلى وحده خشية أن يقل ثواب صلاته، ويتأخر عن كسب المحامد والفضائل. (٧) يوم القيامة، وعبر بغدا لأنه فى المستقبل، ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وليسرع المسلم بالتوبة، والطاعة والعمل الصالح لأنه قريب من الموت * والموت أدنى من شراك نعله *

(٨) يؤذن لهن، ويعين الوقت. (٩) طرائق الهدى والصواب.

(١٠) لحدتم عن الجادة وملتم عن الصواب.

بِهَا سَيِّئَةً ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا(١) إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى(٢) بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ .

وَفِي رِوَايَةٍ : لَقَدْ رَأَيْتُنَا ، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلاَّ مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ(٣) أَوْ مَرِيضٌ ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلَاةَ ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى ، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلَاةَ فى الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ . رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه .

[قوله يهادى بين الرجلين]: يعنى يرفد من جانبه ويؤخذ بعضده يمشى به إلى المسجد .

٤ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَضْلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فى الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً .

وَفِي رِوَايَةٍ : كُلُّهَا مِثْلُ صَلَاتِهِ فى بَيْتِهِ . رواه أحمد بإسناد حسن ، وأبو يعلى والبزار والطبرانى ، وابن خزيمة فى صحيحه بنحوه .

---

(١) فى نسخة : عن الصلاة ، والمنافق : الكذاب المذبذب الذى لايخشى الله ولا يرعى الحق، وليس له ضمير يحاسبه أو يؤنبه ، ولا يزجر نفسه عن غيها ، ويتقى ضرر الناس ، ولا يتقى عقاب الله ، وهو المرائى المحتال النصاب .

(٢) من شدة ضعفه يتساند على اثنين ويتحمل تعب الذهاب إلى المسجد حباً فى ثواب الله .

(٣) خروجه عن الشريعة من باب ودخوله فيها من باب، وعلى ذلك قوله تعالى: (إن المنافقين هم الفاسقون) والنفق : الطريق النافذ، والسرب فى الأرض النافذ فيه ، ومنه النفاق، وقد جعل الله المنافقين شرا من الكافرين فقال تعالى : (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما) ١٤٧ من سورة النساء . لعلك فهمت يا أخى أن ترك الصلاة نفاق مع الله الذى لاتخفى عليه خافية ، لأن المجرم الفاسق يحمد الله على نعمائه ، ويشكره على رخائه ، ويتحدث بخيرات الله عليه ، ولكنه عاص لايؤدى ما أمره الله .

اقرأ سيرة ساداتنا الأنبياء والمرسلين، والأولياء الصالحين تعرف مقدار تقربهم إلى ربهم بالطاعة، والصلاة عنوانها ، وقارن بين أبناء هذا العصر سنة ١٣٥٢ هـ تجد قوما مسلمين ولا يصلون ، وأخشى أن أولئك قد يصدق عليهم قوله تعالى : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) أى عقب الصالحين وجاء بعد المتقين عقب سوء تركوا الصلاة ، أو أخروها عن وقتها ومالوا إلى الشهوات ولبوا داعى الشيطان فشربوا الخمور وهتكوا العروض وفعلوا القبائح وانهمكوا فى المعاصى وحرموا من ضمان الله ، وأوعدهم ربهم شرا وانتظرهم ضررا :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لايعدم على الغى لائما

والآية تشمل الكفرة وغيرهم، ولكن الله تعالى استثنى (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً، جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا) ٦١ من سورة مريم .

٥ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَعْجَبُ[1] مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمْعِ رواه أحمد بإسناد حسن ، وكذلك رواه الطبرانى من حديث ابن عمر بإسناد حسن .

٦ — وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلَّاهَا مَعَ الْإِمَامِ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

٧ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي .

وَفِي رِوَايَةٍ : رَأَيْتُ رَبِّي[2] فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ . قُلْتُ: لَبَّيْكَ[3] رَبِّ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : هَلْ تَدْرِي[4] فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : لَا أَعْلَمُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ ، أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَوْ قَالَ : مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فِي الدَّرَجَاتِ ، وَالْكَفَّارَاتِ ، وَنَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ . وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ ، بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، فَقَالَ : إِذَا صَلَّيْتَ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً[5] فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ . قَالَ : وَالدَّرَجَاتُ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ . رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

---

(١) يرضى ويثيب ويعظم ذلك عنده . (٢) قال علماء التوحيد: تجوز رؤية الله تعالى فى المنام، وقد رآه جل جلاله الصالحون ، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وغيره ، ويراه تعالى بصورة لاتحد، ولا تكيف ولا تحصر ولا تقيد ... من (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

(٣) إجابة بعد إجابة ، وإسعادا بعد إسعاد . (٤) هل تعلم منافسة المقربين الأبرار أيهم يسبق بكتابة أفعال الخير المذكورة فى الحديث ؟ . (٥) بلاء ومحنة واختبار العباد بكثرة النعيم والترف وزهرة الدنيا ، والغفلة عن الله ، والميل إلى الدنايا .

[الملأ الأعلى] : هم الملائكة المقربون .

[والسبرات] : بفتح السين المهملة ، وسكون الباء الموحدة ، جمع سبرة ، وهى شدة البرد .

٨ ــ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَوْ يَعْلَمُ هٰذَا المُتَخَلِّفُ عَنِ الصَّلَاةِ فِى الجَمَاعَةِ مَالِهٰذَا المَاشِي إِلَيْهَا لَأَتَاهَا وَلَوْ حَبْوًا[1] عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . رواه الطبرانى فى حديث يأتى بتمامه فى ترك الجماعة إن شاء اللهُ تعالى .

٩ ــ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : مَنْ صَلَّي لِلهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَي كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ[2] : بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ . رواه الترمذى ، وقال : لا أعلم أحداً رفعه إلا ماروى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو .

[قال المُملى] رضى الله عنه : ومسلم وطعمة وبقية رواته ثقات ، وقد تكلمنا على هذا الحديث فى غير هذا الكتاب .

١٠ ــ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَنْ صَلَّي فِي مَسْجِدٍ جَمَاعَةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَاتَفُوتُهُ الرَّكْعَةُ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عِتْقاً مِنَ النَّارِ . رواه ابن ماجه واللفظ له ، والترمذى وقال نحو حديث أنس : يعنى المتقدم ، ولم يذكر لفظه ، وقال: هذا الحديث مرسل . يعنى أن عمارة ابن غزية الراوى عن أنس لم يدرك أنسا ، وذكره رُزَين العبدرى فى جامعه ، ولم أره فى شىء من الأصول التى جمعها ، والله أعلم .

---

(١) أى يمشى على يديه وركبتيه أو استه ، وحبا البعير : إذا برك ، ثم زحف من الإعياء ، وحبا الصبي : إذا زحف على استه .

(٢) جائزتان. أولا : العتق من النار والنجاة منها. ثانياً: السلامة من النفاق،والتذبذب فى آداب الدين وطهارة القلب لله ، والإقبال على طاعة الله بإخلاص ، ونور...يودع فى الصدر يستضىء به المؤمن، فيتخلى عن الرذائل ، ويترك صغائر الذنوب وكبيرها ولا تنس « يدرك التكبيرة الأولى » و (٤٠ يوما) شرطان لزيادة الإيمان والفوز بالجنة ، والرعاية تحت ضمان الله ، والتنقية من النفاق ، والإبعاد عن الدنيا ، وسفاسف الأمور وحقيرها ، وتمكن فى قلبه حب الفضائل ، واتباع الكتاب والسنة ، فتحيا الثقة بالله ، ويتجدد الاعتماد عليه ويهدأ باله ، ويطمئن روعه إلى قضاء الله وقدره . وتتفتح له الحكمة ويلهم الرشاد ويوفق للصواب . فعليك أخى بالمحافظة على صلاة الجماعة فى المسجد،وإدراك التكبيرة مع الإمام عسى أن يفتح الله علينا،ويرزقنا السعادة

١١ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ رَاحَ[١] فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صَلَّاهَا وَحَضَرَهَا لَا يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا . رواه أبو داود والنسائى والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، وتقدم فى باب المشى إلى المساجد حديث سعيد بن المسيب عن رجل من الأنصار قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ، فذكر الحديث ، وفيه :

فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى فِى جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ ، وَقَدْ صَلَّوْا بَعْضًا ، وَبَقِىَ بَعْضٌ صَلَّى مَا أَدْرَكَ ، وَأَتَمَّ مَا بَقِىَ كَانَ كَذَٰلِكَ ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّوْا فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ كَانَ كَذَٰلِكَ .

الترغيب فى كثرة الجماعة

١ — عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ : أَشَاهِدٌ[٢] فُلَانٌ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَشَاهِدٌ فُلَانٌ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ[٣] الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهَا ، وَلَوْ حَبْوًا[٤] عَلَى الرُّكَبِ ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لَابْتَدَرْتُمُوهُ ، وَإِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى[٥] مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَاتَهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ ، وَكُلُّ مَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . رواه أحمد وأبو داود والنسائى ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم ، وقد جزم يحيى ابن معين والذهلى بصحة هذا الحديث .

---

(١) أتى المسجد ليلا من راحت الماشية بالعشى تروح : أى رجعت وسرحت الماشية بالغداة من غدا يغدو ، ضد راح يروح ، ومنه : من غدا إلى المسجد أو راح : أى ذهب صباحا أو مساء ، فأنت ترى أنك تحضر جماعة المسجد وإن تأخرت فأتم مافاتك بعد أن تتبعهم ، وتنوى معهم . والله يتفضل فيساوى ثوابك بثوابهم وحسناتك بحسناتهم تكرما منه، وخزائنه لاتنفد ورحمته ترى. وحذار أن تكسل عن مشاهدة جماعة المسجد فتحرم من الخير الكثير والثواب الوفير . (٢) أحاضر ؟ .

(٣) إدراكهن صعب على من نقص إيمانه وضعف إسلامه واشتهر بين المسلمين بتزحزح العقيدة والحاده وتباعده عن اتباع الكتاب والسنة وتقصيره عن درك الثواب الجزيل وكسب المحامد والمحاسن والحسنات .

(٤) زاحفين : أى تحرصون على الحضور ولو أعياكم المشى فتزحفون .

(٥) أنقى وأطهر ؛ والجماعة من اثنين : إمام ومأموم أو أكثر .

٢ — وَعَنْ قُبَاثِ بْنِ أَشْيَمِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : صَلَاةُ الرَّجُلَيْنِ يَؤُمُّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ أَزْكَى(١) عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَاةِ أَرْبَعَةٍ تَتْرَى ، وَصَلَاةُ أَرْبَعَةٍ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَاةِ ثَمَانِيَةٍ تَتْرَى ، وَصَلَاةُ ثَمَانِيَةٍ يَؤُمُّهُمْ(٢) أَحَدُهُمْ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَاةِ مِائَةٍ تَتْرَى . رواه البزار والطبرانى بإسناد لا بأس به .

الترغيب فى الصلاة فى الفلاة

[قال الحافظ] رحمه الله : وقد ذهب بعض العلماء إلى تفضيلها على الصلاة فى الجماعة .

١ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الصَّلَاةُ فى الْجَمَاعَةِ(٣) تَعْدِلُ خَمْساً وَعِشْرِينَ صَلَاةً ، فَإِذَا صَلَّاهَا فى فَلَاةٍ(٤) فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً . رواه أبو داود ، وقال : قال عبد الواحد ابن زياد فى هذا الحديث :

صَلَاةُ الرَّجُلِ فى الْفَلَاةِ تُضَاعَفُ عَلَى صَلَاتِهِ فى الْجَمَاعَةِ . رواه الحاكم بلفظه وقال صحيح على شرطهما ، وَصَدْرُ الحديث عند البخارى وغيره ، ورواه ابن حبان فى صحيحه ، ولفظه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : صَلَاةُ الرَّجُلِ فى جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، فَإِنْ صَلَّاهَا بِأَرْضٍ قِيٍّ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا تُكْتَبُ صَلَاتُهُ بِخَمْسِينَ دَرَجَةً .

[القِيّ] بكسر القاف وتشديد الياء : هو الفلاة كما هو مفسر فى رواية أبى داود .

٢ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) أكثر ثوابا ، وأطهر وأطيب . (٢) فى نسخة : يؤم ، يصلى بهم جماعة .

(٣) ركعة جماعة تزيد فى الثواب على ركعة بلا جماعة خمسا وعشرين حسنة . (٤) مفازة ، والجمع فلى وفلوات . والمعنى أن الصلاة فى أرض منقطعة [عن الغوغاء والجلبة ، ومنعزلة عن الناس وفيها يتفرغ القلب لإتمام صلاته بخشوع يضاعف ثوابها عن أداء صلاة فى سوق أو فى وسط شاغل ولهو وحديث مشتت الفكر . يحث صلى الله عليه وسلم على الخلوة . وأرى أن هذا بقدر إقامة شعائر الله وإظهارها والإخلاص له فى الصلاة . بمعنى أنك تسمع النداء فتهرع إلى المسجد ، وتصلى الفرض مع الإمام ، وتدرك التكبيرة الأولى معه ثم تذهب إلى بيتك أو محل عملك وتصلى ماشاء الله بخشوع وانقطاع عن الناس وعزلة تامة وتحضر قلبك فى صلاتك لتنال الأجر المضاعف . كذا يضاعف الله لك أجر الصلاة إذا أقمتها ودعوت الناس إليها وهم غافلون عنها ، أو ذهبت إلى بلاد غير المسلمين فتصلى وتعلم الناس الإسلام ، وآدابه ، وأركانه .

مَامِنْ بُقْعَةٍ يُذْكَرُ اللهُ عَلَيْهَا بِصَلَاةٍ أَوْ بِذِكْرٍ إِلَّا اسْتَبْشَرَتْ بِذٰلِكَ إِلَى مُنْتَهَاهَا إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ ، وَفَخَرَتْ عَلَى مَاحَوْلَهَا مِنَ الْبِقَاعِ ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ إِلَّا تَزَخْرَفَتْ لَهُ الْأَرْضُ(١) . رواه أبو يعلى .

٣ – وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتَيَمَّمْ ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ ، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللهِ مَالَا يُرَى طَرَفَاهُ(٢) .

رواه عبد الرازق عن ابن التيمى عن أبيه عن أبي عثمان النهدىّ عن سلمان .

وتقدم حديث عقبة بن عامر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : يَعْجَبُ(٣) رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فى رَأْسِ شَظِيَّةٍ(٤) يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ ، وَيُصَلِّي فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أُنْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هٰذَا يُؤَذِّنُ ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ .

رواه أبو داود والنسائى . وتقدم فى الأذان .

---

(١) النبى صلى الله عليه وسلم يرغب فى الصلاة فى أى مكان : أى تستبشر به الأرض وتتزين وبتجلى عليه رضوان الله تعالى، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى، منها جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل» دين ثابت الأركان وقيم .. يحث على عبادة الله أين سار وأنى شاء، فلا يصح تأخير الصلاة حتى يعثر على مسجد . أريت صلاة النصارى ، وهى مقيدة فى كنائسهم ؟ وصلاة المسلمين فى أى بقعة بل إذا كانت فى خلوة أو صحراء ضاعف الله ثوابها بقدر إخلاص المصلى ونيته، وبعده عن الرياء. بل تفضل الله وجعل بدل الماء ترابا طهورا يتيمم به، ويرسل سبحانه وتعالى مأمومين من الملائكة وطائفة من جنوده تكون صفين ، قال تعالى : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) .

(٢) لايعلم مدى هذين الصفين ونهايتهما إلا الخالق جل وعلا، فأنت ترى الترغيب فى الصلاة فى الصحارى والحقول والمراعى وكل الجهات النائية عن المدينة والحاضرة رجاء أن يصلى المصلون ، وعليهم إتمام الركوع والسجود ، وباقى الأركان ويخلصون ، والله تعالى يضاعف لهم الأجر . أما تأخيرها فحرام وكبيرة .

(٣) يعظم ثواب هذا العمل عند ربك جل وعلا ، ويحيطه بالرحمة والغفران .

(٤) قطعة مرتفعة فى رأس الجبل – والشظية : الفلقة من العصا ونحوها والجمع الشظايا وهى من التشظى التشعب والتشقق .

رجل يبتعد عن الناس، وعن لهوهم والقيل والقال ويخدم ماشيته ويعيش من كسب طيب ويؤدى حقوق الله كما أمر الله، ومنها أن يؤذن إذا حان وقت الصلاة ويكبر الله ويثنى عليه ويدعو الناس إلى الفلاح والصلاة فيقول الله تعالى للملائكته «انظروا إلى عبدى» يرشدهم إلى جليل حكمته، ويشير إلى قوله تعالى :(وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) إن الملائكة تعجبوا من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يعصى الله فيها كما أخبرهم جل شأنه ، وإن ثمرة أعمال هذا الراعى غفران وجنة .

الترغيب فى صلاة العشاء والصبح خاصة فى جماعة
والترهيب من التأخر عنهما

١ ــ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فى جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ (١) ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فى جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ (٢) . رواه مالك ومسلم واللفظ له وأبو داود ، ولفظه مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فى جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فى جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ ، ورواه الترمذى كرواية أبى داود ، وقال : حديث حسن صحيح ، قال ابن خزيمة فى صحيحه : باب فضل صلاة العشاء والفجر فى جماعة وبيان : أَنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فى الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ فى الْجَمَاعَةِ ، وَأَنَّ فَضْلَهَا فى الْجَمَاعَةِ ضِعْفًا فَضْلِ الْعِشَاءِ فى الْجَمَاعَةِ . ثم ذكره بنحو لفظ مسلم ، ولفظ أبى داود والترمذى يدافع ماذهب إليه ، والله أعلم .

٢ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ (٣) عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا ،

---

(١) فى رواية ــ كان كقيام نصف ليلة ، والمعنى أن الذى يدرك الركعة الأولى مع إمام المسجد ، وصلى بتؤدة وختم الصلاة وسبح وحمد وكبر وصلى الوتر والسنن ثم قضى ليله فى مباح وطاعة أو نوم ليبكر إلى عمله فكأنه استيقظ من نومه وعبد الله نصف ليله وله ثواب المتهجد القائم ، وفضل الله لاحدله وخزائنه لاتنفد.

(٢) كذلك إذا صلى الفجر جماعة مع إمام المسجد. وجلس على طهارة يسبح الله حتى تطلع الشمس أعطاه الله ثواب من قام الليل كله يتهجد ويذكر ويسبح ــ وفيه الترغيب فى إدراك جماعة العشاء والفجر والذهاب إلى المسجد إلى أدائهما . أخى إذا أردت أن تتقرب إلى الله ،فعليك بالمحافظة على صلاتهما ،واحذر أن تطيل السهر وتداوم على كثرة السمر فى غضب الله واللهو ، وما تأخر العالم الإسلامى إلا بالمسامرة ،وغشيان المقاهى والسوق ومشاهدة أمكنة الخيالة الضارة بالأخلاق الساحرة عقول الشباب ، ولا ينامون إلا إذ فات نصف الليل أو أكثر وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح « نم مبكراً وقم مبكراً » ولذا حث صلى الله عليه وسلم على المواظبة على هذين الوقتين .

(٣) فى نسخة : أثقل الصلاة ، والمعنى أصعبها وأشدها على النفوس لأن وقت الذهاب إلى أدائهما متلم ويأخذ المصلى فى النوم ، وهو حلو لذيذ المذاق مريح النفس : ولا يشعر بهذا الألم والثقل إلا الذين قل إيمانهم وضعف إسلامهم ، وتذبذبت عقيدتهم .

وَلَوْ حَبْوًا[١] ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا[٢] فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ . رواه البخارى ومسلم .

٣ — وَفِى رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَدَ نَاسًا فى بَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أُخَالِفَ[٣] إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ[٤] عَنْهَا فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا ، يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ ، وفى بعض روايات الإمام أحمد لهذا الحديث :

لَوْلَا مَا فى الْبُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ أَقَمْتُ صَلَاةَ الْعِشَاءِ ، وَأَمَرْتُ فِتْيَانِى يُحَرِّقُونَ مَا فى الْبُيُوتِ بِالنَّارِ .

٤ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فى الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ[٥] . رواه الطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه .

٥ — وَعَنْ رَجُلٍ مِنَ النَّخَعِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

---

(١) الحبو : حبو الصبي الصغير على يديه ورجليه ، معناه : لو يعلمون مافيهما من الفضل والخير ، ثم لم يستطيعوا الإتيان إليهما إلا حبوا لحبوا إليهما ، ولم يفوتوا جماعتهما فى المسجد ـ ففيه الحث البليغ على حضورهما اهـ نووى ص ١٥٤ ج ٥ .

(٢) قال النووى فيه أن الإمام إذا عرض له شغل يستخلف من يصلى بالناس وإنما هم بإتيانهم بعد إقامة الصلاة لأن بذلك الوقت يتحقق مخالفتهم وتخلفهم فيتوجه اللوم عليهم ، وفيه جواز الانصراف بعد إقامة الصلاة لعذر اهـ .

(٣) أذهب إليهم ،وأجمع العلماء على منع العقوبة بالتحريق فى غير المتخلف عن الصلاة،والغال من الغنيمة واختلاف السلف والجمهور على منع تحريق متاعهما ـ أدب جم يارسول الله ، أنت الملك المسيطر فى عصرك ، والإمام المطاع وتحلم على المنافقين وتصبر على العاصين وتشرع فى عقابهم وتسامح لله وتصفح لله وتغضب لله ـ فياتاركى الصلاة إن لم تصلوا الآن ، فتلكم مثل المنافقين مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ينفعكم إسلامكم الناقص هذا الركن . (٤) قال النووى : إن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين، وسياق الحديث يقتضيه فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى مسجده ولأنه لم يحرق . بل هم به ثم تركه اهـ .

(٥) يتحدث ابن عمر رضى الله عنهما عن نقصان إيمان المتخلف عن المواظبة على صلاتى الفجر والعشاء جماعة وتزول الثقة منه ويحاط بالشكوك ، وعدم الأمانة ويخشى من ظلمه وتعديه ، ولا يؤمن ، ولا يصاحب ولا يساعد ، ويظن به شرا .

صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : أُعبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ(١) ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ وَأُعْدُدْ نفسَكَ فى المَوْتَى(٢) ، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُسْتَجَابُ ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَشْهَدَ الصَّلاَتَيْنِ : الْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ وَلَوْ حَبْوًا فَلْيَفْعَلْ . رواه الطبرانىّ فى الكبير .

وَسَمّى الرَّجُلَ الْمُبْهَمَ جَابِراً ، وَلاَ يَحْضُرُنِى حَالُهُ .

٦ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ صَلَّي الْعِشَاءَ فى جَمَاعَةٍ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ(٣) مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ . رواه الطبرانى فى الكبير .

٧ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى فى مَسْجِدٍ جَمَاعَةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لاَ تَفُوتُهُ(٤) الرَّكْعَةُ الْأُولَى مِنْ صَلاَةِ الْعِشَاءِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عِتْقًا مِنَ النَّارِ(٥) . رواه ابن ماجه من رواية إسماعيل عن عُمارة ابن غَزِيَّة عن أنس بن مالك عن عمر ، وأشار إليه الترمذى ولم يذكر لفظه ، وقال : هو حديث مرسل ، يعنى أن عُمارة بن غَزِيَّة ، وهو المازنى المدنى لم يدرك أنساً .

٨ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ(٦) ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّي يُصَلِّيَ الْفَجْرَ كُتِبَتْ صَلاَتُهُ يَوْمَئِذٍ فى صَلاَةِ الْأَبْرَارِ(٧) وَكُتِبَ فى وَفْدِ(٨) الرَّحْمٰنِ(٩) . رواه الطبرانىّ عن القاسم أبى عبد الرحمن عن أبى أمامة .

---

(١) تصور جلاله وعظمته ومراقبته . (٢) أى انتظر الموت فى كل وقت فأحسن واعمل صالحا ولا تظلم وخف من المظلوم أن يدعو عليك ، فيغضب ربك ، وينتقم منك .

(٣) بنصيبه ، معناه : الذى أدرك جماعة العشاء عظم ثوابه وزاد أجره وكثرت حسناته ونال شيئاً من رحمة الله ورضوانه . لماذا ؟ لأن وقت العشاء وقت ظلمة وأكل ولهو ، فمن ترك ملذاته ،وذهب إلى أداء حق الله فى المسجد جماعة قبل الله عمله وأجاب دعاءه ورضى عنه وتجلى عليه ببركاته .

(٤) لايتأخر عن إدراك زمن الركعة الأولى مع الإمام .

(٥) المحافظة على الجماعة فى هذه المدة تجعل له براءة ونجاة من جهنم والعياذ بالله . يعنى أن قلبه يطمئن للإيمان ويسعى لمرضاة الخالق جل وعلا ويعمل صالحا ويهتدى ويجتنب كل المحارم ويستقيم .

(٦) لافرق بين أن يتوضأ فى بيته إذا أمكن ، أو يتوضأ فى مكان الوضوء من المسجد ، والمعنى من تطهر وتوضأ ، واستعد للوقوف بين يدى الخالق القادر جل وعلا .

(٧) جمع بر : للأولياء والزهاد والعباد قال تعالى : (إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) .

(٨) قادمين وافدين عليه تعالى كما يفد الوفاد على الملوك متضرعين لكرامتهم وإنعامهم .

(٩) ربهم الذى غمرهم برحمته ونعمه ، قال تعالى: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا، ونسوق المجرمين

٩ — وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ : أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ ؟ قالوا : لاَ قالَ : أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ ؟ قالوا : لاَ . قَالَ : إِنَّهَا تَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَافِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهُمَا[1] وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرُّكَبِ ، الحديث . رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وتقدم بتمامه في كثرة الجماعة .

١٠ — وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فى جَمَاعَةٍ فَهُوَ فى ذِمَّةِ اللهِ تَعَالَى[2] . رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

١١ — ورواه أيضاً من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَزَادَ فِيهِ : فَلاَ تُخْفِرُوا[3] اللهَ فى عَهْدِهِ ، فَمَنْ قَتَلَهُ طَلَبَهُ[4] اللهُ حَتَّى يَكُبَّهُ فى النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ . رواه مسلم من حديث جندب ، وتقدم فى الصلوات الخمس .

[يقال] أخفرت الرجل بالخاء المعجمة : إذا نقضت عهده .

١٢ — وَرُوِىَ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ غَدَا[5] إِلَى صَلاَةِ الصُّبْحِ غَدَا بِرَايَةِ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ غَدَا[6] إِلَى السُّوقِ غَدَا بِرَايَةِ الشَّيْطَانِ . رواه ابن ماجه .

إلى جهنم وردا ، لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) ٨٧ من سورة مريم . ألا تحب يا أخى أن تكون ضيف الله الكريم الجليل . إن ثمن ذلك صلاة ركعتين قبل الفجر ، كما قال صلى الله عليه وسلم فلماذا تتأخر أيها المسلم ؟ جدد عزيمتك على المحافظة عليهما: إن الإنسان فى خطأ كبير يكد ويكدح وينصب فى إدراك شىء من الدنيا،وهو فان زائل،ولكن العمل الصالح يبقى أثره فى الدنيا والآخرة . والله تعالى يسوق المقصرين الفاسقين إلى جهنم كما تساق البهائم عطاشا،وتاركو الصلاة فى حيرة،وعذاب لاشفيع لهم، وهل فهمت الاستثناء (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال البيضاوى، إلا من تحلى بما يستعد به ، ويستأهل أن يشفع للعصاة من الإيمان ،والعمل الصالح على ماوعد الله تعالى — أو إلا من اتخذ من الله إذنا فيها لقوله تعالى: (لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) — وقيل : الضمير :للمجرمين أى لايملكون الشفاعة فيهم إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالإسلام اهـ ص ٤٣٩ .

(١) فى نسخة : لأتوهما . (٢) ضمان الله وعهده ورحمته ورعايته . (٣) تخونوا وتقصروا .

(٤) فى نسخة : قتله طالبه . (٥) ذهب صباحا يظله لواء الإيمان ، وترفرف عليه شارة القبول والرضوان وشرح الله صدره ، وبارك فى عمله يومه كله، وأمده بحفظه ورعايته ،وأحاطه بسياج عدله وحكمته ورشده .

(٦) ذهب صباحا إلى محل البيع والشراء،وترك أداء الصبح استظله الشيطان بالغواية والضلال والإضلال.

١٣ — وَرُوِيَ عَنْ مَيْثَمٍ : رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: بَلَغَنِي أَنَّ المَلَكَ(١) يَغْدُو بِرَايَتِهِ مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو إِلَى المَسْجِدِ فَلَا يَزَالُ بِهَا مَعَهُ حَتَّى يَرْجِعَ فَيَدْخُلَ بِهَا مَنْزِلَهُ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَغْدُو بِرَايَتِهِ(٢) إِلَى السُّوقِ مَعَ أَوَّلِ مَنْ يَغْدُو فَلَا يَزَالُ بِهَا مَعَهُ حَتَّى يَرْجِعَ فَيُدْخِلَهَا مَنْزِلَهُ . رواه ابن أبى عاصم ، وأبو نعيم فى معرفة الصحابة وغيرها

١٤ — وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَدَ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي حَثْمَةَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ ، وَإِنَّ عُمَرَ غَدَا(٣) إِلَى السُّوقِ ، وَمَسْكَنُ سُلَيْمَانَ بَيْنَ المَسْجِدِ وَالسُّوقِ ، فَمَرَّ عَلَى الشِّفَاءِ أُمِّ سُلَيْمَانَ ، فَقَالَ لَهَا : لَمْ أَرَ سُلَيْمَانَ فِي الصُّبْحِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ بَاتَ يُصَلِّي(٤) فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ . قَالَ عُمَرُ لَهُ : لَأَنْ أَشْهَدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً . رواه مالك .

١٥ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى المَسَاجِدِ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِنُورٍ يَوْمَ القِيَامَةِ(٦) . رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن ، ولابن حبان فى صحيحه نحوه .

وسلط عليه مشاغل الدنيا ولم يبارك له فى رزقه ، وتوجهت إليه وساوس الأفكار والهموم والأكدار ورجع بخيبة المحروم من ثواب الله ، وربما مات فحشر فى زمرة العاصين . ياتارك الصلاة . أى شىء تختار ؟ أتنتسب لله أو للشيطان ؟ اذهب إلى أداء الصبح ثم استقبل عملك محفوفا بعناية الله وإلا ذهبت تحت تأثير الشيطان ، قال الله تعالى يحكى عن الشيطان : (قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قال هذا صراط على مستقيم ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين) ٤٣ من سورة الحجر . أخى : افقه هذه الآية ، وكن من المحافظين على صلاة الصبح تنجح وتربح وتكرم .

(١) ملك الرحمة والسعادة . (٢) إشارة الإجرام والفسق .

(٣) ذهب صباحا . (٤) يتهجد ويسبح ويذكر ، وقضى ليله فى طاعة ثم نام .

(٥) سيدنا عمر عجب من تأخير سيدنا سليمان عن صلاة الصبح لأن النوم غلبه ، ففاتته صلاة الصبح فقال سيدنا عمر يرغب فى المحافظة عليها : إدراك صلاة الصبح فى وقتها تكسب حسنات وترفع درجات ، وتلك أحب إلى من التهجد ليلة أعقبها نوم فوت أداء المكتوبة . فانظر يامن تنام؟ حتى تشرق الشمس . رجل عكف على عبادة ربه طول ليله ، ولكن فى آخره جاءه النوم كرها ، فضيع صلاة الصبح ، فمر عليه أمير المؤمنين ، وأنكر عمله ، وإن كان النوم عذراً قاهراً واختار الصبح عن تهجده فيته ثواب إدراكها هل لك أن تتوب يامن تصل الصبح قضاء ، وتشمر عن ساعد الجد ، وتستيقظ مبكراً ليتسع رزقك ويتجدد نشاطك وتتقن عملك ، وتدبر دقة أشغالك بهمة وقت العشاء والفجر .

(٦) يخلق الله تعالى فى جبهته نوراً يضىء كالقمر ليلة البدر تمييزاً له من أولئك الغافلين الذين تكاسلوا

١٦ — وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه، والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وتقدم مع غيره.

الترهيب من ترك حضور الجماعة لغير عذر

١ — عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ[1] فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنِ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ. قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ، أَوْ مَرَضٌ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى[2]. رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه بنحوه.

٢ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ[3] إِلَّا مِنْ عُذْرٍ. رواه القاسم بن أصبغ فى كتابه، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

٣ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ[4]، وَلَا بَدْوٍ[5] لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ

وفرطوا فى جماعة المسجد فى العشاء والفجر، وقد علمت أن أصابيهم تضىء أمامهم ضوءاً متألقاً، لأنهم كانوا يمشون لله فى الغلس (ظلمة آخر الليل) وفى العتمة (وقت صلاة العشاء) والنور الضوء المنتشر الذى يعين على الإبصار، قال تعالى: (ويجعل لكم نوراً تمشون به) وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حيث إنه هو المنور قال الله تعالى: (الله نور السموات والأرض) ومن النور الإلهى قوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال تعالى (وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) :وقال تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) اقرأ هذه الآيات واتق الله أيها المسلم، واحذر أن يضيع منك ثواب جماعة العشاء والصبح ليحفظ الله عينيك فى الدنيا ويقوى جسمك، وتنال توفيق الله وهدايته دنيا وأخرى.

(١) الأذان. (٢) أداها بعد ذلك، وفيه الترهيب من عدم إدراك الجماعة مع الإمام فى المسجد إذا سمعت الأذان يعنى أن الصلاة تكون ناقصة الثواب فى غير المسجد قليلة الخشوع كثيرة الأخطاء محوطة بالوساوس فيردها الله جل وعلا على صاحبها المهمل الذى لم ينهض لأدائها تامة كاملة، فعليكم سادتى بجماعة المسجد ولبوا داعى الله تنجحوا. اتركوا أعمالكم، وأدوا فرض الله فى المسجد، ثم أقبلوا عليها فرحين مسرورين يبارك الله فى أرزاقكم، وفى أولادكم. (٣) فلا صلاة كاملة له عند ربه، وضيع الخير كله ونسى ربه والخشوع إليه، ولم يجب «حى على الفلاح». (٤) قطعة من أرض آهلة بالسكان بعيدة عن العمران.

(٥) البادية، وفى الحديث «من بدا جفا» أى من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب، أى فى مدينة أو ريف، أو صحراء.

أَسْتَحْوَذَ[1] عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ[2] . رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم ، وزاد رزين في جامعه :

وَإِنَّ ذِئْبَ الْإِنْسَانِ الشَّيْطَانُ إِذَا خَلَا بِهِ أَكَلَهُ .

وتقدم حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَفِيهِ : وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِى بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ ، الحديث ، رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

٤ — وفى رواية لأبي داود : وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَكَفَرْتُمْ . وتقدم حديث أبي أمامة فى المعنى مرفوعاً .

٥ — وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: الجفاء كُلُّ الجَفَاءِ ، وَالْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ : مَنْ سَمِعَ مُنَادِىَ اللهِ يُنَادِى إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يُجِيبُهُ . رواه أحمد والطبراني من رواية زبان بن فائد .

٦ — وفى رواية للطبراني : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : بِحَسْبِ[3] الْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّقَاءِ وَالْخَيْبَةِ أَنْ يَسْمَعَ الْمُؤَذِّنَ يُثَوِّبُ بِالصَّلَاةِ فَلَا يُجِيبُهُ .

[التثويب] هاهنا : اسم لإقامة الصلاة .

---

(١) ملكهم واستاقهم مستولياً عليهم قال تعالى : (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) ١٩ من سورة المجادلة . استولى على الفاسقين الشيطان . لماذا؟ لأنهم لا يذكرون الله بقلوبهم ، ولا بألسنتهم ، وفوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد ، وعرضوها للعذاب المخلد .

(٢) البعيدة عن صفوف صاحباتها . يدعو صلى الله عليه وسلم إلى ملازمة الجماعة والحرص على ثوابها فى المسجد ، ويحث على الاتحاد ، وصفاء القلوب ، والميل إلى اجتماع الخير والتضامن فى البر ، والعطف والائتلاف والتشاور والوداد ، وغرس المحبة فى أفئدة المسلمين ، ويحذر من اتباع الشيطان وغوايته ، فمن دنا منه أهلكه ومن أطاعه ضيعه ، وساقه إلى النار والخسران والضلال .

ياعجبا ! يخبر صلى الله عليه وسلم بثلاث صفات تلحق سامع الأذان ولا يجيبه :

أولا : الجفاء خشونة المعاملة ، القسوة والغلظة والفظاظة ، ورداءة الرأى ، وسوء القول ، والسخط . وعلامة الغضب . ثانياً : الجحود ، وعدم شكر النعم ، وإنكار الخير ، وعصيان المنعم ، ومحاربة المتفضل . وعدم إثمار المعروف ، وخوف الناس من التقرب إليه « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ثالثاً : عدم الثبات على عمل والشهرة بالرياء ، والنفاق والخداع .

(٣) يكتفى المصدق بوجود الله من التعب والحرمان والنصب سماع المنادى للصلاة ، ويقيمها ولا يحضر جماعتها

٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ فِتْيَتِي فَيَجْمَعُوا لِي حُزَماً مِنْ حَطَبٍ ، ثُمَّ آتِيَ قَوْماً يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيْسَتْ بِهِمْ عِلَّةٌ[1] فَأُحَرِّقَهَا عَلَيْهِمْ ، فَقِيلَ لِيَزِيدَ : هُوَ ابْنُ الْأَصَمِّ ، الْجُمُعَةَ عَنَى أَوْ غَيْرَهَا . قَالَ : صُمَّتَا أُذُنَايَ إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَأْثُرُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَمْ يَذْكُرْ جُمُعَةً وَلَا غَيْرَهَا . رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذى مختصراً .

٨ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ : أَنَا ضَرِيرٌ[2] شَاسِعُ[3] الدَّارِ ، وَلِي قَائِدٌ[4] لَا يُلَايِمُنِي ، فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً[5] أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ؟ قَالَ : أَتَسْمَعُ النِّدَاءَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً[6] . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم .

٩ — وفى رواية لأحمد عنه أيضاً أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَأَى فِي الْقَوْمِ رِقَّةً[7] فَقَالَ : إِنِّي لَأَهُمُّ أَنْ أَجْعَلَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ، ثُمَّ أَخْرُجَ فَلَا أَقْدِرُ عَلَى إِنْسَانٍ يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا أَحْرَقْتُهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ : يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ نَخْلاً وَشَجَراً ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى قَائِدٍ كُلَّ سَاعَةٍ أَيَسَعُنِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي . قَالَ : أَتَسْمَعُ الْإِقَامَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَأْتِهَا ، وإسناد هذه جيد .

وفيه ويل لمن سمع الإقامة ولم يدركها . بل وحسرة وسخط له .

(١) عذر يمنعهم من الحضور للجماعة . سواء أكانت الصلاة جمعة ، أو غيرها . (٢) فاقد البصر

(٣) بعيد الدار عن المسجد .

(٤) مرشد لا يرفق بى ، ولا يقودنى بسهولة ، ولا يتبع رأيى . (٥) إجازة تبيح تخلفى عن الجماعة

(٦) عذرا يمنع من أداء الفرض فى المسجد جماعة . هذا حديث صحيح رواه أئمة ثقات . فما رأيك أيها المتخلف عن الجماعة . هذا أعمى ومنزله ناء عن المسجد ، ويحتاج إلى بصير يقوده ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يبح له التخلف ليصلى فى بيته ، وأنت يا أخى قادر على الذهاب إلى المسجد ، وتسمع الأذان ، ولا عذر لك ، وتلهيك تجارتك عن الله ، ويلق الشيطان فى روعك الكسل ، وعدم خشية الله ، فتهمل إجابة المؤذن . فبأى عذر تقابل ربك (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) .

(٧) فيهم لين وضعف من جهة أداء حق الله ، ويشتغلون بالفضة والدراهم عن واجب الله ، والرقيق ضد الغليظ والثخين ، رق الشىء يرق رقة وأرقه غيره ، ورققه ترقيقا ، وترقيق الكلام : تحسينه ، وترقق له : رق قلبه وفى الحديث : هاتوا صدقة الرقة : أى الفضة والدراهم المضروبة منها ، وأصل اللفظة : الورق .

[قوله شاسع الدار] : هو بالشين المعجمة أوّلا والسين والعين المهملتين بعد الألف : أى بعيد الدار ، وقوله: لايلايمنى :أى لايوافقنى ، وفى نسخ أبى داود : لايلاومنى بالواو، وليس بصواب ، قاله الخطابى وغيره .

[قال الحافظ] أبو بكر بن المنذر: روّينا عن غير واحد من أصحاب رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمْ قالُوا : مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ(١) فَلاَ صَلاَةَ(٢) لَهُ ، مِنْهُمُ ابن مسعود ، وأبو موسى الأشعرى .

وَقَدْ رُوِىَ ذٰلِكَ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم: وَمَنْ كَانَ يَرَى أَنَّ حُضُورَ الْجَمَاعَاتِ(٣) فَرْضٌ : عطاء وأحمد بن حنبل ، وأبو ثور ، وقال الشافعىُّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : لاَ أُرَخِّصُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَى صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ فِى تَرْكِ إِتْيَانِهَا إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ ، انْتَهَى .

[وقال الخطابى] بعد ذكر حديث ابن أمّ مكتوم :وفى هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب،ولو كان ذلك ندبا لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرورة والضعف،ومَن كان

(١) مرض أو أى شىء قاهر كاره . (٢) لاصلاة كاملة الأجر زائدة الثواب .

(٣) فى نسخة : الجماعة ١٤٣ ع ، فأنت ترى أفتى بعض الأئمة بوجوب حضور الجماعة ، ويأثم المتخلف فمن سمع الأذان ، وتخلف خالف سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقل ثواب صلاته فى عمله ، أو بيته ، وضعف إيمانه ، وأفرح شيطانه ، وأرضى نفسه الكسلانة المقصرة فى زيادة الحسنات .

أوامر الله فى الحث على الصلاة . قال تعالى :

ا — (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) ٤٣ من سورة البقرة ، وقال تعالى :

ب — (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) ٢٠ من سورة المزمل ، وقال تعالى :

ج — (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) ٥٦ من سورة النور ، وقال تعالى

د — (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) ٧٧ من سورة الحج ، وقال تعالى :

هـ — (ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ٩ من سورة المنافقون ، وقال تعالى :

و — (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) ٦ من سورة التوبة : أى إن تاب المشركون عن الشرك بالإيمان ، والفاسقون عن العصيان ، وأقاموا هذين الركنين تصديقاً لتوبتهم وإيمانهم فدعوهم ، ولا تتعرضوا لهم بشىء من ذلك ، قال البيضاوى : وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لايخلى سبيله ، اهـ .

فى مثل حال ابن أمِّ مكتوم ، وكان عطاء بن أبى رباح يقول : ليس لأحد من خلق الله فى الحضر وبالقرية رخصة إذا سمع النداء فى أن يدع الصلاة .

[وقال] الأوزاعى : لا طاعة للوالد فى ترك الجمعة والجماعات انتهى .

١٠ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ أَعمَى (١) فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِى إِلَي الْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنْ يرَخِّصَ (٢) لَهُ يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَأَجِبْ (٣) . رواه مسلم والنسائى وغيرهما .

١١ — وَعَنْ أَبِى الشَّعْثَاءِ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ يَمْشِي (٤) فَأَتبعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بَصَرَهُ حَتَّي خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَمَّا هٰذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم وغيره ، وتقدم

١٢ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَهُوَ أَعْمَى وَهُوَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ (عَبَسَ وَتَوَلَّي أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) وَكَانَ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ ، إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ بِأَبِى وَأُمِّى (٥) أَنَا كَمَا تَرَانِي قَدْ دَبَرَتْ (٦) سِنِّى ، وَرَقَّ (٧) عَظْمِى ، وَذَهَبَ بَصَرِى ، وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَايِمُنِى (٨) قِيَادَهُ

(١) قال النووى . هذا الأعمى هو ابن مكتوم ، وفيه دلالة لمن قال : الجماعة فرض عين ، وأجاب الجمهور عنه بأنه سأل هل له رخصة أن يصلى فى بيته وتحصل له فضيلة الجماعة بسبب عذره . فقيل لا ، ويؤيد هذا أن حضور الجماعة يسقط بالعذر بإجماع المسلمين ، ودليله من السنة حديث عتبان بن مالك . وأما ترخيص النبى صلى الله عليه وسلم ثم رده ، وقوله : فيجب فيحتمل أنه بوحى نزل فى الحال ، ويحتمل أنه تغير اجتهاده صلى الله عليه وسلم ، إذا قلنا بالصحيح ، وقول الأكثرين : إنه يجوز له الاجتهاد ، ويحتمل أنه رخص له أولا وأراد أنه لا يجب عليك الحضور إما لعذر ، وإما لأن فرض الكفاية حاصل بحضور غيره ، وإما للأمرين ، ثم يذبه إلى الأفضل ، فقال : الأفضل لك . والأعظم لأجرك أن تجيب وتحضر . والله أعلم . اهـ ص ١٥٥ ج ٥ .

(٢) يجيز ويسمح . (٣) اذهب لتصلى بالمسجد . (٤) خرج ذلك الرجل ، ولم ينتظر صلاة الجماعة فخالف سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٥) أفديك بأبى وأمى ، وأعز عزيز عندى ، ولم يوجد أعز منهما عند العرب ، وهذا من شأن الرجولة والشجاعة وبر الوالدين . (٦) فى نسخة : كبرت ١٤٤ ع ، ومعنى دبرت : أصابها الكبر والضعف من دبر البعير : أصابه جرح فى ظهره ، أو فى خفه .

(٧) ضعف ، والمعنى بلغ به الضعف نهايته والشيخوخة ، وانحطاط القوة . (٨) لا يرأف بى . ولا يطاوع ، ولا يحسن الذهاب بى .

إِيَّاىَ: فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً أُصَلِّى فى بَيْتِى الصَّلَوَاتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: هَلْ تَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ فى الْبَيْتِ الَّذِى أَنْتَ فِيهِ ؟ قالَ : نَعَمْ يَارَسُولَ اللهِ . قالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : مَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً ، وَلَوْ يَعْلَمُ هٰذَا الْمُتَخَلِّفُ عَنِ الصَّلَاةِ فى الْجَمَاعَةِ مَا لِهٰذَا الْمَاشِي[1] إِلَيْهَا لَأَتَاهَا وَلَوْ حَبْواً عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . رواه الطبرانى فى الكبير من طريق علىّ بن يزيد الالهانى عن القاسم عن أبى أمامة .

١٣ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَى ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مَنْزِلِى شَاسِعٌ[2] ، وَأَنَا مَكْفُوفُ الْبَصَرِ[3] ، وَأَنَا أَسْمَعُ الْأَذَانَ ، قالَ : فَإِنْ سَمِعْتَ الْأَذَانَ فَأَجِبْ وَلَوْ حَبْواً أَوْ زَحْفاً . رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط ، وابن حبان فى صحيحه ، ولم يقل : أَوْ زَحْفاً .

١٤ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَلَا يَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ ، وَلَا الْجُمُعَةَ ، فَقَالَ هٰذَا فِى النَّارِ[4] رواه الترمذى موقوفاً.

١٥ — وَعَنْهُ أَيْضاً رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : مَنْ سَمِعَ حَىَّ عَلَى الْفَلَاحِ فَلَمْ يُجِبْ فَقَدْ تَرَكَ سُنَّةَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

١٦ — وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

---

(١) من زيادة الحسنات ونقص السيئات ؛ وقد أخبرنا جل جلاله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى) « من سورة عبس . قال البيضاوى : روى « أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام فقال : يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ، ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه ، وعبس، وأعرض عنه . فنزلت : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ، ويقول إذا رآه : مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى ، واستخلفه على المدينة مرتين ؛ وذكر الأعمى للأشعار بعذره فى الإقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول ، والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق ، أو لزيادة الإنكار كأنه قال تولى لكونه أعمى (وما يدريك) أى أى شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك ، وفيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية غيره (أو يذكر) أى أو يتعظ فتنفعه موعظتك ، وقيل : الضمير فى (لعله) للكافر أى إنك طمعت فى تزكيته بالإسلام ، وتذكره بالموعظة ، ولذلك أعرضت عن غيره ، فما يدريك أن ماطمعت فيه كائن . اهـ ص ٨١٣ . (٢) بعيد عن المسجد . (٣) فاقده .

(٤) دخل النار الصائم نهاره ، والقائم ليله فى عبادة لأنه غفل عن ثواب الجماعة ، وكسل عن تحصيل ثواب ولم يؤد الجمعة ، فالله تعالى حاسبه على هذا الترك ، وقضى عليه بجهنم — وفيه تأدية أوامر الله كلها والتحرى فى فعل كل مايرضيه جل وعلا ، واجتهاد المؤمن فى فعل سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها .

لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ عَنْ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ(١) أَوْ لَأُحَرِّقَنَّ بُيُوتَهُمْ . رواه ابن ماجه من رواية الزبرقان بن عمرو الضمرى عن أسامة ولم يسمع منه .

١٧ ـ وَعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَارِغًا(٢) صَحِيحًا فَلَمْ يُجِبْ فَلَا صَلَاةَ لَهُ . رواه الحاكم من رواية أبى بكر بن عياش عن أبى حصين عن ابن بريدة ، وقال : صحيح الإسناد .

[قال الحافظ] رضى الله عنه : الصحيح وقفه .

الترغيب فى صلاة النافلة فى البيوت

١ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُوراً(٣) . رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائى .

٢ ـ وَعَنْ جَابِرٍ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلَاةَ فِى مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِى بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا(٤) . رواه مسلم وغيره ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من حديث أبى سعيد .

٣ ـ وَعَنْ أَبِى مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

---

(١) بلا عذر لأن هؤلاء منافقون ، وإسلامهم ضعيف ، فأباح الله له جل وعلا أن يعاقبهم ، وقد فسر صلى الله عليه وسلم العذر بعمل لو تركه بطل وتأخر وضاع ، أو مرض ، أو سفر طاعة .

(٢) فرغ من الشغل من باب دخل وفراغا وتفرغ ، واستفرغ مجهوده : بذله ، والمعنى خال من أى موانع تحول قسرا بينه وبين الجماعة إلى أنه معاق فى بدنه ، وإلا فصلاته وحده ناقصة الثواب . والله أعلم .

(٣) قال النووى : معناه صلوا فيها ولا تجعلوها كالقبور مهجورة من الصلاة ، والمراد به صلاة النافلة أى صلوا النوافل فى بيوتكم اهـ . وقال الجمهور : هو فى النافلة لإخفائها اهـ : أى أصون من المحبطات وأبعد من الرياء ؛ وليتبرك البيت بذلك . (٤) بركة ، وتنزل فيه الرحمة والملائكة ، وينفر منه الشيطان ولتعود الخدم والحشم والأولاد والسيدات على أداء الصلاة ، وغرس المحبة فى قلوبهم ، وليقتدى بهم من لا يخرج إلى المسجد من نسوة وعبيد ومريض كما كان يفعل سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يؤدى الفرض فى المسجد جماعة ثم يصلى النافلة مع زوجته ، وهى مأمومة وهو إمام .

مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتُ الَّذِى لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ: مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ(١) رواه البخارى ومسلم .

٤ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : أَيُّمَا أَفْضَلُ : الصَّلَاةُ فى بَيْتِى ، أَوِ الصَّلَاةُ فى الْمَسْجِدِ ؟ قَالَ : أَلَا تَرَى إِلَى بَيْتِى مَا أَقْرَبَهُ(٢) مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَلَأَنْ أُصَلِّىَ فى بَيْتِى أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّىَ فى الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً(٣) . رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه .

٥ ــ وَعَنْ أَبِى مُوسَى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَرَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ سَأَلُوهُ عَنْ صَلَاةِ الرَّجُلِ فى بَيْتِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم فَقَالَ : أَمَّا صَلَاةُ الرَّجُلِ فى بَيْتِهِ فَنُورٌ(٤) فَنَوِّرُوا بُيُوتَكُمْ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

---

(١) شبه صلى الله عليه وسلم البيت الذى فيه طاعة الله وذكره وعبادته وتسبيحه ، وقراءة القرآن فيه وأنه ملجأ الصالحين أنه حى مملوء عمرانا ، ومحاط بالسعادة والسعة والرضا . أما البيت الذى خلا من ذكر الله ، فقفر وخاو وخرب وإن عمره أهله فلا فائدة فى وجودهم وعليه شارة الغضب ويحوطه السخط والعصيان ويسرح ويمرح فيه الشيطان ويبيت فيه ــ قال النووى : فيه الندب إلى ذكر الله تعالى فى البيت وأنه لايخلى من الذكر وفيه جواز التمثيل وفيه أن طول العمر فى الطاعه فضيلة ، وإن كان الميت ينتقل إلى خير لأن الحى يلتحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات . اهـ ص ٦٨ ج ٦ .

(٢) أى ماأشد قربه للمسجد ، ومع هذا القرب يصلى النافلة فى البيت . (٣) مفروضة .

(٤) بهاء ، وضياء القلوب لتخشع لله فى خلوتها وجلاء عن الغفلة وانشراح بين العبد وربه . يناجيه خالياً من المظاهر فيشعر بجلال الله وعظمته ويقف ذليلا أمام المعطى سبحانه، فينشرح صدره بالإيمان والمناجاة وقد أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يصلوا النافلة فى البيت لترفرف على المصلى رحمة الله ، ولتعمه أنواره الوضاءة وليشعر كل من فى البيت بخوف الله تعالى، وأنه جدير بالثناء عليه والشكر له على ما أسبغ عليهم نعمه الناس فى حاجة إلى خوف الله تعالى ؟ والصلاة مفتاح الرهبة، أرأيت الزوجة أو الخادم أو الولد إذا رأى سيد المنزل يصلى لله كان أدعى إلى الطاعة والرهبة من الله ، وحينئذ يستتب نظام البيت ، وينتظم العمل، فالسيدة تخشى الله ، والخادم يخشى الله . فلا سرقة . فلا معصية. فلا هتك عرض . فلا ظن سوء . وبذا تشرق شمس الثقة والرغبة فى الله ، وتتقدم الأسرة ويرضى الله عنها ويسود الأمن، ويطمئن القلب ويعم الخير . اختلط بالأسر الصالحة تجد كل كمال وحسن أعمال واحترام الكبير للصغير والصغير للكبير وبر الوالدين وهكذا من المحامد التى دعا إليها الدين وشمس ذلك الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا السر فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتجعلوا بيوتكم مقابر » رواية مسلم ص ٦٨ ج ٦ .

وهل تقرأ الصحف لبعض الأسر التى نبذت الصلاة؟ تجد شقاقا ونفاقا فى البيت وخديعة ومكراً سيئاً وظناً سوءاً ونفوراً وذهابا إلى المحاكم الشرعية وطلاقا ، وهكذا من المصائب التى يجرها عدم الخوف من الله تعالى

٦ ــ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فى بُيُوتِكُمْ ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فى بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ .

رواه النسائى بإسناد جيد ، وابن خزيمة فى صحيحه .

٧ ــ وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْهِ وَسلم أَرَاهُ رَفَعَهُ ، قال: فَضْلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فى بَيْتِهِ عَلَى صَلَاتِهِ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ(١) كَفَضْلِ الْفَرِيضَةِ عَلَى التَّطَوُّعِ .

رواه البيهقى ، وإسناده جيد إن شاء الله تعالى .

٨ ــ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : أَكْرِمُوا(٢) بُيُوتَكُمْ بِبَعْضِ صَلَاتِكُمْ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

فعليك أخى بالصلاة . قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) ١٣٣ من سورة طه . صل يامحمد وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه ونزهه عن الشرك وسائر مايضيفون إليه من النقائص حامدا له على ماميزك بالهدى معترفا بأنه مولى النعم كلها، وأد الصلوات طمعاً أن تنال عند الله مابه ترضى نفسك ودع الدنيا وزهرتها للكفار والفساق سنبلوهم ونختبرهم فى استعمال هذا النعيم فى وجوه حله ، ونعذبهم فى الآخرة بسببه إن لم يقوموا بحقه ويؤمنوا ويسلموا ويعملوا صالحا . شاهدنا (وأمر أهلك بالصلاة) . قال البيضاوى : أمره بأن يأمر أهل بيته ، أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ماأمره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ، ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفوا لفت أرباب الثروة ، وطلب منه جل وعلا أن يداوم على الصلاة ، ويفرغ باله وأهله لأمر الآخرة ، والعاقبة المحمودة لذوى التقوى . روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة ، وتلا هذه الآية اهـ ص ٤٣٥ .

(١) معناه صلاة النافلة أمام الناس مظنة الرياء ، ومدح الناس إياه أنه عابد ناسك ، ولكن فى البيت أدعى إلى رحمات الله ، وأبعد عن ظنون النفاق ، وأعين الرائين المداحين إلا المفروضة فتؤدى فى المسجد جماعة كما أراد صلى الله عليه وسلم . ويصلى الإنسان فى بيته ماشاء من النوافل بتؤدة وطمأنينة ، والفريضة أكثر ثوابا من النافلة ، وحسناتها مضاعفة ، وأجرها جزيل .

(٢) يريد صلى الله عليه وسلم أن يأمر المسلمين بالتسبيح والتحميد والتكبير فى منازلهم لتحيط به ملائكة الرحمة ، ويطرد منها الشيطان ، ويشهد هذا المكان لصاحبه بطاعة الله وذكره وليقتدى أهله به وليتعودوا الأناة وخشية الله فى السر . يا أخى : اتق الله وصل وعلم أهلك الصلاة . فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : إنه الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته ، وإن كانوا دونه لتقربهم عينه ، ثم تلا هذه الآية : والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين) ٢٢ من سورة الطور . والذين آمنوا عطف على حور ــ وقوله تعالى : (إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) ٢١ من سورة الطور

الترغيب فى انتظار الصلاة بعد الصلاة

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قَالَ: لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ . رواه البخارىّ فى أثناء حديث ، ومسلم .

٢ — وللبخارى : إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ[1] الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ مُصَلَّاهُ أَوْ يُحْدِثْ .

٣ — وفى رواية لمسلم وأبو داود قال: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ[2] يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ . قِيلَ : وَمَا يُحْدِثُ ؟ قَالَ : يَفْسُو[3] ، أَوْ يَضْرُطُ . ورواه مالك موقوفاً عن نعيم ابن عبد الله المجمر أنه سمع أبا هريرة يقول :

قال البيضاوى : أى قرناهم بأزواج حور ، ورفقاء مؤمنين ، وجعلنا ذرياتهم تابعين لهم فى الإيمان . وما نقصناهم بهذا الإلحاق . من ألت يألت : أى نقص فإنه كان يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء ، أو بإعطاء الأبناء بعض مثوباتهم ، ويحتمل أن يكون بالتفضل عليهم ، وهو اللائق بكمال لطفه ، والكل مرهون بعمله عند الله تعالى فإن عمل صالحاً فكه ، وإلا أهلكه . نسأل الله السلامة ، ثم وصف الله جل وعلا ما أعده للصالحين: (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون. يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم. ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) ٢٩ من سورة الطور . صدق الله العظيم. أعلمت شيئاً من نعيم الله للصالحين؟ وقارنه بمتاعب الدنيا ومصائبها وآلامها تجد المغفل الجاهل الغر الذى لا يعمل صالحاً لله وأمامه الكتاب والسنة ولا يتبع أوامرهما . يتعاطى الصالحون وجلساؤهم الفواكه ، واللحوم ، والشراب العذب الخالى من السموم ، وخدمهم مماليك كالدر المصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله فيجيبون: كنا فى الحياة خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته ، أو وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم . إنا كنا فى الدنيا نعبده ونخشاه ونسأله الوقاية إنه هو البر المحسن كثير الرحمة .

(١) الذى يجلس على مكان طاهر ، وهو متوضئ ، وينتظر الصلاة القادمة كأنه فى عبادة وطاعة وذكر مدة انتظاره ما لم ينتقض وضوؤه أو يخرج . (٢) مدة وجوده فى الصلاة . (٣) يخرج من دبره ريح بلا صوت أو له صوت .

إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ ، ثُمَّ جَلَسَ فى مُصَلاَّهُ لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، فَإِنْ قامَ مِنْ مُصَلاَّهُ فَجَلَسَ فى الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ لَمْ يَزَلْ فى صَلاَةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ .

٤ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم أَخَّرَ لَيْلَةً صَلاَةَ الْعِشَاءِ إِلَي شَطْرِ[1] اللَّيْلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ بَعْدَ ما صَلَّي فَقَالَ : صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا[2] ، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا[3] . رواه البخارىّ .

٥ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّ هٰذِهِ الآيَةَ (تَتَجَافَي جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) نَزَلَتْ فى انْتِظَارِ الصَّلاَةِ الَّتِي تُدْعَى الْعَتَمَةَ . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب .

٦ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم الْمَغْرِبَ فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ ،وَعَقَّبَ[4] مَنْ عَقَّبَ، فَجَاءَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم مُسْرِعاً قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ قَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ ، قال : أَبْشِرُوا ، هٰذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَيعِبَادِيقَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى[5] . رواه ابن ماجه عن أبى أيوب عنه ، ورواته ثقات ، وأبو أيوب : هو المراغىّ العتكى ثقة ، ما أراه سمع عبد الله ، والله أعلم .

[حفزه النفس]:هو بفتح الحاء المهملة والفاء وبعدهما زاى: أى ساقه وتعبه من شدة سعيه.

[وحسر] : هو بفتح الحاء والسين المهملتين : أى كشف عن ركبتيه .

---

(١) نصف . (٢) وناموا .

(٣) فى نسخة : ما انتظرتموها،والمعنى:كأنكم فى عبادة الله من أول انتظار الصلاة إلى نصف الليل،فأنتم أكثر ثوابا من الذين صلوا ، وذهبوا إلى بيوتهم ليناموا . إن النبى صلى الله عليه وسلم عرض له أمر شغله عن صلاة العشاء فى أول وقتها،فتأخر بعض الأصحاب رضوان الله عليهم حتىصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يبشرهم بزيادة الأجر وعظيم الثواب . أما من أدى الصلاة ونام ، فقبل الله صلاته ، وأعطاه ثوابا بقدر عمله ، وعفا الله عنه لأنه لم يكلف بالانتظار .

(٤) تابع ، أى أقام فى مصلاه بعد مايفرغ من الصلاة لدعاء أو مسألة ، ومنه حديث: « من عقب فى الصلاة فهو فى صلاة » .

(٥) سبحانه يفتح باب رحمته ، ويرشد ملائكة الرحمة إلى المنتظرين الصلاة التالية ، وهذا دليل على رضاه وحبه لهم ، وإحسانه إليهم .

٧ – وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: وَصلاةٌ فى إِثْرِ صلاةٍ لَا لَغْوَ[١] بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فى عِلِّيِّينَ[١]. رواه أبو داود، وتقدم بتمامه.

٨ – وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم: أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو[٣] اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيُكَفِّرُ[٤] بِهِ الذُّنُوبَ؟ قالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكْرُوهَاتِ[٥] وَكَثْرَةُ الْخُطَا[٦] إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ[٧]. رواه ابن حبان فى صحيحه، ورواه مالك ومسلم والترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة، وتقدم.

(١) صلاة آتية بعد صلاة ماضية على شريطة ألا يحصل من المصلين كلام لا يعتد به، وقول فى مشاغل الدنيا ومتاعبها، وحديث اللهو واللعب، وقد يسمى كل كلام قبيح: لغواً — وقال تعالى: (لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا)، (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه)، (والذين هم عن اللغو معرضون – وإذا مروا باللغو مروا كراما)

(٢) ثواب هذا الانتظار ينقش فى صحيفة مع صحف الأبرار من قوله تعالى: (إن كتاب الأبرار لفى عليين).

(٣) يزيل.

(٤) يستر ويزيل. (٥) عند البرد والألم والمصائب يتم الإنسان وضوءه، ويصلى لله. إسباغ: أى إتمام.

(٦) المشى. (٧) الإقامة لنصر دين الله، والجهاد على الذب عن الوطن فى الحرب، وارتباط الخيل وإعدادها، فشبه به ما ذكر من الأعمال الصالحة والعبادة. رجل يجاهد نفسه وينتظر صلاة قادمة وهو على مكان طاهر ومتوضئ، فهو فى ضيافة الكريم ويناجى العظيم ويعبد الرحيم وكأنه منتظر فى صفوف المجاهدين فى سبيل الله يضاعف الله ثوابه ويتجلى عليه برضوانه ويكرمه ويزيده قبولا وتوفيقا. وحسبك يا أخى أن تحافظ على صلاة المغرب فى أول وقتها ثم تبقى فى المجلس لصلاة العشاء عسى أن تدخل برحمة الله فى زمرة الصالحين الذين قال تعالى فيهم: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ١٨ من سورة السجدة: ترتفع وتتنحى جنوبهم عن الفرش يدعون ربهم خوفا من سخطه. وطمعا فى رحمته، وقد فسرها صلى الله عليه وسلم بقيام العبد من الليل وقال البيضاوى: قيل: كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب إلى العشاء فنزلت فيهم.

يرشد صلى الله عليه وسلم إلى تأدية الفرض ثم الجلوس هنيهة على مكان الصلاة يستغفر المصلى ويسبح ويحمد ويكبر، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ليكتسب دعاء ملائكة الرحمة له بالمغفرة والرضوان اهـ.

آه. أى شىء أحسن من هذا أيها المسلم؟ إن تعبك فى الدنيا لا فائدة فيه إلا إذا غمره عمل صالح ينفعك فى آخرتك. إنك تسعى لجمع المال لتعيش سعيداً فى حياتك والدنيا دار الهموم والأكدار، ولكن العاقل من التجأ إلى مولاه، وأطاع ربه، وأخلص لله عسى أن ينال السعادة فى الآخرة، فتمحى ذنوبه، ويزداد نعيمه، قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتم عليه. اقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم . . . . .) » هذا وعد الصادق القادر، فهل تعاهدنى يا أخى على العمل بالكتاب والسنة، وتنتهز الفرص فى انتظار الصلاة بعد الصلاة.

٩ — وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِى الْمَكَارِهِ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا . رواه أبو يَعْلى والبزار بإسناد صحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم .

١٠ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا جَلَسَ فِى مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَصَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَإِنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ صَلَّتْ عَلَيْهِ، وَصَلَاتُهُمْ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ . رواه أحمد، وفيه عطاء بن السائب .

١١ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: مُنْتَظِرُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، كَفَارِسٍ اشْتَدَّ بِهِ فَرَسُهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى كَشْحِهِ(١)، وَهُوَ فِى الرِّبَاطِ(٢) الْأَكْبَرِ . رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط، وإسناد أحمدَ صالح .

---

(١) الكشح: الخصر، والمراد على جوعه يعنى أن هذا المجاهد لازم الركوب على الفرس وجاهد وجالد وأبدع مع دقيق بنية الحصان وخفته. وفى حديث سعد «إن أميركم هذا لأهضم الكشحين» أى دقيق الخصرين، وحديث «أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح» أى العدو الذى يضمر عداوته، ويطوى عليها كشحه: أى باطنه .

شبه صلى الله عليه وسلم الجالس على مصلاه يعبد مولاه منتظرا فريضة أخرى بشجاع باسل امتطى صهوة جواده التعب، ولم يترك شاذة ولا فاذة إلا أدركها فى سبيل طاعة الله .

(٢) إن مجاهدة النفس فى الجلوس تعبد الله هو الرباط الأكبر، والرباط الأصغر: الجهاد وحرب الأعداء لنصر دين الله. لماذا؟ لأنك تجاهد نفسك والنفس عدو ألد وخصم عنيد يدعو إلى عصيان الله، وقائدها الشيطان ليضلها ويغويها، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزواته وأصحابه ظافرا منصورا ومؤيداً مسروراً فقال لأصحابه ما معناه: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» أى مجاهدة النفس فى طاعة الله. هذا رأى: الرأى الثانى: وهو أن ذلك الفارس فى الصف الأول الذى يبذل قصارى جهده فى حرب أعداء الإسلام. فانظر رعاك الله: السيد الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر المحافظ على جماعة المسجد، والمنتظر الصلاة الثانية بإدراك ثواب المجاهدين للذب عن بيضة الدين. فاجتهد أخى فى انتظار الصلاة فالدنيا مزرعة الآخرة وقد قال إسماعيل باشا صبرى: عسى أن تتعظ بقوله، وتعمل صالحا ينفعك فى قبرك:

إن الليالى من أخلاقها الكدر ... وإن بدا لك منها منظر نضر(١)
فكن على حذر مما تغر(٢) به ... إن كان ينفع من غراتها(٣) الحذر
قد أسمعتك الليالى من حوادثها ... ما فيه رشدك لكن لست تعتبر
يا من يغر بدنياه وزخرفها ... تالله يوشك(٤) أن يودى بك الغرر

---

(١) حسن . (٢) تخدع . (٣) جمع غرة: الغفلة .
(٤) يقرب أن تعرض نفسك الهلكة فاعمل بالسنة تربح .

١٢ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ(١) مِنْ رَبِّي . وفى رواية : رَبِّي(٢) فى أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ(٣) رَبِّي وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : هَلْ تَدْرِي(٤) فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى(٥) ؟ قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ(٦) بَيْنَ كَتِفَيَّ ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ ، أَوْ قَالَ فِي نَحْرِي ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فى الأَرْضِ ، أَوْ قَالَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فى الدَّرَجَاتِ(٧)، وَالْكَفَّارَاتِ(٨) وَنَقْلِ الأَقْدَامِ(٩) إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغِ(١٠) الْوُضُوءِ فى السَّبَرَاتِ، وَانْتِظَارِ(١١) الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . الحديث رواه الترمذى ، وقال حديث حسن غريب ، وتقدم بتمامه .

١٣ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَزِيدُ بِهِ فى الْحَسَنَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى

ويامدلا (١) بحسن راق منظره ... للقبر ويحك منا الذل والحقر(٢)
تهوى الحياة ولا ترضى تفارقها ... كمن يحاول وردا(٣) ماله صدر(٤)
كل امرئ صائر حتما إلى جدث(٥) ... وإن أطال مدى آماله العمر

(١) رؤيا صادقة كفلق الصبح . (٢) أتانى ربى : وفيه جواز رؤية الله تعالى .
(٣) إجابة على طاعتك ، ومنك الإسعاد . (٤) هل تعلم . (٥) الملائكة المقربون .
(٦) يراد أنه تعالى قرب حبيبه صلى الله عليه وسلم حتى شعر بالفرح والسرور وأحس بانشراح الصدر والله تعالى منزه عن التشبيه والتمثيل ، كما قال العلماء فى يد الله مطلقة : عبارة عن إيتاء النعيم ، ويقال : فلان يد فلان : أى وليه وناصره ، ويقال لأولياء الله : هم أيدى الله ، وعلى هذا الوجه قال الله عز وجل: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) فإذا يده عليه الصلاة والسلام يد الله، وإذا كان يده فوق أيديهم فيد الله فوق أيديهم؛ ويؤيد ذلك ماروى «لايزال العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها» . اهـ غريب القرآن ص ٥٧٣ . ناداه جل جلاله وأعطاه الله صلى الله عليه وسلم قوة الإدراك حتى يقوى على ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام ، وكشف له تعالى عن بصره وبصيرته فأدرك ما فى السموات وما فى الأرض أو ما فى العالم أجمع وأرشده تعالى إلى المنافسة والسبق فى كتابة ثواب من أدرك واحدة من هذه الخمسة أو كلها أو بعضها .
(٧) الحسنات . (٨) محو الخطايا : (٩) كثرة الخطا . (١٠) إتمامه .
(١١) الجلوس على مكان طاهر مع الوضوء رجاء انتظار صلاة آتية فى وقتها .

(١) يامعجبا . (٢) رحمك الله بدلالك وكسلك ، وشدة حيائك فى عدم كسب الصالحات .
(٣) إشرافا على الماء . (٤) رجوع . (٥) قبر .

يَارَسُولَ اللهِ ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوَضُوءِ أَوِ الطَّهُورُ فِي الْمَكَارِهِ(١) وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَالصَّلَاةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّيَ فِيهِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ مَعَ الْإِمَامِ ، ثُمَّ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ الَّتِي بَعْدَهَا ، إِلَّا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ. الحديث رواه ابن ماجه، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحه، واللفظ له ، والدارمىُّ فى مسنده .

١٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : ثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ . فَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ(٢) فَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِى السَّبَرَاتِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ(٣) : فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ . وَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ(٤) فَالْعَدْلُ فِى الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْقَصْدُ فِى الْفَقْرِ وَالْغِنَى ، وَخَشْيَةُ اللهِ فِى السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ(٥) : فَشُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ رواه البزَّار واللفظ له ، والبيهقى وغيرهما ، وهو مروىٌّ عن جماعة من الصحابة ، وأسانيده وإن كان لايَسلَمُ شىء منها من مقال ، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى .

[السبْرات] جمع سبرة ، وهى شدة البرد .

---

(١) المصائب : أى المؤمن إذا أصابه أى ضرر توضأ ، ومنه البرد . (٢) مزيلات الذنوب .
(٣) زيادة الرفعة عند الله ، وكسب الحسنات والكرم بثلاثة .
أولا : الكرم والجود . ثانيا : رمى السلام على من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين . ثالثا : التهجد.
(٤) التى تبعد الخطر ، وتوصل إلى السلامة ، وتزيل الهلكة ثلاثة :
أولا التوسط عند حنقه وكدره ، وعند رخائه وفرحه . ثانيا : كذا الحد الوسط بين الحاجة والسعة، فلا يبخل ولا يقتر ولا يضجر ولا يسرف ولا يشح ولا يبذر . ثالثا : خوف الله تعالى فى الخفية والجهر .
(٥) الحفرة التى تودى بصاحبها ، والعذاب المحيط به . وطريق الزلل فى ثلاثة :
أولا : التقتير ونهاية البخل ، ومنع الواجبات ، والتقصير فى الحقوق . ثانيا : إرخاء العنان للنفس تمرح فى غواياتها لايكبحها كابح ، ولا يردها جامح ، والاسترسال فى الضلال بلا رادع ، أو زاجر ، وإطلاق الحرية الكاذبة فى المعاصى ، والميل إلى الدنايات ، وحب الشهوات . ثالثا : الغطرسة والكبر ، وزهو المرء بنفسه وتحقير غيره :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الطعام وإن تفطمه ينفطم

وبهذه المناسبة أزف إليك جواب الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه لرجل سأل عن الإيمان، فقال : الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد . والصبر على أربع شعب : على الشوق ، والشفق

١٥ — وَعَنْ دَاوُدَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو سَلَمَةَ : يَابْنَ أَخِي تَدْرِي فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ (اُصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) ؟ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم غَزْوٌ[1] يُرَابَطُ[2] فِيهِ ، وَلَكِنِ انْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ . رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

١٦ — وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم أَنَّهُ قَالَ : القَاعِدُ عَلَى الصَّلَاةِ كَالْقَانِتِ[3] ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ[4] مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ . رواه ابن حبان فى صحيحه ، ورواه أحمد وغيره أطول منه ، إلا أنه قال : والقاعدُ يرعى الصلاة كالقانت : وتقدم بتمامه فى المشى إلى المساجد .

[قوله] القاعد على الصلاة كالقانت : أى أجره كأجر المصلى قائمًا مادام قاعداً ينتظر الصلاة ، لأن المراد بالقنوت هنا القيام فى الصلاة .

١٧ — وَعَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُبَايِعَاتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : جَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكَلَ ، ثُمَّ قَرَّبْنَا إِلَيْهِ

والزهادة والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات . واليقين على أربع شعب : على تبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة وموعظة العبرة ، وسنة الأولين ، فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين . والعدل على أربع شعب : على غامض الفهم وزهرة الحلم وروضة العلم وشرائع الحكم ، فمن فهم فسر جميع العلم ، ومن علم عرف شرائع الحكم ، ومن حلم لم يفرط أمره ، وعاش فى الناس . والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف : والنهى عن المنكر ، والصدق فى المواطن ، وشنآن الفاسقين . فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ، ومن صدق فى المواطن فقد قضى الذى عليه ومن شنئ الفاسقين فقد غضب لله ، ومن غضب لله غضب الله له .

قال بشر بن عمارة عن محمد بن سوقة ، فقام الرجل فقبل رأسه ، فقال على كرم الله وجهه :

أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماما
وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماما

اهـ نوادر الأمالى ص ١٧٤ .

(١) الغزو : الخروج إلى محاربة العدو ، وقد غزا يغزو ، فهو غاز ، وجمعه : غزاة وغزى قال تعالى : (أو كانوا غزى) . (٢) يقام ويأخذ عدة الحرب وينتظر هجوم العدو فى مكان معلوم .

(٣) الخاشع . والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع ، ومنا قيل : أى الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت أى الاشتغال بالعبادة ، ورفض كل ما سواه تعالى ، قال جل شأنه : (إن إبراهيم كان أمة قانتا — أم من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما) . (٤) العابدين الذاكرين المسبحين .

وَضُوءًا فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمُكَفِّرَاتِ(١) الْخَطَايَا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: إِسْبَاغُ(٢) الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ(٣)، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ

(١) مزيلات وماحيات ومطهرات الذنوب. (٢) الذهاب إلى الوضوء وإتمامه.

(٣) عند كل ملمة أو حادثة مغضبة أو أمر اشتد خطبه، أو مصيبة نزلت أو عند تعب أدرك الإنسان فكسل. بمعنى أن الإنسان إذا اعترضه أى مكدر فى حياته من صنوف الآلام التجأ إلى تنقية نفسه من أدران المعاصى، وتطهر ليناجى مفرج الكروب، وميسر العسير، فيتوضأ ويصلى لله تعالى، ويفوض أمره إليه سبحانه وتعالى.

فقه الباب

أولا: أن تمرن نفسك على العكوف على مصلاك مدة تسبح ربك وتذكره، وحبذا المكث فى المسجد.

ثانياً: أن تغتنم فرصة الدعوات الصالحات ممن لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

ثالثاً: أن تجتهد أن تكون على طهارة فوضوء ليتجلى عليك ربك فى انتظارك هذا، وتكون من الذين قال الله عنهم فى كتابه: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) لماذا؟ لأنهم تركوا وقت اللهو والأكل وذهبوا فى الظلمة ينتظرون صلاة العشاء رجاء ثواب الله.

رابعاً: الاطمئنان لبشارة الرسول صلى الله عليه وسلم. بفتح باب رحمة الله للمعتكفين منتظرى الصلاة. هذا إلى أن هذا الثواب ينقش فى صحف المتقين، ويبقى نوره ساطعا إلى يوم القيامة. على شريطة عدم الكلام فى المسجد والغيبة والنميمة، وحديث الدنيا.

خامساً: التشبه بالمجاهدين فى سبيل الله هذا ينتظر قدوم صلاة جديدة يماثل المرابط للدفاع عن الوطن الذى هجر وطنه، وذهب يكمن حتى يهجم على أعداء الدين، ولا تنس هذا التمثيل البديع «كفارس اشتد به فرسه فى سبيل الله على كشحه» أى منتظر الصلاة القادمة يشبه ذلك المستبسل فى الجهاد والمدافع عن الإسلام ويبضه وقوله صلى الله عليه وسلم: «على كشحه» يشير إلى نهاية الإقدام وتكليف فرسه فوق طاقته صابراً على جوعه وضموره، فكما أن الفارس يصبر على مضض الجهاد وتعبه كذلك المنتظر الصلاة يصبر على الاعتكاف حبا فى ثواب الله مع وجود المنافسة فى أهل السماء، وسرورهم من القانتين. وهل تجد أخى أحسن تعبير، وأشهى حديث من قوله صلى الله عليه وسلم: «فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى» سبحانك ربى محيط بأعمال العبد ورحمتك تترى، وخزائنك لا تنفد، عبر عن ذلك صلى الله عليه وسلم «فوضع يده» أى شملتنى قدرته ورأفته بى حتى دب فى دبيب الإحسان؟ وسرى فى الفرح والسرور سريان الدم فى الشرايين. وهذا درس تربية وتهذيب من النبى صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين رجاء تفريغ القلب لعبادة الله وترك مشاغل الدنيا وأويقات الرحمات مثل عتمة العشاء وغلس الليل، وهذا تعبير طريف مثل قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟». قال القسطلانى: أى ينزل تعالى نزول رحمة ومزيد لطف، وإجابة دعوة، وقبول معذرة اهـ ص ٦٩ جواهر البخارى.

ولا تنس أن من صفاته تعالى مخالفته للحوادث: أى سبحانه غير موافق ومماثل لشىء من الحوادث فليس جسما وليس قائما بجسم أو محاذيا له، وليس فوق شىء أو تحته أو خلفه أو يمينه، وما ورد مما يوهم ذلك، فيجب تأويله ص ٢٩ كتابى «النهج السعيد فى علم التوحيد» وقد رأيت انتظار الصلاة يعنيها الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ٢٠١ من سورة آل عمران.

بَعْدَ الصَّلَاةِ . رواه أحمد ، وفيه رجل لم يسمّ ، وبقية إسناده محتج بهم فى الصحيح .

ينادى الله المؤمنين : احبسوا أنفسكم على مشاق الطاعات ، وما يصيبكم من الشدائد ، وترصدوا لزيادة الحسنات ، ونيل الخيرات ، وأقيموا شعائر العبادة بالمكث فى المساجد كما قال صلى الله عليه وسلم : «من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة » أى ورابطوا أبدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين للغزو والجهاد وأنفسكم ذللوها بالطاعة وروضوها على الذكر (وصابروا) أى غالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب ، وأعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة الهوى ، وإتمام العمل الدنيوى ؟ والذهاب إلى بيت الله ، ثم أمر تعالى بخشيته وتقواه بالتبرى عما سواه رجاء غاية الفلاح ، أو اجتناب القبائح بنيل مراتب الصبر على مضض الطاعة ، ومصابرة النفس فى رفض العادات الذميمة ، وعدم ميلها إلى شهواتها ، ومجاهدتها فى طلب البر والسعادة ، ومرابطة السر على جناب الحق ، ورعاية أوامره ، والعمل بالشريعة الغراء ، والتطهير من الرذائل ، وذلك بتربية عادة الانتظار إلى الصلاة .

أيها المسلمون : لقد صدق حديث أبى هريرة الآن : لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة بعد الصلاة ، هذا لنا فى عصرنا الآن فى هذا الزمان عليك أخى أن تحافظ على صلاة المغرب فى المسجد فى إبان وقته ثم تنتظر العشاء . ثم تستيقظ مبكرا قبيل الفجر بساعة وتذهب إلى التهجد وتعبد ربك حتى مطلع الفجر — هذه نصيحتى لا تعوقك عن عملك نهارا ، ولا تؤخر فى إتقانه وأدائه ، كيا تحب الله ورسوله ، وتجلب لك رضا الخالق جل وعلا ، ورضا المخلوق ، وتجعل صحائفك مملوءة بالحسنات تنفعك فى آخرتك . مع ملاحظة أداء عملك يومك لتنفق على أسرتك ؟ ولتكسب عيشك الهناءة والرغد ؟ ولتتمتع بصنوف النعم وخيرات الله ، وبهذا تعمل للدنيا والآخرة وتكون من الذين يتنافس الأبرار فى كتابة حسناتهم . الدنيا دار عمل والعاقل من كد وكدح على شريطة أن لا يتفانى فى طلبها ، ويختلس من ساعاته عملا لله وذكره وحسبك حكمة مأثورة:

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

هل تذهب أيها الموظف إلى حديقة الأدب لترى رجلا كان أحد جبابرة العرب وساستها وقادتها وحكامها وموطد ملك بنى أمية ، وأحد البلغاء ، والخطباء المصاقع . ماذا عمل بولايته ، وقد خدم عبد الملك بن مروان وابنه الوليد . إنه الحجاج بن يوسف الثقفى ولد سنة ٤١ هـ ، وتوفى سنة ٩٥ هـ فى مدينة واسط بالعراق . اقرأ حكايته يا أخى عسى أن تعتبر وتحافظ على الصلاة لتنجو من عذاب الله .

قال أبو على : وحدثنى أبو بكر قال : حدثنى أبى قال : حدثنا أحمد بن عبيد فى أخبار الحجاج بن يوسف أنه لما حضرته الوفاة وأيقن بالموت قال اسندونى ، وأذن للناس فدخلوا عليه ، فذكر الموت وكربه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وأنشأ يقول :

إن ذنبى وزن السموات والأر ض وظنى بخالقى أن يحابى
فلئن من بالرضا فهو ظنى ولئن مر بالكتاب عذابى
لم يكن ذاك منه ظلما وهل يظ لم رب يرجى لحسن المآب

ثم بكى وبكى جلساؤه ، ثم أمر الكاتب أن يكتب إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان . أما بعد ، فقد كنت أرعى غنمك ، أحوطها حياطة الناصح الشفيق برعية مولاه . فجاء الأسد فبطش بالراعى ومزق المرعى كل ممزق ، وقد نزل بمولاك ما نزل بأيوب الصابر ، وأرجو أن يكون الجبار أراد بعبده غفرانا لخطاياه ، وتكفيراً لما حمل من ذنوبه ، ثم كتب فى آخر الكتاب :

الترغيب فى المحافظة على الصبح والعصر

١ — عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. رواه البخارى ومسلم.

[البردان] : هما الصبح والعصر .

٢ — وَعَنْ أَبِي زُهَيْرَةَ عِمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. رواه مسلم.

٣ — وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم: مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ. رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، ورواته رواة الصحيح إلا الهيثم بن يمان، وتكلم فيه، فالحديث شواهد .

إذا مالقيت الله عنى راضيا ... فإن شفاء النفس فيما هنالك
فحسبي بقاء الله من كل ميت ... وحسبي حياة الله من كل هالك
وقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا ... ونحن نذوق الموت من بعد ذلك
فإن مت فاذكرنى بذكر محبب ... فقد كان جا فى رضاك مسالكى
وإلا ففى دبر الصلاة بدعوة ... يلق بها المسجون فى نار مالك
عليك سلام الله حيا وميتاً ... ومن بعد ما تحيا عتيقاً لمالك

ثم دخل عليه أبو المنذر يعلى بن مخلد المجاشعى، وقال: كيف ترى مابك ياحجاج من غمرات الموت وسكراته؟ فقال: يايعلى، غما شديداً وجهداً جهيداً وألما مضيضاً، ونزعا جريضاً؛ وسفراً طويلا وزاداً قليلا، فويلى ويلى إن لم يرحمنى الجبار، فقال له ياحجاج: إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء أولى الرحمة والرأفة والتحنن والتعطف على عباده وخلقه. أشهد أنك قرين فرعون وهامان لسوء سيرتك، وتركك ملتك، وتنكبك عن قصد الحق وسنن المحجة وآثار الصالحين، قتلت صالحى الناس فأفنيتهم، وأبرت عترة التابعين فتبرتهم، وأطعت المخلوق فى معصية الخالق، وهرقت الدماء، وضربت الأبشار، وهتكت الأستار، وسست سياسة متكبر جبار. لاالدين أبقيت، ولا الدنيا أدركت، أعززت بنى مروان، وأذللت نفسك، وعمرت دورهم، وأخربت دارك، فاليوم لاينجونك ولا يغيثونك، إذ لم يكن لك فى هذا اليوم ولا لنا بعده نظر، لقد كنت لهذه الأمة اهتماما واغتماما وعناء وبلاء، فالحمد لله الذى أراحها بموتك، وأعطاها مناها بخزيك. (قال) فكأنما قطع لسانه عنه، فلم يحر جوابا، وتنفس الصعداء، وخنقته العبرة، ثم رفع رأسه، فنظر إليه، وأنشأ يقول:

رب إن العباد قد أيأسونى ... ورجائى لك الغداة عظيم

اهـ ص ١٧٤ أمالى النوادر. اللهم قنا عذابك، ونجنا من الهول، ووفقنا للعبادة إلك المستعان، واجعلنا من المعتبرين أولى الأبصار الموحدين الأبرار يارب .

[أبو مالك] : هو سعد بن طارق

٤ - وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّي الصُّبْحَ فَهُوَ فى ذِمَّةِ اللهِ فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فى نَارِ جَهَنَّمَ(١) . رواه مسلم وغيره .

٥ - وَرُوِىَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ(٢) فَأُصِيبَتْ ذِمَّتُهُ ، فَقَدِ اسْتُبِيحَ حِمَى اللهِ(٣) وَأُخْفِرَتْ(٤) ذِمَّتُهُ وَأَنَا طَالِبٌ بِذِمَّتِهِ(٥) . رواه أبو يعلى .

٦ - وَعَنْ أَبِى بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الْعَصْرَ بِالْمُخَمَّصِ ، وَقالَ : إِنَّ هٰذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ(٦) فَضَيَّعُوهَا ، وَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، الحديث . رواه مسلم والنسائى .

[المخمص] بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة والميم جميعاً ، وقيل : بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الميم بعدها ، وفى آخره صاد مهملة : اسم طريق .

---

(١) يرميه فى النار ، معناه والله أعلم أن الذى أدى صلاة الصبح وأول وقته جماعة ، فهو فى أمان الله وعهده ورعايته وحفظه وصيانته ، والله تعالى القوى المعتمد . ويريد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقصر أى مسلم فى تأدية هذا الفرض خشية أن يقع تارك صلاته تحت عقاب الله ، ويكون مطالباً بالوفاء والأداء ، والله إن شاء أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وأخرجه من كنف رحمته ، وسياج رأفته ، ورماه فى جهنم على وجهه منكساً مدحوراً .

(٢) الصبح ، فأصاب فى عماه ، ووفى عهده بينه وبين ربه ، واتبع الرشاد ، وسلك الصواب وأصبح فى حمى الله ورعايته ، ومشى فى أمانه ، ورعى أوامره ، يعنى أن مانهى الله عنه من ترك الصلاة صار فى إباحة ومنع عنه الحذر ، رضى الله عنه ، وحمى الله مباح له الآن ، وقد فسر صلى الله عليه وسلم بقوله : « ألا إن حمى الله محارمه » .

الله أكبر : أباح الله له طيبات الرزق يسرح ويمرح فى حلال ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا حمى إلا لله ولرسوله » قال فى النهاية : كان الشريف فى الجاهلية إذا نزل بأرض فى حيه استعوى كلباً لحمى مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره ، وهو يشارك القوم فى سائر مايرعون فيه ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأضاف الحمى إلى الله ورسوله أى ما يحمى للخيل التى ترصد للجهاد اهـ .

(٣) أمانه ورضاه . (٤) تم وفاؤه وراعى عهده مع الله وأدى أمانته ومنه الخبر : الحامى الكفيل

(٥) وأنا أسأله أداء الأمانة : أى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الوفاء بما عاهد الله عليه من أداء صلاة الصبح والا فقد خان ونكث ونقض . (٦) من الأمم السابقة ، ولهم صلاة بنظام مخصوص غير صلاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد تفضل تعالى تخفف أداءها ، وقلل عددها وضاعف أجرها إكراما لحبيبه صلى الله عليه وسلم . شكراً لك يارب قبلت سيدنا ومولانا ، وفرضت خمس صلوات فى يوم وليلة ولكن والثواب حسون الحسنة بعشر أمثالها .

٧ ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وَسلم : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ ، فَمَنْ أَخْفَرَ ذِمَّةَ اللهِ كَبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ لِوَجْهِهِ . رواه ابن ماجه والطبرانيّ في الكبير واللفظ له ، ورجال إسناده رجال الصحيح .

٨ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَلاَ تُخْفِرُوا[١] اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذِمَّتِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَخْفَرَ ذِمَّتَهُ طَلَبَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى يَكُبَّهُ[٢] عَلَى وَجْهِهِ . رواه أحمد والبزار ، ورواه الطبرانيّ في الكبير والأوسط بنحوه .

[وفي أول قصة] وَهُوَ : أَنَّ الْحَجَّاجَ[٣] أَمَرَ سَالِمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ[٤] بِقَتْلِ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ : أَصَلَّيْتَ الصُّبْحَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ انْطَلِقْ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : مَا مَنَعَكَ مِنْ قَتْلِهِ ؟ فَقَالَ سَالِمٌ : حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ كَانَ فِي جِوَارِ اللهِ يَوْمَهُ : فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَ رَجُلاً أَجَارَهُ اللهُ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ لِابْنِ عُمَرَ : أَنْتَ سَمِعْتَ هٰذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : نَعَمْ .

[قال الحافظ] : وفي الأولى : ابن لهيعة ، وفي الثانية : يحيي بن عبد الحميد الحماني .

---

(١) فلا تنقضوا عهد الله في أمانه وميثاقه الذي واثقكم به ، إذ جمع الذراري في عالم الأرواح وقال تعالى (ألست بربكم ؟ قالوا بلى . شهدنا) أخفره : نقض عهده وغدر : الاسم الخفرة : أي الذمة ، والخفير : المجير خفر الرجل : أجاره ، وتخفر بفلان استجار به وسأله أن يكون له خفيراً ص ١٨٢ مختار الصحاح .

(٢) يصرعه ويرميه بقسوة ، وكبكبه : أي كبه ، والفعل اللازم أكب هو على وجهه فانكب . قال تعالى (فكبكبوا فيها) . (٣) والي العراق وقد كتبنا لك أيها القارئ حالة الحجاج عند احتضاره لتنهض بنفسك في إبان قوتك بأن تصلي وتعمل صالحا . (٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . موظف تحت إمرة الحجاج يجيء إليه بمتهم استحق القتل في نظر الوالي الحاكم المنفذ أوامر الدولة ؛ ولكن نور الله تعالى سطع على جبين هذا المتهم ظلما وعدواناً . فأدركه ذلك العالم التقي ابن الورع سلالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسأله : أصليت الصبح ؟ سؤال بديع خارج عن تنفيذ القانون ، ولكن أخذ منه حفيد عمر الاستقامة في ذلك الرجل وإنكار الإجرام لماذا ؟ لأنه فقهه أبوه وأفهمه الحكمة فوعى ، واسترشد بهداية الله وقد أقنع الحاكم الراعي بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكانت فراسة صائبة ونظرة حكيمة وتؤدة ، وخوف من الله في تنفيذ حدوده ، ولعلك يا أخي تفهم إذا : السر في قوله صلى الله عليه وسلم : «من أوى إلى الله أواه» ولا تظن أن صلاة الصبح مع ارتكاب الجرائم والإصرار على الأذى يمنعك من عقاب الله وعقاب أولي الأمر . بل إن صلاة الصبح مدعاة للتوبة . والإقلاع عن المعاصي ، وبها تعمك رحمة الله ، ويشرق في قلبك شموس هدى الله وعونه وحفظه فهل تعاهدني على صلاة الفجر مع العمل الصالح ؟ لتأمن من الزلل دنيا وأخرى وفقنا الله تعالى .

٩ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَّم : يَتَعَاقَبُونَ(١) فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ ، وَصَلاَةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ(٢) الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ .

رواه البخاريّ ومسلم والنسائيّ وابن خزيمة فى صحيحه ، ولفظه فى إحدى رواياته قال :

---

(١) قال النووى : فيه دليل لمن قال من النحويين يجوز إظهار ضمير الجمع ، والتثنية فى الفاعل إذا تقدم وهى لغة بنى الحارث ، وحكوا فيه أكلونى البراغيث ، وعليه حمل الأخفش ، ومن وافقه قول الله تعالى : (وأسروا النجوى الذين ظلموا) وقال سيبويه : وأكثر النحويين لايجوز إظهار الضمير مع تقدم الفعل ، ويتأولون كل هذا ، ويجعلون الاسم بعده بدلا من الضمير ولايرفعونه بالفعل كأنه لما قيل : وأسروا النجوى . قيل : من هم ؟ قيل : الذين ظلموا ، وكذا يتعاقبون ، ونظائره . ومعنى يتعاقبون : تأتى طائفة بعد طائفة ومنه تعقب الجيوش ، وهو أن ينهب إلى ثغر قوم ويجىء آخرون ، وأما اجتماعهم فى الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وتكرمة لهم أن جعل اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم فى أوقات عباداتهم ، واجتماعهم على طاعة ربهم ، فيكون شهادة لهم بما شاهدوه من الخير ، وسؤاله تعالى تعبد منه للملائكته كما أمرهم بكتب الأعمال ، وهو أعلم بالجميع . اهـ ص ١٣٣ ج ٥ .

قال القاضى عياض رحمه الله : الأظهر ، وقول الأكثرين أن هؤلاء الملائكة هم الحفظة الكتاب ، قال : وقيل يحتمل أن يكونوا من جملة الملائكة بجملة الناس غير الحفظة ، اهـ .

(٢) يصعد إلى السموات نظام شرطة يحافظون على تبليغ أعمال العباد ، فتتسلم طائفة من الملائكة العبد فى إبان الفجر ، وترافقه أنى شاء ، فيكتب أهل اليمين حسناته ، وأهل الشمال سيئاته وتنتهى نوبة مراقبتهم فى إبان وقت العصر ، وهكذا دواليك . والله تعالى الملك الرقيب السميع البصير يسأل تشريفاً للصالح ، وتبكيتاً للفاسق ، فياسعادة من وصل خيره بأداء حق مولاه عسى أن ينال المغفرة ، ودعوات الملائكة الصالحات .

فقه الباب

إن دخول الجنة بسبب المحافظة على صلاة الصبح والعصر ، وذلك العمل حصن حصين يقيك النار . هذا إلى استظلال المصلى برضوان الله وأمانه ، وإن تارك صلاة الصبح بعيد من رحمة الله ، وكاد يكب فى جهنم . وصلاة الصبح تبرئ ذمة من أداها وتبيح له حمى الله يرتع فى خيراته (وأخفرت ذمته) أى وفت ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن تأخيرها حتى تطلع الشمس (فلا تخفروا الله) أى لاتنقضوا عهده . وفيه حادثة سالم بن عبدالله الذى نجى مصلى الصبح من القتل ووافقه الحجاج . هذا إلى توريد صحائف المصلى مملوءة حسنات إلى بارئها جل وعلا لتدخر كنزاً له يوم العرض والحساب . ولعلك عرفت سر عمران الدنيا بنى آدم ، وأن الله جل وعلا أعطاه الحول والطول فيها ، واصطفى جملة منهم يعبدون الله جل وعلا ويباهى بهم ملائكته ويسألهم سؤال عظمة وإجلال وسؤال إحاطة وشمول وحكمة « كيف تركتم عبادى » فالمؤمن من حافظ على الصلوات ليذكر اسمه فى الملأ الأعلى عصرا وفجراً . قال تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ٢٣٨ من سورة البقرة . أى داوموا عليها ، وأدوها فى وقتها . قال صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « شغلونا عن الصلاة الوسطى

تجتمِعُ ملائِكَةُ اللَّيْلِ ، وَملائِكَةُ النَّهارِ فى صلاةِ الْفَجْرِ وَصلاةِ الْعَصْرِ فَيَجْتَمِعُونَ فى صَلاةِ الْفَجْرِ فَتَصْعَدُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ ، وَتَثْبُتُ مَلائِكَةُ النَّهارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فى صلاةِ الْعَصْرِ ، فَتَصْعَدُ مَلائِكَةُ النَّهارِ ، وَتَبِيتُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبادِى ؟ فَيَقُولُونَ : أَتَيْناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَتَرَكْناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ فَاغْفِرْ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ .

الترغيب فى جلوس المرء فى مصلاه بعد صلاة الصبح وصلاة العصر

١ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ(١) فى جَماعَةٍ ، ثُمَّ قَعَدَ(٢) يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى

صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً » وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها ، واجتماع الملائكة — ومعنى قانتين ذاكرين له فى القيام . والقنوت : الذكر فيه ، وقيل : خاشعين ، وقال ابن المسيب : المراد القنوت فى الصبح ولذا قيل : الوسطى الفجر لأنها بين صلاة الليل والنهار . أسأل الله جل جلاله أن يعيننا على أداء الصلاة ، ويرزقنا القبول والإقبال . وبهذه المناسبة أذكر لك طرفة من تفنن رجال الأدب فى اليقظة صباحا ، والميل إلى التبكير . قال الشاعر :

غرد الطير فنبه من نعس ... وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى ... وتعرى الصبح من ثوب الغلس
وانجلى فى حلة فضية ... ما بها من ظلمة الليل دنس

وقال أبو فراس :

مددنا علينا الليل والليل راضع ... إلى أن تردى رأسه بمشيب
بحال ترد الحاسدين بغيظهم ... وتطرف عنا عين كل رقيب
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه ... مبادى نصول فى عذار خضيب

ومن رسالة للقاضى الفاضل

فلما قضى الليل نحبه ، وأرسل الصباح على دهمه شهبه شمل الليل إزاره ، ووضع النجم أوزاره ، ونزح لطيف طارداً ، وحل وراء الصبح ناشدا ، وجر الفجر ، نهر النهار ، واسترد البنفسج ، وأهدى البهار ، فواكب الكواكب منهزمة وغرة الفجر مبتسمة .

وتزوج بعض الأعراب بأربع نسوة ، فأراد أن يختبر عقولهن ، فقال لإحداهن : إذا دنا الصبح فأيقظينى فلما دنا الصبح قالت له : قم غارت صغار النجوم ، وبقى أحسنها وأضوؤها وأكبرها ، وبرد الحلى على جسدى واستلذذت باستنشاق النسيم . وقالت الثانية فى ليلتها : قم ضحكت السماء من جوانبها ، ولم تبق نابتة إلا فاحت روائحها ، وعينى تطالبنى بإغفاءة الصباح ، وقالت الثالثة فى ليلتها : قم لم يبق طائر إلا غرد ، ولا ملبوس إلا برد ، وقد صار للطرف فى الليل مجال ، وليس ذلك إلا من دنو الصباح .

(١) فى نسخة : الفجر ١٥١ ع . (٢) جلس فى مصلاه وهو متوضئ نال ثواب حجة وعمرة — حجة تؤدى أركان الحج ووقت عرفة — ويوم عرفة ، والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج — والعمرة كذلك أركان الحج —

رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ، قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

٢ — وَعَنْهُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَأَنْ أَقْعُدَ أُصَلِّى مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ[1] حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً[2] مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً . رواه أبو داود وأبو يعلى . قال فى الموضعين: أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، دِيَةُ كُلِّ وَاحِدٍ[3] مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً . رواه ابن أبى الدنيا بالشطر الأول إلا أنه قال : أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

٣ — وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَعَدَ فِى مُصَلَّاهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى يُسَبِّحَ[4] رَكْعَتَىِ الضُّحَى لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْراً غُفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ . رواه أحمد وأبو داود . وأبو يَعْلى ، وأظنه قال :

وليس فيها الوقوف بعرفة ، وليس هذا يسقط فرض الحج على المسلم القادر المستطيع بل له ثوابه ، وإن استطاع الحج ولم يحج نقص ركناً من إسلامه .

(١) الزمن من الفجر كما فسروا الغدوة مابين الغداة إلى طلوع الشمس .

(٢) فى نسخة : رقبة أى ينال ثواباً جزيلا من الله جل وعلا مثل من أعتق أربعة من بنى آدم وأزال عنهم الرق ، وفك العبودية ، وتركهم أحرارا . (٣) فى نسخة : رجل : أى الثواب الذى يناله المصلى المنتظر من العصر إلى المغرب جزيل جداً كأنه أنفق فى سبيل الله اثنى عشر ألفا من الدراهم أو الجنيهات ، وهذا ترغيب فى جلوس المرء فى مصلاه يكثر من ذكر الله وتسبيحه ، والاستغفار ، والصلاة على المختار صلى الله عليه وسلم، فالدنيا فانية ، وهذا سبيل إرضاء المولى جل وعلا .

(٤) فى نسخة : يصلى : أى الذى صلى الصبح ، وجلس على مكان طاهر يعبد الله حتى ارتفعت الشمس قدر رمح وصلى ركعتى الضحى غفر الله له ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر أى رغواه وفقاقيعه وذراته الدقيقة . فأقبل رعاك الله على العمل بهذا الحديث الصحيح ، وصل الصبح فى وقته ، واعبد ربك فى هذا الوقت البديع رجاء أن تمحى سيئاتك ، وتستقبل أعمال نهارك بصدر منشرح ، وتقر باسم والله عك راس ، ولست من الذين يعنيهم النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شىء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : هما لاينقطع عنه أبداً ، وشغلا لايتفرغ منه أبداً ، وفقراً لايبلغ غناه أبداً ، وأملا لايبلغ منتهاه أبدا » ماذا تنتظر أيها الغافل تارك صلاة الصبح ؟ قد خيم عليك الكسل ونسج عليك العنكبوت ، واستحوذ عليك الشيطان حتى أنساك اليقظة والقيام مبكراً ، فأصبحت كما قال صلى الله عليه وسلم : « خبيث النفس كسلان » هل لك أن تجاهد نفسك وتستيقظ لصلاة الصبح فى وقته لتستنشق نسيم الحياة ، وتؤدى حق الله ، وتشترى الجنة بانتظارك مدة على مصلاك تذكر الله سبحانه وتعالى .

مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الْفَجْرِ ثُمَّ قعدَ يذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ .

[قال الحافظ] رواه الثلاثة من طريق زبان بن فائد عن سهل، وقد حسنت، وصححها بعضهم.

٤ - وَرُوِىَ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ قَالَ : مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ ذَكَرَ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لَمْ تَمَسَّ جِلْدَهُ النَّارُ(١) وَأَخَذَ الْحَسَنُ بِجِلْدِهِ فَمَدَّهُ . رواه البيهقى .

٥ -- وَعَنْ أَبى أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : لأَنْ أَقْعُدَ أَذْكُرُ اللهَ تَعالَى ، وَأُكَبِّرُهُ ، وَأَحْمَدُهُ ، وَأُسَبِّحُهُ وَأُهَلِّلُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رَقَبَاتٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ(٢) رواه أحمد بإسناد حسن .

٦ — وَعَنْهُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الْغَدَاةِ فِى جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ انْقَلَبَ بِأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ . رواه الطبرانىّ وإسناده جيد .

٧ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ لَمْ يَقُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى تُمْكِنَهُ الصَّلاَةُ ، وَقالَ : مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ ، ثُمَّ جَلَسَ فِى مَجْلِسِهِ حَتَّى تُمْكِنَهُ الصَّلاَةُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ عُمْرَةٍ ، وَحَجَّةٍ مُتَقَبَّلَتَيْنِ . رواه الطبرانىّ فى الأوسط ، ورواته ثقات إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام .

(١) لم يحرق ، أى فعلك هذا يبعد جسمك عن النار . ياعجباً لابن آدم وغفلته عن ثواب الآخرة ! يتعب فى الدنيا ويشق ، وهذا وعد الله ورسوله لمن ذكر الله غدوة ، وأخلص لله فى طاعته ، وحافظ على صلاة الصبح ثم صلى ركعتى الضحى . (٢) معناه المحافظة على ذكر الله ، وتمجيده فى هذا الوقت أكثر فى الثواب وأحب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من فك رقبة أربعة من بنى آدم ، وإن إعتاق النفس من ربقة الذل تنجى الإنسان من شدائد الدنيا والآخرة ، وتجعله يعبر عقبة يوم القيامة ظافراً منصوراً . قال الله تعالى (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) ١٨ من سورة البلد . انتظارك بعد صلاة الصبح تذكر الله كأنك فككت أربع رقاب فى سبيل الله ، ونالوا الحرية ، وإحياء النفوس متطلعة إلى الحياة السعيدة ، إذ المعنى كما قال البيضاوى فلا فك رقبة ، ولا أطعم يتيما ، أو مسكيناً ، والمسغبة ، والمقربة ، والمتربة : مفعلات من سغب إذا جاع ، وقرب فى النسب ، وترب إذا افتقر ، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله تعالى ، وبالرحمة على عباده ، أو بموجبات رحمة الله تعالى . اهـ .

٨ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَابِرٍ أَنَّ أُمَامَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فِى جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ ثَبَتَ(١) حَتَّى يُسَبِّحَ لِلَّهِ سُبْحَةَ الضُّحَى كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ تَامًّا لَهُ حَجُّهُ وَعُمْرَتُهُ . رواه الطبرانى وبعض رواته مختلف فيه ، وللحديث شواهد كثيرة .

٩ — وَرُوِىَ عَنْ عَمْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، تَعْنِى عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ(٢) أَوْ قَالَ الْغَدَاةَ فَقَعَدَ فِى مَقْعَدِهِ فَلَمْ يَلْغُ(٣) بِشَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَيَذْكُرُ اللهَ حَتَّى يُصَلِّىَ الضُّحَى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَا ذَنْبَ لَهُ(٤) رواه أبو يعلى واللفظ له والطبرانى .

١٠ — وَرُوِىَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ بَعْثًا قِبَلَ نَجْدٍ فَغَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا لَمْ يَخْرُجْ : مَا رَأَيْنَا بَعْثًا أَسْرَعَ رَجْعَةً وَلَا أَفْضَلَ غَنِيمَةً مِنْ هٰذَا الْبَعْثِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى قَوْمٍ أَفْضَلَ غَنِيمَةً وَأَسْرَعَ رَجْعَةً : قَوْمٌ شَهِدُوا صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ جَلَسُوا يَذْكُرُونَ اللهَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، أُولٰئِكَ أَسْرَعُ رَجْعَةً وَأَفْضَلُ غَنِيمَةً(٥) . رواه الترمذى

---

(١) جلس على مصلاه يذكر الله حتى جاء وقت الضحى ، فصلى لله تعالى ركعات الضحى من اثنتين إلى ثمانية أعطاه الله ثواب حاج ومعتمر . (٢) أول الوقت يسمى فجراً لأنه شق الليل شقاً واسعاً ، ومنه قوله تعالى : (والفجر وليال عشر) (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهده ملائكة الرحمة ، وكلمة الغداة تستمر إلى طلوع الشمس . (٣) يهذ ويتحدث كلاما لا فائدة فيه . (٤) يقوم من مصلاه وصحائفه نقية قد غفر الله له .

(٥) يحاربون الأعداء ، ففازوا بالظفر وانتصروا ، وكسبوا مغانم وذخائر وعدداً حربية وأموالا جمة ، فرجعوا بسرعة فرحين مسرورين بما اكتسبوا ، وقد ضرب لهم صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى يشبه هذا الفوز والنصر والكسب بقوم صلوا صلاة الصبح جماعة فى وقته ، ثم انتظروا يذكرون الله جل وعلا ، ويسبحونه حتى مطلع الشمس ، ثم قاموا إلى بيوتهم ، والبشر يعلو وجوههم والنور يسطع فى جباههم ، والفوز حليفهم . لماذا ؟ لأنهم أرضوا ربهم وعبدوه وسألوه واستغفروه ، فهذا تشبيه بديع ، كما رجع المحاربون بالخيرات ، آب المصلون بالحسنات والبركات ، وكما جاهد الأولون فى حرب الأعداء كذلك المصلون جاهدوا النفس فى عبادة الله وطاعته ، وهنا عمل صالح سهل إدراكه أيها المسلمون أود أن تصلوا الصبح فى المسجد جماعة ، ثم تنتظرونه تكثرون: من تحميد الله وتمجيده ، ثم تذهبون إلى إدارة أعمالكم ، ومحال تجارتكم ، أو صناعتكم .

فى الدعوات من جامعه ، ورواه البزار وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه ، وذكر البزار فيه أن القائل مارأينا هو أبو بكر رضى الله عنه ، وقال فى آخره: فقال النَّبيُّ صلي الله عليه وَسلم : يَاأَبَا بَكْرٍ أَلاَأَدُلُّكَ عَلَى مَاهُوَ أَسْرَعُ إِيَابًا(١) وَأَفْضَلُ مَغْنَمًا(٢): مَنْ صَلَّي الْغَدَاةَ فى جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ

١١ - وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليه وَسلم إِذَا صَلَّي الْفَجْرَ تَرَبَّعَ(٣) فى مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا(٤) . رواه مسلم وأبو داود .

(١) عودة . (٢) شيئاً نالوه من المال ، والذخائر ، والثواب . (٣) التربيع : جعل الشيء مربعا ومنه تربع أى جلس متربعاً . (٤) طلوعا حسناً ، بمعنى يعم ضوؤها المعمورة .

فقــه الباب

ا — السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم يدلك على تجارة رابحة وخطة ناجحة ، أن تستيقظ مبكراً ثم تصلى الصبح وتستمر على مصلاك حتى مطلع الشمس ، وتتنفل بركعتين ليكتب لك ثواب أجر حجة تامة ، وثواب من أحسن إلى المساكين بالحرية المطلقة ، وفك أسر المأسورين ، وأزال كرب المكروبين .

ب — ثم إذا انتظرت نحو نصف ساعة من طلوع الشمس ، وصليت ركعتى الضحى طهرت من الدنس ونقيت صحيفتك من الخطايا وإن كانت مثل رغوات البحر وزبده ، وأوجب الله لك الجنة عدلا ورأفة وأخذت نفسك جائزة البراءة من النار ، والنجاة من الأشرار ، وحسبا لك مع الأبرار الأطهار ، وبسط الله لك فى رزقك وشعرت بالفرح وذهبت إلى عملك قرير العين مثلوج الفؤاد . باسم الثغر . ممتلئاً قوة ونشاطا وثقة بالله ، واعتماداً عليه لأنك تحس برضا مولاك ، وإحاطة رحمته بك كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث «أولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة» لعمرى . شعور الإنسان بأداء واجب ربه محور السعادة ومجلب السيادة والسرور ، ومدعاة لرضا المخلوق ، وهذا معنى الحديث . وقد قال الله تعالى : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ؛ والله يرزق من يشاء بغير حساب) ٣٩ من سورة النور .

أى كمشكاة فى بعض بيوت ، والمراد بها المساجد . إن هذا تمثيل لصلاة المؤمنين الذين ينزهونه ويصلون له فى المساجد بالغدوات والعشيات . لاتشغلهم معاملة رابحة عن الله ، ويحافظون على الصلوات ، وإخراج المال لمستحقيه خشية هول يوم تضطرب فيه القلوب . فلا تفقه ، وتتغير الأبصار ، فلا تبصر ، فتتقلب من توقع النجاة ، وخوف الهلاك ، والأبصار تطيش من أى ناحية يؤخذ بهم ، ويؤتى كتابهم . رحماك اللهم رحماك الآن تجنى ثمرة الأعمال فى الدنيا ، فيتجلى الله على المسبحين الخائفين منه جل وعلا ، ويجزيهم أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة (ويزيدهم من فضله) أى يعطيهم أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ، ولم تخطر ببالهم (والله يرزق) تقريراً للزيادة ، وتنبيها على كمال القدرة ، ونفاذ المشيئة ، وسعة الإحسان .

إن شاهدى فى الآية (يسبح له فيها بالغدو والآصال) والغدو : وقت الصبح ، والآصال : جمع أصيل بعد العصر ، ويسمى العشايا ، وكان الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم يصلون الفجر ، وينتظرون على

والترمذى والنسائى والطبرانى ، ولفظه : كَانَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ

مصلاهم يسبحون الله حتى مطلع الشمس حتى اندهش أحدهم حينما ظن أنه ليس على مصلاه (أظننتم أن بآل عبدة غفلة) ونحن فى هذا الزمن زاد السهر والسمر ويتأخر الغافل فى النوم حتى تطلع الشمس وأرى أن الله تعالى يعنيه بقوله : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال البيضاوى : أى غافلون غير مبالين بها اهـ . من سورة الماعون ، فحذار أيها المسلم من رقدة الصبح وتكاسل الشيطان فى وسوسة لذة نومه ، واتق الله واستيقظ عسى أن يزول عنك النفاق ولا تكون من الذين قال الله فيهم : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) ١٤٤ من سورة النساء .

قد يبعد عنك النفاق (والحمد لله) المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر جماعة ومصداق ذلك قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) فإقامة الصلاة نور الإيمان يزداد فى قلوب الصالحين ، وهو خصلة من خصال المؤمنين ، وخلة لازمة لهم ، ومطمح آمالهم ، ومنتهى رجائهم ، ووصلة بينهم لربهم ، وكثيراً ماذكر الله المؤمنين فى كتابه ، وعد من أعمالهم المحافظة على الصلاة . قال تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ــ وقال تعالى : (والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ٣ من سورة البقرة . وقال تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ٢٨ من سورة الرعد . والصلاة ذكر قال تعالى : (وأقم الصلاة لذكرى) وفسر العلماء (ساهون) يؤخرون الصلاة عن وقتها ؟ وأوعدهم الله بعذاب جهنم عن هذه الغفلة ، فما بالك بالتارك لها بتاتاً . إن عذابه شديد وعقابه أليم ، وياويله من ربه الذى أغدق عليه نعمه فى حياته فإنها ألهته عن مولاه وقد قال تعالى ينادى المؤمنين العاملين : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ٩ من سورة المنافقون . هل تعاهدنى أخى على الصلاة فى أوقاتها حتى لا تغفل عن الله ، وتجيب داعى هذه الآية . اللهم وفقنا واقبلنا وساعدنا واشفنا إنك قدير ولى جدير بالإجابة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ولعلك عرفت يا أخى أعمال الموفقين فى الحياة الذين جمعوا بين العمل لطلب الرزق وطاعة الله بأداء الحقوق وتسبيح الله صباحا ومساء . وهنا أزيدك دليلا آخر . قال الله تعالى لحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) ٢٩ من سورة الكهف .

ياعزيزى : احبس نفسك مع المطيعين المسبحين الذاكرين ، وثبتها على العمل الصالح ، وملازمة طاعتى ، وكن قائداً لهؤلاء ، وسباقا للمكرمات معهم فى مجامع أوقاتهم (بالغداة والعشى) أو فى طرفى النهار ويوافق نص الكتاب السنة فى أن المطلوب ذكر الله فى أول بدء العمل وآخره ابتغاء رضاء الله وطاعته .

وما الحياة بأنفاس نرددها إن الحياة حياة العلم والعمل

وانظر الى هذا النهى البديع ، يريد الله جل وعلا أن ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم ليتعظ المسلمون خشية أن يزدروا بفقراء المؤمنين ، ويحتقروا رثاثة ثيابهم طموحا إلى طراوة زى الأغنياء ، فلا ينظرون إلى نعم الأغنياء بل ينظرون إلى الأعمال الصالحة فيحصلونها . هذا إلى نبذ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كأمية بن خلف فى دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش ، وفيه تنبيه على أن الداعى له إلى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد ، وأنه لو أطاعه كان

الشَّمْسُ ، وابن خزيمة فى صحيحه ، ولفظه قال : عَنْ سِمَاكٍ أَنَّهُ سَأَلَ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ كَيْفَ كَانَ

مثله فى الغباوة (وكان أمره فرطا) أى تقدما على الحق ونبذاً له وراء ظهره . يقال : فرس فرط ، أى متقدم للخيل ، ومنه الفرط . اهـ بيضاوى .

وهل تجد أحسن عمل من عطف الله على عبده الذى يعبده صباح مساء ، ويصلى عليه : أى يرحمه ، وملائكته تدعو له بالتوفيق والغفران ، وسعة الرزق ومصداق ذلك قوله تعالى فى الترغيب الثالث : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريما) ٤٤ من سورة الأحزاب . إنشاهدنا بكرة وأصيلا أى أول النهار وآخره وأمر تعالى بذكره يغلب الأوقات ، ويعم الأنواع بما هو أهل له من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد ، ورتب على ذلك صلاة الله : عطفه وإحسانه ، وصلاة ملائكته اهتمام بمصالح العباد . قال البيضاوى : المراد بالصلاة المشترك ، وهو العناية بصلاح أمركم ، وظهور شرفكم مستعار من الصلو ، وقيل : الترحم والانعطاف المعنوى . مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود ، واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو السبب للرحمة من حيث إنهم مجابو الدعوة اهـ ٥٨٨ . هذا إلى مدد الله وإخراج العابد المسبح من ظلمات الكفر والفسوق ، والغفلة والمعصية إلى نور الإيمان وطاعة الله ، والثقة به والاعتماد عليه ، والجمع بين عبادته ، والعمل للدنيا ، وأعظم فائدة يجنيها المسبح إكرام الله عند الموت وتحيته وبشراه بالنعيم المقيم فى الجنة وإخباره بالسلامة من كل مكروه وآفة ، والترغيب الرابع قوله تعالى : (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً ، واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ، ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) ٢٧ من سورة الدهر . داوم على ذكره صباحاً وظهراً وعصراً (ومن الليل فاسجد له) لعل المراد به المغرب والعشاء (وسبحه ليلا) أى تهجد له طائفة طويلة من الليل ، ولا تطع الكفرة والفسقة واصبر وانتظر فرج الله ونصره وسعة رزقه ، وهذا تعليم لأمته كى تتأسى به صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ، ورأس القربات ، وغرة الطاعات ، ثم تذكر الله بعد أدائها .

المعانى الباطنة التى تتم بها حياة الصلاة كما فى إحياء علوم الدين

قال الإمام الغزالى :

أولا : حضور القلب ، ونعنى به أن تفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به ، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما ، ولا يكون الفكر جائلا فى غيرهما : ثانياً : التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ، ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذى أردناه بالتفهم ، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات ، وكم من معانى لطيفة يفهمها المصلى فى أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أموراً تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لامحالة . ثالثاً : التعظيم أمر وراء حضور القلب والفهم زائد عليهما . رابعاً : الهيبة عبارة عن خوف منشؤه التعظيم ، والهيبة خوف مصدرها الإجلال . خامساً : الرجاء يرجو مثوبة ، والعبد ينبغى أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . سادساً : الحياء ، فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير ، وتوهم ذنب . وحضور القلب سببه الهمة ، ولا يحضر إلا فيما يهمك ، فلتهمك الصلاة لأنها وسيلة إلى الآخرة مع العلم بحقارة الدنيا . والتفهم سببه إدمان الفكر ، وصرف الذهن إلى إدراك المعنى مع التشمر لدفع الخواطر ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَصنَعُ إِذَا صَلَّى الصُّبحَ ؟ قالَ : كانَ يَقعُدُ فى مُصَلَّاهُ إِذَا صَلَّى

والتعظيم سببه معرفة جلال الله عز وجل وعظمته ، وهو من أصول الإيمان ، ثم معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوبا حتى تتولد الاستكانة والانكسار ، والخشوع لله سبحانه وتعالى والهيبة والخوف حالة النفس تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى وسطوته ، ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به ، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة . هذا مع مطالعة مايجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب ، وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف مايشاهد من ملوك الأرض ؟ وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة .

والرجاء سببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه ، وعميم إنعامه ، ولطائف صنعه ومعرفة صدقه فى وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده ، والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لامحالة .

والحياء ، فباستشعاره التقصير فى العبادة ، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها ، وقلة إخلاصها ، وخبث دخلتها ، وميلها إلى الحظ العاجل فى جميع أفعالها مع العلم بعظيم مايقتضيه جلال الله عز وجل ، والعلم بأنه مطلع على السر ، وخطرات القلب ، وإن دقت وخفيت وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها الحياء ، ومعنى اليقين هنا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب ولذا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اهـ ص ١٦٨ ج ١ .

البلسم الشافى والدواء الكافى فى الصلاة

إن الله تعالى جعل الصلاة مفرجة للكروب مزيلة للهموم ميسرة للرزق مجلبة للخير ، ومعين البر وسبب الرحمة والقناعة ، ومفتاح الصحة والسلامة ، ومزيلة للألم الناجم عن الركون لزخارف الدنيا وحظوظها ، والتطلع إلى مافى أيدى الناس ، وإيثار العاجل على الآجل ، وهى سبب توطين النفس على الثبات ، وقوة الجأش لعلم المصلى أن كل شىء من الله جل أو دق وهى وسيلة إلى الركون إلى الله وتغيير قبيح الأخلاق من التباغض والتحاسد والتنابذ والتراشق ، وضعف العزيمة ، والخور فى الإرادة ، والتردد والخمول والضعف وكونه ألعوبة مشاغل الدنيا ، وتبع شهواته . على أنها تجمع الغنى والفقير والجليل والحقير ، فيجتمعون فى الصلاة لتتحد كلمتهم ، وتتوثق عرا الصداقة والمودة والمحبة ، فيتعاونوا على مايجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الضير ، وبذا تتأصل الرحمة والشفقة فيتزاورون ويتشاورون ، ويعودون المرضى ، ويعدون المحتاج ، ويغيثون الملهوف . فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تفقدوا إخوانكم فى الصلاة ، فإن فقدتموهم ، فإن كانوا مرضى فعودوهم ، وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم . هذا إلى تعويد المؤمنين الحرية ، وإشراب قلوبهم المساواة والإخاء فترى وقوف السيد بجانب المسود والمخدوم قريباً من الخادم ، والغنى بجوار الفقير ، وهناتآلف القلوب وتتذلل أمام القاهر الجبار العظيم الوهاب ذى الكبرياء والجلال ، وتغرس فى نفوس المسلمين حب الطاعة ، والانقياد إلى الرؤساء ، وفى المثل الكامل لجاد المولى بك : قد فطن لهذا السر (رستم) قائد جيش الفرس حين رأى الصحابة يصلون خلف إمامهم ويتحركون لحركته ، ويسكنون لسكونه . اهـ ص ١٥٧ :

فأنت ترى وصلة الإنسان إلى ربه الصلاة كما قال تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم : (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) أى أنت تتألم بما تجد من أقوال الكافرين ، وطعن الفاسقين ، وشرك الجاحدين واستهزاء المجرمين فافزع إلى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك ، أو فنزهه عما يقولون حامداً له على أن هداك للحق ؟ وكن من الساجدين أى من المصلين ، وعنه

الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ .

عليه الصلاة والسلام أنه كان إذاحزبه أمر فزع إلى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) فاعبده مادمت حياً ؛ ولا تخل بالعبادة لحظة حتى يأتيك الموت ، فإنه متيقن لحاقه كل حى مخلوق . اه بيضاوى .

عليك أخى بالصلاة إذا أصابك مكروه : فالجأ إلى مولاك ، وقف بخشوع وخضوع أمام عظمته واسأله نجب ضالك ، وتضرع إليه يزل غمك ، واقصده يغنك ، وادعه يجبك ، واشك إليه يرحمك ، وتوكل عليه يقوك ، واعتمد عليه يعنك وسبحه يرحمك ، واستعن به يمدك بروحه ، واقتد بالأنبياء ينفحك الله بنفحاته ، وآس بين الناس وبجاهك وعدلك ومجلسك عسى أن تكون أسوة حسنة ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجامنيراً لحق وطاعة الله وافقه قوله تعالى (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) ٥٩ من سورة الأنبياء . شرطان لعدم تضييع ثواب الله .

أولا : عمل صالح . ثانياً : وإيمان بالله ورسله . وتجد الله العظيم يؤكد بجلاله ، وإنا لسعيه مثبتون فى صحيفة عمله لايضيع بوجه ما . اللهم وفقنا وأعنا .

الدواء النافع فى حضور القلب كما فى إحياء علوم الدين

قال الإمام الغزالى : اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظماً لله عز وجل وخائفا منه وراجياً له ومستحيياً من تقصيره ، فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه ، وإن كانت قوتها بقدرة قوة يقينه ، فانفكاكه عنها فى الصلاة لاسبب له إلا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر : وغيبة القلب عن المناجاة ، والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة ؟ فالدواء فى إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، ولا يدفع الشىء إلا بدفع سببه ، فلنعلم سببه وسبب مواردالخواطر . إما أن يكون أمرا خارجا أو أمرا فى ذاته باطناً . أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر البصر ، فإن ذلك قديختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل ويكون الإبصار سبباً للافتكار : ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ، ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ماجرى على حواسه ، ولكن الضعيف لابدوأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم ، أو لايترك بين يديه مايشغل حسه ، ويقرب من حائط عند صلاته حتى لاتتسع مسافة بصره ، ويحرز من الصلاة على الشوارع ، وفى المواضع المنقوشة المصنوعة ، وعلى الفرش (المبسوطة) المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم ، والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ، ويغضون البصر ، ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة فى أن لايعرفوا من على يمينهم وشمالهم ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما لايدع فى موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلانزعه ، ولا كتابا إلا محاه . وأما الأسباب الباطنة فهى أشد ، فإن من تشعبت به الهموم وأودية الدنيا لاينحصر فكره فى فن واحد ، بل لايزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لايغنيه ، فإن ماوقع فى القلب من قبل كاف للشغل ، فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم مايقرؤه فى الصلاة ويشغلها بها عن غيره ، ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة ، وخطر المقام بين يدى الله سبحانه وتعالى ، وهو المطلع ، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه ، فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى شيبة : « إنى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت فإنه لاينبغى أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم » فهذا طريق تسكين الأفكار فإن كان لايسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذى يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر فى الأمور

الترغيب فى أذكار يقولها بعد الصبح والعصر والمغرب

١ — عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ : مَنْ قالَ فى دُبُرِ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا[1] عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فى حِرْزٍ[2] مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَحُرِسَ[3] مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلَمْ يَنْبَغِ[4] لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فى ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلاَّ الشِّرْكَ بِاللهِ تَعَالَى . رواه الترمذىّ واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب صحيح ، والنسائىّ ، وزاد فيه : بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وزاد فيه أيضاً : وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ . ورواه النسائى أيضاً من حديث معاذ ، وزاد فيه : مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ أُعْطِيَ مِثْلَ ذَلِكَ فى لَيْلَتِهِ .

٢ — وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمٍ التَّمِيمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله

الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ولا شك أن تعود إلى مهمانه . وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق ، فكل مايشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فإمساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص منه بإخراجه كما روى « أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم ، وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته . وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبى جهم فإنها ألهتنى آنفاً عن صلاتى وائتونى بأنبجانية أبى جهم » متفق عليه اهـ ص١٤٦ ج ١ لحب الدنيا رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن فرح بالدنيا لايفرح بالله سبحانه وتعالى وبمناجاته ، وهمة الرجل مع قرة عينه وهمة الدنيا والآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر مايدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل اهـ كلامه .

(١) أزال . (٢) حصن حصين مكين . (٣) حفظ من وساوس ذلك العدو الألد الذى يحدث النفس عن اتباع الفجور وترك طاعة الله . (٤) يظهر ، يقال نبغ الشىء إذا ظهر ونبغ فيهم النفاق إذا ظهر ما كانوا يخفون فيه ، وفى حديث عائشة : « غاض نبغ النفاق والردة » أى نقصه وأذهبه اهـ .

والمعنى : الذى يحافظ على قراءة هذا الورد كل يوم بعد صلاة الفجر تكرم عليه الله جل جلاله بزيادة حسنات مضاعفة وإزالة سيئات ماحقة ، وتحصن من المصائب ؛ ووقى شر الحوادث وبعد عن المكاره والوسواس الخناس فلا يجد الشيطان له فرصة يغويه ويضله هذا إلى سلامته من كل الذنوب مدة يومه إلا إذا ألحد وأشرك بربه أحداً ، وهذا عمل يسير به يناله فضل الله الكبير — ويجد بكل قولة ثواب إطلاق حرية نفس مؤمنة مسلمة ماشاء الله يجلى الذاكر فيقول : لاإله إلا الله وحده ..... فيغدقه الله برحمته : ويحيطه بكرامانه ، فاجتهد ياأخى أن تكثر من تسبيح الله وتحميده بعد صلاتى الفجر والعصر كما رواه سيدنا معاذ .

عليه وسلم : إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ : اللَّهُمَّ أَجِرْنِي[1] مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَارًا[2] مِنَ النَّارِ ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ ، فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ : اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَارًا مِنَ النَّارِ . رواه النسائىّ وهذا لفظه ، وأبو داود عن الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم بن الحارث .

[قال الحافظ] : وهو الصواب لأن الحارث بن مسلم تابعى ، قاله أبو زرعة وأبو حاتم الرازى .

٣ — وَعَنْ عِمَارَةَ بْنِ شَبِيبٍ السَّبَائِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى إِثْرِ[3] الْمَغْرِبِ بَعَثَ اللهُ لَهُ مَسْلَحَةً[4] يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ[5] ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ[6] ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ[7] عَشْرِ رَقَبَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ . رواه النسائىّ والترمذىّ ، وقال : حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث ليث ابن سعد ولا نعرف لعمارة سماعا من النبىّ صلى الله عليه وسلم .

٤ — وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ

---

(١) أعتقنى وأبعد عنى . (٢) فى النسخ المطبوعة التى بأيدينا : جواراً ، والجوار : أن تعطى الرجل ذمة فيكون بها جارك فتجيره من جاوره مجاورة وجواراً من باب قاتل ، أى أمنه الله مما يخاف . والجار : الحليف والناصر ، ولكن فى د المخطوطة ص ١٠٦ جوازاً : ومعنى جوازاً : أى براءة وإجازة تبعده عن جهنم : قال تعالى : (فلما جاوزه هو) أى تجاوز جوزه — وجاز الموضع : سلكه وسار فيه ، يجوز جوازاً وفى النهاية حديث : « كنت أبايع الناس ، وكان من خلقى الجواز » أى التساهل والتسامح فى البيع والاقتضاء .
(٣) أى بعد صلاة المغرب ؛ يقال : جئت فى أثره بفتحتين ، وإثره بكسر الهمزة والسكون ، أى تبعته عن قرب . (٤) ملائكة حافظة مزودة بقوة من الله ورعايته وصيانته ورحماته .
(٥) مستحقات الإثابة . وفى رواية : كتب له بها عشر ، ومحى عنه عشر . (٦) مهلكات جالبات الشر والضرر ومسببات العذاب الأليم . (٧) بقدر ثواب عتق أشخاص عشرة نالوا الحرية المطلقة وفكوا من أسر الذل والعبودية ؛ الله أكبر ؛ ورد بديع مصدر الخير والبر وعطف الله تقال هذه الصيغة مساء فتنال الحسنات وتذهب السيئات ، ويقيك الله شر الأعداء وتحوطك ملائكة الرحمة وتعد من المحسنين المنفقين المتقين .

شَيْءٍ قَدِيرٌ . عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا بِهِنَّ(١) عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ عِدْلَ(٢) عَتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ ، وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا(٣) حَتَّى يُمْسِيَ ، وَمَنْ قَالَهُنَّ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ دُبُرَ صَلَاتِهِ(٤) فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ . رواه أحمد والنسائى وابن حبان فى صحيحه ، وهذا لفظه .

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ : وَكُنَّ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ .

٥ — وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ قَالَ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ(٥) : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ أُعْطِيَ بِهِنَّ(٦) سَبْعًا : كَتَبَ

---

(١) فى نسخة : ومحى عنه . (٢) عدل : قدره وقيمة ونصيب . وعتق العبد يعتق عتقاً وعتاقا وعتاقة فهو عتيق وعاتق : والعتق الكرم ، وهو أيضا الجمال وهو أيضاً الحرية ، وكذا العتاق والعتاقة .
والمعنى إطلاق أربعة أنفس من ذل العبودية ، فيتنسمون نسيم الحرية والطلاقة وعدم الأسر والاستعباد .

(٣) يعنى أن الله يتفضل فيجعل لقائل هذا الورد حراساً له وحفظة ووقاية . (٤) بعد صلاته ينال زيادة الحسنات وإزالة السيئات ، ويتجلى عليه ربه بحراسته ، وتحيط به جنود الرحمة طيلة ليله حتى يصبح . فلتحافظ على هذا يا أخى ، فهذا وصف الصادق المصدوق المسلم الذاكر الله ، المحافظ على أداء حقوق الله ، المعتمد على مولاه . أى ثواب هذا الورد لقائله يساوى ثواب من أعتق عشرة أو أربعة أشخاص لوجه الله تعالى ومتعهن بالحرية .

(٥) الغدوة : مابين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس ، المعنى والله أعلم بعد أداء صلاة الفجر كما فى الحديث ، ويقال آتيك غداة غد ، والجمع غدوات ، فالغداة أول وقت الفجر ، وفيه حث على اليقظة مبكراً ، والإكثار من ذكر الله صباحا رجاء كسب الخير ، وزيادة الرزق ورفع الدرجات فى الجنة والبعد عن النار ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة مائة درجة مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة » وقد قال الله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) أى الخصلة الحسنى ؟ وهى السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة .

(٦) الله تعالى تكفل أن يعطيه سبع فوائد :
أولا ، عشر حسنات . ثانياً : محو سيئات . ثالثاً : زيادة درجات . رابعاً : ثواب العتق . خامساً : الحفظ من الشيطان . سادساً : السلامة من المصائب . سابعاً : التنقية من العيوب والنجاة من العذاب . تلك خصال سبعة لمن سبح الله وكبر ، أولئك عنها مبعدون . قال البيضاوى : لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين .
روى أن علياً كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن الجراح ، ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول : (لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) ١٠٤ من سورة الأنبياء . شاهدنا رفع الدرجات وأخبرنا صلى الله عليه وسلم بالمحافظة على التسبيح بعد الفجر والمغرب (خالدون) أى دائمون فى غاية التنعم ، ولا تهمهم النفخة الأخيرة وتستقبلهم ملائكة الرحمة ، مهنئين لهم هذا يوم ثوابكم الموعود به فى الدنيا .

اللهُ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ بِهِنَّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ عِدْلَ(١) عَشْرِ نَسَمَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ حِفْظًا(٢) مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَحِرْزًا(٣) مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ ذَنْبٌ إِلاَّ الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الْمَغْرِبِ أُعْطِىَ مِثْلَ ذَلِكَ لَيْلَتَهُ(٤) . رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد حسن واللفظ له .

[العدل] : بالكسر وفتحه لغة : هو المثل : وقال بعضهم : العدل بالكسر : ماعادل الشيء من جنسه ، وبالفتح : ماعادله من غير جنسه .

٦ ــ وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ دُبُرَ(٥) صَلاَةِ الْغَدَاةِ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِى وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَثْنِىَ رِجْلَيْهِ(٦) كَانَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الأَرْضِ عَمَلاً إِلاَّ مَنْ قَالَ مِثْلَ مَاقَالَ(٧) ، أَوْ زَادَ عَلَى(٨) مَاقَالَ . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد ، ورواه فيه ، وفى الكبير أيضاً من حديث أبى الدرداء ، ولفظه :

مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ(٩) : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِى وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ . كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مَرَّةٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ فِى يَوْمِهِ ذَلِكَ حِرْزًا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَحَرَسًا(٢) مِنَ

---

(١) العدل : بكسر العين : مثل الشيء من جنسه أومقداره ، وعدل الشيء بفتح العين: مايقوم مقامه من غير جنسه ، ومنه قوله تعالى : (أو عدل ذلك صياماً) ، والعدل . الفدية . قال تعالى : (وإن تعدل كل عدل لايؤخذ منها) . وقال عليه الصلاة والسلام «لايقبل منه صرف ولا عدل» ، والتعادل: التساوى ونسمات جمع نسمة : النفس بالسكون ، والجمع نسم ، والله بارىء النسم : خالق النفوس .

(٢) فى نسخة : حافظاً . (٣) مكانا يحفظ فيه ، والجمع أحراز : أى جعل الله له واقياً من المصائب والحوادث بإحاطة عناية الله جل جلاله . (٤) الله يتفضل بإكرامه وإعطائه هذا الثواب ويحفظه طول ليله كله . (٥) بعد صلاة الفجر . (٦) وهو جالس جلسة الصلاة .

(٧) إلا رجلا أكثر من تسبيح الله عن المائة . (٨) قبل أن يحادث أحداً ، أو يشتغل بهموم الدنيا وأفكارها . (٩) أى حراساً وحفظة : من حرسه : حفظه ، والاسم الحراسة .

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ مَرَّةٍ عِتْقُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، ثَمَنُ كُلِّ رَقَبَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ يَوْمَئِذٍ ذَنْبٌ إِلَّا الشِّرْكُ بِاللهِ(١) ، وَمَنْ قَالَ ذٰلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ كَانَ لَهُ مِثْلُ ذٰلِكَ .

٧ ــ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ غَنْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ ، وَيَثْنِيَ رِجْلَيْهِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالصُّبْحِ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَحِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَلَمْ يَحِلَّ لِلذَّنْبِ(٢) أَنْ يُدْرِكَهُ إِلَّا الشِّرْكُ ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ عَمَلاً إِلَّا رَجُلاً يَفْضُلُهُ(٣) يَقُولُ: أَفْضَلَ مِمَّا قَالَ. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب ، وعبد الرحمن ابن غنم مختلف فى صحبته ، وقد روى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم .

٨ ــ وَرُوِيَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُفِّرَتْ(٤) عَنْهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ . رواه ابن السنى فى كتابه .

---

(١) تنق صحائفه من كل الذنوب إلا إذا ألحد وخرج من دينه . (٢) فى نسخة : لذنب ٥٥ ١ ع أى يعصمه الله من الأخطاء فيسلم من كل إثم إلا إذا حاد عن الحق وأشرك بربه أى لا يلحقه معصية فلا يؤاخذ بذنب لهداية الله له بقراءة الورد . (٣) يزيد عليه ، أى فضل فضلا من باب قتل : زاد ، وخذ الفضل : أى الزيادة ، والجمع فضول ، وتفضل عليه وأفضل إفضالا . (٤) محيت ، ومنه الكفارة تكفر الذنب .

خلاصة الباب

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على صلاة الفجر والعكوف على التسبيح بصفة يذ هار رجاء درك الحسنات ، ونيل الدرجات ومحو السيئات ، والوقاية من الآلام ، والحفظ من العدو الألد الرجيم ، وأمل الهداية والتوفيق فى ذلك اليوم كله تفضلا من القادر القهار ، المعطى الوهاب ، وغمر هذا الفضل ثواب من تكرم على عبده بإعتاقه ، وفك قيد أسره ، وتحطيم سلاسل ذله وإطلاقه من الاستعباد ، وكذا دعا إلى قراءة هذا بعد صلاة العصر لينال الخير كله ليله . ثم أشار صلى الله عليه وسلم إلى دعاء « اللهم أجرنى من النار »

[قال الحافظ] : وأما مايقوله دبر الصلوات ، وإذا أصبح ، وإذا أمسى فلكلٍّ منهما باب يأتى إن شاء الله تعالى ، وتقدم فى باب الرحلة فى طلب العلم حديث قبيصة ، وفيه : أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لَهُ : يَا قَبِيصَةُ إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ ثَلَاثًا : سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ تُعَافَى مِنَ الْعَمَى ، وَالْجُذَامِ ، وَالْفَلَجِ . رواه أحمد .

الترهيب من فوات العصر بغير عذر

١ – عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ(١) عَمَلُهُ . رواه البخارى والنسائى وابن ماجه ، ولفظه قال : بَكِّرُوا بِالصَّلَاةِ فى يَوْمِ الْغَيْمِ(٢) فَإِنَّهُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ .

٢ – وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ مُتَعَمِّدًا(٣) فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ . رواه أحمد بإسناد صحيح .

٣ – وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وَسلم قالَ: الذى تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ(٤) أَهْلَهُ وَمَالَهُ . رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ، وزاد فى آخره قال مالك : تفسيره ذهاب الوقت .

لتضرع إلى الله بحمايته ، وإدراك عفوه ، والنجاة من عذابه ، وأن يكون لك جوارا ، أى مأمناً حقاً وجاهاً سامياً ، وركناً قويا ، ولن تجد أعز من الالتجاء إلى الله وجواره .

يأخى : الحادث يعتز بجوار مثله إذا عز وقوى ، فما بالك بالله العزيز القهار ، فحافظ على ورد ختم الصلاة رجاء إدراك تأمين الله لك (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) فيتجلى سبحانه على الصالحين فيظلهم بظله ويشملهم بعطفه ورحمته وجواره أى أمانه ، هذا إلى رد كيد الشيطان فى نحره والبراءة من غوايته والبعاد عن ضلالته ومصداق ذلك قوله تعالى: (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) ٦٦ من سورة الإسراء . أى المخلصين ليس للشيطان على إغوائهم قدرة وهم يتوكلون على الله فى الاستعاذة منه على الحقيقة .

(١) بطل ، وأحبط الله عمله ، أى أبطله . والمعنى أن الله تعالى لايقبل منه شيئاً فى ذلك اليوم .

(٢) تراكم السحاب فى السماء خشية ضياع وقت العصر وبذا يغضب الله على تاركه غضباً شديدا ، ويرد عمله فلا يقبله . (٣) أى عالماً مختاراً ليس له عذر فى تركه بأن لم يصبه مرض أخره أو سفر عاقه ، أو أمر طارئ منعه . (٤) أى نقص ، بضم الواو وكسر التاء . يقال : وترته إذا نقصته فكأنك جعلته وتراً بعد أن كان كثيراً ، وقيل هو من الوتر ، الجناية التى يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى ، فشبه مايلحق من فاتته صلاة العصر بمن قتل حميمه أو سلب أهله وماله . يروى بنصب الأهل ورفعه ، فمن نصب جعله مفعولا ثانياً لوتر ، وأضمر فيها مفعولا لم يسم فاعله عائداً إلى الذى فاتته الصلاة ومن رفع لم يضمر وأقام الأهل

٤ – وَعَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ .

وَفِى رِوَايَةٍ، قَالَ نَوْفَلٌ : صَلَاةٌ : مَنْ فَاتَتْهُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : هِيَ الْعَصْرُ . رواه النسائى .

الترغيب فى الإمامة مع الإتمام والإحسان

والترهيب منها عند عدمهما

١٣ – عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْمِصْرِيِّ قَالَ : سَافَرْنَا مَعَ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَحَضَرَتْنَا(١) الصَّلَاةُ فَأَرَدْنَا أَنْ يَتَقَدَّمَنَا، فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ أَمَّ(٢) قَوْمًا ، فَإِنْ أَتَمَّ(٣) فَلَهُ التَّمَامُ وَلَهُمُ التَّمَامُ، وَإِنْ لَمْ يُتِمَّ فَلَهُمُ(٤) التَّمَامُ

مقام مالم يسم فاعله لأنهم المصابون المأخوذون فمن رد النقص إلى الرجل نصبهما ، ومن رده إلى الأهل والمال رفعهما ، ومنه حديث محمد بن مسلمة : « أنا الموتور الثائر » أى صاحب الوتر الثائر الطالب بالثأر ، والموتور المفعول اهـ نهاية ص ١٩٢ .

قال الخطابى وغيره : نقص هو أهله وماله وسلبه ، فبقى بلا أهل ولا مال فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله ، وقال أبو عمر بن عبد البر : معناه عند أهل اللغة والفقه أنه كالذى يصاب بأهله وماله إصابة طلب بها وتراً ، والوتر الجناية التى يطلب ثأرها فيجتمع عليه غمان : غم المصيبة ، وغم مقاساة طلب الثأر ، وقال الداودى من المالكية : معناه يتوجه عليه من الاسترجاع مايتوجه على من فقد أهله وماله ، فيتوجه عليه الندم والأسف لتفويته الصلاة ، وقيل معناه : فاته من الثواب مايلحقه من الأسف عليه كما يلحق من ذهب أهل وماله .

قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : واختلفوا فى المراد بفوات العصر فى هذا الحديث فقال ابن وهب وغيره هو فيمن لم يصلها فى وقتها المختار . وقال سحنون والأصيلى : هو أن تفوته بغروب الشمس وقيل هو تفويتها إلى أن تصفر الشمس ، وقد ورد مفسراً من رواية الأوزاعى فى هذا الحديث . قال فيه وفواتها أن يدخل الشمس صفرة وروى عن سالم أنه قال هذا فيمن فاتته ناسياً ، وعلى قول الداودى هو فى العامد ، وهذا هو الأظهر ، ويؤيده حديث البخارى فى صحيحه : « من ترك العصر حبط عمله » ، وهذا إنما يكون عند العامد قال ابن عبد البر : ويحتمل أن يلحق بالعصر باقى الصلوات ويكون نبه بالعصر على غيرها ، وإنما خصها بالذكر لأنها تأتى وقت تعب الناس من مقاساة أعمالهم وحرصهم على قضاء أشغالهم وتسويفهم بها إلى انقضاء وظائفهم وفيما قاله نظر ، لأن الشرع ورد فى العصر . اهـ نووى ص ١٢٦ ج ٥ .

(١) حان وقت الصلاة . (٢) جعل إماماً .
(٣) أى الصلاة بتؤدة واستوفى شروطها وأركانها وخشوعها ، وطهر ثيابه وجسمه ، وأرضى ربه
(٤) المأمومون صلاتهم كاملة ونالوا الثواب كله .

وَعَلَيْهِ الإِثْمُ[١]. رواه أحمد واللفظ له، وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، ولفظهما:

مَنْ أَمَّ النَّاسَ فَأَصَابَ[٢] الْوَقْتَ، وَأَتَمَّ الصَّلاَةَ فَلَهُ وَلَهُمْ، وَمَنِ انْتَقَصَ[٣] مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً فَعَلَيْهِ وَلاَ عَلَيْهِمْ.

[قال الحافظ]: هو عندهم من رواية عبد الرحمن بن حرملة عن أبي عليّ المصريّ، وعبد الرحمن يأتي الكلام عليه.

٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ أَمَّ[٤] قَوْماً فَلْيَتَّقِ اللهَ[٥]، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ ضَامِنٌ[٦] مَسْئُولٌ[٧] لِمَا ضَمِنَ، وَإِنْ أَحْسَنَ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّي خَلْفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ[٨] فَهُوَ عَلَيْهِ. رواه الطبراني فى الأوسط من رواية معارك بن عباد.

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا[٩] فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ[١٠]. رواه البخاريّ وغيره، وابن حبان فى صحيحه، ولفظه:

---

(١) الذنب لأنه أخل بهذه القدوة، وغش المأمومين، وتجاهر على الله بنقصه، وتجارأ عليه بتدليسه (لا تخفى عليه خافية). (٢) وفق وأحسن، وخلص عمله لربه فقبله.

(٣) فى نسخة: نقص. (٤) صلى بالناس إماماً. (٥) فليخش الله وليحافظ على الطهارة والنظافة، وليحسن سيرته وسريرته، وليصلح نفسه، وليكن قدوة حسنة، وليبعد عن المحارم، وليتحل بالمكارم وليجتنب صحبة الأشرار، وليمش مع الأخيار، وحذار من سوء القدوة.

(٦) كفيل بحسن الصلاة وأدائها وسبب كثرة ثواب الله ورحمته، من ضمن الشىء ضماناً: كفل به فهو ضامن وضمين. قال فى النهاية فى حديث «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن» أراد بالضمان هنا الحفظ والرعاية، لا ضمان الغرامة لأنه يحفظ على القوم صلاتهم، وقيل إن صلاة المقتدين به فى عهدته وصحتها مقرونة بصحة صلاته فهو كالمتكفل لهم صحة صلاتهم اهـ ص ٢٦. (٧) أى يسأله الله جل وعلا عن تقصيره، وإهمال طهارته، وعنايته بشروط الصلاة وأركانها وسننها، لأنه أفقه وأورع وأكمل وأزهد، واختير لذلك.

(٨) بأن وقع فى صلاته خلل ولم يعلم به المأمومون، أى المؤمومين الثواب لأنهم اقتدوا بمن هو أكمل فى نظرهم. قال العلقمى: والمراد أن الإمام إن كان فى صلاته نقص وخلل بأن كان جنباً أو محدثاً، أو عليه نجاسة ولم يعلم المأمومون بحاله، فللمؤمومين الثواب، والإثم عليه فقط اهـ، والله تعالى حليم وصبور وعليم وخبير بالمصلح والمفسد، والصالح والطالح.

(٩) صلوا صلاة صحيحة. (١٠) تلكم الثواب بالقدوة، وعليهم الوزر بالتقصير وكتمان النقص

سَيَأْتِي أَوْ سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ ، فَإِنْ أَتَمُّوا فَلَكُمْ ، وَإِنِ انْتَقَصُوا فَعَلَيْهِمْ وَلَكُمْ .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: ثَلَاثَةٌ عَلَى كُثْبَانِ[1] الْمِسْكِ - أُرَاهُ قَالَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ : عَبْدٌ[2] أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ ، وَرَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ[3] ، وَرَجُلٌ يُنَادِي[4] بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . رواه أحمد والترمذى وقال : حديث حسن ، ورواه الطبرانى فى الصغير والأوسط بإسناد لا بأس به ، ولفظه :

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ثَلَاثَةٌ لَا يَهُولُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ[5] ، وَلَا يَنَالُهُمُ الْحِسَابُ[6] ، وَهُمْ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ حَتَّى يَفْرُغَ[7] مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ابْتِغَاءَ[8] وَجْهِ اللهِ ، وَأَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، الحديث ، وفى الباب أحاديث:

---

(١) جمع كثيب ، والكثيب : الرمل المستطيل المحدودب ، أى على طائفة من المسك الأذفر ذى الرائحة الطيبة . (٢) مملوك أدى الصلوات الخمس وأطاع الله ، وقام بواجبات ربه ، وواجبات سيده ، وأطاعه وخدمه بأمانة وذمة وصدق ووفاء وإخلاص . (٣) واثقون بحسن أخلاقه ، وكمال صفاته ورأوه متحلياً بآداب الشرع . وفى حديث «من أم قوماً وهم له كارهون فإن صلاته لا تجاوز ترقوته» أى كرهوه لمعنى مذموم فيه شرعاً ، فإن كرهوه لغير ذلك فلا كراهة فى حقه بل الملام عليهم . قال المناوى : أى لا ترتفع إلى الله تعالى رفع العمل الصالح بل أدنى شىء من الرفع اهـ . (٤) يؤذن ويدعو الناس إلى عبادة الله ويذكرهم بحلول الأوقات ويكون قدوة حسنة لهم . (٥) شدة الهول كما قال تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر) ، وفزع : خاف ، وفزعت إليه : لجأت ، وهو مفزع : أى ملجأ .

(٦) يسامحون من تدقيق الأسئلة يوم القيامة ويعفو الله عنهم ، ويسدل عليهم ستره .

(٧) ينتهى ، فرغ من الشغل فروغاً من باب قعد ، وفرغ يفرغ من باب تعب لغة لبنى تميم .

(٨) طلب ثواب الله تعالى ، يرتل القراءة ويعظ الناس ويرجو ثواب ربه فى قراءته لله ، ويأتم به الناس لله ، ويرشد الناس لله .

فقه الباب

مطالبة الإمام بتحسين حاله والتأدب بآداب الله ورسوله ، وخشية الله فى السر والعلانية والأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، واتباع المأمومين له ، ووجود الثقة به ، وعليهم أن يلبوا داعى الله ، ويأتموا به ، ويتركوا لعالم الأسرار حسابه ، فهو رقيب يجزى المحسن ، ويعاقب المسىء . قال الله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ، أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً) إن شاهدنا «من أحسن عملا» لا يحسن إطلاقه إلا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومن ثواب الله للمحسن وصلاته جنته ، والتحلية بأسوار الذهب زينة ، ولبس الخضرة من سندس : الذى رق من الديباج وإستبرق : ما غلظ منه يتنعمون على السرر والطنافس .

الْإِمَامُ ضَامِنٌ ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ (١) وغيرها ، وتقدم فى الأذان .

إن الإمامة أسمى مقصد وأجل طلب وكفى أنها كانت وظيفةسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وورثها الخلف والسلف الصالحون من بعده عليه الصلاة والسلام ، وقد أخبرنا جل وعلا عن عباده الصالحين ، فقال جل شأنه : (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً) ٧٧ من سورة الفرقان . أى عباد الرحمن الذين طلبوا من الله أن يهب لهم سروراً . قال البيضاوى بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن المؤمن إذا شاركه أهله فى طاعة الله سر بهم قلبه ، وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة اهـ (واجعلنا للمتقين إماماً) أى يقتدون بنا فى أمر الدين بإضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده . إنه لهم أعلى مواضع الجنة بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ، ورفض الشهوات ، وتحمل المجاهدات وتحيتهم ملائكة الرحمة ، ويدوم نعيمهم ، فلا يموتون فيها ولا يخرجون اهـ بيضاوى .

آداب الإمام فى القراءة والأركان والتحلل

وقد بين الغزالى فى إحيائه وظائف القراءة :

أولا : أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد : ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها فى جميع الصبح وأولى العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ، ويجهر بقوله : آمين فى الصلاة الجهرية ، وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لاتعقيباً ، ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم : هذا اختيار الشافعى رضى الله عنه .

ثانياً : أن يكون للإمام فى القيام ثلاث سكتات : أولاهن : إذا كبر ، الثانية : إذا فرغ من الفاتحة ، الثالثة : إذا فرغ من السورة قبل أن يركع .

ثالثاً : أن يقرأ فى الصبح سورتين من المثانى مادون المائة ، فإن الإطالة فى قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الإسفار ، ولابأس أن يقرأ فى الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها

وقد بين رحمه الله أيضاً وظائف الأركان :

أولا : أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد فى التسبيحات على ثلاث (١) . ثانياً : فى المأموم ينبغى ألا يساوى الإمام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد .

ثالثاً : لايزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة الجمع فيقول : « اللهم اغفر لنا » ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين » .

وبين وظائف التحلل :

أولا : أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة . ثانياً : أن يثبت عقب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، ويصلى النافلة فى موضع آخر .

ثالثاً : إذا وثب فينبغى أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام اهـ ص ١٥٩ ج ١ (١) مؤتمن على الأوقات يعتمد عليه فى تنبيه المسلمين ، يوثق به إذا أذن ، ويجاب إذا دعا فإنه حريص على الدقة .

---

(١) إذا كثر الجمع مع الطمأنينة ، فإذا حضر المتجردون للدين فلا بأس بعشر تسبيحات ، والله أعلم .

الترهيب من إمامة الرجل القوم وهم له كارهون

١ – عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كان يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَلَاةً: مَنْ تَقَدَّمَ(١) قَوْماً وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ(٢) وَرَجُلٌ يَأْتِي الصَّلَاةَ دِبَاراً(٣)، وَالدِّبَارُ(٤) أَنْ يَأْتِيَهَا بَعْدَ أَنْ تَفُوتَهُ، وَرَجُلٌ اعْتَبَدَ مُحَرَّراً(٥) رواه أبو داود وابن ماجه كلاهما من رواية عبد الرحمن بن زياد الإفريقي.

٢ – وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى بِقَوْمٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: إِنِّي نَسِيتُ أَنْ أَسْتَأْمِرَكُمْ(٦) قَبْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ، أَرَضِيتُمْ بِصَلَاتِي؟ قَالُوا نَعَمْ، وَمَنْ يَكْرَهُ ذٰلِكَ يَا حَوَارِيَّ(٧) رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: أَيُّمَا رَجُلٍ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ لَمْ تُجَاوِزْ صَلَاتُهُ أُذُنَيْهِ(٨) رواه الطبراني في الكبير من رواية سليمان بن أيوب، وهو الطلحي الكوفي، قيل فيه له مناكير.

٣ – وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ الْهُذَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَلَاةً، وَلَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا تُجَاوِزُ رُءُوسَهُمْ: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَرَجُلٌ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ(٩)، وَامْرَأَةٌ

---

(١) أم. (٢) قالون مبغضون، لأنهم رأوا تقصيراً ونقصاً في أفعاله وسيرته وروئيته، ولم يتحر الحق وحسن العبادة. (٣) أى بعد مايفوت وقتها، والمراد أنه يأتى الصلاة حين أدبر وقتها، ومنه الحديث: «لايأتى الجمعة إلا دبراً»، وحديث ابن مسعود: «من الناس من لايأتون الصلاة إلا دبراً».

(٤) في نسخة: وإدباراً. (٥) اعتبد محرراً: أى جاء إلى حر مطلق الحرية، فأذله وأسره وجعله عبده وفي نسخة مخطوطة: اعتمد محرماً، أى فعل محرماً. (٦) أن أستشيركم ومنه حديث المتعة: فأمرت نفسها أى شاورتها واستأمرتها. (٧) ناصر ومساعد. والحواريون: أنصار سيدنا عيسى عليه السلام لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم. قال صلى الله عليه وسلم: «الزبير ابن عمتى وحوارى» وقوله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي حوارى، وحوارى الزبير»، فتشبيه بهم في النصرة حيث قال: (من أنصارى إلى الله؟ قال. الحواريون نحن أنصار الله) اهـ غريب القرآن ص ١٣٥.

(٨) أكره الناس على الصلاة وراءه وهو فاسق أو عاص، وطهارته ناقصة فصلاته مردودة لم تصعد إلى الخالق جل وعلا، ولم يدون في صحائفه تماما.

(٩) دفع نفسه للصلاة على ميت بلا إذن من أصحاب الجنازة وتقدم على من هو أفضل منه وأفقه وأورع وأولى، وهو جاهل غر غير فقيه.

دَعَاهَا(١) زَوْجُهَا مِنَ اللَّيْلِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه هكذا مرسلاً ، وروى له سند آخر إلى أنس يرفعه .

٤ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : ثَلاثَةٌ لاَ تَرْتَفِعُ صَلاتُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ شِبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ(٢) ، وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ(٣) . رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه :

قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : ثَلاثَةٌ لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَلاَةً : إِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا غَضْبَانُ ، وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ .

٥ ــ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم :

---

(١) طلبها زوجها أن يقضى إربته ليلا فامتنعت .
هؤلاء ثلاثة لم تهذبهم صلاتهم ، ولم تغرس فيهم خوف الله وخشيته ومحبته ، وأعمالهم تضرب فى وجوههم ولم يقبلها ربهم .
أولا : المتصدى للإمامة وليس أهلا لها وجيرانه وأخدانه ومعارفه خبيرون بفسقه وفجوره ، وظلمه وغشه وعصيانه ، ومع ذلك يجبرون على الصلاة وراءه خوفاً من بطشه ، ومداراة ظلمه وقهره وسطوته وجاهه .
ثانياً : الصلاة على الجنازة فرض كفاية ، فيتصدى لها من ليس أهلا لها ، ويصلى مدفوعاً بدافع الإمرة ، ونفوذ الكلمة ، ولا ينتظر إذنا من أصحابها ، إذ السنة أن يصلى على الميت أهله أو يختارون العلماء الفضلاء .
ثالثاً : امرأة عاصية زوجها ناشزة يريد زوجها أن يعصم نفسه وإياها ويتقرب إليها تقرب الرجل لزوجه فترفض عناداً وتمتنع انتقاماً فهى مجرمة معرضة نفسها لغضب الله وملائكته . قال صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فابت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .
فعليك أخى بجميل نفسك وتزودها بتقوى الله وترك الإمامة للكفء الصالح ، وتؤدى الصلاة فى أوقاتها وإذا تقدمت فكن كسيدنا طلحة بن عبد الله يتواضع ويستشير أصحابه ويطلب تقدم غيره أو رضاهم عسى أن تدخل فى زمرة من قال الله تعالى فيهم : (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام) ٢٤ من سورة إبراهيم . أى بإذن الله تعالى والمدخلون هم الملائكة، وتحييهم الملائكة فيها بالسلام والأمان .
(٢) غضبان . أراد أن يتمتع بها كما أمر الله ، فعزت نفسها وهجرت فراشه ونشزت . ويل لها صلاتها لم تهذب نفسها ، ولم تعلمها أن طاعة الزوج واجبة ، وهى متاع له وتحت أمره ، وعصيانها فجور ، وامتناعها باب الشرور . (٣) متقاطعان يشنان غارة الشقاق والتنابذ والخصام وليس فى الدين ما يدعو إلى البغضاء فصلاتهما ناقصة لم تظهر ثمرتها فى المحبة لله والصلح لله والود وعدم التقاطع وترك الخصام «يعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام» هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الصلح .

ثَلاَثَةٌ لاَتُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ آذَانَهُمْ : الْعَبْدُ[1] الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ. رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب.

الترغيب فى الصف الأول وماجاء فى تسوية الصفوف والتراص فيها

وفضل ميامنها ومن صلى فى الصف المؤخر مخافة إيذاء غيره لو تقدم

١ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عليهِ وَسلم قالَ :

(١) المملوك الذى فر من خدمة سيده وهام على وجهه ، صلاته مردودة وطاعته لله ناقصة لأن الله تعالى أمر بإخلاص المملوك لسيده وخدمته بأمانة ، والصبر على أعماله ، والتفويض إليه جل وعلا .

فأنت تجد زهرة الصلاة فى إبراز العمل الصالح وشجرتها تذكو إن تحلى صاحبها بالخلال الحميدة ، فالإمام المصلى وأهله وجيرانه كارهون : ناقصة صلاته ومردودة عليه ، وكذا العاصية زوجها والمتقاطعان ، والخادم اللئيم الخداع الخائن ، والمملوك الهارب من خدمة سيده .

كنت قاطناً فى الحلمية ، وسكنت فى الناصرية بجوار الجامع الإسماعيلى ، فشاهدت إماما أحسن الصلاة ، وأدى أمانة الله ، واستقام فى عمله ، وحافظ على أوقاته وراقب ربه فى خلواته ، ووعظ فأثر وقال فأبدع ، ودرس فعلم ، وأفاد وأجاد ، فكانت النتيجة زيادة المصلين وإقبال المسلمين عليه زرافات ووحدانا ، وضاق الجامع بالمصلين على اتساعه ، فإذا حضرت أى مكتوبة فكأنها جمعة ، صفوف منتظمة متراصة وقلوب متآلفة متحابة ، ونفوس مشرئبة خاضعة خاشعة وآذان صاغية للنصيحة ؛ وحينئذ فهمت سر قوله صلى الله عليه وسلم « رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ، وأم به قوما وهم به راضون وثواب ربه له أن يظله تحت ظله ويؤمنه من هول القيامة ، فيقف على مسك ويشاهد النعيم ، ويبعد عن الجحيم . لماذا ؟ لأنه قام بوظيفته كما يحب الله ورسوله ، فأحبه الله وأقبل عليه المسلمون ينتفعون به ، وأضاء الله بصيرته ، ففقه وتفقه ، وعلم وتعلم وأثمر . أما الثانى والعياذ بالله ، فالمتغطرس المتكبر ، والمتفيقه المتجبر ، والكسلان فى عبادة ربه . والمظلم قلبه يؤدى الوظيفة ليكسب المرتب ويرغد ، ويزيد على من تحت يده . وإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أن صلاته مردودة لايقبلها الله . لماذا ؟ لأنه لم يحسن باطنه أمام مولاه عالم السرائر ، فأبغضه المسلمون ، فأمهم وهم كارهون .

فعليك أخى بالصدق وجنى المكارم والتخلق بالمحامد ، واعمل بالكتاب والسنة ، واجتهد أن تحسن عملك أمام الله فقط ، وشاور أهل الخير والدين رجاء أن تشعر برضاهم عنك . وحذار أن تتقدم إذا كان وراءك من هو أفقه منك إلا إذا امتنع فلك التقدم ، واحذر المدافعة ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يخشون الإمامة ، فيتدافعون خشية السهو ، أو شعور من هو أفضل ، أو خطر ضمان صلاتهم ، وتلك منزلة سامية لهم ، وفقنا الله للعمل على منهجهم ، والسير على ضوئهم ، والاقتداء بأمثالهم إنه قدير . إن الأنبياء أئمة ، وقد قال الله تعالى فيهم : (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) ٩٠ من سورة الأنبياء أى يبادرون إلى أبواب الخير ، راغبين فى الثواب راجين للإجابة وفى الطاعة ، وخائفين العقاب والمعصية مخبتين خائفين الوجل ، والمعنى نالوا من الله مانالوا بهذه الخصال .

لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ(١) وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ(٢)، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا(٣) عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا . رواه البخارى ومسلم .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ لَكَانَتْ قُرْعَةٌ .

٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا(٤) وَشَرُّهَا آخِرُهَا ، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا(٥) وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا . رواه مسلم وأبو داود والترمذىّ والنسائىّ وابن ماجه . وروى عن جماعة من الصحابة منهم: ابن عباس، وعمر بن الخطاب، وأنس بن مالك، وأبو سعيد، وأبو أمامة، وجابر بن عبد الله وغيرهم .

٣ - وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَسْتَغْفِرُ(٦) لِلصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ثَلَاثاً ، وَلِلثَّانِي مَرَّةً ، رواه ابن ماجه والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، ولم يخرّجا للعرباض ، وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه :

كَانَ يُصَلِّي عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ثَلَاثاً ، وَعَلَى الثَّانِي وَاحِدَةً . ولفظ النسائى كابن حبان إلا أنه قال :

كَانَ يُصَلِّي عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ مَرَّتَيْنِ .

٤ - وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ

---

(١) الأذان من الخير والبركة وزيادة رحمة الله .

(٢) الذى يلى الإمام من انصباب فضل الله وخيراته ، ثم لم يجدوا سبيلا لتحصيل فضل ذلك .

(٣) يقترعوا ، ووضع المضارع موضع الماضى لإفادة استمرار العلم ، وفى الحديث : الحث على منصب الأذان والصف الأول ، والتهجير للصلاة . (٤) الصف الأول لما فيه من التبكير إلى الصلاة بشرط عدم تخطى رقاب الناس . يقال : إن رحمة الله تنزل على الصف الأول أولا ثم تعم المصلين .

(٥) الصف الأخير لعدم اختلاط الرجال بالنساء . وفى الجامع الصغير : « خير صفوف الرجال » أى فى الصلاة أى أكثرها أجراً « أولها » لاختصاصه بكمال الأوصاف كالضبط عن الإمام والتحفظ من المرور بين يديه « وشرها » أى أقلها ثوابا « أولها » لما فيه من مقاربة الرجال ، وهذا فى حق النساء ليس على إطلاقه وإنما هو حيث يكن مع الرجال فإن تميزن عن الرجال فكالرجال ص ٢٤٩ ج ٢ .

(٦) أى يطلب المغفرة والرضوان لمن سارع فأدرك الجلوس فى الصف الأول ، وحاز الأفضلية ، ونال قصب السبق فى مضمار الحسنات والرحمات .

اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ(١) عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَعَلَى الثَّانِى . قَالَ : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَعَلَى الثَّانِى ؟ قَالَ وَعَلَى الثَّانِى ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : سَوُّوا(٢) صُفُوفَكُمْ ، وَحَاذُوا(٣) بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ وَلِينُوا(٤) فِى أَيْدِى إِخْوَانِكُمْ ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ(٥) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ

---

(١) الله تعالى وملائكته يدعون بالغفران والرضوان لمن سبق فأدرك أول صف فى المسجد ، وفى الجامع الصغير : يستغفرون لأهله ، فيستحب أن يتقدم الناس فى الصف الأول ويستحب إتمامه ، ثم الذى يليه ، وأن لايشرع فى صف حتى يتم ماقبله ، وهذا الحكم مستمر فى صفوف الرجال ، وكذا فى صفوف النساء المنفردات بجماعتهن عن جماعة الرجال . أما إذا صلت النساء مع الرجال جماعة واحدة وليس بينهما حائل فأفضل صفوف النساء آخرها اهـ ص ٣٢٧ ج ١ .

فأنت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى تلبية المؤذن . وإجابة الداعى فوراً حالا ، والسبق ليدرك مكانا فى الصف الذى يلى الإمام رجاء كثرة الثواب وإحسان الله . وهل تجد أدق نظام وأجل ترتيب من صفوف الصلاة فى الجماعة ، ويقول السيد الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وقد رأى تأخرا : « تقدموا فائتموا بى وليأتم بكم من بعدكم ، لايزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله » رواه أبو سعيد الخدرى من رواية مسلم . وقال النووى : معنى وليأتم بكم من بعدكم : أى يقتدوا بى مستدلين على أفعالى بأفعالكم . ففيه جواز اعتماد المأموم فى متابعة الإمام الذى لايراه ؛ ولا يسمعه على مبلغ عنه ، أو صف قدامه يراه متابعا للإمام ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لايزال قوم يتأخرون » أى عن الصفوف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم . اهـ ص ١٥٩ ج ٤ .

قال الله تعالى : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ٥ من سورة الصف أى مصطفين صفوفا منتظمة مرتبة ثابتين فى تراصهم من غير فرجة — . والرص : اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه . وهذا درس للمجاهدين فى سبيل نصر دين الله يحاربون أعداء الدين ، ومنه أخذ المصلون تسوية الصفوف لأنهم واقفون بين يدى الله يرجون المغفرة ويجاهدون النفس عسى أن تذل لربها ، وتخضع لبارئها وتتضرع بإخلاص إلى سيدها .

(٢) اجعلوها معتدلة متساوية كالخط المستقيم المعتدل . (٣) أى وازوا ، من حذوته وحاذيته . يقال رفع يديه حذو أذنيه ، وحذاء أذنيه ـ ومناكب جمع منكب ، وهو مجتمع رأس العضد والكتف لأنه يعتمد عليه ، والمعنى : قفوا متوازين متراصين حذوك الكتف بالكتف ، والنعل بالنعل . كما قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . (٤) أى اتبعوا إشارة إخوانكم ورأى أصحابكم ، ويكون المؤمن هيناً ليناً سهلا متواضعاً قابلا للإرشاد ، وتسوية الصف — واللين ضد الخشونة ، من لان الشىء يلين ليناً ، وفى حديث ابن عمر : « خياركم ألا ينكم مناكب فى الصلاة » قال فى النهاية : هى جمع ألين وهو بمعنى السكون والوقار والخشوع . ومنه : (يتلون كتاب الله ليناً) أى سهلا على ألسنتهم .

(٥) املأوا الفرجة ، وسدوا الثغرة فى صفوفكم . والخلل : الفرجة بين الشيئين ، والجمع خلال ، أى أقيموا الثلمة المتروكة ؛ ومنه : اللهم اسدد خلته ، وأصلها من التخلل بين الشيئين . ماشاء الله . قائد ماهر يحسن القيادة ويبدع الرياسة يعلم المسلمين التكاتف على الخير والتعاون على البر واتحاد القلوب قبل الأجسام ، وتذليل الأخلاق ، ولين الجانب ، ونقاء الضمائر من المكاره والمحارم ، والالتجاء إلى الرب الرقيب المطلع على السرائر

بِمَنْزِلَةِ الْحَذَفِ، يَعْنِي أَوْلَادَ الضَّأْنِ الصِّغَارَ رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبرانى وغيره.

[الحذف] : بالحاء المهملة والذال المعجمة مفتوحتين وبعدهما فاء .

٥ ـ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ[١] عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ أَوِ الصُّفُوفِ الْأُوَلِ .

رواه أحمد بإسناد جيد .

٦ ـ وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِي نَاحِيَةَ الصَّفِّ ، وَيُسَوِّي بَيْنَ صُدُورِ الْقَوْمِ وَمَنَاكِبِهِمْ ، وَيَقُولُ: لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ[٢] قُلُوبُكُمْ ، إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ[٣] . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

٧ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم: سَوُّوا[٤] صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ. رواه البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم. وفى رواية للبخارى: فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ. ورواه أبو داود ولفظه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم قَالَ: رُصُّوا[٥] صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالْأَعْنَاقِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهُ الْحَذَفُ . رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما نحو رواية أبي داود .

[الخلل] : بفتح الخاء المعجمة واللام أيضاً : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص .

٨ ـ وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

وإزالة سلطة الشيطان ، وطرده من معابدهم حتى قال الله تعالى فى البشرى بنوزهم : (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

(١) يستغفرون ويدعون .

(٢) فتتغير ، أى لا تعوج صفوفكم ، ولا يختل نظامكم خشية ميل قلوبكم : وعدم إخلاصكم ، وإن تسوية الصفوف من حسن الصلاة وتمامها . كما قال صلى الله عليه وسلم . (٣) على أهل الصف الأول المبكرين المسرعين لإدراكه بلا تخطى رقاب ، أو إيذاء أحد بالمرور عليه ومضايقته .

(٤) أى أقيموها وعدلوها وتراصوا فيها .

(٥) ضموها إلى بعضها ، وتقاربوا وتحاذوا جنباً لجنب .

عليه وسلم : اسْتَوُوا تَسْتَوِ قُلُوبُكُمْ ، وَتَمَاسُّوا تَرَاحَمُوا . قالَ شُرَيْحٌ : تَمَاسُّوا ، يَعْنِي تَزَاحَمُوا[1] ، أوْ فى الصَّلَاةِ ؛ وقال غيره : تَمَاسُّوا تَوَاصَلُوا . رواه الطبرانى فى الأوسط .

٩ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : أَقِيمُوا الصُّفُوفَ ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَلَا تَذَرُوا[2] فُرُجَاتِ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ[3] اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ[4] اللهُ . رواه أحمد وأبو داود ، وعند النسائىّ وابن خزيمة آخره .

[الفرجات] : جمع فرجة ، وهى المكان الخالى بين الاثنين .

١٠ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ : وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ : يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ ، وَيَتَرَاصُّونَ فى الصَّفِّ . رواه أبو مسلم وأبو داود والنسائىّ وابن ماجه .

١١ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فى الصَّلَاةِ[5] . رواه أبو داود .

١٢ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا

---

(١) فى نسخة : ازدحموا ٩١٥ ع ، ومعنى استووا : استقيموا وقفوا معتدلين كالخط المستقيم الذى لا يميل يمنة ولا يسرة

(٢) ولا تتركوا الثغرات والفتحات ، وتصدع الصفوف بوجود جزء خال بين اثنين .

(٣) رحمه وأنعم عليه بخيراته ، ورضى عنه .

(٤) غضب عليه ، ولم يضاعف حسناته ، وأبعده عن حظيرة قدسه .

(٥) قال المناوى : أى ألزمكم للسكينة والوقار والخشوع ، ويحتمل أن يكون معناه أى لا يمتنع على من يريد الدخول بين الصفوف لسد الخلل ، ولضيق المكان بل يمكنه من ذلك ، ولا يدفعه بمنكبه ، أو أنه يطاوع من جره ليصطف معه إذا لم يجد فرجة اهـ جامع صغير ص ٢٤٢ فتجد الحديث يشمل ثلاثة :

أولا : التؤدة وترك العبث والخشوع لله .

ثانيا : إذا كانت هناك فرجة ضيقة لا تسع شخصاً ، فجاء شخص ضم نفسه ، ولين منكبه حتى وسعه ، وهذا معنى جميل يدعو المسلمين إلى اتساع الصدر ، والترحيب بالطائع ، والمشاركة فى الخير والتحمل والصبر . وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .

ثالثاً : إذا جره شخص ليصطف معه لين منكبه وطاوعه . تلك خلال المؤمنين (هينون لينون أيسار ذوو كرم)

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِوَجْهِهِ[١] ، فَقَالَ : أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا[٢] ، فَإِنِّى أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِى[٣] . رواه البخارىّ ، ومسلم بنحوه .

وفى رواية للبخارىّ : فَكَانَ أَحَدُنَا يَلْزَقُ[٤] مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ .

١٣ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَحْسِنُوا إِقَامَةَ[٥] الصُّفُوفِ فى الصَّلَاةِ . رواه أحمد ، ورواته رواة الصحيح .

١٤ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ[٦] عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ . رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن .

١٥ — وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ :

---

(١) ينظم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوفهم . وفيه : السنة أن يراقب الإمام الصفوف قبل الدخول فى الصلاة فيصلح معوجهم . ويرشد حائرهم . (٢) انضموا وتقفوا متضامنين متجاورين ، وفيه الأمر بالتراص .

(٣) قال النووى : قال العلماء : معناه أن الله تعالى خلق له صلى الله عليه وسلم إدراكا فى قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت له العادة صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا ، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به . قال القاضى : قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة اهـ ١٤٩ ج ٤ . (٤) يقرب ويضم . من لزق به الشىء ، ولزقته فعلته من غير إحكام ولا إتقان فهو مزق أى غير وثيق . (٥) وقوف المأمومين بانتظام .

(٦) الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار : أى يستغفرون لمن على يمين الإمام من كل صف . وفى النهاية : يمن الله الإنسان بيمنه يمناً ، فهو ميمون والله يامن ويمين كقادر وقدير اهـ : أى جعلك مباركا ويامن فلان وياسر : أخذ ذات اليمين وذات الشمال ، وتيامن بهم تياسر .

قال العلقمى : قال الغزالى وغيره : ينبغى لداخل المسجد أن يقصد ميمنة الصف ، فإنها يمن وبركة ، وإن الله تعالى يصلى على أهلها اهـ . وفى الجامع الصغير قلت : وهذا إذا كان فيها سعة . ولم يؤذ أهلها ، ولا تعطل ميسرة المسجد . فإن قلت ينافيه : أى هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : «من عمر ميسرة المسجد كتب له كفلان من الأجر» . قلت : لامنافاة لأنه قد يحصل لصاحب الميمنة مايوازى ذلك أو يزيد . وقد يحصل لصاحب الميسرة مايزيد على صاحب الميمنة بحسب نيته وإخلاصه . وسبب الحرص على ميمنة الإمام أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا أحرص الناس على تحصيل القربات ، فلما حث النبى صلى الله عليه وسلم على ميمنة الصف ازدحموا عليها ، فتعطلت الميسرة ، فقال ذلك . اهـ ص ٣٧٢ ج ١ .

وأنا أقول : يأتى المأموم ، فيجلس حيث ينتهى به المكان الخالى ، ولا يزاحم : ولا يتخطى رقاب الناس ، ولا يضايق من سبق وأدرك الصف الأول ، ويخلص نيته لربه ، ويتق الله فى سره وجهره ويتطهر ، ليعمل صالحاً حتى تنفعه صلاته ، وبذا يدرك رحمة ربه ، ويحظى بثوابه ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

رَبِّ قِنِي[١] عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ[٢] عِبَادَكَ . رواه مسلم .

١٦ – وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَرَكَ[٣] الصَّفَّ الْأَوَّلَ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْذِيَ أَحَدًا أَضْعَفَ اللهُ لَهُ أَجْرَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

الترغيب فى وصل الصفوف وسد الفرج

١ – عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ[٤] الصُّفُوفَ . رواه أحمد ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، زاد ابن ماجه : « وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً » .

٢ – وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَأْتِي الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ فَيَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا[٥] ، أَوْ صُدُورَنَا وَيَقُولُ : لَا تَخْتَلِفُوا[٦] فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ . قال : وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ[٧] الصُّفُوفَ الْأُوَلَ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

٣ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ وَصَلَ صَفًّا[٨] وَصَلَهُ[٩] اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَ[١٠] صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ . رواه النسائى

---

(١) أبعد عنى واحفظنى . (٢) تحيى عبادك للحشر والنشر والجزاء .

(٣) غير فارق أى رضى بالمكان الذى أدركه ، ولم يتعد أو يضايق أحدا . (٤) يرى فرجة فيسدها حتى لا يخلو شىء بين المأمومين ، أو يدركون فيقفون فى أول صف تلا الإمام . (٥) يساوى ويوازى .

(٦) لا يحصل خلل فى وقوفكم عند الصلاة فى الصفوف خشية ميل القلوب ، وزيغها عن الحق واعوجاجها وحسن عبادتها لربها ، فكأن التراص سبب الهداية وشمس القبول ومعين السعادة ، وداعيا من دواعى إتمام الصلاة وحسنها ، وإسدال ستر الله عليها وإغداق ثوابه . (٧) يساعدون على ملء الصفوف الأول فالأول ولا يرضون بأى ثغرة تغير بهاء الموقف ، وتزيل جمال الاتحاد والتراص . (٨) أتمه .

(٩) رحمه . (١٠) لم يسد الفرجة ، ووقف وحده ، وفى الجامع الصغير . (وصل صفا) من صفوف الصلاة (وصله الله) زاد فى بره . وأدخله فى رحمته (قطعه الله) قطع عنه مزيد بره . وهذا يحتمل الدعاء أو الخبر . اهـ ص ٣٦١ ج ٣ . وأرى هذا فى المصلين كثيراً ، تقام الصفوف فترى شاذاً مأموما وحده أو اثنين بعيدين عن الصفوف المتراصة المتوازية المتجاورة .

وابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ورواه أحمد وأبو داود فى آخر حديث تقدم قريباً .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلَاةِ ، وَمَامِنْ خَطْوَةٍ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خُطْوَةٍ مَشَاهَا رَجُلٌ إِلَى فُرْجَةٍ فِى الصَّفِّ فَسَدَّهَا[1] . رواه البزار بإسناد حسن ، وابن حبان فى صحيحه كلاهما بالشطر الأول ، ورواه بتمامه الطبرانى في الأوسط .

٥ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَبَنَى لَهُ بَيْتاً فى الْجَنَّةِ . رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية مسلم بن خالد الزنجى ، وتقدم عند ابن ماجه فى أول الباب دون قوله : « وَبَنَى لَهُ بَيْتاً فى الْجَنَّةِ » ورواه الأصبهانى بالزيادة أيضاً من حديث أبي هريرة ، وفى إسناده عصمة بن محمد . قال أبو حاتم : ليس بقوىّ ، وقال غيره : متروك .

٦ — وَعَنْ أَبِى جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ سَدَّ فُرْجَةً[2] فى الصَّفِّ غُفِرَ لَهُ . رواه البزار بإسناد حسن ، واسم أبى جحيفة : وهب بن عبد الله السوائي .

٧ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قال : إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ ، وَلَا يَصِلُ عَبْدٌ صَفًّا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهِ دَرَجَةً[3] ، وَذَرَّتْ[4] عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْبِرِّ رواه الطبراني فى الأوسط ، ولا بأس بإسناده .

---

(١) أعظم ثواباً عندالله نقل القدمين لسد ثغرة فى الصف . فاحذرأخى أن تقف مأموماً بعيداً عن الجماعة فتحرم من عطف الله ورضوانه ، وإذا رأيت فرجة فسدها واخط لتملأها لتحوز رضا الله ورفعته ، وليشاد لك قصر فى الجنة . وهذا ترغيب فى وصل الصفوف وضمها ، وعدم ترك أى ثغرة أو ثلمة .

(٢) الفرجة : هى الخلل الذى يكون بين المصلين فى الصفوف ، فيستحب أن تسد الفرج فى الصفوف لينال هذا الثواب العظيم ، ويستحب الاعتدال فى الصفوف ، فإذا وقفوا فى صف ، فلا يتقدم بعضهم بصدره ، ولاغيره ، ولا يتأخر عن الباس . ويستحب أن يكون الإمام وسط القوم اهـ جامع صغير .

(٣) رفعة فى الجنة . (٤) فى نسخة : درت . در بالمال : كثر وسال بمعنى أن ملائكة الرحمة تكثر عليهم من بركات الله ، وتزيدهم من نعمه ، وتحيط بهم من رحماته ، وكذا ذر يقال ذر اللبن : كثر ، وذر الحب والملح والدواء : فرقه من باب رد ، ومنه الذريرة والذرور بالفتح .

٨ - وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ ، وَمَا مِنْ خَطْوَةٍ(١) أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا الْعَبْدُ يَصِلُ بِهَا صَفًّا . رواه أبو داود فى حديث ، وابن خزيمة بدون ذكر الخطوة ، وتقدم .

٩ - وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : خَطْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا : أَحَبُّ الْخُطَا إِلَى اللَّهِ ، وَالْأُخْرَى : أَبْغَضُ الْخُطَا إِلَى اللَّهِ ؛ فَأَمَّا الَّتِى يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : فَرَجُلٌ نَظَرَ إِلَى خَلَلٍ فِى الصَّفِّ فَسَدَّهُ ، وَأَمَّا الَّتِى يُبْغِضُهَا اللَّهُ : فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَقُومَ مَدَّ(٢) رِجْلَهُ الْيُمْنَى ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ، وَأَثْبَتَ الْيُسْرَى ثُمَّ قَامَ . رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم .

١٠ - وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قِيلَ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مَيْسَرَةَ الْمَسْجِدِ قَدْ تَعَطَّلَتْ(٣) فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ عَمَّرَ مَيْسَرَةَ الْمَسْجِدِ كُتِبَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ . رواه ابن خزيمة وغيره .

---

(١) بالفتح المرة والخطوة بالضم : مابين القدمين يخطوها المأموم يسد خللا فى الصف يضاعف الله ثوابه .

(٢) أى يقوم متكبراً متجبراً . أو يقوم متكاسلا متخاذلا متهاوناً يمد اليمنى أولا وعليها يده ، ويقف على اليسرى كأنه فقد النشاط والقوة فى العبادة ، وهذه فعلة الشيطان .

(٣) لاأحد فيها . سمع المسلمون أفضلية ميمنة الإمام وتركوا ميسرة المسجد فرغب صلى الله عليه وسلم فيها ، وأخبر أنك إذا عمرت جهة متروكة فى المسجد لله بإخلاص لله أعطاك الله حسنات من فى ميمنة الإمام فى الصف الأول ، والمدار على النية ، واتباع الأصلح ، والتسليم لله ، ودرك الأسبقية بالتبكير ، وزيادة الانتظار فى المسجد حبا فى ذكر الله وطاعته ، والترهيب من التأخير والتزاحم ، والمرور أمام المصلين ، والمشى عليهم وتأذيهم .

فقـه البـاب

ضم الصفوف ، وسد الفرجة رجاء نيل رحمة الله . ودعاء الملائكة بالغفران للمأمومين وأن يتعهد الإمام المأمومين ، فينظم صفوفهم ، ويرتب وقوفهم ، ويسد خللهم ، ويعدل معوجهم رجاء صلاة الله لهم ، فيدخلون فى زمرة الصالحين الذين وعدهم جل شأنه بقوله سبحانه : (إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) ٥٥ من سورة القمر . يجلسون فى مكان مرضى مقربين عند من تعالى أمره فى الملك والاقتدار بحيث أبهمه عن ذوى الأفهام . وهنا يشير صلى الله عليه وسلم الى نبراس جنى ذلك : « من سد فرجة رفعه الله بها درجة » وقال تعالى : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) ٣٥ من سورة القلم . أى لهم فى الآخرة ، أو فى جوار القدس جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص ، وما أيسر ثمن ذلك : أن تخلص لربك فى عملك الصالح ، وتحافظ على الجماعة فى وقتها ، وإذا رأيت فرجة تسدها ، ثم تتواضع فتنظر جهة خالية فى المسجد من المأمومين

١١ – وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ عَمَّرَ جَانِبَ الْمَسْجِدِ الْأَيْسَرِ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ . رواه الطبرانى فى الكبير من رواية بقية بن الوليد .

الترهيب من تأخر الرجال إلى أواخر صفوفهم وتقدم النساء

إلى أوائل صفوفهن ومن اعوجاج الصفوف

١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ : أَوَّلُهَا ، وَشَرُّهَا : آخِرُهَا ، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ : آخِرُهَا ، وَشَرُّهَا : أَوَّلُهَا[1] . رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ، وتقدم .

٢ – وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى فى أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا ، فَقَالَ لَهُمْ : تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي ، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ[2] ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ . رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه :

٣ – وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ فى النَّارِ[3] . رواه أبو داود ،

فتذهب لإتمام الصف لله ، وحب الله ، وبما بشير صلى الله عليه وسلم «فله أجران» قال تعالى: (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ٧٥ من سورة ال عمران إن شاهدنا (يختص برحمته من يشاء) رجاء تفويض المسلم إلى ربه جميع حركاته وسكناته وتنقلاته ، ومراعاته المصلحة لله ، فسواء أكان فى الصف الأول أم سبق ، ولكن تأخر : إن ثوابه يضاعف .

(١) قال النووى : المراد صفوف النساء اللواتى يصلين مع الرجال ، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال . خير صفوفهن أولها ، وشرها آخرها ، والمراد بشر الصفوف فى الرجال والنساء أقلها ثوابا وفضلا وأبعدها من مطلوب الشرع ، وخيرها بعكسه ، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم ، وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم ، وسماع كلامهم ، ونحو ذلك ، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والله أعلم . واعلم أن الصف الأول الممدوح هو الصف الذى يلى الإمام سواء جاء صاحبه متقدما أو متأخرا ، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا . هذا هو الصحيح الذى يقتضيه ظواهر الأحاديث ، وصرح به المحققون اهـ ص ١٦٠ ج ٤ .

(٢) أى يأتموا ويقتدوا بى مستدلين على أفعالى بأفعالكم . (٣) يحضرون مبكرين ويتعمدون ألا يملأوا الصف الأول . ويخلون بنظامه ، ويوجدون الثغرة فيه ، ثم يتأخرون عنه ، فيعاقبهم الله بعذابه الأليم . وفيه أن السنة أن يملأ الصف الأول أولا فأولا وهكذا ، ولا يتركه ، فيذهب إلى غيره بلا عذر .

وابن خزيمة فى صحيحه وابن حبان إلا أنهما قالا : حَتَّى يُخَلِّفَهُمُ اللهُ فى النَّارِ .

٤ – وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ مَنَا كِبَنَا[1] فى الصَّلَاةِ وَيَقُولُ : اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . رواه مسلم وغيره.

٥ – وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ[2] اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ . رواه مالك والبخاريّ ومسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائىّ وابن ماجه .

وَفِى رِوَايَةٍ لَهُمْ خَلَا الْبُخَارِيِّ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : كَانَ يُسَوِّى صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّى بِهَا الْقِدَاحَ[3] حَتَّى رَآنَا أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا[4] عَنْهُ ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ[5] فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ[6] مِنَ الصَّفِّ ، فَقَالَ : عِبَادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ .

---

(١) قال النووى : أى يسوى مناكبنا فى الصفوف ، ويعدلنا فيها . فى هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام لأنه أولى بالإكرام ، ولأنه ربما احتاج إلى استخلاف فيكون هو أولى ، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس وليقتدى بأفعالهم من وراءهم . ولا يختص هذا التقديم بالصلاة . بل السنة أن يقدم أهل الفضل فى كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وسماع الحديث ونحوها ، ويكون الناس فيها على مراتبهم فى العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة ، وفيه تسوية الصفوف ، واعتناء الإمام بها ، والحث عليها اهـ ص ١٥٥ ج ٤ .

ومعنى ليلنى : ليتبعنى ويقرب منى . وأولو الأحلام البالغون . والنهى : العاقلون . قال أهل اللغة : النهى الواحدة نهية ، وهى العقل ، ورجل نه ونهى من قوم نهين ، وسمى العقل نهية لأنه ينتهى إلى ما أمر به ، ولا يتجاوزه ، وقيل : لأنه ينهى عن القبائح ، ومعنى الذين يلونهم : الذين يقربون منهم . اهـ نووى .

(٢) قال النووى : قيل معناه يمسخها ويحولها عن صورها لقوله صلى الله عليه وسلم : « يجعل الله تعالى صورته صورة حمار » وقيل : يغير صفاتها ، والأظهر – والله أعلم – أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب . كما يقال : تغير وجه فلان على : أى ظهر لى من وجهه كراهة لى ، وتغير قلبه على لأن مخالفتهم فى الصفوف مخالفة فى ظواهرهم ، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن اهـ ص ١٥٧ ج ٤ .

(٣) خشب السهام حين تنحت وتبرى ، واحدها قدح ، معناه يبالغ فى تسويتها حتى تصير كأنما يقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها . وفيه الحث على تسويتها ، وجواز الكلام بين الإقامة ، والدخول فى الصلاة . وهذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ، ومنعه بعض العلماء ، والصواب الجواز . سواء كان الكلام لمصلحة الصلاة أو لغيرها ، أو لا لمصلحة . اهـ نووى . (٤) فهمنا عنه حسن إقامة الصفوف .

(٥) قرب أن يدخل فى الصلاة بنية التكبير . (٦) ظاهراً بارزاً صدره خارجا عن الصف .

وفى رواية لأبى داود وابن حبان فى صحيحه : أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ[1] . قال فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَلْزَقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ ، وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَةِ صَاحِبِهِ ، وَكَعْبَهُ بِكَعْبِهِ[2] .

[القداح] : بكسر القاف ، جمع قدح ، وهو : خشب السهم إذا برى قبل أن يجعل فيه النصل والريش .

٦ — وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَتَخَلَّلُ[3] الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا وَيَقُولُ : لاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُوَلِ .

رواه أبو داود والنسائىّ وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه :

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم : يَأْتِينَا فَيَمْسَحُ عَوَاتِقَنَا[4] وَصُدُورَنَا وَيَقُولُ: لاَ تَخْتَلِفْ صُفُوفُكُمْ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ، إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ.

وفى رواية لابن خزيمة : لاَ تَخْتَلِفْ صُدُورُكُمْ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ .

٧ وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَتُسَوُّنَّ[5] الصُّفُوفَ ، أَوْ لَتُطْمَسَنَّ الْوُجُوهُ ، أَوْ لَتُغْمِضُنَّ[6] أَبْصَارَكُمْ ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ

---

(١) أمر بإقامة الصفوف متساوية ؛ وإلا حول الله القلوب ، فتتقد عداوة واختلافا وتزداد إبعاداً عن الله . (٢) يروى ذلك الصحابى العمل بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاهد تلاصق المناكب، ولزوق الركب ، وتساوى الكعاب كالبنيان المرصوص .

(٣) يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المأمومين ، ويتعهد صفوفهم ويراعى حركة وقوفهم ، ويمد يده الشريفة ، فينظم الوقوف ، ويمسح الصدور والمناكب ، وينهاهم عن الاختلاف والتفرق ، ويبث فيهم النشاط وروح النظام وحسن الوقوف أمام رب العالمين . (٤) جمع عاتق : المسافة مابين المنكب والعنق وهو موضع الرداء . (٥) والله إن لم تسوا الصفوف كما يحب الله ورسوله لتغيرن الوجوه فيصيبها الاضمحلال والخزى ، ويلحقها الهوان والصفرة والضعف ولتضعفن أبصاركم ويقل نظركم ، وترمد أعينكم ، أو تخطف خطفاً وتزول زوالا ، فيأخذ سبحانه وتعالى هذه النعمة منكم ولا يردها . نسأل الله السلامة ، وفيه الإلزام بتسوية الصفوف رجاء التمتع بنعم الله من صحة تامة ، وحفظ الأبصار والأمر بالسكون فى الصلاة ، والتراص فيها ، وإتمام الصفوف الأول . وفيه النهى الأكيد ، والوعيد الشديد فى ذلك . (٦) والله إن لم تغمضوا أبصاركم حتى لاتنظر الى زخارف الدنيا لتؤخذ ولا ترجع عقابا لعدم خشوعكم ، وعذابا لنفوسكم إذ لم تراع وقوفها أمام ربها ذليلة . أغمضت العين إغماضاً ، وغمضتها تغميضاً : أطبقت الأجفان ، ومنه قيل : أغمضت عنه : إذا تجاوزت .

أَبْصَارُكُمْ . رواه أحمد والطبراني من طريق عبيد الله بن زحر عن عليّ بن زيد وقد مشاه بعضهم .

الترغيب فى التأمين خلف الإمام وفى الدعاء

وما يقوله فى الاعتدال والاستفتاح

١ — عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : إِذَا قَالَ الإِمَامُ : غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ، فَقُولُوا : آمِينَ (١) . فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلاَئِكَةِ (٢) غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (٣) . رواه مالك والبخارى ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والنسائيّ وابن ماجه .

يا أخى : قف خاشعاً فى صلاتك ، واجتهد أن تنتظم فى الصف ، وانظر إلى مكان سجودك ، أو اغمض العينين وفكر فى معنى ماتقرأ ، واشغل قلبك بصلاتك فقط رجاء إسباغ نعم الله عليك ووفرتها ، وإغداق حسنات مولاك عليك وكثرتها فتفوز بالحسنى والسعادة فى الحياة . قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ١٠ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) ١١ من سورة يونس . أى بسبب إيمانهم ، وإخلاصهم لربهم ، وحب العمل بشريعة نبيهم أضاء الله لهم طريق الجنة فسلكوا وأدركوا الحقائق باتباع السنة كما قال عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم » . وإن دعاءهم فى الجنة : اللهم إنا نسبحك تسبيحاً ، وتحييهم الملائكة ، ويحيي بعضهم بعضاً بالسلام ، وآخر دعائهم الثناء على الله . قال البيضاوى : ولعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف الكرامات ، أو الله تعالى فحمدوه ، وأثنوا عليه بصفات الإكرام ، و « أن » هى المخففة من الثقيلة ، وقد قرئ بها ، وبنصب الحمد اهـ ص ٣٠١ . إن مضمون الباب كله الإنذار والعقاب لمن لم يسو الصف ، ومن سوى الصف رضى الله عنه ورحمه وأدخله الجنة بدليل صلاته تعالى عليه وملائكته . ونتيجة ذلك نعيم الله ، وهو ماتعنيه فى الآية رجاء أن تكون من الصالحين المؤمنين .

(١) أى أمنوا معه . قال النووى : فيه استحباب التأمين للإمام والمأموم والمنفرد ؛ وأنه ينبغى أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لاقبله ولا بعده . ويسن للإمام والمنفرد الجهر بالتأمين ، وكذا المأموم على المذهب الصحيح . هذا تفصيل مذهبنا ، وقد اجتمعت الأمة على أن المنفرد يؤمن ، وكذلك الإمام والمأموم فى الصلاة السرية ، وكذلك قال الجمهور فى الجهرية ، وقال مالك رحمه الله تعالى فى رواية : لايؤمن الإمام فى الجهرية . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه والكوفيون ومالك فى رواية : لايجهر بالتأمين . وقال الأكثرون : يجهر . اهـ ص ١٣٠ ج ٤ .

(٢) قال النووى : معناه وافقهم فى وقت التأمين فأمن مع تأمينهم ، فهذا هو الصحيح والصواب ، وحكى القاضى عياض قولا : أن معناه وافقهم فى الصفة والخشوع والإخلاص . واختلفوا فى هؤلاء الملائكة ، فقيل : هم الحفظة ، وقيل : غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم « فوافق قوله قول أهل السماء » . وأجاب الأولون عنه بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها من فوقهم حتى ينتهى إلى أهل السماء اهـ .

(٣) يتجلى ربنا بالمغفرة لمن ترقب الإمام ، وقال معه آمين مع خشوع وذلة وإحضار

وَفى رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ : إِذَا قالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِى السَّمَاءِ آمِينَ ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ .

وفى رواية لابن ماجه والنسائى : إِذَا أَمَّنَ[1] الْقَارِئُ فَأَمِّنُوا ، الحديث .

وفى رواية للنسائى : وَإِذَا قالَ : غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ . فَقُولُوا : آمِينَ . فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ كَلاَمُهُ كَلاَمَ الْمَلاَئِكَةِ غُفِرَ لِمَنْ فى الْمَسْجِدِ[2] .

[آمين] : تمد وتقصر ، وتشديد الممدود لغية ، وقيل : هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقيل معناها : اللهم استجب ، أو كذلك فافعل ، أو كذلك فايكن .

٢ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَاحَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَاحَسَدَتْكُمْ[3] عَلَى السَّلاَمِ وَالتَّأْمِينِ[4] . رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن خزيمة فى صحيحه ، وأحمد ، ولفظه :

إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْيَهُودُ فَقَالَ : إِنَّهُمْ لَمْ يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا حَسَدُونَا عَلَى الْجُمُعَةِ[5] الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى الْقِبْلَةِ[6] الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا ، وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ : آمِينَ[7] . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن ، ولفظه قال :

إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَئِمُوا دِينَهُمْ ، وَهُمْ قَوْمٌ حُسَّدٌ[8] ، وَلَمْ يَحْسُدُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ

قلب لله ، وإخلاص له . لحة تكون سبب السعادة . فيها ينال المخلص الغفران والرضوان كما قال صلى الله عليه وسلم ، وقال النووى : فى هذا الحديث دليل على قراءة الفاتحة لأن التأمين لا يكون إلا عقبها . والله أعلم اه ومعنى آمين : استجب يا ألله . (١) أى إذا أراد التأمين فانتهزوا هذه الفرصة ، وقولوا معه آمين عسى أن تفتح أبواب الرحمة ، فتنالوا قسطا منها . لماذا ؟ لأنك عبدت الله ، ووافقت ألفاظ الملائكة المطهرين المقربين الذين لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ؟ فعمتك رحمة الله ، وأصابك فضل الله ، وتحليت بمصاحبة السادة المخلصين فى طلب إجابة الدعاء من الله . (٢) يتفضل الله بالغفران للمأمومين بل كل من فى المسجد

(٣) لم تحقد اليهود عليكم مثل حقدها ، وتحية المسلمين : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) الذى يحي له تسعون حسنة ، والذى يرد التحية له عشر حسنات . هذا إلى أنه سبب الألفة والمودة والمحبة ، وطلب الأمن من الله ، والطمأنينة والسلامة والأنس .

(٤) موافقة كلمة آمين مع الإمام تسبب دخول الجنة بسبب غفران الخطايا .

(٥) صلاة الجمعة يجتمع المسلمون فى مكان واحد يحي بعضهم بعضاً ويتآخون ويتوادون ويتحابون .

(٦) اتجاه المصلى نحو الكعبة . (٧) انتهاز طلب إجابة الدعاء مع الإمام والملائكة .

(٨) متمنون زوال نعمة المسلمين .

ثَلَاثٍ : رَدُّ السَّلَامِ(١) وَإِقَامَةِ الصُّفُوفِ(٢) ، وَقَوْلِهِمْ خَلْفَ إِمَامِهِمْ فى المَكْتُوبَةِ آمِينَ(٣) .

٣ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم جُلُوساً فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ أَعْطَانِي خِصَالاً ثَلَاثَةً : أَعْطَانِي صَلَاةً(٤) فى الصُّفُوفِ ، وَأَعْطَانِي التَّحِيَّةَ إِنَّهَا لَتَحِيَّةُ(٥) أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَأَعْطَانِي التَّأْمِينَ(٦) وَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنَ النَّبِيِّينَ قَبْلِي إِلاَّ أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ أَعْطَاهُ هَارُونَ يَدْعُو مُوسَى ، وَيُؤَمِّنُ هَارُونُ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية زربى مولى آل المهلب ، وتردد فى ثبوته .

٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا قَالَ الإِمَامُ : غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ . قَالَ الَّذِينَ خَلْفَهُ(٧) : آمِينَ . الْتَقَتْ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ(٨) ، وَأَهْلِ الأَرْضِ آمِينَ غَفَرَ اللهُ لِلْعَبْدِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ(٩) قَالَ : وَمَثَلُ الَّذِي لاَ يَقُولُ آمِينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ غَزَا(١٠) مَعَ قَوْمٍ فَاقْتَرَعُوا فَخَرَجَ سِهَامُهُمْ ، وَلَمْ

---

(١) رد التحية : ينال عليها الأجر . (٢) صفوف المأمومين تراص لنيل ثواب الله .

(٣) قول هذا الدعاء مع الإمام فى الفريضة .

(٤) الجماعة مع تسوية صفوف المأمومين سبب إدرار الرحمة ونزول البركات وإدراك الخيرات .

(٥) فى الجنة يحيي المسلمون بتحية السلام كما كانوا فى الدنيا ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى ، والسلام المؤمن المهيمن . قيل : وصف بذلك من حيث لايلحقه العيوب والآفات التى تلحق الخلق ، وقوله : (سلام قولا من رب رحيم ـ وسلام عليكم بما صبرتم ـ وسلام على آل ياسين) كل ذلك من الناس بالقول، ومن الله بالفعل وهو إعطاء ماتقدم ذكره مما يكون فى الجنة من السلامة ، والسلم والسلامة : التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة .

(٦) المسلمون يؤمنون مع الملائكة طالبين من الله إجابة دعائهم كما دعا سيدنا موسى ، وأمن على دعائه أخوه هارون عليهما الصلاة والسلام .

ففيه تنبيه المأمومين على اليقظة والتفكير ، وقول آمين مع الإمام .

(٧) المأمومون الذين ليوا مع إمامهم . (٨) الملائكة .

(٩) الصغائر التى اقترفها ، والكبائر يؤجل حسابها .

(١٠) يشبه صلى الله عليه وسلم المأموم الذى غفل عن ذكر آمين مع الإمام وسها واشتغل بغير مراقبة الإمام بجنود حاربوا ففازوا ، وغزوا فانتصروا ، ثم اجتمعوا بعد الفتح المبين لتقسيم الغنائم ، وتوزيع الجوائز إلا جندى واحد لم يخرج سهمه فى القرعة ، وخسر ولم يأخذ شيئاً من الغنائم فسأل قائده لماذا لم يخرج سهمى ؟ فقال لأنك لم تطلبه ولم تتضرع إليه مع المأمومين فلم تقل (آمين) إن هذا مثل محسوس لمن قال فاز ومن لم يقل لم يفز

يخرج سهمه ، فقال : ما لسهمي لم يخرج ؟ قال : إنك لم تقل آمين . رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبى سليم .

٥ — وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين يجبكم[1] الله . رواه الطبرانى فى الكبير، ورواه مسلم وأبو داود والنسائى فى حديث طويل عن أبى موسى الأشعرى قال فيه : إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ، وليؤمكم أحدكم ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا قال : غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا : آمين يجبكم .

٦ — وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حسدتكم[2] اليهود على شىء ما حسدتكم على آمين ، فأكثروا من قول آمين . رواه ابن ماجه .

٧ — وعن أبى مصبح المقرائى قال : كنا نجلس إلى أبي زهير النميري رضى الله عنه ، وكان من الصحابة يحدث أحسن الحديث ، فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال : اختمه[3] بآمين ، فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة[4] . قال أبو زهير النميرى : أخبركم عن ذلك : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نمشي فأتينا على

ويوفقكم ويرفع درجاتكم
(١) يجبكم ، ويعطكم ماتسألون ، ويثبكم ، وينفعكم ، ويكثر رزقكم ،
قالوا : الحسد
(٢) ماتمنت زوال نعمتكم مثل ماتمنت زوال الثواب ، والعطاء والإجابة عند قول آمين .
والمنافق يحسد»
تمنى زوال نعمة من مستحق لها ، وربما كان ذلك سعيا فى إزالتها ، وروى « المؤمن يغبط ،
أى أعوذ بك يارب من بغيض أظهر
قال تعالى : (حسدا من عند أنفسهم) . (ومن شر حاسد إذا حسد)
من كثرة حسناتى .
حسده ، وأبان كرهه لما أنعمت على به ، واغتامه بسرورى وضرره
يأمرك أيها المأموم بترقب قولها مع الإمام بلا ضجة وبلا غوغاء ،
وترى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأن الله تعالى جدير بالإجابة ، وولى من
وبلا صوت مزعج وبلا رياء أو غطرسة ، مع تضرع وذلة لله ،
وخزائن رحمته لاتنفد . مامصدرية ظرفية ، أى
استعان به ، وعزيز يعز المطيعين ويذل المتجبرين المتكبرين ،
ثوابها فحسدوا المسلمين .
كحسدكم على هذه النعمة ، وقد أعلمهم أحبارهم على جزيل
وتفضل المولى جلا وعلا بالعطف والرحمة والرأفة
(٣) اجعل آخر دعائك ذكر (آمين) رجاء استجابة الدعاء
بقدرة الله وإحسانه وإكرامه .
وإجابة السؤال وبلوغ الآمال ودرك البعيد وجنى مالا تأمل وجوده
بختم أبرزته فى صحيفتك وإمضاء أنفذت به
(٤) شبه أبو زهير النميرى ذلك الصحابى الجليل قول آمين
كتابتك وعلامة قبول لتيسير طلبتك ، ورجاء شئت به قولك .

رَجُلٍ قَدْ أَلَحَّ(١) فى المَسْئَلَةِ فَوَقَفَ النَّبِىُّ صلى اللهُ عليه وَسلم يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وَسلم : أَوْجَبَ(٢) إِنْ خَتَمَ(٣) ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ بِأَيِّ شَىْءٍ يَخْتِمُ ؟ فَقَالَ بِآمِينَ ، فَإِنَّهُ إِنْ خَتَمَ بِآمِينَ فَقَدْ أَوْجَبَ ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ الَّذِى سَأَلَ النَّبِىَّ صلى الله عليه وَسلم فَأَتَى الرَّجُلَ فَقَالَ : أَخْتِمْ(٤) يَافُلَانُ بِآمِينَ وَأَبْشِرْ رواه أبو داود .

[مصبح] بضم الميم وكسر الباء الموحدة بعدها حاء مهملة .

[والمقرائى] بضم الميم ، وقيل بفتحها ، والضم أشهر ، وبسكون القاف وبعدها راء ممدودة : نسبة إلى قرية بدمشق .

٨ — وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ سَلَمَةَ الْفِهْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم يَقُولُ : لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ(٥) فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ إِلاَّ أَجَابَهُمُ اللهُ . رواه الحاكم .

٩ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّى مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللهُ أَكْبَرُ(٦) كَبِيرًا(٧) ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ(٨) كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا

---

(١) أقبل على الطلب مواظباً ، وأكثر من الرجاء وإتمام مسألته ، يقال ألح السحاب : دام مطره وألح الرجل على شىء : ألحف . (٢) أى صارت الإجابة محققة ، وقضاء وطره مأمولا ، وخيره منتظراً .

(٣) أى أعقب دعاءه ، وطلبه من ربه سبحانه وتعالى بذكر (آمين) .

(٤) أى عليك بذكر (آمين) بعد دعائك يافلان ، وانتظر البشرى وحسن الإجابة .

(٥) ملأ : جماعة يجتمعون على رأى فيملئون العيون رواء ومنظرا ، والنفوس بهاء وجلالا . قال تعالى: (ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل) . يقال فلان ملء العيون : أى معظم عند من رآه كأنه ملأ عينه من رؤيته اهـ غريب . (٦) الله الكبير فوضع أفعل موضع فعيل كقول الفرزدق :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أى عزيزة طويلة ، وقيل معناه : الله أكبر من كل شىء . أى أعظمه فحذفت من الوضوح معناه . وقيل معناه : الله أكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته .

(٧) منصوب بإضمار فعل كأنه قال : أكبر كبيراً ، وقيل هو منصوب على القطع من اسم الله .

(٨) الثناء على الله وإجلاله يزيد كثيراً ، وتقديس الله وتنزيهه صباحا ومساء فائدة تلاوتها تجعلك فى حوزة رضا الله ، وتفتح أبواب الرحمة فيجاب الدعاء : ولذا اتخذها سيدنا عبد الله ورداً له ويختم بها دعاءه عسى أن يشمله إحسان مولاه جل جلاله فاقتد به يا أخى .

وفيه الترغيب من كثرة ذكر الله . وسياق الحديث : أن رجلا قائما فى صلاته : أى بعد تكبيرة الإحرام

وكَذَا ؟ فقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : أَنَا يَارَسُولَ اللهِ، فقَالَ : عَجِبْتُ لَهَا! فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ . قالَ ابْنُ عُمَرَ : فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ذٰلِكَ . رواه مسلم .

١٠ — وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قالَ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . قالَ رَجُلٌ مِنْ وَرَائِهِ : رَبَّنَا[1] وَلَكَ الحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً[2] مُبَارَكاً فِيهِ[3] ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قالَ : مَنِ المُتَكَلِّمُ[4] ؟ قالَ أَنَا . قالَ : رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ ؟ . رواه مالك والبخارى ، وأبو داود والنسائى .

---

(١) ياربنا لك الثناء الجميل ، والفضل الجزيل الوفير .

(٢) أصل الطيب ماتستلذ به الحواس ، وما تستلذه النفس : أى ثناء صادرا عن إخلاص متحلياً بالعلم والإيمان والشكر ، فإنه تعالى جدير بكل جميل . قيل الطيب من الإنسان من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال ، وتحلى بالعلم والإيمان ، ومحاسن الأعمال ، وإياهم قصد بقوله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) اهـ نهاية .

(٣) فيه الخير . قال فى النهاية : المبارك مافيه ذلك الخير . على ذلك (هذا ذكر مبارك أنزلناه) تنبيها على مايفيض عليه من الخيرات الإلهية ، وقوله تعالى : (وجعلنى مباركا) أى موضع الخيرات الإلهية اهـ . يقال : بارك الله لك وفيك وعليك وباركك ، ومنه قوله تعالى : (أن بورك من فى النار) وتبارك الله . أى بارك ، والبركة النماء ، والزيادة .

(٤) سأل صلى الله عليه وسلم : ليعرف من قالها . ثم أخبره أن أكثر من ثلاثة وثلاثين ملكا يسرعون فى كتابة ثوابها ويتسابقون على البداءة بكتابتها لكثرة ثوابها وجزيل أجرها وقبول الله تعالى لقائلها . والحمد لله : الثناء عليه تعالى بالفضيلة ، وهو أخص من المدح وأعم من الشكر . قال تعالى (إنه حميد مجيد) قال فى النهاية : يصح أن يكون فى معنى المحمود ، وأن يكون فى معنى الحامد . وقد كتب الإمام النووى رحمه الله : فى باب مايقول إذا رفع رأسه من الركوع من فوائده ، واستحباب هذا الذكر ووجوب الاعتدال ، ووجوب الطمأنينة فيه ، وأنه يستحب لكل مصل من إمام ومأموم ومنفرد أن يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ، ويجمع بينهما فيكون قوله : سمع الله لمن حمده : فى حال ارتفاعه ، وقوله : ربنا لك الحمد فى حال اعتداله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » رواه البخارى . ومعنى سمع : أجاب ، ومعناه : أن من حمد الله تعالى متعرضاً لثوابه استجاب الله تعالى له وأعطاه ماتعرض له فإنا نقول : ربنا لك الحمد لتحصيل ذلك اهـ ص ١٩٣ — ٤ .

فقه الباب

ا — المحافظة على الانتباه واليقظة حتى يقول آمين مع الإمام رجاء عفو الله وستره ومغفرته .

ب — تأدية السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، وقد كره اليهود هذه المنة وحسدوا المسلمين على هذه النعمة التحية والتأمين ، لما فيهما من تفضل الله تعالى بكثرة ثوابه ، وإغداق حسناته للمحافظين على أدائهما .

١١ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: إِذَا قالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

وفى رواية للبخارىّ ومسلم فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، بالواو.

الترغيب من رفع المأموم رأسه قبل الإمام فى الركوع والسجود

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ رُكُوعٍ أَوْ سُجُودٍ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ(١). رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، ورواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد، ولفظه:

قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ كَلْبٍ. ورواه فى الكبير موقوفاً على عبد الله بن مسعود بأسانيد أحدها جيد، ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ، ولفظه:

الثالثة: تراص صفوف المسلمين فى العبادة، ونظر الله تعالى لهم نظر رحمة ورأفة ورضا، لما فى ذلك من الاتحاد، وتوثيق عرى الإخاء والوفاء والمحبة، فيدعو بعضهم ويؤمن الآخرون.

ج — الخيبة والحسرة لمن لم يقل آمين مع الإمام وغيره برز وحاز قصب السبق فى مضمار الفوز فقال آمين معه

د — إن آمين: دعاء وتضرع وتذلل وطلب إجابة، وقد أخبر الصادق المصدوق عن الله تعالى: (يجبكم) لماذا؟ لأنها الإمضاء الممهور بالتنفيذ والمرجو إتمامه والطابع المشمول بالرعاية والمأمول النافذ وحسبك وجود فئة تطلب، وأخرى تسأل الله الإجابة.

ثم انتقل صلى الله عليه وسلم إلى ذكر تسبيح بعد تكبيرة الإحرام عمل به الإمامان أبو حنيفة ومالك رضى الله عنهما، ودرج الشافعى رضى الله عنه فائدته فى قوله (وجهت وجهى) الخ.

ويأخى لا مانع من ذكره لعل رحمة الله تشملنا، ثم بين صلى الله عليه وسلم أن حلة من الملائكة المقربين يسرعون بالسبق فى كتابة ثواب من قال فى الرفع من ركوعه (سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد) رجاء محافظة المسلمين على ذكرها، والبضع فى العدد من ثلاث إلى تسع، والله سبحانه أعلم. قال تعالى: (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) أى أعقاب الصلوات.

(١) قال النووى رحمه الله تعالى: هذا كله بيان لغلظ تحريم ذلك والله أعلم اهـ. أى الله تعالى يمسخ صورته أو يغير خلقه لأنه أساء الوقوف أمام خالقه، ففيه تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوها.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

أَمَا يَخْشَى الَّذِى يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ كَلْبٍ[1].

[قال الخطابى] : اختلف الناس فيمن فعل ذلك ، فروى عن ابن عمر أنه قال : لَا صَلَاةَ لِمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ ، وَأَمَّا عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا : قَدْ أَسَاءَ وَصَلَاتُهُ تُجْزِئُهُ غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَأْمُرُونَ بِأَنْ يَعُودَ إِلَى السُّجُودِ، وَيَمْكُثُ فِى سُجُودِهِ بَعْدَ أَنْ يَرْفَعَ الْإِمَامُ رَأْسَهُ بِقَدْرِ مَا كَانَ تَرَكَ انْتَهَى .

٢ — وَعَنْهُ أَيْضاً رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قال: الَّذِى يَخْفِضُ[2] وَيَرْفَعُ قَبْلَ الْإِمَامِ إِنَّمَا نَاصِيَتُهُ بِيَدِ شَيْطَانٍ . رواه البزار والطبراني بإسناد حسن ، ورواه مالك فى الموطأ فوقفه عليه ولم يرفعه .

الترهيب من عدم إتمام الركوع والسجود

وإقامة الصلب بينهما وما جاء فى الخشوع

١ — عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الْبَدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تُجْزِئُ[3] صَلَاةُ الرَّجُلِ حَتَّى يُقِيمَ ظَهْرَهُ فِى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ . رواه أحمد وأبو داود، واللفظ له، والترمذى والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، ورواه الطبرانى والبيهقى، وقالا : إسناده صحيح ثابت، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

٢ — وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ شِبْلٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله

(١) سبحانه ، يغضب على من سبق الإمام فيجعله على صورة كلب انتقاما منه ، وتأديبا لغيره ، ولكنه حليم وصبور وغفور وعفو .

(٢) أى الإمام يعتدل من الركوع فيخالف المأموم ويسجد ، أو الإمام يسجد فيقف المأموم . والمعنى من خالف حركات إمامه وسبقه ، فإن الشيطان قائده إلى بطلان الصلاة ، ويحرمه من ثواب الله ، ويضيع عليه ثواب الجماعة ، ويلعب به ، ويدخل على قلبه الوسواس والفكر ، وهموم الدنيا حتى لا يعقل شيئاً من صلاته نسأل الله السلامة .

فاتق الله أيها المصلى واستحى أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوسواس الشيطان وخبائث الشهوات وإن الله تعالى مطلع على سريرتك وناظر إلى قلبك ، وقد انعقد إجماع العلماء على أنه لا يكتب لك من صلاتك إلا ماعقلت منها ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى صلاته ، فقال : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقال الثورى : من لم يخشع فسدت صلاته .

(٣) لاتؤدى ولا تصح حتى يعتدل ويطمئن ، ويستوى ظهره .

عليه وسلم عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ(١) ، وَافْتِرَاشِ(٢) السَّبُعِ ، وَأَنْ يُوطِنَ(٣) الرَّجُلُ الْمَكَانَ فى الْمَسْجِدِ كما يُوطِنُ الْبَعِيرُ . رواه أحمد وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

٣ — وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : أَسْوَأُ(٤) النَّاسِ سَرِقَةً ، الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْرِقُ مِنَ الصَّلاَةِ ؟ قال : لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهَا ، وَلاَ سُجُودَهَا ، أَوْ قَالَ : لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ فى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ . رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : أَسْرَقُ النَّاسِ(٥) الَّذِي يَسْرِقُ صَلاَتَهُ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْرِقُ صَلاَتَهُ ؟ قالَ : لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا ، وَأَبْخَلُ(٦) النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلاَمِ رواه الطبرانى فى معاجيمه الثلاثة بإسناد جيد .

---

(١) التقاط ، يريد صلى الله عليه وسلم تخفيف السجود ، وأنه لايمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله . اهـ نهاية . (٢) هو أن يبسط ذراعيه فى السجود ولايرفعهما عن الأرض كما يبسط الكلب والذئب ذراعيه والافتراش افتعال ، من الفرش والفراش . اهـ نهاية .

(٣) فى نسخة : وأن يوطئ ، والوطء : الإثبات والغمز فى الأرض . قال فى النهاية : وأن يوطن الرجل فى المكان بالمسجد كما يوطن البعير ، قيل معناه : أن يألف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصاً به يصلى فيه كالبعير لايأوى من عطن إلا إلى مبرك دمث قد أوطنه واتخذه مناخا ، وقيل : معناه أن يبرك على ركبتيه قبل يديه إذا أراد السجود مثل بروك البعير . يقال : أوطنت الأرض ووطنتها واستوطنتها : أى اتخذتها وطناً ومحلا ، ومنه الحديث « أنه نهى عن إيطان المساجد » أى اتخاذها وطناً ، وفى صفته صلى الله عليه وسلم كان لايوطن الأماكن : أى لايتخذ لنفسه مجلساً يعرف به اهـ .

(٤) أكثر شرا وأجلب أذى وضررا ، وبينها صلى الله عليه وسلم فى غمس الركوع أو السجود أو نقص الاعتدال فيهما ، وعدم الطمأنينة لهدم ركنى الصلاة وإبطالها وعدم الإحسان فيها ، ووقوفه أمام ربه خائباً خاسراً غير مؤدب ، وغير مهذب .

(٥) أشد الناس سرقة وأكثر الناس نصباً وخداعا ولؤما ومكراً واحتيالا . المسرع فى صلاته المختلس فى ركوعه أو سجوده غير المطمئن فى صلاته . لماذا ؟ لأنه يتجارأ على ربه ، وفقد الخشية منه ، وبعد عن التأنى ومال إلى الإجحاف والإسراع ، فباء بالخسران ، والعياذ بالله .

(٦) أكثر الناس شحاً ومنعاً للخير : من بخل بالسلام على المسلمين عز عليهم ، ولا يقول لهم : السلام عليكم ورحمة الله . لماذا ؟ لأنه يتكبر على الناس ويتجبر ، ويظهر الغطرسة والجفاء ، ويتباعد عن الألفة والمودة ، ولا يتقرب لهم بتحية المسلمين . والسلام من الله : النجاة والأمن والاطمئنان ، والسلامة من كل مكروه ، والسلام : المؤمن المهيمن . قال تعالى : (لهم دار السلام عند ربهم) أى السلامة ، وقال تعالى :

٥ — وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ شَيْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: خَرَجْنا حَتَّى قَدِمْنا[1] عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَبايَعْناهُ[2] وَصَلَّيْنا خَلْفَهُ[3] فَلَمَحَ[4] بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ رَجُلاً لاَ يُقِيمُ صَلاَتَهُ ، يَعْنِي صُلْبَهُ فى الرُّكُوعِ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ قالَ : يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ : لاَصَلاَةَ لِمَنْ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ فى[5] الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ . رواه أحمد وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما .

٦ — وَعَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لاَ يَنْظُرُ[6] اللهُ إِلَى صَلاَةِ عَبْدٍ لاَ يُقِيمُ فِيها صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِها وَسُجُودِها . رواه الطبرانىّ فى الكبير ، ورواته ثقات .

٧ — وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلاً لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهُ ، وَيَنْقُرُ[7] فى سُجُودِهِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : لَوْ ماتَ هٰذَا عَلَى حالِهِ هٰذِهِ ماتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ[8] صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ الَّذِي لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهُ ، وَيَنْقُرُ فى سُجُودِهِ مَثَلُ الجائِعِ يَأْكُلُ التَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ لاَ تُغْنِيانِ عَنْهُ شَيْئاً . قالَ أَبُو صالِحٍ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ : مَنْ حَدَّثَ بِهٰذَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قالَ : أُمَراءُ الأَجْنادِ عَمْرُو بْنُ العاصِي وَخالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ سَمِعُوهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . رواه الطبرانى فى الكبير ، وأبو يعلى بإسناد حسن ، وابن خزيمة فى صحيحه .

(والله يدعوإلىدارالسلام – يهدى بهاللهمن اتبعرضوانهسبل السلام) وفيه أن المؤمن الكريم من بذل السلام وحافظ على أداء تحية المسلمين :

(١) أتينا إليه صلى الله عليه وسلم .

(٢) أخذنا عليه العهد والمواثيق أن نطيع الله ، ونعمل بكتابه ونهتدى بهديه .

(٣) وصلينا وراءه صلى الله عليه وسلم . (٤) فنظر .

(٥) فى نسخة : من : أى لايعتدل ، وفيه لابد من الاعتدال والطمأنينة وإلا بطلت صلاته.

(٦) لاينظر الله نظر رحمة وعطف وقبول ، ويرد صلاته .

(٧) يسرع فى سجوده كما ينقر الديك ولم يتم ، ويقال هو يصلى القرى .

(٨) لأنه لايتم أركان صلاته فبطلت فانهدم ركن من إسلامه تخرج منه ، والعياذ بالله، لماذا؟ لأنه يخطف ركوعه وسجوده : وزال منه الخشوع والخضوع لربه سبحانه وتعالى ، وهو غير مكترث بحسن أدائها، وقلبه غافل عن الله، وأساء معاملته مع مولاه، لأنه أقدم على عمل فأنقصه وغيره وأرداه، وقدشبه صلى الله عليه وسلم المصلى الذى لايطمئن فى ركوعه وسجوده بجوعان أكل تمرة أو اثنتين فلم يردا جوعه ولم يزيلا توقانه للطعام .

٨ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي سِتِّينَ سَنَةً ، وَمَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ لَعَلَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَلَا يُتِمُّ السُّجُودَ ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ وَلَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ(١) . رواه أبو القاسم الأصبهانى ، وينظر سنده .

٩ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ ، وَأَنَا حَاضِرٌ : لَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ هٰذِهِ السَّارِيَةُ(٢) لَكَرِهَ أَنْ تُجْدَعَ كَيْفَ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْدَعُ صَلَاتَهُ الَّتِي هِيَ لِلهِ ، فَأَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا تَامًّا . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

[الجدع] : قطع بعض الشيء .

١٠ — وَعَنْ بِلَالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَبْصَرَ رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَلَا السُّجُودَ فَقَالَ: لَوْ مَاتَ هٰذَا لَمَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم. رواه الطبرانى، ورواته ثقات.

---

(١) الرجل يصلى طول عمره وصلاته ترد ، وإسلامه ناقص : وحبط عمله ، لماذا؟ لأنه لم يتم ركنا من أركانها ، وهو عايش بين ظهرانى العلماء ولم يتعلم وهنا يجب أن يتفكر المسلمون فى معنى هذا الحديث ، وليتقدموا على معرفة أركان الصلاة وشروط صحتها عسى أن يعبدوا الله على ضوء العلم .

(٢) أسطوانة على شكل عمود جميل ، تخيل أيها القارىء قصراً فخماً يقام أحد أركانه على سارية بديعة الصنع جميلة النقش حسنة الهيئة ثم تجدع : أى يقطع جزء منها ، ما ذا يحصل لمنظرها البهيج؟ كذلك المصلى الذى لا يتم جميع أركانها ولا يجتهد فى حسن أدائها، وبهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإتمامها وتكميل واجباتها والعناية بصحتها ، وفقه مرماها ، وفهم مغزاها ، والعمل بمقتضاها ، والسير على قبسها : وأكد أن الله جل جلاله لا يقبل إلا تاما . لماذا ؟ لأنه خالف أمر الله تعالى فى قوله :

ا ـ (فاسجدوا لله واعبدوا) .

ب ـ (واسجد واقترب) .

ج ـ (ألا يسجدوا لله) أى ياقوم اسجدوا .

د ـ (وخروا له سجدا) أى متذللين ، والسجود : عبارة عن التذلل له وعبادته ، وهو عام فى الإنسان والحيوان والجماد .

هـ ـ (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) .

و ـ (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) .

قال فى النهاية : وخص السجود فى الشريعة بالركن المعروف من الصلاة، وما يجرى مجرى ذلك من سجود القرآن ، وسجود الشكر، وقد يعبر به عن الصلاة بقوله : وأدبار السجود ، أى أدبار الصلاة ، ويسمون صلاة الضحى سبحة الضحى ، وسجود الضحى (وسبح بحمد ربك) قيل أريد به الصلاة . اهـ . ص ٢٢٣ .

ولعلك فهمت أن ناقص أركان الصلاة إن مات على حاله صلاته هذه فهو على غير الإسلام على شرط أن يعيش بين العلماء ، لأنه غافل عن العلم وتعلمه وكسلان، أما الجاهل البعيد عن أهل العلم فمعذور . وأصبح الدين كالشمس تعاليمه واضحة ، فلا عذر لجاهل أو مقصر .

١١ — وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ لِلصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ عِنْدَ اللهِ وَزْنًا[1] مَنِ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا حُوسِبَ بِهِ فِيهَا عَلَى مَا انْتَقَصَ . رواه الأصبهانى .

١٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى عَبْدٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ . رواه أحمد بإسناد جيد .

١٣ — وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نَهَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ أَقْرَأَ وَأَنَا رَاكِعٌ ، وَقَالَ : يَا عَلِيُّ مَثَلُ الَّذِي لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِى صَلَاتِهِ كَمَثَلِ حُبْلَى حَمَلَتْ فَلَمَّا دَنَا نِفَاسُهَا أَسْقَطَتْ ، فَلَا هِيَ ذَاتُ حَمْلٍ ، وَلَا هِيَ ذَاتُ وَلَدٍ[2] . رواه أبو يعلى والأصبهانى ، وزاد :

مَثَلُ الْمُصَلِّي كَمَثَلِ التَّاجِرِ لَا يَخْلُصُ لَهُ رِبْحُهُ حَتَّى يَخْلُصَ لَهُ رَأْسُ مَالِهِ ، كَذَلِكَ الْمُصَلِّي لَا تُقْبَلُ نَافِلَتُهُ حَتَّى يُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ .

١٤ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَسْوَأُ النَّاسِ[4] سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ . قَالَ : وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ ؟ قَالَ : لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا . رواه الطبرانى فى الأوسط وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه .

١٥ — وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ مُصَلٍّ : إِلَّا وَمَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ ، وَمَلَكٌ عَنْ يَسَارِهِ ، فَإِنْ أَتَمَّهَا عَرَجَا[5] بِهَا ،

---

(١) نظاما وقوانين خاصة يجب اتباعها ، وقد فصلها الفقهاء رحمهم الله فى كتب الفقه ، فمن أهمل فى شىء منها وإن قل حوسب حسابا عسيراً على تركه .

(٢) يشبه صلى الله عليه وسلم المصلى الذى لا يؤدى الأركان كاملة ، ولا يعتدل صلبه تماما بحبلى سقط جنينها وهى على وشك الولادة ، وا أسفا صبرت على تحمل الحمل وأثقاله وأتعابه ولم تجن ثمرته فنزل الوندميتاً كذلك المصلى الجاهل الغر الذى لا يعتنى بحسن الأداء تعب ، ولكن خاب وتكلف العمل ولم ينفع ، وبطلت صلاته لخسر ثواب الله ، فلا هو استراح ولا هو أحسن صلاته . فعليك أخى بإتمام أركان الصلاة والخشوع لله تعالى .

(٣) أى لا يربح حتى يسلم رأس ماله ، وشبه صلى الله عليه وسلم التاجر الذى ربح بعد وجود رأس ماله بالمصلى الذى يكسب ثواب الله بعد أداء حقه تعالى ، وما فرض عليه سبحانه . وفيه المحافظة على أداء الفريضة ثم التنفل .

(٤) أكثر الناس جرما وسلبا ونهبا وشرا المصلى ، وصلاته ناقصة الأركان : أى يسرع فى ركوعه وسجوده . (٥) صعدا إلى السماء .

وَإِنْ لَمْ يُتِمَّهَا ضَرَبَا بِهَا عَلَى وَجْهِهِ[١] . رواه الأصبهانى

١٦ — وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُرَّةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا تَرَوْنَ فى الشَّارِبِ ، وَالزَّانِى، وَالسَّارِقِ ؟ وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ فِيهِمُ الْحُدُودُ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : هُنَّ فَوَاحِشُ ، وَفِيهِنَّ عُقُوبَةٌ ، وَأَسْوَأُ السَّرِقَةِ الَّذِى يَسْرِقُ صَلَاتَهُ[٢] قَالُوا: وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ ؟ قَالَ: لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا. رواه مالك، وتقدم فى باب الصلاة على وقتها حديث أنس عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وفيه :

وَمَنْ صَلَّاهَا لِغَيْرِ وَقْتِهَا، وَلَمْ يُسْبِغْ[٣] لَهَا وُضُوءَهَا، وَلَمْ يُتِمَّ لَهَا خُشُوعَهَا، وَلَا رُكُوعَهَا، وَلَا سُجُودَهَا ، خَرَجَتْ وَهِىَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ : ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِى حَتَّى إِذَا كَانَتْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، ثُمَّ ضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ .رواه الطبرانى.

١٧ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وَسلم جَالِسٌ فى نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّى[٤] ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ

---

(١) أخبر صلى الله عليه وسلم أن ملكين يرافقان المصلى وينتظران أداءها، فإن صلى صلاة كاملة صعدا بها إلى الرب سبحانه وتعالى لتحفظ فى سجله ،ويتفضل المولى بإغداق الحسنات والرحمات على عبده ،وإن لم يتمها غضبا عليه ، وصفعا بها وجهه ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

ا ــ (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) .

ب ــ وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا » .

ج ــ وقوله تعالى : (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون . إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين ، وماهم عنها بغائبين) ١٧ من سورة الانفطار .

قال البيضاوى : تحقيق لما يكذبون به، ورد لما يتوقعونه من التسامح والإهمال، وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ، ويقاسى الفجار حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) أى خلودهم فيها، وقيل معناه ومايغيبون عنها قبل ذلك إذ يجدون سمومها فى القبور .

(٢) الصلاة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفواحش أقل عقوبة من أداء الصلاة ناقصة، وسماها صلى الله عليه وسلم (أسوأ السرقة). (٣) لم يحسن ولم يتم فروض الوضوء وسننه، ثم زال الخشوع فى صلاته وملكه الشيطان ، وسلط عليه وساوسه وهمومه ، ولم يوف ركوعها وسجودها، ثم تصعد الصلاة إلى بارئها شاكية متألمة داعية عليه متمنية ضياعه وخيبته وخسارته ، ثم بعد ذلك ترجع فى هيئة رثة ، وشكل نحيف ، وتلف وتكور ، وتصيب وجهه منتقمة آخذة بثأرها معذبة له ، هذا كناية عن عدم أدائها، والغرض بالقعليه أداؤه وعقابه : (٤) لاحظ صلى الله عليه وسلم أن ذلك الرجل لم يتم أركان الصلاة فصلاته باطلة ، وأرجعه صلى الله عليه وسلم نحو أربع مرات يصلى، وهو لايزال يسيء، وينقص الطمأنينة ،ثم علمه صلى الله عليه وسلم الطريقة المثلى للصلاة من إتمام الوضوء،واستقبال القبلة بكل أدب وخشوع ، ثم الدخول فى الصلاة بنية تكبيرة الإحرام وهكذا مما سأذكره إن شاء الله .

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، فَقَالَ فِى الثَّانِيَةِ: أَوْ فِى الَّتِى تَلِيهَا عَلِّمْنِى يَارَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِىَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذٰلِكَ فِى صَلَاتِكَ كُلِّهَا .

وَفِى رِوَايَةٍ : ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِىَ قَائِمًا، يَعْنِى مِنَ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ . رواه البخارى ومسلم ، وقال فى حديثه :

فَقَالَ الرَّجُلُ : وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هٰذَا فَعَلِّمْنِى ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ سَجْدَةٍ وَاحِدَةٍ . رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وفى رواية لأبى داود : فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ[١] ، فَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُكَ ، وَإِنِ انْتَقَصْتَ مِنْ هٰذَا فَإِنَّمَا انْتَقَصْتَهُ مِنْ صَلَاتِكَ .

١٨ — وَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فِيهِ: فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا أَدْرِى مَا عِبْتَ عَلَىَّ ؟ فَقَالَ النَّبِىُّ صلى اللهُ عليه وسلم : إِنَّهُ لَا تَتِمُّ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ ، وَيَغْسِلَ وَجْهَهُ ، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ، وَيَمْسَحَ رَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ[٢] إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ اللهَ ، وَيَحْمَدُهُ وَيُمَجِّدُهُ وَيَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا أَذِنَ اللهُ لَهُ فِيهِ وَتَيَسَّرَ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَرْكَعُ ، فَيَضَعُ كَفَّيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْخِىَ ، ثُمَّ يَقُولُ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَيَسْتَوِى قَائِمًا حَتَّى يَأْخُذَ كُلُّ عَظْمٍ[٣] مَأْخَذَهُ، وَيُقِيمَ صُلْبَهُ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ فَيَسْجُدُ، وَيُمَكِّنُ جَبْهَتَهُ مِنَ الْأَرْضِ

---

(١) راعيت أركانها ، وأديت شروط صحتها ، وحافظت على الخشوع، وبعدت عن وساوس الشيطان .
(٢) أى ويغسلهما . (٣) فى نسخة : عضو .

حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْخِيَ ، ثُمَّ يُكَبِّرُ فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ ،وَيَسْتَوِي قَاعِدًا عَلَى مَقْعَدَتِهِ وَيُقِيمُ صُلْبَهُ فَوَصَفَ الصَّلاةَ هٰكَذَا حَتَّى فَرَغَ ، ثُمَّ قَالَ:لاَ تَتِمُّ صَلاَةُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يَفْعَلَ ذٰلِكَ . رواه النسائي ، وهذا لفظه ، والترمذي وقال : حديث حسن ، وقال في آخره :

فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَقَدْ تَمَّتْ صَلاَتُكَ،وَإِنِ انْتَقَصْتَ مِنْهَا شَيْئًا انْتَقَصْتَ مِنْ صَلاَتِكَ.

قال أبو عمر بن عبد البر النمري : هذا حديث ثابت .

١٩ — وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ ، وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلاَتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا(١) .رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه بنحوه

٢٠ — وَعَنْ أَبِي الْيَسَرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلاَةَ كَامِلَةً ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ ، وَالثُّلُثَ ، وَالرُّبُعَ ، وَالْخُمُسَ حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ . رواه النسائي بإسناد حسن ، واسم أبي اليسر بالياء المثناة تحت والسين المهملة مفتوحتين : كعب بن عمرو السلمي ، شهد بدرا .

٢١ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الصَّلاَةُ(٢) ثَلاَثَةُ أَثْلاَثٍ : الطُّهُورُ ثُلُثٌ ، وَالرُّكُوعُ ثُلُثٌ ، وَالسُّجُودُ ثُلُثٌ . فَمَنْ أَدَّاهَا بِحَقِّهَا قُبِلَتْ مِنْهُ ،وَقُبِلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ ،وَمَنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ رُدَّ عَلَيْهِ سَائِرُ عَمَلِهِ .

رواه البزار ، وقال : لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث المغيرة بن مسلم .

[قال الحافظ] : وإسناده حسن .

٢٢ — وَعَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَقُلْتُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي جَلِيساً صَالِحاً . قَالَ : فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ : إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ أَنْ

---

(١) يبين صلى الله عليه وسلم ثواب المصلي بقدر طمأنينته وخشوعه؛ وبعد وساوسه .فهذا مؤمن أدى الأركان والسنن ، فنال الثواب كله وهذا نقص ، فنال أقل .

(٢) ثواب الصلاة موزع على أداء ثلاثة :

ا ـ الاستنجاء والنقاء ، والطهارة من النجاسة ، والوضوء الكامل .

ب ـ الطمأنينة في الركوع ، وزيادة التسبيح والتحميد .

ج ـ الطمأنينة في السجود والتسبيح والتمجيد .

يَرْزُقَنِي جَلِيساً صَالِحاً فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ[(١)] فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ[(٢)]، وَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ[(٣)]. قَالَ اللهُ تَعَالَى: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمَّلُ بِهِ مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ. رواه الترمذي وغيره، وقال: حديث حسن غريب.

٢٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ يَا فُلَانُ: أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ، أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي، فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ[(٤)]. رواه مسلم والنسائي، وابن خزيمة في صحيحه، ولفظه قال:

صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَى رَجُلاً كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ يَا فُلَانُ: أَلَا تَتَّقِي اللهَ[(٥)]. أَلَا تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي؟

---

(١) إن أداها المصلي تامة فاز بكثرة الثواب، وزيادة الحسنات، ورفع الدرجات، وقبول الأعمال، وغرس في قلبه حب الله وخشيته، واتجهت سفينته إلى النجاة، ووصلت إلى بر السلامة.

(٢) فعل ولم تقبل، وامتلأ قلبه غفلة عن الله، ونسي الله فنسيه سبحانه.

(٣) إن لم يحسن الفريضة يأمر الله تعالى ملائكته أن تنظر إلى أداء السنة ليتفضل عليه بزيادة الأجر ولعل المصلي أحسن أداءها، وخشع فيها واطمأن. وفيه الحث على طلب الجليس الصالح الذي يرشدك إلى مسائل العلم ويحببك في العمل الصالح، وفيه الترغيب في إتمام الصلاة وأداء السنن والنوافل.

(٤) قال النووي: معناه أن الله تعالى خلق له صلى الله عليه وسلم إدراكاً في قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت له العادة صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به. قال القاضي: قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وجمهور العلماء: هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة. وفيه الأمر بإحسان الصلاة والخشوع وإتمام الركوع والسجود اهـ ص ١٤٩ ج ٤.

صلى الله عليك يا رسول الله. اختصك الله بكمالات، فحرصت على أمتك، فأحسنت تعليمها، وأجدت تربيتها، ونسأل الله القدوة بك، والعمل بشريعتك، فقد أديت الرسالة، وحفظت الأمانة.

(٥) ألا تخاف الله في أداء الصلاة، وتخشى عذابه، وتفكر في الإخلاص له، وإنك واقف أمام عظيم قادر قهار جبار وهاب عزيز. والله أحق أن تخشاه وتناجيه بأدب، وتعبده بخشوع.

إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ ، إِنَّكُمْ

حسن الصلاة كما قال صلى الله عليه وسلم وشرحه علماء الفقه

يكون على طهارة ، ثم يتوضأ ، ويجوز شروط صحة الصلاة ، وهى :

أولا : طهارة الأعضاء من الحدثين الأكبر والأصغر .

ثانياً : طهارة البدن والثوب والمكان من النجاسة .

ثالثاً : ستر العورة ، وهى للرجل ما بين السرة والركبة ـ وللأمة كذلك ، وللحرة جميع جسمها ما عدا الوجه والكفين .

رابعا : العلم بدخول الوقت يقينا أو ظنا .

خامساً : استقبال القبلة يقينا بالصدر ، ويجوز ترك استقبال القبلة فى شدة الخوف فى الحرب لنصر دين الله وفى النافلة فقط فى السفر المباح قصيرا أو طويلا .

ويراعى أركان الصلاة ، وهى :

أولا : النية ، ومحلها القلب ، ويجب أن تكون مقرونة بتكبيرة الإحرام . وإن كانت الصلاة فرضاً ، فشروطها ثلاثة :

ا ـ أن يقصد هيئة الصلاة : ب ـ أن يعين اسمها .

ج ـ أن يصف الصلاة بالفرض . وإن كانت نفلا ، فالشرطان الأولان فقط .

ثانياً : تكبيرة الإحرام بشرط :

ا ـ إيقاعها بعد الانتصاب فى الفرض ـ وهنا أعتب على الجهلة الذين ينوون ، وهم ماشون .

ب ـ إيقاعها حال الاستقبال . ج ـ أن يقرن النية بجزء منها . د ـ وعدم مد همزة الله .

هـ ـ عدم واو قبل لفظ الجلالة . و ـ وعدم مد همزة أو باء أكبر .

ثالثاً : القيام :

ا ـ من قادر .

ب ـ والصلاة فرض ، ولو خاف راكب سفينة غرقا أو دوران رأس صلى من قعود ولا إعادة عليه .

رابعاً : قراءة الفاتحة بشرط أن يسمع نفسه ، وألا تسقط حرفا منها ولا شدة من شداتها ، وأن يرتب القراءة ويواليها وبالعربية .

خامساً : الركوع .

سادساً : الطمأنينة فيه (سكون بين حركتين بحيث تستقر أعضاؤه) .

سابعاً : الاعتدال : العود إلى الحالة التى كان عليها من قيام قادر ، وجلوس قاعد .

ثامناً : الطمأنينة فيه .

تاسعاً : السجود مرتين فى كل ركعة بشرط انكشاف الجبهة ، والسجود على الأعضاء السبعة ، وهى : الجبهة الركبتان . باطنا الكفين : أطراف بطون أصابع القدمين فى آن واحد .

قال ابن العربى : لما جعل الله لنا الأرض ذلولا نمشى فى مناكبها ، ونطؤها بأقدامنا ، وذلك فى غاية الذلة أمرنا أن نضع عليها أشرف الأعضاء ، وهو الوجه جبراً لانكسارها ، وقد قال تعالى : « أنا عند المنكسرة قلوبهم » اهـ .

عاشراً : الطمأنينة فى السجود .

الحادى عشر : الجلوس بين السجدتين يجلس مستقيا .

الثانى عشر : الطمأنينة فى الجلوس بين السجدتين .

الثالث عشر : الجلوس الذى يعقبه السلام .

الرابع عشر : التشهد ، وأقله : التحيات لله . سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . بشرط ألا يسقط حرفا منه ولا تشديدة .

الخامس عشر : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الأخير ، وأقلها : اللهم صل على سيدنا محمد

تَرَوْنَ أَنِّي لاَ أَرَاكُمْ ، إِنِّي وَاللهِ لَأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ

السادس عشر : التسليمة الأولى ، وأقلها : السلام عليكم ، ويلتفت حتى يرى خده الأيمن .

السابع عشر : ترتيب الأركان ، فإن قدم ركناً عن محله عامداً عالماً بطلت صلاته .

سنن الصـــــلاة

هي أبعاض تجبر بسجود السهو .

أولا : التشهد الأول .

ثانيا : الجلوس له .

ثالثاً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده .

رابعاً : الجلوس لها .

خامساً : الصلاة على الآل بعد التشهد الأخير ، والجلوس لها .

سادساً : القنوت في الصبح في اعتدال الركعة الأخيرة يطلب من الله ماشاء ، ويثنى عليه ، وفي الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان .

سابعاً : القيام له .

ثامناً : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه .

تاسعاً : القيام لها ، والصلاة على الآل فيه والصحب ، والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلام على الآل والصحب ، والقيام له .

ولفظ القنوت : (اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ماقضيت ، فإنك تقضي ولا يقضي عليك ، وإنه لايذل من واليت ، ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت ، فلك الحمد على ماقضيت أستغفرك وأتوب إليك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

هيئات الصـــــلاة

وهي : رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام مكشوفتين منشورتي الأصابع مفرقة تفريقاً وسطاً مائلة أطرافها جهة القبلة محاذية أطرافها للأذنين ، وإبهاماه لشحمتيهما ، وأن يرفعهما للركوع ، وللرفع منه ، وللقيام من التشهد الأول بالكيفية المتقدمة ، ووضع يده اليمنى على ظهر اليسرى تحت صدره ، وفوق سرته قابضاً بيمينه كوع يساره ، وبعض ساعدها ، ورسغها مائلا إلى جهة يساره ، والنظر إلى موضع السجود مائلا برأسه قليلا في جميع الصلاة ، ولو كانت في الكعبة إلا في التشهد ، فلا يجاوز بصره إشارته بالسبابة عند قوله : إلا الله ، ودعاء الافتتاح سراً لمتمكن إن لم يتعوذ ، ولم يجلس مع إمامه بعد التحرم بنحو : (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين) . وأن يسكت بينه وبين تكبيرة الإحرام سكتة يسيرة بقدر سبحان الله ، وبين الافتتاح والتعوذ ، وبينه وبين البسملة ، وبين آخر الفاتحة وآمين ، وبينه وبين السورة ، وبينها وبين تكبيرة الركوع ، وبين التسليمتين كذلك ، وأن يسكت الإمام في الجهرية بعد آمين بقدر قراءة المأموم الفاتحة ، وأن يشتغل في هذه السكتة بقراءة أو دعاء ، والتعوذ في كل ركعة سراً ، والتأمين عقب الفاتحة ، ويجهر المصلي به إماماً كان أو مأموماً أو منفرداً في الجهرية ، والمأموم إنما يجهر به مع تأمين إمامه لقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » وأما ندب الجهر فللاتباع . رواه أبو داود وغيره ، وصححه ابن حبان وغيره مع خبر « صلوا كما رأيتموني أصلي » وعن وائل بن حجر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فقال : آمين ، ومدبها صوته اهـ ص ١٤٧ تنوير القلوب ، والجهر بالقراءة في الصبح والجمعة والعيدين ، وخسوف القمر والأولين من المغرب والعشاء ، والاستسقاء ، والتراويح ، ووتر رمضان ، وركعتي الطواف ليلا . ولو أدرك ركعة من الصبح في وقتها والأخرى خارجه جهر في الأولى وأسر في الثانية ، نعم يجهر الإمام فيها بالقنوت .

بَيْنَ يَدَيَّ .

هذا كله في المؤداة . أما الفائتة فالعبرة فيها بوقت القضاء ، فيجهر من غروب الشمس إلى طلوعها ، ويسر فيا سوى ذلك ، ويتوسط فى نافلة الليل المطلقة إذا لم يشوش على نائم أو مصل ، والمرأة والخنثى يجهران ، ويتوسطان فى محلهما حيث لايسمع أجنبي ، وإلا استحب لهما الإسرار ، وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقرآن فى الصلوات كلها ، وكان المشركون يؤذونه ، ويسبون من أنزله ومن أنزل عليه ؛ فأنزل الله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) . والتكبير عند كل خفض ورفع إلا من الركوع فيقول : سمع الله لمن حمده ، وقول : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شئ بعد . ومد التكبير حتى يصل إلى الركن المنتقل إليه ، وإن أتى بجلسة الاستراحة ولم يمكنه مد التكبير لم يأت بتكبيرة ثانية ، بل يشتغل بذكر ، ووضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع ، وتفرقة أصابعه للقبلة ، وتسوية ظهر وعنق فى الركوع ، والتسبيح بأن يقول : سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثا فى الركوع ، وسبحان ربى الأعلى ثلاثا فى السجود ، ويكره تركه . ومن داوم على تركه فى الركوع والسجود سقطت شهادته . ويزيد منفرد وإمام محصورين التسبيح إلى إحدى عشرة مرة ، ويقول فى الركوع : اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت . خشع لك سمعي ، وبصرى ، ومخى ، وعظمى ، وعصبى ، وشعرى ، وبشرى ، وما استقلت به قدمى لله رب العالمين . ويقول فى السجود بعد التسبيح: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته تبارك الله أحسن الخالقين . وأن يضع فى سجوده ركبتيه مفرقتين بقدر شبر ، ثم يديه ، ثم جبهته وأنفه وأن يضع كفيه حذو منكبيه ويضم أصابعه جهة القبلة ، وأن يجافى الرجل عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذيه فى ركوعه وسجوده ؛ وأن يفرق بين قدميه فى قيامه وسجوده قدر شبر . أما المرأة والخنثى فيضمان بعضهما إلى بعض لأنه أستر لها وأحوط له ، وإبراز قدميه من ذيله فى السجود ، والدعاء فى الجلسة بين السجدتين وهو : رب اغفر لى وارحمنى واجبرنى وارزقنى واهدنى وعافنى واعف عنى . وافتراش فى كل جلوس لايعقبه سلام بأن يجلس على كعب يسراه وينصب يمناه وجلوس استراحة ومحله بعد سجدة ثانية يقوم عنها ، واعتماد على الأرض بيديه عند قيامه . وتورك فى جلوس يعقبه سلام بأن يلصق وركه الأيسر بالأرض ، وينصب رجله اليمنى على أصابعها ، ويخرج يسراه من تحت يمناه . والحاصل أن جلسات الصلاة سبعة : يفترش فى ست منها ، وهى الجلوس بين السجدتين ، وجلوس الاستراحة ، وجلوس المسبوق ، وجلوس التشهد الأول ، وجلوس المصلى قاعدا للقراءة ، وجلوس التشهد الأخير لمن أراد سجود السهو أو أطلق ، ومثلها الجلوس لسجود التلاوة والشكر قبل السجود ، ويتورك فى واحدة ، وهى الجلوس للتشهد الأخير إذا لم يطلب منه سجود السهو ، ووضع كفيه فى تشهديه على طرف ركبتيه ، وقبض أصابع اليمنى إلا المسبحة فيشير بها منحنية عند قوله : إلا الله وينوى بالإشارة الإخلاص بالتوحيد ، وينشر أصابع اليسرى مضمومة إلى جهة القبلة ، والتعوذ من العذاب والفتن بعد التشهد الأخير ، فيقول : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال . اللهم اغفر لى ماقدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت أنت المقدم ، وأنت المؤخر لاإله إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم . اه ص ١٥٣ تنوير القلوب .

يأخى : قد ذكر العلماء شروط صحة الصلاة وأركانها وسننها وهيئاتها ، فافقه معناها ، واعلم مغزاها وأد الصلاة كما يحب الله ورسوله ، واحذر أن تصلى صلاة ناقصة كما قال صلى الله عليه وسلم : «لايتم ركوعها وسجودها » وتأمل معنى ماتقرأ رجاء ألا تكون ممن قال فيه هذا الشاعر :

٢٤ — وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي دَهْرِشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله

نُصَلِّي بِلاَ قَلْبٍ صَلاَةً بِمِثْلِهَا يَكُونُ الْفَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تَظَلُّ وَقَدْ أَتْمَمْتَهَا غَيْرَ عَالِمٍ تَزِيدُ احْتِيَاطًا رَكْعَةً بَعْدَ رَكْعَةِ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةِ
وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَهُ تَمَيَّزْتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةِ
أَمَا تَسْتَحِي مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ أَنْ يَرَى صُدُودَكَ عَنْهُ يَا قَلِيلَ الْمُرُوءَةِ
إِلٰهِي اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا إِلَى الْحَقِّ نَهْجًا فِي سَوَاءِ الطَّرِيقَةِ

فصل : فى مكروهات الصلاة

وهى : الإسراع إلى الصلاة وجعل يديه فى كمه . وتشمير كمه . ووضع يديه على فيه لغير حاجة وغرز العذبة ، والصلاة فى ثوب واحد من غير أن يجعل على عاتقه شيئاً إن وجد غيره ، ورفع البصر إلى السماء والتفات بوجهه بلا حاجة ، وإشارة مفهمة بنحو عين أو حاجب أو شفة مالم تكن على وجه اللعب ، وإلا بطلت صلاته ، واختصار بأن يجعل يده على خاصرته ، واشتغال قلب بدنيوى وإسراع فى صلاته إن لم ينقص ركناً وإلا بطلت صلاته ، واهتزاز وهو التمايل يمنة ويسرة مالم يكثر وإلا بطلت ، وقيام على رجل واحدة لغير عذر ، وجهر بمحل إسرار وعكسه ، وجهر خلف الإمام ، وتغميض البصر إن خاف ضرراً فإن تيقنه حرم ، وقد يجب كأن كان العراة صفوفا ، وقد يسن كما إذا صلى لحائط مزوق ، ويسن فتحهما فى السجود ليسجد معه البصر ، وكذا فى الركوع ، وإلصاق عضدى الرجل بجنبيه فى الركوع والسجود ، وإلصاق بطنه بفخذيه فيهما ، والاضطباع وهو أن يجعل وسط ردائه تحت أحد منكبيه وطرفيه على الآخر ولو فوق الثياب سواء الأيمن والأيسر، بخلافه من الطواف كما سيأتى ، وشد الوسط إلا السروال فيندب ، أو لخوف ظهور العورة فيجب . أما إذا كان لابساً فوقه ثوبا آخر كقباء ورداء فلا كراهة، وصلاة مع حصر ببول ، أو غائط أو ريح ، أو عند حضور أو قرب طعام يشتاق إليه ، ولم يخف خروج الوقت ، والمبالغة فى خفض الرأس أو رفعه عن الظهر فى الركوع ، وإطالته التشهد الأول ، وترك السورة فى الركعتين الأولين من كل صلاة وترك تكبير الانتقالات ، وترك أذكار الركوع والاعتدال والسجود والجلوس بين السجدتين ، والزيادة فى جلسة الاستراحة على قدر أقل الجلوس بين السجدتين ، وترك الدعوات فى التشهد الأخير ، وبصاق قبل الوجه أو اليمين ولو فى غير الصلاة ، فان كان خارج الصلاة غير مستقبل القبلة لم يكره له البصاق قبل وجهه وكراهة البصاق فى غير المسجد أما فيه فيحرم مطلقا مالم يكن فى نحو ثوبه وتشبيك الأصابع وتفرقعها وإرخاء الثوب على الأرض ، وكف الثوب والشعر : أى ضمه وجمعه وإقعاء بأن يجلس على وركيه ناصباً ركبتيه ، ونقر الغراب مع الطمأنينة ، وإلا بطلت ، وافتراش يديه فى سجوده ، وإيطان المكان : أى ملازمته ، وهذا لغير الإمام فى المحراب . أما هو فلا يكره له ، ومسح الجبهة فى الصلاة وبعدها. وتكره الصلاة فى الحمام ولو فى موضع خلع الثياب ، وطريق وسوق ومقبرة ونحو مزبلة وكنيسة وعند غلبة النوم .

عليه وسلم قال :

فصل فيما يفسد الصلاة

وهى عشرون ، الأول : الحدث عمداً أو سهواً سواء الأكبر أو الأصغر .

الثانى : ملاقاة نجاسة غير معفو عنها رطبة أو يابسة لثوب المصلى أو بدنه من غير إزالتها فى الحال .

الثالث : كشف العورة عمداً ولو سترها فى الحال ، أو سهواً ولم يسترها فى الحال . أما إذا سترها فى الحال فلا تبطل صلاته .

الرابع : الكلام العمد غير قرآن وذكر ودعاء بحرفين ، وإن لم يفهما أو بحرف مفهم ولا يضر يسير كلام ، وهو ست كلمات فأقل : سبق لسانه إليه أو تكلم ناسياً للصلاةأو جهل تحريمه فيها ، وكان معذوراً كأن نشأ ببادية بعيدة عن العلماء ، أو كان قريب عهد بالإسلام .

الخامس : الفعل الكثير عرفا كثلاث خطوات أو ضربات متواليات بأن يكون بين الضربتين أقل من ركعة بأخف ممكن ؛ وخرج بالمتواليات المتفرقات ، بأن يكون بين الفعل الأول والثانى قدر ركعة والوثبة وتحريك جميع البدن ولو من غير نقل قدميه حكمها كحكم الفعل الكثير ، وأما الفعل القليل كخطوتين أو ضربتين ، فلا تبطل به الصلاة .

السادس : الانحراف عن القبلة ولو بصدره يمنة أو يسرة ، حتى لو حرفه إنسان قهراً بطلت صلاته ولو عاد عن قرب .

السابع : الإتيان بمفطر كأن أكل أو شرب قليلا أو كثيراً عمداً أو أوصل عوداً أو نحوه وإن قل إلى جوفه من فمه ، أو أذن أو دبر ، ولو بلا حركة فمه لأن الحركة وحدها فعل يبطل كثيره كالمضغ .

الثامن : الأكل والشرب الكثير عرفاً ناسياً للصلاة ، أو مكرهاً أو جاهلا تحريم ذلك معذوراً بأن قرب عهده بالإسلام ، أونشأ بعيداً عن العلماء . فعلم من هذا والذى قبله أن كل ماأبطل الصوم أبطل الصلاة إلا الأكل والشرب الكثير مع النسيان أوالجهل أوالإكراه ، والفرق بين الصلاة والصوم حيث بطلت بماذكر دون الصوم أن الصائم لاتقصير منه بذلك . إذ ليس بعبادته هيئة تذكره ولا هى ذات أفعال منظومة بخلاف الصلاة ، فإن لها هيئة مذكرة ، وهى ذات أفعال منظومة ، والفعل الكثير يقطع نظامها. أما إذا أكل أوشرب قليلا ناسيا . أو جاهلا معذوراً ، فلا تبطل صلاته ، بخلاف المكره فتبطل صلاته لندرة الإكراه فيها .

التاسع : القهقهة وهى الضحك بصوت ، أو البكاء أو النفخ أو الأنين أو التأوه أو السعال أو التنحنح أو العطاس أو التثاؤب ، فتبطل الصلاة بواحد من هذه إن ظهر به حرفان بلا غلبة . أما إذا غلبه فان كان ماظهر به من الحروف قليلا بحيث لو جمع لم يزد عن ست كلمات لم يضر ؛ وإن كان كثيراً متوالياً ضر إلا التنحنح فى قراءة الفاتحة أو التشهد الأخير إذا امتنع من قراءتهما سراً بسبب بلغم ونحوه فيعذر فى التنحنح لذلك وإن كثر ماظهر به من الحروف .

العاشر : قطع ركن عمداً كأن اعتدل عامداً قبل تمام الركوع أو سجدعامداً قبل تمام الاعتدال أوجلس للتشهد عامداً قبل تمام السجدة الثانية . أما إذا كان ناسيا فان تذكره قبل فعل مثله تداركه، وإن لم يتذكره إلا بعد فعل مثله من ركعة أخرى قام مقامه ويلغى مابينهما .

الحادى عشر : زيادة ركن فعلى عمداً كزيادة ركوع أوسجود من غير مسبوق لمتابعة إمامه،أما إذا نسى أنه فعل مثله فلا تبطل صلاته وأما لو كرر ركنا قوليا غير تكبيرة الإحرام كفاتحةوتشهد فلا تبطل صلاته .

الثانى عشر : تطويل الركن القصير عمدا ، وهو الاعتدال والجلوس بين السجدتين . وضابط التطويل أن يطول الاعتدال بقدر الفاتحة زيادة على الدعاء الوارد فيه ، وأن يطول الجلوس بين السجدتين بقدر أقل التشهد زيادة عن الذكر الوارد فيه ، فإن كان دون ذلك لم يضر .

الثالث عشر : تخلف المأموم عن إمامه بركنين فعليين عمداً لغير عذر .

الرابع عشر : تقدمه بهما عليه كذلك .

الخامس عشر : الردة ، والعياذ بالله ، وهى قطع الإسلام بقول أو فعل أو اعتقاد .

السادس عشر : ظهور بعض مايستر بالخف من الرجل ، أو خروج وقت مسحه لبطلان بعض طهارته .

لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ عَبْدٍ عَمَلاً حَتَّى يَشْهَدَ قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ (١) . رواه محمد بن نصر المروزى في كتاب الصلاة هكذا مرسلاً ، ووصلها أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بأبيّ بن كعب، والمرسل أصح .

٢٥ — وَعَنِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: الصَّلَاةُ مَثْنَى مَثْنَى (٢) تَشَهَّدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَتَخَشَّعُ وَتَضَرَّعُ ، وَتَمَسْكَنُ وَتُقْنِعُ يَدَيْكَ تَقُولُ : تَرْفَعُهُمَا إِلَى رَبِّكَ مُسْتَقْبِلاً بِبُطُونِهِمَا وَجْهَكَ وَتَقُولُ : يَارَبِّ يَارَبِّ ، مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَهِيَ (٣) كَذَا وَكَذَا . رواه الترمذيّ والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه ، وتردد فى ثبوته ، رووه كلهم : عن ليث بن سعد حدثنا عبد ربه بن سعيد ، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الله بن نافع بن العمياء ، عن ربيعة بن الحارث ، عن الفضل ، وقال الترمذى : قال غير ابن المبارك فى هذا الحديث : من لم يفعل ذلك فهى خداج ، وقال سمعت محمد بن إسماعيل

السابع عشر : الشك فى النية أو فى شىء من شروط الصلاة كالطهارة أو هل نوى ظهراً أو عصراً ، ومضى على ذلك زمن يسع قدر الطمأنينة ، وهو فى الصلاة . أما لو زال الشك سريعاً كأن خطر له خاطر ، وزال سريعاً فلا .

الثامن عشر : نية الخروج من الصلاة قبل السلام إما حالا أو بعد ركعة مثلا ، فانها تبطل حالا ؛ كما لو نوى أنه يكفر غداً فإنه يكفر حالا .

التاسع عشر : التردد فى قطعها فتى تردد بطلت صلاته .

العشرون : صرف نية صلاة إلى غيرها سواء كانت فرضاً أو نفلا . نعم لو كان يصلى منفردا ورأى جماعة سن له صرف فرض إلى نفل مطلق ليدرك فضيلة الجماعة بشروط ستة :

الأول : أن يتحقق إتمامها فى الوقت لو استأنفها وإلا حرم القلب .

الثانى : أن تكون ثلاثية أو رباعية فإن كانت ثنائية لايندب القلب بل يجوز، لأن النفل المطلق يجوز فيه الاقتصار على ركعة .

الثالث : أن لايشرع فى ركعة ثالثة، فان شرع فى الثالثة من الثلاثية أو الرباعية لايندب القلب بل يجوز.

الرابع : أن لايرجو وجود جماعة غيرها ، فان رجا وجود غيرها لايندب القلب بل يجوز .

الخامس : أن لا يكون الإمام مبتدعا ، وإلا فلا يندب القلب حينئذ بل يكره .

السادس : أن تكون الجماعة مطلوبة فى تلك الصلاة فلو كان يصلى فائتة لم يجز قلبها نفلا ليصليها فى جماعة حاضرة أو فائتة ليست من نوعها ؛ فلو كانت الجماعة فى فائتة من نوعها كأن كانا ظهرين أو عصرين جاز القلب مالم يجب قضاء الفائتة فوراً وإلا حرم القلب ، ولو خشى فى فائتة فوت حاضرة وجب قلبها نفلا فعلم أن القلب تارة يسن وتارة يجب وتارة يحرم وتارة يكره وتارة يجوز .

(١) أى يشارك قلبه وعقله البدن فى أداء هذا العمل .

يبين صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى لايقبل عملا ، ويثيب عليه إلا إذا صحبته نية خالصة لله ، وفكر القلب فى تقوى الله ، وبعد عن هموم الدنيا وأكدارها ، ونأى عنه الشيطان فلا يحدثه بسوء .

(٢) ركعتين ركعتين فيهما التشهد ووجود الخشوع والتذلل لله ، وطلب المغفرة منه جل وعلا والرحمة وترفع يديك ، وتسأل مولاك وناصرك . (٣) أى الصلاة ناقصة .

يعنى البخارى يقول : روى شعبة هذا الحديث عن عبد ربه ، فأخطأ فى مواضع ، قال : وحديث ليث بن سعد أصح من حديث شعبة .

[قال الحافظ] : وعبد الله بن نافع بن العمياء : لم يرو عنه غير عمران بن أبى أنس ، وعمران ثقة ، ورواه أبو داود وابن ماجه من طريق شعبة ، عن عبد ربه ، عن ابن أبى أنس ، عن عبد الله بن نافع بن العمياء ، عن عبد الله بن الحارث ، عن المطلب بن أبى وداعة . ولفظ ابن ماجه قال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم :

الصَّلاَةُ مَثْنَى مَثْنَى ، وَتَشَهَّدُ فى كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَتَبَأَسُ ، وَتَمَسْكَنُ(١) ، وَتَقْنِعُ ، وَتَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَهِىَ خِدَاجٌ .

[قال الخطابى] : أصحاب الحديث يغلِّطون شعبة فى هذا الحديث ، ثم حكى قول البخارى المتقدم وقال : قال يعقوب بن سفيان فى هذا الحديث مثل قول البخارى ، وخطأ شعبة ، وصوّب ليث بن سعد ، وكذلك قال محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : وقوله تبأس معناه إظهار البؤس والفاقة ، وتمسكن من المسكنة ، وقيل معناه : السكون والوقار ، والميم مزيدة فيها ، وإقناع اليدين : رفعهما فى الدعاء والمسئلة ، والخداج : معناه هاهنا : الناقص فى الأجر والفضيلة انتهى .

٣٦ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا(٢) لِعَظَمَتِى ، وَلَمْ يَسْتَطِلْ(٣) عَلَى خَلْقِى ، وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا ، عَلَى(٤) مَعْصِيَتِى ، وَقَطَعَ النَّهَارَ فِى ذِكْرِى(٥) ،

---

(١) أى تذل وتخضع ، وهو تمفعل من السكون ، والقياس أن يقال تسكن وهو الأكثر والأفصح ، وقد جاء على الأول : أحرف قليلة . قالوا : تمدرع ، وتمنطق وتمندل ، واستكان : إذا خضع ، وتمسكن : تشبه بالمساكين اهـ نهاية .

(٢) خفض جناحه لجلالى ، وتذلل لكبريائى ، وخضع لعزتى ووثق بى .

(٣) لم يترفع عليهم ، ولم يتجبر ، ولم يتكبر . يقال : طال عليه واستطال وتطاول إذا علاه ، وترفع عليه ، ومنه الحديث « أربى الربا : الاستطالة فى عرض الناس » أى استحقارهم ، والترفع عليهم ، والوقيعة فيهم اهـ نهاية . (٤) ولم يقض ليله معطنا الفجور ، وعازما على الفسوق ، وموطداً عزيمته على العصيان .

(٥) فى نسخة ، فى ذكره : أى مضى يومه فى طاعة مولاه من ذكر وتسبيح وعمل صالح ولا يغفل عن ربه فى عمله ، يؤدى واجبه وقلبه متعلق بالله والاعتماد عليه ، وتقديسه وتنزيهه ، والتفويض إليه ، ويتقن عمله ، ولا يخشى إلا الله ، ولا يرجو إلا الله ، يتأنى ويجد ويتعب كما أمر الله : (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه — فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا

وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ(١) ، وَابْنَ السَّبِيلِ(٢) ، وَالأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ(٣) ذٰلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكْلَؤُهُ(٤) بِعِزَّتِي، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلاَئِكَتِي، أَجْعَلُ لَهُ فِى الظُّلْمَةِ نُوراً ، وَفِى الْجَهَالَةِ حِلْماً ، وَمَثَلُهُ فِى خَلْقِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ(٥) فِى الْجَنَّةِ . رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد الحرانى ، وبقية رواته ثقات .

٢٧ - وَرُوِىَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى فَلَمْ يُتِمَّ صَلاَتَهُ خُشُوعَهَا(٦) ، وَلاَ رُكُوعَهَا وَأَكْثَرَ الاِلْتِفَاتَ لَمْ تُقْبَلْ(٧) مِنْهُ ، وَمَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ(٨) لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ(٩) ،

= لعلكم تفلحون) أرأيت أمر الله ؟ إن الله تعالى يطلب من عبده : أن يحترف أى يختار له مهنة ، أن ينظم نفسه فى سلك العاملين . والعمل عبادة على شريطة عدم الغفلة عن ذكر الله وخشيته (وقطع نهاره فى ذكرى) رب رجل فى عمله يسعى لكسب رزقه ، وهو واثق بربه وذاكره بقلبه نال ثوابا أكثر من عابد فى مسجد يعوله غيره

(١) رأف بالمسكين ؛ وأحسن إليه ، وتصدق عليه .

(٢) ومد المسافر سفر طاعة بماله ، وأكرمه وأطعمه وساعد السيدة التى مات زوجها وأنفق عليها من ماله ، وتصدق عليها ، أو رعاها أو أتم لها مصلحة ، أو قدم لها خدمة لله .

(٣) عطف على المصاب بحادثة ، أو المتألم من كارثة أو خفف لوعة المحزون ، أو شارك فى المأتم والمغرم يسطع نوره يوم القيامة كما يظهر ضوء الشمس .

(٤) أرعاه بجلالى وأمده برعايتى ، وأجعل ملائكتى له حفظة وحراساً ، وإذا وقع فى شدة أنجيته ، أو فى كارثة حفظته أو فى ضيق فرجت عنه أو ظلمة أضأت له السبل وأنرت له طرق الخير ورزقته الحكمة ، وألهمته الصواب وأنطقته بالرشاد وعصمته من الأخطاء ، وأسدلت عليه الحلم والجود وكرم الأخلاق ليعيش سعيدا محبوبا . قرير العين . مثلوج الفؤاد . ممتعاً برضاى ، ويتبع هذا رضا الناس .

(٥) شبهه صلى الله عليه وسلم : فى الناس بأعلى مكان فى الجنة فكما أن الفردوس قطعة جميلة بديعة راقية أبهى وأسمى من غيرها ، كذلك المتحلى بالأخلاق الكاملة أجل من غيره ، ومعنى الفردوس : البستان الذى فيه الكرم والأشجار والجمع فراديس ، ومصداق ذلك قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها وعن النبى صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا يقول لجبريل أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم توضع له المحبة فى الأرض » اللهم وفقنا لتحبنا .

(٦) لا يكمل خشوع صلاته ، وينقص من ركوعها ، ويشتغل قلبه بالدنيا وأعمالها ، ويكثر من الحركة ، والالتفات يمنة ويسرة ، ويلعب بأصابعه ، ويحك جسمه ، ويحرك أعضاءه ، ولا يجعل لوقوفه أمام الله رغبة أو رهبة .

(٧) صلاته لم تجاوز مكانه ، ويردها الله عليه ، ولا ثواب له ، والفرض لازال فى ذمته يحاسب الله عليه لتقصيره فى أدائه .

(٨) من مشى متكبراً ، وتعاظم بحسن ملابسه ، وطول ثيابه ، وجرها تفاخراً وتعظماً . والخيلاء : بالضم والكسر الكبر والعجب . (٩) لم يرحمه ، ولم يرأف به .

وَإِنْ كَانَ عَلَى[(١)] اللهِ كَرِيمًا[(٢)] . رواه الطبراني .

٢٨ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم قالَ : أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ : الخَشُوعُ[(٣)] حَتَّى لاَ تَرَى فِيهَا خَاشِعًا . رواه الطبرانى بإسناد حسن ، ورواه ابن حبان فى صحيحه فى آخر حديث موقوفاً على شداد بن أوس ، ورفعه الطبرانى أيضاً ، والموقوف أشبه .

٢٩ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا قالَ : مَثَلُ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ[(٤)] كَمَثَلِ المِيزَانِ مَنْ أَوْفَى اسْتَوْفَى . رواه البيهقى هكذا، ورواه غيره عن الحسن مرسلاً وهو الصواب .

٣٠ — وَعَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَفِى صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ . رواه أبو داود والنسائى، ولفظه : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ ، يَعْنِي يَبْكِي . ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما نحو رواية النسائى إلا أن ابن خزيمة قال : وَلِصَدْرِهِ أَزِيزُ الرَّحَى . بزايين : هو صوتها ، والمرجل : بكسر الميم ، وفتح الجيم : هو القدر ، يعنى أن لجوفه حنينا كصوت غليان القدر .

---

(١) فى نسخة : عند ، والمعنى : أن الله جل جلاله يكره اثنين :
ا ـ مؤدى الصلاة ناقصة الأركان .
ب ـ المتغطرس المتكبر الذى يتعالى بطول ثيابه ، ويتفاخر وهو حقير ذليل ، ويعجب بنفسه ، ويغتر بها .

(٢) أى وإن كان صالحاً كريما محبوباً عند الله زالت هذه الدرجات بنقص صلاته وكبره .

(٣) المعنى : يتكرم الله على الأمة الإسلامية بالخشوع والتواضع والذلة لله والميل إلى التعليم وحب الخير وهدوء النفس ، وإذا أراد عقابها ونزع البركة من أعمالها أزال الخشوع من أبنائها وبعث فيهم القسوة والعظمة الفارغة والغطرسة الكاذبة ، والجدل والنزاع والنفور .

(٤) ثواب أداء المفروضة على قدر تمامها وحسن كمالها ؟ وشبه صلى الله عليه وسلم عمل المصلى بالميزان الذى يبين الكامل والناقص ، فمن أوفى أركانها نال أجرة مساوية لإخلاصه وحسن أدائه ، ووفاه الله تعالى بقدر خشوعه وتذلله وتؤدته ، ومصداق ذلك قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ٤٦ من سورة الأنبياء . الله تعالى يضع موازين العدل توزن بها صحائف الأعمال ويظهر فيها مقادير إخلاص العباد لذى الجلال والإكرام .

وهذا كناية عن شمول العباد وإحاطتهم ومعرفة خيرهم وشرهم وظلمهم وعدلهم ، ويتجسم ذلك للعبد ليرى جزاء مااقترفت يداه ، وما ناله فى حياته أو عمله فى دنياه إن حقا وإن باطلا . قال البيضاوى : قيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوى ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل ، وإفراد القسط لأنه وصف به للمبالغة ؟ وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة أحضرناها ، وقرئ آتينا : بمعنى جازينا بها من الإيتاء فإنه قريب من أعطينا — أو من المؤاتاة فإنهم أتوه بالأعمال ، وأتاهم بالجزاء ، إذ لامزيد على علمنا وعدلنا اهـ ص ٤٠٩

٣١ – وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ الْمِقْدَادِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلاَّ نَائِمٌ إِلاَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي وَيَبْكِي (١) حَتَّى أَصْبَحَ. رواه ابن خزيمة فى صحيحه.

٣٢ – وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يُصَلِّي فِى حَائِطٍ (٢) لَهُ، فَطَارَ دُبْسِيٌّ (٣) فَطَفِقَ (٤) يَتَرَدَّدُ يَلْتَمِسُ مَخْرَجاً فَلاَ يَجِدُ، فَأَعْجَبَهُ ذٰلِكَ فَجَعَلَ يُتْبِعُهُ (٥) بَصَرَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَلاَتِهِ، فَإِذَا هُوَ لاَ يَدْرِي (٦) كَمْ صَلَّى، فَقَالَ: لَقَدْ أَصَابَنِي فِى مَالِي هٰذَا فِتْنَةٌ (٧)، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ لَهُ الَّذِي أَصَابَهُ فِى صَلاَتِهِ، وَقَالَ: يَارَسُولَ اللهِ هُوَ صَدَقَةٌ فَضَعْهُ حَيْثُ شِئْتَ (٨).

رواه مالك، وعبد الله بن أبى بكر لم يدرك القصة، ورواه من طريق آخر فلم يذكر فيه أبا طلحة ولا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، ولفظه:

أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يُصَلِّي فِي حَائِطٍ لَهُ بِالْقُفِّ، وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ فِى زَمَانِ التَّمْرِ، وَالنَّخْلُ قَدْ ذُلِّلَتْ (٩) وَهِيَ مُطَوَّقَةٌ بِثَمَرِهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَأَعْجَبَتْهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَلاَتِهِ، فَإِذَا هُوَ لاَيَدْرِي كَمْ صَلَّى؟ فَقَالَ: لَقَدْ أَصَابَنِي فِى مَالِي هٰذَا فِتْنَةٌ، فَجَاءَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ، وَقَالَ هُوَ صَدَقَةٌ (١٠) فَاجْعَلْهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، فَبَاعَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفاً فَسَمَّى ذٰلِكَ الْمَالَ الْخَمْسِينَ.

[الحائط]: هو البستان.

---

(١) يتضرع ويتذلل لمولاه، ويعبده بإخلاص ويتهجد ويذكر ربه. (٢) بستان.
(٣) الدبسى: طائر صغير.
قيل: هو ذكر اليمام، وقيل إنه منسوب إلى طير دبسى، والدبسة: لون بين السواد والحمرة، وقيل إلى دبس الرطب؟ وضمت داله فى النسب كدهرى وسهلى، قاله الجوهرى اهـ نهاية ص ١٢.
(٤) استمر يحوم يبحث عن مكان يخرج منه.
(٥) فى نسخة: فتبعه. (٦) لايعلم عدد ركعات صلاته من اشتغاله بالنظر إليه.
(٧) اختبار وشغل عن الله؟ ونقص فى الخشوع. (٨) أعطاه الرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعده عن مصلاه، وفيه التفرغ للصلاة وإحضار القلب وإبعاد أى شاغل أمامه وإخلاص القلب لربه.
(٩) آن جنيها، وسهل قطفها، وزها ثمرها.
(١٠) هذه الحديقة الغناء بما فيها من أشجار وأثمار تصدق بها لمشروعات الخير، إذ شغلته فى صلاته عن ربه بخ بخ ذلك مال رابح، انتقل خرج نقيا.

[والدبسيّ] : بضم الدال المهملة ، وسكون الباء الموحدة ، وكسر السين المهملة بعدها ياء مشددة : هو طائر صغير ، قيل : هو ذكر اليمام .

فقــه الباب وخلاصته

إن الصلاة لايتم واجب أدائها إلا بالاعتدال والطمأنينة فى الركوع والسجود ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن السرعة فى الصلاة وعدم الطمأنينة وافتراش كالسبع فى الصلاة وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسرع فى صلاته لصا بل هو أشد ضرراً على نفسه وأكثر أذى لها .

وإن الله تعالى لاينظر إليه نظر رحمة ورأفة . هذا إلى الإخبار عن نقص إسلامه وثلم إيمانه وزيغه عن الملة والجادة وإبعاده عن تذوق آداب الدين وعدم العمل بسنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ولو فاضت روحه على هذه الحال لقابل ربه مجرماً عاصياً على غير الملة المحمدية وشبه عمله الناقص فى الصلاة بالثغرة فى الجدار والثلمة فى القصر المشيد ، والتصدع فيه .

وشبه صلى الله عليه وسلم : الذى لايطمئن فى اعتداله بالحبلى التى تمخضت عن جنين ميت لم ينتفع به ، ولم تتوفر المشقة عليها ، ولم تذق طعم الراحة من تعب الحمل ولم تذق ثمرة حملها .

وأخبر صلى الله عليه وسلم : بوجود ملكين يرافقان العبد ، فإذا أحسن فى صلاته صعدا بها وإلا فيلفان الصلاة كثوب خلق ويضربان بها وجهه . قال نابغة بن شيبان :

إن من يركب الفواحش سرا ... حين يخلو بسره غــير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه ... شاهداه ، وربه ذو المحال

عن أبى عبيدة . قال معنى قوله عز وجل : (وهو شديد المحال) أى شديد المكر والعقوبة ، ومنه قول عبد المطلب بن هاشم :

لاهمّ إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لايغلبن صليبهم ومحالهم غدراً محالك

لاهم : أى اللهم ، والحلال بالكسر المقيمون يريد بالقوم سكان الحرم .

وأخبر أيضاً صلى الله عليه وسلم : أن الصلاة التى تؤدى ناقصة تذم مصليها وتسخط عليه وتدعو عليه بالويل والثبور ، وتخرج سوداء مظلمة كالدخان ، وقد رأى صلى الله عليه وسلم رجلا مسرعا فأمره بإعادة الصلاة مرارا حتى أتمها كاملة ، وأرشده إلى النهج القويم ، والطريقة المثلى . الحديث .

ثم أفاد صلى الله عليه وسلم أن ثواب الصلاة مقسم ثلاثة :

ا — للطهارة . ب — للركوع . ج — للسجود .

وأن المفلح الفائز الناجح المصلى صلاة كاملة ، وأنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله قوة الإبصار فيرى المأمومين وأن الصلاة عبارة عن توحيد وتشهد وتواضع وذلة ، ومسكنة لله وطلب واستغفار ودعاء بالقبول وإنك تجد أيها القارئ حديثاً قدسياً عن الرب تبارك وتعالى يبين شرائط قبول الصلاة .

ا — التواضع لجلال الله ، وطرح الكبر والعجب ، والادعاء بالكذب .

ب — المودة والألفة ، وعدم الشقاق والفخر ، والتطاول على خلق الله .

ج — الندم ، والتوبة ، والرجوع عن المعاصى ، والإقلاع عن فعل الدنايا .

د — عدم الغفلة عن الله ، وذكر الله دائماً سراً وجهراً .

هـ — حب المساكين ، والتودد إليهم ، والإحسان ، والشفقة ، والرأفة بهم والصدقة عليهم وإكرامهم .

٣٣ — وَعَنِ الْأَعْمَشِ قالَ : كَانَ عَبْدُ اللهِ يَعْنِى ابْنَ مَسْعُودٍ إذَا صَلَّى كَأَنَّهُ ثَوْبٌ

و — مساعدة الغريب والمسافر فى طاعة .

ز — العطف على من مات زوجها ، وإدارة شئونها ، وحفظ مالها مع إيوائها وإكرامها .

ح — تخفيف ويلة المصاب ، وإغاثته ، وإقالته من عثرته ، والتسرى عنه ، وتفريج كروبه وإزالة همومه رجاء أن الله يحفظ عليه نوره ورعايته ويمده بعنايته ، وحسبك إرشاد الله ، وإزالة جهله فيتحلى بالحلم ، والأخلاق الكاملة فترتفع درجته :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

آه . وأنذر صلى الله عليه وسلم المسلمين بأخذ الخشوع ، وبهذا انعدمت البركة وقل الصلاح ودب دبيب الفساد وساد الجهل واغتر العامل بعمله ، وانتزعت الشفقة والرغبة فى أعمال الخير ، فقال صلى الله عليه وسلم « حتى لاترى خاشعا » فعليكم أيها المسلمون بالخشوع والتواضع والتخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن الله يمن علينا بنور الإسلام فيطمئن الخشوع فى قلوبنا ، ويغرس التواضع فى نفوسنا ، وينمو الإيمان فى أفئدتنا ، وحسبك أن الصحابة أدركوا غليان الإيمان فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا أزيز خوفه من ربه وتضرعه ، وصوت الذلة والمسكنة للجبار القهار ذى الملك والملكوت رب السموات والأرض ومن فيهن ، يكثر التهجد والذكر والتسبيح والتمجيد ، والبكاء من خشية الله .

وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « أما والله إنى لأخشاكم لله » وتتورم قدماه فى العبادة فيقول « أفلا أكون عبداً شكوراً » قالها لمن ذكر أن الله تعالى غفر له ماتقدم من ذنبه . وأن يرأف بنفسه وهل تقتدى ياأخى بسيدنا أبى طلحة الأنصارى الذى رفرف عليه وهو يصلى فأبعده عن حديقته وتصدق بها على الفقراء وأهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أكثر من هذا رجل له ضيعة قد طاب ثمرها ودنا قطفها وسهل جنيها وأدرك رطبها فأعجبته وهو يصلى فقال : لقد أصابنى فى مالى هذا فتنة وذهب إلى أمير المسلمين سيدنا عثمان بن عفان ووقفه لصالح المسلمين . هذا هو الإيمان أينع ثمره فى قلب ذلك الأنصارى المسلم ، فهل تقارن ياأخى أعمالك به لتسير غور إسلامك ، وتعرف مقدار ضعفك .

وتتبع منهج الرسول صلى الله عليه وسلم فتسلك طريق الصالحين مهما بعدت الشقة ، والله ولى التوفيق إن الصحابة رضى الله عنهم أتموا الصلاة وأدوها كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذا قال الله تعالى فيهم : (تراهم ركعا سجدا) من قوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) أشداء جمع شديد رحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم لأنهم مشتغلون بالصلاة فى أكثر أوقاتهم ويكثرون الخشوع ويطمئنون ، ويعملون الصالحات طلباً للثواب والرضا . وعلامة ذلك السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود ولعمرى هذا السبب فى التشديد على التأنى فى الركوع والسجود منه صلوات الله وسلامه عليه . لماذا ؟ لتسعد الأمة بطاعة الله والخشوع له ، وتنال الشرف والعزة وتحسن صلتها بربها وتظهر بمظهر المتحدين المتـآخين المتعاونين ، وتتجلى القوة والرهبة ، وبهذا يشير :

ا — (أشداء على الكفار) ولتوجد روابط المحبة ، وتتجدد أواصر المودة وتوثق العلاقات بين أفرادها بالتراحم والتزاور ، واجتلاب الخيرات ومدافعة السيئات ، ومد المساعدة للمحتاج ، وبهذا يشير :

ب — (رحماء بينهم) يقرأ صلى الله عليه وسلم القرآن ، فيهز قلوبهم ويلين طباعهم ويطهر أرواحهم ويقيم عقولهم ، ويعودهم محامد الأفعال وبهذا يشير :

ج — (تراهم ركعاً سجداً) يتواضعون ، وبالله يتقون والله يسألون ، وفى ثوابه يرغبون ومنه يرهبون ، وبهذا يشير سبحانه وتعالى :

مُلْقٍ . رواه الطبرانى فى الكبير ، والأعمش لم يدرك ابن مسعود .

د — (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) صلى الله عليه وسلم : هو خير مظهر للأدب العالى والتعلم السامى والإرشاد الواقى ، وأخلاقه طيبة ، وأعماله وفقة ، وعقائده صدقة . خلق من كلاته أمة وبنى أشمخ بناء المجد والعظمة ، وسر ذلك الاستقامة والصلاة التى هى التسلية والرياضة البدنية والحصون المانعة من المكاره لمن أداها تامة ، فقد روى أن أبا جهل قال : لو رأيت محمداً ساجداً لوطئت عنقه ، ثم نكص على عقبيه ، فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة . هذه شهادة عدو اعترف بفائدة الصلاة . الوقاية من السوء وحفظ الله للمصلى من الكيد والدس . ولذا نزل قوله تعالى : (أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لاتطعه واسجد واقترب) ١٠ ـ ١٩ من سورة العلق . كلا : حرف ردع وزجر وتقريع لأبى جهل الناهى والله إن لم ينته عن معاكسته لك يارسول الله لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار ، ونقبض على أم رأسه ، ونجذبه بشدة ونؤذيه ونؤلمه ، فليطلب أهل ناديه ليعينوه ، وهو المجلس الذى ينتدى فيه .

روى أن أباجهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال : ألم أنهك ، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتهددنى ؟ وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ، فنزلت (سندع الزبانية) سنوجه أهل جهنم ليجروه إلى النار ، وماشاهدنا (لاتطعه واسجد واقترب) أى اثبت أنت على طاعتك ودم على سجودك وأكثر من صلاتك وتقرب إلى ربك ، وفى الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد» ولعلك فهمت ياأخى الحكمة من تشديد النبى صلى الله عليه وسلم على الاطمئنان فى الركوع والسجود والاعتدال فيهما، ولعل العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود ويرونهما ذلة وخضوعاً، فجاء الإسلام فذلل هذا الخلق لله تعالى وجعل السجود صفة ملازمة لعباد الرحمن الأولياء الصالحين المحافظين على الصلاة ليل نهار . قال تعالى عنهم (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً)٦٥ من سورة الفرقان . يظلون الليل يعبدون الله تعالى ويتهجدون وخص البيتوتة لأن العبادة بالليل أدعى إلى الإجابة ، وأبعد عن الرياء . وقد أمر الله سبحانه وتعالى اللاهين المستكبرين المفترين بالدنيا وزهرتها :

ا — (فاسجدوا لله واعبدوا) . وكذا أمر حبيبه صلى الله عليه وسلم :

ب — (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص) . وكذا أمر المسلمين المؤمنين :

ج — (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» ٧٨ إلى قوله تعالى:

د — (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) من سورة الحج تجد أعزك الله الأمر بالصلاة والزكاة ، وطلب الثقة به فى مجامع الأمور حتى لايطلب المسلمون الإعانة والنصر إلا منه جل جلاله لأنه سبحانه مولانا وناصرنا وحافظنا وراحمنا ومحسن إلينا ، ورءوف بنا ، ولا مولى ولا نصير سواه . وقد سمعت شهادة أبى جهل بالحصون المنيعة حول محمد صلى الله عليه وسلم ، والطاقة الإلهية ، والرعاية الصمدانية ، وعجزه عن إيقاع الأذى به صلى الله عليه وسلم . حاشا ! إنه عليه الصلاة والسلام أول من يعتصم بربه فصانه من كيد أعدائه ورد خنجرهم فى نحرهم وسيفهم فى جسومهم ، وباءوا بالفشل والهزيمة ، ومصداق ذلك قول الله تبارك وتعالى : (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيما) تجد ياأخى التقرب إلى الله تعالى بانواع الطاعات سبب فضل الله ، وزيادة الدرجات ، ونيل المكارم . وجماع ذلك الكلام (لمن أتم ركوعها وسجودها) وإن الله تعالى أمر غير المسلمين أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) ٤٤ سورة البقرة

٣٤ — وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ :

قال البيضاوى : يعنى صلاة المسلمين وزكاتهم ، فإن غيرهما كلا صلاة ولا زكاة . أمرهم بفروع الإسلام بعد ماأمرهم بأصوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكا الزرع إذا نما، فإن إخراجها يستجلب بركة فى المال ، ويثمر للنفس فضيلة الكرم ـ أو من الزكاة بمعنى الطهارة فإنها تطهر المال من الخبث ، والنفس عن البخل (واركعوا مع الراكعين) أى فى جماعتهم فإن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس ، وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود ، وقيل الركوع : الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع . قال الأضبط السعدى :

لاتهين الفقير علك أن تر كع يوما والدهر قد رفعه

اه ص ٢٨ وأنا أذكر لك آيات أصول الدين كما فسر البيضاوى . قال تعالى (يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ٤١ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ٤٣ من سورة البقرة .

ا — أمرهم بالتفكير فى النعم والقيام بشكرها .

ب — القيام بالإيمان والطاعة ليحسن إثابته . إنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب . قال ابن عباس رضى الله عنهما : أوفوا بعهدى باتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم فى رفع الآصار والأغلال ، وعن غيره : أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب ـ أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم .

ج — خشية الله تعالى ـ والرهبة خوف مع تحرز ، والمؤمن ينبغى ألا يخاف أحداً إلا الله سبحانه وتعالى .

د — الإيمان بالمنزل المصدق لما معهم من الكتب الإلهية لأنه يدعو إلى التوحيد ، والأمر بالعبادة والعدل بين الناس ، والنهى عن المعاصى والفواحش ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعى » .

هـ — الواجب اتباعه ، والتصديق به للتثبت فى معناه ، وأنهم كانوا أهل النظر فى معجزاته ، والعلم بشأنه ، والمستفتحين به ، والمبشرين بزمانه .

ع — ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا .

ز — اقصروا الخوف منى على والرهبة لى ، واتبعوا الحق ، واخشوا عرض الدنيا .

ح — لاتخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذى تخترعونه ، أو بالخط الذى تكتبونه فى خلاله .

الاستعانة بالصلاة كما أمر الله تعالى

بعد الأمر بترك الكلفة والرياسة والاستعداد للمكارم ، والإعراض عن المال ، والبعد عن الدنايا ، عالج تعالى نفوس المسلمين بحنانين وشفاهم بأمرين (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) ٤٧ من سورة البقرة .

وشاهدنا أيها السادة الصلاة ؛ لأنها كما قال البيضاوى : جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة ، وصرف المال فيهما والتوجه إلى الكعبة والعكوف للعبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ، ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن ، والتكلم بالشهادتين ، وكف النفس عن الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب ، وجبر المصائب .

مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ يَقُومُ فِى صَلاَتِهِ فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ وَهُوَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، وهو فى مسلم وغيره بنحوه ، وتقدم.

روى أنه عليه الصلاة والسلام : « كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة » . ويجوز أن يراد بها الدعاء والاستعانة بها أو بالصلاة لاستجماعها ضروبا من الصبر ، أو جملة ما أمروا به ونهوا عنه (وإنها لكبيرة) : أى ثقيلة ، ولذا يقال : الخشوع بالجوارح ، والخضوع بالقلب اهـ ص ٢٩ .

وقد وصف تعالى الخاشعين بصفتين :

ا — يعتقدون بلقاء الله ويتوقعون ويرجون نيل ماعنده .

ب — يجزمون أنهم يحشرون إلى ربهم فيجازيهم ويثيبهم .

ومن محاسن البديع : يظنون أى يعلمون علم اليقين وتضمن معنى التوقع . قال أوس بن حجر :

فأرسلتـــه مستيقن الظن أنه مخالط مابين الشراسيف جائف

هل تفقه الاستثناء ؟ (إلا على الخاشعين) : أى الذين لم يستثقلوا الصلاة بل حافظوا على أدائها لماذا ؟ لأنهم ذللوا نفوسهم لله ، وأطلقوا عنانها حبا فى الله وجعلوها مرتاضة بأمثالها متوقعة فى مقابلتها مايستحقر لأجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ، ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » ، وهى عنوان التقوى ، وبها تحدث الشعراء :

لم يجدك الحسب العالى بغير تقى مولاك شيئاً فحاذر واتق الله
وابغ الكرامة فى نيل الفخار به فأكرم الناس عند الله أتقاها

وقال صالح بن عبد القدوس :

عليك بتقوى الله فالزمها تفز إن التقى هو البهى الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا إن المطيع لربه لمقرب

فعليك أخى بالمداومة على أداء الصلوات لتقوى وتحظى بما تهوى ويلحظك ربك بجلاله ؛ ويرعاك بكماله ودليل ذلك عطف الله جل وعلا من أقاموا الصلاة على من يتقون . قال تعالى :

ا — (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ١٦٩ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لانضيع أجر المصلحين) ١٧٠ سورة الأعراف . قال البيضاوى : (أجر المصلحين) على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع ، وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وأفرد الإقامة لإنافتها على سائر التمسكات اهـ .

ب — (قل أندعو من دون الله ما لاينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا (١) بعد إذ هدانا الله (٢) كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران (٣) له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ٧١ وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون) ٧٢ سورة الأنعام .

---

(١) نرجع إلى الشرك . (٢) رزقنا الإسلام . (٣) متحيراً ضالا عن الطريق . أى سلم يا محمد لهداية الله وتوفيقه . وأن هدى الله الإسلام وما عداه ضلال (وأن أقيموا الصلاة واتقوه) قال البيضاوى : عطف على لنسلم : أى للإسلام ولإقامة الصلاة أو على موقعه ؛ كأنه قيل : وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا الصلاة . روى أن عبد الرحمن بن أبى بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت ، وعلى هذا كان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول إجابة عن الصديق رضى الله عنه تعظيما لشأنه وإظهاراً للاتحاد الذى كان بينهما ، هذا أبو بكر مع جلالة قدره يطلب منه ابنه أن يعبد الأوثان ، فيفحمه بالرد البليغ الصائب والجواب السديد . عليك بالإسلام وإقامة الصلاة والتقوى . هكذا أمرنا . هذا إلى التعليم الإلهى لمحمد صلى الله عليه وسلم .

الترهيب من رفع البصر إلى السماء فى الصلاة

١ — عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا بَالُ[1] أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فى صَلَاتِهِمْ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ[2] فى ذٰلِكَ حَتَّى قَالَ لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذٰلِكَ ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ . رواه البخارى وأبو داود والنسائىّ وابن ماجه .

٢ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تَرْفَعُوا[3] أَبْصَارَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلْتَمِعَ ، يَعْنِى فى الصَّلَاةِ .رواه ابن ماجه والطبرانى فى الكبير ، ورواتهما رواة الصحيح ، وابن حبان فى صحيحه .

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ فى الصَّلَاةِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ[4] . رواه مسلم والنسائى .

ج — (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ١٦٢ دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاوما كان من المشركين١٦٣ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) ١٦٤ من سورة الأنعام . بالوحى والإرشاد يامحمد هداك الله إلى دين الحق القيم فقل : عبادتى كلها أو قربانى أو حجى وما أنا عليه فى حياتى ، وأموت عليه من الإيمان والطاعة . كل أولئك لله .

د — (قد أفلح من تزكى ١٥ وذكر اسم ربه فصلى ١٦ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) ١٧ سورة الأعلى : أى فاز من تطهر من الكفر والمعصية أو تكثر من التقوى أو تطهر للصلاة فصلى أو أدى الزكاة أو أراد بالذكر تكبيرة التحريم ، وقيل تزكى : تصدق للفطر ، وذكر اسم ربه : كبره يوم العيد فصلى صلاته . قال ابن الوردى :

واتق الله فتقوى الله ما … جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقا بطلا … إنما من يتقى الله البطل

من يتق الله يحمد فى عواقبه … ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله فى طلب … فإن ناصره عجز وخذلان

(١) أى ماحال وما شأن وفيه « كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بحمدالله فهو أبتر » وأمرذو بال: أى شريف يحتفل له ويهتم به ، والبال فى غير هذا : القلب . (٢) حذر صلى الله عليه وسلم من رفع الأبصار إلى السماء ثم أنذر من لم يجتنب ذلك خطف بصره وعماه . (٣) يأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يخشعوا لله ويتئدوا فى صلاتهم لله ، ولا ينظرون إلى شىء فى صلاتهم ، ولا يرفعون أبصارهم جهة السماء فى صلاتهم .

(٤) قال النووى : فيه النهى الأكيد ، والوعد الشديد فى ذلك . وقد نقل الإجماع فى النهى عن ذلك . قال القاضى عياض : واختلفوا فى كراهة رفع البصر إلى السماء فى الدعاء فى غير الصلاة ؛ فكرهه

٤ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِى الصَّلَاةِ فَلَا يَرْفَعْ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَا يُلْتَمَعُ. رواه الطبرانى فى الأوسط . من رواية ابن لهيعة ، ورواه النسائى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُ وَلَمْ يُسَمِّهِ .

[يلتمع بصره] : بضم الياء المثناة تحت : أى يُذْهَبُ به .

٥ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ[1]. رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه ولأبي داود :

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ فَرَأَى فِيهِ نَاسًا يُصَلُّونَ رَافِعِى أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ يَشْخَصُونَ[2] أَبْصَارَهُمْ فِى الصَّلَاةِ ، أَوْ لَا تَرْجِعُ

شريح وآخرون ، وجوزه الأكثرون . وقالوا : لأن السماء قبلة الدعاء ، كما أن الكعبة قبلة الصلاة ولا يكره رفع الأبصار إليها كما لا يكره رفع اليد . قال الله تعالى : (وفى السماء رزقكم وما توعدون) اهـ ص ١٥٢ ج ٤ .

(١) يعنى أن نور الأبصار يذهب عقابا . (٢) أى يفتحون أعينهم . من شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه ، وجعل لايطرف ، وشخص من بلد إلى بلد : ذهب ، وفى نسخـــة : فشخص أبصارهم ، وفى النهاية (فى حديث ذكر الميت) إذا شخص بصره. شخوص البصر : ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر وانزعاجه . اهـ .

الصلاة مطلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إن الصلاة قربان إلى الله تعالى ، وتجلب رضاه وسبب زيادة الرزق ، ووضع البركة فى النسل ، وزيادة عمران الأرض ، وقد رأيت سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام أخذ زوجه السيدة هاجر وابنها سيدنا إسماعيل وأسكنهما فى صحراء لانبات فيها ولا ماء . وتضرع إلى الله أن يرعاهما ، وقد حكى جل جلاله عنه (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ٣٨ من سورة إبراهيم : أى يارب ماأسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم . وتكرير النداء وتوسيطه للإشعار بأنها المقصودة بالذات من إسكانهم ثمة ، والمقصود من الدعاء توفيقهم لها ، وقيل : اللام لام الأمر ، والمراد هو الدعاء لهم بإقامة الصلاة كأنه طلب منهم الإقامة ، وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها اهـ بيضاوى .

وقد أجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يهرع إليه المسلمون من كل صوب ويجبي إليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والخريفية والصيفية فى يوم واحد وكثر رواده وزاد سكانه ، وعم خيره ، وفاضت بركاته ، وعاش القاطنون بجواره فى سرور وحبور وصلوا (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) قيل: لو قال أفئدة الناس لازدحت عليهم فارس والروم ، ولحجت اليهود والنصارى ، ولكن أتى بمن للتبعيض لحكمة

إِلَيْهِمْ أَبْصَارُهُمْ

يعلمها الله فى عمران أرضه . قال تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً) : أى يشرع إليهم شوقا ووددا . واقتد رعاك الله بسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه جل جلاله ووهب له سؤله حين ماوقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها ، ولما تفضل سبحانه بالولد توسل إبراهيم بالتوفيق له ولذريته : (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء . ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب). ٤٢ من سورة إبراهيم . إن شاهدنا (ليقيموا الصلاة) «رب اجعلنى مقيم الصلاة» فهذا أسمى رجاء وأقرب إجابة فى طلب زيادة الرزق وكثرة النعم ، ووفرة الخيرات . قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقد ترى الصحابة لفرط مطاوعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة إيمانهم بربهم بحيث لاينفك فعلهم عن أمره يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلال) ٣٢ من سورة إبراهيم . (لعبادى) خصهم بالإضافة إليه ليدل على مكانتهم العالية ، وطهارة نفوسهم ، وسمو آدابهم ، وصلاح حالهم .

قال البيضاوى : تنويهاً لشرفهم ، وتنبيها على أنهم المقيمون لحقوق العبودية ، ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه : أى قل لعبادى الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا . اهـ .

عبادى . ياأخى : خادم الأمير وخادم الكبير يحترم ويجل ويهاب ، ويرعى جانبه ، فما بالك بعبد الخالق وعبد الجبار المنسوب إلى ملك الملوك . إنه فوق كل شيء أود أن تحافظ على الصلاة وتؤديها كما أمر الله عسى أن تدخل برحمته فى عباده الصالحين ، وقلب نظرك فى العالم وتفكر فى خلق من تعبد رجاء أن يخشع قلبك لله ولذكر الله ، وهل الأمير أو المدير إلا إنسان مثلك يأكل ويشرب ولا يدفع عن نفسه ضراً ولا نفعا ، ومع ذلك ترى خادمه مكرما ، وتابعه محترما ، وهذا قل من كثر إكرام الله وغيض من فيض نعم الله للمحسنين . ومن الإحسان أداء الصلاة ، والمحافظة عليها . قال تعالى : (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين٥٧ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) ٥٨ من سورة يوسف .

استوزر الملك يوسف ، فأقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات ، وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما ، وتوجه إليه الناس ، فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ، ثم بالحلى والجواهر ، ثم بالدواب ، ثم بالضياع والعقار ، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً ، ثم عرض الأمر على الملك ، فقال : الرأى رأيك ، فأعتقهم ورد عليهم أموالهم ، وكان قدأصاب كنعان ماأصاب سائر البلاد ، فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه للميرة : أخذ القوت اهـ بيضاوى .

إن رحمة الله تنال فى الدنيا بالراحة والسعة والصحة ، وهناءة الضمير ، والعيش الرغد والوظيفة السامية ونجابة الأولاد والبركة فيهم ، وهذا من التقوى ، ودعامتها الصلاة ، ياأخى والله تعالى يوفى أجور الصالحين عاجلا وآجلا . إن شاهدنا عز يوسف بعد آلامه وسلطانه بعد أسره . لماذا ؟ لأنه اتقى الله وكان من عباد الله فاحتاج إليه إخوته واعترفوا بذنبهم ، وفيه يقول الله تعالى : (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين) ٢٢ من سورة يوسف : أى وصل منتهى اشتداد جسمه وقوته سن ٣٠ — ٤٠ ، وقيل : سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم ، أعطاه الله حكمة ، وهو العلم المؤيد بالعمل ، أو حكماً بين الناس ، وعلماً يعنى تأويل الأحاديث جزاء على إحسانه فى عمله ، وإتقانه فى عنفوان أمره . وهذا حق ، والله جدير بذلك . فأسرع ياأخى أن تكون من الذين يعنيهم بقوله : (لعبادى) وإنى أتحفك بقطعة أدب للإمام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هجرية يبين لك شيئاً من آثر قدرة الخالق المعبود بحق .

. . . .

انظروا إلى النملة فى صغرجثتها ، ولطافة هيئتها،لاتـكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك (١) الفكر كيف دبت على أرضها ، وصبت (٢) على رزقها ، تنقل الحبة إلى جحرها ، وتعدها فى مستقرها ، تجمع فى حرها لبردها ، وفى ورودها لصدورها . مكفولة برزقها . مرزوقة بوفقها (٣) لايغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ، ولو فى الصفا . (٣) اليابس ، والحجر الجامس . (٥) ولو فكرت فى مجارى أكلها ، وفى علوها وسفلها ، وما فى الجوف من شرسيف . (٦) بطنها وما فى الرأس من عينهـا وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ، ولقيت من وصفها تعبا ، فتعالى الذى أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها . لم يشركه فى فطرتها فاطر ، ولم يعنه فى خلقتها قادر .

قال الله تعالى :

ا — (وما ذرأ لـكم فى الأرض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ١٣ من سورة النحل . سبحانه وتعالى سخر لنا ماخلق لنا من حيوان ونبات أصنافهما تتخالف باللون . قال البيضاوى : إن اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ، ليس إلا بصنع صانع حكيم . اهـ ، قال تعالى :

ب — (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ماتسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء ومايشعرون أيان يبعثون إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لاجرم أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون إنه لايحب المستكبرين) ٢٣ من سورة النحل .

وتارك الصلاة مستكبر على خالقه جل وعلا .

وإن لـكل نبى صلاة لله مخصوصة ، وقد أنطق الله تعالى عيسى عليه السلام بالـكلام وهو فى المهد : (قال إنى عبد الله آتانى الـكتاب وجعلنى نبياً ٣٠ وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً) ٣٢ من سورة مريم . هذا أول المقامات للرد على من يزعم ربوبيته ، أمده بتعاليم الإنجيل فصار تناءً معلماً للخير . قيل : أ كمل الله عقله واستنبأه طفلا ، وأمره بالصلاة ، وزكاة المال وتطهير النفس عن الرذائل . إن شاهدنا (وأوصانى بالصلاة) لتعلم ياأخى جزيل فائدتها وقرب مؤديها عند العظيم المنعم سبحانه . وقد قال تعالى يخاطب آدم وحواء أو يخاطب آدم وإبليس لأنهما أصلا الذرية (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولايشقى ١٢٤ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) ١٢٨ من سورة طه . من عمل بتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم لايضل فى الدنيا ولا يتعب فى الآخرة ومن حاد عن الهدى الداكر لى والداعى إلى عبادتى والمرشد إلى رضاى ذل العذاب فى القبر وذاق الضريع والزقوم لأن مجامع همه ومطامح نظره تـكون إلى أعراض الدنيا متهالـكا على ازديادها خائفاً على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الـكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال : «وضربت عليهم الذلة والمسكنة — ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل — ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا» الآيات . هذه دروس الأنبياء تدعو إلى طاعة الله ليسلك المطيع سبل السعادة ، وقد

(١) استدرك الشيء بالشيء : حاول إدراكه به ، فستدرك الفـكر محاولة الإدراك به ؛ فهو مصدر ميمى .
(٢) انصبت إليه وانحدرت فى طلبه . (٣) قدر كفايتها . (٤) جمع صفاة: وهى الحجر الأملس .
(٥) الجامد . (٦) أطراف الأعضاء التى تشرف على البطن ، واحدها شرسوف .

. . . .

حكى تعالى عن سيدنا زكريا الذى أعطاه سيدنا يحيى (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) أى أومأ الله إليهم أن صلوا أو نزهوا ربكم طرفى النهار . قال البيضاوى : ولعله كان مأموراً أن يسبح ويأمر قومه بأن يوافقوه وفى ذلك يقول المولى عز شأنه : (يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصيا) ١٤ من سورة مريم . أى خذ التوراة وأعطاه الله الحكمة وأحكم عقله فى صباه واستنبأه (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه ، وتعطفاً فى قلبه على أبويه (وزكاة) وطهارة من الذنوب أو صدقة : أى تصدق الله به على أبويه ، أو مكنه ووفقه للتصدق على الناس (وكان تقيا) أى مطيعاً متجنباً عن المعاصى ، وبارا بوالديه ، ولم يكن عاقا أو عاصياً ربه (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) سلمه ربه أن يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ، وأمن عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) أى أمن عذاب النار ، وهول القيامة .

العقم يصلون ويتضرعون إلى الله فيلدون

سيدنا زكريا عليه السلام يتراوح عمره من ٧٠ ــ ٩٩ سنة قال الله عنه (ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا) ٢ من سورة مريم . قال البيضاوى : لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان والإخفاء أشد إخباتا وأكثر إخلاصاً ، أو لئلا يلام على طلب الولد فى إبان الكبر ، أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم ، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته (قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً) ٦ دعاء مستجاب سبقه إخلاص لله وتضرع إليه وصلاة وتسبيح وتحميد وتكبير . فيا للمسلمين الذين أصابتهم أزمة أو عقم أن يصلوا لله ، ويعبدوا الله بحق كسيدنا زكريا عليه السلام .

وأخبر الله تعالى فى كتابه العزيز عن السيدة مريم رضى الله عنها (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) روى أن حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار ، وقالت : دونكم هذه النذيرة ، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم ، وصاحب قربانهم ، وفاز بكفالتها سيدنا زكريا ، وبنيت لها غرفة للعبادة (المحراب) أو المسجد تجلس فى أشرف مواضعه (المحراب) وسمى بذلك لأنه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس . وروى أن زكريا كان لايدخل عليها غيره ، وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس . وفيه دليل على جواز كرامات الأولياء . قيل : تكلمت وهى صغيرة كعيسى عليه السلام ، ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ، سبحانه رزقه بغير تقدير لكثرته ، أو بغير استحقاق تفضلا به .

وبهذه المناسبة نتشرف بذكر نبذة من كرامة السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أهدت لمولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم ، فرجع بها إليها ، وقال : هلمى يابنية ، فكشفت عن الطبق ، فإذا هو مملوء خبزاً ولحما ، فقال لها : أنى لك هذا؟ قالت : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فقال : الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى إسرائيل ، ثم جمع علياً والحسن والحسين ، وجمع أهل بيته عليه حتى شبعوا ، وبقى الطعام كما هو ، فأوسعت على جيرانها . وفى ذلك المكان ، وفى هذا الوقت وقت رؤية كرامة مريم ، ومنزلتها عند الله (هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) ٣٩ من سورة آل عمران .

يا أخى : إن هذا النبى عليه السلام يلجأ إلى ربه بالدعاء والعبادة ، ويثق به ، ويعتقد أن الله تعالى حى قادر

. . . .

قاهر، فيطلب له ولياً يرثه وابناً يدير دفة عقاره ويسوس آله ويقر عينه ، فناداه جبريل عليه السلام ، وهو يصلي :(فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين) يصدق أن عيسى عليه السلام وجد بأمره تعالى دون أب ويسودقومه ويفوقهم فائم بعصبية قط (وحصوراً) أي مبالغاً في حبس النفس عن الشهوات والملاهي.روى أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: مااللعب خلقت ، وقد استبعد زكريا من حيث العادة ، أو استعظم وتعجب ، إذ أدركه كبر سنه ٩٩سنة ولا تلد امرأته من العقر . فأجيب لاغرابة من حيث الولد من شيخ فان وعجوز عاقر (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) وطلب سيدنا زكريا علامة يعرف بها الحبل لاستقباله بالبشاشة والشكر ، وتريح مشقة الانتظار (قال آيتك أن لاتكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا.واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار)٤٢ من سورة آل عمران. حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص لذكر الله تعالى وشكره وقضاء لحق النعمة،ولا مانع من إشارة يد أو رأس وسبح ربك من الزوال إلى الغروب إلى صدر الليل.والإبكار:من طلوع الفجر إلى الضحى، إن هذا هو الدواء الناجح مطهر القلوب الملتجئة إلى ربها في السراء والضراء ، فهل لبني قوى أن يصلوا ويخلصوا إلى ربهم (فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه)ثم إن السيدة مريم رضي الله عنها شافهتها الملائكة إكراما لها ، وطهرها الله من الأقذار ، وتقبلها من أمها ، ولم يقبل قبلها أنثى، ورزقها من الجنة . قال تعالى : (وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين.يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) أي أديمي الطاعة وصلي واخشعي .

سيدنا إسماعيل عليه السلام ، وأخوه سيدنا إسحاق عليه السلام

قد أجاب الله دعاء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، وجاء بعده ابنه إسماعيل عليه السلام، فعكف على عبادة ربه وجاهد في طاعته ، وحافظ على الصلاة هو وأهله . قال تعالى :

ا ـ (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعدوكان رسولا نبياً. وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) ٥٥ من سورة مريم . إن شاهدنا (يأمر أهله بالصلاة)قال البيضاوي: اشتغالا بالأهم ، وهو أن يقبل الرجل على نفسه ، ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل اهـ .

ب ـ وقال تعالى : في ابن سيدنا إبراهيم سيدنا إسحاق وذريته : (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ٧٣ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) ٧٤ من سورة الأنبياء .

نافلة : أي عطية،أو ولد ولد ، أو زيادة على ماسأل، وهو إسحاق ، والأربعة:أي إبراهيم ، ولوط، وإسحاق ويعقوب ، وفقناهم للصلاح ، وحملناهم عليه ، فصاروا كاملين. يقتدى بهم الناس إلى الحق يحثون الناس على عمل الخير موحدين مخلصين في العبادة .

وإن سيدنا داود ، وابنه سليمان عليهما السلام يعبدان الله ، ويخلصان في طاعته سبحانه ، وقد حكى الله عنهما :

ا ـ (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) والمعنى أنه ذو قوة في الدين، يصوم يوما،ويفطر يوما كما أخبر صلى الله عليه وسلم ، وكان يقوم نصف الليل (أواب) أي كثير الرجوع إلى مرضاة الله تعالى ، وقد جزأ زمانه ،للعبادة يوما ، ويوما للقضاء ، ويوما للوعظ ، ويوما للاشتغال بخاصته، فتسور عليه ملائكة على صورة الإنسان في يوم الخلو : (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق) وقت الإشراق حين تشرق الشمس ، ويصفو شعاعها ، وهو وقت الضحى ؛ (والطير محشورة كل له أواب وشددنا

. . . .

ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ٢١ من سورة ص .

ثم سيدنا سليمان عليه السلام كان يحارب أعداء الدين ، ويغزو دمشق ونصيبين ، وأصاب ألف فرس،وقيل: أصابها أبوه من العمالقة . فورثها منه ، فاستعرضها ليخبر صحتها ، ويعرف مكامن ضعفها ، ويبحث عن قوتها ونظافتها وخدمتها لأنها عدته فى الحرب وأخر صلاة العصر . قال تعالى :

ب ـ (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد. قال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) ترك فضيلة أول الوقت فقط ، واستمر يحارب الأعداء حتى هزمهم وطلب من ربه تعالى تقدم الشمس حتى يصلى العصر فى وقته ، وقد أجاب الله دعاءه : (ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق) ٢٤ من سورة ص . ومعنى بالعشى : بعد الظهر ، والصافن من الخيل : الذى يقوم على طارف سنبك يد أو رجل، وهو من الصفات المحمودة فى الخيل الذى لايكاد يكون إلا فى العرب الخلص ، والجياد : جمع جواد الذى يسرع فى جريه ، قال صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود فى نواصيها الخير» فسماها خيرا لأنها سبب النصر والفوز، فأخر صلاة العصر عن أولها ، وكان يتفقدها فأخذ يمسح سوقها وأعناقها بيده الشريفة اعترافا بفضل الله ومدده ، والله أعلم .

فأنت ترى الصلاة جوهرة مكنونة ، ودرة مسنونة ، وتاج الصالحين ، وعنوان الإيمان برب العالمين ، ومطلب الأنبياء والمرسلين وركن الإسلام وعماد الاستقامة ونور الحق ومنهج الكمال ، وسنة متبعة فى إرضاء الخالق جل وعلا . قال تعالى : (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) ٤٢ من سورة النور .

قال البيضاوى : ألم تعلم علماً يشبه المشاهدة فى اليقين ، والوثاقة بالوحى أو الاستدلال (أن الله يسبح له من فى السموات والأرض) ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السموات والأرض (والطير) لما فيها من الصنع الظاهر ، والدليل الباهر ، ولذا قيدها (صافات) فإن إعطاء الأجرام الثقيلة مابه تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع تعالى ، ولطف تدبيره . قد علم الله دعاءه ، وتنزيهه اختياراً أو طبعاً . وعلم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق ، والميل إلى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع أنه لايبعد أن يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحاً كما ألهمها علوما دقيقة فى أسباب تعيشها لاتكاد تهتدى إليها العقلاء اهـ . (والله عليم بما يفعلون) سبحانه خبير بأحوال خلقه. إن شاهدنا: (كل قد علم صلاته وتسبيحه) فالشجر والمدر، وكل شىء يدعو الله ، ويسبح بحمده، وقد جمعت الصلاة جميع أنواع الدعاء والتسبيح والتحميد والتكبير .

وذكر الرافعى فى مسند الشافعى رضى الله عنه أن الصبح كانت لآدم ، والظهر لداود ، والعصر لسليمان والمغرب ليعقوب ، والعشاء ليونس . قال الباجورى : وتخصيص كل بالصلاة فى هذا الوقت لعله لكونه قبلت فيه توبته أوحصلت له فيه نعمة،وظاهر هذا أنها كانت على الكيفية المعروفة فى هذه الأوقات مع أنهم ذكروا أن الكيفية المخصوصة من خصوصيات أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلعلها لم تكن على هذه الكيفية وعن بعضهم مافيه مخالفة لذلك ، فقيل : كانت الظهر لإبراهيم ، وكانت العصر ليونس ،وقيل:للعزير،وكانت المغرب لداود ، وقيل : لعيسى ، فصلى ركعتين كفارة لما نسب إليه ، وركعة كفارة لما نسب لأمه ، وكانت العشاء لموسى ؟وقيل من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم،وهو الأصح . ويجاب عما ورد من أنها كانت ليونس أو لموسى ، بأن المراد بالصلاة الواقعة منه حينئذ الدعاء ، وعلى هذا فيكون الله جمع لنبينا صلى الله عليه وسلم ولأمته ماتفرق فى الأنبياء وأممهم ، وميز صلى الله عليه وسلم بزيادة عليهم تشريفا له ، وتعظيما لأجره. زاده الله تشريفاً وتعظيما وتكريما اهـ ص ٣٠٣

. . . .

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

بشرى لك يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأعطاك الله ثمرات أديان الأنبياء صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وجعل سبحانه الصلاة مفتاح العبادة والطاعة والرضاء، وأنها سبب رفع الدرجات، وزيادة الحسنات والأرزاق. قال تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) ٦٩ من سورة المائدة. اليهود أتباع سيدنا موسى، والصابئون الذين صبوا إلى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا، والنصارى: أتباع سيدنا عيسى عليهما السلام: أي إن صح من هؤلاء الإيمان والعمل الصالح يتب الله عليهم ويرحمهم، وقد نهى سبحانه وتعالى عن موالاة الكفرة والفسقة، وطلب من المسلمين أن يوالوا المصلين، والآن المطلوب من المؤمنين الصلاة عسى أن يدركوا مغفرة الله تعالى.

فقال جل شأنه:

ا ـ (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ٥٥ من سورة المائدة، راكعون. أي متخشعون في صلاتهم وزكاتهم، أو يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الإحسان ومسارعة إليه، وأنها نزلت في الإمام علي رضي الله عنه حين سأله سائل، وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه، ولعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه، ووعد سبحانه أن موالاة المؤمنين سبب النصر والفوز لأن المؤمنين حزب الله، وحزب الله هم الغالبون تنويها بذكرهم، وتعظيما لشأنهم، وتشريفا لهم بهذا الإسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان اهـ بيضاوي ص ١٨١.

ب ـ (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين): أي نهلك الأمم العاصية الكافرة وننجي الأنبياء والمرسلين، ومن أجابهم، وعمل بتعاليمهم. وأقام الصلاة.

يا أخي: إن الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ليبشر المصلين المزكين وجعل هاتين الخلتين دليل الإيمان للغاضة أبصارهم النقية قلوبهم السليمة أكفهم.

ج ـ قال تعالى: (تلك آيات القرآن وكتاب مبين ١ هدى وبشرى للمؤمنين ٢ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ٣): أي هؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من صلاة وزكاة هم الموقنون بالآخرة، فان تحمل المشاق إنما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة اهـ بيضاوي. يؤدون الصلاة لعلمهم أن الله أمر بها، وأوصى بالمحافظة عليها رجاء ثواب الآخرة بعد الموت، وكل من علاها فان فكأن تارك الصلاة يجحد الآخرة، وينسى عقاب ربه، ويتبجح بذكر رحمته وهو المنتقم الجبار.

د ـ (إن الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ٤ أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون ٥ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) ٦ من سورة النمل.

وإن تارك الصلاة كسلا قد يؤمن بالآخرة، ولكن تسويفه من الأعمال القبيحة التي تزين له عدم إقامة الصلاة فيخسر الثواب، ويحل عليه العقاب، وإن المزين هو الله يخلق في المرء شهوة الكسل في نفس المقصر (زينا لهم أعمالهم) أي زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس، أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لايدركون مايتبعها من ضر أو نفع (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والأسر يوم بدر، وأشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة. اهـ بيضاوي ص ٥٢٨. وسوء العذاب الآن ضيق الرزق، وقلة البركة والشقاء.

هؤلاء الكفار كانوا يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزين لهم الشيطان عداءه، ومحاربته، فباءوا بالهزيمة، ورجعوا بالخيبة واندحروا، وخسروا ثواب الله لو اتبعوه: والآن تارك الصلاة يخسر ضياع الزمن في كسل ولهو ولغو، ويهمل في حق الله، ولا يضمن طول عمره حتى يؤدي ماعليه، فعليك أخي بتأدية الصلاة

الترهيب من الالتفات فى الصلاة وغيره مما يذكر

١ — عَنِ الحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا(١) بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ(٢) أَنْ يُبْطِئَ بِهَا. قَالَ عِيسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا. فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى(٣) إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي، أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ(٤) الْمَقْدِسِ

فى أوقاتها عسى أن تربح وتنجح وتفلح وتفوز ، وتدركك رحمة الله . قال تعالى :
ا ـ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) ٧ .
ب ـ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) ٩ .
ج ـ (أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) ١١ من سورة العنكبوت
د ـ (فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين) ٦٧ من سورة القصص: أى تاب من الشرك وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ، والصلاة عماد الصلاح ، وإن الله تعالى خاطب محمداً صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وطلب اتباع الدين القويم وطلب من أمته الإقبال على تعاليمه والاهتمام بتنفيذ أوامره واجتناب مناهيه ، وتجد يا أخى تصريحاً فى ذلك (وأقيموا الصلاة) قال تعالى :
(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٣٠ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ٣١ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) ٣٢ من سورة الروم: أى خلق الناس على الفطرة، وهى قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو ملة الإسلام، فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها ، وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته (ذلك الدين القيم) المستقيم الذى لا عوج فيه (فأقم) الآية خطاب للرسول ولأمته (منيبين إليه) راجعين إليه أو منقطعين إليه ، وقد صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له . وقال تعالى :
(من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ٤٤ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين) ٤٥ من سورة الروم . كفره وباله (يمهدون) أى يسوون منزلا فى الجنة .

(١) ابن الذى كفل السيدة مريم ورباها أحسن تربية ، وزوجه عليه السلام أخت مريم . وفى كتاب (المنهج السعيد) أن سيدنا زكريا عليه السلام عاصر ابن ماتان الذى هو جد السيدة مريم، وتزوج بنته إيشاع أخت عمران أبى مريم ، وأم مريم حنة بنت فاقوذا كانت تستظل تحت شجرة ، فرأت طائراً يطعم فرخه فحنت إلى ولد وتمنته ، فقالت : اللهم إن لك على نذرا إن رزقتنى ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمته فحملت بمريم ، وهلك عمران ، ولما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد فتنافسوا فيها ، فقال زكريا : أنا أحق بها عندى خالتها اهـ ص ١٢٤ ، ويحيى وعيسى عليهما السلام كانا فى عصر واحد وهما نبيان ورسولان .
(٢) قرب أن يتأخر عن تنفيذ أمر الناس . (٣) أخاف ياعيسى أن أعد مقصراً فى الرسالة فيقلب الله الأرض بى أو يعذبنى ، فانتظر رعاك الله حتى أصدع بما أمر .
(٤) مكان بالشام محترم يهرع إلى تقديسه المسلمون إلى الآن .

فَامْتَلأَ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ[١] ، فقَالَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَنِى بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ . أُولاَهُنَّ[٢] : أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ[٣] ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ[٤] ، فقَالَ : هٰذِهِ دَارِى وَهٰذَا عَمَلِى ، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ فَكَانَ يَعْمَلُ ، وَيُؤَدِّى إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذٰلِكَ[٥] ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا[٦] ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ[٧] وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فى صَلاَتِهِ مَالَمْ يَلْتَفِتْ ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فى عِصَابَةٍ[٨] مَعَهُ صُرَّةٌ[٩] فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا ، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا[١٠] يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَفْدِى نَفْسِى مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فى إِثْرِهِ[١١] سِرَاعًا حَتَّى إِذَا

---

(١) ازدحموا حتى جلسوا على الأمكنة العالية، وفى حديث ابن عباس: أمرنا أن نبنى المدائن شرفا والمساجد جما . الشرف : التى طولت أبنيتها بالشرف ، واحدتها شرفة اهـ نهاية ص ٢١٥ .

(٢) فى نسخة : أولهن ١٧٥ ع . (٣) تجعلون عبادته سبحانه قاصرة عليه لاشريك له فى التعظيم والتبجيل والسؤال والرجاء ، بيده الخير يفعل ما يشاء . (٤) فضة .

(٥) يشترى بمال سيده، ويعمل العمل لغيره، وغيره يجبى ثمرة تعبه ، وسيده محروم من خيراته: كذلك من يعبد غير الله عمله ضائع ، ومحروم من ثواب القادر الصمد .

(٦) أى اتئدوا ، ولا تحركوا أعناقكم يميناً أو شمالا ، واخشعوا واطمئنوا .

(٧) المراد أن تترى رحمته للذى يحسن الصلاة، ويحفه تعالى برضوانه وإكرامه مدة عدم التفاته فى صلاته.

(٨) جماعة .

(٩) شىء يحفظ فيه العطر، والصرة : للدراهم ، من صر الصرة شدها ، وبفتح الصاد :الصيحة، وهذا مثل لشدة خلوف الصائم ، وتغير رائحة فمه ، والمسك من الطيب ، وتسميه العرب المشموم . قال الشاعر :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

قيل : إن المسك من صرة الغزال .

(١٠) شدوها ووضعوا فيها الأغلال ، وربطوها فى عنقه فأصبح مشلول الحركة مقيدا مغلولا لاحراك له ، ولا يمكن أن يدافع عن نفسه، ويذب عن حوضه فسلم نفسه لخصومه ، وقدم لهم الفداء بخل ماعلك وجاد بزائه فنجا وفاز. كذلك الصدقة تكون سبب العتق من النار والنجاة من العذاب والفوز يوم القيامة وسبب زيادة الرزق وهى حصن من السوء وقلعة منيعة من شرور المجرمين .

(١١) عقبه : يتعقبه عن قرب ، ومنه خرج فى إثره .

أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ(١) فَأَحْرَزَ(٢) نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، كَذَٰلِكَ الْعَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللهِ . قَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ : اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ : السَّمْعُ(٣) ، وَالطَّاعَةُ(٤) ، وَالْجِهَادُ(٥) ، وَالْهِجْرَةُ(٦) ، وَالْجَمَاعَةُ(٧) ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ(٨) شِبْرٍ ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يُرَاجِعَ(٩) ،

---

(١) مكان مكين يقى شر العدو ، ويمنع هجماته .

(٢) توقى، من أحرزت المتاع جعلته فى الحرز . والحرز :الموضع الحصين، يقال (حرز حريز)واحترز وتحرز ، وأحرزه : ضمه ، ومنه أحرز قصب السبق . (٣) أن تسمع كلام ولى الأمر من ملك وأمير ، ومدير ومأمور ، وأب وكل من له الولاية عليك ، وأمره نافذ أن تصغى إلى قوله وتتفهمه .

(٤) تعمل بارشاداته ، وتتبع أوامره ، وتمشى على ضوء منهجه ليطمئن قلبك ، ويستريح ضميرك ، ويصفو عيشك . أما المخالفة : فويل ، والمضادة ،والهجر والمعاكسة : فشر ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا » قال الشيخ الحفنى فى تعليقاته على الجامع الصغير : (طيب الله ثراه) إنما قدم اسمعوا مع أن أطيعوا يغنى عنه : إشارة إلى أن الإمام إذا أمرهم بأمر وجب عليهم الاصغاء ليفهموه ويمتثلوه إن كان مندوبا أو فرض كفاية ، أو ترك مكروه فيصير ذلك فرض عين، فلو أمر طائفة بأن يقدموا بالتجارة مثلا، ولم ينتقلوا إلى غيرها صار ذلك فرض عين عليهم بعد أن كان فرض كفاية . أما لو أمر بحرام حرم إطاعته ، أو بمكروه كرهت إطاعته اه .

قال العلقمى . قال القاضى عياض وغيره : أجمع العلماء على وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية،وأوجبوا تحريمها فى المعصية لقول الله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) قال العلماء : المراد بأولى الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء،هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم اه من الجامع الصغير ص ٢٠٢ ــ ١ .

(٥) الغزو فى سبيل نصر دين الله تعالى،ومحاربة النفس فى شهواتها عسى أن تتحلى بالمكارم وتعمل بالأوامر.

(٦) الانتقال من مكة إلى المدينة، وهذا سر من أسرار الله لإذاعة دينه، وتعميم الإسلام، ونصر المسلمين وفى النهاية : (جهد) فيه « لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » الجهاد : محاربة الكفار وهو المبالغة واستفراغ مافى الوسع والطاقة من قول أو فعل ، يقال جهد الرجل فى الشىء : أى جد فيه وبالغ ، وجاهد فى الحرب مجاهدة وجهاداً ، والمراد بالنية إخلاص العمل لله تعالى : أى إنه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها قد صارت دار إسلام ، وإنما هو الإخلاص فى الجهاد ، وقتال الكفار اه ص ٩٠ .

(٧) ملازمة رأى الجمهور ، والتمشى مع روح اتحاد المسلمين ولم شعثهم، وجمع كلمتهم فى البر والاتفاق على عمل صالح ، وعدم بث الشقاق والاختلاف ، وعدم التنابذ والتراشق ، والدعوة إلى الائتلاف، وصفاء النية والوداد والمحبة والشورى قال الله تعالى :

ا ــ (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

ب ــ (وتعاونوا على البر والتقوى) .

(٨) بكسر القاف . أى قدر ، وكذا قاد رمح ، وبفتح القاف واحد القيود .

(٩) إلا أن يتوب إلى الله جل وعلا ويرجع نادما متبعاً سنن الجماعة .

وَمَن أَدَّعَى دَعْوَى[1] الجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللهِ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ فَقَالَ : وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ، فَادْعُوا[2] اللهَ الَّذِى سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ . رواه الترمذى ، وهذا لفظه ، وقال: حديث حسن صحيح ، والنسائى ببعضه ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم .

[قال الحافظ] : وليس للحارث فى الكتب الستة سوى هذا .

[الربقة] : بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة ، واحدة الربق : وهى عرى فى حبل تشدّ به البهم ، وتستعار لغيره .

وقوله : [من جثاء جهنم] بضم الجيم بعدها ثاء مثلثة : أى من جماعات جهنم .

٢ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ التَّلَفُّتِ[3] فِى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : اُخْتِلَاسٌ[4] يَخْتَلِسُهُ[5] الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ . رواه البخارىّ والنسائىّ وأبو داود وابن خزيمة .

٣ — وَعَنْ أَبِي الأَحْوَصِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا يَزَالُ اللهُ مُقْبِلاً[6] عَلَى العَبْدِ فِى صَلَاتِهِ مَالَمْ يَلْتَفِتْ[7] ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ[8] أنْصَرَفَ عَنْهُ[9] . رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وصححه .

---

(١) أى مشى بلا عقل، وعمل بلا دين، واتبع الحال التى كانت عليه العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله ،وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك .

(٢) أى اعملوا بدين الله ، واتبعوا أوامر الله، واتركوا عبادة ناقصة ليست على سنن الشرع الشريف.

(٣) تحريك العنق يميناً أو شمالا . (٤) أخذ الشىء بسرعة ، يقال : اختلس الشىء إذا استلبه .

(٥) يخطفه ، والمعنى أن الشيطان يذهب إلى المصلى فيوسوس له ويزيل من قلبه الخشوع فتضعف خشيته لربه ، فينسى موقفه هذا المقدس فيلتفت ويلعب بأطراف جسمه ويميل ، وهكذا من ضروب قلة الأدب أمام رب العالمين سبحانه . وفى نيل الأوطار فى الحديث : النهى عن الخلسة بفتح الخاء ، وهو مايستخلص من السبع فيموت قبل أن يذكى . وفى النهاية : الاختلاس : افتعال من الخلسة ، وهو مايؤخذ سلباً ، وقيل : المختلس الذى يخطف الشىء من غير غلبة ويهرب ، ونسب إلى الشيطان لأنه سبب له لوسوسته به وإطلاق اسم الاختلاس على الالتفات مبالغة . اهـ ص ٢٨١ ج ٢ .

(٦) يتجلى بإحسانه ، ويعطف برضوانه ورحماته . (٧) يحرك رأسه يميناً أو يساراً .

(٨) غير وجهه عن موضع السجود ، وبعد عن اتجاه القبلة .

(٩) غضب الله عليه ، وحول عنه رحمات القبول ، وبركات الخير .

[قال المملى الحافظ عبد العظيم] رضى الله عنه : وأبو الأحوص هذا لايعرف اسمه لم يرو عنه غير الزهرى ، وقد صحح له الترمذى وابن حبان وغيرهما .

٤ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِى خَلِيلِى صلى الله عليه وسلم بِثَلَاثٍ ، وَنَهَانِى عَنْ ثَلَاثٍ : نَهَانِى عَنْ نَقْرَةٍ(١) كَنَقْرَةِ الدِّيكِ ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ(٢) . رواه أحمد وأبو يعلى ، وإسناد أحمد حسن ، ورواه ابن أبى شيبة وقال : كَإِقْعَاءِ الْقِرْدِ : مَكَانَ الْكَلْبِ .

[الإقعاء] بكسر الهمزة . قال أبو عبيد : هو أن يلزق الرجل أليتيه بالأرض ، وينصب ساقيه ، ويضع يديه بالأرض كما يقعى الكلب . قال : وفسره الفقهاء بأن يضع أليتيه على عقبيه بين السجدتين . قال : والقول هو الأول .

٥ — وَرُوِىَ عَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا قَامَ الرَّجُلُ فِى الصَّلَاةِ أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ(٣) ، فَإِذَا الْتَفَتَ . قَالَ : يَا ابْنَ آدَمَ إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ ؟ إِلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّى ، أَقْبِلْ إِلَىَّ(٤) ، فَإِذَا الْتَفَتَ الثَّانِيَةَ قَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ ، فَإِذَا الْتَفَتَ الثَّالِثَةَ صَرَفَ اللهُ(٥) تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجْهَهُ عَنْهُ . رواه البزار .

٦ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَحْسِبُهُ قَالَ : فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ يَدَىِ الرَّحْمٰنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَإِذَا الْتَفَتَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ ؟ إِلَى خَيْرٍ مِنِّى ، أَقْبِلْ يَا ابْنَ آدَمَ إِلَىَّ فَأَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ . رواه البزار أيضاً .

---

(١) خطف الركوع والسجود بمقدار مد الديك فمه لخطف الشىء . يحذر صلى الله عليه وسلم أبا هريرة والمسلمين أن يسرعوا فى ركوعهم وسجودهم ولا يطمئنون كما نهى صلى الله عليه وسلم عن نقرة الغراب فى رواية أخرى ، وفى النهاية : يريد تخفيف السجود وأنه لايمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله اهـ

(٢) الثعلب شديد الحركة . يريد صلى الله عليه وسلم أن يكثر الالتفات والخطف والسرعة مثل الثعلب ، وفقد معه الخشوع ، والاطمئنان : وخوف الله جل وعلا .

(٣) تنزل رحماته ، وتتوجه إليه بركاته جل وعلا ؛ ويغمر بعطف الله وإحسانه .

(٤) قف بخشوع وأدب ورجاء ، وتفكر فى معنى ماتقرأ واهداً واطمئن عسى أن تدركك رحمتى ويحفك غفرانى ، وتنال رضوانى . (٥) غضب عليه جل جلاله ، وزالت رحمته ، وقد سأل جبريل عليه السلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

٧ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلمَ : يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالِالْتِفَاتَ فى الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ الِالْتِفَاتَ فى الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ (١) الحديث . رواه الترمذى من رواية علىّ بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس ، وقال : حديث حسن ، وفى بعض النسخ صحيح .

[قال المملى] : وعلىّ بن زيد بن جدعان يأتى الكلام عليه ، ورواية سعيد عن أنس غير مشهورة .

٨ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَدَعَا رَبَّهُ إِلاَّ كَانَتْ دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةً (٢) مُعَجَّلَةً ، أَوْ مُؤَخَّرَةً (٣) . إِيَّاكُمْ وَالِالْتِفَاتَ (٤) فى الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمُلْتَفِتٍ (٥) ، فَإِنْ غُلِبْتُمْ فى التَّطَوُّعِ فَلَا تُغْلَبُوا فى الْفَرِيضَةِ (٦) . رواه الطبرانى فى الكبير .

---

(١) دمار . قال الشوكانى : سمى الالتفات هلكة باعتبار كونه سبباً لنقصان الثواب الحاصل بالصلاة أو لكونه نوعا من تسويل الشيطان واختلاسه ، فمن استكثر منه كان من المتبعين للشيطان ، واتباع الشيطان هلكة ، أو لأنه إعراض عن التوجه إلى الله ، والإعراض عنه عز وجل هلكة . اهـ ص . ٢٨ ج ٢ .

(٢) أى أن الله تعالى يجيب دعاءه وقته هذا ، ويظهر أثر الإجابة ويدرك حاجته فورا .

(٣) سبحانه يجيب الدعاء ، ويدخر عنده التنفيذ ، ويوجه الخير له على حسب الأصلح له والمفيد ويؤخر بمقتضى حكمته :

ا — (قد جعل الله لكل شىء قدرا) .

ب — (فيكشف ماتدعون إليه إن شاء) .

(٤) احذروا تحريك العنق فى الصلاة يمنة أو يسرة . (٥) فى نسخة : للملتفت .

(٦) فيه الإذن بالالتفات للحاجة فى التطوع ، والمنع من ذلك فى صلاة الفرض ، وفى رواية : « فإن كان لابد ففى التطوع لافى الفريضة » وفى مختار الإمام مسلم ص٣١ ج ١ نقلا عن النووى : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التى أوتيها ، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام فى عبادة ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخشوع والخضوع ، وحسن السمت ، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى بها ، فقال صلى الله عليه وسلم : اعبد الله فى جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان . والمقصود الحث على الإخلاص فى العبادة ، ومراقبة العبد ربه تعالى فى إتمام الخشوع والخضوع ، ولذا ندب مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشىء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لايزال الله تبارك وتعالى مطلعا عليه فى سره وعلانيته اهـ ص ٣٧ ج ١ .

ولن تجد فى الحياة ألذ من وقوف الإنسان أمام المنعم المتفضل عليه بالخير والبر فيحمده ، ويشكر فضله ، وسبيل ذلك أداء الصلاة التى طلبها الله تعالى ، وأمر بها فى كتابه ، وأخبر أن آياته تشرح صدر المصلين ، وتقر عين المزكين ، ونبراس الهداية للعاملين المحسنين الذاكرين . قال تعالى :

وَفِى رِوَايَةٍ لَهُ أَيْضًا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ قَامَ فِى الصَّلاةِ فَالْتَفَتَ(١) رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ(٢) صَلاتَهُ .

٩ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لا يَزَالُ اللهُ مُقْبِلاً عَلَى الْعَبْدِ(٣) بِوَجْهِهِ

ا ـ (تلك آيات الكتاب الحكيم ٢ هدى ورحمة للمحسنين ٣ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ٤ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ٥) من سورة لقمان .

إن اسم الإشارة عائد على الفائزين المهتدين . لماذا ؟ لأن خلالهم أداء أوامر الله على أن لقمان الحكيم الذى عاصر سيدنا داود عليه السلام كان من نصائحه بعد توحيد الله جل وعلا المحافظة على إقامة الصلاة .

ب ـ (يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) ١٨ من سورة لقمان .

قال البيضاوى : (أقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك . هذه نصيحة رجل حنكته التجارب ، وعلمته طاعة الله أن يرشد ابنه إلى الصلاة لأنها تكسوه الكمال والجمال والبهاء والهناء ويأمره بالصبر (واصبر على ما أصابك) أى فى ذات الله تعالى إذا أمرت بمعروف ، ونهيت عن منكر أو اصبر على ما أصابك من المحن ، فإنها تورث المنح ، إن الذى وصيتك به (من عزم الأمور) أى مما عزمه الله من الأمور ، أو قطعه قطع إيجاب وإلزام ، وأمر به أمراً حتماً اهـ نسفى ص ٢١٦ . والمراد بالصبر : التسليم لأحكام الله تعالى ، والرجوع فى كل الأمور لله جل شأنه ، فالصلاة يا أخى عماد الدين قدمها لقمان أولا ، وهى سبب مناجاة الله تعالى . واعلم أن الالتفات مضيعة الثواب ، وإعراض عن الله جل جلاله ، وباب الخير ، ومصدر العز ، وشمس الاستقامة ، والتسلية للنفس ، وسلوانها عند الشدة ، وقد أمر الله تعالى بها حبيبه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عند ما ذكر سيدنا موسى عليه السلام الكتاب وأعمال فرعون معه ، ونصر الله له . قال تعالى: (ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار) والإبكار : الفجر ، والعشى : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، وإن شاهدنا (وسبح) أى دم على التسبيح والتحميد لربك ، وقيل صل لهذين الوقتين ، إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة ، وركعتين عشيا ، وإن ثلاث خلال حميدة أمرنا الله بها ترفع الرجال إلى مراتب الكمال : الصبر على المكاره لله ، وطلب المغفرة من الله ، والصلاة لله عز شأنه فاصبر يا محمد حتى يأتى النصر من ربك كما نصر الأنبياء من قبل ، واطلب المغفرة لأمتك ليستنوا بك ويتأسوا . قال الشاعر فى الصبر والحزم ص ٣٠٧ ج ٢ أمالى :

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهاً ... ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات وإن تناهت ... فمقرون بها الفرج القريب

(١) حرك وجهه ، ولفت عنقه يمنة ويسرة .

(٢) لم يقبلها ، ولا ثواب له ، ولم يؤد الفرض .

(٣) سبحانه يتجلى برحمته على عبده ، ويحيطه بأنواره مدة خشوعه وعدم التفاته وطهارته ، فإذا التفت أو أحدث زالت ظلة الرحمة عنه ، وبعدت بركات ربه المحيطة به .

مالمْ يَلتَفِتْ أوْ يُحْدِثْ . رواه الطبرانىّ فى الـكبير موقوفاً عن أبى قلابة عن ابن مسعود ولم يسمع منه .

١٠ - وَرُوِيَ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إذَا قامَ أحَدُكُمْ إلَى الصَّلاةِ فَلْيُقْبِلْ(١) عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ، وَإيَّاكُمْ وَالِالْتِفاتَ(٢) فى الصَّلاةِ ، فإنَّ أحَدَكُمْ يُنَاجِي(٣) رَبَّهُ مَادَامَ فى الصَّلاةِ(٤) . رواه الطبرانيّ فى الأوسط .

١١ - وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أبِي أُمَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّها قَالَتْ : كانَ النَّاسُ فى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذَا قَامَ المُصَلِّى يُصَلِّى لَمْ يَعْدُ(٥) بَصَرُ أحَدِهِمْ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم ، فَـكَانَ النَّاسُ إذَا قَامَ أحَدُهُمْ يُصَلِّى لَمْ يَعْدُ بَصَرُ أحَدِهِمْ مَوْضِعَ جَبِينِهِ ، فَتُوُفِّيَ أبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَـكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَـكَانَ النَّاسُ إذَا قَامَ أحَدُهُمْ يُصَلِّى لَمْ يَعْدُ بَصَرُ أحَدِهِمْ مَوْضِعَ القِبْلَةِ ثُمَّ تُوُفِّيَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَـكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَتِ الفِتْنَةُ ، فَتَلَفَّتَ النَّاسُ يَمِيناً وَشِمَالاً . رواه ابن ماجه بإسناد حسن إلا أن موسي بن عبد الله بن أبى أمية المخزومى لم يخرّج له من أصحاب الـكتب الستة غير ابن ماجه ، ولا يحضرني فيه جرح ولا تعديل ، والله أعلم .

---

(١) يتم ركوعها وسجودها وآدابها .

(٢) احذروا الالتفات واجتنبوه .

(٣) يحادثه ويسأله ويدعوه ، ويتضرع إليه جل وعلا .

(٤) مدة وجوده فى الصلاة .

(٥) لم يتجاوز ، يعنى أن بصره طول صلاته نحو سجوده ومكان وضع جبهته ، واستمرهذا عادةفىزمن سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، ثم جاءت فتنة قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه فذهب خشوع بعض المسلمين ، فالتفتوا فى صلاتهم .

قال الطيبي : المعنى من التفت ذهب عنه الخشوع فاستعير لذهابه اختلاس الشيطان تصويراً لقبح تلك الفعلة أو أن المصلى مستغرق فى مناجاة ربه ، وأنه تعالى يقبل عليه ، والشيطان كالراصد ينتظر فوات تلك الحالة عنه . فإذا التفت المصلى اغتنم الفرصة ، فيختلسها منه . اهـ ، وقال ابن بزيزة : أضيف إلى الشيطان لأن فيه انقطاعا من ملاحظة التوجه إلى الحق سبحانه وتعالى ، وقال أبو ثور : إن التفت ببدنه كله أفسد صلاته ، وإذا التفت عن يمينه أو شماله مضى فى صلاته اهـ . (٦) فى النسخة المطبوعة : فالتفت ، وصحح على ع ص ١٧٢ .

الترهيب من مسح الحصى وغيره فى موضع السجود

والنفخ فيه لغير ضرورة

١ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِى الصَّلَاةِ فَلَا يَمْسَحِ[1] الحَصَى ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ . رواه الترمذى وحسنه والنسائىّ ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، ولفظ ابن خزيمة :

إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِى الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ[2] تُوَاجِهُهُ فَلَا تُحَرِّكُوا الحَصَى . رووه كلهم من رواية أبى الأحوص عنه .

٢ - وَعَنْ مُعَيْقِيبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : لَا تَمْسَحِ الحَصَى وَأَنْتَ تُصَلِّى ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلاً فَوَاحِدَةٌ[3] تَسْوِيَةُ الحَصَا . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، وأبو داود ، وابن ماجه .

٣ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم عَنْ مَسْحِ الحَصَى فى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : وَاحِدَةٌ وَلَأَنْ تُمْسِكَ عَنْهَا خَيْرٌ لَكَ[4] مِنْ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا سُودُ الحَدَقِ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

٤ - وَعَنْ أَبِى صَالِحٍ مَوْلَى طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فَأَتَى ذُو قَرَابَتِهَا شَابٌّ ذُو جُمَّةٍ[5] فَقَامَ يُصَلِّى ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ

---

(١) يريد صلى الله عليه وسلم أن المصلى لايمسح الحصى عن جبينه رجاء إدراك رحمة الله ورضوانه .

(٢) هذا التعليل يدل على أن الحكمة فى النهى عن المسح أن لايشغل خاطره بشىء يلهيه عن الرحمة المواجهة له فيفوته حظه منها ، وقد روى أن حكمة ذلك أن لايغطى شيئاً من الحصى بمسحه فيفوت السجود عليه وقال النووى : لأنه ينافى التواضع ، ويشغل المصلى ص ٢٨٥ ج ٢ نيل الأوطار .

(٣) فى نسخة : تسوية الحصى ص ١٢٢ د . أى أمسح مسحة واحدة ، أو فواحدة تكفيه وفيه الإذن بمسحة واحدة عند الحاجة خشية ضرر أو لحوق أذى ، وحكى النووى فى شرح مسلم اتفاق العلماء على كراهته قال القاضى : وكره السلف مسح الجبهة فى الصلاة .

(٤) أباح لك صلى الله عليه وسلم أن تمسح واحدة ، وأخبرك أن الرجوع عن فعلها خير لك من أن تتصدق بمائة ناقة كلها سود الحدق : أى أعينها سليمة سوداء ، وهى صحيحة الجسم ، والتحديق : شدة النظر والحدقة : العين . ومنه حديث معاوية بن الحكم : فحدقنى القوم بأبصارهم : أى رمونى بحدقهم .

(٥) الجمة من شعر الرأس : ماسقط على المنكبين، وفيه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة جعدة. والمعنى جاء شاب كثر شعره على منكبيه ، وهو قريب السيدة أم سلمة رضى الله عنها ، وعند سجوده

يَسْجُد نَفَخَ ، فَقَالَتْ : لاَتَفْعَلْ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ لِغُلَامٍ لَنَا أَسْوَدَ : يَارَبَاحُ تَرِّبْ وَجْهَكَ[1] . رواه ابن حبان فى صحيحه .

ورواه الترمذى من رواية ميمون أبى حمزة ، عن أبى صالح ، عن أم سلمة قالت :

رَأَى النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم غُلاَماً لَنَا يُقَالُ لَهُ أَفْلَحُ إِذَا سَجَدَ نَفَخَ[2] ، فَقَالَ : يَا أَفْلَحُ تَرِّبْ وَجْهَكَ . وَتَقَدَّمَ فى التَّرْغِيبِ فى الصَّلاَةِ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم :

مَامِنْ حَالَةٍ يَكُونُ الْعَبْدُ فِيهَا أَحَبُّ إِلى اللهِ مِنْ أَنْ يَرَاهُ سَاجِدًا[3] يُعَفِّرُ وَجْهَهُ فِى التُّرَابِ . رواه الطبرانىّ .

الترهيب من وضع اليد على الخاصرة فى الصلاة

١ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : نُهِيَ عَنِ الْخَصْرِ[4] فى الصَّلاَةِ . رواه البخارىّ ومسلم والترمذى ، ولفظهما :

أَنَّ النَّبِيَّ صلي اللهُ عايه وسلم نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِراً[5] . والنسائىّ نحوه

فى صلاته نفخ : أى أخرج هواء شديداً من فه ليزيل التراب الموجود فى مكان سجوده ، فنهته رضى الله عنها وقالت: (لاتفعل) واستدلت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمها رباح وأنه دعا له صلى الله عليه وسلم باليمن والبركة والعز بما يصيب جبينه عند السجود ، وجيمة : تصغير جمة ، ومنه حديث عائشة حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : وقد وفت لى جيمة : أى كثرت ، وحدث : « لعن الله المجممات من النساء » من اللاتى يتخذن شعورهن جمة تشبيهاً بالرجال اه نهاية .

(١) أى وفقك الله وأغناك ، وأراد صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة السجود والطاعات وفى النهاية ومنه حديث « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبابا ولافحاشاً ، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : تربت جبينه » قيل : أراد به دعاء له بكثرة السجود . اه .

(٢) يخرج من فه هواء شديداً ليزيل التراب الذى يسجد عليه ، فناداه صلى الله عليه وسلم : « يارباح ترب وجهك » أى ضع وجهك على التراب ليأخذ بركة السجود عليه ، وينال قسطا من التواضع والخير . هذا إذا كان (ترب) فعل أمر : أى جملة أمرية . أما إذا كان (ترب وجهك) جملة ماضية ، فتكون دعاء بطلب التوفيق له والإعانة على كثرة الصلاة ليزداد ثوابا وبركات ، والله أعلم بالرواية .

(٣) واضعاً جبهته على الأرض يصيبها غبار الأرض (يعفر) يترب ، ومنه الحديث العافر الوجه فى الصلاة : أى المترب ، وحديث أبى جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ، يريد به سجوده على الأرض .

(٤) وضع اليد فى الخاصرة ، والوقوف بلا أدب ، والتكبر والنطرسة . هـذا معنى الخصر والاختصار .

(٥) قال النووى : الصحيح الذى عليه المحققون والأكثرون أنه هو الذى يصلى

وأبو داود ، وقال يعنى : يَضَعُ يَدَهُ عَلَى خَاصِرَتِهِ .

٢ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قالَ : الْاُخْتِصَارُ فى الصَّلاةِ رَاحَةُ[1] أَهْلِ النَّارِ . رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه .

الترهيب من المرور بين يدى المصلى

١ — عَنْ أَبِى الْجُهَيْمِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وَسلم : لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَىِ الْمُصَلِّى مَاذَا عَلَيْهِ لَـكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ . قالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِى . قالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ شَهْرًا ، أَوْ سَنَةً[2] . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذىّ والنسائىّ وابن ماجه. ورواه البزار ، ولفظه:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسَلم يَقُولُ : لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَىِ الْمُصَلِّى مَاذَا عَلَيْهِ لَـكَانَ لَأَنْ يَقُومَ أَرْبَعِينَ[3] خَرِيفاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ . قال الترمذيّ : وقد روى عن أنس أنه قال :

لَأَنْ يَقِفَ[4] أَحَدُكُمْ مِائَةَ عَامٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَىْ أَخِيهِ وَهُوَ يُصَلِّى .

٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم :

ويده على خاصرته . وقال الهروى : قيل هو أن يأخذ بيده عصاً يتوكأ عليها ، وقيل أن يختصر السورة ، فيقرأ من آخرها آية أو آيتين ، وقيل : هو أن يحذف ، فلا يؤدى قيامها وركوعها وسجودها وحدودها ، والصحيح الأول . قيل: نهى عنه لأنه فعل اليهود ، وقيل : فعل الشيطان، وقيل : لأن إبليس هبط من الجنة كذلك ، وقيل : لأنه فعل المتكبرين اهـ ص ٣٦ — ٥ ق ن ط الجهيم وأن يقف أربعين خيرا .

(١) أى إنه فعل اليهود فى صلاتهم ، وهم أهل النار على أنه ليس لأهل النار الذين هم خالدون فيها راحة امنهاية أى وقوف أهل النار فى تعلل وجزع ، ووضع اليد على الجسم .

(٢) قال النووى: معناه لو يعلم ماعليه من الإثم لاختار الوقوف أربعين على ارتكاب ذلك الإثم. ومعنى الحديث النهى الأكيد ، والوعيد الشديد فى ذلك اهـ ص ٢٢٥ ـ ٤ .

(٣) سنة : أى ينتظر هذه المدة من السنين خير له من أن يقتحم الصفوف ، ويمر أمام المصلى ، ماهذا الأدب ! رجل واقف أمام الله ، يناجى الله ، ويدعو الله ، يحترم ويعظم ويهاب فلا يمر عليه وانتظار انتهاء صلاته سنين عديدة خير من أن يمر فيرتكب الذنوب فيحاسب حسابا عسيراً .

(٤) والله لانتظار أحدكم مائة سنة أفضل وأحسن من المرور أمام المصلى أخيك .

لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُكُمْ مَالَهُ(١) فى أَنْ يَمْشِيَ بَيْنَ يَدَىْ أَخِيهِ مُعْتَرِضًا وَهُوَ يُنَاجِى رَبَّهُ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ فى ذٰلِكَ الْمَقَامِ مِائَةَ عَامٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطْوَةِ الَّتِى خَطَاهَا . رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، واللفظ لابن حبان .

٣ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَىْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْ(٢) فى نَحْرِهِ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ(٣) ، وَفى لَفْظٍ آخَرَ : إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّى فَلَا يَدَعْ(٤) أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلْيَدْرَأْهُ(٥) مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ أَبَى(٦) فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ . رواه البخارى ومسلم، واللفظ له وأبو داود نحوه .

[قوله وليدرأه] : بدال مهملة : أى فليدفعه بوزنه ومعناه .

---

(١) أى الشىء الذى يناله ، والخطايا التى يرتكبها عند المشى أمام المصلى ، وأن الانتظار أفضل . تأمل ياأخى : كيف رفعت الصلاة من قدر الإنسان وزادته هيبة وإجلالا ، حقا إنها إحدى الخصال الثلاث فى المؤمنين الذين يتاجرون مع الله فيربحون ، وينتظرون المواسم فيجدون فى الاتجار بمجالس الأعمال مع الغنى الكريم . سبحانه يكافئ من أحسن الصلاة بدار لايفنى نعيمها ، ولا ينقص عيشها . قال تعالى :

(إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ٢٨ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ٢٩ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) ٣٠ من سورة فاطر . أى يتلون قرآنه ويصلون وينفقون سرا فى الصدقة المسنونة وجهرا فى المفروضة

(٢) فليمنع وليضرب . قال النووى : والأمر بالدفع ندب متأكد. قال القاضى عياض : وأجمعوا على أنه لايلزم مقاتلته بالسلاح ، ولا مايؤدى إلى هلاكه ، فإن دفعه بما يجوز فهلك من ذلك فلا قود عليه باتفاق العلماء ، وهل يجب ديته أم يكون هدراً ؟ فيه مذهبان للعلماء ، وهما قولان فى مذهب الإمام مالك رضى الله عنه. قال واتفقوا على أن هذا كله لمن لم يفرط فى صلاته بل احتاط ، وصلى إلى سترة أو فى مكان يأمن المرور بين يديه ، وكذا اتفقوا على أنه لايجوز المشى إليه من موضعه ليرده ، وإنما يدفعه ويرده من موقفه لأن مفسدة المشى فى صلاته أعظم من مروره من بعيد بين يديه ، وإنما أبيح له قدر ماتناله يده من موقفه ، ولهذا أمر بالقرب من سترته ، وإنما يرده إذا كان بعيداً منه بالإشارة والتسبيح ، وكذلك اتفقوا على أنه إذا مر لايرده لئلا يصير مروراً ثانياً إلا شيئاً .

روى عن بعض السلف أنه يرده وتأوله بعضهم اهـ ، وقال النووى : قال أصحابنا : يرده إذا أراد المرور بينه وبين سترته بأسهل الوجوه ، فإن أبى فبأشدها ، وإن أدى إلى قتله فلا شىء عليه كالصائل عليه لأخذ نفسه أو ماله ، وقد أباح له الشرع مقاتلته ، والمقاتلة : المباحة لاضمان فيها اهـ ص ٢٢٤ ج ٤ شرح مسلم .

(٣) قال القاضى : قيل : معناه إنما حمله على مروره وامتناعه من الرجوع الشيطان، وقيل : معناه يفعل فعل الشيطان لأن الشيطان بعيد من الخير ، وقبول السنة ، وقيل : المراد بالشيطان القرين . اهـ .

(٤) فلا يترك ولا يسمح . (٥) وليدفعه بقدر طاقته . (٦) امتنع .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، وابن خزيمة فى صحيحه .

٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: لَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ رَمَادًا(٢) يُذْرَى(٣) بِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْ رَجُلٍ مُتَعَمِّدًا(٤) وَهُوَ يُصَلِّي . رواه ابن عبد البر فى التمهيد موقوفاً .

الترهيب من ترك الصلاة تعمدا وإخراجها عن وقتها تهاونا

١ — عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : بَيْنَ الرَّجُلِ(٥) وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ . رواه أحمد ومسلم وقال:

بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ . وأبو داود والنسائى ولفظه :

لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ ، وَبَيْنَ الْكُفْرِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ . والترمذى ، ولفظه قالَ :

بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ تَرْكُ الصَّلَاةِ . وابن ماجه ولفظه قالَ :

بَيْنَ الْعَبْدِ(٦) وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ .

٢ — وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

---

(١) مصاحب الشر ، وهو الشيطان الملازم للإنسان ، ومنه حديث : «مامن أحد إلا وكل به قرينه» أى مصاحبه من الملائكة والشياطين ، فإن كل إنسان معه قرين منهما ، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ، ويحثه عليه ، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ، ويحثه عليه . اهـ نهاية ص ٢٤٩ .

(٢) رماداً دقيقاً ينتشر . (٣) يسفى وينتشر ، ويترك فى الهواء ليملأه . ذروت الشيء : طيرته وأذهبته ، وبابه عدا ، وذرت الريح التراب من باب عدا ورمى : سفته ، ومنه قولهم : ذرى الناس الحنطة تذرية ، والمذرى : خشبة يذرى بها ، وتنقى بها الأكداس .

(٤) قاصداً أن يمر عليه ، فإذا سها أو نسى غفر الله له ، وعفا عنه .

(٥) بين المسلم وبين الإلحاد ، وإنكار نعم الله ، والإشراك به درجة واحدة هى تعمد اجتناب الصلاة وعدم إقامتها . والمعنى والله أعلم أن إقامة الصلاة ركن الإسلام ، وتاركها متعمداً كافر وزنديق ومشرك ، وإن مات مات على غير الإسلام ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، ولا يصلى عليه ، وتركها كسلا يجر إلى نسيان نعم الله ، ويبعد عن رحمة الله ، ويجلب نقمة الله ويدل على سوء الخاتمة .

(٦) المطيع المؤمن المقرب .

«الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ(١)» . رواه أحمد وأبو داود والنسائيّ والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح ، ولا نعرف له علة .

٣ — وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعِ خِصَالٍ فَقَالَ : لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنْ قُطِّعْتُمْ(٢) أَوْ حُرِّقْتُمْ ، أَوْ صُلِّبْتُمْ ، وَلَا تَتْرُكُوا الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدِينَ ، فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْمِلَّةِ ، وَلَا تَرْكَبُوا الْمَعْصِيَةَ ، فَإِنَّهَا سَخَطُ(٣) اللَّهِ ، وَلَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ ، فَإِنَّهَا رَأْسُ(٤) الْخَطَايَا كُلِّهَا الحديث . ورواه الطبراني ، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة بإسنادين لا بأس بهما .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ . رواه الترمذي .

٥ — وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ الصَّلَاةُ ، فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ(٥) رواه هبة الله الطبري بإسناد صحيح .

---

(١) جحد فضل الله ، وغفل عن ذكر الله ، وباء بالخيبة ، ورجع بالخسران ، وحرمان ثواب الله وعطفه ورضوانه . (٢) قتلتم إربا إربا ، أو رميتم في النار ، أو وضعتم على جذوع الأشجار وشددتم .

(٣) مجلبة لغضبه .

(٤) أصل ، تجر الويلات ، وتدعو إلى فعل الموبقات ، وهي أس المصائب ، وباب الفقر والدعارة .

(٥) عد كافراً بالله وعاصيا لأنه تهجم على ترك أمره . قال النووي : وأما ترك الصلاة فإن كان منكراً لوجوبها ، فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس ، فقد اختلف العلماء فيه ، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله ، والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب ، فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزاني المحصن ، ولكنه يقتل بالسيف . وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر ، وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد ابن حنبل رحمه الله ، وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه . وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رضوان الله عليهما ورحمهما الله أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي واحتج من قال بكفره بظاهر الحديث الثاني المذكور وبالقياس على كلمة التوحيد . واحتج من قال لا يقتل بحديث : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث» وليس فيه الصلاة واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ولقوله صلى الله عليه وسلم « من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة . من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة

٦ ـ وَرُوِىَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَاسَهْمَ(١) فى الْإِسْلَامِ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ. رواه البزار.

ولا يلقى الله تعالى عبد بهما غير شاك فيحجب عن الجنة ، حرم الله النار على من قال : لا إله إلا الله » وغير ذلك ، واحتجوا على قتله بقوله تعالى (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ،ويؤتوا الزكاة ؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم » وتأولوا قوله صلى الله عليه وسلم: « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهى القتل ، أو أنه محمول على المستحل ،أو على أنه قد يئوله به إلى الكفر ، أو أن فعله فعل الكفار ، والله أعلم . اهـ ص ٧١ ج ٢ .

ماعذرك ياتارك الصلاة وقد رأيت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيح إراقة دمك،وضياع مالك وذهاب قيمتك فى الحياة ، حتى قال العلماء : امرأته طالق ، لأنه نقص قدره، وقلت درجته وصار دنيئاً ليس كفؤا فى نظر الشارع لها ، هذا فى الدنيا ، فما بالك فى الآخرة عند سؤال الله لك عن سبب تركها ،وما الذى ينجيك من شدائد يوم القيامة،وهل قرأت قول الله تعالى يضرب مثلا للعابد المتهجد الخائف من أهوال القيامة والراجى فضل ربه ، قال تعالى :

ا ـ (أم من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) هل يتساوى أيها العقلاء من يسهر طول ليله فى عبادة ربه كمن هو ضده كافر أو غافل أو تارك (قانت) قائم بوظائف الطاعات ساعة الليل .

ب ـ (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ماتتذكرون) ٥٩ أى لايتساوى الغافل والمستبصير العامل والمحسن المسىء وإن تذكر المسلمين فى هذا الفرق قليل (إن الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون) ٦٠ من سورة المؤمن.أجمع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن لايصدق المؤمنون أكثرهم لقصور نظرهم .

ج ـ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) نزلت فى المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون ، فاتق الله وصل عسى إن عجزت تسامح وتؤجر .

(١) أى لانصيب له فى خير الإسلام لأنه مشرك،والسهم فى الأصل واحد السهام التى يضرب فى الميسر، وهى القداح ، ثم سمى به مايفوز به الفالج سهمه ثم كثر حتى سمى كل نصيب سهماً ، ومنه حديث كان للنبى صلى الله عليه وسلم سهم من الغنيمة شهد أو غاب، فأنت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفى توزيع الخير على تارك الصلاة ، ويجعله معدوما عند إعطاء الجنائز أو الغنائم . هذا إلى أنه مذموم ، وجاره إن رضى به مذموم ، وصاحبه مذموم . نفى صلى الله عليه وسلم الإيمان وهو التصديق بوجود الله جل وعلا ، والثقة به من الخائن لأنه لاضمير يحاسبه أمام الله فيخشاه جل وعلا لأنه لايرد الأمانة ، ولا يحفظها فى حرز مثلها ، ويردها عند طلبه ، وبل له عند الله جزاء غدره ونكثه ، ثم نفى صلاة النجس غير الطاهر المتوضىء ، ثم نفى صلى الله عليه وسلم الدين عن تارك الصلاة كما قال صلى الله عليه وسلم : « الصلاة عماد الدين » والدين : الطاعة والعبادة والعقيدة الموصلة إلى توحيد الله ، وتنفيذ أوامره ، واجتناب مناهيه ، وقد شبه صلى الله عليه وسلم الصلاة بالرأس،والدين بالجسم ،ولا يصح الجسم بلا رأس، وإن عدم الرأس بلى الجسم وفنى ، كذلك ترك الصلاة تذهب لباب الدين ، وتضيع صفوته ، وتزيل خلاصته ، وتعدم وحدته ، فلا يعطيه الله ثوابا موصلا للجنة إن عمل صالحاً غير الصلاة ، فكأن الصلاة محور الطاعة ، ومحط رجال العباد.وهى ثانى قنطرة يسأل عنها

٧ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهُورَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ ، إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وقال : تفرّد به الحسين بن الحكم الحبرى .

٨ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم أن لَا تُشْرِكَ[1] بِاللهِ شَيْئًا ، وَإِنْ قُطِّعْتَ ، وَإِنْ حُرِّقْتَ ، وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً[2] مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا ، فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ[3] مِنْهُ الذِّمَّةُ ، وَلَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ ، فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . رواه ابن ماجه والبيهقي عن شهر عن أم الدرداء عنه .

٩ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا قَامَ بَصَرِي ، قِيلَ : نُدَاوِيكَ وَتَدَعُ الصَّلَاةَ أَيَّامًا قَالَ : لَا ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ[4] . رواه البزار والطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

[قامت العين] إذا ذهب بصرها والحدقة صحيحة .

١٠ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

المسلم بعد التوحيد، فلا يفوز الإنسان إلى القنطرة الثالثة إلا إذا نجا أمام السائلين عنها والنجاة سببها أداء الصلاة في الدنيا ، والمحافظة عليها في أوقاتها ، وبنا يشيد ثواب الصالحات ، ويبقى أجرها ثابتاً ، وضوؤها الصلاة ومعينها خشية الله تعالى في الصلاة .

(١) توحيد الله جل وعلا في جميع الأعمال ، وإن حصلت فتنة ، وطلب الإشراك، فالتوحيد خير ، وإن قطع الجسم ، وتفرقت أجزاؤه ، فلا يعرف صاحبه ، وفي نسخة : وإن حرقت .

(٢) أي مفروضة . (٣) خرج من زمرة المسلمين ، وزالت عنه صفة الإسلام . وبعد عنه الإيمان . أي خرج عن ديننا؟ وفي النهاية : والذمة : العهد والأمان والضمان والحرمة والحق ، وسمى أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم ، ومنه حديث « يسعى بذمتهم أدناهم » أي إذا أعطى أحد الجيش العدو أمانا جاز ذلك على جميع المسلمين ، وليس لهم أن يخفروه ولا أن ينقضوا عليه عهده ، وقد أجاز عمر أمان أم عبد على جميع الجيش اهـ ص ٥٠ .

(٤) تأمل رعاك الله سيدنا ابن عباس ترمد عيناه، فيقول له طبيبه: لا تتوضأ: أي لا تصب الماء على وجهك فيزداد الرمد والاحمرار ، وتتغير الجفون وتلتهب ، فيخالف قوله ، ويصلي خشية أن يموت ، فيغضب الله عليه. فيه أن ترك الصلاة سبب غضب الرب جل وعلا وانتقامه، ونزع البركة من الأرزاق ، ووجود الأزمة والضيق وانتشار الأمراض والكروب . نسأل الله السلامة .

مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا ، فَقَدْ كَفَرَ جِهَارًا . رواه الطبراني في الأوسط بإسناد لا بأس به، ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة، ولفظه :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم يَقُولُ : بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكُفْرِ أَوِ الشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ ، فَإِذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ . ورواه ابن ماجه عن يزيد الرَّقاشي عنه :

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ ، فَإِذَا تَرَكَهَا ، فَقَدْ أَشْرَكَ .

١١ – وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: ولا أعلمه إلا قد رفعه إلى النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: عُرَى[1] الْإِسْلَامِ ،وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الْإِسْلَامُ ، مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ: حَلَالُ الدَّمِ[2] شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ . رواه أبو يعلى بإسناد حسن، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمرو بن مالك النُّكرى عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مرفوعاً وقال فيه:

مَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَهُوَ بِاللهِ كَافِرٌ ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ[3] ، وَلَا عَدْلٌ ، وَقَدْ حَلَّ[4] دَمُهُ وَمَالُهُ .

١٢ – وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي عَمَلًا إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ . قَالَ : لَا تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا ، وَإِنْ عُذِّبْتَ وَحُرِّقْتَ ، أَطِعْ[5] وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَخْرَجَاكَ مِنْ مَالِكَ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ[6] هُوَ لَكَ ، لَا تَتْرُكِ الصَّلَاةَ[7] مُتَعَمِّدًا ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا ،

---

(١) أسسه . والعروة : ما يتعلق به من عراه : أي ناحيته . قال تعالى:(فقد استمسك بالعروة الوثقى) وذلك على سبيل التمثيل ، والعروة أيضاً : شجرة يتعلق بها الإبل .

(٢) مصدر معناه ترك واحدة منهن متعمداً تجعل قتله مباحا لإنكاره أسس الإسلام المتفق عليها .

(٣) توبة ولا فدية ، وقيل : نافلة ولا فريضة .

(٤) أهدر دمه ، وحل نهب ماله وضياعه .

(٥) اتبع أوامرهما ، واسمع أقوالهما ، واسترشد بآرائهما ، وانتصح بنصحهما ، وإن أخذا مالك . في ن ط فقال : وأطع ولا تترك .

(٦) أي يأخذ والدك كل ما تملك من عقار وغيره كما قال صلى الله عليه وسلم لرجل عق والديه: « أنت ومالك لأبيك ». إن إطاعة الوالدين نجاح وفلاح وسبب الخير والبر والغنى والسعادة والنجاة من الشدة وجلب الرزق الواسع ، ونور الإيمان يسطع في قلب البار المكرم والديه .

وأطع أباك بكل ما أوصى به   إن المطيـــع أباه لا يتضعضع

(٧) نهى صلى الله عليه وسلم عن ترك الصلاة بلا عذر خشية أن يخرج من دين الإسلام .

فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ الحديث. رواه الطبراني في الأوسط، ولا بأس بإسناده في المتابعات.

١٣ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ، قال: لَا تُشْرِكْ(١) بِاللهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تَعْصِ(٢) وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ(٣) وَالْمَعْصِيَةَ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ(٤) سَخَطُ اللهِ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ(٥) مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ فَاثْبُتْ، وَأَنْفِقْ عَلَى أَهْلِكَ مِنْ طَوْلِكَ(٦)، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ(٧) أَدَبًا، وَأَخِفْهُمْ(٨) فِي اللهِ. رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناد أحمد صحيح لو سَلِمَ من الانقطاع، فإن عبد الرحمن ابن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ.

(١) توحيد الله جل وعلا في ذاته، وفي صفاته وأفعاله، والإخلاص له في العمل سبحانه.

(٢) لاتهن ولا تعص ولا تضرب ولا تخالف وأطع أوامرهما ولو أن تفارق أقاربك وذويك وأخدانك ولو تصرف أموالك عليهما وتنفقها في مرضاتهم. في ن س « ولا تعقن » و ع ١٨١.

(٣) احذر الوقوع في الذي يغضب الله جل وعلا، واجتنب الفواحش، ولا تفعل ما يجلب لك ذنبا.

(٤) في نسخة د: يحل ص ١٢٥. أي بالمعاصي ينزل غضبه جل وعلا، ويحيق بالمذنب انتقامه.

(٥) اجتنب الهروب من الزود عن الوطن والدفاع عنه، إن اتفق المسلمون على الغزو لاتفر منهم ولا تجبن ولا تخف وكن في وسط المعمعة وفي أول الصفوف.

(٦) من فضل الله عليك وما أعطاك من نعم وخير.

(٧) أعدها: أي لا تستعمل معهم الضرب بالعصي والسوط دائما قاسيا بل عاملهم بالسياسة والكياسة واجتنب الأذى وأدبهم بالكتاب والسنة. وإقناع الحجة وطيب القول ولا تظلم ولا تجر ولا تستعمل القسوة والغلاظة وخشونة المعاملة إذا تأدبوا:

تنال باللين والرفق مالا تنال بالعنف

(٨) في نسخة د و ع وط وخفهم. أي اجعل عقابك دائما لله، وفهمهم الشرع وعلمهم السنة حتى تقشعر جلودهم من خشية الله فيمتنعون عن المعاصي، ويتجنبوا الخطايا حباً في ثواب الله ورضاه، وقديما قالوا: الوازع الديني أقوى من الوازع السياسي، ورأس الحكمة مخافة الله، وخفهم، أي كن حكيا تنفذ أوامر الله، واقس لله وارحم لله وعاقب لله وسامح لله وارهب لله وارغب لله، ليتظم عملك ويسود نظامك وترق رعيتك وأتباعك ويتقدم فعلك، قال الشاعر:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

١٤ — وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: بَكِّرُوا[(١)] بِالصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْغَيْمِ، فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ. رواه ابن حبان في صحيحه.

١٥ — وَعَنْ أُمَيْمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَوْلَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: كُنْتُ أَصُبُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَضُوءَهُ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالَ أَوْصِنِي[(٢)] فَقَالَ: لَا تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعْتَ وَحُرِّقْتَ بِالنَّارِ، وَلَا تَعْصِ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَتَخَلَّى مِنْ أَهْلِكَ وَدُنْيَاكَ فَتَخَلَّهْ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ[(٣)] ذِمَّةُ اللهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ الحديث رواه الطبراني، وفي إسناده يزيد بن سنان الرهاوي.

١٦ — وَعَنْ زِيَادِ بْنِ نُعَيْمٍ الْحَضْرَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَرْبَعٌ فَرَضَهُنَّ[(٤)] اللهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَمَنْ أَتَى بِثَلَاثٍ لَمْ يُغْنِينَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَ بِهِنَّ جَمِيعًا: الصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ. رواه أحمد، وهو مرسل.

---

(١) أسرعوا في يوم امتلاء السماء بالسحاب خشية أن يفوت الوقت فلا تصلون فتخرجون من الإسلام وتعصون الله وتعدون كفرة فسقة عصاة.

(٢) انصحني. (٣) خرج من دين الله ورسوله.

(٤) تجد الأربعة يتصل ثوابها، فمن ترك واحدة زج في النار، وقد وصف الله المؤمنين بصفات منها (وأقاموا الصلاة) قال تعالى: (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ٣٦ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ٣٧ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ٣٨ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ٣٩ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ٤٠ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ٤١ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ٤٢ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) ٤٣ من سورة الشورى.

الصلاة إحدى الأربعة في قوله صلى الله عليه وسلم« أربع فرضهن الله في الإسلام » والصلاة أيضا إحدى خصال المؤمنين الثمانية في الآيات:

أولا: التوكل على الله لخلوص نفعه ودوامه.

ثانياً: اجتناب الموبقات: وموجبات الحدود وهي كل ما ورد فيها حد أو وعيد، والقبائح.

ثالثاً: التجاوز والحلم عند حصول الغضب على شرط أن لا يخل بالمروءة أو يترك واجباً، وعليه قول الإمام الشافعي رضي الله عنه: من استغضب ولم يغضب فهو حمار.

رابعاً: توحيد الله وعبادته.

خامساً: إقامة الصلاة. سادساً: التشاور في الأعمال وعدم السرعة.

سابعاً: الإنفاق في وجوه البر وسبيل الخير. ثامناً: الانتصار لمنع التعدي ومقاومة الخصم.

١٧ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَتُنْقَضَنَّ(١) عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً ، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ(٢) النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا ، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا : الْحُكْمُ(٣) وَآخِرُهُنَّ : الصَّلَاةُ . رواه ابن حبان فى صحيحه .

١٨ — وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا أَحْبَطَ(٤) اللهُ عَمَلَهُ ، وَبَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ حَتَّى يُرَاجِعَ لِلهِ(٥) عَزَّ وَجَلَّ تَوْبَةً . رواه الأصبهانى .

١٩ — وَعَنْ أُمِّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال : لَا تَتْرُكِ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا ، فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ . رواه أحمد والبيهقى ، ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أن مكحولا لم يسمع من أم أيمن .

٢٠ — وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ . رواه أبو بكر ابن أبى شيبة فى كتاب الإيمان ، والبخارى فى تاريخه موقوفاً .

٢١ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ . رواه محمد بن نصر المروزى ، وابن عبد البر موقوفاً .

٢٢ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَلَا دِينَ لَهُ . رواه محمد بن نصر أيضاً موقوفاً .

٢٣ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ . رواه ابن عبد البر موقوفاً .

---

(١) أى لتفكن ولتزالن روابط الإسلام عروة عروة ، وهذا كناية عن المخالفة والعصيان وغشيان المحارم .

(٢) قبض وعمل ، والمعنى كلما نقضوا عروة من آداب الدين اتبعوا التى تعقبها ، وهكذا يستمر النقض ويدوم الإنكار والعصيان حتى تنقطع أواصر العمل بأوامر المسلمين ، وأول العرى : الفقه ، والحكم بالعدل وآخر الهدف : الصلاة .

(٣) الإفتاء بالعدل والنطق بالحق والهداية إلى الصراط المستقيم . قال فى النهاية : الخلافة فى قريش ، والحكم فى الأنصار ؛ خصهم بالحكم لأن أكثر فقهاء الصحابة فيهم : منهم معاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم . ومنه الحديث : وبك حاكمت : أى رفعت الحكم إليك ، فلا حكم إلا لك ، وقيل : بك خاصمت فى طلب الحكم ، وإبطال من نازعنى فى الدين ، وهى مفاعلة من الحكم اهـ ص ٢٤٧ .

(٤) أبطله . (٥) فى نسخة د : يراجع الله . أى يؤنب نفسه ويندم على فعله ويقدم لله توبة وإنابة وعزيمة قوية أن لا يترك الصلاة .

٢٤ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ . رواه ابن عبد البر وغيره موقوفاً . وقال ابن أبي شيبة :

قَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ . وقال محمد بن نصر المَرْوَزِيُّ سمعت إسحٰق يقول :

صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم : أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ ، وَكَذٰلِكَ كَانَ رَأْيُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ لَدُنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم : أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا كَافِرٌ .

٢٥ — وَرُوِيَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : تَرْكُ الصَّلَاةِ كُفْرٌ لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ .

٢٦ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا(١) ، وَبُرْهَانًا(٢) ، وَنَجَاةً(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ، وَلَا بُرْهَانٌ ، وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ(٤) وَفِرْعَوْنَ(٥) وَهَامَانَ(٦) وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ(٧). رواه أحمد بإسناد جيد ، والطبرانيّ في الكبير والأوسط ، وابن حبان في صحيحه .

---

(١) تضيء له عند الشدة، وتنور له قبره . (٢) حجة قوية على استقامته، ودليلا على حسن إسلامه ومدافعا عن كمال إيمانه . (٣) تبعد العذاب وتمنع العقاب وترعى أذى الأهوال عن صاحبها يوم الحساب .

(٤) قال البيضاوى : كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى، وكان ممن آمن به؛ فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره، أو تكبر عليهم أو ظلمهم . قيل: وذلك حين ملكه فرعون على بنى إسرائيل أو حسدهم اهـ . قال الله تعالى عنه: (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) ٨١ من سورة القصص . (٥) ملك جبار ظالم . (٦) وزير من جنود فرعون وأعوانه، وقد حكى الله عنهما : (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين ٣٨ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ٣٩ فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) ٤٠ من سورة القصص .

(٧) تاجر وعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كافر ، والمعنى أنه فى جهنم مع هؤلاء الكفرة أعداء الإسلام ، فالغنى يحشر مع قارون ، وصاحب النقود مع هامان ، وحب الملك مع فرعون ، والتاجر مع أبى . ن ع ١٨٣ .

٢٧ - وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: [الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ] قَالَ: هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا. رواه البزار من رواية عِكْرِمَةَ بن إبراهيم، وقال: رواه الحفاظ موقوفاً، ولم يرفعه غيره.

[قال الحافظ] رضي الله عنه: وعكرمة هذا هو الأزدي مجمع على ضعفه، والصواب وقفه

٢٨ - وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتَاهُ أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: [الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ](١). أَيُّنَا لَا يَسْهُو، أَيُّنَا لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، إِنَّمَا هُوَ إِضَاعَةُ الْوَقْتِ يَلْهُو حَتَّى يُضَيِّعَ الْوَقْتَ. رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

٢٩ - وَعَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ(٢) أَهْلَهُ وَمَالَهُ. رواه ابن حبان في صحيحه.

٣٠ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتَيْنِ(٣) مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَقَدْ أَتَى بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْكَبَائِرِ. رواه الحاكم وقال: حنش هو ابن قيس: ثقة.

[قال الحافظ]: بل واهٍ بمرة، لا نعلم أحداً وثقه غير حُصين بن نُمير.

٣١ - وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ(٤): إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي(٥)، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ(٦)، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ(٧)، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي(٨) بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ

(١) يصلون قضاء، وإن الله أوعدهم بالويل والثبور (فويل للمصلين)، والويل: واد في جهنم يستعر ويصطلي ويتقد بتاركي الصلاة. (٢) نقص أهله وعدمهم، وضاع ماله، وذهب خيره. ع ١٨٤.

(٣) أي صلى فرضين: واحدا قضاء مع آخر، فقد ارتكب كبيرة ترميه في جهنم والعياذ بالله، وفيه الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها، نسأل الله العافية والغفر.

(٤) أي أول النهار. ن ط اتنان. (٥) مشيا معي. في ن ط استبعثاني.

(٦) اذهب معنا. (٧) متكئ. (٨) يرمي.

فَيَثْلَغُ[1] رَأْسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ[2] الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ. ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى. قَالَ قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ[3] مَا هَذَا؟ قَالاَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ[4] عَلَى قَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ. قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ فَيَشُقُّ. قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ. قَالَ: فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. قَالَ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ، مَا هَذَا؟ قَالاَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ. قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ[5] وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قَالَ قُلْتُ: مَا هَؤُلاَءِ؟ قَالاَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. قَالاَ: فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَرَ مِثْلَ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جَمَعَ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا سَبَحَ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ[6] فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا[7]، قُلْتُ: لَهُمَا مَا هَذَانِ قَالاَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ. قَالَ قُلْتُ: مَا هَذَا، مَا هَؤُلاَءِ؟ قَالاَ لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى

---

(١) يكسر ويشدخ. يقال: شدخ رأسه: كسره، وكل عظم أجوف إذا كسرته فقد شدخته.
(٢) فتدحرج. (٣) تنزيها لله سبحانه وتعالى، وتقال عند التعجب. ف ن ط يسبح مايسبح.
(٤) مستقبل لعل الوعاظ ينتفعون بعلمهم. (٥) ولعل الزناة يخافون العذاب.
(٦) يفتح. (٧) لعل آكلي الربا يتوبون.

دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ، وَلاَ أَحْسَنَ مِنْهَا. قَالَ قَالاَ لِي: ارْقَ فِيهَا فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ. فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ. قَالَ قَالاَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذٰلِكَ النَّهَرِ. قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذٰلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. قَالَ قَالاَ لِي: هٰذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهٰذَا مَنْزِلُكَ. قَالَ فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ[1] الْبَيْضَاءِ. قَالَ قَالاَ لِي: هٰذَا مَنْزِلُكَ. قَالَ قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا فَذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ؟ قَالاَ: أَمَّا الْآنَ فَلاَ وَأَنْتَ دَاخِلُهُ. قَالَ قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هٰذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ قَالاَ لِي: إِنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ: فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ[2] وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمِنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ: فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ: فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا: فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ: فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ: فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ. قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ: فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا، وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ. رواه البخاري، وذكرته بتمامه لأحيل عليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى:

٣٢ — وقد روى البزار من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ثُمَّ أَتَى، يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) السحابة. (٢) يتركه.

عَلَى قَوْمٍ تُرْضَخُ(١) رُءُوسُهُمْ بِالصَّخْرَةِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ ، وَلاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ مِنْ ذٰلِكَ شَىْءٌ . قَالَ يَا جِبْرِيلُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قَالَ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ تَثَاقَلَتْ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، فذكر الحديث فى قصة الإسراء وفرض الصلاة .

[قوله] : يثلغ رأسه : أى يشدخ .

[قوله] : فيتدهده . أى فيتدحرج .

---

(١) تقتل وترى ، ومنه حديث العقبة قال لهم : كيف تقاتلون ؟ قالوا : إذا دنا القوم كانت المراضخة هى المراماة بالسهام ، من الرضخ : الشدخ ، والرضخ أيضاً : الدق والكسر، ومنه حديث الجارية : فرضخ رأس اليهودى: أى قاتلها بين حجرين اه نهاية .

فقـــه الباب

يبين صلى الله عليه وسلم: أن الصلاة ميزان الإيمان، وسبر غور الإسلام، وأنها الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، والفيصل بين الشرك والإسلام، وهى عقد الاتفاق بين المسلمين، والمعاهدة بين المؤمنين والشرط المتفق عليه بين أهل الدين، وهى إحدى الوصايا النافذة « أوصانى خليلى » بها خشية المروق من الإسلام، والخروج من زمرة الموحدين . وأجمع جمهور المسلمين : أن الصلاة هى الفلذة الوحيدة « تركها كفر عند أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم » وأن تاركها محروم من الخير مذموم لايقام لعمله وزن ولا لوجوده اعتبار ولا لنفسه قيمة « لاسهم له » ونفى عنه صلى الله عليه وسلم الدين ، وأنه خارج عن ذمة الأبرار المتقين . وإن لنا فى ابن عباس قدوة حسنة فترمد عيناه فيشير عليه طبيبه بعدم وضع الماء عليهما ، ولا يصلى فيخالف رأيه وينقض استشارته ويحافظ على الصلاة خوفاً من غضب الحكيم الجبار خالق العيون وباعث الأبصار ؛ وبارىء الأنظار. هذا إلى أن تارك الصلاة يباح قتله وترد شهادته ، وتنزع البركة من أولاده وأمواله « لايقبل منه صرف ولا عدل » ثم أمر صلى الله عليه وسلم : بالسرعة فى أداء الفرض « بكروا بالصلاة فى يوم الغيم » خشية ضياع الوقت والإهمال والركون إلى أن الوقت باق فتضيع فرصة الأداء ، ويحصل غش وخديعة .

وأفاد صلى الله عليه وسلم : أن الصائم المزكى الحاج ناقص الإسلام إذا لم يصل « أربع فرضهن الله » .

وقد صدقت فراسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبوته فى المسلمين الآن . ترى جوراً وظلماً واستبدادا وطائفة جمة من المهذبين فى نظرهم تاركى الصلاة « لتنقضن عرى الإسلام » وتارك الصلاة صدقته مردودة ، وأعماله سيئة مهما حسنت « من ترك الصلاة متعمداً أحبط الله عمله » وأن الصلاة نور وضياء وبهاء وأنيس فى قبره ومصباح وهاج فى ظلمته ، وسبب النعيم وموصلة إلى جنة الله ؛ وتاركها إن كان مع الملوك والأمراء فرفيق فرعون أو كان من الحكام والوزراء فمع هامان ، وإن كان من الأثرياء الأغنياء أصحاب الأموال الجمة فزميل قارون ، وإن كان من التجار أو الصناع والزراع فزميل أبى بن خلف الكافر العاصى المعاند المائل عن الحق ، وكل أولئك فى جهنم .

وقد أجاب صلى الله عليه وسلم أن أصحاب الوادى فى جهنم الساهون « الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » وتارك الصلاة كأنه فقد أهله ، وأذهب ماله سدى وأن عقابه يضرب رأسه بالحجر لأنه ينام عن المكتوبة » وأدلة ذلك من الكتاب العزيز قال تعالى :

١ — (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، إلا من تاب) .

[والكلوب] : بفتح الكاف وضمها ، وتشديد اللام : هو حديدة معوجة الرأس .

[وقوله] يشرشر شدقه : هو بشينين معجمتين ، الأولى منهما مفتوحة ، والثانية مكسورة ، وراءين الأولى منهما ساكنة ، ومعناه : يقطعه ويشقه ، واللفظ محركاً : هو الصخب والجلبة والصياح .

[وقوله] ضوضوا : بفتح الضادين المعجمتين وسكون الواوين وهو الصياح مع الانضمام والفزع .

[وقوله] فغرفاه : بفتح الفاء والغين المعجمة مما بعدها راء : أي فتحه .

قال ابن مسعود : ليس معنى أضاعوها : تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها ، وقال ابن سعيد ابن المسيب : إمام التابعين : هو أن لا يصلي الظهر حتى تأتي العصر ، ولا يصلي العصر إلى المغرب ، ولا يصلي المغرب إلى العشاء ، ولا يصلي العشاء إلى الفجر ، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغي ، وهو : واد في جهنم بعيد قعره شديد عقابه .

٢ — (يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)

قال جماعة من المفسرين : المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس ، فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : أول مايحاسب به العبد يوم القيامة عن عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن نقصت فقد خاب وخسر .

٣ — (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) .

٤ — (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ١٤٢ من سورة النساء .

٥ — (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم) ٦ من سورة التوبة .

أي إن تاب المشركون عن الشرك بالإيمان وصلوا وزكوا تصديقا لتوبتهم وإيمانهم فدعوهم ولا تعرضوا لهم بالأسر والحبس والمنع من دخول المسجد الحرام . وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لايخلى سبيله

فاحذر أخي أن تترك الصلاة فهي رخصة القبول ، وجائزة الغفران ، وقد علم الله الصحابة إن ناجوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتصدقوا ، وبدلها بالصلاة والزكاة .

٦ — (يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ١٢ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) ١٣ من سورة المجادلة .

أيها المؤمنون تصدقوا قدام مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم رخص جل جلاله في المناجاة بلا تصدق (أأشفقتم) أي أخفتم الفقر من تقديم الصدقة ، وإشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه . وأمر بالصلاة والزكاة : أي فلا تفرطوا في أدائهما بجبران التفريط مع إطاعة الله ورسوله .

وفي كتاب الزواجر لابن حجر : أن عمر رضي الله عنه لما طعن قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعم ، أما إنه لاحظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى رضي الله عنه وجرحه يجرى دمه .

وروى الذهبي : أنه صلى الله عليه وسلم قال : إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتني ، وإذا صلى العبد

[وقوله] يحشها : هو بالحاء المهملة المضمومة والشين المعجمة : أى يوقدها .

[وقوله :] معتمة : أى طويلة النبات. يقال أعتم النبت : إذا طال .

[والنَّور] : بفتح النون : هو الزهر .

[والمحض] : بفتح الميم وسكون الحاء المهملة : هو الخالص من كل شىء .

[وقوله] فسما بصرى صعدا: بضم الصاد والعين المهملتين: أى ارتفع بصرى إلى فوق .

الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة . فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها .

وأخرج أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاث لايقبل الله منهم صلاتهم» وذكر منهم: من أتى الصلاة دبارا . أى بعد أن تفوته . قال بعضهم : وورد فى الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال : يرفع عنه ضيق العيش ، وعذاب القبر ، ويعطيه الله كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق ، ويدخل الجنة بغير حساب . ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة : خمس فى الدنيا ، وثلاث عند الموت وثلاث فى قبره ، وثلاث عند خروجه من القبر ، فأما اللواتى فى الدنيا . فالأولى : تنزع البركة من عمره . والثانية : تمحى سيما الصالحين من وجهه ، والثالثة : كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه ، والرابعة : لا يرفع له دعاء إلى السماء ، والخامسة : ليس له حظ فى دعاء الصالحين . وأما التى تصيبه عند الموت : فالأولى أنه يموت ذليلا والثانية : يموت جائعا ، والثالثة : يموت عطشاناً ، ولو سقى بحار الدنيا ماروى من عطشه . وأما التى تصيبه فى قبره ، فالأولى : يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، والثانية : يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهاراً ، والثالثة : يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع ، عيناه من نار ، وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع ، وصوته مثل الرعد القاصف . يقول أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى بعد طلوع الشمس ، وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على صلاة العشاء إلى الفجر فكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعا فلا يزال فى القبر معذباً إلى يوم القيامة . وأما التى تصيبه عند خروجه من القبر فى موقف القيامة فشدة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار ، وفى رواية : فإنه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات . السطر الأول : يامضيع حق الله . السطر الثانى : يامخصوصا بغضب الله . الثالث : كما ضيعت فى الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله .

وما ذكر فى الحديث من تفصيل العدد لايطابق جملة الخمس عشرة ، لأن المفصل أربعة عشرة فقط فلعل الراوى نسى الخامس عشر .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر الله به إلى النار ، فيقول يارب : بماذا ؟ فيقول تعالى : بتأخير الصلاة عن أوقاتها ، وحلفك بى كاذبا . قال بعضهم أيضاً : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه قولوا : اللهم لاتدع فينا شقيا ولا محروما ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : أتدرون من الشقى المحروم ؟ قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : تارك الصلاة . قال أيضاً: ويروى أنه أول مايسود يوم القيامة وجوه تارك الصلاة وأن فى جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ، ثم يتهرى لحمه

[والربابة] هنا : هي السحابة البيضاء .

قال أبو محمد بن حزم : وقد جاء عن عمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم: أَنَّ مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ فَرْضٍ وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ ، ولا نعلم لهؤلاء من الصحابة مخالفاً .

قال وروى أيضا : أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين فقالت : يانبي الله : أذنبت ذنباً عظيما وقد تبت إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي ، فقال لها موسى : وما ذنبك ؟ قالت : يانبي الله زنيت وولدت ولدا وقتلته ، فقال لها موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : اخرجي يافاجرة لاتنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال : ياموسى ، الرب تعالى يقول لك : لم رددت التائبة ، ياموسى أما وجدت شراً منها ؟ قال موسى : ياجبريل ومن شر منها ؟ قال من ترك الصلاة عامداً متعمداً . وقال أيضاً : روى عن بعض السلف أنه دفن أختاً له ماتت ، فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس ، فوجد القبر يشتعل عليها ناراً ، فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكياً حزيناً ، فقال : ياأماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل ؟ قالت وما سؤالك عنها ؟ قال ياأماه رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً . قال فبكت وقالت : ياولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها ، فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لايصلي ؟ .

فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها في أوقاتها إنه جواد كريم رءوف رحيم اهص ١١٢ .
وورد في الحديث الصحيح «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع : أي إن ميزوا ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع» قال الخطابي : هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة لتارك الصلاة إذا بلغ تاركا لها ، وكان بعض أصحاب الشافعي يحتج به في وجوب قتله ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه بعد البلوغ يستحق من العقوبة ماهو أبلغ من الضرب ، وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل اه وفيه مافيه . ومما وجه به قتله أن تاركها جنى على جميع الأنبياء والملائكة والمؤمنين لأنه يجب عليه في التشهد أن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . قال صلى الله عليه وسلم : إذا قالها بلغت كل عبد صالح في السماء والأرض ، وهذه الجناية العامة لايليق بها إلا القتل . والأولى أن يستدل لقتله بالأحاديث الصحيحة السابقة أن تاركها تبرأ منه ذمة الله وذمة رسوله ، وأنه لاعهد له ، لأن ذلك ظاهر أو صريح في إهدار دمه ، ومن لازم إهداره وجوب قتله ، وإنما لم يقتل بترك الزكاة لأنه يمكن أخذها منه بالمقاتلة ولا بترك الصوم لأنه يمكن إلجاؤه إليه بالحبس ، ومنع المفطر كالطعام والشراب ، فإنه إذا علم أنه لاخلاص له إلى تناول مفطر نهاراً نوى ليلا وصام ولا بترك الحج لأنه على التراخي ويمكن قضاؤه من تركته ، والصلاة ليست كذلك في الكل ، فلم يناسب عقوبة تركها إلا القتل ، وإذا جازت المقاتلة لتخليص الزكاة فلأن يجوز القتل بحمل الناس بالخوف منه على فعل الصلاة من باب أولى اه ص ١١٣ ج ١ .

فاعلم أخي ، أنه لاعذر لتارك الصلاة ، وقد أخذ الشافعي رضي الله عنه من قوله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ١٩١ الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) ١٩٢ من سورة آل عمران

[قال الحافظ عبد العظيم] : قد ذهب جماعة من الصحابة، ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمداً لتركها حتى يخرج جميع وقتها: منهم عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن مسعود وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل ، وجابر بن عبد الله، وأبو الدرداء رضي الله عنهم، ومن غير الصحابة : أحمد بن حنبل ، وإسحٰق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعي ،

أن المريض يصلي مضطجعاً على جنبه الأيمن مستقبلا بمقاديم بدنه ، لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران ابن حصين : « صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب تومىء إيماء » أي يذكرون الله جل جلاله على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين ، وفيه : التفكر أفضل عبادة ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن رجل مستلق على فراشه، ونظر إلى السماء والنجوم ، فقال أشهد أن لك ربا وخالقاً ، اللهم اغفر لي ، فنظر الله له فغفر له ـ اللهم اغفر لنا .

فعليك أخي بالصلاة عسى أن يقبل عملك ، وبعد أن يقبل عملك فقد عرفت أنك تكون من الصالحين

ا ـ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلا ؟) ١٢٢ من سورة النساء، فقد عرفت أن تارك الصلاة قائده الشيطان، والله تعالى يقول : (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ١١٩ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ١٢٠ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً) ١٢١ . من سورة النساء

ب ـ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) ٥٧ من سورة النساء .

ج ـ (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) أي في أرض ذات أزهار وأنهار يسرون سروراً تهللت له وجوههم ، لماذا ؟ لأنهم كانوا يصلون في الدنيا ، فغرست في قلوبهم حب الله ورضاه والعمل بكتابه ، وسنة حبيبه ففازوا باثنين .

ا ـ الإيمان .

ب ـ العمل الصالح لقوله تعالى : (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون) .

قال البيضاوي : إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته ، أو دلالة على أن مايحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض ، وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح، لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار ، من عشي العين إذا نقص نورها ، والظهيرة التي هي وسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر

وعن ابن عباس : أن الآية جامعة للصلوات الخمس : تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر ، وتظهرون صلاة الظهر . وعنه عليه الصلاة والسلام : « من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل : فسبحان الله حين تمسون » الآية ، وعنه عليه الصلاة والسلام : « من قال حين يصبح : فسبحان الله حين تمسون إلى قوله : وكذلك تخرجون ، أدرك مافاته في ليلته ، ومن قال : حين يمسي أدرك مافاته في يومه » اهـ ص ٥٦٥ .

ياأخي : حافظ على الصلاة فهي تسبيح الله وتحميده وتكبيره وكثيراً ماحث عليها في آياته عسى أن تنجو من أهوال يوم القيامة ، وقد أخبر الله عنه في قوله تعالى : (الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ١١

والحكم بن عتيبة ، وأيوب السختيانى ، وأبو داود الطيالسى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وزهير بن حرب وغيرهم ، رحمهم الله تعالى .

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ١٢ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ١٣ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) ١٤ من سورة الروم : أى يسكتون متحيرين آيسين . يقال : ناظرته فأبلس إذا سكت ، وأيس من أن يحتج ، ومنه الناقة المبلاس التى لاترغو (يتفرقون) يذهب المؤمنون إلى نعيم الجنة ، والكافرون والعصاة إلى جهنم ولذا قال تعالى :

ا — (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) ١٦ من سورة الروم صنفان من الناس : طائفة تطيع الله ورسوله فوعدها بالنعيم والسعادة ، وأخرى كافرة أو عاصية فأوعدها بالجحيم . هذا نظام الله فى خلقه :

ا — (إن المتقين فى ظلال وعيون . وفواكه مما يشتهون . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون . إنا كذلك نجزى المحسنين) قال البيضاوى : يحض لهم العذاب الخالد ، ولخصومهم الثواب المؤبد .

ثم خاطب الكفار والفسقة والعصاة :

ب — (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون . ويل يومئذ للمكذبين . وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون . ويل يومئذ للمكذبين) ٤٩ من سورة المرسلات .

إن شاهدنا (اركعوا لايركعون) يخالفون أمر الله . صلوا فلا يصلون ، أو أطيعوا واخضعوا ، أو اركعوا فى الصلاة . روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفاً بالصلاة ، فقالوا : لانحنى أى لانركع فإنها مسبة ، وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون اهـ بيضاوى .

لعلك فقهت الصلاة تحشرك مع المتقين إن عملت عمناها ، وتنفذت بمرماها ، ومشيت فى أضوائها وسرى نور الإيمان فى قلبك من شمسها ، وذقت حلاوة ثمرتها ، وشممت شذاها ، واستنشقت عرفها ، وبذا تحشر آمناً مطمئناً منعما ، وتسخر من تارك الصلاة حين مايعذبه مولاه ويفضحه على ملأ ويلزمه بأدائها على النار المتقدة المؤصدة ويوبخه على غفلته فى حياته وإجرامه فى ترك الصلاة ، ومصداق ذلك قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ٤٢ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) ٤٣ من سورة القلم . قال البيضاوى : أى يوم يشتد الأمر ، ويصعب الخطب ، وكشف الساق مثل فى ذلك ، وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الحرب . قال حاتم :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

(ويدعون إلى السجود) توبيخاً لهم على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيامة أو يدعون إلى الصلوات لأوقاتها إن كان وقت النزع فلا يقدرون لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه ، وقد تلحقهم ذلة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) فى الدنيا أو زمان الصحة وهم متمكنون منه فراحوا لعلل فيه اهـ (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون ٤٤ وأملى لهم إن كيدى متين) ٤٥ من سورة القلم : اتركى فإنى أكفيكه سندنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال ، وإدامة الصحة ، وازدياد النعمة .

فاستيقظ ياتارك الصلاة ، ولا يغرنك حلم الله وفضله .

كتاب النوافل

الترغيب فى المحافظة على ثنتى عشرة ركعة من السنة فى اليوم والليلة

١ - عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتِ أَبِى سُفْيَانَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَامِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لِلهِ تَعَالَى فى كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ[1] إِلاَّ بَنَى اللهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتاً فى الْجَنَّةِ ، أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فى الْجَنَّةِ . رواه مسلم وأبوداود والنسائىّ والترمذىّ ، وداود :

أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ[2] . ورواه بالزيادة ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم إلا أنّهم زادوا :

وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْعَصْرِ وَلَمْ يَذْكُرُوا رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَهُوَ كَذَلِكَ عِنْدَ النسائى فى رواية ، ورواه ابن ماجه فقال :

وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ أَظُنُّهُ قَبْلَ الْعَصْرِ . ووافق الترمذىّ على الباقى .

٢ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ : أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ[3] . رواه النسائىّ ، وهذا لفظه ، والترمذى وابن ماجه . كلهم من رواية المغيرة بن زياد عن عطاء عن عائشة

(١) قال النووى : هو باب التوكيد ورفع احتمال إرادة الاستعاذة ، ففيه استحباب التوكيد إذا احتيج إليه اهـ ص ٩ ج ٦ . (٢) الفجر .

(٣) يحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المحافظة على أداء السنن كما بينها. قال النووى قال العلماء: والحكمة فى شرعية النوافل تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص كما ثبت فى الحديث فى سنن أبى داود وغيره ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ، ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة ، ولهذا يستحب أن يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين اهـ ص ١٠ ج ٩ .

وقال النسائى : هذا خطأ ، ولعله أراد عنبسة بن أبي سفيان فصحف ، ثم رواه النسائي عن ابن جريج عن عطاء عن عنبسة بن أبي سفيان عن أم حبيبة ، وقال : عطاء بن أبي رباح لم يسمعه من عنبسة ، انتهى .

[ثابر] : بالثاء المثلثة وبعد الألف باء موحدة ثم راء : أى لازم وواظب .

الترغيب فى المحافظة على ركعتين قبل الصبح

١ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا(١) وَمَا فِيهَا . رواه مسلم والترمذىّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً(٢) .

٢ — وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنهَا قالَتْ : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا(٣) مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ . رواه البخارىّ ومسلم وأبوداود والنسائىّ وابن خزيمة فى صحيحه .

وفى رواية لابن خزيمة قالَتْ : مَارَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وَسلم إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ، وَلاَ إِلَى غَنِيمَةٍ .

٣ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللهِ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ ؟ قالَ : عَلَيْكَ بِرَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فَإِنَّ فِيهِما فَضِيلَةً(٤) . رواه الطبرانى فى الكبير .

---

(١) من متاعها وزهرتها لأن ثوابها باق، والاضطجاع سنة بعد الفجر، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلى أحدكم ركعتى الفجر فليضطجع على يمينه» .

(٢) عن ابن عمر عن حفصة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر لايصلى إلا ركعتين خفيفتين . قال النووى فى شرح مسلم: فيه أنه يسن تخفيف سنة الصبح وأنهما ركعتان ، وفيه الرأى الصحيح: لاتدخل الكراهة حتى يصلى فريضة الصبح ، وأن سنة الصبح لايدخل وقتها إلا بطلوع الفجر ، واستحباب تقديمها فى أول طلوع الفجر .

(٣) قال النووى: فيه دليل على عظم فضلهما وأنهما سنة ليستا واجبتين اهـ: أى أنه صلى الله عليه وسلم يحافظ على أدائهما ، ويحرص على إتمامهما ، ويحث المسلمين على فعلهما فى أول الوقت .

(٤) ثواباً جليلا وتشهدهما ملائكة الرحمة ، وفيهما تجلى الله ورضوانه، وإدرار رزقه ، وتفتح أبواب القبول ، وإجابة الدعوات .

وَفى رِوَايَةٍ لَهُ أيضاً قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : لاَ تَدَعُوا الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ ، فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ[1] . وروى أحمد منه :

وَرَكْعَتَيِ الْفَجْرِ حَافِظُوا عَلَيْهِمَا ، فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ .

٤ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى اللهُ عليه وسلم بِثَلاَثٍ : بِصَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ[2] ، وَالْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ ، وَرَكْعَتَيِ الْفَجْرِ .

رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد ، وهو عند أبى داود وغيره خلا قوله :

وَرَكْعَتَيِ الْفَجْرِ ، وَذَكَرَ مَكَانَهُمَا : رَكْعَتَيِ الضُّحَى ، ويأتى إن شاء الله تعالى .

٥ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ : تَعْدِلُ[3] ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ : تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ ، وَكَانَ يَقْرَؤُهُمَا فى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ ، وَقَالَ : هَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ فِيهِمَا رُغَبُ الدُّرِّ[4] .

رواه أبو يعلى بإسناد حسن والطبرانى فى الكبير ، واللفظ له .

---

(١) أى ما يرغب فيه من الثواب العظيم ، وبه سميت صلاة الرغائب ، واحدتها رغيبة اهـ نهاية .

(٢) يصوم تطوعا ، ويصلى الوتر قبل نومه خشية أن ينام فلا يصلى والمحافظة على ركعتى الفجر .

(٣) يقرأ فيهما صلى الله عليه وسلم هاتين السورتين ، وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى ركعتى الفجر فى الأولى منهما : قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا . الآية التى فى البقرة ، وفى الآخرة منهما : آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون» . وعنه أيضاً قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى ركعتى الفجر : قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، والتى فى آل عمران: تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » اهـ ص ٦ ج ٦ .

(٤) رغب الدر فى النسختين المطبوعتين اللتين بأيدينا ، والمعنى والله أعلم أن هاتين الركعتين يرغب الإنسان فيهما كما يرغب فى جمع الدر ويود منه شيئا كثيراً ، ويطمع فى وفرته ، ويميل إلى كثرته ، وإن ركعتى الفجر أولى من الحرص عليه لأن ثوابهما أبقى وأجل فائدة ، فالدر فان ، ومتاع الدنيا قليل ومتاع الآخرة مقيم . وفى ع النسخة المخطوطة ص ١٨٨ : رغب الدهر : أى إن المصلى يحرص على ركعتى الفجر حرصه على طول عمره وإجابة طلبه وسعة رزقه مدى دهره قال فى النهاية : وفيه الرغب شؤم : أى الشره والحرص على الدنيا وقيل سعة الأمل وطلب الكثير ، ففهمت المعنى الأول : (رغب الدر) طالب زهرة الدنيا والدر والمال ، وفهمت الثانية : (رغب الدهر) من سعة الأمل ، وطلب الكثير . قال صلى الله عليه وسلم : « يشيب ابن آدم ويشب معه اثنتان : حب المال ، وطول العمر » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

فاحرص أخى على التكبير ، وأداء ركعتى الفجر عسى أن تنجح .

٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : لَا تَدَعُوا[1] رَكْعَتَي الْفَجْرِ ، وَلَوْ طَرَدَتْكُمُ الْخَيْلُ . رواه أبو داود .

الترغيب فى الصلاة قبل الظهر وبعدها

١ ـ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ يُحَافِظُ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا : حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ[2] . رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى من رواية القاسم أبى عبد الرحمن صاحب أبى أمامة عن عنبسة بن أبى سفيان عن أم حبيبة ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب ، والقاسم بن عبد الرحمن شامىّ ثقة انتهى .

وفى رواية للنسائى : فَتَمَسَّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا . ورواه ابن خزيمة فى صحيحه عن سليمان ابن موسى عن محمد بن أبى سفيان عن أخته أم حبيبة .

[قال الحافظ] رضى الله عنه : ورواه أبو داود والنسائى ، وابن خزيمة فى صحيحه أيضاً وغيرهم من رواية مكحول عن عنبسة ، ومكحول لم يسمع من عنبسة . قال أبو زرعة وأبو مسهر والنسائىّ وغيرهم : ورواه الترمذى أيضاً ، وحسنه وابن ماجه كلاهما من رواية محمد بن عبد الله الشعيثى عن أبيه عن عنبسة ، ويأتى الكلام على محمد .

٢ ـ وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ[3] تُفْتَحُ لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ[4] . رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه ، وفى إسنادهما احتمال للتحسين ، ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ولفظه قال :

---

(١) لا تتركوهما ولو جرى وراءكم العدو بخيله فإن الله تعالى يقيكم شره. واتفق الجمهور على أنهما ليسا بواجبين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « هل على غيرها ؟ قال: لا، إلا أن تطوع » غيرها: أى غير الصلوات الخمس.

(٢) أبعد الله جسمه من النار. يعنى أن المحافظة على هذه السنن تغذى القلب بالإيمان فيخلص لربه تعالى فى صلاته ويطمئن ويخشع ، ثم تغرس التقوى، وتحليه بالاستقامة ، وتدعوه إلى الكمال فيوفقه مولاه جل وعلا إلى الأعمال الصالحة فى حياته ، وييسر له الكمالات ، ويقيه شر العصيان ، ويمده فلا يعذب أبداً .

(٣) أى ينوى أربع ركعات ، وبعد اثنتين يتشهد إلى اللهم صل على سيدنا محمد ، ويقوم ويتمم فيأتى بالركعتين الباقيتين ويسلم .

(٤) يعنى أن الله تعالى يشمله برحمته ، وتجاب دعواته ، ويحيطه برضوانه .

لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم عَلَيَّ رَأَيْتُهُ يُدِيمُ(١) أَرْبعاً قَبْلَ الظُّهْرِ وَقَالَ : إِنَّهُ إِذَا زَالَتِ(٢) الشَّمْسُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ(٣) السَّماءِ فَلاَ يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ حَتَّي تُصَلِّي الظُّهْرُ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فى تِلْكَ السَّاعَةِ خَيْرٌ .

٣ — وَعَنْ قَابُوسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ ،قَالَ : أَرْسَلَ أَبِي إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أَيُّ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسلم كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ أَنْ يُوَاظِبَ(٤) عَلَيْهَا ؟ قَالَتْ : كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ يُطِيلُ فِيهِنَّ الْقِيَامَ(٥) ، وَيُحْسِنُ فِيهِنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ(٦) . رواه ابن ماجه . وقابوس : وهو ابن أبي ظبيان وُثِّق وصحح له الترمذى وابن خزيمة والحاكم وغيرهم لكن المرسل إلى عائشة مبهم ، والله أعلم .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعاً بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَقَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ(٧) لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ . رواه أحمد والترمذى وقال : حديث حسن غريب .

٥ — وَرُوِيَ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ بَعْدَ نِصْفِ النَّهَارِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : يَارَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرَاكَ تَسْتَحِبُّ(٨) الصَّلاَةَ هٰذِهِ السَّاعَةَ ؟ قَالَ : تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَنْظُرُ(٩) اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالرَّحْمَةِ إِلَى خَلْقِهِ ، وَهِيَ صَلاَةٌ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ ، وَنُوحٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى(١٠) صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ . رواه البزار .

---

(١) يداوم على أداء أربع ركعات سنة قبل الظهر . (٢) أى كانت الشمس فى وقت الزوال، وهو أول دخول وقت الظهر بمعنى توسط الشمس فى السماء .

(٣) تدرك رحمات الله وتجلياته، وفى هذا الوقت أدعى الى القبول ورفع الدرجات ، وتجلى الله وإحسانه لأنها وقت البر وساعة الرضى ، ومصدر البركات . (٤) يداوم عليها .

(٥) يتأنى فى قراءة الفاتحة ، ويقرأ كثيراً من القرآن . (٦) ويطمئن كثيراً فى ركوعه وسجوده ويكثر فيهما من التسبيح والتمجيد . (٧) يسمو الى أعلى .

(٨) تختار . (٩) يتجلى بالرضى، وإجابة الدعاء والشمول بالقبول ، وإغداق الحسنات وفيض البركات من خزائن رحمته، وكنوز فضله . (١٠) يحافظون صلى الله عليهم وسلم على هذا الوقت يسبحون ويحمدون ويكبرون ويصلون بنظام مقرر فى شرائعهم ، وصلاتنا هذه خصوصية لنبينا وسيدنا وحبيبنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أمر بها سبحانه وتعالى أمة محمد عليه الصلاة والسلام كما أمر بقراءة القرآن والعكوف

٦ — وَرُوِيَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَأَنَّمَا تَهَجَّدَ بِهِنَّ(١) مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَمَنْ صَلَّاهُنَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ كَمِثْلِهِنَّ(٢) مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

٧ — وَعَنْ بَشِيرِ بْنِ سَلْمَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعاً كَانَ كَعَدْلِ(٣) رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمٰعِيلَ . رواه الطبرانىّ فى الكبير ، ورواتُه إلى بشير ثقات .

٨ — وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : صَلَاةُ الْهَجِيرِ(٤) مِثْلُ صَلَاةِ اللَّيْلِ . قَالَ الرَّاوِي: فَسَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ حُمَيْدٍ عَنِ الْهَجِيرِ ؟ فَقَالَ : إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ . رواه الطبرانىّ فى الكبير ، وفى سنده لين ، وَجَدّ عبد الرحمن هذا : هو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

٩ — وَعَنِ الْأَسْوَدِ وَمُرَّةَ وَمَسْرُوقٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالُوا : قَالَ عَبْدُ اللهِ : لَيْسَ شَيْءٌ يَعْدِلُ(٥) صَلَاةَ اللَّيْلِ مِنْ صَلَاةِ النَّهَارِ إِلَّا أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَفَضْلُهُنَّ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ(٦) عَلَى صَلَاةِ الْوَحْدَةِ . رواه الطبرانى فى الكبير وهو موقوف لابأس به .

١٠ — وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

على فهمه : (فاقرءوا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراوأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم). أوامر حسنة عليها عمران القلوب بطاعة الله وإضاءتها بنور الله ، وتصفية النفوس من أدران الرذائل عسى أن تتحلى بالكمالات فيصفو جوهرها . ويطيب مخبرها ، ويحلو مذاقها ، ويعلو كعبها :

أولا: قراءة القرآن . ثانياً: إقامة الصلاة. ثالثاً:أداء الزكاة. رابعاً: الإنفاق فى وجوه البر ومشروعات الخير . خامساً: الاستغفار والذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ينال ثواب التهجد المحافظ عليها .

(٢) فى نسخة : فهى ص ١٣٠ : أى من صلى أربعا بعد العشاء نال هذا الأجر كمن صلى ليلة القدر .

(٣) كقيمة أو كقدر ثواب فك رقبة من الذل والأسر من بنى الإنسان وأطلقها حرة لله .

(٤) وقت الزوال ثوابها كالتهجد .

(٥) يساوى ويوازى .

(٦) تعدل عن الواحدة سبعا وعشرين درجة كذا ثواب أربع قبل الظهر عن باقى السنن كل ركعة ٢٧ درجة عن غيرها ، وهذا ترغيب فى المحافظة عليها وحسن أدائها والعناية بها .

يَقُولُ : أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَبَعْدَ الزَّوَالِ تُحْسَبُ(١) بِمِثْلِهِنَّ فى السَّحَرِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إلاَّ وَهُوَ يُسَبِّحُ اللهَ فى تِلْكَ السَّاعَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ : (يَتَفَيَّؤُا(٢) ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) . رواه الترمذى فى التفسير من جامعه ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن عاصم .

الترغيب فى الصلاة قبل العصر

١ — عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ :

---

(١) فى نسخة : يحسب ، أى يعد ثوابها مثل أربعة فى السحر قبيل الفجر .

(٢) يتفيأ أى يتميل، وتنتقل من جانب إلى جانب آخر، والفىء : مطلق الظل قبل الزوال أو بعده (سجدا لله) خضعين بما يراد منهم من طول وقصر وتحول. وعن مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شىء، وهم داخرون : صاغرون (أو لم يروا إلى ماخلق الله من شىء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون) ٤٩ من سورة النحل . أى أو لم ينظروا إلى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة مائلة عن جانبى كل واحد منها مستسلمين بالطبع أو بالاختيار . يقال سجدت النخلة : إذا مالت لكثرة الحمل ، وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب . أو سجدا حال من الظلال : أى الظلال مستسلمة ، وهى صاغرة ذليلة ، والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب آخر منقادة لما قدرلها من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملصقة بها على هيئة الساجد ، والأجرام فى أنفسها صاغرة داخرة منقادة لأفعال الله تعالى وهم داخرون لأن من جملتها الإنسان العاقل (ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ٤٩ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون) ٥٠ : أى من الطاعة والتدبير . أى يسجدون لأنهم يخافون الله جل وعلا أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) ومن خاف الله تعالى لا يستكبر عن عبادته، والملائكة الحفظة وغيرهم . قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم ، وسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله. وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهى ، وأنهم بين الخوف والرجاء ، فالحديث : « أربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن فى السحر » : أى المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وبعده تجلب ثواب من صلى أربعة تهجداً والناس نائمون وهو فى صفاء ونقاء وإخلاص بينه وبين ربه فى وقت السحر وقت التجلى والغفران . وفيه الحث على أدائها والمحافظة عليها رجاء كثرة الثواب وزيادة الأجر وانصباب الرحمات . ثم أخبر أن الحجر والمدر والنبات وكل شىء يسبح بحمد الله فى هذا الوقت (الزوال) وقت أول الظهر وتلا هذه الآية صلى الله عليه وسلم ليرشد أمته إلى الإسراع بصلاتها وإدراك حسناتها وأخذ قسط وافر من بدائع فضل الله ، قال تعالى مؤيداً هذا المعنى وأن كل ماخلق الله يتذلل له ويسبحه ويمجده رغما عن أنوف الكفرة والفسقة (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا ٤٤ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً) ٤٥ من سورة الإسراء .

أى ينزهه عما هو من لوازم الإمكان ، وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ، والصنعة تدل على الصانع :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

رَحِمَ اللهُ[1] امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا . رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما .

٢ — وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ . رواه أبو يعلى ، وفى إسناده محمد بن سعد المؤذن ، لايُدرى من هو ؟ .

٣ — وَرُوِيَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ[2] قَبْلَ الْعَصْرِ حَرَّمَ اللهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ ، الحديث . رواه الطبرانى فى الكبير .

٤ — وَرُوِىَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : جِئْتُ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ فى أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَدْرَكْتُ مِنْ آخِرِ الْحَدِيثِ ، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ لَمْ تَمَسَّهُ[3] النَّارُ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

٥ — وَرُوِىَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

---

(١) أدركه بإحسانه ولطفه وأنعم عليه وأكرمه .

(٢) يعنى أن المحافظ على أداء أربع ركعات قبل العصر يشرح الله صدره لتعاليم الإسلام ، ويخلق فيه قدرة الطاعة (أى يوفقه) فيسعى لمرضاة الله ، وينهج منهج الصالحين ، ويعيش متبعاً آداب الكتاب والسنة وبذا يقيه الله شر النار فلا تصيب بدنه ، قال تعالى :

ا ــ (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

ب ــ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) ١٢ من سورة البروج . وأى فوز أعظم من كسب نعيم الله تعالى الدائم ، وسبيله أداء الفرض وسننه، وتهذيب النفس بالصلاة وفقه مغزاها وبصر مرماها ، إذ الدنيا وما فيها تصغر دون هذا الجزاء الأوفى .

ج ــ (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ١٤ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) ١٥ من سورة الأحقاف : أى جمعوا بين توحيد الله جل جلاله الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الأمور التى هى منتهى العمل وأن الجزاء لايلحقهم فيه مكروه ولا يخافون فوات محبوب وقد جوزوا جزاء من اكتسب الفضائل العلمية والعملية ومنها أداء الصلاة وسننها .

د ــ (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين) ٣٠ من سورة الجاثية.

(٣) لأن أداء هذه السنة مصدر رحمات الله ومغفرته ، وتغرس فى قلب مصليها طاعة الله وخوفه وهى نبراس الهداية ، ومن تمسك بحبل الله عصم من الأخطاء فلا يعذب .

عليه وَسلم : لاَ تَزَالُ أُمَّتِي يُصَلُّونَ هٰذِهِ الْأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ حَتَّي تَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ مَغْفُورًا لَهَا مَغْفِرَةً حَقًّا . رواه الطبرانى فى الأوسط ، وهو غريب .

الترغيب فى الصلاة بين المغرب والعشاء

١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيمَا بَيْنَهُنَّ بِسُوءٍ عُدِلْنَ[(١)] بِعِبَادَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والترمذى ، كلهم من حديث عمر ابن خثعم عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عنه ، وقال الترمذى : حديث غريب .

٢ - وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم قَالَ : مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ عِشْرِينَ رَكْعَةً[(٢)] بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ انتهى. وهذا الحديث الذى أشار إليه الترمذى ، رواه ابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدائنى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، ويعقوب كذبه أحمد وغيره .

٣ - وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يُصَلِّي بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ ، وَقَالَ : رَأَيْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُصَلِّي بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ ، وَقَالَ : مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ[(٣)] . حديث غريب . رواه الطبرانى فى الثلاثة ، وقال : تفرّد به صالح بن قطن البخارى .

[قال الحافظ] : وصالح هذا لا يحضرنى الآن فيه جرح ولا تعديل .

---

(١) ساوين ثوابها .

(٢) يتنفل فيما بين المغرب والعشاء بنحو عشرين ركعة يتفضل الله جل وعلا فيشيد له قصرا فى الجنة وقد أخبرنى أحد الصالحين أنه رأى رؤيا صادقة تدل على هذا المعنى ، رأى قصراً فخماً على أحسن طراز ، وأبهج منظر فسأل : لمن هذا ؟ قيل لمن صلى ركعتين نافلة بعد المغرب . فما بالك بمن صلى عشرين كما فى الحديث . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) كناية عن إزالتها ولو كثرت، وورد قبل المغرب عن ابن مغفل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا قبل المغرب » قال فى الثالثة : لمن شاء » وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بين كل أذانين صلاة » أى بين الأذان والإقامة .

٤ — وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : نِعْمَ سَاعَةُ الْغَفْلَةِ ، يَعْنِي الصَّلَاةَ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ . رواه الطبرانى فى الكبير من رواية جابر الجعفى ، ولم يرفعه .

٥ — وَعَنْ مَكْحُولٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ رُفِعَتْ صَلَاتُهُ فِي عِلِّيِّينَ[1] . ذكره رزين ، ولم أره فى الأصول .

٦ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ نَزَلَتْ فِي انْتِظَارِ الصَّلَاةِ الَّتِي تُدْعَى الْعَتَمَةَ[2] . رواه الترمذىُّ ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، وأبو داود إلا أنه قال :

كَانُوا يَتَنَفَّلُونَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ يُصَلُّونَ ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : قِيَامُ اللَّيْلِ[3] .

٧ — وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى إِلَى الْعِشَاءِ[4] . رواه النسائىّ بإسناد جيد .

الترغيب فى الصلاة بعد العشاء

١ — رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ كَأَرْبَعٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَأَرْبَعٌ بَعْدَ الْعِشَاءِ كَمِثْلِهِنَّ[5] مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ[6] . رواه الطبرانىّ فى الأوسط ، وتقدم حديث البراء :

---

(١) تصعد لتسجل فى صحائف الأبرار كما قال تعالى : (إن كتاب الأبرار لفى عليين ١٩ وما أدراك ماعليون ٢٠ كتاب مرقوم يشهده المقربون) ٢٢ من سورة المطففين . (٢) العلمة ، وفى نسخة مكتوب بص ١٣٢ : ظلمة العشاء . (٣) فسر سيدنا أنس الآية لمن يصلى مابين المغرب والعشاء نافلة وينتظر صلاة العشاء ، ولكن سيدنا الحسن فسرها بأن هؤلاء هم المجتهدون الذاكرون المسبحون المستغفرون بالأسحار بعد النوم .

(٤) يرى سيدنا حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم تنفل بركعات ، واستمر إلى وقت العشاء ، ولا تنس أيها المسلم الأناة فى الصلاة والاطمئنان ، وخشوع السيد المجتبى صلى الله عليه وسلم لربه ، وطول ركوعه وسجوده رجاء أن يقتدى بأفعاله صلى الله عليه وسلم المسلمون كما قال عليه الصلاة والسلام : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » . (٥) كمثل ثواب ومقدار . (٦) يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن صلاة أربع ركعات وقت السحر تهجداً يساوى ثواب صلاة أربع ركعات ليلة القدر ، والركعة فيها تساوى ثواب

مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ كَأَنَّمَا تَهَجَّدَ بِهِنَّ مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَمَنْ صَلاهُنَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ كَمِثْلِهِنَّ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ .

وفى الكبير من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ فى جَمَاعَةٍ ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ كَانَ كَعَدْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ .

وَفى الْبَابِ أَحَادِيثُ : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، أَضْرَبْتُ عَنْ ذِكْرِهَا لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ شَرْطِ كِتَابِنَا .

الترغيب فى صلاة الوتر وما جاء فيمن لم يوتر

١ - عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : الْوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ [١] كَصَلاةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَلَكِنْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللهَ وِتْرٌ [٢] يُحِبُّ الْوِتْرَ [٣] فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ [٤] . رواه أبو داود والترمذىّ ، واللفظ له ، والنسائىّ وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن .

٢ - وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ [٥] ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ

ألف ركعة فى غيرها (ليلة القدر خير من ألف شهر) أى العمل فيها يضاعف الله ثوابه ألف ضعف من ذكر وتسبيح وتحميد ، وهكذا من أعمال البر يزداد أجرها ، ويعظم خيرها ، وتفتح لها أبواب القبول .

(١) ليس بواجب ، وبه أخذ الإمام الشافعى رضى الله عنه ، بل هو سنة ، والمكتوبة فرض .

(٢) واحد . (٣) العمل الخالص .

(٤) أى صلوا الوتر يامتبعى الكتاب والسنة ياأهل الإسلام ، وأقل الوتر ركعة كما أخبرت السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة .
قال النووى : (فى باب صلاة الليل) والوتر : دليل على أن أقل الوتر ركعة ، وأن الركعة الفردة صلاة صحيحة ، وهو مذهبنا ، ومذهب الجمهور ، وقال أبو حنيفة : لايصح الإيتار بواحدة ، ولا تكون الركعة الواحدة صلاة قط ، والأحاديث الصحيحة ترد عليه . اهـ ص ١٩ ج ٦ .

(٥) قال النووى : فيه دليل صريح على أن تأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل لمن وثق بالاستيقاظ آخر الليل وأن من لا يثق بذلك فالتقديم له أفضل ، وهذا هو الصواب ، ومنه حديث: «أوصانى خليلى أن لا أنام إلا على وتر» وهو محمول على من لايثق بالاستيقاظ . اهـ ص ٣٥ ج ٦ .

اللَّيْلِ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ(١) مَحْضُورَةٌ ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ . رواه مسلم والترمذى وابن ماجه وغيرهم .

٣ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا ، فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ . رواه أبو داود ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه مختصراً من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ .

٤ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الضُّحَى ، وَصَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ ، وَلَمْ يَتْرُكِ الْوِتْرَ فِى سَفَرٍ وَلَا حَضَرٍ(٢) كُتِبَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ رواه الطبرانى فى الكبير وفيه نكارة .

٥ — وَعَنْ خَارِجَةَ بْنِ حُذَافَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا يَوْماً رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : قَدْ أَمَدَّ كُمُ اللهُ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ(٣) ، وَهِيَ الْوِتْرُ فَجَعَلَهَا لَكُمْ فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ(٤) إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ(٥) . رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبى حبيب انتهى وقال البخارى : لا يعرف لإسناده ؛ يعنى لإسناد هذا الحديث سماع بعضهم من بعض .

٦ — وَعَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وَسلم أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ زَادَكُمْ صَلَاةً فَصَلُّوهَا فِيمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ إِلَى الصُّبْحِ : الْوِتْرَ الْوِتْرَ ، أَلَا وَإِنَّهُ أَبُو بَصْرَةَ الْغِفَارِيُّ . رواه أحمد والطبرانى ، وأحد إسنادى أحمد رواته رواة

---

(١) قال النووى : وذلك أفضل أن يشهدها ملائكة الرحمة ، وفيه دليلان صريحان على تفضيل صلاة الوتر وغيرها آخر الليل اهـ .

(٢) إقامة . ينال المحافظ على صلاة الوتر أجر من مات مجاهداً فى سبيل الله ، وهذا ترغيب فيه وطلب العناية بأدائه ، والبشارة بكثرة ثواب مصليه ، وزيادة حسناته ، وتعميم خيراته ، ودليل قبوله ، وعنوان إكرامه ، والإحسان إليه من القادر العظيم المعبود سبحانه وتعالى .

(٣) كناية عن المال الكثير ، أو الإبل الجالبة الخير الجم .

(٤) فى نسخة د : الآخر ص ١٣٣ .

(٥) وقتها ممتد من صلاة العشاء إلى وقت الفجر .

الصحيح ، وهذا الحديث قد روى من حديث معاذ بن جبل ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس وعقبة بن عامر الجهنى ، وعمرو بن العاص وغيرهم .

٧ — وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم يَقُولُ : الْوِتْرُ حَقٌّ[1] فَمَنْ لَمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا ، الْوِتْرُ حَقٌّ فَمَنْ لَمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا ، الْوِتْرُ حَقٌّ فَمَنْ لَمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا ، ثَلَاثًا . رواه أحمد وأبو داود واللفظ له ، وفى إسناده عبيد الله بن عبد الله أبو المنيب العتكى ، ورواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

الترغيب فى أن ينام الإنسان طاهراً ناوياً للقيام

١ — عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فى شِعَارِهِ مَلَكٌ[2] فَلَا يَسْتَيْقِظُ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا . رواه ابن حبان فى صحيحه .

[الشعار] : بكسر الشين المعجمة : هو مايلى بدن الإنسان من ثوب وغيره .

٢ — وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال : مَامِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ طَاهِرًا فَيَتَعَارُّ[3] مِنَ اللَّيْلِ فَيَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ . رواه أبو داود من رواية عاصم بن بَهْدَلَة عن شهر عن أبى ظَبية عن معاذ ، ورواه النسائىّ . وابن ماجه . وذكر أن ثابتاً البُنانى رواه أيضًا عن شهر عن أبي ظَبية .

[قال الحافظ] : وأبو ظبية : بفتح الظاء المعجمة ، وسكون الباء الموحدة شامىّ ثقة

٣ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

---

(١) قرره الله تعالى ، وهو موجود فى دين الإسلام ليعمل به المسلمون فيصلوه ، فمن لم يصل الوتر فليس على سيرتنا ولا متمسكا بسنتنا . وفى الجامع الصغير : أخذ بظاهره أبو حنيفة فأوجب الوتر ، وأجاب الشافعية عن ذلك بأنه لاحجة فيه لأن السنة قد توصف بأنها حق على كل مسلم كما فى قوله عليه الصلاة والسلام : «حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام » . اهـ ص ٤١٢ .

(٢) جاور جسمه ملك الرحمة يدعو له بالمغفرة والرضوان والحفظ والإحسان ، وفيه الترغيب فى الوضوء قبل النوم رجاء ملازمة هذا الطاهر البر المشمول برعاية الله .

(٣) فيستيقظ بذكر الله جل جلاله .

طَهِّرُوا هٰذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبِيتُ طَاهِرًا[1] إِلَّا بَاتَ مَعَهُ فِى شِعَارِهِ مَلَكٌ ، لَايَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا[2] . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد

٤ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ أَوَى[3] إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ[4] يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ . رواه الترمذى عن شهر بن حَوشب عن أبى مامة ، وقال : حديث حسن .

٥ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : مَامِنِ امْرِىءٍ تَكُونُ لَهُ صَلَاةٌ بِلَيْلٍ[5] فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ صَلَاتِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً . رواه مالك وأبو داود والنسائى ، وفى إسناده رجل لم يسمّ ، وسماه النسائىّ فى رواية له : الأسود بن يَزيد وهو ثقة ثَبَت ، وبقية إسناده ثقات ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد بإسناد جيد ، رواته محتج بهم فى الصحيح .

٦ — وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قالَ :مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِى أَنْ يَقُومَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ . رواه النسائىّ وابن ماجه بإسناد جيد وابن خزيمة فى صحيحه ورواه النسائىّ أيضاً، وابن خزيمة عن أبى الدرداء ، وأبى ذرّ موقوفاً.قال الدارقطنىّ : وهو

---

(١) من الحدث الأكبر والأصغر ينق طول ليله وهو نائم . (٢) مضى ليله، وهو على نقاء وطهارة.

(٣) أراد النوم ، وذهب إلى مكان نومه متوضئاً،وثيابه طاهرة، وجسمه طاهر ، وظل يسبح الله حتى غلبت عيناه : أى نام ، فإذا استيقظ أجاب الله دعاءه ، وقضى سؤله ورحمه ، وخفف آلامه ، وزاد رزقه، وغفر ذنوبه وقبله . (٤) فى نسخة د : من الليل .

(٥) تعود أن يقوم من نومه ليتهجد ، فلم يستيقظ نسياناً مكرهاً حتى مطلع الفجر . تفضل الله تعالى فأمر الحفظة بكتابة حسنات من قام كأنه قام وتهجد ، وتصدق عليه بالراحة والنوم تكرماً والمدار على إخلاص النية لربك يا أخى والعزيمة القوية فى طاعة الله ، وفيه الترغيب بالمحافظة على الوضوء عند النوم ، وتوطيد العزيمة على القيام من النوم للتهجد ، وذكر الله وتسبيحه وتحميده وتمجيده ، والتضرع إليه رجاء السعادة . نسأل الله التوفيق ، ودرك الخير والإعانة على طاعته إنه ولى نصير سبحانه .

المحفوظ ، وقال ابن خزيمة : هذا خبر لا أعلم أحداً أسنده غير حسين بن عليّ عن زائدة ، وقد اختلف الرواة فى إسناد هذا الخبر .

٧ - وَعَنْ أَبِى ذَرٍّ ، أَوْ أَبِى الدَّرْدَاءِ (شَكَّ شُعْبَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : مَامِنْ عَبْدٍ يُحَدِّثُ[1] نَفْسَهُ بِقِيَامِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَيَنَامُ عَنْهَا إِلَّا كَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ مَانَوَى . رواه ابن حبان فى صحيحه مرفوعاً ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه موقوفا لم يرفعه .

الترغيب فى كلمات يقولهن حين يأوى إلى فراشه

وما جاء فيمن نام ولم يذكر الله تعالى

١ - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وَسلم : إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ[2] فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْلَمْتُ[3] نَفْسِى إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ[4] وَجْهِى إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ[5] أَمْرِى إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ[6] ظَهْرِى إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَامَنْجَا وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . آمَنْتُ بِكِتَابِكَ[7] الَّذِى أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ[8] الَّذِى أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ[9] ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَاتَتَكَلَّمُ بِهِ ، قالَ : فَرَدَدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم فَلَمَّا بَلَغْتُ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ ، قُلْتُ وَرَسُولِكَ ، قالَ : لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ . رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وَفى رواية للبخارى والترمذى : فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا [أوى] : غير ممدود .

---

(١) فى نسخة كذا ع ص ١٩٥ و ن د : تحدثه .
(٢) ذهبت إلى فراش النوم واضطجعت ، فكن متوضئاً : أى نام على وضوء وطهارة .
(٣) أى استسلمت فى جميع ماقضيت وقدرت ، واعترفت نفسى أنك الله جل جلاله ، فاجعلنى ممن استسلم الرضاك ، ومنه قوله تعالى يحكى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام فى قوله : (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) أى اجعلنى سالما عن أسر الشيطان حيث قال : (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) .
(٤) أى قصدتك واعتقدت وجودك . (٥) وكلت . (٦) أسندت ، وقوتى منك .
(٧) القرآن . (٨) اعترف صلى الله عليه وسلم بنفسه أنه رسول رب العالمين . (٩) الإسلام .

٢ - وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ: إِذَا اضْطَجَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، لَا مَنْجَا مِنْكَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْكَ، أُومِنُ بِكِتَابِكَ وَبِرَسُولِكَ، فَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. رواه الترمذى وقال: هذا حديث حسن غريب.

٣ - وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ لِابْنِ أَعْبُدَ: أَلَا أُحَدِّثُكَ عَنِّي وَعَنْ فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَكَانَتْ مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ عِنْدِي؟ قُلْتُ: بَلَى. قالَ إِنَّهَا جَرَّتْ بِالرَّحَا[1] حَتَّى أَثَّرَتْ[2] فى يَدِهَا، وَاسْتَقَتْ بِالْقِرْبَةِ[3] حَتَّى أَثَّرَتْ فى نَحْرِهَا، وَكَنَسَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا[4]، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَدَمٌ[5]، فَقُلْتُ: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكِ فَسَأَلْتِهِ خَادِمًا، فَأَتَتْهُ فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ حُدَّاثًا[6] فَرَجَعَتْ فَأَتَاهَا مِنَ الْغَدِ[7] فَقَالَ: مَا كَانَ حَاجَتُكِ؟ فَسَكَتَتْ، فَقُلْتُ: أَنَا أُحَدِّثُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، جَرَّتْ بِالرَّحَا حَتَّى أَثَّرَتْ فى يَدِهَا، وَحَمَلَتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَتْ فى نَحْرِهَا، فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْخَدَمُ أَمَرْتُهَا أَنْ تَأْتِيَكَ فَتَسْتَخْدِمَكَ خَادِمًا يَقِيهَا[8] حَرَّ مَا هِيَ فِيهِ، قالَ: اتَّقِي[9] اللهَ يَا فاطِمَةُ، وَأَدِّي فَرِيضَةَ رَبِّكِ، وَاعْمَلِي عَمَلَ أَهْلِكِ، وَإِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ فَسَبِّحِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكِ[10] مِنْ خَادِمٍ، قالَتْ: رَضِيتُ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ. زاد فى رواية

---

(١) آلة تطحن الحبوب باليد فتدار فتدقها دقا. (٢) فى نسخة: أثر.
(٣) إناء إحضار الماء حتى دمى عنقها. (٤) نظفت البيت وأزالت قمامته فتقذرت ثيابها.
(٥) سبي. (٦) صغار الأسنان. (٧) ذهبت رضى الله عنها، فلم تجده صلى الله عليه وسلم، فشكت إلى زوجه رضى الله عنها، ولما شرف صلى الله عليه وسلم أخبرته زوجه فذهبت ثانى يوم.
(٨) يبعد عنها آلام العمل وشقاء الأشغال، وكدر الأثقال، ويريحها من عناء التعب وخدمة المنزل.
(٩) خاف الله واخشيه، وصلى الصلوات الخمس، وقوى بأعمال المنزل جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها وعند إرادة النوم اذكرى الله ثلاثا وثلاثين: سبحان الله، وثلاثا وثلاثين: الحمد لله، وأربعاً وثلاثين: الله أكبر. وفى رواية تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.
(١٠) هذا الورد أسلم لك من عاقبة الخادم، وأحسن لك، وأجزل ثوابا، فأظهرت البشاشة ورضيت وقنعت وعملت بنصيحة والدها صلى الله عليه وسلم لأنه أرسل للعبادة، وبيته بيت طاعة وتواضع، وعمل لله

وَلَمْ يُخْدِمْهَا . رواه البخارى ومسلم وأبو داود واللفظ له ، والترمذى مختصراً . وقال : وفى الحديث قصة ولم يذكرها .

٤ — وَعَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ لِنَوْفَلٍ : اقْرَأْ : قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١) ، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ(٢) مِنَ

فكر فى هذا الحديث أيها المسلم . إن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والراعى المسيطر فى هـذا العصر والوقت وقته ، وهو السلطان نافذ الكلمة ، ويرجع بسبي وغنائم فتطلب بنته ، وفلذة كبده ووحيدته خادماً يخفف مثوبة عملها ، ويزيل شيئاً من تعبها ويشاركها فى مهام المنزل فيأمرها بتقوى الله والقيام بحقوق الله تعالى وواجبات المنزل ، والإكثار من ذكر الله حتى عند الذهاب إلى النوم ، فتجيب طائعة مختارة «رضيت عن الله ورسوله » لماذا ؟ لأنها تعلم أن الدنيا فانية ، والصالحات باقية ، ولذكر الله أكبر ، وهذا النبى ادخر مرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يبيعه وينفق من ثمنه على أهل الصفة : الفقراء الذين يعبدون الله ليل نهار كما فى شرح القسطلانى . فهل للأمة الإسلامية أن تتأسى بالسيدة فاطمة ، وتقوم ربة المنزل بواجبها أمام الله وزوجها وتتق الله فى عملها ، وتترك تبرج الجاهلية ، وتعكف على مايصلح أودها وأولادها ونفسها . قال تعالى : (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ١٢٥ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلا) ١٢٦ من سورة النساء . أى أخلص نفسه لله لايعرف لها رباً سواه ، وقيل : بذل وجهه له فى السجود ، وحسن أتى الحسنات ، وترك السيئات ، وهذا شأن السيدة فاطمة رضى الله عنها .

الليلة تجلت كرامة العناية بضبط حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى ليلة الجمعة المباركة الثانية عشرة من شهر رمضان المكرم سنة ١٣٥٢ من هجرة سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثرت على نسخة مضبوطة ومخطوطة ، وقد اشتريتها وضممتها إلى مكتبتى العامرية لأراجع الأحاديث المطبوعة عليها ، وأعتنى بضبط المحدثين رضوان الله عليهم ، وأقول ذلك مفتخراً ، ومقراً بهذه النعمة التى ساقها إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإنها لقلادة فى عنق لايغسلها غاسل) فشكراً لله ، وحمداً لله ، وصلاة وسلاما على سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أقدمت على العمل ، وأنا فى غاية الخوف والوجل ، وكنت أعد نفسى أنى زججتها فى عمل ليست له أهلا ، وإنها نفس جاهلة بضبط الأسماء ومقصرة ، وإنى لست من فرسان هذا الميدان ، واليوم أزيد على حالى هذه الالتجاء إلى الله بالعجز والضعف وأستلهم منه الهداية سبحانه ، وأرجو منه جل جلاله التوفيق ، وأستمطر منه الرحمة ، وآمل الصواب ، فتيقن إبراز الأحاديث مضبوطة ، وهأنذا أراجع على هذه النسخة معتمداً على مولاى ، وانظر رعاك الله إلى المقدمة تجد تعريفاً عن هذه النسخة ، والله الهادى إلى سواء السبيل ، ولقد شممت أريج العناية الصمدية بحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاح شذاها ، وعم نداها ، وعلمت أن السنة بعد القرآن فى كنف الله ورعايته . من تقرب إليهما فاز ، ومن اشتغل بهما وفق ، ومن سار على ضربهما وصل .

(١) يريد صلى الله عليه وسلم أن يقرأ المسلم عند نومه سورة (الكافرون) ثم يضطجع ، ففائدتها تبعد عنه الشرك ، وتحفظ الإيمان . (٢) شهادة نقاء ، وجائزة سلامة من الكفر والعصيان .

الشِّرْكِ . رواه أبو داود ، واللفظ له والترمذى والنسائىّ متصلا ومرسلا ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٥ ــ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلم قالَ : خَصْلَتَانِ[١] ، أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، هُمَا يَسِيرٌ[٢] ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ[٣] يُسَبِّحُ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا ، وَيَحْمَدُ عَشْرًا ، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا[٤] فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِى الْمِيزَانِ ، وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَذَلِكَ[٥] مِائَةٌ بِاللِّسَانِ ، وَأَلْفٌ فِى الْمِيزَانِ . فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَعْقِدُهَا . قالُوا : يَارَسُولَ اللهِ : كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ ؟ قالَ : يَأْتِى أَحَدَكُمْ ، يَعْنِى الشَّيْطَانَ فِى مَنَامِهِ فَيُنَوِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ[٦] وَيَأْتِيهِ فِى صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً قَبْلَ أَنْ

---

(١) صفتان ، والمراد بهما المداومة على ذكر الله . (٢) تكاليف العمل بهما سهل مجتنى غير عسير وقليل الصعوبة . (٣) الذين يحافظون على هذا الورد قليل عددهم .

(٤) سبحان الله عدد عشر مرات ، والحمد لله كذلك ، والله أكبر كذلك ، والجملة ثلاثون والصلوات خمس فى اليوم والليلة ، فالمجموع مائة وخمسون ، مرة يذكر بها الله تعالى ، ولكل قولة عشر حسنات لقوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) فيحفظ الله لذلك الذاكر ألفاً وخمسمائة حسنة تدخر فى كفة ميزانه عند الحساب ، وكذا عند نومه يكبر ٣٤ ، ويسبح ٣٣ ، ويحمد ٣٣ ، والجملة مائة ، ويضاعف الله ثوابها إلى ألف لترجح كفة ميزانه عند تقديم حسابه :

ا ــ (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب) .

ب ــ (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ١٤ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ١٥ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ١٦ من سورة الإسراء .

(طائره) أى عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه ، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى ، وعمل العبد (فى عنقه) لزوم الطاق فى عنقه (كتاباً) هى صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله ، فإن الأعمال الاختيارية تحدث فى النفس أحوالا ، ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات (يهتدى لنفسه) لاينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه . اه بيضاوى ٣٩٩ .

(٥) فى المطبوعة : فتلك . (٦) بين صلى الله عليه وسلم أن العامل بهذا الورد قليل لتسلط الشيطان على الإنسان ، وأنه يفلح فى إغواء كثير من الناس بالترك والغفلة ، ولا ينجو من سلطانه إلا الصالحون ، وقليل ماهم ، ويذهب فريسته أولئك الذين شغلتهم الدنيا بهمومها ، وخدعتهم فى إدارة شئونها ، فألقى عليهم الغفلة ، وباتوا يفكرون فى المال وزهرته ، وذل الدين وكربه ، وهكذا .

يَقُولُهَا[١] . رواه أبو داود واللفظ له والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى وابن حبان فى صحيحه ، وزاد بعد قوله :

وَأَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةٍ فِى الْمِيزَانِ ، قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : وَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ سَيِّئَةٍ ؟[٢] .

٦ — وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى اللهُ عليه وسلم كانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ[٣] قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ ، وَيَقُولُ : إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ . رواه أبو داود والترمذى واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب ، والنسائى ، وقال : قال معاوية يعنى ابن صالح :

إِنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَانُوا يَجْعَلُونَ الْمُسَبِّحَاتِ سِتًّا : سُورَةَ الْحَدِيدِ ، وَالْحَشْرِ ، وَالْحَوَارِيِّينَ ، وَسُورَةَ الْجُمُعَةِ ، وَالتَّغَابُنِ ، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى .

٧ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وَسلم قالَ : مَنْ قالَ حِينَ يَأْوِى إِلَى فِرَاشِهِ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِىِّ[٤] الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، أَوْ خَطَايَاهُ (شَكَّ مِسْعَرٌ) وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ[٥] الْبَحْرِ . رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، وعند النسائي :

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، وَقالَ فِى آخِرِهِ : غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ .

---

(١) قبل أن يذكر الله ويسبحه ويحمده ويكبره ، فالعاقل تغلب على وساوسه وقهره .

(٢) يشير صلى الله عليه وسلم إلى أن ورد ختم الصلاة ، وعند النوم يجلب لصاحبه ألفين وخمسمائة حسنة فإذا عمل سيئات حة ، وأكثر فى الإجرام يكفر الله عنه خطاياه ، ولو وازت ذنوبه هذه الحسنات يسامحه الله ويعفو عنه .

(٣) التسبيح : التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص ، وهذه الصور الست داعيات إلى ذلك ووفيات بتسبيحه جل جلاله ، وقيل : معنى التسبيح التسرع إلى إرضاء الخالق جل وعلا لعظمته ، وبديع قدرته .

(٤) فى النسخ المخطوطة حذف العلى العظيم . (٥) فى نسخة : كزبد ص ١٣٥ د ، والزبد : الرفد والعطاء ، وزبد البحر وغيره : الرغوة ، وأزبد إزباداً : قذف زبده ، والمعنى أن الذى يقول هذه الصيغة عند ذهابه إلى النوم يمحو الله صغائره ، وإن كثر عددها تفضلا منه جل وعلا ، وفيه الترغيب بقراءتها مع الثقة بالله ، وعظيم الإيمان به ، وتجديد التوبة ، وحسن الإنابة إلى الله .

٨ — وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَامِنْ مُسْلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ(١) فَيَقْرَأُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَكَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ مَلَكاً فَلَا يَقْرَبُهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ حَتَّى يَهُبَّ مِنْ نَوْمِهِ مَتَى هَبَّ . رواه الترمذيّ ، ورواه أحمد . إلا أنه قال :

بَعَثَ اللهُ لَهُ مَلَكاً يَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيهِ حَتَّى يَهُبَّ(٢) مَتَى هَبَّ . ورواة أحمد رواة الصحيح . [هب] : انتبه من نومه .

٩ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا أَوَى(٣) الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ(٤) مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ ، فَيَقُولُ الْمَلَكُ : اخْتِمْ(٥) بِخَيْرٍ ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ : اخْتِمْ بِشَرٍّ ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ ثُمَّ نَامَ بَاتَ الْمَلَكُ يَكْلَؤُهُ . وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْمَلَكُ : افْتَحْ بِخَيْرٍ ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ : افْتَحْ بِشَرٍّ ، فَإِنْ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ نَفْسِي وَلَمْ يُمِتْهَا(٦) فِي مَنَامِهَا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ

---

(١) يريد النوم ، فيتفضل الله جل جلاله ، ويجعل له حرساً حافظاً مانعاً له من كل سوء ، ويقيه كل أذى ، سبحانه .

(٢) فى نسخة د : يهب من نومه ص ١٣٦ يعنى يستمر حفظ الله له ببركة تلاوة هذه السورة حتى يستيقظ

(٣) انضم والتجأ . (٤) أسرع إليه وبدر ، ومنه البادرة من الكلام الذى يسبق من الإنسان فى الغضب . قال الشاعر النابغة :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

(٥) أيها المسلم نم مستريحاً ، واجعل خاتمة أعمالك ذكر الله وتسبيحه ، فهذا خير لك وأبر وأبقى ثواباً وأمامه عدوه الألد يدعوه إلى الغفلة ، ويحدث له أحاديث السوء ، ويزين له الباطل واقتناء الشرور وارتكاب الفجور ، وينادى بالويل والثبور .

(٦) لم يقبض روحها ، ولم يتوفها . قال تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ٤٣ من سورة الزمر : أى يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهرا أو باطناً ، وذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا ، وهو فى النوم .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فى ابن آدم نفسا وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ، وتتوفى النفس وحدها عند النوم (إن فى ذلك لآيات) أى من التوفى والإمساك والإرسال لعلامات دالة على كمال قدرته وحكمته ، وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت ، وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها ، وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفى آجالها . اهـ بيضاوى ص ٦٤٢ .

أَنْ تَزُولاَ[(١)] إلَى آخِرِ الآيةِ ، الحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ وَقَعَ عَنْ سَرِيرِهِ فَمَاتَ دَخَلَ الجَنَّةَ . رواه أبو يعلى بإسناد صحيح، والحاكم ، وزاد فى آخره: الحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . وقال : صحيح على شرط مسلم .

[يكلؤه] : أى يحرسه ويحفظه .

١٠ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى اللّٰهُ عليه وسلم : إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ عَلَى الفِرَاشِ ، وَقَرَأْتَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، وَقُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ، فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ[(٢)] إِلَّا المَوْتَ . رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح إلا غسان بن عبيد .

١١ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَنَامَ عَلَى يَمِينِهِ ثُمَّ قَرَأَ : قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ[(٣)] مِائَةَ مَرَّةٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ : يَاعَبْدِى ادْخُلْ عَلَى يَمِينِكَ الجَنَّةَ . رواه الترمذى ، وقال : حديث غريب .

١٢ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِى إِلَى فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ الَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَىَّ القَيُّومَ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[(٤)] ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ[(٥)] ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا . رواه الترمذى من طريق

---

(١) كراهة أن تزولا وتذهبا وتعدما ؛ فإن الممكن حال بقائه لابد له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع ، والآية قال تعالى : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا) ٤٢ من سورة فاطر . أى ما أمسكهما أحد من بعد الله أو من بعد الزوال ، وهذا جواب تحد للكفار والعصاة . السموات والأرض أمامهما يحفظهما القهار أن تعدما . فلماذا لم يعبدوا الله حق عبادته ؟ ولكن تفضله جل وعلا عم ، وحلمه شمل ، وغفرانه أحاط بالناس حيث أمسكهما ، وكانتا جديرتين بأن تهد هدا كما قال تعالى : (تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) .

(٢) يحفظك الله تعالى من الهوام ومن اللصوص ومن كل مؤذ . (٣) فإنها ثلث القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم وفيها اعتراف بوحدته ، وأنه المقصود المرجو الذى لامثيل له المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص .

(٤) عدد رغوانه . (٥) جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء ، والدهناء بقرب اليمامة وأسفلها بنجد ويتسع اتساعا كثيراً حتى قال البكرى ؛ رمل عالج يحيط بأكثر أرض العرب اهـ مصباح ص ٥٠٧ . والمعنى من حافظ على هذا الورد عند نومه محا الله ذنوبه وإن كثر عددها .

الوصاف عن عطية عن أبى سعيد ، وقال : حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عبيد الله بن الوليد الوصافى .

[قال الملى] عبيد الله : هذا واهٍ لـكن تابعه عليه عصام بن قدامة ، وهو ثقة خرّجه البخارى فى تاريخه من طريقه بنحوه ، وعطية هذا : هو العوفى يأتي الـكلام عليه .

١٣ — وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْحُبُلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَخْرَجَ إِلَيْنَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قِرْطَاساً(١) وَقالَ : كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ(٢) السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ(٣) الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . أَنْتَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلٰهُ كُلِّ شَيْءٍ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ(٤) وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقْتَرِفَ(٥) عَلَى نَفْسِي سُوءاً ، أَوْ أَجُرَّهُ(٦) إِلَى مُسْلِمٍ . قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ : كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ ذٰلِكَ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَنَامَ : رواه أحمد بإسناد حسن .

١٤ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ إِذَا أَوَى(٧) إِلَى فِرَاشِهِ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَا فَقَهَرَ(٨) وَبَطَنَ(٩) فَخَبَرَ(١٠) وَمَلَكَ(١١) فَقَدَرَ(١٢) الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ خَرَجَ

(١) مايكتب فيه . (٢) خالق .

(٣) محيطا بمعرفة الأخبار الظاهرة والباطنة والمشاهدة والغائبة ، لاتخفى عليه خافية .

(٤) وسوسته ودعوته إلى الـكفر بك وعصيانك .

(٥) اكتسب . يقال : قرف الذنب على نفسه : كسبه ، وقرفه واقترفه : إذا عمله ، وقارفه : داناه .

(٦) أسحبه وأوصله إليه ، والمعنى أنه يطلب منه التعوذ والوقاية من شر نفسه أن تنقاد إلى المعاصى وتسترسل فى الشهوات فتودى به وتوقعه فى الهاوية ، كما أنه يطلب منع أى أذى يلحق أخاه المسلم .

(٧) التجأ وذهب إلى مضجعه . (٨) سما فغلب وأذل . قال تعالى :

ا — (وهو القاهر فوق عباده) .

ب — (وهو الواحد القهار) . جـ — (وإنا فوقهم قاهرون) .

(٩) عرف الخافى ومنه الباطن : أى الله المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم ، وقيل : هو العالم بما بطن . (١٠) علم بما كان وبما يكون ، وعرفه على حقيقته ، ومنه اسمه تعالى الخبير العليم بأحوال الأشياء ظاهرها وباطنها . (١١) تولى السلطان وقوى وعظم .

(١٢) فأوجد ونفذ وخلق وأعطى ومنع . وفيه التسليم لله جل وعلا ، والاعتراف بجبروته وكماله المطلق، وسمو صفاته سبحانه ، وشديد بطشه وانتقامه وجبروته ، وأنه يعلم السر وأخفى (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ٨٢ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون ٨٣) من سورة يس :

مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ[١] . رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم ، ومن طريقه البيهقى فى الشُّعب وغيره .

١٥ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ قالَ إِذَا أَوَى إِلَي فِرَاشِهِ : الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى كَفَانِى[٢] وَأَوَانِى ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَطْعَمَنِى[٣] وَسَقَانِى ، وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى مَنَّ[٤] عَلَيَّ فَأَفْضَلَ[٥] فَقَدْ حَمِدَ اللهَ بِجَمِيعِ مَحَامِدِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ . رواه البيهقى ولا يحضرنى إسناده الآن .

١٦ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : وَكَّلَنِى[٦] رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِى آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو[٧] مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنِّى مُحْتَاجٌ ، وَعَلَيَّ دَيْنٌ وَعِيَالٌ ، وَلِى[٨] حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ فَخَلَّيْتُ[٩] عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يَا أَبَا هُرَيْرَةَ : مَافَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ قالَ :قُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً،وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ[١٠] فَجَاءَ يَحْثُو[١١] الطَّعَامَ ،وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ

أى شأنه عز يقول : تكون يكون : أى يحدث ، وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل ، واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة ، وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق (فسبحان) تنزيه له عما ضربوا له ، وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للأمر كله قادرا على كل شىء .

(١) بفضل المحافظة على هذا الورد عند النوم يطهر الله صحائفه فتنق وتبيض وتصبح كما كانت بيضاء عند ولادته . وفيه أن الطفل يولد وله صحائف تنتظر التقييد بها إذا بلغ وكبر وكلف، وفيه ذكر الله يكفر الخطايا ويبيض الوجوه ويقر العيون ويفرح القلوب فيأمن صاحبه الزلل يوم القيامة .

(٢) أعطانى كفاية الرزق ، ووفر على مؤنة السؤال ، ومتعنى بالصحة ، وزادنى من كرمه وحفظنى من الحر والقر ، وجعل لى مسكناً يقيني الأذى ، وأبعد عنى السوء . (٣) أمدنى بصنوف الطعام والشراب تفضلا منه جل وعلا . (٤) أغدق على من نعمه ، وأكرمنى ببره ، وغمرنى بإحسانه ، وحفظ على نعمة الإسلام ، ومنه اسمه تعالى المنان : أى المنعم المعطى ، من المن : العطاء لامن المنة بكسر الميم ، وكثيراً مايرد المن فى كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لايستثيبه ، ولا يطلب الجزاء عليه . (٥) أكرم وزاد .

(٦) جعلنى وكيلا متوليا . (٧) يأخذ حفنة ملء اليدين . (٨) فى نسخة د (ولى) .

(٩) فتركته . (١٠) قعدت له أنتظره يأتى . (١١) يهوله بيده ، وبعضهم يقول : يقبضه بيده ثم يرميه ، ومنه فاحثوا التراب فى وجهه ولا يكون إلا بالقبض والرمى ، وقولهم فى الماء : يكفيه ثلاث حثوات المراد : ثلاث غرفات على التشبيه .

فَأَخَذْتُهُ ، يَعْنِي فِي الثَّالِثَةِ ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، وَهٰذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا . قُلْتُ مَا هُنَّ ؟ قَالَ : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ (اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه سلم: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ[1] الْبَارِحَةَ ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ مَا هِيَ ؟ قُلْتُ: قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ (اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) وَقَالَ[2] لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، وَكَانُوا أَحْرَصَ[3] شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ[4] تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ

---

(١) الذى قبضت عليه وحبسته . (٢) فى المطبوعة : لى ، وفى ع : بحذفها ١٩٩ .

(٣) الصحابة رضى الله عنهم يعتنون جداً بكسب العظة وجنى ثمرات الخير من الرسول صلى الله عليه وسلم ولذا استفادوا منه . (٤) كثير الإفك والبهتان والإثم .

آية الكرسى

قال تعالى : (الله لاإله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) . أى الله المستحق للعبادة سبحانه لاغير (الحى) الذى يصح أن يعلم ويقدر ، وكل مايصح له فهو واجب لايزول لامتناعه عن القوة والإمكان (القيوم) الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه ولا تعتريه سنة : أى فتور يتقدم النوم . قال ابن الرقاع :

والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً . ولا أحد يساويه أو يدانيه ولا أحد يتقدم للشفاعة إلا بإرادته سبحانه مما يدل على تفرده بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته سبحانه وتعالى ، وفيه بيان لكبرياء شأنه وعظمته (ولا يؤوده حفظهما) أى ولا يثقله حفظهما ، وهو المتعالى عن الأنداد والأشباه (العظيم) الكبير المستحقر بالإضافة إليه كل ماسواه . قال البيضاوى : وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد فى الألوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول ، مبرأ عن التغير والفتور ، لايناسب الأشباح ، ولا يعتريه مايعترى الأرواح مالك الملك والملكوت ، ومبدع الأصول والفروع ، ذو البطش الشديد الذى لايشفع عنده إلا من أذن له عالم الأشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل مايصح أن يملك ويقدر عليه لايؤوده شاق ولا يشغله شأن ، متعال عما يدركه وهم ، عظيم لايحيط به فهم ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « إن أعظم آية

ثَلَاثَ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قالَ : لاَ ، قالَ : ذَاكَ الشَّيْطَانُ . رواه البخارى وابن خزيمة وغيرهما

ورواه الترمذى وغيره من حديث أبى أيوب بنحوه ، وفى بعض طرقه عنده قال :

أَرْسِلْنِي(١) وَأُعَلِّمُكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ لَا تَضَعُهَا عَلَى مَالٍ وَلَا وَلَدٍ فَيَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ أَبَدًا . قُلْتُ : وَمَا هِيَ ؟ قالَ : لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهَا : آيَةُ الْكُرْسِيِّ .

[قال الحافظ] رحمه الله : وفى الباب أحاديث كثيرة من فعل النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم ليست من شرط كتابنا أضربنا عن ذكرها .

١٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً(٢) لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه أبو داود ، وروى النسائى منه ذكر الاضطجاع فقط .

[الترة] : بكسر التاء المثناة فوق مخففاً : هو النقص ، وقيل : التَّبِعة .

الترغيب فى كلمات يقولهن إذا استيقظ من الليل

١ - عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ :

فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ، ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة » وقال « من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد . ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره ، وجار جاره ، والأبيات حوله » اهـ ص ٨١ .

(١) أى أطلقنى لأذهب إلى أهلى ، سرها يظهر بعناية الله لما وضعت عليه أو من حملها ، وإنها لبركة وحصن حصين من أذى الشيطان . (٢) من قصد الراحة ولم يذكر الله تعالى عند اضطجاعه عد غافلا وكتب مقصراً فى حق مولاه الذى غمره بنعمه ، وأحسن إليه ، وقدر له الراحة من عناء الدنيا ، ونقص إعانه ، وسئل عن هذه النعمة . قال تعالى : (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) . قال البيضاوى : أى الذى ألهاكم ، والخطاب مخصوص بكل من ألهته دنياه عن دينه ، والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله : (من حرم زينة الله) (كلوا من الطيبات) وقيل : يعمان إذ كل يسأل عن شكره اهـ .

وفى الجامع الصغير : فإن النوم على غير ذكر الله تعطيل للحياة ، وربما قبضت روحه فيه فيكون مفارقا للدنيا على غير ذكر الله ، بخلاف من ذكر الله قبل أن ينام . اهـ ص ٣٠٧ .

(٣) أى الحسرة والندامة ، فعليك أخى بذكر الله عسى أن تكون من الفائزين (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) .

مَنْ تَعَارَّ(١) مِنَ(٢) اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا أُسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ. رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

تعارَّ: بتشديد الراء: أى استيقظ.

٢ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا رَدَّ إِلَى الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ نَفْسَهُ(٣) مِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَمَجَّدَهُ وَاسْتَغْفَرَهُ فَدَعَاهُ تَقَبَّلَ مِنْهُ. رواه ابن أبى الدنيا.

٣ — وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَتَحَرَّكُ(٤) مِنَ اللَّيْلِ بِسْمِ اللهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَسُبْحَانَ اللهِ عَشْرًا آمَنْتُ بِاللهِ، وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ(٥) عَشْرًا، وُقِيَ كُلَّ ذَنْبٍ(٦) يَتَخَوَّفُهُ وَلَمْ يَنْبَغِ(٧) لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ إِلَى مِثْلِهَا. رواه الطبرانى فى الأوسط، وفى الباب أحاديث كثيرة من فعله صلى الله عليه وسلم ليست صريحة فى الترغيب لم أذكرها.

---

(١) أى هب من نومه واستيقظ، والتاء زائدة وليس بابه اهـ نهاية.

(٢) يعنى عند قيامه من نومه يعترف لله بوحدته، وأنه مالك الملك، وله الثناء الحسن الجميل متصف بالقدرة الكاملة والإرادة النافذة، وشكره ونزهه ووحده وعظمه وسلم أمره لله صاحب الحول والقوة وحده وأنه عبد عاجز ضعيف يحادث مولاه، ويرجو من الله المغفرة: أى أى سؤال تفضل بالإجابة، وإن صلى تفتحت عليه أبواب الرحمات وصبت عليه البركات وعمته الخيرات فى أوقات التجلى والصفاء، وغفلة الناس،

(٣) حياته. (٤) يقوم من نومه، ويحرك أعضاءه، ويترك فراشه.

(٥) عبارة عن كل متعد، وكل معبود من دون الله، ويستعمل فى الواحد والجمع. قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت) (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) ١٩ من سورة الزمر. الطاغوت البالغ غاية الطغيان، وكذا الساحر والكاهن والمارد من الجن، والصارف عن طريق الخير.

(٦) حفظه الله من كل خطيئة يخشى الوقوع فيها، وحصن بتوفيقه، فلا يحصل منه خطأ الليلة.

(٧) ولم يظهر: أى لم يتعرض لإثم مطلقاً يصيبه إلى مثلها إلى ليلة أخرى. قال فيها هذا الورد، وفيه الترغيب بذكر اسم الله مراراً. وتنزيه الله عما لا يليق به من كل نعت، والتصديق بوجوده تعالى، والإقرار بربوبيته، ونبذ ما عداه من المخلوق الذى لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله، وفيه التوجه إلى الله بسؤاله، وعدم الالتجاء إلى سواه، فهو الصمد.

الترغيب فى قيام الليل

١ — عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : يَعْقِدُ[١] الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ[٢] رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ[٣] عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ[٤]، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ[٥] نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا[٦] أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ . رواه مالك والبخارى ومسلم، وأبو داود والنسائى، وابن ماجه وقال :

فَيُصْبِحُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَصْبَحَ كَسِلاً خَبِيثَ النَّفْسِ لَمْ يُصِبْ خَيْرًا . رواه ابن خزيمة فى صحيحه نحوه، وزاد فى آخره :

---

(١) أى يأتى بأشياء حقيقة وينويها ويثبتها، ويسحرعليها كى تمنع الإنسان من القيام من نومه ليعبد ربه كما يعقد الساحر من سحره . قال العينى : وأكثر مايفعله النساء : تأخذ إحداهن الخيط فتعقد منه عقدا، وتتكلم عليها بالكلمات فيتأثر المسحور عند ذلك كما أخبر الله تعالى فى كتابه الكريم : (ومن شر النفاثات فى العقد) فالذى خذل يعمل فيه، والذى وفق يصرف عنه . والدليل على كونه على الحقيقة مارواه ابن ماجه ومحمد بن نصر من طريق صالح عن أبى هريرة مرفوعا « على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد » إلى أن قال بعضهم : هو على المجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور، وقيل : هو من عقد القلب وتصميمه، فكأنه يوسوس بأن عليك ليلا طويلا فيتأخر عن القيام بالليل . وقال صاحب النهاية : المراد تثقيله فى النوم وإطالته، فكأنه قد سد عليه سداً، وعقد عليه عقداً . اهـ ص ١٩٣ ج ٧ .

(٢) مؤخر عنقه . ومنه قافية القصيدة : أى مؤخرها، وقيل وسط الرأس .

(٣) يمر بيده، ويضغط على حباله الداعية إلى الكسل والخمول والعجز والتقصير عن الطاعات وتحصيل الدرجات، ونيل الحسنات، وكسب الخيرات، وقيل يضرب بالرقاد، ومنه قوله تعالى : (فضربنا على آذانهم فى الكهف) ومعناه حجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ قائلا عند كل ضربة : نم ليلك طويل .

(٤) نم واهدأ .

(٥) يستقبل يومه بسرور، وصباحه بحبور، وبكورته بفرح جزيل قوى البنية منشرح الصدر باسم الثغر مثلوج الفؤاد قرير العين لأن الله تعالى وفقه لطاعته، وجلب المحامد، وكسب المحاسن، وقد بارك له فى وقته وفى عمله وتصرفه الحسن، وأزال سلطان الشيطان عليه وقهره . (٦) وإن ترك ما كان اعتاده أو نواه من فعل الخير، ولم يقم من نومه يتهجد طلع النهار وعليه الغضب والخبث (كسلان) بقاء أثر تثبيط الشيطان عليه . قال الكرمانى : واعلم أن مقتضى (وأصبح) أن من لم يجمع الأمور الثلاثة : الذكر والوضوء والصلاة فهو داخل تحت من يصبح خبيث النفس كسلان وإن أتى ببعضها . وقال العينى : وإن لم يذكر ولم يتوضأ، ولم يصل يصبح خبيث النفس كسلان، وفيه أن الذكر يطرد الشيطان، وكذا الوضوء والصلاة، ويجزئ كل مايصدق عليه ذكر الله تعالى، ويدخل فيه تلاوة القرآن، ولا تحل عقدة الجنب إلا بالاغتسال اهـ.

فَحُلُّوا عُقَدَ الشَّيْطَانِ وَلَوْ بِرَكْعَتَيْنِ .

[قافية] الرأس : مؤخّره ، ومنه سمى آخر بيت الشعر قافية .

٢ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَا مِنْ ذَكَرٍ وَلاَ أُنْثَى إِلاَّ عَلَى رَأْسِهِ جَرِيرٌ مَعْقُودٌ حِينَ يَرْقُدُ[1] بِاللَّيْلِ ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإِذَا قَامَ تَوَضَّأَ وَصَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ وَأَصْبَحَ خَفِيفاً طَيِّبَ النَّفْسِ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا . رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، وقال [الجرير] : الحَبلُ . رواه ابن حبان فى صحيحه ، ويأتى لفظه .

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ[2] رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَوَّلَ مَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَكُنْتُ فِيمَنْ جَاءَهُ ، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ وَاسْتَبَنْتُهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ . قَالَ فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْ كَلاَمِهِ أَنْ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا[3] السَّلاَمَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ[4] ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ[5] ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ[6] وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ[7] . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه والحاكم وقالا : صحيح على شرط الشيخين .

[انجفل] الناس بالجيم : أى أسرعوا ومضوا كلهم .

[استبنته] : أى تحققته وتبينته .

٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ :

---

(١) جرير : حبل . يرقد : ينام . (٢) صلاة التهجد بعد النوم ولو قليلا ، ويبتدئ من نصف الليل إلى قبيل الفجر .
(٣) أكثروا من رميه على من عرفت ومن لم تعرف ، والسلام من الله الأمان والرحمة .
(٤) أكثروا من إطعام الطعام والجود والكرم ، وبذل المعروف ، وإيواء الجائع وسد سغبه .
(٥) زوروا أقاربكم وودوهم ومدوهم بصلة وهدية وساعدوهم وأعينوهم ، واستجلبوا رضاهم .
(٦) تهجدوا . (٧) بلا عتاب .

فى الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ(١)، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا(٢) وَالنَّاسُ نِيَامٌ، رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

٦ — وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. رواه ابن حبان فى صحيحه، وتقدم حديث ابن عباس فى صلاة الجماعة، وفيه:

وَالدَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.

رواه الترمذى وحسنه.

٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ(٣) نَفْسِي، وَقَرَّتْ(٤) عَيْنِي، أَنْبِئْنِي(٥) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ(٦) الْمَاءِ، فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ:

---

(١) أحسن القول وأبش وجهه وطاب كلامه وعذب لفظه وكثر خيره وعم بره ولطفه وجل أدبه وعظم حياؤه ورق شعوره ودق إحساسه.

(٢) يذكر الله تعالى ويتهجد، ويعبد ربه فى ليله، والناس نائمون، أفشوا فعل أمر: أى أظهروه برفع الصوت وأن تسلم على كل من لقيته من المسلمين وإن لم تعرفه، وبذل الطعام أن تصدق بما فضل عن نفقة من تلزمك نفقته. قال النووى: السلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفى إفشائه تمكين ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم من غيرهم من أهل الملل مع مافيه من رياضة النفوس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين اهـ وبه يزول التناكر بأخى فسلم، لتدوم المحبة وتجتمع القلوب، فعليك به اجعله تحيتك لأهل بيتك وللمسلمين، وإفشاؤه سبب رضاء الله تعالى عن عبده، ويثيب عليه قال صلى الله عليه وسلم: «أفشوا السلام فإنه لله تعالى رضا» رواه عمر بن الخطاب وهو حديث حسن، وعن أبى الدرداء «أفشوا السلام كى تعلوا» حديث حسن: أى إذا أفشيتم السلام تحاببتم فاجتمعت كلمتكم فقهرتم عدوكم وعلوتم عليه.

(٣) فرحت وطهرت واستبشرت وطابت نفسه بالشىء: إذا سمحت به من غير كراهة ومنه الحديث أنه قال لعمار: «مرحباً بالطيب المطيب»: أى الطاهر المطهر. (٤) سرت ومنه حديث «لو رآك لقرت عيناه» أى لسر بذلك وفرح وحقيقته: أبرد الله دمعة عينيه لأن دمعة الفرح والسرور باردة، وقيل: معنى أقر الله عينك بلغك أمنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره. اهـ نهاية. (٥) أخبرنى.

(٦) الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وكل شىء خلق منه وفى قوله تعالى (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا) من سورة هود. قيل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا أنه موضوعاً على متن الماء. واستدل به على إمكان الخلاء اهـ بيضاوى، وقال الصاوى:

أَطْعِمِ (١) الطَّعَامَ ، وَأَفْشِ السَّلَامَ (٢) ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ (٣) ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ (٤) تَدْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ (٥). رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد، وابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والحاكم وصححه .

٨ — وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ أَعْلَاهَا حُلَلٌ ، وَمِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ لَا تَرُوثُ (٦) ، وَلَا تَبُولُ لَهَا أَجْنِحَةٌ خَطْوُهَا (٧) مَدَّ الْبَصَرِ فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَتَطِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا ، فَيَقُولُ الَّذِينَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ دَرَجَةً يَا رَبِّ بِمَا بَلَغَ عِبَادُكَ هٰذِهِ الْكَرَامَةَ كُلَّهَا ؟ قَالَ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَانُوا يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، وَكُنْتُمْ تَنَامُونَ ، وَكَانُوا يَصُومُونَ، وَكُنْتُمْ تَأْكُلُونَ ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ وَكُنْتُمْ تَبْخَلُونَ ، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ وَكُنْتُمْ تَجْبُنُونَ . رواه ابن أبى الدنيا .

٩ — وَرُوِيَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يُحْشَرُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ (٨) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فَيَقُولُ : أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ (٩) عَنِ الْمَضَاجِعِ ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ

أول ماخلق الله النور المحمدى ، ثم خلق منه العرش ، ونشأ الماء من عرق العرش ، فخلق الله منه الأرضين والسموات ، فالأرضون من زبده ، والسموات من دخانه (ليبلوكم) ليتميز المحسن من المسىء ، ويظهر المطيع فيثيبه على طاعته ، والعاصى فيعاقبه على عصيانه . اهـ .

قال تعالى:(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)أى من خلاصة سلت من بين الكدر (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة) الآية. مبيناً سبحانه أن أصل الإنسان من طين.

(١) كن جواداً كريماً يأكل الناس عيشك، ويعمهم خيرك . (٢) أكثر من ذكر السلام على المسلمين.

(٣) زر أقاربك وودهم واعطف عليهم وأحسن إليهم .

(٤) تهجد وصل ركعات مثنى نافلة لله سبحانه وتعالى وقت السحر بعد النوم .

(٥) تتنعم فى الجنة بلا حساب آمناً من عقاب الله تعالى . (٦) لاتنزل ثفلا للطعام .

(٧) أى مقدار الخطوة الواحدة نهاية امتداد البصر فى الآفاق بمعنى أنها تنهب فى الأرض نهباً، وتطويها طيا بقدرة الله تعالى لتظهر البهجة والرواء والعزة والنعيم وتذهب إلى أى مكان أراده أهل الجنة فيراهم من هم أقل منهم عملا صالحاً فى دنياهم ويسألون الله عز وجل عن سبب هذا النعيم ، فيتفضل المولى تبارك وتعالى بالإجابة بفضل التهجد ، وصيام النافلة ، وكثرة الصدقات ، وعمل مشروعات الخير ، وإعانة المحتاج ، والإنفاق فى البر والجهاد فى إعلاء دين الله والشجاعة فى إظهار الحق والمروءة فى العدل والشمم فى نصر الدين والدفاع عن شرع الرسول صلى الله عليه وسلم . (٨) وجه الأرض : أى مستوى .

(٩) يستيقظون ويهجرون فراش النوم فى السحر ، وفيه دليل على أن التهجد يعتم من الحساب .

حِسَابٍ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِسَائِرِ النَّاسِ إِلَى الْحِسَابِ . رواه البيهقى .

١٠ — وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى تَوَرَّمَتْ(١) قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . قَالَ : أَفَلَا أَكُونَ عَبْداً شَكُورًا . رواه البخارى ومسلم والنسائى .

وفى رواية لهما وللترمذى قال : إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَيَقُومُ أَوْ لَيُصَلِّى حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ ، فَيُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَفَلَا أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا ؟

١١ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ حَتَّى تُرَمَّ(٢) قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَىْ رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هٰذَا وَقَدْ جَاءَكَ مِنَ اللهِ أَنْ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . قَالَ : أَفَلَا أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

١٢ — وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ(٣) قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ : لِمَ تَصْنَعُ هٰذَا ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ، وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا(٤) شَكُورًا. رواه البخارى ومسلم.

١٣ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ كَانَ

---

(١) أصابها ورم وانتفاخ، وفى النهاية انتفخت من طول قيامه فى صلاة الليل، يقال: ورم يرم ، والقياس يورم، وهو أحد ماجاء على هذا البناء اهـ. (٢) فعل مضارع مبنى للمجهول. وترم بكسر الراء كذا ع ص ٢٠٢ من ورم جلده يرم تورم ، وورمه غيره توريما . (٣) ن ط تنفرط : أى تنشق وتتألم من كثرة الوقوف.

(٤) بينه صلى الله عليه وسلم بأنه يتهجد ثلث الليل ، ويكثر من صوم التطوع .

قال الشرقاوى : أى أترك قيامى وتهجدى لما غفر لى (فلا أكون عبداً شكوراً). يعنى أن غفران الله لى سبب لأن أقوم وأتهجد شكراً له فكيف أتركه : كأن المعنى ألا أشكره وقد أنعم على ، وخصنى بخير الدارين فإن الشكور من أبنية المبالغة يستدعى نعمة خطيرة ، وتخصيص العبد بالذكر مشعر بغاية الإكرام ، والقرب من الله تعالى ، ومن ثم وصفه به فى مقام الإسراء ، ولأن العبودية تقتضى صحة النسبة ؛ وليست إلا بالعبادة والعبادة عين الشكر . وفيه أخذ الإنسان على نفسه بالشدة فى العبادة ، وهو أفضل إن لم يخش الملل لأنه إذا كان هذا فعل المغفور له ، فكيف من جهل حاله ، وأثقلت ظهره الأوزار ، ولا يأمن غدا النار . اهـ ص ١١ ج ٢ .

يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ(١) ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ(٢) وَيَصُومُ يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه ، وذكر الترمذى منه الصوم فقط .

١٤ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ فِى اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَذَٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ(٤) . رواه مسلم .

١٥ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ(٥) الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ(٦) ، وَمَنْهَاةٌ(٧) عَنِ الْإِثْمِ . رواه الترمذى فى كتاب الدعاء من جامعه ، وابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد ، وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم ، كلهم من رواية عبد الله ابن صالح كاتب الليث رحمه الله . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخارى .

---

(١) وقت تجلى الرب تبارك وتعالى على عباده .

(٢) ليستريح من تعب القيام فى بقية الليل ، وإنما كان هذا أحب إلى الله تعالى لأنه أخذ بالرفق على النفوس التى يخشى منها السآمة المؤدية إلى ترك العبادة ، والله يحب أن يوالى فضله ، ويديم إحسانه ، وإنما كان ذلك أرفق لأن النوم بعد القيام يريح البدن ، ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر إلى الصباح . وفيه من المصلحة أيضاً استقبال الصبح ، وأذكار النهار بنشاط وإقبال ولأنه أقرب إلى عدم الرياء لأن من نام الثلث الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى ، فهو أقرب إلى أنه يخفى عمله الماضى على من يراه . أشار إليه ابن دقيق العيد اهـ شرقاوى ص ١٢ ج ٢ .

(٣) قال ابن المنير : كان داود عليه السلام يقسم ليله ونهاره لحق ربه وحق نفسه ، فأما الليل فاستقام له فيه ذلك فى كل ليلة ، وأما النهار فلما تعذر عليه أن يجزئه بالصيام لأنه لا يتبعض جعل عوضاً عن ذلك أن يصوم يوما ويفطر يوما ، فيتنزل ذلك منزلة التجزئة فى شخص اليوم . اهـ شرقاوى .

(٤) قال النووى فيه إثبات ساعة الإجابة فى كل ليلة ، ويتضمن الحث على الدعاء فى جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها اهـ ص ٣٦ ج ٦ .

أيها المكروب . إذا أصابك هم فالجأ إلى الله تعالى واستيقظ من نومك سحرا وتوضأ وصل ركعتين لله نافلة وتضرع إليه جل وعلا عسى أن تصادفك ساعة الإجابة ، فيزيل الله كربك ويشرح صدرك ، ويذهب عسرك ويبعد ضيقك . (٥) العادة والشأن ، من دأب فى العمل : جد وتعب .

(٦) سبب تغطية الذنوب وسترها ومزيلها ، وفى النهاية أصل الكفر : تغطية الشىء تغطية تستهلكه ، ومنه (من ترك الرحى فنسية كفرها) . (٧) أى مبعدة ، وفى النهاية أى حالة من شأنها أن تنهى عن الإثم أو هى مكان مختص بذلك ، وهى مفعلة من النهى والميم زائدة ، والنهى العقول واحدتها نهية بالضم ، سميت بذلك لأنها تنهى صاحبها عن القبيح اهـ . نعم إن الذى تعود أن يقف بين يدى ربه يناجيه بلسان الإخلاص شرح الله صدره للعبادة فطهر نفسه من أدران الحياة ، فيتحرى الصالحات فيعملها .

١٦ ــ وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَمَقْرَبَةٌ[1] لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ ، وَمَطْرَدَةٌ[2] لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ . رواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الرحمن بن سليمان بن أبى الجون ، ورواه الترمذى فى الدعوات من جامعه من رواية بكر بن خُنَيس ، عن محمد بن سعيد الشامى ، عن ربيعة ابن يزيد ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وعبد الرحمن بن سليمان أصلح حالا من محمد بن سعيد[3] .

١٧ ــ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ[4] فى وَجْهِهَا الْمَاءَ ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فى وَجْهِهِ الْمَاءَ . رواه أبو داود ، وهذا لفظه ، والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم

---

(١) يفتح لكم أبواب رحماته ، ويتجلى عليكم برضوانه فيستجاب دعاؤكم ، وتشعرون بالرضا .

(٢) فى النهاية «هو قربة إلى الله تعالى ، ومطردة الداء عن الجسد» أى أنها حالة من شأنها إبعاد الداء ، أو مكان يختص به ويعرف ، وهى مفعلة من الطرد . إن هذا وصف طبيب النفوس من قام ليله صفا جسمه وملك صحته وأزال الله مرضه ، وحسبك الالتجاء إلى الحكيم الخالق أن يشفيه (الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) ٨٠ من سورة الشعراء . (٣) ع ص : ٢٠٣ من محمد .

(٤) أن يأخذ قليلا من الماء فيرش به ، وقد نضح عليه الماء ، ونضحه به : إذا رشه عليه ، فيه من السنن العشر الانتضاح . أى يرش مذاكيره بعد الوضوء لينفى عنه الوسواس ، يدعو النبى صلى الله عليه وسلم لمن استيقظ ليتهجد فيوقظ زوجه بالرحمة والخير وشموله بالبركة والرضوان ، فإذا فتر الصديق أو كسل عن اليقظة أتى خليله وخدمه بقليل من الماء يمره على وجهه ليزول نومه ويبعد كسله ويملك شعوره ، ويتعاونان على عبادة الله . هذه التربية العالية أيها المسلمون أن يتفق الرجل وزوجه على طاعة الله ، وبذا توجد الثقة والاطمئنان ، ويدوم العيش الرغد ، وترفرف السعادة بين الزوجين المتآلفين ، وحسبك أنهما فى ظل الله يوم القيامة ، وهما أحد السبعة « اجتمعا عليه وتفرقا عليه » وقد دعا صلى الله عليه وسلم أيضاً لزوجة إن استيقظت للعبادة ودعت زوجها النائم للتهجد . إن الذى يفعل ذلك بتعاليم القرآن ، وعمل لآخرته ، ودخل فى زمرة من قال الله فيهم (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) ٩٢ من سورة الأنعام .

يقول البيضاوى (مبارك) كثير النفع والفائدة . مصدق الكتب التى قبله أو التوراة ، ولينذر أهل مكة ، وأهل الشرق والغرب ، فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ، ولا يزال الخوف يحمله على التدبر والنظر حتى يؤمن ؛ فالنبى صلى الله عليه وسلم والكتاب والضمير يحتملهما ، ويحافظ على الطاعة ، وتخصيص الصلاة لأنها عماد الدين ، وعلم الإيمان اهـ .

وقال صحيح على شرط مسلم، وعند بعضهم: رش، ورشت بدل نضح ونضحت . وهو بمعناه.

١٨ — وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى مالك الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَامِنْ رَجُلٍ يَسْتَيْقِظُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُوقِظُ امْرَأَتَهُ ، فَإِنْ غَلَبَهَا النَّوْمُ نَضَحَ فى وَجْهِهَا المَاءَ فَيَقُومَانِ فى بَيْتِهِمَا فَيَذْكُرَانِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ غُفِرَ لَهُمَا .

١٩ — وَعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ وَأَبى سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالاَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا ، أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعاً كُتِبَا فى الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ. رواه أبوداود، وقال: رواه ابن كثير موقوفاً على أبى سعيد، ولم يذكر أباهريرة. ورواه النسائي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وألفاظهم متقاربة .

مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ . زاد النسائى : جَمِيعاً كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ .

[قال الحافظ[1]] صحيح على شرط الشيخين .

٢٠ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : فَضْلُ[2] صَلاَةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاَةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ العَلاَنِيَةِ . رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن .

٢١ — وَرُوِيَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ نُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ[3] مَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ ، وَنَجْعَلَ آخِرَ ذَلِكَ وِتْرًا . رواه الطبراني والبزار .

---

(١) فى ن ط : الحاكم .

(٢) ثواب . والمعنى المحافظة على التهجد تسبب حسنات لمصليها جمة لبعدها عن الرياء ، ولمجاهدة النفس فى ترك لذة النوم ، وطلب مناجاة الرب جل وعلا . وقال المناوى : يؤخذ منه أن المقتدى به المعلم غيره صلاة النهار فى حقه أفضل ، كما فى إظهار المقتدى به الصدقة بقصد أن يتبعه الناس اهـ . وقد علق عليه الشيخ الحفنى : يؤخذ من هذا التشبيه أنه لو كان يصلى فى النهار لقصد تعليم الناس أو ليقتدى به غيره كان أفضل من صلاة الليل. كما أن صدقة العلانية حينئذ أفضل اهـ ص ٢٠ جامع صغير .

(٣) صلاة تهجد ، وبعد ذلك نختم بالوتر . هذا فى حق من آنس القيام بالليل وضمن اليقظة ، وأمن العلة

٢٢ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ قالَ : صَلاَةٌ فى مَسْجِدِى(١) تَعْدِلُ بِعَشَرَةِ آلاَفِ صَلاَةٍ ، وَصَلاَةٌ فِى المَسْجِدِ الحَرَامِ(٢) تَعْدِلُ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ ، وَالصَّلاَةُ بِأَرْضِ الرِّبَاطِ(٣) تَعْدِلُ بِأَلْفَىْ أَلْفِ صَلاَةٍ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ الرَّكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا الْعَبْدُ فى جَوْفِ اللَّيْلِ(٤) لاَ يُرِيدُ بِهِمَا إلاَّ مَاعِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب .

٢٣ — وَعَنْ إيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمُزَنِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : لاَ بُدَّ مِنْ صَلاَةٍ بِلَيْلٍ ، وَلَوْ حَلْبَ(٥) شَاةٍ ، وَمَا كانَ بَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ فَهُوَ مِنَ اللَّيْلِ(٦) . رواه الطبرانى ، ورواته ثقات إلا محمد بن إسحٰق .

٢٤ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: ذُكِرَتْ قِيَامَ اللَّيْلِ،فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم قالَ : نِصْفُهُ ثُلُثُهُ رُبُعُهُ ، فُوَاقَ حَلْبِ نَاقَةٍ ، فُوَاقَ حَلْبِ شَاةٍ . رواه أبو يعلى ورجاله محتج بهم فى الصحيح ، وهو بعض حديث .

[فواق] الناقة : بضم الفاء . هُوَ هُنَا قَدْرُ مَا بَيْنَ رَفْعِ يَدَيْكَ عَنِ الضَّرْعِ وَقْتَ الْحَلْبِ وَضَمِّهِمَا .

٢٥ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِصَلاَةِ اللَّيْلِ ، وَرَغَّبَ فِيهَا حَتَّى قالَ : عَلَيْكُمْ بِصَلاَةِ اللَّيْلِ وَلَوْ رَكْعَةً(٧) . رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

---

(١) مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة . ثواب الركعة فيه مضاعف حسنات تساوى هذا العدد فى غيره . وفى ن ومسجدى هذا .   (٢) بمكة .   (٣) المكان الذى ينتظر فيه المجاهدون .

(٤) وسطه ، والمعنى أن ثواب الركعتين مضاعف الأجر كثير الثواب .

(٥) أى تصلى فى وقت قدر إخراج اللبن من ضرع الشاة : أى فى نحو خمس دقائق .

(٦) بعد راحة وفتور الجسم ، وأخذه قسطاً ، ولو قليلا من النوم ، ولا يعد التهجد إلا بعد القيام من نومه . قال تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية .

(٧) أمره صلى الله عليه وسلم للندب ، والترغيب فى قيام الليل ، وذكر الله وتسبيحه وعدم غفلة المسلم وكنت واقفاً أمام سيدنا الحسين رضى الله عنه فجاءنى رجل أعده ولياً من أولياء الله ، وأكثر من ذكر هذه الجملة (من كثر دمه كثر نومه ، ومن كثر نومه فالنار أولى به) فأيقنت أن هذا يخاطب الجمهور ، ولكن يعلمنى لعلى أفقه فأعمل . نسأله التوفيق .

٢٦ – وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ : عِشْ مَاشِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَاعْمَلْ مَاشِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ(١) . رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن .

٢٧ – وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَشْرَافُ(٢) أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ ، وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ(٣) . رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى .

٢٨ – وَرُوِىَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَجْهَرْ بِقِرَاءَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّى بِصَلَاتِهِ وَتَسْتَمِعُ(٤) لِقِرَاءَتِهِ ، وَإِنَّ مُؤْمِنِي الْجِنِّ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِى الْهَوَاءِ وَجِيرَانَهُ فِى مَسْكَنِهِ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ وَيَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ ، وَإِنَّهُ يَطْرُدُ(٥) بِقِرَاءَتِهِ عَنْ دَارِهِ وَعَنِ الدُّورِ الَّتِى حَوْلَهُ فُسَّاقَ(٦) الْجِنِّ ، وَمَرَدَةَ(٧) الشَّيَاطِينِ ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِى يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ خَيْمَةٌ(٨) مِنْ نُورٍ يَهْتَدِى بِهَا أَهْلُ السَّمَاءِ كَمَا يُهْتَدَى بِالْكَوْكَبِ(٩) الدُّرِّيِّ فِى لُجَجِ(١٠) الْبِحَارِ وَفِى الْأَرْضِ الْقَفْرِ(١١) ، فَإِذَا مَاتَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ رُفِعَتْ تِلْكَ الْخَيْمَةُ فَتَنْظُرُ الْمَلَائِكَةُ

---

(١) سيدنا جبريل عليه السلام يعطى درساً لأشرف الخلق عليه الصلاة والسلام ليرشد أمته صلى الله عليه وسلم أن العمر وإن طال فآله الفناء ، وكل محاسب على عمله إن خيراً وإن شراً ، مجازى به ومسئول عنه ، ويأمر بالمحبة ، وحسن المعاشرة والتودد ، والتحلى بمكارم الأخلاق ليكسب الإنسان الذكر الحسن بعد فراقه و (كل من عليها فان) وأخبر أن التهجد رفعة ، ورق ، ومحامد ، والعز عدم سؤال أى مخلوق .

(٢) كرماء وفضلاء وأعاظم ؛ وأسياد أمتى الذين يحفظون القرآن ، ويعملون بأوامره ويجتنبون مناهيه ويصونون قراءته عن الابتذال ، ويتحرون أماكن الخاشعين والمستمعين ، ويكونون قدوة حسنة وأسوة صالحة

(٣) المتهجدون العابدون الذاكرون المستغفرون . (٤) فى ن ط : وتسمع ، و ع : تستمع ص ٢٠٥

(٥) يبعد . (٦) عصاة . (٧) جمع مارد : العاتى الشديد .

(٨) ظلة ساترة ، ومنه خيم بالمكان : أقام فيه وسكنه فاستعارها اظل رحمة الله ورضوانه وأمنه وهذا معنى « الشهيد فى خيمة الله تحت العرش » .

(٩) أى الشديد الإنارة كأنه نسب إلى الدر تشبيهاً بصفائه ، وقال الفراء : الكوكب الذى عند العرب هو العظيم المقدار ، وقيل : هو أحد الكواكب الخمسة السيارة . اهـ نهاية .

(١٠) فضائها الواسع ، ولجة البحر : معظمه ، والمعنى فى شدة تلاطم أمواجه وظلمه يسطع النور للسارى .

(١١) المفازة : الصحراء التى لاتنبت ، والمعنى يستضىء الماشى فى المهامه به ، كذلك يستضاء بالقرآن .

مِنَ السَّماءِ فَلاَ يَرَوْنَ ذٰلِكَ النُّورَ فَتَلَقَّاهُ[١] الْمَلاَئِكَةُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ فَتُصَلِّي[٢] الْمَلاَئِكَةُ عَلَى رُوحِهِ فِى الْأَرْوَاحِ ، ثُمَّ تَسْتَقْبِلُ الْمَلاَئِكَةَ الْحَافِظِينَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، ثُمَّ تَسْتَغْفِرُ[٣] لَهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُ ؛ وَمَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ كِتَابَ اللهِ ، ثُمَّ صَلَّى[٤] سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ إِلاَّ أَوْصَتْ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الْمَاضِيَةُ اللَّيْلَةَ[٥] الْمُسْتَأْنَفَةَ أَنْ تُنَبِّهَهُ لِسَاعَتِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ خَفِيفَةً ، فَإِذَا مَاتَ وَكَانَ أَهْلُهُ فِى جِهَازِهِ[٦] جَاءَ الْقُرْآنُ فِى صُورَةٍ حَسَنَةٍ جَمِيلَةٍ فَوَقَفَ عِنْدَ رَأْسِهِ حَتَّى يُدْرَجَ فِى أَكْفَانِهِ فَيَكُونُ الْقُرْآنُ عَلَى صَدْرِهِ دُونَ[٧] الْكَفَنِ ، فَإِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ وَسُوِّيَ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَيُجْلِسَانِهِ فِى قَبْرِهِ ، فَيَجِيءُ الْقُرْآنُ[٨] حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا فَيَقُولاَنِ لَهُ : إِلَيْكَ[٩] حَتَّى نَسْأَلَهُ ؟ فَيَقُولُ : لاَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ إِنَّهُ لَصَاحِبِي وَخَلِيلِي ، وَلَسْتُ أَخْذُلُهُ[١٠] عَلَى حَالٍ فَإِنْ كُنْتُمَا أُمِرْتُمَا بِشَيْءٍ فَامْضِيَا[١١] لِمَا أُمِرْتُمَا ، وَدَعَانِي[١٢] مَكَانِي ، فَإِنِّي لَسْتُ أُفَارِقُهُ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ يَنْظُرُ الْقُرْآنُ إِلَى صَاحِبِهِ فَيَقُولُ : أَنَا الْقُرْآنُ الَّذِي كُنْتَ تَجْهَرُ[١٣] بِي ، وَتُخْفِينِي وَتُحِبُّنِي فَأَنَا حَبِيبُكَ ، وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ أَحَبَّهُ اللهُ ، لَيْسَ عَلَيْكَ بَعْدَ مَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ هَمٌّ وَلاَ حُزْنٌ ، فَيَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَيَصْعَدَانِ[١٤] ، وَيَبْقَى هُوَ وَالْقُرْآنُ ، فَيَقُولُ : لَأُفْرِشَنَّكَ[١٥] فِرَاشًا لَيِّنًا ، وَلَأُدَثِّرَنَّكَ[١٦] دِثَارًا حَسَنًا جَمِيلاً

---

(١) كذا فى ع ، وفى ن ط : فتلقاه : أى فتقابله بالبشرى ، وتستقبله بالفرح .

(٢) فتدعو له بنعيم روحه ، وتجعل الملائكة احتفالا بهيجاً لحراسه ، والحافظين عليه فى حياته .

(٣) تكون وظيفة الملائكة طلب الاستغفار له من الله جل وعلا حتى ينشر ويخرج من قبره للحساب .

(٤) ذكر الله وسبح واستغفر ، وتهجد جزءاً من الزمن فى سحره .

(٥) الليلة الآتية الجديدة توصيها سابقتها بيقظته . والرأفة به ، وتلطيف هوائها ، وإزالة شرها ؛ وإبعاد أذاها حتى يتجدد نشاطه ، وتقوى صحته ، ويزداد انشراحا وقبولا ، ويشعر بالسرور .

(٦) الاستعداد لدفنه . (٧) يتمثل القرآن نوراً ملاصقاً لصدره فوقه كفنه .

(٨) يمثل الله القرآن بشفيع قوى الحجة مدافع عنه . (٩) ابعد عنا وتنح .

(١٠) والله لا أهزمه ولا أتركه . (١١) اسألا وتفذا مهمتكما ، واعملا بواجبكما .

(١٢) اتركانى ملازما له . (١٣) كنت تقرأ فى الجهر وفى السر ، ولا تخشى فى الله لومة لائم وتحترمى وتعظ الناس بى ، وتعمل بآدابى . (١٤) يذهبان إلى ربهما .

(١٥) يكرمه الله تعالى بوضع أثاث عال فى قبره : نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ، وملابس حسنة وفراش وثير لين ، أجعلن ثيابك بديعة .

(١٦) والدثار : الثوب الذى يكون فوق الشعار (القميص) ، ومنه دثرونى : أى غطونى بما أدفأ به .

بِمَا أَسْهَرْتَ[١] لَيْلَكَ ، وَأَنْصَبْتَ[٢] نَهَارَكَ . قَالَ : فَيَصْعَدُ الْقُرْآنُ إِلَى السَّمَاءِ أَسْرَعَ مِنَ الطَّرْفِ[٣] ، فَيَسْأَلُ اللهَ ذٰلِكَ لَهُ فَيُعْطِيهِ ذٰلِكَ ، فَيَجِيءُ الْقُرْآنُ فَيَنْزِلُ بِهِ أَلْفُ أَلْفِ مَلَكٍ مِنْ مُقَرَّبِي[٤] السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَيَجِيءُ الْقُرْآنُ فَيُحَيِّيهِ[٥] فَيَقُولُ : هَلِ اسْتَوْحَشْتَ ، مَا زِدْتُ مُنْذُ فَارَقْتُكَ أَنْ كَلَّمْتُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى أَخَذْتُ لَكَ فِرَاشًا وَدِثَارًا وَمِصْبَاحًا ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِهِ فَقُمْ حَتَّى تَفْرِشَكَ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . قَالَ : فَتَنْهَضُهُ[٦] الْمَلَائِكَةُ إِنْهَاضًا لَطِيفًا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِمِائَةِ[٧] عَامٍ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ فِرَاشٌ بِطَانَتُهُ مِنْ حَرِيرٍ أَخْضَرَ ، حَشْوُهُ الْمِسْكُ[٨] الْأَذْفَرُ ، وَيُوضَعُ لَهُ مَرَافِقُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَرَأْسِهِ مِنَ السُّنْدُسِ[٩] وَالْإِسْتَبْرَقِ[١٠] ، وَيُسْرَجُ[١١] لَهُ سِرَاجَانِ مِنْ نُورِ الْجَنَّةِ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَرِجْلَيْهِ يَزْهَرَانِ[١٢] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُضْجِعُهُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِيَاسَمِينِ[١٣] الْجَنَّةِ وَتَصْعَدُ عَنْهُ ، وَيَبْقَى هُوَ وَالْقُرْآنُ فَيَأْخُذُ الْقُرْآنُ الْيَاسَمِينَ فَيَضَعُهُ عَلَى أَنْفِهِ غَضًّا[١٤] فَيَسْتَنْشِقُهُ حَتَّى يُبْعَثَ ، وَيَرْجِعُ الْقُرْآنُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُخْبِرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَيَتَعَاهَدُهُ كَمَا يَتَعَاهَدُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَلَدَهُ بِالْخَيْرِ ، فَإِنْ تَعَلَّمَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ الْقُرْآنَ بَشَّرَهُ بِذٰلِكَ ، وَإِنْ كَانَ عَقِبُهُ عَقِبَ[١٥] سُوءٍ دَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِقْبَالِ ، أَوْ كَمَا ذُكِرَ . رواه البزار ، وقال : خالد بن مَعْدان لم يسمع من معاذ ومعناه أنه يجيء ثواب القرآن كما قال :

قال تعالى : (يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر) وإن القلب يدثر كما يدثر السيف فجلاؤه ذكر الله : أى يصدأ كما يصدأ السيف . (١) بعدت جفونك عن النوم .

(٢) أفنت يومك فى العبادة والتلاوة . (٣) لمح البصر . (٤) الأبرار المقربين المطيعين .

(٥) يقدم له أجل تحية مباركة للاستئناس . (٦) تطلب منه تخلى هذا المكان برفق لتكسوه من أغلى الرياش ، وأنفر الأثاث « بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

(٧) بمقدار سير ناقة نجيبة مسرعة . قبره يساوى هذه المسافة فى الاتساع . (٨) كثير الطيب منتشر الرائحة

(٩) الحرير الرقيق . (١٠) الحرير الغليظ . قال تعالى (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) . (١١) يضاء له مصباحان .

(١٢) يلمعان . وفى صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان أزهر اللون ، والأزهر : الأبيض المستنير والزهر والزهرة : البياض النير ، وهو أحسن الألوان . (١٣) نوع من أحسن الرياحين عرفا ذكى ، وشذاها طيب . (١٤) طريا لم يتغير ، ومنه حديث على هل ينتظر أهل غضاضة الشباب : أى نضارته وطراوته .

(١٥) إن ترك ذرية فاسقة تضرع القرآن لربه عز وجل أن يوفقهم للعمل كأبيهم . وهذه بشارة عظيمة لحامل القرآن أن يبارك الله فى ذريته ، ويحيطهم برحمته ، ويشملهم برضاه تعالى .

إِنَّ اللُّقْمَةَ تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أُحُدٍ ، وَإِنَّمَا يَجِيءُ ثَوَابُهَا انْتَهَى .

[قال الحافظ] : في إسناده من لا يعرف حاله ، وفي متنه غرابة كثيرة ، بل نكارة ظاهرة ، وقد تكلم فيه الْعُقَيْلِيُّ وغيره ورواه ابن أبي الدنيا وغيره ، عن عُبَادَةَ بن الصامت موقوفاً عليه ، ولعله أشبه .

٢٩ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ بَاتَ لَيْلَةً فِي خِفَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يُصَلِّي تَرَاكَضَتْ[1] حَوْلَهُ الْحُورُ الْعِينُ حَتَّى يُصْبِحَ . رواه الطبرانيّ في الكبير .

٣٠ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَنْبَسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليهِ وَسلم يَقُولُ : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ[2] الآخِرِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ . رواه الترمذي واللفظ له ، وابن خزيمة في صحيحه ، وقال الترمذيّ : حديث حسن صحيح غريب .

٣١ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَا خَيَّبَ[3] اللهُ امْرَأً قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَافْتَتَحَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ . رواه الطبراني في الأوسط ، وفي إسناده بقية .

٣٢ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : ثَلَاثَةٌ

---

(١) كذا في ع مصححة ص ٢٠٦ : أي لازمته وأحاطت به ، وفي حديث ابن عمرو بن العاص « المؤمن أشد ارتكاضة على الذنب من العصفور حين يقذف به » أي أشد حركة واضطراباً ، والركض : الضرب بالرجل والإصابة بها . وفي ن ط ، تداركت : والله سبحانه أعلم ، وفي الحديث طلب أكل الخفيف في العشاء وعدم تثاقل المعدة بالطعام رجاء اليقظة للتهجد ولذكر الله تعالى ليعمه نعيم الله ورضوانه ، وتحفه رياحين الجنة وزهرتها ، وبحوطه نساء الجنة الحسان يدعون له بالتوفيق رجاء أن يزف إليهن يوم القيامة . يا أخي : السيدة الحسناء والغادة الهيفاء تبتهج بعبادتك ، وتنتظرك لتتمتع بها في آخرتك ، وتنادي مهرها التهجد . قال الشاعر :

وتيمت نفسي في هواك محبة ... ومن خطب الحسناء لم يغلها مهر

(٢) بعد نصف الليل إلى مطلع الفجر كما قال صلى الله عليه وسلم : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له » أي تنزل رحمته وأمره وملائكته ، ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف والله أعلم

(٣) كذا في ع ص ٢٠٧ : أي ما أسقط وما حرم ، والخائب : الذي لا نصيب له في الخير ، وخاب يخيب ويخوب ومنه الحديث : « خيبة لك ، ويا خيبة الدهر » . وفي ن ط : ما خاب الله امرأ .

يُحِبُّهُمُ اللهُ[١] ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ : الَّذِى إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكْفِيَهُ[٢] فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِى هٰذَا كَيْفَ صَبَرَ لِى بِنَفْسِهِ ؟ وَالَّذِى لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ ، وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : يَذَرُ[٣] شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِى ، وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ[٤] ، وَالَّذِى إِذَا كَانَ فى سَفَرٍ ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ[٥] فَسَهِرُوا[٦] ، ثُمَّ هَجَعُوا[٧] فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ[٨] فى ضَرَّاءَ وَسَرَّاءَ . رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن .

٣٣ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : عَجِبَ[٩] رَبُّنَا تَعَالَى مِنْ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ ثَارَ[١٠] عَنْ وِطَائِهِ[١١] وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ وَحِبِّهِ[١٢] إِلَى صَلَاتِهِ ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : أَنْظُرُوا إِلَى عَبْدِى ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً[١٣] فِيمَا عِنْدِى ، وَشَفَقَةً[١٤] مِمَّا عِنْدِى . وَرَجُلٍ غَزَا فى سَبِيلِ اللهِ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ[١٥] فى الانْهِزَامِ ، وَمَا لَهُ فى الرُّجُوعِ فَرَجَعَ حَتَّى يُهَرِيقَ[١٦] دَمَهُ فَيَقُولُ اللهُ : أَنْظُرُوا إِلَى عَبْدِى رَجَعَ رَجَاءَ فِيمَا عِنْدِى وَشَفَقَةً مِمَّا

---

(١) أى يعجب من حسن نعالهم ويرحمهم . (٢) يبعد عنه شرهم ويزيل ضررهم .

(٣) يترك لذته ، ويبتعد عن تمتعه بزوجته الحسناء حبا فى ذكر الله وتسبيحه تهجداً .

(٤) نام ، وأحل الله له ذلك وتمتع . (٥) جماعة : رفقاؤه .

(٦) أدلجوا طول الليلة ، ولم يذوقوا النوم . (٧) ناموا ليلا ، وفى حديث الشورى : طرقنى بعدهجع من الليل . الهجع والهجعة والهجيع : طائفة من الليل . (٨) آخر الليل يتحمل آلام السهر فى طاعة الله وذكره ويشعر بالسرور فى درك ثواب الله . (٩) أى عظم ذلك عنده وكبر لديه ، أعلم الله أنه إنما يتعجب الآدمى من الشىء إذا عظم موقعه عنده وخفى عليه سببه ، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده وقيل رضى وأثاب . اهـ نهاية . (١٠) بعد ، من ثار الشىء يثور : انتشر وارتفع ، ومنه الحديث «فرأيت الماء يثور من بين أصابعه» أى ينبع بقوة وشدة . (١١) الشىء المذلول : الموطوء : أى ترك فراشه وعطاءه الدفء ، والوطاء : ماتحت الأقدام . (١٢) أقربائه وحبيبه . (١٣) رجاء ثوابى وحبا فى طلب رضاى

(١٤) خوفا من عذابى ، ومنه قوله تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون .

(١٥) علم أن الاندحار سبب موته وأسره وقتله ، ولكن جاهد حتى يستشهدطلباً فى نعيم الله .

(١٦) يراق ويسال دمه ، والمعنى أن رجلين اكتسبا زيادة الأجر من الله تعالى :

ا — من هجر لذة نومه ، وترك سريره ليتهجد .

ب — المجاهد فى سبيل الله المستبسل ، ولم يفر عند الهزيمة .

عِنْدِى حَتَّى يُهَرِيقَ دَمَهُ . رواه أحمد ، وأبو يعلى والطبرانى ، وابن حبان فى صحيحه ، ورواه الطبرانى موقوفاً بإسناد حسن ، ولفظه :

إِنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ(١) إِلَى رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ قَامَ فِى لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ فِرَاشِهِ وَلِحَافِهِ وَدِثَارِهِ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَتِهِ(٢) : مَا حَمَلَ عَبْدِى هٰذَا عَلَى مَاصَنَعَ ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا رَجَاءَ مَاعِنْدَكَ ، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدَكَ ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَارَجَا(٣) وَآمَنْتُهُ مِمَّا يَخَافُ ، وَذَكَرَ بَقِيَّتَهُ .

٣٤ — وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِى يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهُورِ(٤) ، وَعَلَيْهِ عُقَدٌ(٥) فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِى هٰذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِى ، مَاسَأَلَنِى عَبْدِى هٰذَا فَهُوَ لَهُ .

رواه أحمد ، وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له .

٣٥ - وَعَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ(٦) : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِى التَّوْرَاةِ : لَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لِلَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ مَالَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلَا نَبِىٌّ مُرْسَلٌ . قَالَ وَنَحْنُ

---

(١) لينظر نظرة رحمة وسرور من فعلهما الحسن .

(٢) الله تعالى يعلم سبب فعل عبده هذا ، ولكن يسأل الملائكة سؤال تعظيمهم له ، وإشعاراً لهم وجواب تعبد أنه العليم الخبير (وهو بكل شىء عليم . وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون) ٣١ من سورة البقرة أجبت جميع رغباته ، وباركت فى أعماله وأسلمته من المخاطر .

(٤) الوضوء : أى مايتطهر به .

(٥) حبال غلب عليه الشيطان ، وكتفه بخيوط الكسل والغفلة ، وجرى مجرى عروق الدم منه رجاء نسيان ذكر الله ورقوده وسباته ، فإذا أراد الله له باليقظة فذكر الله حطم سلسلة من قيوده ، ومزق عقدة من أغلاله ، وهكذا حتى يتم الوضوء ، فيتجلى عليه الرب جل وعلا ، ويباهى بفعله هذا ملائكته المقربين ويأمرهم أن ينظروا إلى فعل طاعته وتذلله لربه رجاء رحمته تعالى ثم يبشرهم بإجابة كل ماسأل تفضلا وتكرما. الله أكبر ، هذا وقت المعاملة الحسنة مع الله والتجارة مع الغنى الكريم والتضرع إليه ؛ وقد تكفل سبحانه بعدم رد طلب لمن سأل .

(٦) سيدنا عبد الله بن سلام كان حبرا وعالما أنبأنا عما فى التوراة لسيدنا موسى ، وقد وافقه كلام الله عز وجل فى قرآنه عن جزاء المتهجد العابد الذاكر المستغفر سحراً

تقرؤها : فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، الآية . رواه الحاكم وصححه .

[قال الحافظ] : أبو عبيدة لم يسمع من عبد الله بن مسعود ، وقيل : سمع .

٣٦ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : لَا تَدَعْ(١) قِيَامَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَدَعُهُ(٢) ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسِلَ(٣) صَلَّى قَاعِدًا . رواه أبو داود ، وابن خزيمة فى صحيحه .

٣٧ — وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَنْظُرَ مَا اجْتِهَادُهُ(٤) . قَالَ : فَقَامَ يُصَلِّي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَرَ الَّذِي كَانَ يَظُنُّ ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ ، فَقَالَ سَلْمَانُ : حَافِظُوا عَلَى هٰذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، فَإِنَّهُنَّ كَفَّارَاتٌ(٥) لِهٰذِهِ الْجِرَاحَاتِ مَا لَمْ تُصَبِ الْمَقْتَلَةُ(٦) ، فَإِذَا صَلَّى النَّاسُ الْعِشَاءَ صَدَرُوا عَنْ ثَلَاثِ مَنَازِلَ . مِنْهُمْ : مَنْ عَلَيْهِ وَلَا لَهُ ، وَمِنْهُمْ : مَنْ لَهُ(٧) وَلَا عَلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ : مَنْ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ . فَرَجُلٌ اغْتَنَمَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ وَغَفْلَةَ النَّاسِ ، فَرَكِبَ(٨) فَرَسَهُ فِي الْمَعَاصِي ، فَذٰلِكَ عَلَيْهِ وَلَا لَهُ . وَمَنْ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ : فَرَجُلٌ اغْتَنَمَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ وَغَفْلَةَ النَّاسِ فَقَامَ يُصَلِّي فَذٰلِكَ(٩) لَهُ وَلَا عَلَيْهِ . وَمَنْ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ : فَرَجُلٌ صَلَّى ثُمَّ نَامَ(١٠) فَلَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ . إِيَّاكَ وَالْحَقْحَقَةَ وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ وَدَاوِمْهُ(١١) . رواه الطبرانى فى الكبير موقوفاً بإسناد لا بأس به ، ورفعه جماعة .

[الحقحقة] : بحاءين مهملتين مفتوحة وقافين ، الأولى ساكنة ، والثانية مفتوحة : هو أشد

---

(١) لا تترك . لا ناهية . (٢) كان لا يتركه . (٣) أعياه التعب . ولحق به العناء .

(٤) كذا ن ع ص ٢٠٨ . ما اسم استفهام مبتدأ : أى أى شىء بلغ اجتهاده وفى ن ط : لينظر اجتهاده

(٥) مزيلات الصغائر ، وسائر الخطايا التى يقترفها الإنسان .

(٦) ما لم تفعل الكبائر التى أوعد الله بها العقاب الأليم ونهى عنها وشدد على مرتكبيها مثل الزنا والسرقة والشرك بالله والسحر والربا وقتل النفس وعقوق الوالدين وقذف المحصنات الغافلات والغيبة والنميمة والكبر والحسد والفتنة وهكذا . (٧) أى يجاهد نفسه فى التوبة من المعاصى وكثرة الاستغفار والإنابة إلى الله ، والإقلاع عن الشرور والتهجد . (٨) أى استرسل فى إدراك شهوات نفسه وأطلق لها العنان فى فعل الموبقات فذلك أوزاره جمة وسيئاته كثيرة وعذابه أليم وحسابه عسير .

(٩) له الثواب الجزيل ولا ذنب عليه . (١٠) فى ن ع : لا له ولا عليه ص ٢٠٨ .

(١١) كذا ع : أى استمر فى العبادة جهد الطاقة ، ولا تتعب نفسك بكثرة السهر واترك الغلو فى العبادة ولا تحمل نفسك فوق طاقتها ، وفيه أن الإنسان يصلى العشاء ، وينام ورجاه أن الله يوفقه بالقيام للتهجد لينال من الله النعيم ويجاب دعاؤه ويحذر أن يسهر فى معصية ويسامر فى غضب الله . وفيه النهى عن المغالاة فى السهر فى العبادة « إن الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

السير ، وقيل هو أن يجتهد فى السير ، ويلحّ فيه حتى تعطب راحلته ، أو تقف ، وقيل غير ذلك

٣٨ — وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَنَا : لَيْسَ فِى الدُّنْيَا حَسَدٌ[1] إِلَّا فِى اثْنَتَيْنِ : الرَّجُلُ يَغْبِطُ الرَّجُلَ أَنْ يُعْطِيَهُ اللهُ المَالَ الْكَثِيرَ فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُكْثِرَ النَّفَقَةَ ، يَقُولُ الآخَرُ : لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَأَنْفَقْتُ مِثْلَ مَا يُنْفِقُ هٰذَا وَأَحْسَنَ فَهُوَ يَحْسُدُهُ ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقُومُ اللَّيْلَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ لَا يَعْلَمُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَحْسُدُهُ عَلَى قِيَامِهِ وَعَلَى مَا عَلَّمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[2] مِنَ الْقُرْآنِ فَيَقُولُ : لَوْ عَلَّمَنِي اللهُ مِثْلَ هٰذَا لَقُمْتُ مِثْلَ مَا يَقُومُ . رواه الطبرانى فى الكبير ، وفى سنده لين .

[الحسد] يطلق ، ويراد به تمنى زوال النعمة عن المحسود ، وهذا حرام بالاتفاق ، ويطلق ويراد به الغبطة ، وهو تمنى حالة كحالة المغبط من غير تمنى زوالها عنه ، وهو المراد فى هذا الحديث ، وفى نظائره ، فإن كانت الحالة التى عليها المغبط محمودة فهو تمنٍّ محمود ، وإن كانت مذمومة فهو تمنٍّ مذموم يأثم عليه المتمنى .

٣٩ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَا حَسَدَ إِلَّا فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ . رواه مسلم وغيره

٤٠ — وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَا تَنَافُسَ[3] إِلَّا فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ قُرْآنًا فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ[4] اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَيَقُولُ رَجُلٌ : لَوْ أَنَّ اللهَ أَعْطَانِي مَا أَعْطَى فُلَانًا فَأَقُومُ بِهِ كَمَا

---

(١) هنا غبطة : أى تتمنى أن تفعل خيراً مثله ، وليس الحسد المذموم الذى هو تمنى زوال النعمة عن أخيك .

(٢) يبين صلى الله عليه وسلم خصلتين تتمنى أن تتحلى بهما أيها المسلم :

ا — خلة الإنفاق والجود على إنشاء مشروعات الخير ، وتشييد الصالحات ، وتنظر إلى المحسنين فتتمنى أن يكون لك مال لتعمل مثلهم .

ب — خلة التقوى المنبعثة أن قراءة القرآن الداعية إلى التهجد الغارسة دوحات العلم النافع فى قلب حافظه فتتمنى أن تفقه القرآن وتقرأه لتظهر تعاليمه ، وتثمر أوراقه فى حديقتك .

(٣) كذا فى ع ص ٢٠٩ والتنافس التسابق فى الخير وانتهاز فرص نيل الثواب ، وفى ن ط اثنين .

(٤) ساعاته جمع إنا بالكسر والقصر ، أو جمع آناء بالفتح والمد . قال تعالى : (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) والمعنى أنه يحظ الناس به فى أوقات الليل إن سنحت الفرصة ، وكذا فى النهار مع العمل به ، ويقرأ أمام الفقراء ، ويحترم قراءته وتفسه ثم رسخ الإيمان بقلبه فتهجد وذكر الله فى السحر

يَقُومُ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُ(١) مِنْهُ وَيَتَصَدَّقُ ، فَيَقُولُ رَجُلٌ مِثْلَ ذٰلِكَ. رواه الطبرانى فى الكبير ، ورواته ثقات مشهورون ، ورواه أبو يَعلى من حديث أبى سعيد نحوه بإسناد جيد .

٤١ — وَعَنْ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ وَتَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ(٢) فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ ، وَالْقِنْطَارُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ : اقْرَأْ وَارْقَ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ آيَةٍ مَعَهُ ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْعَبْدِ : اقْبِضْ ، فَيَقُولُ الْعَبْدُ بِيَدِهِ : يَارَبِّ أَنْتَ أَعْلَمُ ، يَقُولُ بِهٰذِهِ الْخُلْدَ، وَبِهٰذِهِ النَّعِيمَ رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن، وفيه إسمعيل بن عياش عن الشاميين، وروايته عنهم مقبولة عند الأكثرين.

٤٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ(٣) ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ . رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه ، كلاهما من رواية أبى سرية عن أبى حجيرة عن عبد الله بن عمرو، وقال

---

(١) ينشىء به الأعمال الصالحات ، ومشروعات تفيد الأبناء ، ويوجد أعمالا للعاطلين ويكسو عريانا، ويطعم جائعاً ، ويصرف فى وجوه البر ويزكى .

(٢) ظاهره من أى سورة ينال ثوابا لو وزن لرجحت كفته عن القنطار وهذا خير من نعيم الدنيا الفانى على أن الله تعالى يتفضل ويرقيه إلى درجات عالية كل آية درجة يصعد بها إلى العلياء والعزء والنعيم المقيم لما فى الآيات من ذكر الله وتسبيحه وتقديسه بمعنى أنه يتهجد، وبعد فاتحة الكتاب يقرأ ما تيسر من القرآن يحفظ الله له ذلك ذخيرة عنده يوم القيامة ويجازيه ، وما من كامل إلا وعند الله أكمل منه . قال صلى الله عليه وسلم : « إن فى الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » .

(٣) أى صلى نافلة ، وتلا فى صلاته عشر آيات عد من الذاكرين الله كثيراً، ومحيت عنه الغفلة ومن قام أى تهجد فى صلاته ، فقرأ فى مائة آية كتبه الله من الطائعين الخاشعين العابدين ، وفيه « تفكر ساعة خير من قنوت ليلة » ، وقال ابن الأنبارى : القنوت على أربعة أقسام : الصلاة ، وطول القيام ، وإقامة الطاعة ، والسكوت . اهـ ، ومنه :

ا ـ (وقوموا لله قانتين) : وقيل أى الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت أى الاشتغال بالعبادة، ورفض كل ما سواه سبحانه وتعالى ، فعليك أخى بكثرة القراءة فى الصلاة عسى أن تنال هذه الصفة . قال تعالى

ب ـ (إن إبراهيم كان أمة قانتا) .

ج ـ (يامريم اقنتى لربك) .

د ـ (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً) .

ابن خزيمة : إن صح الخبر فإنى لا أعرف أبا سرية بعدالة ولا جرح ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من هذه الطريق أيضاً إلا أنه قال : ومن قام بمائتى آية كتب من المقنطرين .

[قوله] من المقنطرين : أى ممن كتب له قنطار من الأجر .

[قال الحافظ]: مِنْ سُورَةِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ أَلْفُ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ .

٤٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَةٍ ، الْأُوقِيَةُ خَيْرٌ[1] مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . رواه ابن حبان فى صحيحه .

٤٤ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ أَرْبَعَمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْعَابِدِينَ[2] ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْحَافِظِينَ[3] ، وَمَنْ قَرَأَ سِتَّمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْخَاشِعِينَ[4] ، وَمَنْ قَرَأَ ثَمَانَمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُخْبِتِينَ[5] ، وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ

---

(١) أبقى نعيما من الدنيا وما فيها . (٢) الذين تفانوا فى طاعة مولاهم ، وأظهروا له الذل والخشوع دون سواه سبحانه . (٣) الذين أجادوا معرفته ، وعد من المطهرين المقربين الذين قال الله عنهم : (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) ماشاء الله ــ زيادة التلاوة فى الصلاة تنقى صحائف القارئ وتطهره من الآثام ، وتجعله فى صفوف الأبرار الصالحين الذين يخافون الله جل وعلا الذين يعنيهم الله بقوله :(ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

(٤) المتواضعين الذين يعنيهم الله بقوله : (فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) ٣٦ من سورة الحج.

(٥) الإخبات: زيادة التواضع والذلة لله، يقال أخبت لله تعالى: أى زاد تواضعاً: أربع خصال حازها المخبتون أولا : خوف الله . ثانياً : الصبر عند المصائب . ثالثا : إقامة الصلاة : رابعاً : الإنفاق فى الخيرات (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) .

صلاة التهجد سعادة ، وهى ثمرات دوحات نبتت فى قلوب المتقين فأزهرت

أى الصلاة بالليل بعد العشاء ، وأصله ترك الهجود ، وهو النوم : قال ابن فارس : المتهجد : المصلى ليلا وفى نسخة من الليل : أريد أن أبين للمسلمين أن القيام ليلا لذكر الله يجلب هناءة الضمير ، وقرة العين ، وانشراح الصدر :

أولا : لإزالة سلطة الشيطان عليه وقهره وفك عقد كسله (فأصبح نشيطاً) . ثانياً : سبب دخول الجنة وحصن منيع من النار ، وقد رأى سيدنا عبد الله بن عمر ملكين أخذاه إلى النار فقابله آخر قال (لن تراع لن تراع) فقص الرؤيا على أخته (السيدة حفصة) فقصتها على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

أَصْبَحَ لَهُ قِنطَارٌ ، وَالْقِنطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَةٍ ، وَالْأُوقِيَةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَوْ قَالَ : خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَيْ آيَةٍ كَانَ مِنَ الْمُوجِبِينَ .

رواه الطبرانى .

« نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل » فما ترك التهجد بعدئذ . قال شراح الحديث : فيه أن القيام بالليل يمنع عذاب النار وأى فرح وعز وشعور بالنجاة والسرور من أن يضمن الإنسان لنفسه السلامة من جهنم والفوز بجنة أعدها الله للمحسنين الصالحين . ثالثاً : يقف الخلائق للحساب إلا المتهجد فيمر بسلام .

رابعاً : لعل المتهجد يتفق دعاؤه ساعة تفتح لها أبواب رحمة الله تعالى فيجاب دعاؤه وينال سؤاله وتقضى آماله فينجح ويربح . خامسا : أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن قيام الليل يجدد للجسم نشاطه ، ويبعث الصحة ويقوى دورة الدم ، وينقيه باستنشاق نسيم السحر العليل البليل الجيل ، ويعطى الرئتين قوة ومناعة وتصح العينان ويسلم الرأس من عوارض الزكام والصداع وتطرد الأدواء عن الجسم (ومطردة للداء عن الجسد) كما قال صلى الله عليه وسلم ، وهو عليه الصلاة والسلام : (ماضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة) صدق أيها المسلم ، وأحى هذه العادة الجميلة لتحيا حياة الأبرار وتعيش عيشة الأخيار الأطهار . سادسا : تبادل الثقة بين الزوجين : الرجل يوقظ زوجته ، وهى توقظ زوجها ، وقد دعا لهما صلى الله عليه وسلم بالرحمة إن فعلا ذلك . هذه هى السعادة أن يتعاونا على طاعة الله ، وهنا تتجدد عرى الصداقة ، وتقوى روابط الأسرة ، ويزول سوء التفاهم وتشرق أنوار السعادة على هذا البيت فيخرج الزوج إلى عمله قرير العين مثلوج الفؤاد آمناً على عرضه مطمئناً على بيته . وقديما قيل : (رأس الحكمة مخافة الله) وأترك للقارئ حوادث سوء النية للزوج أو الزوجة اللذين لا يخافان الله وإنها لكثيرة : شقاق وكدر وغضب ومحاكم وتبرج ونزاع وإسراف وقلة أدب ، وهكذا مما يجره عدم العمل بكتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين ، ونسيان قوله تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة) . وقوله صلى الله عليه وسلم : « فصلى وأيقظ امرأته » . سابعاً : عد صلى الله عليه وسلم قيام الليل شرفا وسيادة وعلو نفس طاعة إلى كسب المعالى وجنى ثمار المحامد ، ولو كشف الله بصيرته لرأى جمال الهيئة ، وأنوار ملائكة الرحمة ، وفرح الحور العين بمماه وتجليات المولى جل وعلا عليه بالرحمة ، واستظلاله بظل الله ، والناس غافلون ، وقد نفى صلى الله عليه وسلم الخيبة فى طلبه ، والخسران فى عمله ، وكفل له الربح والفلاح ، وأمنه الله من المكاره ؟ وزال عنه الأخطار . ثامناً : تخفيف الطعام فى العشاء من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستريح المعدة ويهدأ نومه ؟ وهذا نهاية الطب ، ومجلب الصحة .

أدلة التهجد من القرآن

قال تعالى :

١ — (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً . وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ٨٢ من سورة الإسراء . قيل المراد بالصلاة صلاة المغرب ، ثم بين الله مبدأ الوقت ومنتهاه .

وقال صلى الله عليه وسلم « أتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل : لغروبها » (وقرآن الفجر) صلاة الصبح تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ، أو شواهد قدرة الخالق جل وعلا من تبدل ظلمة الليل بضياء النهار والنوم بالانتباه ليعتبر العقلاء ، فيقوموا لذكر الله ، وشاهدنا (ومن الليل فتهجد به) أى

[الموجب]: الذى أتى بفعل يوجب له الجنة، ويطلق أيضاً على من أتى بفعل يوجب له النار .

وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة ، والضمير للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة ، أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ، رحمه مقام يحمده القائم فيه وكل من عرفه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى » ثم دعا صلى الله عليه وسلم بدعاء (أدخلنى) أى فى القبر إدخالا مرضيا (وأخرجنى) أى منه عند البعث إخراجا ملقى بالكرامة ، أو أدخلنى يارب المدينة أو مكة ظاهراً عليها ، أو فيما حملتنى من أعباء الرسالة ، وأخرجنى من مكة سالما آمنا من المشركين ، أو أخرجنى مما حملتنى من أعباء الرسالة مؤديا حقه أو أدخلنى الغار وأخرجنى سالما ، وقونى بحجة تنصرنى على من خالفنى، أوملكا ينصر الإسلام على الكفر ، والحق: الإسلام ، والباطل: الشرك كان مضمحلا غير ثابت .

عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما ، فجعل ينكت بمخصرته فى عين واحد واحد منها فيقول : جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة ، وكان من صفر ، فقال ياعلى : ارم به فصعد فرمى به فكسره اهـ بيضاوى .

قال الشرقاوى : قد صحح النووى أنه نسخ عنه التهجد كما نسخ عن أمته ، قال : ونقله الشيخ أبو حامد عن النص ، وهو الأصح أو الصحيح ، فى مسلم عن عائشة رضى الله عنها مايدل عليه ، أو فضيلة لك فإنه قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وحينئذ فلم يكن فعل ذلك يكفر شيئاً ويرجع التكاليف كلها فى حقه عليه الصلاة والسلام قرة عين ، وإلهام طبع ، وتكون صلاته فى الدنيا مثل تسبيح أهل الجنة فى الجنة لا على وجه الكلفة والتكليف وهذا كله مفرع على طريقة إمام الحرمين من أن التكليف يستلزم الوعيد ، وأما على طريقة القاضى حيث يقول : لو أوجب الله تعالى شيئاً لوجب ، وإن لم يكن وعيد فلا يمتنع حينئذ بقاء التكاليف فى حقه عليه الصلاة والسلام على ما كانت عليه مع طمأنينته عليه الصلاة والسلام من ناحية الوعيد ، وعلى كلا التقديرين فهو معصوم ولا ذنب ولا عتب ، وأما أمره بالاستغفار فى قوله : (فسبح بحمد ربك واستغفره) فهو تعبد على الفرض والتقدير : أى استغفر مما عساه أن يقع لولا عصمتك . اهـ ص ٩ ج ٢ .

ب — (إن المتقين فى جنات وعيون ١٦ آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) ٢٠ سورة الذاريات .

ج — (ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) ٥ من سورة المزمل . يامتلففاً بثيابه .

روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففاً بمرط مفروش على عائشة رضى الله عنها وأصله المتزمل فأدغم التاء والزاى ، من تزمل الزمل : تحمل الحمل . أى ياأيها المتحمل أعباء النبوة : قم إلى الصلاة أو داوم عليها (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا) قولا : أى القرآن لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته (إن ناشئة الليل) أى إن النفس التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة ، من نشأ من مكانه إذا نهض وقام .

أو قيام الليل على أن الناشئة له، أو العبادة التى تنشأ بالليل : أى تحدث ، أو ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى (هى أشد وطأ) أى كلفة ، أو ثبات قدم ، وقرئ (وطاء) أى مواطأة القلب اللسان لها أو فيها أو موافقة لما يراد منها من الخضوع والإخلاص (وأقوم قيلا) أى وأسد مقالا أو أثبت قراءة لحضور القلب هذه الأصوات .

٤٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : مَنْ حَافَظَ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ فى لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، أَوْ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم ، ولفظه وهو رواية لابن خزيمة أيضاً قال :

مَنْ صَلَّى فى لَيْلَةٍ بِمِائَةِ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ صَلَّى فى لَيْلَةٍ بِمِائَتَىْ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ الْمُخْلِصِينَ . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

وفى رواية له قال فيها عَلَى شرط مسلم أيضاً: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فى لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ .

(إن لك فى النهار سبحاً طويلا واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) أى تقلباً فى مهماتك ، واشتغالا بها فعليك بالتهجد فإن مناجاة الحق تستدعى فراغا ،وقرئ (سبخاً) أى فراغا تفرغ قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه ، ودم على ذكر ربك ليلا ونهارا . وذكر الله يتناول كل مايذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة ، وقراءة قرآن ، ودراسة علم (وتبتل) وانقطع إليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه . اهـ بيضاوى .

أيها المسلم : هل تقتدى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمره الله بالتهجد فزاد كمالا ،ونصره الله ودانت له الأرض ، وعز ملكه ، وانتشر دينه صلى الله عليه وسلم ، ونال الشفاعة العظمى ، وخصه الله بمحامد ومكارم وأخلاق . قال تعالى : (وإن لك لأجراً غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم) صلى الله عليه وسلم (غير ممنون) غير مقطوع ، أو ممنون به عليك من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط لأنك تتحمل من قومك مالا يتحمل أمثالك ، وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن. ألست تقرأ القرآن ؟ بلى، اقرأ (قد أفلح المؤمنون) اللهم صل عليه وانفعنا بسنته ، ووفقنا لنهج منهجه إنك عزيز حكيم ، وقد أخبر الله تعالى فى محكم كتابه أنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا بالتهجد خير قيام . قال جل وعلا :

(إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) . (أدنى) أستعار الأدنى للأقل لأن الأقرب إلى الشىء أقل بعداً منه ، ويقوم بذلك جماعة من أصحابك ، ولايعلم مقادير ساعات الليل والنهار كما هى إلا الله سبحانه وتعالى ، ولن تحصوا تقدير الأوقات ، ولن تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام المقدر ، ورفع التبعة كما رفع التبعة عن التائب (فاقرءوا ماتيسر من القرآن) : فصلوا ماتيسر عليكم من صلاة الليل ، عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بذاتر أركانها ، وقيل : فاقرءوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم والضرب فى الأرض : المسافرة للتجارة أو لتحصيل العلم . اهـ بيضاوى (فاقرءوا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) المفروضة .

الترهيب من صلاة الإنسان وقراءته حال النعاس

١ — عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ . رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائىّ ، ولفظه :

إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَنْصَرِفْ فَلَعَلَّهُ يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي .

٢ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَؤُهُ . رواه البخارىّ والنسائىّ إلا أنه قال :

إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَنْصَرِفْ(١) وَلْيَرْقُدْ .

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ(٢) الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ(٣) فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ(٤) فَلْيَضْطَجِعْ(٥) . رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، رحمهم الله تعالى .

---

(١) كذا ن ع ، ط ، وفى د من الصلاة : نعس أخذه النوم . يقال نعس نعسة ونعاساً ، وهو الوسن وأول النوم . نهى صلى الله عليه وسلم أن يستمر الناعس فى صلاته خشية أن يدعو على نفسه وهو لا يدرى ، وخشية عدم إتمام الأركان فليقطع صلاته ولينم حتى يذهب عنه النوم وحتى يذهب ليفعل الوسائل التى تزيل وسنه ، وفيه أن المصلى لابد أن يملك شعوره ، ويعلم حركاته وأقواله ، وأن المتهجد إذا لم يذهب نومه بل غلبه ينام أحسن من الاستمرار فى الصلاة خوفا من الخلط وسب نفسه . (٢) استغلق .

(٣) أى ثقلت عليه القراءة كالأعجمى لغلبة النعاس . قال العلقمى : قال القرطبي : القرآن مرفوع على أنه فاعل استعجم أى صارت قراءته كالعجمية لاختلاف حروف النائم وعدم بيانها .

(٤) أى صار لنعاسه لا يفهم ما ينطق به .

(٥) قال المناوى : للنوم ندبا إن خف النعاس بحيث يعقل القول ، أو وجوبا إن غلبه بحيث أفضى إلى الإخلال بواجب اهـ . وقال العلقمى : لئلا يغير كلام الله ويبدله اهـ ، وقال الحفنى : والتقييد بالليل للغالب من أن النوم فى الليل ، وإلا فالنوم فى النهار كذلك اهـ جامع صغير ص ١٥٢ .

وأقول : ينام إذا كان فى تهجد ليلا ، أو نافلة نهاراً . أما إذا كان يصلى الفرض ، وينام فيقطع صلاته ويرش على وجهه الماء ، ويذهب النوم عنه ، ويصلى خشية أن يضيع الوقت ، وخوفا من ذهاب الفضيلة والله سبحانه وتعالى أعلم .

الترهيب من نوم الإنسان إلى الصباح وترك قيام شيء من الليل

١ — عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ قَالَ : ذَاكَ[1] رَجُلٌ بَالَ[2] الشَّيْطَانُ فِى أُذُنَيْهِ ، أَوْ قَالَ فِى أُذُنِهِ . رواه البخارى ومسلم والنسائى ، وابن ماجه وقال :

فِى أُذُنَيْهِ عَلَى التَّثْنِيَةِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة وقال: فى أُذُنِهِ عَلَى الإِفْرَادِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ، وزاد فى آخره . قال الحسن : إِنَّ بَوْلَهُ وَاللهِ ثَقِيلٌ .

٢ — وروى الطبرانى فى الأوسط حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ولفظه قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّيْلِ أَتَاهُ مَلَكٌ[3] فَقَالَ لَهُ : قُمْ فَقَدْ أَصْبَحْتَ ، فَصَلِّ[4] وَاذْكُرْ رَبَّكَ ، فَيَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ وَسَوْفَ تَقُومُ ، فَإِنْ قَامَ فَصَلَّى أَصْبَحَ نَشِيطاً خَفِيفَ الْجِسْمِ قَرِيرَ الْعَيْنِ[5] ، وَإِنْ هُوَ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ حَتَّى أَصْبَحَ بَالَ فِى أُذُنِهِ .

٣ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْل . رواه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم .

---

(١) كذا ن ط و ع ص ٢١١ ، وفى د : ذلك .

قال النووى : وفيه الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع ، وفراغ قلب ونشاط ، وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس ، وهذا عام فى صلاة الفرض والنفل فى الليل والنهار ، وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور لكن لا يخرج فريضة عن وقتها . قال القاضى : وحمله جماعة ومالك على نفل الليل ، لأنه محل النوم غالبا . اهـ ص ٧٤ ج ٦ . (٢) قيل : معناه سخر منه ، وظهر عليه حتى نام عن طاعة الله عز وجل كقول الشاعر : * بال سهيل فى الفضيخ ففسد *

أى لما كان الفضيخ يفسد بطلوع سهيل كان ظهوره عليه مفسدا له . وعن الحسن مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فإذا نام شغر الشيطان برجله فبال فى أذنه » اهـ نهاية . وسهيل الفضيخ كوكبان ، وشغر رفع إحدى رجليه ليبول وشغرت المرأة : رفعت رجلها للنكاح ، وشغر البلد شغوراً من باب قعد إذا خلا عن حافظ يمنعه . تعبير فى غاية الأدب ، ومنتهى الحكمة .

والمعنى أن الشيطان يسلح على الغافل تارك التهجد . وهو كالتغوط للإنسان .

(٣) من ملائكة الرحمة الحفظة . (٤) قربت فى السحر فتهجد . (٥) مسرورا ، أقر الله عينه أعطاه حتى تفرح ، فلا تطمح إلى من هو فوقه ، ودمعة السرور باردة ، والحزن حارة .

٤ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ رواه مالك والبخارى ومسلم، وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وعنده:

فَيُصْبِحُ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَصْبَحَ كَسْلَانَ خَبِيثَ النَّفْسِ لَمْ يُصِبْ خَيْرًا، وَتَقَدَّمَ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ.

٥ — وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ لِسُلَيْمَانَ: يَا بُنَيَّ: لَا تُكْثِرِ[1] النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَتْرُكُ الرَّجُلَ فَقِيرًا[2] يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه ابن ماجه والبيهقي، وفي إسناده احتمال للتحسين.

٦ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضاً أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى يَنَامُ إِلَّا وَعَلَيْهِ جَرِيرٌ مَعْقُودٌ، فَإِنْ هُوَ تَوَضَّأَ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَصْبَحَ نَشِيطاً قَدْ أَصَابَ خَيْرًا وَقَدِ انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، وَإِنِ اسْتَيْقَظَ وَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ أَصْبَحَ وَعُقَدُهُ عَلَيْهِ، وَأَصْبَحَ ثَقِيلاً كَسْلَانَ وَلَمْ يُصِبْ خَيْرًا. رواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، واللفظ لابن حبان، وتقدم لفظ ابن خزيمة.

٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ[3] صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ حِمَارٍ بِالنَّهَارِ

(١) كذا ن ع ص ٢١٢، وفي ن ط تلغز. (٢) خاليا من الحسنات.

(٣) يخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الإنسان للعمل والعبادة. قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ٥٩ من سورة الذاريات، أي لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها وجعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لناف ظاهر قوله (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس) ذرأ خلق، وقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين) وقيل معناه إلا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن علي رضي الله عنه، وقيل إلا ليكونوا عبادا لي، والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: كل عبادة في القرآن توحيد، والكل يوحدونه في الآخرة، قال تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن

عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ . رواه ابن حبان فى صحيحه والأصبهانى ، وقال أهل اللغة : الجَعْظَرِىُّ: الشَّدِيدُ الغَلِيظُ ، وَالجَوَّاظ : الأَكُولُ ، وَالصَّخَّابُ: الصَّيَّاحُ، انتهى.

الترغيب فى آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى

١ — عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْنَا فى لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ . نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ بِنَا فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئاً ، ثُمَّ قَالَ قُلْ ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئاً ، ثُمَّ قَالَ قُلْ . قُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ: مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : هُوَ اللهُ أَحَدٌ(١) ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ(٢) حِينَ تُصْبِحُ وَحِينَ تُمْسِى ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ(٣) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . رواه أبو داود ، واللفظ له والترمذى ، وقال : حسن صحيح غريب ، ورواه النسائى مُسْنَدًا وَمُرْسَلًا .

٢ — وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،

قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (ما أريد منهم من رزق) أى ما أريد أن أصرفكم فى تحصيل رزق فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له أو المأجورين به ، والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة من عبيدهم فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ، والله تعالى يرزق كل من يفتقر إلى الرزق ، وفيه إيماء باستغنائه عنه سبحانه غنى شديد القوة ، وإذا عرفت معنى هذه الآية علمت أن الذى خلق ليأكل مذموم وتراه معتنيا بملذاته ويرفه فيغلظ جسمه ويتضخم ثم يتفنن فى الطعام والشراب ، وينسى حقوق الله ويترك الصدقة ثم يكثر اللغط والسباب والفسوق والصياح ، ولا يذكر الله تعالى ، فالله ينتقم منه ويعذبه يوم القيامة ، ويعم عنه سبحانه وتعالى رحمته ويحل عليه سخطه .

(حمار بالنهار) أى شغال لجمع الدنيا ، ولا يتفقه فى الدين ، وعالم بظاهر الحياة بلا عمل صالح ، قال تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) .

(١) (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

(٢) (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد) (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) .

(٣) تمنع عنك الأذى وتحصنك بالله ، وتطرد عنك السوء ، وحسبك أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ثوابا وحسنات القارئ ، وفى المعوذتين طلب الاستعاذة برب فالق الصبح : أى منوره ، ومزيل ظلمة العدم بنور الإيجاد يقيه شر خلقه ، وظلام ليله والنفوس والسواحر والحساد ، والاستعاذة برب الناس تبعد الأضرار التى تعرض النفوس البشرية ، ووسواس الشيطان .

وَقَرَأَ ثَلاَثَ آيَاتٍ[(١)] مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ[(٢)] حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنْ مَاتَ فِى ذٰلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا[(٣)] ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ . رواه الترمذى من رواية خالد بن طهمان ، وقال : حديث غريب ، وفى بعض النسخ حسن غريب .

٣ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ :[فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ] أَدْرَكَ مَافَاتَهُ[(٤)] فِى يَوْمِهِ ذٰلِكَ ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي أَدْرَكَ مَافَاتَهُ فِى لَيْلَتِهِ . رواه أبو داود ولم يضعفه، وتكلم فيه البخارى فى تاريخه .

٤ - وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : سَيِّدُ[(٥)] الِاسْتِغْفَارِ : اللّٰهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ[(٦)] وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ[(٧)] وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ[(٨)] ، أَعُوذُ بِكَ[(٩)] مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ

---

(١) من قوله تعالى : (هو الذى لاإله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ٢٣ هو الله الذى لاإله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ٢٤ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ٢٥ من سورة الحشر . (٢) يدعون ويستغفرون له . (٣) كثير الأجر . (٤) من تحصيل الحسنات .

(٥) أفضله وأحسنه ، صيغة تجلب الثواب الوفير ، وتؤثر فى العبد التائب ، قال الشرقاوى : والسيد : اسم الرئيس المقدم الذى يعتمد عليه فى الحوائج ، ويرجع إليه فى الأمور استعير لهذا الدعاء الذى هو جامع لمعانى التوبة كلها ، والاستغفار : استفعال من الغفر ، وهو إلباس الشىء بما يصونه من الدنس ، ومنه قيل : اغفر ثوبك فى الوعاء ، فإنه أغفر للوسخ والغفران ، والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، والأفضل الأكثر ثوابا عند الله ، فالمراد أن المستغفر بهذا النوع من الاستغفار أكثر ثوابا من المستغفر بغيره اهـ ص ٣٦١ ح ٣ . (٦) وأنا خاضع لك عابد لجلالك .

(٧) إنى موقن بالإيمان بك ، وإخلاص الطاعة لك ماش على ماعاهدتك عليه وواعدتك به من السير على ضوء القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٨) جهد الطاقة ، قال الشرقاوى : فيه إشارة إلى الاعتراف بالعجز والقصور عما يجب لحقه تعالى ، وقد يراد بالعهد كما قال ابن بطال : العهد الذى أخذه الله تعالى على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) فأقروا له بالربوبية ، وأذعنوا له بالوحدانية ، وبالوعد ماقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: إن من مات لايشرك بالله شيئا وأدى ماافترض عليه أن يدخله الجنة اهـ .

(٩) أستجير بك يارب من شر نفسى ، وأتحصن بك من الوقوع فى الهاوية ، وألجأ إليك بطلب التوفيق إليك تهدى من أحببت ، وتحفظ من أردت ، وتبعد يارب عنى سلطان الشيطان .

أَبُوءُ[1] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي[2] فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ[3] مَنْ قَالَهَا[4] مُوقِنًا بِهَا[5] حِينَ يُمْسِي ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ[6] ، وَمَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا حَتَّى يُصْبِحَ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ .رواه البخارى والنسائى والترمذى. وعنده:

لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَلَا يَقُولُهَا حِينَ يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ،وَلَيْسَ لِشَدَّادٍ فى البخارى غيرهذا الحديث،ورواه أبوداود،وابن حبان والحاكم من حديث بريدة رضى الله عنه

[أبوء] : بباء موحدة مضمومة ، وهمزة بعد الواو ممدوداً معناه : أقرّ وأعترف .

٥ — وَرُوِيَ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: لَيْسَ مِنَّا[7] مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ ،وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ امْرَأً مُسْلِمًا فِي أَهْلِهِ وَخَادِمِهِ وَمَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ، وَحِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ[8] عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ ، فَإِنْ قَالَهَا مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ حِينَ يُصْبِحُ

---

(١) أعترف أنك أنت المنعم المتفضل على ، أياديك جمة، وإحسانك يترى ، لاأحصى ثناء عليك .

(٢) أعترف أو أرجع بذنبي فلا أستطيع صرفه عنى .

(٣) قال فى شرح المشكاة : اعترف أولا بأنه أنعم عليه ولم يقيده ليشمل كل الإنعام ، ثم اعترف بالتقصير ، وأنه لم يقم بأداء شكرها ، وعده ذنباً مبالغة فى التقصير وهضم النفس اه ، قال فى الفتح : ويحتمل أن يكون قوله « أبوء لك بذنبي » اعترافا بوقوع الذنب مطلقا ليصح الاستغفار منه ، لا أنه عد ماقصر فيه من أداء شكر النعم ذنباً . (٤) أى بهذه الصيغة . (٥) مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها من الله عز وجل .

(٦) قال الشرقاوى : أى مع الداخلين لها ابتداء من غير دخول نار لأن الغالب أن المؤمن بحقيقتها الموقن بمضمونها لايعصى الله متعمداً عصيانه ، أو أن الله تعالى يعفو عنه ببركة هذا الاستغفار اه . قال الشرقاوى : ويحتمل أن يكون هذا فيمن قالها ومات قبل أن يفعل مايغفر له به ذنوبه ، قال بعضهم : ولا يكون هذا سيد الاستغفار إلا إذا جمع شروط الاستغفار ، وهى صحة النية والتوجه والأدب . وقد جمع هذا الحديث من بديع المعانى وحسن الألفاظ مايحق له أن يسمى سيد الاستغفار ؛ ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية والعبودية ، والاعتراف بأنه الخالق ، والإقرار بالعهد الذى أخذه عليه ، والرجاء بما وعد به ، والاستعاذة من شر ماجنى العبد على نفسه ، وإضافة النعماء إلى موجدها ، وإضافة الذنب إلى نفسه ، ورغبته فى المغفرة ، واعترافه بأنه لايقدر أحد على ذلك إلا هو ، وفى كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة ، وأن تكاليف الشريعة لاتحصل إلا بمعونة الله تعالى اه .

(٧) على ملتنا السمحاء ، وعلى ديننا القويم . (٨) كذا ن ع ص ٢١٣، وفى ن ط: أبوء لك .

فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ مَاتَ شَهِيداً ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيداً . رواه أبو القاسم الأصبهانى وغيره .

٦ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ مَالَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ ؟ قَالَ : أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ(١) مِنْ شَرِّ مَاخَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ . رواه مالك ومسلم ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه والترمذى وحسنه ، ولفظه :

مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَاخَلَقَ لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . قَالَ سُهَيْلٌ : فَكَانَ أَهْلُنَا تَعَلَّمُوهَا فَكَانُوا يَقُولُونَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَلُدِغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعاً . رواه ابن حبان فى صحيحه بنحو الترمذى .

[الحمة] : بضم الحاء المهملة ، وتخفيف الميم : هو السمّ ، وقيل : لدغة كل ذى سمّ ، وقيل : غير ذلك .

٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ، وَحِينَ يُمْسِي : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ(٢) . رواه مسلم واللفظ له والترمذى والنسائى ، وأبو داود ، وعنده :

سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، ورواه ابن أبى الدنيا والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم ، ولفظه :

مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ(٣) مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَإِذَا أَمْسَى مِائَةَ مَرَّةٍ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ(٤) .

---

(١) تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه ، وحسبك من كان الله مجيره وواقيه ، إنه فى أمان وسلام (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) .

(٢) من حافظ على هذا الورد ضاعف الله ثوابه وأكثر حسناته يوم القيامة ، ويساويه فى الثواب من قال مثله إلا إذا زاد عن المائة ، فيحوز ثواباً أكثر ، وأجراً أوفر ، وفيه تنزيه الله والثناء عليه وتسبيحه .

(٣) فى الصباح وفى المساء . (٤) غفرت ذنوبه الصغائر وإن كثرت .

٨ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فى يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ[1] عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا[2] مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِىَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ. رواه البخارى ومسلم.

٩ — وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَامِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فى صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِى لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فى الْأَرْضِ وَلاَ فى السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ، وَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَبَانُ: مَاتَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّى لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِىَ اللهُ قَدَرَهُ[3]. رواه أبو داود والنسائى، وابن ماجه والترمذى، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

١٠ — وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِىَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللهُ[4] مَا أَهَمَّهُ صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا. رواه أبو داود هكذا موقوفًا، ورفعه ابن السنى وغيره، وقد يقال: إِنَّ مِثْلَ هَذَا لاَ يُقَالُ مِنْ قِبَلِ الرَّأْىِ وَالاجْتِهَادِ فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الْمَرْفُوعِ.

١١ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِى: اللَّهُمَّ إِنِّى أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ،

(١) بفتح العين وكسرها قدر: أى يساوى ثواب من فك أغلال عشرة أشخاص كانوا أذلاء.

(٢) حصناً حصيناً يبعد مكايد الشيطان ووساوسه. (٣) المعنى أن الذى يحافظ على هذا الورد يقيه الله شر الأمراض ويبعد عنه الأخطار، وسيدنا أبان كان محافظاً على قراءة هذا الورد، ولكن سها يوما لينفذ قدر الله فيه.

(٤) يهدئ الله روعه، ويزيل آلامه، ويحفظه من الأعداء، ويمنع عنه الأدواء، سواء أقال هذا الورد معتقداً صدقه مؤمناً بنائدته أو هازلا كاذبا فى اعتقاده، يحقق الله رعايته ويكفيه الشرور تفضلا وجزاء تلاوة اسمه سبحانه.

وَمَلاَئِكَتَكَ ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ ، فَمَنْ(١) قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلاَثًا ، أَعْتَقَ اللهُ ثَلاَثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا : أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ.

رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذى بنحوه وقال: حديث حسن ، والنسائى ، وزاد فيه بعد:

إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

وَلَمْ يَقُلْ : أَعْتَقَ اللهُ إِلَي آخِرِهِ ، وَقَالَ : إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا أَصَابَ مِنْ ذَنْبٍ فِي يَوْمِهِ ذٰلِكَ ، فَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا أَصَابَ فِي لَيْلَتِهِ تِلْكَ ، وَهُوَ كَذٰلِكَ عِنْدَ التِّرمذيّ.

١٢ – وَعَنْ أَبِي عَيَّاشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . كَانَ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمٰعِيلَ ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ ، فَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَي كَانَ لَهُ مِثْلُ ذٰلِكَ حَتَّي يُصْبِحَ . قَالَ حَمَّادٌ : فَرَأَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَبَا عَيَّاشٍ يُحَدِّثُ عَنْكَ بِكَذَا وَكَذَا . قَالَ : صَدَقَ أَبُو عَيَّاشٍ . رواه أبو داود ، وهذا لفظه ، والنسائى وابن ماجه وابن السنى ، وزاد :

يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وأتفقوا كلهم على المنام.

[أبو عياش] : بالياء المثناة تحت والشين المعجمة ، ويقال ابن أبى عياش : ذكره الخطيب ، ويقال ابن عياش الزرقى الأنصارى : ذكره أبو أحمد والحاكم ، واسمه زيد ابن الصامت ، وقيل زيد بن النعمان ، وقيل غير ذلك ، وليس له فى الأصول الستة غير هذا الحديث فيما أعلم ، وحديث آخر فى قصر الصلاة ، رواه أبو داود .

[العدل] بالكسر وفتحه لغة : هو المثل ، وقيل : بالكسر : ماعادل الشيء من جنسه . وبالفتح : ماعادله من غير جنسه .

---

(١) ع : ومن قالها من ٢٦٤ .

١٣ — وَعَنْ أَبِي سَلَّامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ مَمْطُورٌ الْحَبَشِيُّ أنه كَانَ فِي مَسْجِدِ حِمْص فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالُوا: هٰذَا خَادِمُ[1] رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: فَقَامَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَتَدَاوَلْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرِّجَالُ[2]، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم رَسُولاً إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ. رواه أبوداود واللفظ له والترمذى من رواية أبى سعد سعيد بن المَرْزُبَانِ عن أبى سلمةَ عن ثوبانَ، وقال: حديث حسن غريب، وفى بعض النسخ: حسن صحيح، وهو بعيد وعنده: وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا فينبغى أن يُجمع بينهما فيقال: وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا رَسُولاً. ورواه ابن ماجه عن سابق عن أبى سَلَّامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَادِمِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ورواه أحمد والحاكم فقالا: عن أبى سلام سابق بن ناجية، وعند أحمد أنه يَقُولُ: ذٰلكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ، وهو فى مسلم من حديث أبى سعيد: مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، وَقَالَ فى آخره: وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، صحح ابن عبد البر النمرى فى الاستيعاب رواية ابن ماجه، وقال رواه وَكِيعٌ عن مِسْعَرٍ عن أبى عَقِيلٍ عن أبى سَلَامَةَ عن سابق، فأخطأ فيه، وكذا فى سَلَّام أبى سلامة فأخطأ فيه. قال: ولا يصح سابق فى الصحابة.

١٤ — وَعَنِ الْمُنَيْذِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، وَكَانَ يَكُونُ بِإِفْرِيقِيَّةَ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ[3] لَآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. رواه الطبرانى بإسناد حسن.

١٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللّٰهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ

(١) كذا ع ص ٢١٦، وفى ن ط: خدم.

(٢) الكذاب (٣) قائده الذى أتولى أموره ورئيسه.

ذٰلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ . رواه أبو داود والنسائى واللفظ له ، ورواه ابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس بلفظ دون ذكر المساء ، ولعله سقط من أصلى .

١٦ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَبَّحَ اللهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ(١) وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ(٢) كَانَ كَمَنْ حَجَّ مِائَةَ حَجَّةٍ ، وَمَنْ حَمِدَ اللهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ ، وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَمَلَ(٣) عَلَى مِائَةِ فَرَسٍ فِى سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ قَالَ : غَزَا مِائَةَ غَزْوَةٍ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ هَلَّلَ اللهَ(٤) مِائَةً بِالْغَدَاةِ ، وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمٰعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَنْ كَبَّرَ اللهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ ، وَمِائَةً بِالْعَشِيِّ لَمْ يَأْتِ فِى ذٰلِكَ الْيَوْمِ أَحَدٌ بِأَكْثَرَ مِمَّا أَتَى بِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ ، أَوْ زَادَ عَلَى مَا قَالَ . رواه الترمذى من رواية أبى سفيان الحميرى، واسمه سعيد بن يحيى عن الضحاك بن حمرة عن عمرو بن شعيب، وقال: حديث حسن غريب.

[قال الحافظ] : وأبو سفيان والضحاك وعمرو بن شعيب يأتى الكلام عليهم ، ورواه النسائى ، ولفظه :

مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ(٥) ، وَمَنْ قَالَ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا (فِى سَبِيلِ اللهِ) وَمَنْ قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ(٦) مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ ، وَمَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ .

---

(١) صباحا (٢) مساء (٣) جاهد. وليس فى ن ع فى سبيل الله.

(٤) ذكره سبحانه وتعالى وأكثر من ذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٥) ثوابها عند الله تعالى أكثر من رجل نحر مائة ناقة ووزع لحومها للفقراء والمساكين وقبل الغروب أكثر ثوابا من الغزو على مائة حصان فى سبيل نصر الله ، وهذا ترغيب فى المداومة على قراءة هذه الصيغة.

(٦) المعنى أن ثوابها عند الله جزيل أكثر من ثواب عتق مائة شخص كتب عليه الأسر والذل .

١٧ — وَعَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّهُ حَدَّثَتْهُ ، وَكَانَتْ تَخْدُمُ بَعْضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : أَنَّ ابْنَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَتْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعَلِّمُهَا فَيَقُولُ : قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ(١) حَتَّى يُمْسِيَ ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ . رواه أبو داود والنسائى. وأمُّ عبد الحميد لا أعرفها.

١٨ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي . اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي . اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ ، وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي ، وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ(٢) مِنْ تَحْتِي . قَالَ وَكِيعٌ : وَهُوَ ابْنُ الْجَرَّاحِ : يَعْنِي الْخَسْفَ . رواه أبو داود واللفظ له ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

١٩ — وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ، وَهُوَ فِي أَرْضِ الرُّومِ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَالَ غُدْوَةً(٣) : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ قَدْرَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَأَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ قَالَهَا عَشِيَّةً مِثْلَ ذَلِكَ . رواه أحمد والنسائى واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه ، وتقدم لفظه فيما يقول بَعْدَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ . وزاد أحمد فى روايته بعد قوله : وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَقَالَ : كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَهُ اللهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ كَعَشْرِ رِقَابٍ ،

---

(١) وقاه الله السوء ، وأبعد عنه الشيطان ومنع عنه الأخطار .
(٢) تفتح له الأرض فيصير فى باطنها . (٣) صباحا .

وَكُنَّ لَهُ مَسْلَحَةً[1] مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ ، وَلَمْ يَعْمَلْ يَوْمَئِذٍ عَمَلاً يَقْهَرُهُنَّ فَإِنْ قَالَهَا[2] حِينَ يُمْسِي فَمِثْلُ ذَلِكَ . ورواه الطبرانى بنحو أحمد ، وإسنادهما جيد .

[المسلحة] : بفتح الميم واللام ، وبالسين والحاء المهملتين : القوم إذا كانوا ذوى سلاح .

٢٠ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : لاَ يَدَعُ رَجُلٌ مِنْكُمْ أَنْ يَعْمَلَ لِلهِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَيْ حَسَنَةٍ حِينَ يُصْبِحُ يَقُولُ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ فَإِنَّهَا أَلْفَا حَسَنَةٍ ، وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَعْمَلَ فى يَوْمِهِ مِنَ الذُّنُوبِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَكُونُ مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ سِوَى ذَلِكَ وَافِرًا . رواه الطبرانىّ ، واللفظ له وأحمد ، وعنده ألفُ حسنةٍ .

٢١ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَرَأَ الدُّخَانَ كُلَّهَا ، وَأَوَّلَ حم غَافِرٍ إِلَى وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهَا حَتَّي يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهَا حَتَّى يُمْسِيَ . رواه الترمذى ، وقال حديث غريب ، وقد تكلم بعضهم فى عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبى مليكة من قِبَلِ حِفْظِهِ .

٢٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : مَنِ اسْتَفْتَحَ أَوَّلَ نَهَارِهِ بِخَيْرٍ ، وَخَتَمَهُ بِخَيْرٍ . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلاَئِكَتِهِ : لاَ تَكْتُبُوا عَلَيْهِ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ . رواه الطبراني ، وإسناده حسن إن شاء الله .

٢٣ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ آمَنْتُ بِكَ مُخْلِصاً لَكَ دِينِي إِنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ شَرِّ عَمَلِي ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِذُنُوبِي الَّتِى لاَ يَغْفِرُهَا إِلاَّ أَنْتَ ، فَإِنْ مَاتَ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّى وَأَنَا عَبْدُكَ آمَنْتُ بِكَ مُخْلِصاً لَكَ دِينِى ، إِنِّي أَمْسَيْتُ عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ شَرِّ عَمَلِي ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِذُنُوبِى الَّتِى لاَ يَغْفِرُهَا إِلاَّ أَنْتَ ، فَمَاتَ فِى تِلْكَ

(١) سلاحا حادا يصد عنه الأذى .. (٢) كذا ع ص ٢٠١٨ ، وفى ن ط : من قال .

اللَّيْلَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم يَحْلِفُ مَالاَ يَحْلِفُ عَلَى غَيْرِهِ، يَقُولُ : وَاللهِ مَاقَالَهَا عَبْدٌ فِى يَوْمٍ فَيَمُوتُ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَ إِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِى فَتُوُفِّىَ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ . رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط واللفظ له .

٢٤ — وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ صلى اللهُ عليه وَسلم يَحْلِفُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لاَ يَسْتَثْنِى إِنَّهُ مَامِنْ عَبْدٍ يَقُولُ هٰؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ فَيَمُوتُ مِنْ يَوْمِهِ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَذَكَرَهُ بِاخْتِصَارٍ إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ : أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ سَيِّئِ عَمَلِي، وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ قَوْلِهِ شَرِّ عَمَلِي ، وَلَعَلَّهُ تَصْحِيفٌ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ .

٢٥ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ فَقَدِ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللهِ ، وَكَانَ آخِرَ يَوْمِهِ عَتِيقَ اللهِ . رواه الطبرانى فى الأوسط والخرائطى والأصبهانى وغيرهم .

٢٦ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لِفَاطِمَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا : مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَاأُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ : يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ . رواه النسائى والبزار بإسناد صحيح ، والحاكم ، وقال صحيح على شرطهما.

٢٧ — وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ فَكَانَ يَنْقُصُ فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلاَمِ الْمُحْتَلِمِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ، فَقَالَ : مَاأَنْتَ جِنِّىٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ ؟ قَالَ : جِنِّىٌّ . قَالَ : فَنَاوِلْنِى يَدَكَ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ . قَالَ : هٰذَا خَلْقُ الْجِنِّ ؟ قَالَ : قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَافِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّى ، قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ : بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ . قَالَ : فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ ؟ قَالَ : هٰذِهِ الْآيَةُ الَّتِى فِى سُورَةِ الْبَقَرَةِ [اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ

ذٰلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : صَدَقَ الخَبِيثُ . رواه النسائى والطبرانى بإسناد جيد ، واللفظ له .

[الجرن] : بضم الجيم وسكون الراء : هو البيدر ، وكذلك الجرين .

٢٨ — وَعَنِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ : أَلاَ أُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِرَاراً ، وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ مِرَاراً ؟ وَمِنْ عُمَرَ مِرَاراً ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى : اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي ، وَأَنْتَ تَهْدِينِي ، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي ، وَأَنْتَ تَسْقِينِي ، وَأَنْتَ تُمِيتُنِي ، وَأَنْتَ تُحْيِينِي لَمْ يَسْأَلِ اللهَ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ . قَالَ : فَلَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلِيمٍ ، فَقُلْتُ : أَلاَ أُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم مِرَاراً ، وَمِنْ أَبِي بَكْرٍ مِرَاراً ، وَمِنْ عُمَرَ مِرَاراً ؟ قَالَ : بَلَى ، فَحَدَّثْتُهُ بِهٰذَا الحَدِيثِ فَقَالَ : بِأَبِي وَأُمِّي قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هٰؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْطَاهُنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَكَانَ يَدْعُو بِهِنَّ فى كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَلاَ يَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ . رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن .

٢٩ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً ، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ .

رواه الطبرانى بإسنادين أحدهما جيد .

٣٠ — وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَلَّمَهُ دُعَاءً ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَهُ ، وَيَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ فى كُلِّ يَوْمٍ . قَالَ : قُلْ حِينَ تُصْبِحُ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالخَيْرُ فى يَدَيْكَ ، وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ ، أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ ، أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَا شِئْتَ كَانَ وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . اللَّهُمَّ مَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلاَةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ إِنَّكَ وَلِيِّي فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً ، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَا ، وَبَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَي وَجْهِكَ ، وَشَوْقاً إِلَي لِقَائِكَ فى غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ . وَأَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ أَنْ أَظْلِمَ ، أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَعْتَدِيَ ، أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ ، أَوْ أَكْسِبَ

خَطِيئَةً ، أَوْ ذَنْبًا لاَ تَغْفِرُهُ. اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ ، فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِى هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأُشْهِدُكَ ، وَكَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا ، أَنِّى أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ ، لاَ شَرِيكَ لَكَ ، لَكَ الْمُلْكُ ، وَلَكَ الْحَمْدُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ ، وَلِقَاءَكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّكَ تَبْعَثُ مَنْ فِى الْقُبُورِ ، وَأَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَعِيفٍ ، وَعَوْرَةٍ ، وَذَنْبٍ ، وَخَطِيئَةٍ ، وَإِنِّى لاَ أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ ، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.
رواه أحمد والطبراني والحاكم ، وقال: صحيح الإسناد ، وروى ابن أبي عاصم: منه إلى قوله بعد القضاء .

٣١ - وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَنْ مَقَالِيدِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ . تَفْسِيرُهَا : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ ، وَاللّٰهُ أَكْبَرُ ، وَسُبْحَانَ اللّٰهِ وَبِحَمْدِهِ ، أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّٰهِ ، الْأَوَّلِ الْآخِرِ ، الظَّاهِرِ الْبَاطِنِ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، يَا عُثْمَانُ مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ عَشْرَ مَرَّاتٍ أَعْطَاهُ اللّٰهُ بِهَا سِتَّ خِصَالٍ . أَمَّا وَاحِدَةٌ : فَيُحْرَسُ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَيُعْطَى قِنْطَارًا فِى الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَتُرْفَعُ لَهُ دَرَجَةٌ فِى الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ : فَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَأَمَّا الْخَامِسَةُ : فَلَهُ فِيهَا مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَأَمَّا السَّادِسَةُ يَا عُثْمَانُ : لَهُ كَمَنْ حَجَّ وَاعْتَمَرَ فَقَبِلَ اللّٰهُ حَجَّهُ وَعُمْرَتَهُ ، وَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ خُتِمَ لَهُ بِطَابَعِ الشُّهَدَاءِ . رواه ابن أبى عاصم ، وأبو يعلى ، وابن السنى ، وهو أصلحهم إسناداً وغيرهم وفيه نكارة ، وقد قيل فيه موضوع ، وليس ببعيد ، والله أعلم .

٣٢ - وَرُوِيَ عَنْ أَبَانَ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى : رَبِّيَ اللّٰهُ لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ إِلاَّ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَكَذٰلِكَ إِنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ.
رواه البزار وغيره .

٣٣ – وَعَنْ وُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَجُلٌ إِلَى الْجَبَّانَةِ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ : فَسَمِعْتُ حِسًّا وَأَصْوَاتًا شَدِيدَةً وَجِيءَ بِسَرِيرٍ حَتَّى وُضِعَ ، وَجَاءَ شَيْءٌ حَتَّى جَلَسَ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جُنُودُهُ ، ثُمَّ صَرَخَ فَقَالَ: مَنْ لِي بِعُرْوَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ حَتَّى قَالَ:مَاشَاءَ اللهُ مِنَ الأَصْوَاتِ؟ فَقَالَ وَاحِدٌ أَنَا أَكْفِيكَهُ قَالَ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ،ثُمَّ أَوْشَكَ الرَّجْعَةَ فَقَالَ: لَاسَبِيلَ لِي إِلَي عُرْوَةَ . قَالَ: وَيْلَكَ لِمَ ؟ قَالَ : وَجَدْتُهُ يَقُولُ كَلِمَاتٍ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَي فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ مَعَهُنَّ . قَالَ الرَّجُلُ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قُلْتُ لِأَهْلِي جَهِّزُونِي ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ حَتَّي دُلِلْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَقُلْتُ شَيْئًا تَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ ، فَأَبَى أَنْ يُخْبِرَنِي ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ وَمَا سَمِعْتُ ، فَقَالَ: مَا أَدْرِي غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ : إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ : آمَنْتُ بِاللهِ الْعَظِيمِ ، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ(1) وَالطَّاغُوتِ(2)،وَاسْتَمْسَكْتُ(3) بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، إِذَا أَصْبَحْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،وإِذَا أَمْسَيْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .رواه ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان.

[أوشك] : أى أسرع بوزنه ومعناه .

٣٤ – وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَامِنْ حَافِظَيْنِ(4) يَرْفَعَانِ إِلَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَفِظَا مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَيَجِدُ اللهُ فِى أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ وَفِى آخِرِهَا(5) : خَيْرًا إِلاَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ : أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرَفَيِ الصَّحِيفَةِ . رواه الترمذى والبيهقى من رواية تمام بن نجيح عن الحسن عنه .

---

(١) بكل ماعبد من دون الله وبالساحر والكاهن . (٢) المارد من الجن والصارف عن طريق الخير وكل معتد أثيم . (٣) طلبت الإمساك بحبل الله الوثيق ، وهى مستعارة للمتمسك المحق من النظر الصحيح ، والرأى القويم ، قال الله تعالى : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ٢٥٦ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) من سورة البقرة . (٤) ملكان موكلان بالعبد .

(٥) مفتتحة بالتسبيح والتحميد والتكبير ، ومختتمة أيضا بذلك إلا كان الله غافراً لذنوبه التى اقترفها فى وسط النهار وقيدت فى وسط سجله وفيه الحث على كثرة الذكر والاستغفار والعبادة وأن لكل إنسان صحيفة بيضاء يقيد فيها كاتب الحسنات وكاتب السيئات السيئات ، قال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلا

الترغيب فى قضاء الإنسان ورده إذا فاته من الليل

١ — عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ[(١)] . رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه .

الترغيب فى صلاة الضحى

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ[(٢)] . رواه البخارى ومسلم وأبو داود ، ورواه الترمذى والنسائى نحوه ، وابن خزيمة، ولفظه قال :

أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وَسلم بِثَلَاثٍ لَسْتُ بِتَارِكِهِنَّ: أَنْ لَا أَنَامَ إِلَّا عَلَى وِتْرٍ، وَأَنْ لَا أَدَعَ[(٣)] رَكْعَتَيِ الضُّحَى ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ[(٤)] ، وَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ[(٥)] .

٢ — وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى . رواه مسلم .

٣ — وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم يَقُولُ:

لديه رقيب عتيد) ١٦ — ١٨ من سورة قٓ أى عن اليمين مقاعد، ومايرى به من فيه إلا عنده ملك يرقب عمله (عتيد) معد حاضر ، ولعله يكتب عليه مافيه ثواب أو عقاب ؛ وفى الحديث : كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر . اهـ بيضاوى .

(١) فيه أن الإنسان إذا غفل عن حزبه أو صلاته صلى ضحى وذكر الله تعالى .

(٢) أن أحافظ على ركعتى الضحى وصلاة الوتر قبل النوم خشية أن يغلبنى النوم فلا أوتر .

(٣) أن لا أترك . (٤) الذين تابوا إلى الله ورجعوا عن المعاصى .

(٥) نافلة صوم التطوع أيام ١٣ و ١٤ و ١٥ من كل شهر .

فى الْإِنسَانِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ مَفْصِلٍ[١] فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مَفْصِلٍ[٢] مِنْهَا صَدَقَةً قالُوا : فَمَنْ يُطِيقُ ذٰلِكَ يَارَسُولَ اللهِ؟ قالَ: النُّخَاعَةُ فى الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا[٣]، وَالشَّيْءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَرَكْعَتَا الضُّحَىٰ تُجْزِئُ عَنْكَ. رواه أحمد واللفظ له وأبو داود وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما .

٤ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ حَافَظَ عَلَى شُفْعَةِ[٤] الضُّحَىٰ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. رواه ابن ماجه والترمذى وقال : وقد روى غير واحد من الأئمة هذا الحديث عن نهاس ابن قهم انتهى ، وأشار إليه ابن خزيمة فى صحيحة بغير إسناد .

[شُفْعَةَ الضُّحَىٰ] بضم الشين المعجمة ، وقد تفتح . أى رَكْعَتَا الضُّحَىٰ .

٥ — وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَوْصَانِى حَبِيبِى صلى اللهُ عليه وَسلم بِثَلَاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ مَاعِشْتُ : بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَىٰ ، وَأَنْ لاَ أَنَامَ إِلَّا عَلَى وِتْرٍ رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

٦ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ

---

(١) مفصل يتحرك فى الجسم، وعدوا فيه ٣٦ يؤدى واجب هذا ركعتا الضحى فكأنه تصدق عن كل عضو يتحرك .

وكتب الحافظ ابن حجرفيه استحباب تقدم الوتر على النوم، وذلك فى حق من لم يثق بالاستيقاظ،ويتناول من يصلى بين النومين ، وهذه الوصية لأبى هريرة ، وورد مثلها لأبى الدرداء فيما رواه مسلم ، ولأبى ذر فيما رواه النسائى ، والحكمة فى الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل فى الواجب منها بانشراح ، ولينجبر مالعله يقع فيه من نقص ، ومن فوائد ركعتى الضحى أنها تجزئ عن الصدقة التى تصبح على مفاصل الإنسان فى كل يوم ، وهى ثلثمائة وستون مفصلا كما أخرجه مسلم من حديث أبى ذر، وقال فيه : ويجزئ عن ذلك ركعتا الضحى اهـ ص ٣٨ ج ٣ .

(٢) ومنفصل الأصابع مابين كل أنملتين ، ويريد كل عضو يتحرك .

(٣) كذا فى ن ع ص ٢٢٣ وفى ن ديرفنها : أى يضع فوقها التراب فيخفيها عن الأعين أو يبعدها .

(٤) يعنى ركعتى الضحى ، من الشفع الزوج، ويرى بالفتح والضم كالغرفة وإنما سماها شفعة لأنها أكثر من واحدة ، قال القتيبى : الشفع الزوج ، ولم أسمع به مؤنثا إلا ههنا، وأحسبه ذهب بتأنيثه إلى الفعلة الواحدة أو إلى الصلاة اهـ نهاية . وإن من أدى صلاة الضحى ركعتين فأكثر أزال الله خطاياه الصغيرة ، وإن كثر عددها،ووفقه الله إلى الصالحات فلا يرتكب كبيرة ونور قلبه بالإيمان فيزداد من فعل الخيرات كناية عن فوزه بنعم الله بحيث يشعر بمنزل بهيج ، ومنظر حسن يتلألأ بهاؤه ويصفو جوهره .

عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ قَصْرًا فى الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ. رواه ابن ماجه والترمذى بإسناد واحدعن شيخ واحد، وقال الترمذى: حديث غريب.

٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً(١) فَغَنِمُوا وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ(٢) ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُرْبِ(٣) مَغْزَاهُمْ ، وَكَثْرَةِ غَنِيمَتِهِمْ ، وَسُرْعَةِ رَجْعَتِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَقْرَبَ مِنْهُمْ مَغْزًى ، وَأَكْثَرَ غَنِيمَةً ، وَأَوْشَكَ رَجْعَةً ؟ مَنْ تَوَضَّأَ ، ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِسُبْحَةِ(٤) الضُّحَى ، فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ مَغْزًى وَأَكْثَرُ غَنِيمَةً وَأَوْشَكُ رَجْعَةً . رواه أحمد من رواية ابن لهيعة ، والطبرانى بإسناد جيد .

٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعْثًا فَأَعْظَمُوا الْغَنِيمَةَ(٥) وَأَسْرَعُوا الْكَرَّةَ(٦) ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْنَا بَعْثًا قَطُّ أَسْرَعَ كَرَّةً ، وَلاَ أَعْظَمَ غَنِيمَةً مِنْ هٰذَا الْبَعْثِ ، فَقَالَ : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَسْرَعَ كَرَّةً مِنْهُمْ ، وَأَعْظَمَ غَنِيمَةً ؟ : رَجُلٌ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ الْغَدَاةَ(٧) ، ثُمَّ عَقَّبَ بِصَلاَةِ الضَّحْوَةِ فَقَدْ أَسْرَعَ الْكَرَّةَ ، وَأَعْظَمَ الْغَنِيمَةَ . رواه

---

(١) طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة ، تبعث إلى العدو ، وجمعها السرايا ، سموا بذلك ، لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السرى النفيس ، وقيل سموا بذلك لأنهم ينفذون سرا وخفية ، وليس بالوجه ، لأن لام السر راء ، وهذه ياء . اهـ نهاية .

(٢) الذهاب إلى الوطن ورؤية الأهل .

(٣) انتهت حربهم بسرعة وكثر ربحهم وحضروا بسرعة، وغيابهم قليل، ثم أخبر صلى الله عليه وسلم عن من يدرك الثواب بسرعة ، وينال الأجر عن كثب ، ويفوز بالغنيمة بسهولة ذلك الذى ذهب لله فتطهر ثم توضأ بتأن ثم ذهب إلى بيت الله يصلى ركعات الضحى إنه انتصر على الشيطان وأرضى الرحمن وفاز بالإحسان وطهرت صحيفته من الأدران . (٤) نافلة ، ومنه حديث : « اجعلوا صلاتكم معهم سبحة » .

(٥) احضروا شيئاً غالياً ثميناً نفيسا . (٦) هجموا على أعدائهم بقوة ففازوا فرجعوا بسرعة ظافرين .

(٧) الصبح ثم انتظر فى مصلاه حتى طلعت الشمس قدر رمح وصلى الضحى أو صلى الفجر جماعة ومكث يسبح الله ويحمده ، ثم ذهب إلى عمله وصلى الضحى (حين يرمض الفصال) أى وقت حر الضحى قبيل الظهر والمعنى صلى الصبح فى وقته جماعة وأدى نافلة الضحى ، والله أعلم .

والضحى انبساط الشمس ، وامتداد النهار ، قال تعالى :

ا ـ (والشمس وضحاها) .

ب ـ (والضحى والليل إذا سجى) .

ج ـ (وأن يحشر الناس ضحى) .

أبو يعلى ، ورجال إسناده رجال الصحيح ، والبزار وابن حبان فى صحيحه ، وَبَيَّنَ البزار فى روايته أن الرجل أبو بكر رضى الله عنه ، وقد روى هذا الحديث الترمذى فى الدعوات من جامعه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتقدم .

٩ — وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ اكْفِنِي أَوَّلَ النَّهَارِ[1] بِأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ بِهِنَّ آخِرَ يَوْمِكَ . رواه أحمد وأبو يَعْلى ، ورجال أحدهما رجال الصحيح .

١٠ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : يَا ابْنَ آدَمَ لَاتُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

[قال الحافظ] : فى إسناده إسمعيل بن عياش ، ولكنه إسناد شامى ، ورواه أحمد عن أبى الدرداء وحده ، ورواته كلهم ثقات ، ورواه أبو داود من حديث نعيم بن همار .

١١ — وَعَنْ أَبِي مُرَّةَ الطَّائِفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَقُولُ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ . رواه أحمد ورواته محتجّ بهم فى الصحيح .

١٢ — وَرُوِيَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى غَزْوَةِ تَبُوكَ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : مَنْ قَامَ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ ، فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ[2] غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ ، وَكَانَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . رواه أبو يَعْلى .

قال البيضاوى : فيه كلم موسى ربه ، وألقى السحرة سجدا . وسجى : سكن أهله أو ركد ظلامه ، أقسم الله بهذا الوقت لمكانته فى انتفاع الإنسان به (ماودعك ربك وما قلى) فيه يذكر الله الإنسان أن يعبده ويسبحه فى هذا الوقت ويتفضل عليه أن يفوز بجناته ويتسع رزقه ويكثر خيره ويعم بره ويرغد عيشه وينعم باله ويبارك الله فى نسله ويقيه الأذى .

(١) كذا ع ص ٢٢٤ ، وفى ن د : يومك ، وقال النووى : أكثر صلاة الضحى ثمانى ركعات ، وقيل اثنتا عشرة ركعة ، فعليك أخى : بالمداومة عليها لتجعل من وقتك دقائق تسبح الله فيها فيتجلى عليك الرب برضوانه ويمدك بإحسانه . (٢) أقل الضحى ركعتان ، وقد رأيت أنهما سبب غفران الذنوب ، وتكفير الخطايا وزيادة الحسنات ، ومن حافظ عليهن طهر الله صحائفه من الصغائر ونقاها ، وجعلها ناصعة بيضاء مثل إبان

١٣ - وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم قالَ : مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ[١] فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لاَ يَنْصِبُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ ، وَصَلاَةٌ عَلَى إِثْرِ صَلاَةٍ لاَ لَغْوَ بَيْنَهُمَا[٢] كِتَابٌ فى عِلِّيِّينَ . رواه أبو داود ، وتقدم .

١٤ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليْه وَسلم : مَنْ صَلَّى الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ[٣] ، وَمَنْ صَلَّى أَرْبَعاً كُتِبَ مِنَ الْعَابِدِينَ[٤] ، وَمَنْ صَلَّى سِتًّا كُفِيَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ ، وَمَنْ صَلَّى ثَمَانِياً كَتَبَهُ اللهُ مِنَ الْقَانِتِينَ[٥] ، وَمَنْ صَلَّى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ وَلاَ لَيْلَةٍ إِلاَّ لِلّٰهِ مَنٌّ[٦] يَمُنُّ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَصَدَقَةٌ ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَفْضَلَ مِنْ

ولادته . والحكمة فى مشروعية النوافل التكميل للفرائض ، وهذا وقت جد وعمل وكدح فى طلب الرزق فيترك الإنسان عمله ويذهب لمرضاة ربه بصلاة ركعات فيها الخير ويجلب البر ونور الإيمان ومنبع الرحمات .

(١) مفروضة . فيه أن الإنسان يتطهر ويتنظف ويتوضأ ثم يذهب إلى أداء الفرض فى بيت الله لتكثر حسناته (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) . (٢) المعنى أداء الفريضة ، ثم انتظار الصلاة الثانية على شريطة عدم الكلام الذى لافائدة فيه يرقيك، ويجعل صحائفك نقية طاهرة من الآثام مملوءة حسنات ومودعة بجوار صحائف الأبرار المتقين(كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين وما أدراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون) يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون على مافيه يوم القيامة اهـ بيضاوى .

يقال : لغا الإنسان يلغو ولغى يلغى : إذا تكلم بالمطروح من القول ، وما لايعنى ؛ وألغى : إذا أسقط، وفيه : « من قال لصاحبه والإمام يخطب صه فقد لغا » اهـ نهاية . (٣) الساهين الناسين ذكر الله. والغفلة سهو يعترى الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ ، ومنه قوله تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى تركناه غير مكتوب فيه الإيمان كما قال تعالى : (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان) ، وقيل : معناه من جعلناه غافلا عن الحقائق . اهـ غريب . (٤) المطيعين المتذللين لله تعالى : قال فى الغريب : والعبادة أبلغ من العبودية لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها إلا من هو غاية الإفضال ، وهو الله تعالى .

(٥) الخاضعين المشتغلين بالعبادة، ورفض كل ماسوى الله سبحانه وتعالى: قال تعالى. (إن إبراهيم كان أمة قانتاً) . (٦) من : نعم وإحسان إلى من لايستثيبه ، ولا يطلب الجزاء عليه سبحانه هو المنان : أى المنعم المعطى من المن العطاء لامن المنة والمنان من أبنية المبالغة كالوهاب ومنه الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين أو هى مما من الله به على عباده ، وقيل : شبهها بالمن : وهو العسل الحلو الذى ينزل من السماء عفوا بلا علاج ودليلها من الكتاب قول الله تعالى : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ٢٠ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) ٢١ من سورة ص : أى ذا القوة رجاع إلى مرضاة الله تعالى، ووقت الإشراق حين تشرق الشمس : أى تضىء ، ويصفو شعاعها ، وهو وقت الضحى وشروقها وطلوعها، وعن أم هانئ رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال : « هذه صلاة الإشراق » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « ماعرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية » .

أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ. رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات، وفى موسى بن يعقوب الزمعى خلاف، وقد روى عن جماعة من الصحابة ومن طرق، وهذا أحسن أسانيده فيما أعلم.

ورواه البزّار من طريق حسين بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر، قال:

قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: يَا عَمَّاهُ أَوْصِنِي. قَالَ: سَأَلْتَنِي كَمَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنْ صَلَّيْتَ الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ لَمْ تُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، ثُمَّ قَالَ: لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَّا مِنْ هٰذَا الْوَجْهِ كَذَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

١٥ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا كَهَيْئَتِهَا لِصَلَاةِ الْعَصْرِ[١] حِينَ تَغْرُبُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَصَلَّى رَجُلٌ رَكْعَتَيْنِ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ[٢]، فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَحَسِبْتُهُ قَالَ: وَكُفِّرَ عَنْهُ خَطِيئَتُهُ وَإِثْمُهُ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. رواه الطبرانى. وإسناده مقارب، وليس فى رواته من ترك حديثه، ولا أجمع على ضعفه.

١٦ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَا يُحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ[٣]. قَالَ: وَهِيَ صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ. رواه الطبرانى، وابن خزيمة فى صحيحه، وقال: لم يتابع إسمعيل بن عبد الله يعنى ابن زرارة الرقى عَلَى اتصال هذا الخبر، ورواه الدراوردى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة مرسلاً، ورواه حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة قوله.

---

(١) أى بعد الطلوع بنحو نصف ساعة، وقال الفقهاء: ترتفع قدر رمح إلى الزوال: أى قبيل الظهر.

(٢) أى فيهما ركوعان، وأربع سجدات يتأنى فى الركوع والسجود، ويقرأ كما قال الفقهاء بالكافرون والإخلاص، فالكافرون تعدل ربع القرآن، والاخلاص ثلثه.

(٣) كثير الرجوع إلى الله تعالى، والتذلل إليه والخشية منه جل شأنه. وقال المناوى: فيه رد على من كرهها، وقال: إن إدامتها تورث العمى اهـ. أود منك أيها المسلم أن تحافظ على أدائها رجاء أن يعدك الله من التوابين المقربين إليه بالطاعة، ثم تتضرع إليه جل وعلا، وتدعوه (اللهم إن الضحاء ضحاؤك، والبهاء بهاؤك والجمال جمالك والقوة قوتك والقدرة قدرتك والعصمة عصمتك اللهم إن كان رزقى فى السماء فأنزله، وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان حراما فطهره وإن كان معسراً فيسره، وإن كان بعيداً فقربه بحق ضحائك وبهائك وجمالك وقوتك وقدرتك آتنى ما آتيت به عبادك الصالحين) اهـ.

١٧ — وَرُوِيَ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ فى الْجَنَّةِ بَابًا(١) يُقَالُ لَهُ الضُّحَى ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَي مُنَادٍ أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُدِيمُونَ صَلَاةَ الضُّحَى ، هٰذَا بَابُكُمْ فَادْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ اللهِ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

الترغيب فى صلاة التسبيح

١ — عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ ، أَلَا أَمْنَحُكَ ، أَلَا أَحْبُوكَ(٢) ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذٰلِكَ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَقَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، وَخَطَأَهُ وَعَمْدَهُ ، وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ ، وَسِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ ، عَشْرَ خِصَالٍ : أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ(٣) فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ فَقُلْ وَأَنْتَ قَائِمٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُ وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ

(١) أكد صلى الله عليه وسلم لمصلى الضحى أن يبشر برحمة الله ، وبدخول الجنة من طريق مخصوصة تناديه ملائكة الرحمة ، فيتفضل من هذا الباب المستطاب . (٢) أخصك بفائدة جليلة وهبة جزيلة الثواب كثيرة الأجر .

(٣) أى سورة من القرآن تسبح ١٥ مرة فى الركوع ، وكذا فى الاعتدال ، وكذا فى السجود وكذا فى الاعتدال من السجود ، وكذا فى السجود ثم الاعتدال ، ومجموع التسابيح خمس وسبعون هذه ثمرة دانية سبب الغفران والرضوان فافعلها أيها المسلم ولو مرة فى عمرك ، وأذكر فى صغرى أن زارنا أحد العلماء الفضلاء العاملين فألقى درساً شيقا فى فائدة صلاة التسبيح فتفقهها كثيرون ، وعملوا بها ، ورأيت والدى رحمه الله تعالى يحافظ عليها ، واقتدى به أعمامى وآخرون ، وهى خلاصة تنزيه الله وحمده وتوحيده ، وأنه الجليل العظيم الشأن ، وقد رأيت محبته لسيدنا جعفر بن أبى طالب ، ومقابلته صلى الله عليه وسلم له بالبشاشة والاعتناق ، وتقبيل عينيه ، وتعلمه هذه الدرة المصونة من خزائن رحمة الله تعالى « ألا أسرك ألا أمنحك » الحديث ، ثم قال عليه الصلاة والسلام لعمه : « ألا أصلك » وعدها صلى الله عليه وسلم صلة وبراً وشفقة وهدية ومنحة لأنها سبب غفران الذنوب ، وإن كثرت مثل رمل الصحراء ، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن يقول المصلى بعد تكبيرة الإحرام : (سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك) ويتم ، وفى ركوعه : (سبحان ربى العظيم) وفى سجوده : (سبحان ربى الأعلى) ثم يسبح التسبيحات كما فى الحديث . قال تعالى : (يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) ٣ سورة الجمعة . أى يرشدهم القرآن والشريعة ، ومعالم الدين .

رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَهْوِى سَاجِدًا فَتَقُولُ وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْراً، فَذٰلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ تَفْعَلُ ذٰلِكَ فِى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِى كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِى كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِى عُمُرِكَ مَرَّةً . رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال : إِنْ صَحَّ الْخَبَرُ فإن فى القلب من هذا الإسناد شيئاً ، فذكره ، ثم قال : ورواه إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة مرسلاً لم يذكر ابن عباس .

[قال الحافظ] : ورواه الطبرانى ، وقال فى آخره :

فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ، أَوْ رَمْلِ عَالِجٍ غَفَرَ اللهُ لَكَ .

[قال الحافظ] : وقد رُوِى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة وأمثلها حديث عكرمة هذا . وقد صححه جماعة : منهم الحافظ أبو بكر الآجرىّ ، وشيخنا أبو محمد عبد الرحيم المصرى ، وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى رحمهم الله تعالى . وقال أبو بكر بن أبى داود : سمعت أبى يقول : لَيْسَ فى صَلَاةِ التَّسْبِيحِ حديث صحيح غير هذا ، وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى : لايروى فى هذا الحديث إسناد أحسن من هذا ، يعنى إسناد حديث عكرمة عن ابن عباس ، وقال الحاكم : قد صحت الرواية عن ابن عمر أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم علّم ابن عمه هذه الصلاة، ثم قال : حدثنا أحمد بن داود بمصر حدثنا إسحق بن كامل حدثنا إدريس بن يحيى عن حَيْوَة بن شريح عن يزيد بن أبى حبيب عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

وَجَّهَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم جَعْفَرَ بْنَ أَبِى طَالِبٍ إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ اعْتَنَقَهُ ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَهَبُ لَكَ ، أَلَا أَسُرُّكَ ، أَلَا أَمْنَحُكَ ؟ فَذَكَرَ الحديث ، ثم قال : هذا إسناد صحيح لاغبار عليه .

[قال المملى] رضى الله عنه : وشيخه أحمد بن داود بن عبد الغفار أبو صالح الحرانى ثم المصرى تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، وكذبه الدارقطنى .

٢ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى رَافِعٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لِلْعَبَّاسِ : يَاعَمِّ أَلاَ أَحْبُوكَ ، أَلاَ أَنْفَعُكَ ، أَلاَ أَصِلُكَ ؟ قالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قالَ : فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فى كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ ، فَإِذَا انْقَضَتِ الْقِرَاءَةُ فَقُلْ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً قَبْلَ أَنْ تَرْكَعَ ، ثُمَّ ارْكَعْ فَقُلْهَا عَشْرًا ، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَقُلْهَا عَشْرًا ، ثُمَّ اسْجُدْ فَقُلْهَا عَشْرًا ، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَقُلْهَا عَشْرًا ، ثُمَّ اسْجُدْ فَقُلْهَا عَشْرًا ، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَقُلْهَا عَشْرًا قَبْلَ أَنْ تَقُومَ ، فَذٰلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فى كُلِّ رَكْعَةٍ ، وَهِىَ : ثَلاَثُمِائَةٍ فى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ ، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ رَمْلِ عَالِجٍ غَفَرَهَا اللهُ لَكَ . قالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ يَقُولُهَا فى كُلِّ يَوْمٍ ؟ قالَ : قُلْهَا فى كُلِّ جُمُعَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقُلْهَا فى شَهْرٍ ، حَتَّى قالَ : فَقُلْهَا فى سَنَةٍ . رواه ابن ماجه والترمذى والدارقطنىّ والبيهقى ، وقال :

كانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ يَفْعَلُهَا ، وَتَدَاوَلَهَا الصَّالِحُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَفِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ انتهى . وقال الترمذى : حديث غريب من حديث أبى رافع ، ثم قال :

وَقَدْ رَأَى ابْنُ الْمُبَارَكِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ صَلاَةَ التَّسْبِيحِ ، وَذَكَرُوا الْفَضْلَ فِيهِ . حدثنا أحمد بن عبدة الضَّبىّ حدثنا أبو وهب قال :

سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ عَنِ الصَّلاَةِ الَّتِى يُسَبَّحُ فِيهَا ؟ قالَ : يُكَبِّرُ ، ثُمَّ يَقُولُ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ ، ثُمَّ يَقُولُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ يَتَعَوَّذُ وَيَقْرَأُ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، وَفَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً ، ثُمَّ يَقُولُ عَشْرَ مَرَّاتٍ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، ثُمَّ يَرْكَعُ فَيَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَيَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ يَسْجُدُ فَيَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَيَقُولُهَا عَشْرًا ، ثُمَّ يَسْجُدُ الثَّانِيَةَ فَيَقُولُهَا عَشْرًا يُصَلِّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَلَى هٰذَا ، فَذٰلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ تَسْبِيحَةً ، فى كُلِّ رَكْعَةٍ ، يَبْدَأُ فى كُلِّ رَكْعَةٍ بِخَمْسَ عَشْرَةَ تَسْبِيحَةً ، ثُمَّ يَقْرَأُ ، ثُمَّ يُسَبِّحُ عَشْرًا ، فَإِنْ صَلَّى لَيْلاً فَأَحَبُّ أَنْ يُسَلِّمَ فى كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَإِنْ صَلَّى نَهَارًا ، فَإِنْ شَاءَ سَلَّمَ ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُسَلِّمْ . قال أبو وهب : وأخبرنى عبد العزيز هو ابن أبى رزمة عن عبد الله أنه قال :

يَبْدَأُ فى الرُّكوعِ : بِسُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ ، وَفى السُّجُودِ : بِسُبْحَانَ رَبِّىَ الأَعْلَى ثَلاثًا ، ثُمَّ يُسَبِّحُ التَّسْبِيحَاتِ . قال أحمد بن عبدة : وحدثنا وهب بن زمعة . قال أخبرنى عبد العزيز وهو ابن أبى رِزْمة . قال قلت لعبد الله بن المبارك :

إِنْ سَهَا فِيهَا أَيُسَبِّحُ فى سَجْدَتَىِ السَّهْوِ عَشْرًا عَشْرًا ؟ قَالَ : لاَ . إِنَّمَا هِىَ ثَلاثُمِائَةِ تَسْبِيحَةٍ . انْتَهَى ماذكره الترمذى .

[قال المملى الحافظ] رضى الله عنه : وهذا الذى ذكره عن عبد الله بن المبارك من صفتها موافق لما فى حديث ابن عباس ، وأبى رافع إلا أنه قال :

يُسَبِّحُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ ، وَبَعْدَهَا عَشْرًا ، وَلَمْ يَذْكُرْ فى جَلْسَةِ الاسْتِرَاحَةِ تَسْبِيحًا ، وفى حديثهما : أَنَّهُ يُسَبِّحُ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَلَمْ يَذْكُرَا قَبْلَهَا تَسْبِيحًا وَيُسَبِّحُ أَيْضًا بَعْدَ الرَّفْعِ فى جَلْسَةِ الاسْتِرَاحَةِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ عَشْرًا .

٣ — وروى البيهقى من حديث أبى حباب الكلبي عن أبى الجوزاء عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ لِى النَّبِىُّ صلى اللهُ عليه وسلم : أَلاَ أَحْبُوكَ ، أَلاَ أُعْطِيكَ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِالصِّفَةِ الَّتِى رواها الترمذى عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، ثم قال : وهذا يوافق ما رويناه عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، ورواه قتيبة بن سعيد عن يحيى بن سليم عن عمران بن مسلم عن أبى الجوزاء ، قال : نَزَلَ عَلَىَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَخَالَفَهُ فى رَفْعِهِ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم ، وَلَمْ يَذْكُرِ التَّسْبِيحَاتِ فى ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ إِنَّمَا ذَكَرَهَا بَعْدَهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ جَلْسَةَ الاسْتِرَاحَةِ كَمَا ذَكَرَهَا سَائِرُ الرُّوَاةِ انتهى .

[قال الحافظ] : جمهور الرواة على الصفة المذكورة فى حديث ابن عباس ، وأبى رافع ، وَالْعَمَلُ بِهَا أَوْلَى ، إِذْ لاَ يَصِحُّ رَفْعُ غَيْرِهَا ، والله أعلم .

٤ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ : يَاغُلاَمُ أَلاَ أَحْبُوكَ ، أَلاَ أَنْحَلُكَ[1] ، أَلاَ أُعْطِيكَ؟ قَالَ قُلْتُ : بَلَى بِأَبِى أَنْتَ[2] وَأُمِّى

---

(١) ألا أقدم لك هدية ، وفيه « ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن » ، والنحل : العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق ، وأنت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذل العلم مرشدا إلى صراط العزيز الحميد . (٢) أفديك بأبى وأمى ، وكان هذا عند العرب أعز شىء يفدون به .

يَارَسُولَ اللهِ ، قالَ : فَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَقْطَعُ لِي قِطْعَةً مِنْ مَالٍ ، فَقَالَ لِي : أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تُصَلِّيهِنَّ ، فذكر الحديث كما تقدم ، وقال فى آخره :

فَإِذَا فَرَغْتَ قُلْتَ بَعْدَ التَّشَهُّدِ ، وَقَبْلَ السَّلَامِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَوْفِيقَ(١) أَهْلِ الْهُدَى ، وَأَعْمَالَ أَهْلِ الْيَقِينِ(٢) ، وَمُنَاصَحَةَ(٣) أَهْلِ التَّوْبَةِ ، وَعَزْمَ أَهْلِ(٤) الصَّبْرِ ، وَجِدَّ(٥) أَهْلِ الْخَشْيَةِ ، وَطَلَبَ أَهْلِ(٦) الرَّغْبَةِ ، وَتَعَبُّدَ(٧) أَهْلِ الْوَرَعِ ، وَعِرْفَانَ(٨) أَهْلِ الْعِلْمِ حَتَّى أَخَافَكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَخَافَةً تَحْجُزُنِي(٩) عَنْ مَعَاصِيكَ حَتَّى أَعْمَلَ بِطَاعَتِكَ عَمَلاً أَسْتَحِقُّ بِهِ رِضَاكَ ، وَحَتَّى أُنَاصِحَكَ(١٠) بِالتَّوْبَةِ خَوْفاً مِنْكَ ، وَحَتَّى أُخْلِصَ لَكَ النَّصِيحَةَ حُبًّا لَكَ ، وَحَتَّى أَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ فى الْأُمُورِ حُسْنَ ظَنٍّ بِكَ ، سُبْحَانَ خَالِقِ النُّورِ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذُنُوبَكَ كُلَّهَا ، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، وَقَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا ، وَسِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا ، وَعَمْدَهَا وَخَطَأَهَا . رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورواه فيه أيضاً عن أبى الجوزاء قال :

قالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا أَبَا الْجَوْزَاءِ أَلَا أَحْبُوكَ(١١) أَلَا أُعْلِمُكَ أَلَا أُعْطِيكَ ؟ قُلْتُ بَلَى ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، فذكر نحوه باختصار ، وإسناده واهٍ ، وَقَدْ وَقَعَ فى صَلَاةِ التَّسْبِيحِ كَلَامٌ طَوِيلٌ ، وَخِلَافٌ مُنْتَشِرٌ ، ذكرتُه فى غير هذا الكتاب مبسوطا ، وهذا كتاب ترغيب وترهيب ، وفيما ذكرته كفاية .

٥ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ غَدَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَالَتْ : عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فى صَلَاتِي ، فَقَالَ : كَبِّرِي(١٢) اللهَ عَشْراً ،

---

(١) أطلب منك الهداية لعمل الصالحين المهتدين . (٢) الإيمان الثابت .
(٣) الانقياد الراجعين إلى الله وإطاعتهم فى الحق وعدم الخروج عليهم .
(٤) وثبات الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله ، وعدم الجزع بالمصائب .
(٥) وفعل إتقان الذين يخافون الله . (٦) وطلب الذين يدعونك رغباً ورهباً ، ويرجون رحمتك ، ويخشون عذابك . (٧) وطاعة الزاهدين ، وعبادة المتبتلين . (٨) ومعرفة من علمتهم بكتابك وسنة نبيك ففهموا مرماه وعقلوا مغزاه ، وأدركوا معناه . (٩) تمنعنى ، وتكون حائلا عما يغضبك .
(١٠) أخلص ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة » .
(١١) ألا أعطيك . يقال : حباه كذا وبكذا : إذا أعطاه ، والحباء : العطية اهـ نهاية .
جمل مترادفة تدل على كثرة المعنى ، وجزيل الثواب من المنان الرحمن المنزه عن النقائص .
(١٢) كبرى الله : كذا ع ص ٢٢٤ ، وفى ن د : وسبحيه .

وَسَبِّحِيهِ عَشْرًا ، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا . ثُمَّ سَلِي مَاشِئْتِ ، يَقُولُ : نَعَمْ نَعَمْ . رواه أحمد والترمذى ، وقال: حديث حسن غريب ، والنسائىّ وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

الترغيب فى صلاة التوبة

١ — عَنْ أَبِى بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَامِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ[١] ذَنْباً ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ، ثُمَّ يُصَلِّي ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً[٢] أَوْ ظَلَمُوا[٣] أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ) إِلَى آخِرِ الآيةِ . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه والبيهقى ، وقالا : ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وذكره ابن خزيمة فى صحيحه بغير إسناد ، وذكر فيه الركعتين .

---

(١) يفعل إثماً ، ويرتكب مايغضب الله جل وعلا ، ويندم على مافعل .

(٢) فعلة بالغة فى القبح كالزنا .

(٣) حلوها عقاب المعاصى، وعرضوها للنار باتباع الشهوات، وبمخالفة أوامر الله بأن أذنبوا أى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة ، وظلم النفس الصغيرة ، ولعل الفاحشة مايتعدى أذاه إلى الغير ، وظلم النفس ما كان يغضب الله ولو قل ، ولا يتعدى ضرره إلى الغير ، والاستغفار الندم والتوبة . والآية يأخى ترشد إلى خلال الصالحين الذين أسفوا على ما اقترفوا، وندموا على مافعلوا، ورجعوا إلى ربهم، وآبوا إليه بحسن أعمالهم وأكثروا من ذكره تعالى وتسبيحه ، وبهذا فازوا ، وعدوا من المتقين الذين قال الله فيهم :

(يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التى أعدت للكافرين. وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) ١٣٠ ـ ١٣٦ من سورة آل عمران. فهل تعاهدنى أن تمد يد التوبة إلى الله عز شأنه، وترفع أكف الضراعة والابتهال بالقبول والغفران ، وتقوم فتنظف باطنك وظاهرك ، وتلجأ إلى مولاك ذليلا راجيا، وتقف بين يديه متضرعا مصليا ركعتين بنية التوبة ، وتتأنى فى ركوعك وسجودك ثم تكثر من ذكر الله وحده ، وطلب المغفرة منه جل وعلا ، وتجعل لك ورداً كل يوم ألف (لا إله إلا الله) وألف (أستغفر الله العظيم) وألف (اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم) وبهذا ترجو قبول التوبة ، وتتوقع أن تحشر فى زمرة الصالحين على شريطة أن عملك على منهج الكتاب ، ومستضيئاً لسنة قرة العيون خير الخلق صلى الله عليه وسلم .

٢ — وَعَنِ الْحَسَنِ ، يَعْنِي الْبَصْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى بِرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ إِلَّا غَفَرَهُ اللهُ لَهُ . رواه البيهقى مرسلاً .

[البراز] : بكسر الباء ، وبعدها راء ، ثم ألف ، ثم زاى : هو الأرض الفضاء .

٣ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا ، فَدَعَا بِلَالًا ، فَقَالَ : يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ ؟ إِنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ ، فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ(١) أَمَامِي ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَذْنَبْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ .
رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

وَفِى رِوَايَةٍ : مَا أَذْنَبْتُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

الترغيب فى صلاة الحاجة ودعائها

١ — عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْمَى أَتَى إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ(٢) لِي عَنْ بَصَرِي . قَالَ : أَوْ أَدَعُكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّهُ قَدْ شَقَّ عَلَيَّ ذَهَابُ بَصَرِي . قَالَ : فَانْطَلِقْ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم نَبِيِّ(٣) الرَّحْمَةِ . يَا مُحَمَّدُ : إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّي بِكَ أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي

(١) حركة صوتك كصوت السلاح ، وفى رواية « سمعت دف نعليك » أى صوت مشيهما . سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع صوت نعل بلال ومشيه فيبين بلال أن سبب ذلك المحافظة على الوضوء والطهارة ، وكلما أحدثت توضأت فصليت ركعتين إنابة إلى الله تعالى ، ورغبة فى رحمته ، ورجاء عفوه .

(٢) يزيل ألم بصرى .

(٣) رسول الهداية ، ومبعث الإحسان والرأفة ، والآخذ إلى جنان النعيم والداعى إلى السعادة ووجهه رضاء وسبب إجابة الدعوات ونزول البركات وإغداق الحسنات والرحمة رقة تقتضى الإحسان إلى المرحوم والرحمة من الله : إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وعطف وقد وصفه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كثير الرأفة والرحمة . قال عز شأنه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) حتى إن جبريل عليه السلام قال لقد كنت خائفاً على نفسى حتى جئت يا محمد فزاد اطمئنانى قوله تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) .

اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ(١) فِيَّ ، وَشَفِّعْنِي فى نَفْسِي(٢) فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ اللهُ عَنْ بَصَرِهِ(٣) . رواه الترمذيّ ، وقال: حديث حسن صحيح غريب والنسائىّ ، واللفظ له وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم ، وليس عند الترمذى :

ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، إِنَّمَا قَالَ : فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، ثُمَّ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ فَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ . ورواه فى الدعوات ، ورواه الطبرانى وذكر فى أوله قصة .

وَهُوَ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى حَاجَةٍ لَهُ ، وَكَانَ عُثْمَانُ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ، وَلاَ يَنْظُرُ فى حَاجَتِهِ ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : أئْتِ المِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ ائْتِ المَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَيَقْضِي حَاجَتِي ، وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ وَرُحْ إِلَيَّ(٤) حَتَّى

---

(١) تكرم واجعلنى من أتباعه العاملين بسنته لترضى عنى وتجيب دعائى وليدافع عنى فأنصر تفضلا منك ومحبة فى رسولك ، وفى الغريب : والشفاعة : الانضمام الى آخر ناصراً له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل فى انضمام من هو أعلا حرمة ومرتبة الى من هو أدنى ومنه الشفاعة يوم القيامة ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «القرآن شافع مشفع» وقوله تعالى (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أى يارب أتوجه لك بذلى وانكسارى أن تتجلى لى بالرحمة والرضوان والشفاء التام ورد نور عينى إكراما لمن أنتسب إليه صلى الله عليه وسلم ، وأحبه أن يطلب العافية لى عليه الصلاة والسلام .

(٢) اجعلنى رادع نفسى ، وكاسر شرها ومبعث هداية لها عسى أن تجيب دعائى ويصفو قلبى بالإخلاص لك

(٣) قد اتفق أن كان التضرع مقبولا ، والنية صادقة فتفتحت أبواب رحمة الله ، فأجاب الله دعاءه وأبصر هذا تعليم لأمته صلى الله عليه وسلم ، فكل مكروب يلجأ الى الله ويقدم التوبة ويندم على مااقترف ويرد المظالم ويخلص لربه فى بيته ويتطهر ويصالح الخصوم ويتوضأ ويصلى ركعات ثم يدعو الله يفرج كربه ويزيل عسيره ويقضى إربه ، ويفك ضيقه ويكثر ماله وينصره على أعدائه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » وتلك صيغة أقرب للإجابة فاحفظها أخى وادع الله إنه سميع الدعاء (إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم) (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) ١٠٧ من سورة يونس .

يا أخى : يعلمك الرسول صلى الله عليه وسلم « إنى أتوجه بك الى ربى فيقضى حاجتى » فكر فى هذه الجملة لعلك تفقه مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند ربه ، وتقبل على العمل بسنته وتعقد الخناصر على محبته ، وتكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن ، ثم ترفع يديك عسى أن الله يأتى بالفتح ، ويدخلك برحمته فى عباده الصالحين .

(٤) كذا ع ص ٢٣١ ، وفى ن د يحذف الى ، ومعنى رح : امش الى ، وفيه « من راح الى الجمعة فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة » : أى مشى اليها ، وذهب الى الصلاة . وفيه أن المؤمن يدل على الخير ، ويرشد الى

أَرُوحَ مَعَكَ ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَاقَالَ لَهُ ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ ، وَقَالَ : مَاحَاجَتُكَ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَاذَكَرْتُ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هٰذِهِ السَّاعَةُ ، وَقَالَ : مَا كَانَتْ[1] لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَائْتِنَا ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللّٰهُ خَيْرًا[2] ، مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي ، وَلاَ يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِيَّ ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : وَاللّٰهِ مَا كَلَّمْتُهُ ، وَلٰكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَتَاهُ رَجُلٌ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَوْ تَصْبِرُ[3] ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّٰهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ ، وَقَدْ شَقَّ[4] عَلَيَّ ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ ادْعُ بِهٰذِهِ الدَّعَوَاتِ،

طاعة الله ، ويعلم ماجهل، ويساعد على قضاء الحاجات وينصح ويشفع عند ولى الأمر، ويهدى الضال ويتوسط عند الحاكم ، ويرجو الوالى .

(١) مدة وجود حاجة لك فاحضر عندنا . (٢) دعاء له بالبركة ، وزيادة الثواب .

(٣) أى أطلب من الله جل وعلا أن يزيل العمى عنك ، أو تصبر بقدر الله لتنال أجراً جزيلا. قال صلى الله عليه وسلم : « إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته منهما بالجنة» رواه البخارى .

(٤) أتعب فى قضاء مصالحى ،ولا أحد يدلنى على الطريق ، أو يأخذ بيدى إلى الأعمال. إن هذا الرجل وقف بين يدى الله جل وعلا يخشاه ، ويرجو رحمته ، وتقرب إلى الله بعمله الصالح الصلاة، ثم دعاه بدعاء علمه سيدنا وقرة عيوننا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتفضل الله بالإجابة ، ورد إليه بصره ، الله أكبر صادفته العناية الربانية ، وأحاطته الرعاية الصمدانية ، وكان هذا بمحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر الله له نظر رحمة وإحسان ،ونظير ذلك تحين الفرص لقبول الدعاء ماحكاه الله عز شأنه على أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام: (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ٩٧ قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفورالرحيم) ٩٨ من سورة يوسف . قال البيضاوى : من حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه، ويسأله المغفرة . أخر الدعاء إلى السحر أو إلى صلاة الليل ، أو إلى ليلة الجمعة تحريا لوقت الإجابة ، أو إلى أن يستحل لهم من يوسف ، أو يعلم أنه عفا عنهم ، فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ، ويؤيده ما روى أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن ، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل . وقال : إن الله قد أجاب دعوتك فى ولدك ، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة ، وهو إن صح فدليل على نبوتهم ، وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم اه .

فتجد سيدنا يعقوب عليه السلام تخير وقت الإجابة وتضرع إلى ربه ، وكذلك الأعمى ساق الله الخير له ، ورضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلمه هذا الدعاء فشفاه الله كما قال الصحابى لسيدنا عثمان رضى الله عنه«حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرقط» شهادة قالها السلف للخلف ليلتجئوا إلى ربهم فى السراء والضراء ، ويدعوه رغباً ورهباً .

فقالَ عُثْمانُ بنُ حُنَيفٍ : فَوَاللهِ ماتفرَّقنا ، وطالَ بنا الحديث حتَّى دخلَ علينا الرَّجلُ كأنَّه لمْ يكُنْ بهِ ضُرٌّ قطُّ . قال الطبرانىّ بعد ذكر طُرُقه : والحديث صحيح .

[الطنفسة] : مثلثة الطاء والفاء أيضاً ، وقد تفتح الطاء وتكسر الفاء : اسم للبساط ، وتطلق على حصير من سعف يكون عرضه ذراعاً .

٢ - وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنهما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ كانَتْ لَهُ إلَي اللهِ حاجَةٌ ، أوْ إلَى أحَدٍ[1] مِنْ بَنِي آدمَ فَلْيَتَوضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ وَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لِيُثْنِ[2] عَلَى اللهِ ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ لِيَقُلْ : لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ الْحَلِيمُ[3] الْكَرِيمُ[4] ، سُبْحانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ[5] الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ، أسْأَلُكَ مُوجِباتِ[6] رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ[7] مَغْفِرَتِكَ ، وَالْغَنِيمَةَ[8] مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، وَالسَّلاَمَةَ[9] مِنْ كُلِّ إثْمٍ ، لاَتَدَعْ لِي ذَنْباً إلاَّ غَفَرْتَهُ ، وَلاَ هَمًّا إلاَّ فَرَّجْتَهُ[10] وَلاَ حاجَةً هِيَ لَكَ رِضاً إلاَّ قَضَيْتَها يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . رواه الترمذى وابن ماجه كلاهما من رواية فايد بن عبد الرحمن بن أبى الورقاء عنه ، وزاد ابن ماجه بعد قوله : يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ : ثُمَّ يَسْأَلُ مِنْ أمْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ماشاءَ فَإنَّهُ يُقَدَّرُ[11] . ورواه الحاكم باختصار ، ثم قال : أخرجته شاهداً ، وفايدٌ مستقيمُ الحديث ، وزاد بعد قوله : وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالْعِصْمَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ .

---

(١) كذا ع ص ٢٣١ ؛ وفى ن ط : واحد ، وفى ن د : لنا ، وفى ط : يا أرحم الراحمين .

(٢) يحمده ، ويكثر من تسبيحه وتكبيره ، والصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم ، ويستغفر مئات .

(٣) هو الذى لايستخفه شىء من عصيان العباد ولا يستنزه الغضب عليهم ، ولكنه جعل لكل شىء مقداراً ، فهو منته إليه ، ولا يعجل بالعقوبة ، يرزق وينعم ، ويتفضل على المطيع والعاصي سبحانه .

(٤) الجواد المعطى الذى لاينفد عطاؤه ، وهو الكريم المطلق ، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل ، سبحانه . (٥) إشارة إلى أنه السيد صاحب المملكة القوية ، والسلطان النافذ ، وليس لمقره ، تعالى الله عن ذلك . قال تعالى : (ذو العرش المجيد) (رفيع الدرجات ذو العرش) . قال البيضاوى : أى خالق العرش ، والمراد به الملك العظيم فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة :

(٦) موصلات باعثة إلى الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم «أوجب طلحة» : أى عمل عملا أوجب له الجنة ومفردها موجبة . (٧) واجبات ، ومنه حديث ابن مسعود « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » واحدتها عزيمة ، (والزكاة عزمة من عزمات الله) أى حق من حقوقه .

(٨) الفوز . (٩) النجاة من كل ذنب . (١٠) أزلته .

(١١) يتفضل الله ويجيب سؤله .

[قال الحافظ] : فايد متروك ، روى عنه الثقات ، وقال ابن عديٍّ : مع ضعفه يكتب حديثه .

٣ — ورواه الأصبهانيُّ من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَلَفْظُهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَاعَلِيُّ أَلاَ أُعَلِّمُكَ دُعَاءً إِذَا أَصَابَكَ غَمٌّ أَوْ هَمٌّ تَدْعُو بِهِ رَبَّكَ فَيُسْتَجَابُ لَكَ بِإِذْنِ اللهِ ، وَيُفَرَّجُ عَنْكَ : تَوَضَّأْ ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَاحْمَدِ اللهَ ، وَأَثْنِ عَلَيْهِ ، وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّكَ ، وَاسْتَغْفِرْ لِنَفْسِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ تَحْكُمُ[1] بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : اللَّهُمَّ كَاشِفَ[2] الْغَمِّ ، مُفَرِّجَ[3] الْهَمِّ ، مُجِيبَ[4] دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ إِذَا دَعَوْكَ ، رَحْمٰنَ[5] الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَرَحِيمَهُمَا[6] فَارْحَمْنِي فِي حَاجَتِي هٰذِهِ بِقَضَائِهَا وَنَجَاحِهَا رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ .

٤ — وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تُصَلِّيهِنَّ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، وَتَتَشَهَّدُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، فَإِذَا تَشَهَّدْتَ فِي آخِرِ صَلاَتِكَ فَأَثْنِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَاقْرَأْ وَأَنْتَ سَاجِدٌ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَقُلْ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ[7] الْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ ، وَمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ ،

---

(١) تقضي بالعدل ، وفيه الاعتقاد بالله وبفعاله ، والتسليم والتفويض إليه سبحانه .

(٢) أسألك يا ألله يامزيل الحزن . (٣) مبعد الكدر ، ومزيل الضيق . والفرجة بفتح الفاء : التفصى من الهم . قال الشاعر :

ربما تكره النفوس من الأمـــــر له فرجة كحـل العقـــال

(٤) راحم المحتاجين، والمضطر: الذى أحوجه شدة مابه إلى اللجأ إلى الله تعالى، وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق . قال تعالى :(أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ماتذكرون) ٦٣ من سورة النمل . ويدفع عن الإنسان مايسوؤه سبحانه، وسكن الإنسان الأرض وعمرها ، وتصرف فى خيراتها . وما زائدة : أى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا .

(٥) المنعم بجلائل النعم . (٦) المنعم بدقائقها ، والمتفضل بنعيم الآخرة تكرما .

(٧) أى بالخصال التى أستحق بها العرش العز، أو بمواضع انعقادها منه، وحقيقة معناه بعز عرشك وأصحاب

وَاسْمِكَ الْأَعْظَمِ ، وَجَدِّكَ الْأَعْلَى[(١)] ، وَكَلِمَاتِكَ[(٢)] التَّامَّةِ ، ثُمَّ سَلْ[(٣)] حَاجَتَكَ ، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، ثُمَّ سَلِّمْ يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَلاَ تُعَلِّمُوهَا السُّفَهَاءَ[(٤)] ، فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ بِهَا فَيُسْتَجَابُونَ . رواه الحاكم ، وقال : قال أحمد بن حرب : قَدْ جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَقًّا ، وقال إبراهيمُ بنُ عليِّ الدبيلى : قَدْ جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَقًّا ، وقال الحاكم : قال لنا أبو زكريا : قَدْ جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَقًّا . قال الحاكم : قَدْ جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَقًّا . تفرّد به عامرُ بن خدَّاش ، وهو ثقة مأمون انتهى .

[قال الحافظ] : أما عامر بن خداش هذا هو النَّيْسابورى . قال شيخنا الحافظ أبو الحسن : كان صاحب مناكير ، وقد تفرّد به عن عمر بن هارون البلخى وهو متروك متهم ، أثنى عليه ابن مهدى وحده فيما أعلم ، والاعتماد فى مثل هذا على التجربة ، لا على الإسناد ، والله أعلم .

٥ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَعَوَاتٍ فَقَالَ : إِذَا نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ فَقَدِّمْهُنَّ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ يَا بَدِيعَ[(٥)] السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَاصَرِيخَ[(٦)] الْمُسْتَصْرِخِينَ ، يَاغِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ، يَا كَاشِفَ[(٧)] السُّوءِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، يَامُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ ، يَا إِلٰهَ الْعَالَمِينَ[(٨)] بِكَ أُنْزِلُ[(٩)] حَاجَتِي ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهَا فَاقْضِهَا . رواه الأصبهانى ، وفى إسناده إسمعيل بن عياش . وله شواهد كثيرة .

أبى حنيفة يكرهون هذا اللفظ من الدعاء اهـ نهاية . (١) جلالك وعظمتك السامية ، ومنه تبارك اسمك وتعالى جدك : أى جل جلالك وعظمتك ، والجد : الحظ والسعادة والغنى ، ومنه : « ولا ينفع ذا الجد منك الجد » أى لا ينفع ذا الغنى منك غناه؟ وإنما ينفعه الإيمان والطاعة . (٢) قيل هى القرآن وفيه سبحان الله عدد كلماته . كلمات الله كلامه وهو صفته وصفاته لا تنحصر ، وفيه « أعوذ بكلمات الله التامات » إنما وصف كلامه بالتمام لأنه لا يجوز أن يكون فى شئ من كلامه نقص أو عيب كما يكون فى كلام الناس ، وقيل : معنى التمام هاهنا تنفع المتعوذ بها ، وتحفظه من الآفات وتكفيه . (٣) اطلب ما تريد .

(٤) نهى صلى الله عليه وسلم أن يتعلمها الجهلة الفسقة الذين يستعملونها فى أذى العباد ، وفى الشرور ، فسلاحها قاطع فى الخير وفى الشر . (٥) الخالق المخترع لا عن مثال سابق . يقال : أبدع فهو مبدع .

(٦) ياعظيم القدر المتناهى فى العظمة التى يجل عن الإحاطة به ، ومنه الجليل : الذى يجل أن يدرك بالحواس والجلل : الأمر العظيم ، ومنه عجلة . يامغيث المستغيثين ، والاستصراخ : الاستغاثة ، واستصرخته : حملته على الصراخ ، صرخ من باب قتل صراخا فهو صارخ وصريخ : إذا استغاث ، واستصرخته فأصرخنى : استغثت به فأغاثنى فهو صريخ : أى مغيث . (٧) مزيل الضر ، ورافع الأذى .

(٨) العالم : كل ما سوى الله تعالى من السموات والأرضين ، وما بينهما ، والعالم بفتح اللام : الخلق ، وقيل مختص بمن يعقل . (٩) أطلبها بشدة وذل ، ومنه أنزلت فلانا : أضفته ، ونزل فلان : إذا أتى منى .

الترغيب فى صلاة الاستخارة وما جاء فى تركها

١ – عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ . رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم ، وزاد : وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ : تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ . وقال : صحيح الإسناد كذا قال ، ورواه الترمذىّ ، ولفظه :

مِنْ(١) سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ : كَثْرَةُ اسْتِخَارَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَهُ ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ تَعَالَى وَسَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَهُ . وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبى حميد ، وليس بالقوىّ عند أهل الحديث ، ورواه البزار ، ولفظه :

فيه أن الإنسان يتذلل إلى الله ويتضرع ، ويكثر من سؤاله والثناء عليه جل وعلا ليجيب طلبه . قال تعالى :

ا – (وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون . وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون . وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين) ٧٣ – ٧٥ من سورة النمل . الله تعالى صاحب النعم العظيمة على عباده عليم بالخافى والظاهر مقرر فى اللوح المحفوظ .

أيها المسلم : افقه هذا الباب واحفظ هذا الدعاء وثق أن ربك خزائنه لا تنفد واطلب منه جل جلاله ما تشاء واملأ قلبك إيمانا به ، وثقة بوجوده ، ونصره لمن التجأ إليه تعالى واحتقر ما سوى الله ، واعلم كما قال صلى الله عليه وسلم : « أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك » وعليك بأداء حقوق الله وواجباته . قال الله تعالى :

ا – (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور) ٢٢ من سورة لقمان .

ب – (لله ما فى السموات والأرض إن الله هو الغنى الحميد) ٢٦ من سورة لقمان .

(١) يبين الله تعالى للمسلم عسى أن يلجأ إليه سبحانه وتعالى فى مهام أموره صغيرها وكبيرها جليلها ودقيقها كما قال صلى الله عليه وسلم : « ليسأل أحدكم ربه حتى فى شسع نعله » وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن علامات السعادة ودلائل الخير ، وطرق النجاح أن نلجأ للتفويض لمولاك ، وتسلم إليه جل جلاله زمام أمرك . وتجعل نفسك منقادة له ذليلة مطاعة منتظرة رحمته ، وثابة إلى عبادته راغبة فى إحسانه ؛ ومن الخيبة والخسران الجموح عن استشارة الله واستخارته فى أعمالك قبل البدء فيها ، ومن الطرد والبعد والجفاء والغاطلة نكران فضل المنعم ، والتبجح بثاقب رأيه ، وحسن إدارته ، ولا يلجأ إلى مولاه يستخيره . أهذا خير يارب فأقدم أو شر فأحجم ؟ وإن من الحكمة أن ترضى بفعل الله ، وتتقبل الحوادث بثغر باسم ، ونفس مطمئنة ، وصدر منشرح . لماذا ؟ لأنك تعتقد فى وجود الله الفعال (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) أما إعلانك الحرب على الله ، والسخط بقضاء الله ، فهنا قلة أدب وجور وفسوق وكفران مع أن السخط لا يجدى شيئاً ولا يدفع ضرا ، ومن رأفته صلى الله عليه وسلم بأمته إرشاده صلى الله عليه وسلم لسبل استخارة الله تعالى «يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها» قال الشوكانى : دليل على العموم ، وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره ، وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه ، فرب أمر يستخف بأمره فيكون فى الإقدام عليه ضرر عظيم ، أو فى تركه . اهـ ٦٢ ج ٣ .

أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ : مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ اسْتِخَارَتُهُ رَبَّهُ ، وَرِضَاهُ بِمَا قَضَى، وَمِنْ شَقَاءِ المَرْءِ تَرْكُهُ الأَسْتِخَارَةَ ، وَسَخَطُهُ بَعْدَ القَضَاءِ ، ورواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب ، والأصبهانى بنحو البزار .

٢ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الأَسْتِخَارَةَ فى الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ[1] مِنَ القُرْآنِ يَقُولُ : إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ[2] رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلِ[3] : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ[4] بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ[5] بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِى فى دِينِى وَمَعَاشِى[6] ، وَعَاقِبَةِ أَمْرِى[7] ، أَوْ قالَ : عَاجِلِ أَمْرِى وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِى ، وَيَسِّرْهُ لِى ، ثُمَّ بَارِكْ لِى فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الأَمْرَ شَرٌّ

---

(١) أى أنه صلى الله عليه وسلم يشرح لنا طريق استخارة المولى جل وعلا كما يعلمنا السورة من كتاب الله تعالى ويهتم بالإرشاد . قال الشوكانى : فيه دليل على الاهتمام بأمر الاستخارة وأنه متأكد مرغوب فيه اهـ .

(٢) الأمر للندب : أى يسن له أن يصلى ركعتين بنية الاستخارة ، ويتذلل لمولاه عسى أن يرشده إلى الصواب ، ويقيه شر الزلل ، ويلهمه التوفيق ، ويسدد خطاه ، ويمنع عنه السوء ، ولاتجزئ الركعة الواحدة ولا نضر الزيادة على الركعتين كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى أيوب : « ثم صل ما كتب الله لك » أى صل الركعتين بعد أن تؤدى الواجب عليك من صلاة فريضة أو سنة مؤكدة أو راتبة : أى تنتهز فرصة صلاتها بعد إتمام ماعليك . قال الشوكانى : فيه أنه لايحصل التسنن بوقوع الدعاء بعد صلاة الفريضة والسنن الراتبة ، وتحية المسجد ، وغير ذلك من النوافل ، وقال النووى فى الأذكار: إنه يحصل التسنن بذلك. وتعقب بأنه صلى الله عليه وسلم إنما أمره بذلك بعد حصول الهم بالأمر ، فإذا صلى راتبة أو فريضة ، ثم هم بأمر بعد الصلاة ، أو فى أثناء الصلاة لم يحصل بذلك الإتيان بالصلاة المسنونة عند الاستخارة . قال العراقى : إن كان همه بالأمر قبل الشروع فى الراتبة ونحوها ، ثم صلى من غير نية الاستخارة وبدا له بعد الصلاة الإتيان بدعاء الاستخارة ، فالظاهر حصول ذلك . اهـ .

(٣) فيه أنه لايضر تأخر دعاء الاستخارة عن الصلاة مالم يطل الفصل ، وأنه لايضر الفصل بكلام آخر يسير خصوصاً إن كان من آداب أبواب الدعاء .

(٤) أطلب منك الخير والهداية إلى الرشد لأمشى فى طريق ترضاها ، وعاقبتها نجاحى وفلاحى ويمنى ويسرى لأنك أعلم .

(٥) أطلب منك قوة تساعدنى على المضى فى الخير ، وتمنعنى عن السير فى الشر لأنك قادر ومريد .

(٦) حياتى ، وما يؤنس به ، ويزيدنى كمالا وجمالا .

(٧) نهاية حالى .

لِي فِي دِينِي[١] وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي[٢] وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي[٣] بِهِ. قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ.
رواه البخارىّ، وأبو داود والترمذىّ والنسائىّ، وابن ماجه.

---

(١) فى ن د: ودنياى. قال الشوكانى: هو طلب الأكمل من وجوه انصراف ما ليس فيه خيرة عنه ولم يكتف بسؤال صرف أحد الأمرين لأنه قد يصرف الله المستخير عن ذلك الأمر بأن ينقطع طلبه له، وذلك الأمر الذى ليس فيه خيرة لطلبه فربما أدركه، وقد يصرف الله عن المستخير ذلك الأمر، ولا يصرف قلب العبد عنه بل يبقى متطلعاً متشوقاً إلى حصوله، فلا يطيب له خاطر إلا بحصوله، فلا يطمئن خاطره فإذا صرف كل منهما عن الآخر كان ذلك أكمل، ولذلك قال: واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به لأنه إذا قدر له الخير، ولم يرض به كان منكد العيش آثما بعدم رضاه بما قدر الله له مع كونه خيراً له. اهـ.

فأنت ترى سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم يعلمك التفويض فى الأمر لربك، وطلب توجه دفة سفينتك مع إخلاصك لربك وتنفيذ العزيمة، وصدق النية، فعلمك صلاة الاستخارة، ودل على مشروعيتها، والدعاء عقبها بطلب مساعدتك (ويسمى حاجته) أى فى أثناء الدعاء يكنى عنها، والله عليم بها سبحانه.

قال النووى: ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ماينشرح له فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان له فيه هوى قبل الاستخارة بل ينبغى المستخير ترك اختياره رأساً وإلا فلا يكون مستخيرا لله، بل يكون مستخيرا لهواه، وقد يكون غير صادق فى طلب الخيرة، وفى التبرى من العلم والقدرة، وإثباتهما لله تعالى، فإذا صدق فى ذلك تبرأ من الحول والقوة، ومن اختياره لنفسه اهـ.

(٢) أبعده عنى، وأزله من فكرى.

(٣) كذا ع ص ٢٣٤، وفى ن ط: رضنى. إن تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو إلى فلاح العاملين بها ونجاحهم فى الدنيا والآخرة، وما آداب الشرع إلا حصن منيع، وسياج متين يبعد القبائح ويزيل الفواحش، ويطرد المنكر، وإنما هى أنوار ربانية تضىء قلوب المتقين، فيلهمون بالعمل الصالح ويسلكون سبل السعادة، والعيش الرغد بدليل قوله تعالى لحبيبه خير الخلق ورحمتهم صلى الله عليه وسلم: (قل ياأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ٥٠ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ٥١ والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) ٥٢ من سورة الحج. إن الالتجاء إلى الله فى استخارته فى مهام أمورك عمل صالح أرشدك إليها قائد الشرع عليه الصلاة والسلام (نذير) أى أوضح لكم أيها الكفرة والفسقة ماأنذركم به، وأعلمكم أن مخالفة الله فى أوامره سبب العذاب والخراب، والمطيعون الله ورسوله لهم مغفرة لما بدر منهم والله يعفو عنهم، وعاقبتهم بعد الموت الجنة، وفى الدنيا سعة ورزق رغد، وعيش سعيد وخيرات جمة، ومكاسب وفيرة، ورضا الرحمن (كريم) أى من كل نوع يجمع فضائله (معاجزين) مسابقين بالرد والإبطال وعدم العمل بكتاب الله مغالبين مشاقين الساعين فيه بالقبول والتحقيق مثبطين عن الإسلام، من عاجزه فأعجزه وعجزه: إذا سابقه فسبقه لأن كلا من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحوق به وجزاء العصاة والكفار النار الموقدة. قال صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنى أسألك صحة فى إيمانى، وإيمانا فى حسن خلق، ونجاحا يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية، ومغفرة منك ورضوانا» عن أبى هريرة. قال المناوى: رساله تفات

كتاب الجمعة

الترغيب فى صلاة الجمعة والسعى إليها

وما جاء فى فضل يومها وساعتها

١ ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ(١) ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ(٢) وَأَنْصَتَ(٣) غُفِرَ لَهُ(٤) مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ(٥) الْحَصَا فَقَدْ لَغَا . رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه .

[لغا] قيل : معناه خاب من الأجر ، وقيل : أخطأ ، وقيل : صارت جمعته ظهراً ، وقيل : غير ذلك .

---

(١) قال النووى : فيه فضيلة الغسل ، وأنه ليس بواجب للرواية الثانية ، وفيه استحباب ، وتحسين الوضوء ، ومعنى إحسانه الإتيان به ثلاثا ثلاثا ، ودلك الأعضاء ، وإطالة الغرة والتحجيل ، وتقديم الميامن والإتيان بسننه المشهورة ، وفيه أن التنفل قبل خروج الإمام يوم الجمعة مستحب ، وفيه أن النوافل المطلقة لاحد لها لقوله صلى الله عليه وسلم : « فصلى ماقدر له » وفيه الإنصات للخطبة ، وفيه أن الكلام بعد الخطبة قبل الإحرام بالصلاة لابأس به اهـ ص ١٤٧ ج ٦ . (٢) أصغى .

(٣) سكت . قال الله تعالى : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) .

(٤) قال العلماء : معنى المغفرة له أن الحسنة بعشر أمثالها ، وصار يوم الجمعة الذى فعل فيه هذه الأفعال الجميلة فى معنى الحسنة التى تجعل بعشر أمثالها : أى سبعة أيام وثلاثة ، والمعنى : أن الله تعالى يكفر خطاياه الصغيرة التى يفعلها مدة عشرة أيام ، وفيه فضلها وبركتها ، والحث على القيام بها فإنها مكفرات للصغائر داعية إلى التحلى بالمكارم ، ومى نور الإيمان يبعث فى قلوب المتقين . (٥) معناه من وضع يده على الأرض متلاعباً أثناء الخطبة أبطل جمعته ، وقال النووى : فيه النهى عن مس الحصا وغيره من أنواع العبث فى حالة الخطبة ، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخطبة ، والمراد باللغو هنا الباطل المذموم المردود اهـ .

٢ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : الصَّلَوَاتُ(١) الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ . رواه مسلم وغيره .

---

(١) الفرائض: أداؤها يسبب غفران الصغائر ؛ وكذا أداء صلاة الجمعة يكفر ذنوب أسبوع ، وكذا صيام رمضان يستر عيوب عام كله مدة اجتناب الكبائر : أى عدم فعل الموبقات التى نهى الله عنها بوعيد شديد ، وزجر مؤلم . قال الله تعالى : (ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ٣٢ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ٣٣ من سورة النجم أى بعقاب ما عملوا من السوء ، وبالمثوبة الجنة لمن بعد عما يكبر عقابه ، أو يوجب الحد ، وما خش من العيوب إلا ما قل من الذنوب وصغر فإنه مغفور من مجتنبي الكبائر (فلا تزكوا أنفسكم) : أى فلا تثنوا عليها بزكاء العمل ، وزيادة الخير ، أو بالطهارة عن المعاصى والرذائل ، والجمعة عيد المؤمنين خص الله به عز وجل هذه الأمة فيه يعتق الله ستمائة ألف عتيق من النار ، ومن مات فيه أعطى أجر شهيد ، ووقاه الله فتنة القبر وفيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثوابها مضاعف ، وفرضت الجمعة بمكة ليلة الإسراء ، ولم تقم فيها لقلة المسلمين ، ولخفاء الإسلام إذ ذاك ، وهى أفضل الصلوات ، ونعمة جسيمة امتن الله بها على عباده المؤمنين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى فى الجاهلية بيوم العروبة ، ويسمى يوم المزيد لزيادة الخيرات فيه ، وكذا ليلته أفضل ليالى الأسبوع ، وأفضل منه يوم عرفة ، وأفضل الليالى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وعند الإمام أحمد بن حنبل أفضل الأيام يوم الجمعة مطلقاً ، وعند الشافعية الأفضل يوم عرفة ، فيوم الجمعة ، فيوم عيد الأضحى ، فيوم عيد الفطر ، والليالى ليلة مولده المباركة صلى الله عليه وسلم ، فليلة القدر ، فليلة الجمعة ، فليلة الإسراء ، وعنده صلى الله عليه وسلم الأفضل ليلة الإسراء ، وقد رأى ربه بعينى رأسه عليه الصلاة والسلام . وأول من فعلها بالمدينة الشريفة قبل الهجرة أسعد بن زرارة رضى الله عنه بمحل يقال له : نقيع الخضمات على ميل من المدينة . والأصل فى وجوبها قول الله تبارك وتعالى :

ا — (ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ٩ من سورة الجمعة فأمر بالسعى ، وظاهره الوجوب ، وإذا وجب السعى وجب ما يسعى إليه ونهى عن البيع ، وهو مباح ولا ينهى عن المباح إلا لواجب ، والمراد بذكر الله الصلاة ، وقيل الخطبة ، وهى ركعتان ، وليست ظهراً مقصورة . قال عمر رضى الله عنه : « الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ، وقد خاب من افترى » أى كذب رواه الإمام أحمد وغيره ، ونزل صلى الله عليه وسلم قباء حينما قدم المدينة فأقام بها إلى الجمعة ، ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى واد لبنى سالم بن عوف .

ب — وقال تعالى : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ٢٠٤ من سورة الأعراف قال البيضاوى : نزلت فى الصلاة ، كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له ، وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقاً ، وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة ، واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم ، وهو ضعيف اهـ .

٣ — وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى مالك الأشعرى قال: قال رسولُ الله

وفى تفسير الجلالين: نزلت فى ترك الكلام فى الخطبة، وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه، وقيل: فى قراءة القرآن مطلقاً، وعلق الصاوى عليه واجب عند مالك، ومذهب الشافعى الجديد: الإنصات سنة، والكلام مكروه. فيحرم الكلام فى مجلس القرآن للتخليط على القارئ بل يجب الإنصات والاستماع، فإن أمن التخليط فلا حرمة اهـ.

وهى فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل ذكر حر مقيم صحيح. وشروط صحتها:

أولا: إقامتها فى أبنية مصراً كانت أو قرية، فلا تقام فى الصحراء، وإن كان فيها خيام.

ثانياً: إقامتها بأربعين مسلمين أحراراً ذكوراً مستوطنين بمحل إقامتها لايظعنون شتاء ولا صيفاً مكلفين. ويحرم السفر ولو قصيراً على من تلزمه الجمعة بعد طلوع فجر يومها إلا إذا وثق أن يتمكن من صلاتها فى طريقه.

ثالثاً: وقوعها فى وقت الظهر. رابعاً: وقوعها جماعة، ولو فى الركعة الأولى بتمامها بأن يستمروا معه إلى السجود الثانى. خامساً: أن لايسبقها، ولا يقارنها بتحرم جمعة أخرى بمحل إقامتها إلا إذا عسر اجتماع الناس بمكان واحد، وإن تعددت لحاجة فجمعة الكل صحيحة. سادساً: تقدم خطبتين على صلاتها. وشروطهما:

أولا: وقوعهما فى وقت الظهر. ثانياً: أن تكونا عربيتين. ثالثاً: أن لايطول الفصل بغير الوعظ بين أركان كل منهما. رابعاً: أن لايطول الفصل بينهما وبين فراغهما والصلاة.

خامساً: وأن يكون الخطيب قائماً فيهما عند القدرة. سادساً: وأن يكون متطهرا من الحدث والخبث.

سابعاً: وأن يكون ساتر العورة. ثامناً: وأن يسمع أربعين ممن تنعقد بهم الجمعة.

تاسعاً: وأن يجلس بينهما، ويسن كونه بقدر سورة الإخلاص.

وأركان الخطبتين:

أولا: حمد الله تعالى فيهما. ثانياً: والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيهما، ولا يكفى الضمير ولو مع تقدم ذكره على المعتمد. ثالثاً: والوصية بالتقوى فيهما. رابعاً: وقراءة آية مفهمة فى إحداهما وكونها فى الأولى أولى. خامساً: والدعاء للمؤمنين والمؤمنات فى الثانية بأخروى.

وسنن الخطبتين:

أولا: ترتيب أركانهما، والإنصات فيهما لمن سمعهما. ثانياً: كونه على منبر أو مرتفع، ثم يسلم على المسلمين، ثم يجلس فيؤذن بين يديه واحد. ثالثاً: وأن تكون الخطبة بليغة مفهمة متوسطة.

رابعاً: وأن لايلتفت فى شيء منهما. خامساً: وأن يشغل يسراه بنحو سيف أو عصا، ويمناه بحرف المنبر. سادساً: وأن يقرأ فى جلوسه بينهما سورة الإخلاص.

وسنن الجمعة.

أولا: الغسل. ثانياً: تنظيف الجسد. ثالثاً: تقليم الأظفار. رابعاً: نتف الإبط.

خامساً: حلق العانة. سادساً: قص الشارب. سابعاً: تسريح اللحية، وتخضيب الشيب بحمرة أو صفر للاتباع، ويحرم بالسواد، إلا لإرهاب الكفار، ويكره نتف الشيب لأنه نور، وقيل: حرام.

ثامناً: والتطيب بالمسك، والاستياك، والاكتحال وتراً ثلاثاً. تاسعاً: والتزين بأحسن الثياب، وأفضلها البياض. عاشراً: والتبكير الى المصلى ليأخذ مجلسه قبل ازدحام المصلين. وهنا أشدد اللوم والعتاب على أولئك المتأخرين الذين يخطون الرقاب، ويزاحمون الجالسين. هذا لعمرى مضيع الحسنات، ومحبط الثواب فأسرع أخى وخذ لك مكانا فى المجلس، وسبح الله واستغفره وصل على حبيبه صلى الله عليه وسلم تنجح وتربح الحادى عشر: المشى لها بسكينة ووقار. الثانى عشر: والاشتغال بقراءة، أو ذكر، أو استغفار

صلى اللهُ عليه وسلم: الْجُمُعَةُ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، وَزِيَادَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا.

٤ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ فِي يَوْمٍ كَتَبَهُ اللهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: مَنْ عَادَ(١) مَرِيضاً، وَشَهِدَ جَنَازَةً(٢) وَصَامَ(٣) يَوْماً، وَرَاحَ(٤) إِلَى الْجُمُعَةِ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً(٥). رواه ابن حبان فى صحيحه.

٥ — وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَحِقَنِي عُبَايَةُ بْنُ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَنَا أَمْشِي إِلَى الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنَّ خُطَاكَ هٰذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ سَمِعْتُ أَبَا عَبْسٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مَنِ اغْبَرَّتْ(٦) قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ

ويندب للإمام التأخير إلى وقت الخطبة، ويجتهد أن لا يتخطى رقاب الناس، ولا يمر بين أيديهم وهم مصلون ويجلس بقرب حائط أو عمود حتى لا يمروا بين يديه، ولا يقعد حتى يصلى التحية.

الثالث عشر: الإنصات بترك الكلام، والذكر للسامع، وترك الكلام دون الذكر لغيره.

الرابع عشر: إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. الخامس عشر: الصدقة وإكثار الدعاء في يومها ليصادف ساعة الإجابة، ولا بأس بهذا الدعاء:

اللهم إنا نسألك فقهاً فى الدين، وزيادة فى العلم، وكفاية فى الرزق، وعافية وصحة فى البدن وتوبة قبل الموت، وراحة عند الموت، ومغفرة بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين. وتسن قراءة سورة الكهف لقوله صلى الله عليه وسلم: «من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»، ومن دخل المسجد والإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين ثم يجلس».

فائدة: من قرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين سبعاً سبعاً عقب سلامه من الجمعة قبل أن يثنى رجليه وقبل أن يتكلم، ثم قال (اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغنى بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، وبطاعتك عن معصيتك) أربع مرات أغناه الله تعالى، ورزقه من حيث لا يحتسب وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحفظ له دينه ودنياه وأهله وولده.

عن سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به (من واظب على قراءة هذين البيتين فى كل يوم جمعة توفاه الله على الإسلام، تقرأ خمس مرات بعد الجمعة):

إلهى لست للفردوس أهلا ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لى توبة واغفر ذنوبى فإنك غافر الذنب العظيم

اهـ من حاشية الباجورى وتنوير القلوب ص ١٨٩. اللهم وفقنا لنعمل وألبسنا حلل الصحة والقبول.

(١) يزوره. (٢) يمشى معها حتى تدفن. (٣) صام سنة فى غير رمضان.

(٤) ذهب إلى صلاة الجمعة مبكراً. (٥) أى عبد، وأزال عنه الرق والذل وأطلقه حراً لوجه الله والآن أيها السادة فك ضيق مسلم وفرج كرب مؤمن، وأزال عسير رجل صالح وساعد متقياً وأعان عاملا، وشجع فى أعمال الخير. (٦) أى مشى فأصابهما غبار كناية عن سعيه وإتعاب قدميه فى سبيل صلاة الجمعة

فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه البخارى. وعنده قال عباية : أدركنى أبو عبس وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فى سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ .

وَفى رِوَايَةٍ : مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فى سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ قَوْلُ عَبَايَةَ لِيَزِيدَ .

٦ – وَعَنْ أَبِى أَيُّوبَ الْأَنْصَارِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : مَنِ(١) اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِىَ الْمَسْجِدَ فَيَرْكَعَ مَا بَدَا لَهُ وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يُصَلِّىَ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى . رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه ، ورواة أحمد ثقات .

٧ – وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ لَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ، وَمَسَّ طِيباً إِنْ كَانَ عِنْدَهُ ثُمَّ مَشَى إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ(٢) ، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَحَدًا وَلَمْ يُؤْذِهِ ثُمَّ رَكَعَ مَاقَضَى لَهُ ثُمَّ انْتَظَرَ حَتَّى يَنْصَرِفَ الْإِمَامُ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ . رواه أحمد والطبرانى من رواية حرب عن أبى الدرداء ولم يسمع منه .

٨ – وَعَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ نُبَيْشَةُ الْهُذَلِىُّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُؤْذِي أَحَدًا ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْإِمَامَ خَرَجَ صَلَّى مَا بَدَا لَهُ ، وَإِنْ وَجَدَ

أو فى فعل خير، وإن كان أصل سبيل الله الجهاد. وقال المناوى: أى فى طريق يطلب فيها رضا الله فشمل الجهاد وغيره كطلب العلم اهـ .

أيها المسلم : هذا عمل قليل ، وثوابه جليل يدخلك الجنة ويقيك النار إذا خطوت فى إدراك صلاة الجمعة ، ويزيد ثوابك عند الانهماك فى العبادة ، وذل النفس فى طاعة الله تعالى .

(١) يرشد صلى الله عليه وسلم إلى نيل الثواب وتكفير الخطايا أن تنظف جسمك ، وتتعطر من طيب بيتك حتى يفوح شذاك ويعم نداك ، وتعبق ذكراك وينضر وجهك ويبهر منظرك ثم تبكر وتتنفل ولا تتخطى الرقاب (ولم تؤذ أحدا) ثم تصغى إلى الخطبة وتستمع المواعظ عسى أن تؤجر فيمحو الله ما اقترفته مدة أسبوع

(٢) التؤدة والتأنى ، وسيمى الصالحين، وسبيل ذلك العمل بسنن الجمعة .

الْإِمَامَ قَدْ خَرَجَ جَلَسَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ حَتَّى يَقْضِيَ الْإِمَامُ جُمُعَتَهُ وَكَلَامَهُ إِنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِلْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا. رواه أحمد ، وعطاء لم يسمع من نبيشة فيما أعلم .

٩ — وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ(١) وَيَتَطَهَّرُ(٢) مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الطُّهُورِ وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ(٣) وَيَمَسُّ مِنْ طِيبِ(٤) بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ(٥) بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ(٦) لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ(٧) إِذَا تَكَلَّمَ(٨) الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ(٩) وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى(١٠) رواه البخاري والنسائي .

وفي رواية للنسائي : مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَمَا أُمِرَ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ الْجُمُعَةَ ،وَيُنْصِتُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ.

ورواه الطبراني فى الكبير بإسناد حسن نحو رواية النسائي ، وقال فى آخره :

إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى ، مَا اجْتُنِبَتِ الْمَقْتَلَةُ(١١) وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ .

---

(١) غسلا شرعيا . (٢) مبالغة فى التنظيف بأخذ الشارب والظفر والعانة ، وغسل الجسد وتنظيف الثياب حتى يذهب إلى المسجد تعلوه المهابة والنضارة « تعرف فى وجوههم نضرة النعيم » .

(٣) يطلى بالدهن ليزيل شعث رأسه ولحيته به يعنى أنه يرتب ملابسه ، وينظم نفسه ، ويفرق شعره .

(٤) يعنى إن لم يخصص له دهناً ، ولم يوجد له عطرا يذهب إلى طيب زوجته ، وفى حديث أبى داود عن ابن عمر «أو يمس من طيب امرأته» إن لم يتخذ لنفسه طيبا فليستعمل من طيب امرأته ، وزاد فيه: ويلبس من صالح ثيابه اهـ شرقاوى ص ٢٨٨ ح ١ . (٥) فلا يفصل ، ولا يحتك ، ولا يمر مرورا مؤلما ، ولا يوقع قلنسوة ، وهكذا من أعمال الجاهلين المتصرين المتأخرين حتى تمتلئ الصفوف فيأتوا بلا أدب ، ويضربوا الناس على رءوسهم بأقدامهم، وفى حديث ابن عمر عند أبى داود «ثم لم يتخط رقاب الناس» وهو كناية عن التبكير، أى عليه أن يبكر فلا يتخطى رقاب الناس ، أو المعنى لا يزاحم رجلين فيدخل بينهما لأنه ربما ضيق عليهما خصوصا فى شدة الحر واجتماع الناس اهـ . (٦) أى فرض من صلاة الجمعة أو قدر فرضا أو نفلا .

(٧) من نصت : أى يسكت ويصح بضم الياء : من أنصت .

(٨) شرع فى الخطبة : زاد فى رواية حتى يقضى صلاته . (٩) أى بين الجمعة الحاضرة .

(١٠) الماضية والمستقبلة لأن الغفران للمستقبل كالماضى . قال الله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) والمراد غفران الصغائر ، فإن لم تكن له صغائر تكفر رجى أن يكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر وإلا أعطى من الثواب بمقدار ذلك اهـ .

(١١) مدة ابتعادك عن الكبائر التى تسبب الهلاك ، والوقوع فى العقاب الشديد . قال تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنه سيئاتكم) أى نمح عنكم صغائركم .

١٠ – وَرُوِىَ عَنْ عَتِيقٍ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كُفِّرَتْ[١] عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ ، فَإِذَا أَخَذَ فِى الْمَشْىِ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عِشْرُونَ حَسَنَةً ، فَإِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ أُجِيزَ بِعَمَلِ مِائَتَىْ سَنَةٍ[٢] رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفى الأوسط أيضاً عن أبى بكر رضى الله عنه وحده ، وقال فيه :

كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ عِشْرِينَ سَنَةً .

١١ – وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا[٣] مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ[٤] كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا . رواه أحمد، وأبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن، والنسائىّ وابن ماجه، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وصححه ، ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس. قال الخطابي : قوله عليه الصلاة والسلام: غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ. اختلف الناس فى معناه ، فمنهم من ذهب إلى أنه من الكلام المتظاهر الذى يراد به التوكيد ، ولم تقع المخالفة بين المعنيين لاختلاف اللفظين ، وقال : ألا تراه يقول فى هذا الحديث : وَمَشَي وَلَمْ يَرْكَبْ ، ومعناهما واحد ، وإلى هذا ذهب الأثرم صاحب أحمد . وقال بعضهم : قوله غَسَّلَ معناه غسل الرأس خاصة ، وذلك لأن العرب لهم لِمَم وشعور ، وفى غسلها مؤنة فأراد غسل الرأس من أجل ذلك ، وإلى هذا ذهب مكحول ، وقوله : وَاغْتَسَلَ ، معناه غسل سائر الجسد ، وزعم بعضهم أن قوله : غَسَّلَ ، معناه أصاب أهله قبل خروجه إلى الجمعة ليكون أملك لنفسه ، وأحفظ فى طريقه لبصره ، وقوله : وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ. زعم بعضهم أن معنى بكّر أدرك باكورة الخطبة ، وهى أوّلها ، ومعنى ابتكر :

(١) زالت وعفا الله عنه .
(٢) يعطيه الله ثواب من عمل صالحا لله مائتى عام .
(٣) قرب فسمع الخطبة واجتهد أن يعمل بنصائحها ..
(٤) تكلم كلاما يحبط حسناته ، بل سكت .

قدم فى الوقت ، وقال ابن الأنبارى: معنى بكر: تصدق قبل خروجه. وتأول فى ذلك ماروى فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا .

[وقال الحافظ] أبو بكر بن خزيمة : من قال فى الخبر: غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ . يعنى بالتشديد معناه جامع فأوجب الغسل على زوجته، أو أمته، وَاغْتَسَلَ ، ومن قال: غَسَلَ وَاغْتَسَلَ. يعنى بالتخفيف أراد غسل رأسه، واغتسل فضل سائر الجسد لخبر طاوس عن ابن عباس، ثم روى بإسناده الصحيح إلى طاوس. قال: قلت لابن عباس: زعموا أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا[1]، وَمَسُّوا مِنَ الطِّيبِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَّا الطِّيبُ فَلَا أَدْرِى ، وَأَمَّا الْغُسْلُ : فَنَعَمْ .

١٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ ، وَدَنَا وَابْتَكَرَ، وَاقْتَرَبَ وَاسْتَمَعَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا قِيَامُ سَنَةٍ وَصِيَامُهَا . رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : عُرِضَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَهُ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فى كَفِّهِ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فى وَسَطِهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ ، فَقَالَ : مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هٰذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيداً، وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلَ وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ فِيهَا بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قُسِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ ، أَوْ يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرٍّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فى الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ[2] الحديث . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد .

١٤ — وَعَنْ أَبِى لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

---

(١) غسل الجمعة سنة ، والمعنى : وإن لم تكن عليكم جنابة — دعا صلى الله عليه وسلم إلى الغسل وإزالة القذارة ، وإن لم يوجد حدث أكبر يوجب الغسل . (٢) يبشر سيدنا جبريل المسلمين بإظهار الفرح فى يوم الجمعة والبهجة ، وتبادل السرور والتوادد ، ونيل الراحة وكسب المودة، وإنها فرصة لفتح أبواب رحمات الله ، ووقت إجابة الدعوات لمن أكثر فيها من الذكر ، والصلاة على المختار صلى الله عليه وسلم .

عليه وسلم: إن يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى، وَيَوْمِ الْفِطْرِ، وَفِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ: خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَاماً[1]، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضٍ، وَلَا رِيَاحٍ، وَلَا جِبَالٍ، وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَهُنَّ يُشْفِقْنَ[2] مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. رواه أحمد وابن ماجه بلفظ واحد، وفى إسنادهما عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو ممن احتج به أحمد وغيره، ورواه أحمد أيضاً والبزار من طريق عبد الله أيضاً من حديث سعد بن عبادة. وبقية رواته ثقات مشهورون.

١٥ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: خَيْرُ[3] يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خَلَقَ اللهُ آدَمَ[4]، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ

(١) الله سبحانه وتعالى يجيب دعاء الخير إلا إذا طلب قطيعة أو ضررا أو أذى أو آلاما، قال تعالى: (فيكشف ماتدعون إليه إن شاء). (٢) يخفن: أى يكثرن من تسبيح الله وتحميده، ويخشين النشر والزلازل؛ وقبض الأرض، ونفخ الصور، وفى هذا اليوم تقوم الساعة.

(٣) قال العراقى: المراد بتفضيل الجمعة بالنسبة إلى أيامها، وتفضيل يوم عرفة؛ أو يوم النحر بالنسبة إلى سنة اهـ. قال صاحب المفهم: صيغة خير وشر يستعملان للمفاضلة ولغيرها، فإذا كانت للمفاضلة فأصلها أخير وأشرر على وزن أفعل، وإذا لم يكونا للمفاضلة فهما من جملة الأسماء كما قال تعالى (إن ترك خيرا) وقال (ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) قال: وهى فى حديث الباب للمفاضلة، ومعناها فى هذا الحديث أن يوم الجمعة أفضل من كل يوم طلعت شمسه اهـ. (٤) قال الشوكانى: فيه دليل على أن آدم لم يخلق فى الجنة بل خلق خارجها ثم أدخل فيها اهـ. وقد قال جم من العلماء منهم الرافعى، وصاحب المغنى: إن ساعة الإجابة مخفية فى جميع اليوم كما أخفيت ليلة القدر. وقد روى الحاكم وابن خزيمة عن أبى سعيد أنه قال: سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال: قد علمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر. وقيل: إذا زالت الشمس، وقيل إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة، وقيل: مابين خروج الإمام إلى أن تقام الصلاة. وقيل: مابين أن يحرم البيع إلى أن يحل. وقيل مابين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن تنقضى الصلاة. وقيل: عند الجلوس بين الخطبتين. وقيل من إقامة الصلاة إلى تمام الصلاة، وقيل: فى صلاة العصر، والله أعلم بزمن وجودها رجاء التضرع وكثرة التذلل، وخشية الله، دائما فى ساعة كلها، والإكثار من الصلاة والدعاء، فيصادفها من اجتهد. ومن خطب الحسناء لم يغلها مهر. قال القاضى عياض فى شرح حديث: «خير يوم» الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست الذكر فضيلته لأن إخراج آدم، وقيام الساعة لايعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام، وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله، ودفع نقمته اهـ.

وقال أبو بكر بن العربى فى كتابه الأحوزى فى شرح الترمذى: الجميع من الفضائل وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية وهذا النسل العظيم، ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، ولم يخرج منها طرداً بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها؛ وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وغيرهم، وإظهار كرامتهم وشرفهم، وفى هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته على سائر الأيام اهـ.

وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا . رواه مسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائىّ ، وابن خزيمة فى صحيحه ، ولفظه قال :

مَاطَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَلاَ غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ،هَدَانَا اللهُ لَهُ ،وَضَلَّ النَّاسُ عَنْهُ ،فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ فَهُوَ لَنَا،وَالْيَهُودُ يَوْمَ السَّبْتِ،وَالنَّصَارَى يَوْمَ الأَحَدِ، إِنَّ فِيهِ لَسَاعَةً لاَيُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يُصَلِّى يَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ . فذكر الحديث .

١٦ — وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،فِيهِ خَلَقَ اللهُ آدَمَ ،وَفِيهِ قُبِضَ،وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَىَّ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَعْرُوضَةٌ عَلَىَّ ، قالُوا : وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ ، وَقَدْ أَرَمْتَ : أَىْ بَلِيتَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلاَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَامَنَا(١) . رواه أبو داود والنسائى، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه، واللفظ له، وهو أتمّ، وله علة دقيقة امتاز إليها البخارى وغيره ، ليس هذا موضعها وقد جمعت طرقه فى جزء .

[أرمت] : بفتح الراء وسكون الميم : أى صرت رميما ، وروى أرمت بضم الهمزة وسكون الميم.

١٧ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ،وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِىَ تَفْزَعُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا هٰذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ . رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، ورواه أبو داود وغيره أطول من هذا ، وقال فى آخره :

قال النووى : لو قال لزوجته أنت طالق فى أفضل الأيام ، فيه وجهان لأصحابنا : أصحهما تطلق يوم عرفة والثانى يوم الجمعة لهذا الحديث . وهذا إذا لم يكن له نية ، أما إذا أراد أفضل أيام السنة فيتعين يوم عرفة ، وإن أراد أفضل أيام الأسبوع فيتعين الجمعة ، ولو قال أفضل ليلة تعينت ليلة القدر ، وهى منحصرة فى العشر الأواخر اه .

(١) تحفظ الأرض أجسام الأنبياء فلا تبلى ، وفيه أن كثرة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم تجلب الأمن ، وتزيل الخوف من الشدائد ، وتبعث على انشراح الصدر ، وتخفف البث .

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا(١) مِنَ السَّاعَةِ إِلَّا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ .

[مصيخة] : معناه مستمعة مصغية تتوقع قيام الساعة .

١٨ — وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : تُحْشَرُ الْأَيَّامُ عَلَى هَيْئَتِهَا ، وَتُحْشَرُ الْجُمُعَةُ زَهْرَاءَ(٢) مُنِيرَةً أَهْلُهَا يَحُفُّونَ(٣) بِهَا كَالْعَرُوسِ تُهْدَى إِلَى خِدْرِهَا(٤) تُضِيءُ لَهُمْ يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيَاضًا ، وَرِيحُهُمْ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ(٥) الْكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ(٦) لَا يَطْرِفُونَ تَعَجُّبًا حَتَّى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤَذِّنُونَ الْمُحْتَسِبُونَ(٧) . رواه الطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال : إن صح هذا الخبر ، فإن فى النفس من هذا الإسناد شيئاً .

[قال الحافظ] : إسناده حسن ، وفى متنه : غرابة .

١٩ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِتَارِكٍ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا غَفَرَ لَهُ . رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعا فيما أرى بإسناد حسن .

٢٠ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَضَلَّ(٨) اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، كَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ(٩) وَالْأَحَدُ لِلنَّصَارَى فَهُمْ لَنَا تَبَعٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ

---

(١) خوفا من أهوال يوم القيامة . (٢) بيضاء ساطعة .

(٣) المراد : المصلون المستغفرون ، المكثرون من طاعة الله وذكره ، والصلاة على حبيبه يظلهم الله فى ظله ، ويستضيئون بضوء يوم الجمعة ، يوم يشتد الهول ، وتظلم القلوب ، وتكثر الزلازل والمصائب .

(٤) ناحية فى البيت يترك عليها ستر فتكون فيها الجارية البكر ، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا خطب إليه إحدى بناته أتى الخدر فقال : إن فلانا خطبك إلى ، فإن طعنت فى الخدر لم يزوجها : أى دخلت سترها .

(٥) المعنى أن أجسامهم بيضاء صافية ، وروائحهم المسك الأذفر كأن طريقهم الورد والياسمين ، وأنواع الرياحين . (٦) الإنس والجن المتطلعون حساب الله (٧) يرافقهم من يؤذن طالباً الثواب من الله جل وعلا

(٨) فيه دلالة لمذهب أهل السنة أن الهدى والإضلال والخير والشر كله بإرادة الله تعالى ، وهو فعله خلافا للمعتزلة اهـ نووى . (٩) قال القاضى : الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف اجتهادهم فى تعيينه ، ولم يهدهم الله له ؛ وفرضه الله على هذه

الدُّنْيَا ، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُقْضَى لَهُمْ قَبْلَ الْخَلاَئِقِ . رواه ابن ماجه والبزار ، ورجالهما رجال الصحيح إلا أن البزار قال :

نَحْنُ الآخِرُونَ فى الدُّنْيَا الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الْمَغْفُورُ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلاَئِقِ ، وهو فى مسلم بنحو اللفظ الأول من حديث حذيفة وحده .

٢١ — وَرُوِىَ عَنْ أَنَسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً لَيْسَ فِيهَا سَاعَةٌ إِلاَّ وَلِلَّهِ فِيهَا سِتُّمَائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ[1] مِنَ النَّارِ . قَالَ : فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ فَدَخَلْنَا عَلَى الْحَسَنِ فَذَكَرْنَا لَهُ حديث ثابت ، فقال : سمعته ، وزاد فيه : كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ . رواه أبو يعلى والبيهقى باختصار ، ولفظه :

لِلَّهِ فى كُلِّ جُمُعَةٍ سِتُّمَائَةِ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ .

٢٢ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ : فِيهَا سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا . رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه

[وأما تعيين الساعة] : فقد ورد فيه أحاديث كثيرة صحيحة ، واختلف العلماء فيها اختلافا كثيراً بسطته فى غير هذا الكتاب ، وأذكر هنا نبذة من الأحاديث الدالة لبعض الأقوال .

٢٣ — وَعَنْ أَبِى بُرْدَةَ بْنِ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِى عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا : أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ قُلْتُ : نَعَمْ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ[2] . رواه مسلم ، وأبو داود ، وقال : يَعْنِى عَلَى الْمِنْبَرِ ، وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم .

الأمة مبيناً ، ولم يكله إلى اجتهادهم ، ففازوا بتفضيله . قال : وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بالجمعة ، وأعلمهم بفضلها ، فناظروه أن السبت أفضل ، فقيل له : دعهم اهـ ص ١٤٥ ج ٦ .

(١) يبشر صلى الله عليه وسلم أن الرب تبارك وتعالى يخرج من النار هذا العدد تفضلا منه وكرما رجاء أن تتوب وتخلص لله ، وتعبده بحق عسى أن تشملك رحمته ، ويغدقك بإحسانه .

(٢) قال القاضى : اختلف السلف فى وقت هذه الساعة ، وفى معنى قائم يصلى ، فقال بعضهم : هى من بعد

٢٤ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يَسْأَلُ اللهَ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئاً إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ . قالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَيَّةُ سَاعَةٍ هِيَ ؟ قالَ هِيَ حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ إِلَى الِانْصِرَافِ مِنْهَا . رواه الترمذى وابن ماجه كلاهما من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ، وقال الترمذى : حديث حسن غريب .

[قال الحافظ] : كثير بن عبد الله واهٍ بمرة ، وقد حسّن له الترمذى هذا وغيره ، وصحح له حديثاً فى الصلح فانتقد له الحفاظ تصحيحه له بل وتحسينه ، والله أعلم .

٢٥ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : الْتَمِسُوا السَّاعَةَ الَّتِي تُرْجَى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غَيْبُوبَةِ[1] الشَّمْسِ . رواه الترمذى ، وقال: حديث غريب ، ورواه الطبرانى من رواية ابن لهيعة ، وزاد فى آخره: وَهِيَ قَدْرُ هٰذَا ، يعنى قبضة ، وإسناده أصلح من إسناد الترمذى .

٢٦ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قُلْتُ وَرَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم جَالِسٌ : إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى : فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئاً إِلَّا قَضَى اللهُ لَهُ حَاجَتَهُ . قالَ عَبْدُ اللهِ : فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم . أَوْ بَعْضَ سَاعَةٍ ، فَقُلْتُ صَدَقْتَ ، أَوْ بَعْضَ سَاعَةٍ . قُلْتُ : أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ ؟ قالَ : آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ . قُلْتُ : إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةَ صَلَاةٍ ؟ قالَ: بَلَى إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى ، ثُمَّ جَلَسَ لَمْ يُجْلِسْهُ إِلا الصَّلَاةُ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ . رواه ابن ماجه ، وإسناده على شرط الصحيح .

٢٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم : أَيُّ

العصر إلى المغرب . قالوا : ومعنى يصلى : يدعو ، ومعنى قائم : ملازم ومواظب كقوله تعالى : (مادمت عليه قائما) وقال آخرون : هى من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة ، وقال آخرون : من حين تقام الصلاة حتى يفرغ ، والصلاة على ظاهرها ، وقيل : من حين يجلس الإمام على المنبر حتى يفرغ من الصلاة ، وقيل : آخر ساعة من يوم الجمعة اهـ ، وقال النووى : والصحيح بل الصواب ما رواه مسلم « ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » اهـ ص ١٤٠ ج ٦ .

(١) غروب .

شَىْءٍ يَوْمُ الْجُمُعَةِ . قالَ : لِأَنَّ فِيهَا طُبِعَتْ[١] طِينَةُ أَبِيكَ آدَمَ ، وَفِيهَا الصَّعْقَةُ[٢] وَفِيهَا الْبَعْثَةُ[٣] وَفِيهَا الْبَطْشَةُ[٤] ، وَفى آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْهَا: سَاعَةٌ مَنْ دَعَا اللهَ فِيهَا أُسْتُجِيبَ لَهُ . رواه أحمد من رواية علىّ بن أبى طلحة عن أبى هريرة ، ولم يسمع منه ، ورجاله محتج بهم فى الصحيح .

٢٨ — وَرُوِىَ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِىَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : السَّاعَةُ الَّتِى يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَغْفَلَ[٥] مَا يَكُونُ النَّاسُ . رواه الأصبهانى .

٢٩ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً لَا يُوجَدُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئاً إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ . رواه أبو داود والنسائى ، واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، وهو كما قال الترمذى .

وَرَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ صلى اللهُ عليه وسلم وَغَيْرِهِمْ أَنَّ السَّاعَةَ الَّتِى تُرْجَى بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ وَإِسْحٰقُ ، وَقالَ أَحْمَدُ : أَكْثَرُ الْحَدِيثِ فى السَّاعَةِ الَّتِى تُرْجَى فِيهَا إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ أَنَّهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ . قالَ : وَتُرْجَى بَعْدَ الزَّوَالِ ، ثم روى حديث عمرو بن عوف المتقدم ، وقال الحافظ : أبو بكر بن المنذر :

---

(١) خلقت ، أراد الله و هذا اليوم أن يقول: آدم كن فيكون ، وفيه : (كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب) أى يخلق عليها . (٢) أى يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه ، وربما مات منه ثم استعمل فى الموت كثيراً . قال علماء التوحيد: ينفخ إسرافيل فى الصور كهيئة البوق الذى يزمر به ولكنه هو قرن من نور فتخرج الأرواح مثل النحل ، فتمشى و الأجساد مشى السم فى اللديغ ، وهو المسمى عندهم بالنشر (إحياء الموتى) قال تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) وهى العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار بأهلهما والأرواح ، وقوله تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى) وهى النفخة الثانية يساق الناس الى المحشر المسمى: (الحشر) اهـ من كتابى «النهج السعيد وعلم التوحيد» ص١٥٨ .

(٣) الإحياء بعد الموت يوم القيامة: أى إحياء الأبدان من قبورها . قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) ٧ من سورة الحج

(٤) أخذ الناس بصولة وقهر وغلبة . قال تعالى : (يوم نبطش البطشة الكبرى) ١٦ من سورة الدخان (ولقد أنذرهم بطشتنا) ٣٦ من سورة القمر (إن بطش ربك لشديد) . ١٢ من سورة البروج .

(٥) يكون الناس فى غاية الغفلة والجبر بفائدتها ، وعدم الاعتناء بالعبادة ، والدعاء فيها .

اخْتَلَفُوا فى وَقْتِ السَّاعَةِ الَّتِي يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : هِيَ مِنْ بَعْدِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ : هِيَ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ ، وَفِيهِ قَوْلٌ ثَالِثٌ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ ، وَرَوَيْنَا عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : هِيَ إِذَا قَعَدَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى يَفْرُغَ[1] ، وَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ : هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي اخْتَارَ اللهُ فِيهَا الصَّلَاةَ ، وَقَالَ أَبُو السَّوَارِ الْعَدَوِيُّ: كَانُوا يَرَوْنَ الدُّعَاءَ مُسْتَجَابًا مَا بَيْنَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فى الصَّلَاةِ ،وَفِيهِ قَوْلٌ سَابِعٌ ، وَهُوَ أَنَّهَا مَا بَيْنَ أَنْ تَزِيغَ[2] الشَّمْسُ بِشِبْرٍ إِلَى ذِرَاعٍ ،وَرَوَيْنَا هَذَا الْقَوْلَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَفِيهِ قَوْلٌ ثَامِنٌ وَهُوَ أَنَّهَا مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ : كَذَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَبِهِ قَالَ طَاوُسٌ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

الترغيب فى الغسل يوم الجمعة

[وقد تقدم ذكر الغسل فى الباب قبله فى حديث نبيشة الهذلى ، وسلمان الفارسى ، وأوس بن أوس ، وعبد الله بن عمرو ، وتقدم أيضاً حديث أبي بكر ، وعمران بن حصين ، قالا : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ ، وَخَطَايَاهُ . الحديث] .

١ - وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّ الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَيَسُلُّ[3] الْخَطَايَا مِنْ أُصُولِ الشَّعْرِ اسْتِلَالاً . رواه الطبرانيّ فى الكبير ورواته ثقات .

---

(١) ينتهى من الخطبة ويصلى ، وتلك روايات . أرجو أن تستيقظ لأوقات هذا اليوم المبارك ، وتكثر فيه من طاعة مولاك وتسبيحه وذكره ، والدعاء بطلب المغفرة والرضوان إنه قدير . اللهم سهل لنا الخير ، وارزقنا السعادة ، اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

(٢) تشرق .

(٣) ليخرج الذنوب من غصون الشعر إخراجا . يقال سل الشىء : انتزعه ، وفى حديث عائشة « فانسللت بين يديه » أى مضيت ، وخرجت بتأن وتدريج ، وحديث الدعاء : « اللهم أخرج سخيمة قلبى » ، والمعنى أن الذى يحافظ على غسل بدنه ، ونظافة جسمه يوم الجمعة يزيل الله آثامه .

٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي وَأَنَا أَغْتَسِلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ: غُسْلُكَ هٰذَا مِنْ جَنَابَةٍ أَوْ لِلْجُمُعَةِ ؟ قُلْتُ : مِنْ جَنَابَةٍ . قَالَ أَعِدْ غُسْلاً آخَرَ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانَ فِى طَهَارَةٍ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى(١) . رواه الطبرانى فى الأوسط ، وإسناده قريب من الحسن ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال : هذا حديث غريب لم يروه غير هارون ، يعنى ابن مسلم صاحب الحنا ، ورواه الحاكم بلفظ الطبرانى ، وقال : صحيح على شرطهما ، ورواه ابن حبان فى صحيحه ، ولفظه : مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَمْ يَزَلْ طَاهِرًا إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) معناه أمره أبوه أن يعيد كرة الغسل مرة أخرى بنية غسل الجمعة، ويعمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وكانت نيته غسل الحدث الأكبر وإزالته . قال العلماء : لابد من النية: أى ينوى الجنب رفع الجنابة أو الحدث الأكبر . أما إذا نوى الحدثين فتحصل الإزالة والعمل بالسنة، ولو نوى غسل السنة لم يندرج الحدث الأكبر فيه وبهذه المناسبة أذكر فرائض الغسل وسننه ومكروهاته وشروطه :

فروض الغسل وسننه

أولا : النية ، وتكون النية مقرونة بأول الفرض ، وهو أول ما يغسل من أعلى البدن أو أسفله ، فلو نوى بعد غسل جزء وجب إعادته .

ثانياً : إزالة النجاسة إن كانت على بدنه .

ثالثاً : إيصال الماء إلى جميع الشعر والبشرة ، ولا فرق بين شعر الرأس وغيره ، والشعر المضفور إن لم يصل الماء إلى باطنه إلا بالنقض وجب نقضه ، فالسيدة تنتبه لهذا الحكم ، وتعتنى بالغسل لتبنى عبادتها على صحة، ويجب غسل ماظهر من صماخى أذنيه أى خرقيهما، ومن أنف مشقوق مقطوع ظهر بالقطع، بخلاف الباطن الذى كان منفتحاً قبل القطع فلا يجب غسله وإن ظهر بعد قطع ما كان ساتره ، ومن شقوق بدن كشقوق الرجلين للفلاحين والماشين ، ويجب إيصال الماء إلى ماتحت القلفة وهى الجلدة التى تزال بالختان للأقلف ، وإلى مايبدو من فرج المرأة عند قعودها لقضاء حاجتها ، ويجب غسل ملتقى المنفذ المسمى:(المسربة)فيسترخى ليصل الماء إلى ذلك ، وينبغى لمن يغتسل من نحو إبريق أن ينوى رفع الحدث بعد الاستنجاء لئلا يحتاج إلى مسه بعد ذلك، فينتقض وضوؤه أو إلى كلفة فى لف يده بخرقة .

وسنن الغسل : التسمية ، والوضوء قبله ، وينوى المغتسل سنة الغسل إن تجردت جنابته عن الحدث الأصغر ، وإلا نوى به الأصغر ، وإمرار اليد على ما وصلت إليه من الجد ، وعند مالك رحمه الله يجب الدلك والموالاة ، وتقديم اليمنى من شقيه على اليسرى ، وإزالة القذر ، وتعهد غضون جلده (معاطفه) ، والتثليث وتخليل الشعر .

ومكروهاته : الزيادة على ثلاث ، والإسراف فى الماء ، وشروطه : عدم المنافى ، وعدم الحائل اهـ

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَاغْتَسَلَ الرَّجُلُ(١) ، وَغَسَلَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ تَطَيَّبَ مِنْ أَطْيَبِ طِيبِهِ ، وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ(٢) ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ(٣) ، وَلَمْ يُفَرِّقْ(٤) بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَمَعَ(٥) الْإِمَامَ غُفِرَ لَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَزِيَادَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . رواه ابن خزيمة في صحيحه .

[قال الحافظ] : وفى هذا الحديث دليل على ماذهب إليه مكحول ، ومن تابعه فى تفسير قوله : غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ . والله أعلم .

٤ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ(٦) عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ(٧) ، وَسِوَاكٌ ، وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ(٨) مَا قَدَرَ عَلَيْهِ . رواه مسلم وغيره .

٥ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ هٰذَا يَوْمُ عِيدٍ جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ جَاءَ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ . رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، وستأتى أحاديث تدل لهذا الباب فيما يأتى من الأبواب إن شاء الله تعالى .

الترغيب فى التبكير إلى الجمعة وما جاء فيمن يتأخر عن التبكير من غير عذر

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ(٩) ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى(١٠) فَكَأَنَّمَا

---

(١) المعنى نظف جسمه ، وزال شعث رأسه . (٢) تحلى بلباس نظيف . (٣) الجمعة .
(٤) لم يتخط الرقاب . (٥) الخطبة . (٦) أى متأكد فى حقه كما يقول الرجل لصاحبه : حقك واجب على : أى متأكد ، لأن المراد الواجب الحتم المعاقب عليه اهـ نووى. ص ١٣٤ ج ٦.
(٧) بالغ . (٨) معناه ويسن السواك ، ومس الطيب . قال القاضى : محتمل لتكثيره ، ومحتمل لتأكيده حتى يفعله بما أمكنه ، ويؤيده قوله : ولو من طيب المرأة ، وهو المكروه للرجال ، وهو ما ظهر لونه ، وخفى ريحه ، فأباحه للرجل هنا للضرورة لعدم غيره ، وهذا يدل على تأكيده ، والله أعلم اهـ .
(٩) غسلا كغسل الجنابة فى الصفات استوفى فروضه وسننه . (١٠) ذهب أول النهار ، وفيه استحباب التبكير إليها أول النهار ، والمراد بالساعة لحظات لطيفة حازت الأسبقية فى الذهاب أولا وأخبر صلى الله عليه وسلم

قَرَّبَ بَدَنَةً[1] ، وَمَنْ رَاحَ فى السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ : فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فى السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ : فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا[2] أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فى السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ : فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فى السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ : فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ[3] يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ[4]. رواه مالك والبخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذىّ والنسائىّ ، وابن ماجه .

٢ — وفى رواية البخارىّ ومسلم وابن ماجه : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِى يُهْدِى بَدَنَةً ثُمَّ كَالَّذِى يُهْدِى بَقَرَةً ، ثُمَّ كَبْشًا ، ثُمَّ دَجَاجَةً ، ثُمَّ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ . ورواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحو هذه .

٣ — وَفِى رِوَايَةٍ لَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : الْمُسْتَعْجِلُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَالْمُهْدِى بَدَنَةً ، وَالَّذِى يَلِيهِ كَالْمُهْدِى بَقَرَةً ، وَالَّذِى يَلِيهِ كَالْمُهْدِى شَاةً ، وَالَّذِى يَلِيهِ

أن الملائكة تكتب من جاء فى الساعة الأولى ، وهو كالمهدى بدنة وفيه الترغيب بالحضور فى اتساع الوقت ليجلس فى الصف الأول ويكثر من ذكر الله وتسبيحه ويتفرغ لطاعة ربه ويبعد عن مشاغل الدنيا ويدعو الله تعالى. قال النووى: فيه الترغيب فى فضيلة السبق وتحصيل الصف الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر ونحوه وهذا كله لايحصل بالذهاب بعد الزوال ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن النداء يكون حينئذ ويحرم التخلف بعد النداء، والله أعلم . واختلف أصحابنا هل تعيين الساعات من طلوع الفجر،أم من طلوع الشمس ؟ والأصح عندهم من طلوع الفجر اهـ . والمعنى يحوز الثواب الأكثر من سبق .

(١) يقع على الذكر والأنثى والهاء للواحدة كقمحة ولعظم ضخامتها سميت بدنة ، ولأنها تبقر الأرض أى تشقها بالحراثة والمعنى كأنه أحضر ناقة أو جملا وذبحها ووزع لحمها صدقة على الفقراء فينال المبكر ثواب مثل ذلك . (٢) ذكراً له قرنان،وصفه بالأقرن لأنه أكمل، وأحسن صورة،ولأن قرنه ينتفع به . قال النووى: وأما فقه الفصل ففيه الحث على التبكير إلى الجمعة وأن مراتب الناس فى الفضيلة فيها وفى غيرها بحسب أعمالهم ، وهو من باب قول الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وفيه أن القربان والصدقة يقع على القليل والكثير اهـ . (٣) قال النووى : قالوا : هؤلاء الملائكة غير الحفظة وظيفتهم كتابة حضر الجمعة اهـ .

(٤) خطبة الإمام .

يا أخى : ملائكة الرحمة على باب المسجد ينتظرون حضورك ليثبتوك فى ديوان الأبرار فأرجو أن تبكر ، وتتحلى بحلل الصالحين وتتزيا بزى المتقين وتكثر من الذكر والصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم وتتصدق وترضى الله وأهلك وأصحابك ولا تغضب أحداً ورد الديون إلى أهلها وصالح من خاصمته ، والى الله عسى أن تربح وتنجح وتفلح.

كالمُهْدِى طَيْرًا . وَفى أُخْرَى لَهُ قالَ : عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسَاجِدِ يَوْمَ الْجُمعَةِ مَلَكانِ يَكْتُبانِ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ كَرَجُلٍ قَدَّمَ بَدَنَةً ، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ بَقَرَةً ، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ شَاةً ، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ طَيْرًا ، وَكَرَجُلٍ قَدَّمَ بَيْضَةً ، فَإِذَا قَعَدَ الإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ .

[المهجر] : هو المبكّر الآتى فى أول ساعة .

٤ - وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وَسلم ضَرَبَ مَثَلَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ التَّبْكِيرِ ، كَأَجْرِ الْبَقَرَةِ ، كَأَجْرِ الشَّاةِ حَتَّى ذَكَرَ الدَّجَاجَةَ . رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

٥ — وَعَنْ أَبِى أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : تَقْعُدُ المَلائِكَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى أَبْوَابِ المَسَاجِدِ مَعَهُمُ الصُّحُفُ يَكْتُبُونَ النَّاسَ ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ ، قُلْتُ : يَاأَبَا أُمَامَةَ لَيْسَ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَ خُرُوجِ الإِمَامِ جُمُعَةٌ ؟ قالَ : بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِمَّنْ يُكْتَبُ[1] فى الصُّحُفِ . رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ، وفى إسناده مبارك بن فضالة .

٦ — وَفى رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : تَقْعُدُ المَلائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ المَسَاجِدِ فَيَكْتُبُونَ الأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الإِمَامُ رُفِعَتِ الصُّحُفُ . ورواة هذا ثقات .

٧ - وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ يُرَبِّثُونَ[2] النَّاسَ إِلَى أَسْوَاقِهِمْ ، وَتَقْعُدُ المَلائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ المَسَاجِدِ يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ : السَّابِقَ وَالمُصَلِّيَ وَالَّذِى يَلِيهِ حَتَّى يَخْرُجَ الإِمَامُ ، فَمَنْ دَنَا مِنَ

---

(١) بمعنى أن من حضر بعد صعود الإمام على المنبر لايكتب اسمه فى سجل المتقين وتصح الجمعة منه إذا سمع أركان الخطبة .

(٢) يؤخرون ، ومنه الحديث ، وعد جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فراث عليه : أى أبطأ .

إن الشياطين أيها المسلمون ينتشرون يوم الجمعة يثبطون عزائم المصلين ، ويلقون فى روعهم الاستمرار فى البيع والشراء رجاء ضياع التبكير ، ويغوونهم كى يتأخروا عن أدائها ، فاحذروا حفظكم الله دسهم وكيدهم (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) واختصوا بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة والإغواء .

الْإِمَامِ فَأَنْصَتَ وَاسْتَمَعَ ، وَلَمْ يَلْغُ[1] ، كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَمَنْ نَأَى[2] فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ كِفْلٌ[3] مِنَ الْأَجْرِ ، وَمَنْ دَنَا[4] مِنَ الْإِمَامِ فَلَغَا وَلَمْ يُنْصِتْ وَلَمْ يَسْتَمِعْ كَانَ عَلَيْهِ كِفْلَانِ مِنَ الْوِزْرِ[5] ، وَمَنْ قَالَ صَهْ[6] فَقَدْ تَكَلَّمَ ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فَلَا جُمُعَةَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : هٰكَذَا سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ . رواه أحمد ، وهذا لفظه . وأبو داود ، ولفظه :

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ غَدَتِ الشَّيَاطِينُ بِرَايَاتِهَا إِلَى الْأَسْوَاقِ فَيَرْمُونَ النَّاسَ بِالتَّرَابِيثِ أَوِ الرَّبَائِثِ ، وَيُثَبِّطُونَهُمْ عَنِ الْجُمُعَةِ ، وَتَغْدُو[7] الْمَلَائِكَةُ فَيَجْلِسُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ ، وَيَكْتُبُونَ الرَّجُلَ مِنْ سَاعَةٍ ، وَالرَّجُلَ مِنْ سَاعَتَيْنِ ، حَتَّى يَخْرُجَ الْإِمَامُ ، فَإِذَا جَلَسَ مَجْلِساً يَسْتَمْكِنُ فِيهِ مِنَ الْاِسْتِمَاعِ وَالنَّظَرِ فَأَنْصَتَ[8] وَلَمْ يَلْغُ[9] كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ ، فَإِنْ نَأَى حَيْثُ لَا يَسْمَعُ فَأَنْصَتَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ كِفْلٌ مِنَ الْأَجْرِ ، فَإِنْ جَلَسَ مَجْلِساً لَا يَسْتَمْكِنُ فِيهِ مِنَ الْاِسْتِمَاعِ وَالنَّظَرِ فَلَغَا وَلَمْ يُنْصِتْ كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنْ وِزْرٍ ، فَإِنْ جَلَسَ مَجْلِساً يَسْتَمْكِنُ فِيهِ مِنَ الْاِسْتِمَاعِ وَالنَّظَرِ ، وَلَغَا وَلَمْ يُنْصِتْ كَانَ لَهُ كِفْلٌ مِنْ وِزْرٍ . قَالَ : وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَا ، وَمَنْ لَغَا لَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ ذٰلِكَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ذٰلِكَ :

[قال الحافظ] : وفى إسنادهما راوٍ لم يسمّ .

---

(١) ولم يقل كلاما ساقطاً باطلا مردوداً. من لغا يلغو: أى قال اللغو والكلام الملغى، أو قال غير الصواب أو تكلم بما لاينبغى ، ففيه النهى عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة ، وإذا أراد نهى غيره عن الكلام يشير إليه بالسكوت إن فهمه ، فإن تعذر فهمه فلينهه بكلام مختصر . قال العلماء : يجب الإنصات للخطبة ولو لم يسمع .

(٢) بعد عن الإمام مكانه . (٣) نصيب .

(٤) قرب . (٥) الذنب .

(٦) اسم فعل بمعنى اسكت ، أى إذا نصح بكلمة اسكت فهوش وشوش وضيع ثواب جمته ، فالمتكلم بلا فائدة أكثر ضياعا وباطلا وتشويشاً ، وهو محروم من ثواب الله ، قريب من الشيطان بعيد من الرحمن .

(٧) فتذهب . (٨) صغى وانتبه وحاول أن يسمع .

(٩) من لغى يلغى كسعى يسعى . قال تعالى: «وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » . والمعنى يبتعد المسلمون عن اللغو والكلام أثناء القراءة خشية إحباط الأعمال وضياع ثوابها .

[الربايث] : بالراء والباء الموحدة ، ثم ألف وياء مثناة تحت بعدها ثاء مثلثة : جمع ربيثة وهى الأمر الذى يحبس المرء عن مقصده ويثبطه عنه ، ومعناه أن الشياطين تشغلهم وتفندهم عن السعى إلى الجمعة إلى أن تمضى الأوقات الفاضلة

[قال الخطابى] : الترابيث ليس بشىء إنما هو الربايث ، وقوله : فيرمون الناس إنما هو فيربثون الناس . قال وكذلك روى لنا فى غير هذا الحديث .

[قال الحافظ] : يشير إلى لفظ رواية أحمد المذكورة .

وقوله:[صه] : بسكون الهاء وتكسر منوّنة ، وهى كلمة زجر للمتكلم : أى اسكت .

[والكفل] : بكسر الكاف : هو النصيب من الأجر أو الوزر .

٨ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ فَيَكْتُبُونَ مَنْ جَاءَ مِنَ النَّاسِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَرَجُلٌ قَدَّمَ جَزُورًا(١) ، وَرَجُلٌ قَدَّمَ بَقَرَةً ، وَرَجُلٌ قَدَّمَ شَاةً ، وَرَجُلٌ قَدَّمَ دَجَاجَةً ، وَرَجُلٌ قَدَّمَ بَيْضَةً . قَالَ : فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ ، وَجَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ طُوِيَتِ الصُّحُفُ . وَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ . رواه أحمد بإسناد حسن ، ورواه النسائىّ بنحوه من حديث أبى هريرة .

٩ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : تُبْعَثُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَكْتُبُونَ مَجِيءَ النَّاسِ ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا حَبَسَ فُلَانًا ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ ضَالًّا فَاهْدِهِ ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا فَاشْفِهِ ، وَإِنْ كَانَ عَائِلًا فَأَغْنِهِ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه [العائل] : الفقير .

١٠ — وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ : سَارِعُوا إِلَى الْجُمُعَةِ ، فَإِنَّ اللهَ يَبْرُزُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فِى كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ فِى كَثِيبِ كَافُورٍ فَيَكُونُونَ مِنْهُ فِى الْقُرْبِ عَلَى قَدْرِ تَسَارُعِهِمْ فَيُحْدِثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ شَيْئًا لَمْ يَكُونُوا

(١) نال ثوابا من الله بقدر ثواب من ذبح جملا فوزعه على المساكين .

رَأَوْهُ قَبْلَ ذَٰلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَيُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا أَحْدَثَ اللهُ لَهُمْ . قال : ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ اللهِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَدْ سَبَقَاهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : رَجُلَانِ وَأَنَا الثَّالِثُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُبَارِكَ فِي الثَّالِثِ . رواه الطبراني في الكبير . وأبو عبيدة ، اسمه عامر ولم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقيل سمع منه .

١١ — وَعَنْ عَلْقَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَوَجَدَ ثَلَاثَةً قَدْ سَبَقُوهُ ، فَقَالَ : رَابِعُ أَرْبَعَةٍ ، وَمَا رَابِعُ أَرْبَعَةٍ مِنَ اللهِ بِبَعِيدٍ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ النَّاسَ يَجْلِسُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَدْرِ رَوَاحِهِمْ إِلَى الْجُمُعَاتِ : الْأَوَّلَ ، ثُمَّ الثَّانِيَ ، ثُمَّ الثَّالِثَ ، ثُمَّ الرَّابِعَ ، وَمَا رَابِعُ أَرْبَعَةٍ مِنَ اللهِ بِبَعِيدٍ . رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم ، وإسنادهما حسن.

[قال الحافظ] رحمه الله : وتقدم حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ ، وَدَنَا وَابْتَكَرَ ، وَاقْتَرَبَ وَاسْتَمَعَ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا قِيَامُ سَنَةٍ وَصِيَامُهَا ، وكذلك تقدم حديث أوس بن أوس نحوه .

١٢ — وَرُوِيَ عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَحْضُرُوا الْجُمُعَةَ ، وَادْنُوا(١) مِنَ الْإِمَامِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْجُمُعَةِ فَيُؤَخَّرُ عَنِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِهَا . رواه الطبراني والأصبهاني وغيرهما .

الترهيب من تخطي الرقاب يوم الجمعة

١ — عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى(٢) رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ(٣) . رواه أحمد وأبو داود والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان

---

(١) اقربوا من مكانه: أي حافظوا على الصف الأول. (٢) يمشي على ثيابهم ويؤذي الجالسين ويضرب أعناقهم ويهز عمهم . وقد فرق النووي بين التخطي والتفريق بين الاثنين وجعل ابن قدامة في المغني التخطي هو التفريق. قال العراقي : والظاهر الأول لأن التفريق يحصل بالجلوس بينهما وإن لم يتخط .

(٣) أي أبطأت وتأخرت .

في صحيحيهما ، وليس عند أبي داود والنسائي : وَآنَيْتَ ، وعند ابن خزيمة : فقد آذَيْتَ وَأُوذِيتَ ، ورواه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله .

[آنَيْتَ] : بمد الهمزة وبعدها نون ثم ياء مثناة تحت : أي أخرت المجيء ، وَآذَيْتَ بتخطِّيكَ رِقابَ النَّاسِ .

٢ — وَرُوِيَ عَنْ مُعاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : مَنْ تَخطَّى رِقابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ اتُّخِذَ جِسْرًا إِلَى جَهَنَّمَ . رواه ابن ماجه والترمذيّ ، وقال : حديث غريب ، والعمل عليه عند أهل العلم .

٣ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : بَيْنَما رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَخْطُبُ إِذْ جاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ حَتَّى جَلَسَ قَرِيباً مِنَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم صَلاتَهُ قالَ : مَامَنَعَكَ يافُلانُ أَنْ تُجَمِّعَ مَعَنا ؟ قالَ : يارَسُولَ اللهِ قَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَضَعَ نَفْسي بِالْمَكانِ الَّذِي تَرَى . قالَ : قَدْ رَأَيْتُكَ تَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ وَتُؤْذِيهِمْ ، مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذانِي [١] ، وَمَنْ آذانِي ، فَقَدْ آذَى [٢] اللهَ عَزَّ وَجَلَّ . رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

٤ — وَرُوِيَ عَنِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكانَ مِنْ أَصْحابِ النَّبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وَسلم قالَ : إِنَّ الَّذِي يَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِ الْإِمامِ كَجارٍّ قُصْبَهُ [٣] فِي النَّارِ . رواه أحمد والطبراني في الكبير .

---

(١) أي عصى أوامري ، وخالف سنتي .

(٢) لم يعبأ بشرعه تعالى ولم يتأدب في بيته سبحانه ولم يخشع لجلاله ولم يحترم مطيعيه عز شأنه .

(٣) كذا ع ٢٤٥ ، وفي ن د : لجار معاه قصب ، والجمع أقصاب : أي معناه . وفيه كراهة التخطي يوم الجمعة ، وهي مختصة به ، ويحمل عليه مجالس العلم وغيرها . ويؤيده أيضاً ماأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تخطى حلق قوم بغير إذنهم فهو عاص» . قال العراقي ، وقد استثني من التحريم أو الكراهة الإمام ، أو من كان بين يديه فرجة لايصل إليها إلا بالتخطي اهـ .

وقال النووي : إذا لم يجد طريقاً إلى المنبر أو المحراب إلا بالتخطي لم يكره لأنه ضرورة اهـ .

وقد خص الكراهة بعضهم بغير من يتبرك الناس بمروره ويسرهم ذلك ، ولا يتأذون لزوال علة الكراهة التي هي التأذي اهـ .

الترهيب من الكلام والإمام يخطب، والترغيب فى الإنصات

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم قالَ : إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ : أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ . رواه البخاريّ ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائيّ، وابن ماجه وابن خزيمة .

[قوله لغوت] : قيل معناه : خبت من الأجر ، وقيل : تكلمت ، وقيل : أخطأت ، وقيل : بطلت فضيلة جمعتك ، وقيل : صارت جمعتك ظهراً ، وقيل : غير ذلك .

٢ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عنهُ عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا تَكَلَّمْتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَدْ لَغَوْتَ وَأَلْغَيْتَ ، يَعْنِي وَالإِمَامُ يَخْطُبُ . رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

٣ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ ، فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا[1] ، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ : أَنْصِتْ لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ[2] . رواه أحمد والبزّار والطبرانى .

٤ — وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَبَارَكَ وَهُوَ قَائِمٌ يُذَكِّرُ بِأَيَّامِ اللهِ ، وَأَبُو ذَرٍّ يَغْمِزُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ، فَقَالَ : مَتَي أُنْزِلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ إِنِّي[3] لَمْ أَسْمَعْهَا إِلَى الآنَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنِ اسْكُتْ ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قالَ : سَأَلْتُكَ مَتَي أُنْزِلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ فَلَمْ تُخْبِرْنِي ؟ فَقَالَ أُبَيٌّ : لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَا لَغَوْتَ ، فَذَهَبَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلي اللهُ عليه وَسلم ، وَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي قَالَ أُبَيٌّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : صَدَقَ أُبَيٌّ . رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

ورواه ابن خزيمة فى صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَالنَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يَخْطُبُ فَجَلَسْتُ قَرِيباً مِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَرَأَ النَّبِيُّ

(١) كتباً ؛ يعنى أن قلبه خال من خشية الله،وهو غافل عن وعظ الإمام ، وفائدة الجمعة وعولاه عن الله ومعرض عن طاعته ، ومشغول عن وقت إجابة الإمام وعرض نفسه لانتقام الله تعالى وحرم نفسه من الثواب وضيع سماع أركان الجمعة فلا تنعقد به ، وذهبت قيمته .

(٢) يعنى أن كثير الكلام حرم من أداء هذا الفرض كاملا ،وضيع ثوابه، ودل على سوء أدبه مع ربه ولم تنفعه نصائح الإمام .

(٣) كذا ع ص ٢٤٧ ، وفى ن د : فإنى .

صلى الله عليه وسلم سُورَةَ بَرَاءَةَ ، فَقُلْتُ لِأُبَيٍّ : مَتَي نَزَلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ ؟ قال : فتجهمني وَلَمْ يُكَلِّمْنِي ، ثُمَّ مَكَثْتُ سَاعَةً ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَتَجَهَّمَنِي وَلَمْ يُكَلِّمْنِي ، ثُمَّ مَكَثْتُ سَاعَةً ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَتَجَهَّمَنِي وَلَمْ يُكَلِّمْنِي ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ لِأُبَيٍّ : سَأَلْتُكَ فَتَجَهَّمْتَنِي وَلَمْ تُكَلِّمْنِي ، قَالَ أُبَيٌّ : مَالَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا لَغَوْتَ ، فَذَهَبْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ كُنْتُ بِجَنْبِ أُبَيٍّ وَأَنْتَ تَقْرَأُ بَرَاءَةَ ، فَسَأَلْتُهُ مَتَى نَزَلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ ؟ فَتَجَهَّمَنِي وَلَمْ يُكَلِّمْنِي ، ثُمَّ قَالَ : مَالَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا لَغَوْتَ ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ أُبَيٌّ .

[قوله فتجهمني] : معناه قطّب وجهه وعبس ونظر إليّ نظر المغضب المنكر .

٥ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَلَسَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْماً عَلَى الْمِنْبَرِ فَخَطَبَ النَّاسَ ، وَتَلَا آيَةً ، وَإِلَى جَنْبِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ : لَهُ يَا أُبَيُّ وَمَتَى أُنْزِلَتْ[1] هٰذِهِ الآيَةُ ؟ قَالَ : فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ أُبَيٌّ : مَالَكَ مِنْ جُمُعَتِكَ إِلَّا مَا لَغَيْتَ[2] ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَيْ رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَلَوْتَ آيَةً ، وَإِلَى جَنْبِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَتَى أُنْزِلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ ؟ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي حَتَّى إِذَا نَزَلْتَ زَعَمَ أُبَيٌّ أَنَّهُ لَيْسَ لِي مِنْ جُمُعَتِي إِلَّا مَا لَغَيْتُ ، فَقَالَ : صَدَقَ أُبَيٌّ : إِذَا سَمِعْتَ إِمَامَكَ يَتَكَلَّمُ فَأَنْصِتْ حَتَّى يَفْرُغَ . رواه أحمد من رواية حرب بن قيس عن أبي الدرداء ، ولم يسمع منه .

٦ — وَرُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ : لَا جُمُعَةَ لَكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وَسلم : لِمَ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ وَأَنْتَ تَخْطُبُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : صَدَقَ سَعْدٌ . رواه أبو يعلى والبزار .

٧ — وَعَنْ جَابِرٍ أَيْضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، فَسَأَلَهُ

(١) كذا ع ، وفي ن د : نزلت . (٢) كذا ع ، وفي ن د : لغوت .

عَنْ شَيْءٍ أَوْ كَلِمَةً بِشَيْءٍ فَلَمْ يَرُدَّ عليه أُبَيٌّ ، فَظَنَّ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهَا مَوْجِدَةٌ(١) ، فَلَمَّا انْفَتَلَ(٢) النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ صَلَاتِهِ . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَا أُبَيُّ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ ؟ قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تَحْضُرْ مَعَنَا الْجُمُعَةَ . قَالَ : لِمَ ؟ قَالَ : تَكَلَّمْتَ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ ، فَقَامَ ابْنُ مَسْعُودٍ : فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ أُبَيٌّ ، صَدَقَ أُبَيٌّ ، أَطِعْ أُبَيًّا . رواه أبو يعلى بإسناد جيد ، وابن حبان في صحيحه .

٨ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال : كَفَى لَغْوًا(٣) أَنْ تَقُولَ لِصَاحِبِكَ : أَنْصِتْ إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ فِي الْجُمُعَةِ . رواه الطبراني في الكبير موقوفاً بإسناد صحيح ، وتقدم في حديث عليّ المرفوع .

وَمَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَا ، وَمَنْ لَغَا فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ .

٩ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَمَسَّ مِنْ طِيبِ امْرَأَتِهِ إِنْ كَانَ لَهَا ، وَلَبِسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظُهْرًا . رواه أبو داود ، وابن خزيمة

---

(١) أي شيء يوجب الكدر والغضب . يقال : وجد عليه يجد وجداً وموجدة ، ومنه حديث : «إني سائلك فلا تجد علي » أي لا تغضب . (٢) انتهى .

(٣) إثما وباطلا . يا عجبا ، تنصح أخاك المتكلم أثناء خطبة الخطيب فيعد هذا ذنباً ويبطل ثواب الجمعة فما بالك بالآثم المتكلم كلاما لا فائدة فيه إنه مذنب ، ومضيع ثواب الجمعة .

ماذا يريد النبي صلى الله عليه وسلم من المسلم يوم الجمعة

يريد صلى الله عليه وسلم منك يا أخي أن تشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس ، وتشتغل بإحياء ليلته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن وذكر الله وتغتسل مبكراً وتشتغل في ضحوتها بطاعة الله ، ثم تتزين وتتنظف وتتطيب ، ثم تسعى إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناويا للاعتكاف في المسجد . وإن فضل البكور عظيم ، ولا يمر بين أيدي الناس ولا يتخطى رقابهم بل يسرع في الجلوس في الصف الأول ثم يشتغل بجواب المؤذن ، ثم يستمع الخطبة ، ويحافظ على صلاة العصر جماعة في أول وقته ويقال : إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضاً في يوم الجمعة . فتقول : سلام سلام يوم صالح .

فى صحيحه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه ، وتقدم .

١٠ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ ، فَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِلَغْوٍ ، فَذَلِكَ حَظُّهُ مِنْهَا ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِدُعَاءٍ فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللهَ : إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ . وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ وَلَمْ يَتَخَطَّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا ، وَزِيَادَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا . رواه أبو داود ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وتقدم فى حديث عليّ .

فَمَنْ دَنَا مِنَ الإِمَامِ فَأَنْصَتَ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ كِفْلانِ مِنَ الأَجْرِ ، الحديث .

الترهيب من ترك الجمعة لغير عذر

١ — عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ . رواه مسلم والحاكم بإسناد على شرطهما ؛ وتقدم فى باب الحمام حديث أبى سعيد ، وفيه :

وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَسْعَ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنْهَا بِلَهْوٍ (١) أَوْ تِجَارَةٍ اسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُ ، وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . رواه الطبرانى .

٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ : لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمِ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ . رواه مسلم ، وابن ماجه وغيرهما .

[قوله] : ودعهم الجمعات . هو بفتح الواو ، وسكون الدال : أى تركهم الجمعات .

ورواه ابن خزيمة بلفظ تَرْكِهِمْ من حديث أبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى .

---

(١) أى اشتغل بملاه ولعب وسخرية ، أو طمع فى ربح ذمه الله ونبذه وكرهه وغضب عليه .

٣ - وَعَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وَسلم قالَ : مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا[1] بِهَا طَبَعَ[2] اللهُ عَلَى قَلْبِهِ . رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

وفي رواية لابن خزيمة ، وابن حبان: مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُنَافِقٌ[3]

وفي رواية ذكرها رزين : وليست في الأصول : فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ .

[أبو الجعد] : اسمه أدرع، وقيل جنادة، وذكر الكرابيسي أن اسمه عمر بن أبي بكر .

وقال الترمذي : سألت محمدا ، يعني البخاري عن اسم أبي الجعد فلم يعرفه .

٤ - وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ : مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ . رواه أحمد بإسناد حسن والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

٥ - وَعَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ[4] : رواه الطبراني في الكبير من رواية جابر الجعفي ، وله شواهد .

٦ - وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: لَيَنْتَهِيَنَّ[5] أَقْوَامٌ يَسْمَعُونَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ لَا يَأْتُونَهَا، أَوْ لَيَطْبَعَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ[6] . رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن .

---

(١) قال العراقي: المراد بالتهاون الترك من غير عذر اهـ ، والمراد بالطبع مايجعله الله في قلبه من الجهل والجفاء والقسوة . قال في النهاية : معنى طبع الله على قلبه : ختم الله عليه وغشاه ، ومنعه ألطافه ، والطبع بالسكون : الختم، وبالتحريك : الدنس، وأصله من الصدأ والدنس يغشيان السيف ، يقال : طبع السيف يطبع طبعاً ، ثم استعمل فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام ، وغيرها من القبائح اهـ ص ٣١٩ جامع صغير .

(٢) ختم على قلبه : أضله وأدخله النار . (٣) مرتكب خلال الشرور ومذبذب وفي النار .

(٤) من الذين لايعتد بقولهم وعملهم رياء . قال الحفني : أي نفاقا عمليا لاحقيقياً بحيث يظهر خلاف مايبطن في أموره ، أو المراد أن تركه الجمع الثلاث مثل عمل المنافقين اهـ .

(٥) والله إن لم ينتهين الذين يسمعون نداء الجمعة ، ولا يحضرونها يختم الله على قلوبهم بالكفر والجهل ويطمس على بصيرتهم بالغفلة وينزع منهم حلاوة الإيمان ويبعد عنهم نور الإسلام فيسيرون في غياهب الضلالة نسوا الله فنسيهم . (٦) الساهين ، أخبر صلى الله عليه وسلم وأكد وأقسم أنهم يحشرن مع الغافلين

٧ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَلاَ هَلْ عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ الصُّبَّةَ[1] مِنَ الْغَنَمِ عَلَى رَأْسِ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ فَيَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْكَلأُ فَيَرْتَفِعُ، ثُمَّ تَجِيءُ[2] الْجُمُعَةُ فَلاَ يَجِيءُ وَلاَ يَشْهَدُهَا، وَتَجِيءُ الْجُمُعَةُ فَلاَ يَشْهَدُهَا حَتَّى يُطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ . رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، وابن خزيمة فى صحيحه .

[الصبة]: بضم الصاد المهملة ، وتشديد الباء الموحدة: هى السرية إما من الخيل أو الإبل أو الغنم : مابين العشرين إلى الثلاثين تضاف إلى ما كانت منه ، وقيل: هى مابين العشرة إلى الأربعين .

٨ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَطِيباً يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: عَسَى رَجُلٌ تَحْضُرُهُ الْجُمُعَةُ وَهُوَ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلاَ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ قَالَ فِى الثَّانِيَةِ : عَسَى رَجُلٌ تَحْضُرُهُ الْجُمُعَةُ وَهُوَ عَلَى قَدْرِ مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلاَ يَحْضُرُهَا ، وَقَالَ فِى الثَّالِثَةِ: عَسَى يَكُونُ عَلَى قَدْرِ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلاَ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ وَيَطْبَعُ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ رواه أبو يعلى بإسناد لين .

وروى ابن ماجه عنه بإسناد جيد مرفوعاً: مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاَثاً مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ[3] طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ .

٩ — وَرُوِىَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضاً قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم.

الذين لايذكرون الله ولا يخشونه، ولايعملون صالحاً يقدمونه ، ولسانهم رطب فى الغيبة والنميمة وهتك عرض الناس، ولا يبالون بآداب الدين (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم).

(١) يحذر صلى الله عليه وسلم الرعاة أن يختاروا مرعى بعيداً عن مكان الجمعة بحيث إن المسافة البعيدة تعوقهم عن أدائها ، ويستمر على تركها حتى يقسو قلبه ، ويغفل عن طاعة الله وينسى أداء الجمعة وفضلها ، وهذه قاعدة عامة،ويرجو صلى الله عليه وسلم من المسلمين تجاراً وزراعا وصناعا أن يشتغلوا بعمل قبل الجمعة بحيث يلهيهم عن حضورها وأدائها . قال تعالى « ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » . فحرم الاشتغال بأمور الدنيا بكل صارف عن السعى إلى الجمعة .

(٢) كذا ع ص ٢٥٥،وفى ن د : يشى فيتعذر الكلأ، والمراد الحث على العزيمة القوية الثابتة فى حضور الجمعة وأدائها، وعدم ابتداء عمل يشغل عنها أو يعوق عن الحضور ويحذر صلى الله عليه وسلم أولئك الذين شغلتهم الدنيا بزخارفها ويطلب منهم مشاهدتها ، والتوبة لله تعالى .

(٣) من غير عذر شرعى بأن كان مريضا أو مسافراً سفر طاعة يتعذر عليه أداؤها .

فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا(١) إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ تُرْزَقُوا، وَتُنْصَرُوا، وَتُجْبَرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هٰذَا، فِي يَوْمِي هٰذَا، فِي شَهْرِي هٰذَا، مِنْ عَامِي هٰذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فِي حَيَاتِي أَوْ بَعْدِي وَلَهُ إِمَامٌ عَادِلٌ أَوْ جَائِرٌ اسْتِخْفَافًا بِهَا وَجُحُودًا بِهَا، فَلاَ جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَلاَ بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، أَلاَ وَلاَ صَلاَةَ لَهُ، أَلاَ وَلاَ زَكَاةَ لَهُ، أَلاَ وَلاَ حَجَّ لَهُ، أَلاَ وَلاَ صَوْمَ لَهُ، أَلاَ وَلاَ بِرَّ لَهُ حَتَّى يَتُوبَ، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ(٢) رواه ابن ماجه، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري أخصر منه.

١٠ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاَثَ جُمَعٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَقَدْ نَبَذَ(٣) الإِسْلاَمَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. رواه أبو يعلى موقوفاً بإسناد صحيح.

١١ — وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَتَّخِذُ أَحَدُكُمُ السَّائِمَةَ فَيَشْهَدُ الصَّلاَةَ فِي جَمَاعَةٍ فَتَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ سَائِمَتُهُ، فَيَقُولُ: لَوْ طَلَبْتُ لِسَائِمَتِي مَكَانًا هُوَ أَكْلأُ مِنْ هٰذَا فَيَتَحَوَّلُ، وَلاَ يَشْهَدُ إِلاَّ الْجُمُعَةَ فَتَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ سَائِمَتُهُ فَيَقُولُ: لَوْ طَلَبْتُ لِسَائِمَتِي مَكَانًا هُوَ أَكْلأُ مِنْ هٰذَا فَيَتَحَوَّلُ، وَلاَ يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ وَلاَ الْجَمَاعَةَ فَيَطْبَعُ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ. رواه أحمد من رواية عمر بن عبد الله مولى غفرة، وهو ثقة عنده، وتقدم حديث أبي هريرة عند ابن ماجه، وابن خزيمة بمعناه.

---

(١) ارجعوا إلى الله، واندموا على أفعالكم الذميمة، وقدموا لله الإخلاص والعمل الصالح.

(٢) يأمر صلى الله عليه وسلم المسلمين بالإنابة إلى الله والخوف من الله وحب الله والإسراع إلى العمل بكتابه تعالى وسنته صلى الله عليه وسلم وتشييد الصالحات وعمل الرقيل أن تلهيهم الدنيا وزخرفها والإكثار من ذكر الله وحمده والإنفاق في مشروعات الخير والمحافظة على أداء الجمعة مطلقاً سواء أعدل إمامك أم ظلم أحسن أم أساء. فعليك أخي بتقوى الله وأداء حقوقه وصلاة الجمعة وكمل نفسك بالمحامد وارعها في دواوين المكملين المتقين، واحذر أن تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجاب الدعوة فيك «لاجمع الله شمله» أي لاقضى الله طلباته، وفي حديث الدعاء: «أسألك رحمة تجمع بها شملي» الشمل: الاجتماع. تبا إلى الله وحده

(٣) ترك أركان الدين، وهدم آداب شريعته، وذاق لذة الحسرة والغفلة وقسا قلبه وساء عمله. هذا إذا لم يكن عنده عذر كمطر ووحل وفزع ومرض وتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره.

[قوله] : أكلأ من هذا. أى أكثر كلأ. والكلأ : بفتح الكاف واللام ، وفى آخره : همزة غير ممدودة : هو العشب الرطب واليابس .

١٢ — وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ زُرَارَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ وَلَمْ أَرَ رَجُلًا مِنَّا بِهِ شَبِيهاً قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا ، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا ، ثُمَّ سَمِعَهُ وَلَمْ يَأْتِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ(١) . رواه البيهقى .

وروى الترمذى عن ابن عباس : أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ، وَلاَ يَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ ، وَلاَ الْجُمُعَةَ . قَالَ(٢) : هُوَ فِى النَّارِ .

الترغيب فى قراءة سورة الكهف وما يذكر معها

ليلة الجمعة ويوم الجمعة

١ — عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ(٣) . رواه النسائى والبيهقى مرفوعاً والحاكم مرفوعًا وموقوفًا أيضًا، وقال صحيح الإسناد ، ورواه الدارمى فى مسنده موقوفا على أبى سعيد، ولفظه قال :

مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ(٤) الْعَتِيقِ

---

(١) مخادع غير ثابت على الإيمان . يقال : نافق ونفق ، ومنه النفاق، وهو الدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب آخر ، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى : (إن المنافقين هم الفاسقون) : أى الخارجون من الشرع . (٢) كذا ع ص ٢٥١ ، وفى ن د : فقال ، والمعنى صومه لاثواب له ؛ وكذا تهجده ، ودخل جهنم لعدم مشاهدة الجماعة ، والله أعلم .

(٣) المعنى الذى يحافظ على قراءة سورة الكهف يحفظ الله إيمانه ويزيد إسلامه ويضىء قلبه بالطاعات فيبسم فى الصالحات ، ويستبشر بالخيرات، ويستقبل العبادات بصدر منشرح. وفى الجامع الصغير: فيندب قراءتها يوم الجمعة ، وكذا ليلتها نص عليه الشافعى اهـ .

(٤) البيت الحرام بمكة، والمعنى أن الله تعالى يتكرم فيجعل ضوء إسلامه وهاجا مشرقا، وإذا مات اتسع قبره . وزاد بهاء ونوراً ، وهذا كناية فى زيادة النعيم والترغيب . قال المناوى : على هذا الحديث ؛ وفى رواية يبدل يوم الجمعة ليلة الجمعة ، وجمع بأن المراد بليته والليلة بيومها .

وَفى أَسَانِيدِهِمْ كُلِّهَا إِلَّا الحَاكِمُ أَبُو هَاشِمٍ يَحْيَى بْنُ دِينَارٍ الرُّومَانِيُّ، وَالأكثرون عَلَى توثيقه، وبقية الإسناد ثقات، وفى إسناد الحاكم الذى صححه نعيم بن حماد، ويأتى الكلام عليه وعَلَى أبى هاشم .

٢ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فى يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَطَعَ لَهُ نُورٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ[1] إِلَى عَنَانِ[2] السَّمَاءِ يُضِيءُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ . رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره بإسناد لا بأس به .

٣ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ[3] .

وَفى رِوَايَةٍ : مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ فى لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ . رواه الترمذى والأصبهانى ، ولفظه :

مَنْ صَلَّى بِسُورَةِ الدُّخَانِ فى لَيْلَةٍ بَاتَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ . ورواه الطبرانى والأصبهانى أيضاً من حديث أبى أمامة ، ولفظهما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم: مَنْ قَرَأَ حم الدُّخَانَ فى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَنَى اللهُ لَهُ بِهَا[4] بَيْتاً فى الجَنَّةِ .

٤ — وَرُوِيَ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : مَنْ

(١) كذا ع ص ٢٥٢ ، وفى ن ط : قدميه .

(٢) سحاب الواحدة عنانة وفيه لو بلغت خطيئته عنان السماء اه نهاية، والمعنى أن الله تعالى يتفضل فيحيطه بنور الرحمة، ويشمله بضوء السعادة مبتدئاً من قدمه إلى أعلى جهة فى ملكوته وبركاته ، ثم يتكرم جل جلاله فيعفو عنه صغائره إكراما لمشاهدة الجمعة وكثرة استغفاره والصلاة على مختاره ومصطفاه وتجديد توبته ، وعقد العزيمة على طاعته . لماذا؟ لأنه قرأ كلامه وتبرك بتلاوة آياته وأخلص لربه وقد ورد: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » وكذا : « من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال » وفى الجامع الصغير : « فمن قرأها وأدرك زمنه أمن من فتنته » .

وأقول: إن الذى يداوم على قراءتها يوفقه ربه إلى جنى ثمرات الطاعات ويوجه دفة سفينته إلى شواطئ المحامد والمكارم والبركات ويقيه السوء ويصد عنه الشيطان ويبعد عنه كيد الأشرار .

(٣) يزيل الله صغائره، وزاد فى الجامع الصغير قوله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ الدخان فى ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه » ظاهره يشمل الكبائر . رواية ابن الضريس عن الحسن البصرى مرسلا اه .

(٤) فى ن د: حذف «بها» والمعنى من اتخذها ورداً يوم الجمعة شيد الله له قصراً يدعى باسمها ويتمتع بنعيمه.

قَرَأَ سُورَةَ يس فى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ[1] . رواه الأصبهانى .

٥ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَرَأَ السُّورَةَ الَّتِى يُذْكَرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ[2] . رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير .

سورہ آل عمران

كتاب الصدقات

الترغيب فى أداء الزكاة وتأكيد وجوبها

١ — عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : بُنِىَ[3] الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[4] ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ[5] وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ[6] ،

---

(١) أى يمحو الله صغائره، ومنه: «من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ماتقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتاكم» قال المناوى: أى ابتغاء النظر إلى وجه الله تعالى فى الآخرة : أى لا للنجاة من النار ولا للفوز بالجنة اهـ فيندب عند من حضره الموت أن تقرأ عنده ص ٣٤٩ ج ٣ .

(٢) والمعنى المحافظ على قراءة هذه السورة يستجيب الله دعاءه، وتدعو له ملائكة الرحمة بالمغفرة والرضوان وأمنها والله أعلم سورة آل عمران التى أولها: (الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفى رواية الجامع «من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس» :أى تسقط وتغرب وفى المصباح : وجبت الشمس وجوبا : غربت اهـ .

اللهم إنى أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر . اللهم إنى أعوذ بك من يوم السوء ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ومن صاحب السوء ومن جار السوء فى دار المقامة .

(٣) بمعنى شيدت دعائم الإسلام، وأقيمت أركانه. فقد شبه صلى الله عليه وسلم الإسلام، وهو عبارة عن أداء أوامر واجتناب مناهى بقصر مشيد فخم أسس على عمد ثابتة .

(٤) توحيد الله جل وعلا واعتقاد وجوده والإيمان به وبتصديق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشريعته وإجابة دعوته والاستظلال برايته والهدى بهدايته .

(٥) أداء الصلاة المفروضة . (٦) أداء الزكاة وهى عبارة عن إخراج شىء معلوم من المال أو الثمار أو الزروع على وجه مخصوص وسميت بذلك لأنها تطهر المال من الخبث وتنقيه من الآفات وتبعد النفس عن رذيلة البخل وتنميها على فضيلة الكرم وتثمر بها المحامد والمعالى ، وتستجلب بها البركة وتزيد المتصدق ثناء ومدحا . ويكفر جاحدها ويقاتل الممتنعون من أدائها وتؤخذ منهم وإن لم يقاتلوا قهراً ، والله تعالى جعلها إحدى مبانى الإسلام . وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى :

وَحَجِّ الْبَيْتِ(١) ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ(٢) . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

٢ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَكَبَّ(٣) ، فَأَكَبَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَبْكِى لَا يَدْرِى عَلَى مَاذَا حَلَفَ ؟ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَفِى وَجْهِهِ الْبُشْرَى فَكَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ(٤) . قَالَ : مَامِنْ عَبْدٍ يُصَلِّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ السَّبْعَ(٥) إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَقِيلَ لَهُ أُدْخُلْ بِسَلَامٍ(٦) . رواه النسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد

ا ـ (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال جل شأنه :

ب ـ (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)ومعنى الإنفاق فى سبيل الله : إخراج حق الزكاة ، وقال تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم :

ج ـ(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقد بينت السنة القدرالواجب إخراجه وفرضت فى السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر ، قيل فى شوال أو فى شعبان فى السنة المذكورة ، وهى من الشرائع القديمة بدليل قول عيسى عليه السلام : (وأوصانى بالصلاة والزكاة) .

قال الباجورى : هكذا قيل . وقديدفع بأن المراد بها غير الزكاة المعروفة كما أن المراد بالصلاة غير الصلاة المعروفة اه وتطلق الزكاة ، ويراد بها النماء والزيادة ، وكثرة الخير والتطهير من الأدران . قال تعالى : (قد أفلح من زكاها) أى طهر نفسه من الأدناس ونقاها من المعاصى ،وجعلها صالحة لطاعات الله (فلا تزكوا أنفسكم) أى فلا تمدحوها ، ولا تظهروا محاسنها فتخدع وتقصر فى تحصيل الكمالات ، وقد قال الماوردى . (واجعل نصح نفسك غنيمة عقالك ، ولا تداهنها بإخفاء عيبك فيصير عدوك أحظى منك فى زجر نفسه) وقد قال البلغاء : (من أصلح نفسه أرغم أنف أعاديه ، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ) اه .

(١) حج البيت أن تذهب إلى الطواف بالمسجد الحرام وتؤدى أركان الحج وواجباته فى وقته المحدد إذا استطعت . (٢) أن تصوم شهر رمضان صوما كاملا . (٣) استمر ، من أكب على عمله : أى لزمه .

(٤) بيضاء النعم ، ويراد المال الوفير ، والإبل الكثيرة والمسرات والترف والترفه .

(٥) فسرها صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يارسول الله وماهن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » رواه أبو هريرة رضى الله عنه . فالسعادة ونيل النعيم وكسب الخير فى أربعة : فى صلاة وزكاة وصوم واستقامة والأجرة تبشرك ملائكة الرحمة بالأمان من عذاب الله ، والتنعم بفضل الله ، وجنى ثمار جنة الله .

(٦) تأمره ملائكة الرحمة لاتخف عقابا وادخل آمنا سالما من كل الأهوال . لماذا؟ لأن صحائفه نقية من المعاصى وأدران الذنوب ونهته صلاته عن كل فاحشة وأثمرت زكاته بطهارة نفسه من البخل ، فتحلى بالسخاء وللإمام الشافعى رضى الله عنه :

يغطى بالسماحة كل عيب   وكم عيب يغطيه السخاء

٣ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقَالَ يَارَسُولَ اللهِ : إِنِّي ذُو مَالٍ[1] كَثِيرٍ ، وَذُو أَهْلٍ وَمَالٍ ، وَحَاضِرَةٍ[2] فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ أَصْنَعُ ، وَكَيْفَ أُنْفِقُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : تُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ مَالِكَ ، فَإِنَّهَا طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ ، وَتَصِلُ أَقْرِبَاءَكَ ، وَتَعْرِفُ حَقَّ الْمِسْكِينِ ، وَالجَارِ ، وَالسَّائِلِ ، الحديث . رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

٤ — وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الجَنَّةَ : مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ ، عَلَى وُضُوئِهِنَّ ، وَرُكُوعِهِنَّ ، وَسُجُودِهِنَّ ، وَمَوَاقِيتِهِنَّ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ . الحديث . رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد ، وتقدم .

---

(١) صاحب ثروة طائلة وأقرباء وعز وجاه وأملاك عقاراً .

(٢) موردخير ينزل عليه الناس ليستقوا أو يستفيدوا . وفى النهاية فى حديث عمرو بن سلمة الجرمى : « كنا بحاضر يمر بنا الناس » الحاضر : القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه ، ويقال للمناهل : المحاضر للاجتماع والحضور عليها اهـ . وفيه : « لا يبيع حاضر لباد » الحاضر : المقيم فى المدن والقرى والبادى : المقيم بالبادية اهـ . فهذا الرجل من السراة الأغنياء ، فيسأل طريقة تسبب له السعادة ليرشده صلى الله عليه وسلم إلى ماذا يعمل فى ماله ويبين حالة إنفاقه لينال الثواب الجزيل والعز المقيم ، فأرشده صلى الله عليه وسلم إلى الزكاة فى المال والثمار والزروع والإحسان إلى أقربائه ، والتصدق على الفقراء والمساكين ، وأوصاه بجاره أن يكرمه وينعم عليه ، ويتفضل بإغداقه مما أنعم الله به عليه فيوزع عليه فاكهة أو طعاما أو بكسوة أو يعده بالمساعدة ويفعل معه معروفا حسب حاجته وأن يعطى السائل ولا يرده خائباً . قال الله تعالى :

ا ـ (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) ٨ من سورة الحديد (مستخلفين) : أى من الأموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم ، أو التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها ، والتصرف فيها . وفيه حث على الإنفاق ، وتهوين له على النفس اهـ بيضاوى .

ب ـ (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ٣٨ وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) ٣٩ من سورة الروم . (ذا القربى) كصلة الرحم ، واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم ، وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ما وظف لهما من الزكاة ، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لمن بسط له ، ولذلك رتب على ماقبله بالفاء . ذلك خير للذين يقصدون بمعروفهم إياه خالصا أو جهة متقرب إليه لاجهة أخرى (المضعفون) ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار ، أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة ، والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة ، وخواص الخلق تعريفا لحالهم أو للتعميم كأنه قال : فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون اهـ بيضاوى .

٥ — وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْماً قَرِيباً مِنْهُ ، وَنَحْنُ نَسِيرُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى الجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ[1] عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ البَيْتَ . الحديث . رواه أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه ويأتى بتمامه فى الصمت إن شاء الله تعالى .

٦ — وَعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ[2] الإِسْلاَمِ . رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه ابن لهيعة ، والبيهقى وفيه بقية بن الوليد .

٧ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ثَلاَثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ : لاَ يَجْعَلُ اللهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فى الإِسْلاَمِ كَمَنْ لاَ سَهْمَ لَهُ ، وَأَسْهُمُ الإِسْلاَمِ

---

(١) سهل التكاليف ، وإدراكه ميسور سهل ، وطريقه معبدة مذللة سار فيها الصالحون فنجحوا .

أولا: توحيد الله تعالى، والإيمان به وحده ،وبرسله عليهم الصلاة والسلام وبملائكته وكتبه وتخلص له فى العبادة والطاعة .

ثانياً: إقامة الصلاة . ثالثاً : أداء الزكاة . رابعاً : الصوم . خامساً : الحج إذا كنت قادراً .

ج ـ وقال تعالى:(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ٤١ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ٤٢ من سورة الحج وقال البيضاوى: وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب ،وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (إن الله لقوى) على نصرهم (عزيز) لايمانعه شىء اهـ .

وقد وصف الله هؤلاء المجاهدين بأربع خلال : هم مقيمون الصلاة، ومؤدو الزكاة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، ثم طمأن الله سبحانه العاملين المجدين أن مرجع كل شىء إلى حكمه ،وبيده الفعل (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) .

إن شاهدنا(وآتوا الزكاة)خلة الإنفاق وأداء الحق والإحسان من صفات الذين ملكوا فجادوا واغتنموا فأحسنوا وربحوا فتصدقوا وكثر مالهم فزكوا وحمدوا الله على ما أنعم ،وأكرموا الفقراء والمساكين وساعدوا على مشروعات الخير وإنشاء الملاجىء والمعاهد والمصحات، ومصانع التجارة والصناعة ليرضى الله عنهم ويحبهم أهلهم وعشيرتهم فيفوزوا من هول القيامة .

(٢) المعنى أن المسلم يمر يوم القيامة على جسر ممدود على متن جهنم ، والمزكى يمرها ، وغير المزكى حينما يصل إليها لايمكنه العبور فيسقط فى نار جهنم .

ثَلاَثَةٌ : الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ ، وَالزَّكَاةُ(١) ، وَلاَ يَتَوَلَّى اللهُ(٢) عَبْدًا فِى الدُّنْيَا فَيُوَلِّيهِ(٣) غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . الحديث . رواه أحمد بإسناد جيد .

٨ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أُمَّتِهِ : اُكْفُلُوا(٤) لِى بِسِتٍّ أَكْفُلْ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ . قُلْتُ : مَاهِىَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الصَّلاَةُ ، وَالزَّكَاةُ ، وَالْأَمَانَةُ ، وَالْفَرْجُ ، وَالْبَطْنُ ، وَاللِّسَانُ .
رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد لابأس به ، وله شواهد كثيرة .

٩ — وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : الْإِسْلاَمُ ثَمَانِيَةُ أَسْهُمٍ(٥) : الْإِسْلاَمُ(٦) سَهْمٌ ، وَالصَّلاَةُ سَهْمٌ ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ ، وَالصَّوْمُ سَهْمٌ ،

---

(١) يقسم صلى الله عليه وسلم مؤكداً ليبشر المسلمين أن المصلى والمزكى والصائم له ثواب وأجر وسهم فى الإسلام: أى نصيب من فضل الله ونعيمه، ويكون الله تعالى ناصره وتحت رعاية مولاه فى الدنيا ، فكذلك سبحانه يرعاه بالرحمة فى الآخرة .

(٢) يكفل، وفى أسماء الله تعالى الولى: أى الناصر، وقيل . المتولى لأمور العالم القائم بها، ومن أسمائه عز وجل الوالى: أى مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها، وفيه الحث على هذه الفرائض تؤدى كاملة ليحوز صاحبها رضا الله فى حياته ، وبعد موته . (٣) فتكون عليه سلطة تامة لغيره يوم القيامة. حاشا. إذا رعى الله عبداً فى الدنيا ورحمه عمته رحمته فى آخرته وغفر له سبحانه .

(٤) اضمنوا ؛ ومنه : «أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة» ، والكفيل : الضمين ، والمعنى والله أعلم : وطدوا عزيمتكم القوية، واعقدوا النية على القيام بأداء هذه الخصال الستة أضمن لكم أيها المسلمون دخول الجنة.
أولا : أداء الصلاة المكتوبة وسننها . ثانياً : الزكاة المفروضة والصدقات النافلة .
ثالثاً : حفظ الودائع كاملة، وردها إلى أصحابها وعدم الخيانة والسرقة وحفظ الأسرار المودعة فى صدوركم والأشياء المحفوظة لديكم وتقديمها عند الطلب يحوطها الخوف من الله تعالى العليم بسرها .
رابعاً : حفظ الفرج من الوقوع فى الفاحشة (الزنا) . خامساً : أن يدخل فى البطن طعام حلال ، والمعنى أن تأكلوا حلالا من كسب طيب بعيد عن المحرمات والمكروهات سادساً: حفظ اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والنفاق والشقاق والدس والكيد ، وإضمار الحسد ، وإيقاد نار العداوة .
وفى الجامع الصغير: (اكفلوا) أى تحملوا والتزموا لأجل أمرى الذى أمرتكم به عن الله فعل ست خصال والدوام عليها (وأكفل لكم بالجنة) أى دخولها مع السابقين الأولين أو بغير عذاب (الصلاة) أى أداؤها لوقتها بشروطها وأركانها ومستحباتها (الزكاة) أى دفعها لمستحقين أو الإمام (الأمانة) أى أداؤها (الفرج) بأن تصونوه عن الجماع المحرم (البطن) بأن تحترزوا عن إدخاله مايحرم تناوله (اللسان) بأن تكفوه عن النطق بما يحرم كغيبة ونميمة . قال المناوى: ولم يذكر بقية أركان الإسلام لدخولها فى الأمانة اهـ لأن الأمانة تشمل حقوق الله وحقوق العباد اهـ ص ٢٧١ ج ١ .

(٥) يبين صلى الله عليه وسلم أن الدين حنيف موزع ثوابه على ثمانية أشياء ما قام بها كمل إيمانه، وزاد يقينه ، ودخل برحمة الله فى عباده الصالحين . (٦) الانقياد الظاهرى إلى الشرع ، والعمل بجميع

وَحَجُّ الْبَيْتِ سَهْمٌ ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ(١) سَهْمٌ ، وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ(٢) سَهْمٌ ، وَالْجِهَادُ فى سَبِيلِ اللهِ(٣) سَهْمٌ ، وَقَدْ خَابَ(٤) مَنْ لاَ سَهْمَ لَهُ . رواه البزار مرفوعاً ، وفيه : يزيد بن عطاء اليشكرى ، ورواه أبو يعلى من حديث علىّ مرفوعاً أيضاً ، وروى موقوفاً على حذيفة وهو أصح ، قاله الدارقطنى وغيره .

١٠ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَدَّى الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ(٥)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ(٦) . رواه الطبرانى فى الأوسط ، واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم مختصراً : إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ أَذْهَبْتَ عَنْكَ شَرَّهُ . وقال صحيح على شرط مسلم .

أوامره ، والتصديق بوجود الله سبحانه وتعالى، وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والتحرى عن أفعاله وأقواله .   (١) الإرشاد إلى الخير والنصيحة ، والحث على أعمال البر والهداية والتعليم .

(٢) النهى عن الأفعال القبيحة .   (٣) الحرب فى سبيل نصر دين الله .

(٤) وقد خسر من لانصيب له من هؤلاء الأسهم، وفيه الحث على اتباع الكتاب والسنة والعمل بأوامر الله ورسوله ليكون له نصيب وافر من ثواب الله ، ويحوز الفوز والنجاح ، ولتبق صحائفه من السيئات ، والتقصير فى حقوق الله فلا يخيب له عمل يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وفيه ترك الصلاة خيبة، والبخل حسرة ، وإفطار رمضان ندامة ، وعدم الحج للمستطيع خسارة ونقص ، وعدم النصيحة فضيحة والسكوت على المنكر عيب وذلة ، وعدم نصر الحق فشل وسوء عاقبة ، وفقنا الله لما يرضيه ، وأعاننا على التحلى بآدابه .

(٥) أى أخرج مايجب عليه فيما يملكه من النقدين وهما : الذهب والفضة ، ومن كان عنده عشرون مثقالا من الذهب : أى ٩٥، ١١ جنيهاً مصرياً ، أو ١٢،٢٥ جنيهاً انجليزياً ، وجب عليه أن يخرج عنها ربع العشر: أى اثنين ونصفاً فى المائة (٣٠ قرشا) ومن كان عنده مائتا درهم من الفضة (٥ : ٤ قرشاً) وجب أن يخرج عنها ربع العشر أيضاً (١ ، ١١ قرشاً) .

(٦) أى حفظ من السرقة فى الدنيا وبورك فيه واستعمل فى الخير وأنفق فى الطاعة ، ولم يعذب صاحبه به فى قبره ، فلا يمثل له بشجاع أقرع يلدغه، ويعذبه كما قال صلى الله عليه وسلم لغير المزكى «مثل له يوم القيامة بشجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه ، يعنى شدقيه ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا صلى الله عليه وسلم : (ولا يحسبن الذين يبخلون) الآية» . رواه البخارى جواهر ص ٧٦ (شجاعا) حية ذكراً (زبيبتان) زبدتان فى شدقيه : أى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خير لهم بل البخل (شر لهم) لاستجلاب العقاب عليهم ، والآية قوله تعالى: (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير) . ١٨١ من سورة آل عمران. (سيطوقون) أى سيلزمون وبال مابخلوا به إلزام الطوق، وعنه عليه الصلاة والسلام: «مامن رجل لايؤدى زكاة ماله إلا جعله الله شجاعا فى عنقه يوم القيامة» (ولله ميراث السموات والأرض) وله فيهما مايتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه فى سبيله أو أنه يرث منهم مايمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة (والله بما يعملون) من المنع والإعطاء (خبير) يجازيهم. وقرأ نافع وابن عامر

١١ — وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : حَصِّنُوا[١] أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ[٢] ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ[٣] . رواه أبو داود فى المراسيل ، ورواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلاً ، والمرسل أشبه .

١٢ — وَرُوِيَ عَنْ عَلْقَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ تَمَامَ إِسْلَامِكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ[٤] . رواه البزار .

١٣ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : كُلُّ مَالٍ[٥] وَإِنْ كَانَ تَحْتَ سَبْعِ أَرَضِينَ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ ، وَكُلُّ مَالٍ لَا تُؤَدَّى زَكَاتُهُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا فَهُوَ كَنْزٌ . رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعاً ، ورواه غيره

وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات ، وهو أبلغ فى الوعيد اه بيضاوى .

(١) وأقيموا الحصون المنيعة الحافظة لأموالكم من السرقة والضياع بإخراج الزكاة ، وفى الجامع الصغير: أى بإخراجها « فما تلف مال فى بر ولا بحر إلا بمنعها » اه . (٢) أعطوا الفقراء صدقات لله يجب الله دعاءكم فيشف مرضاكم ، ويزل آلامكم ، وفى الجامع الصغير : فإنها أنفع من الدواء الحسى اه .

(٣) وأكثروا التذلل لله يرفع عنكم البلاء . قال المناوى : بأن تدعوا عند نزوله فإنه يرفعه اه . قال العزيزى : ويحتمل أن يكون المراد طلب الإكثار من الدعاء مطلقاً لحديث : « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » اه . وفى رواية : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

(٤) من تمام أمور الدين ، وأركان الإسلام وطاعة الله ، إخراج زكاة أموالكم من زروع وثمار وعروض تجارة وماشية .

(٥) الغنى الذى أعطاه الله ثروة طائلة ومالا وفيرا فزكى وعمل بالشرع واستعمل ماله فى حقوق الله وما يرضيه فيخزن كما يشاء ولو فى أسفل الأرض وقد أحل الله له ذلك ، وأما إذا بخل ولم يخرج زكاته ووضعه فى المصارف أو فى الخزانة الحديدية الظاهرة لنا فهو مقصر فى إخراج حقوق الله ، ويطلق على ماله كنز لم تؤد زكاته وإذا مات عذبه الله به وسلط عليه أفعى تنهشه بصورة ماله المكنوز ، وعد من ناقصى الإسلام وصدق عليه قوله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وفى ط وع : فهو كنز ص ٢٥٤ ، وفى ن د : كنز .

أيها المسلمون : أنعم الله علينا بالمال لنتمتع به ، ونتفق منه فى سبيل الخير ، والمال وديعة فى يد الأغنياء لينظر الله إليهم أيحسنون ؟ أيتصدقون على الفقراء والمساكين . أيزيلون ألم جوعهم ، وحر أمراضهم ، وظلمة جهالتهم ؟ فيرجون ثوابه سبحانه ، وينشئون المستشفيات والملاجئ ، ومعاهد العلم لتعليم أبناء الأمة الفقراء وإيواء العجزة الضعفاء ومعالجة المرضى حتى لا تضطرهم الحاجة إلى السرقة أو المؤامرة على قتل الأغنياء أو الإقدام على ارتكاب الجرائم لدفع غيلة الفقر المدقع ، وإن الله تعالى أوعد البخلاء بالعذاب الأليم ، وأعلن

موقوفاً على ابن عمرو ، وهو الصحيح .

كرهم فيكرههم الله والناس . ويبغضهم ربهم ، ويأمر سبحانه بإيقاد النار على أموالهم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم جزاء بخلهم ، ومنعهم الإحسان والمعروف :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

وبهذه المناسبة أنقل لك أقوال الفقهاء فى كيفية إخراج زكاة المال والزروع والثمار وعروض التجارة وشروطها وسبيل أدائها عسى الله أن يعطينا كما طلب صلى الله عليه وسلم: «اللهم استر عورتى، وآمن روعتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بك أن أغتال من تحتى » رواه البزار فى مسنده عن ابن عباس .

شروط الزكاة وتعريفها وكيفية أدائها لكبار الشافعية رضى الله عنهم

والزكاة : مايخرج عن مال ، أو بدن على وجه مخصوص ، وتجب الزكاة فى الزروع والثمار والذهب والفضة وعروض التجارة والماشية والبدن ، وشروط وجوبها ستة: الإسلام، والحرية، والملك التام، والنصاب وتعين المالك ، ومضى الحول فى الحولى .

فصل فى زكاة الزروع والثمار

المراد بالزروع كل مايستنبت ليقتات به اختياراً كالبر والشعير والأرز والذرة والعدس والحمص والفول (والثمار) التمر والزبيب، ويتعلق وجوب الزكاة فى كل من التمر والزرع ببدو صلاحه ، أو بعضه إن بلغ خالصه نصاباً، والوجوب على من بدا الصلاح فى ملكه، فلو استأجر أرضاً فالزكاة عليه لأنه المالك للزرع، وعلامة بدو الصلاح فى الثمر المتلون أخذه فى حمرة، أو صفرة أو سواد، وفى غير المتلون كالعنب الأبيض: صفاؤه ، وجريان الماء فيه، وفى الزرع اشتداد الحب ، وببدو صلاح ماذكر يمتنع على المالك التصرف فيه ولو بصدقة أو أجرة نحو حصاد، أو أكل فريك أو فول أخضر أو بلح أحمر فيحرم ويعزر العالم بالتحريم لكن ينفذ تصرفه فيما عدا قدر الزكاة، وما اعتيد من إعطاء شيء من الزرع والتمر وقت الحصاد والجذاذ ولو للفقراء حرام. وإن نوى به الزكاة لأنه أخذ قبل التصفية ، وكثير يعتقد حله، وإنما نشأ ذلك من نبذ العلم وراء الظهور. ويحرم على غير المالك أيضاً شراؤه وأكله ونحو ذلك. إن علم أنه من زرع تجب زكاته؛ نعم يسن الخرص لثمر بدا صلاحه بأن يطوف من هو من أهل الشهادات ، ولو واحداً بكل شجرة ليقدر ثمرتها أو ثمرة كل نوع منها رطباً ثم يابساً للتضمين، وهو أن يقول الخارص للمخرج من مالك أو نائبه ضمنتك حق المستحقين من الرطب أو العنب بكذا تمراً أو زبيباً فيقبل ، فله حينئذ أن يتصرف فى جميع الثمر بيعاً وأكلا ونحوه لانتقال الحق من العين إلى الذمة، فإن انتفى الخرص أو لم يصح كما فى الزرع حرم التصرف كما مر . ونقل عن العزيزى أنه لاتجب الزكاة باشتداد الحب إلا إذا صلح للادخار وعليه فيجوز الأكل من نحو الفريك والفول الأخضر قبل صلاحيته للادخار « ونصابها » خمسة أوسق، والوسق: ستون صاعا والصاع أربعة أمداد، والمد: رطل وثلث بالعراق وبالكيل المصرى أربعة أرادب وويبة هذا فيما لم يدخر فى قشره ، فإن كان مما يدخر فى قشره كالأرز اعتبر أن يكون خالصه قدر النصاب المذكور، وفيها العشر إن سقيت بماء المطر ونحوه كالثلج أو السيل أو النهر و نصف العشر إن سقيت بدولاب أو ناضح ونحوها مما يحتاج لكلفة ، وما زاد فبحسابه .

(فصل) : أول نصاب الذهب عشرون مثقالا ، ونصاب الفضة مائتا درهم خالصة من الغش فيهما ، والمثقال: درهم وثلاثة أسباع درهم بوزن مكة، فكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، والنصاب من خالص (الذهب)

١٤ - وَعَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَقِيمُوا

بالجنيه الحميدى ثلاثة عشرة جنيهاً وربع، وبالجنيه الأفرنكى اثنا عشرجنيها وثمن ، وبالجنيه المصرى اثناعشر جنيها إلا ثمناً والبنتو خمسة عشر، ومن خالص الفضة بالريال المصرى اثنان وعشرون وربع، ويجب فى كل منهما بعد كمال الحول ربع العشر، وما زاد عن النصاب فبحسابه . قال تعالى: (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين)١٤٢ من سورة الأنعام.(معروشات) الكرم أوماغرسه الناس فعرشوه (وغير معروشات) ملقيات على وجه الأرض، أو ما نبت فى البرارى والجبال(متشابهاً)فى اللون والطعم (يوم حصاده) تؤدى الزكاة عند الإدراك ، فهذا دليل الوجوب .

فصل فى زكاة عروض التجارة

التجارة: تقليب المال بالمعاوضة لغرض الربح، والعروض: هى المال المتجر فيه غير النقد سواء كان منقولا أوعقاراً أو حيوانا فتقوم آخر الحول بما اشتريت به إن كان نقدا من ذهب أو فضة، فإن ملك بغير نقد كأن اشتراها بعروض قومت بغالب نقد البلد الذى تم فيه الحول، فإن غلب فى البلد نقدان وكمل النصاب بأحدهما قومت به ، فإن كمل النصاب بكل منهما قومت بأيهما شاء ، فإن اشترى ببعضها بنقد ، وببعضها بغيره ، فلكل حكمه ، فإن بلغت القيمة نصابا وجب فيها ربع العشر ، ومازاد فبحسابه ، وتجب الزكاة فى مال التجارة بستة شروط :

الأول : أن يملكه بمعاوضة .

الثانى : نية التجارة حال المعاوضة فى صلب العقد أو مجلسه .

الثالث : أن لاينوى بالمال القنية .

الرابع : مضى الحول من وقت ملك العروض إلا أن تشترى بنقد معين وكان نصاباً أو دونه وفى ملكه باقية، كأن كان يملك عشرين مثقالا فاشترى بعينها عروضا بنية التجارة، أو بعين نصفها فإن ابتداء الحول حينئذ من حين ملك النقد ، لامن وقت ملك العروض .

الخامس : أن تبلغ قيمته نصابا آخر الحول، وكذا إن بلغت دون نصاب ، وعنده مايكمل به كما لوكان عنده مائة درهم فاشترى بخمسين منها ، وبلغ مال التجارة آخر الحول مائة وخمسين ، فيضم لما عنده، وتجب زكاة الجميع .

السادس : أن لاينض أثناء الحول بما يقوم به ، وهو دون نصاب ، ومعنى التنضيض : تصييره دراهم ودنانير، ولو كان مال التجارة مما تجب الزكاة فى عينه كنعم أو تمر ، فإن كمل نصاب زكاة التجارة فقط كتسع وثلاثين شاة تبلغ قيمتها نصابا وجبت زكاة التجارة، وإن كمل نصاب الزكاتين كأربعين شاة بلغت قيمتها نصابا وجبت زكاة العين إن اتحد حول الزكاتين ، فإن تقدم حول زكاة التجارة وجبت فى هذا الحول ، وتجب زكاة العين فى الأحوال بعده كأن اشترى أول المحرم عشرين ثوبا من القماش بنية التجارة وبعد ستة أشهر باعها واشترى بها أربعين شاة للتجارة ثم بعد ستة أشهر أخرى قومت فبلغت قيمتها نصابا ، فقد اجتمع فيها زكاتان وسبق حول التجارة فيزكيها فى هذا الحول زكاة تجارة ، وفى كل حول بعده زكاة عين ، وزكاة مال المضاربة على مالكه ، فإن أخرجها من غير مال المضاربة فنعم، وإن أخرجها من مال المضاربة حسبت من الربح كالمؤن التى تلزم المال .

الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَحُجُّوا وَاعْتَمِرُوا ، وَاسْتَقِيمُوا يُسْتَقَمْ بِكُمْ . رواه الطبرانى فى الثلاثة، وإسناده جيد إن شاء الله تعالى ، عمران القطان صدوق .

فصل فيما تجب فيه زكاة المال وفى أدائها

تجب الزكاة فى المال المغصوب والضال والمجحود وفى مال القاصر والمجنون والمحجور عليه سفه، والمطالب بها الولى أو الوصى ، وتجب فى الدين اللازم إن كان نقدا أو عرض تجارة مؤجلا أو حالا تيسر قبضه أم لا، بخلاف غير اللازم كمال كتابة اللازم الذى ليس نقداولا عرض تجارة نصاب ماشية أقرضه لشخص ومضى عليه حول أو هو فى ذمته فلا زكاة فيهما لأن الملك فى الأول غير تام ، إذ للعبد أن يسقطه متى شاء ، ولفقد إسامة المالك فى الثانى لأنه بسيم مافى ذمة غيره ، ولا يمنع دين وجوبها، ولو اجتمع زكاة أو حج وكفارة ودين لآدمى فى تركة قدمت الثلاثة على دين الآدمى ويجب أداؤها فوراً عند تمكنه بحضور المال والمستحقين وبجفاف للثمر، وتنقية للحب من نحو تبن، وبقدرة على استيفاء دين حال كأن كان على موسر حاضر باذل، ولا يجوز أن يجعل دينه الذى على نحو معسر من الزكاة إلا أن يعطيه من زكاته ثم يردها إليه عن دينه من غير شرط، فإن أخر أداءها بعد التمكن وتلف المال ضمنه ولابد فى أداء الزكاة من نية كهذا زكاة ومعلوم أن محل النية القلب وأن النطق باللسان سنة وتكفى عند عزلها من المال وبعده وتلزم الولى عن محجوره فلو دفعها بلا نية تجزئ ولشخص أن يوكل فيها ، ولايصح أداء الزكاة من غير جنس المال المزكى إلا فى إخراج شاة، أو أكثر عما دون خمسة وعشرين من الإبل فلا يصح إخراج الذهب عن الفضة ، ولا عكسه ، ولا إخراج الدراهم المغشوشة عن خالص .

أدلة الإنفاق من القرآن

هذه أقوال الفقهاء تنير لك سبيل إخراج الزكاة وتضىء لك كيفية الإنفاق الشرعى لتعلم أن الله تعالى يحب من عبده أن يجود بماله فى طرق الخير ، ويقيم مشروعات البر وصرح الإحسان واقرأ القرآن يا أخى تجد الأمر بالصلاة ، فإذا أثمرت هذه الطاعة لله أنتجت الزكاة وحب الإنفاق فى طاعة الله . قال تعالى: يبشر المنفق بالخير المضاعف والغلات المباركة والزيادة الموجودة:

ا ـ (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ٢٦١ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٢٦٢ من سورة البقرة .

مثل نفقة المحسنين كمثل باذر حبة يخرج منها ساق يتشعب لكل منه سبع شعب ، لكل منها سنبلة فيها مائة حبة، وتلك المضاعفة بفضل الله على حسب حال المنفق فى إخلاصه وتعبه ،ومن أجل ذلك تتفاوت الأعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق وقدر إنفاقه، ثم أنزل الله تعالى الآية الثانية تعظيما لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ومن اقتدى به فقد جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها (وسيدنا عبد الرحمن بن عوف) فإنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة. والمن: أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه ، والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه. بخ بخ أيها المسلم : اتق الله ، وأكثر من الإنفاق لله تربح .

ب ـ (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) ٢٥٤ من سورة البقرة .

الله تعالى ينادى المؤمنين ويأمرهم بالإنفاق فيما وجب علينا إنفاقه من مال وزروع وثمار وماشية من قبل أن يأتى يوم لايقدر الإنسان فيه على تدارك مافاته ، وما فرط فى أدائه ، ولا خلاص من عذابه إذ لابيع فيه

. . . .

فتحصلون أيها المؤمنون ماتنفقونه ، أو تفتدون به من العذاب،ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحونكم به ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفاعة تنفع وتشفع لكم فى حط مافى ذممكم (والكافرون هم الظالمون)قال البيضاوى:يريد والتاركون الزكاة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم أو وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه ، فوضع الكافرون موضعه تغليظا لهم ، وتهديدا كقوله: « ومن كفر » مكان ومن لم يحج ، وإيذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى : (وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة) . اهـ .

وإن المتجلى جلاله أخبر عن المتقين الذين عملوا فى الحياة فأفلحوا وفازوا بالسعادة وجعل من خلالهم إخراج زكاة أموالهم. قال تعالى:(قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) من ١ ــ ١٢ من سورة المؤمنين .

أى فاز أولئك الذين اتصفوا بهذه الخلال الحميدة :

أولا : الخائفون من الله سبحانه وتعالى المتذللون له الملزمون أبصارهم مساجدهم .

روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى رافعاً بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته ، فقال : لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

ثانياً: المعرضون عما لايعنيهم من قول أو فعل لما بهم من الجد ماشغلهم عنه.

ثالثاً : البالغون الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية ، والتجنب عن المحرمات ، وسائر ماتوجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى، وعلى العين. رابعاً:عدم بذل الفرج إلا على الأزواج والسريات والجامعون لهذه الصفات أحقاء بالفردوس وهى أعلى مكان فى الجنة نعيمها دائم .

إخبار الله أن التأمين على الحياة تقواه ، وإخراج الزكاة لتدوم النعمة وتزيد

إن الله تعالى أوجد المال للتعامل بين الناس ، ولقضاء الحاجات اللازمة للحياة ، ولوجود حسن التبادل والمنافع ، وقال تعالى فى محكم كتابه :

ا ــ (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز) .

ب ــ (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) .

ح ــ (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)فما علينا إلا أن نؤمن به سبحانه وتعالى، ونمجده بحق،ونثق بالاعتماد عليه . ونعمل بالشرع فى إخراج الزكاة رجاء أن يبقى خيرها ، ويدوم نعيمها ، ويكثر ربحها ، وقد وعد الله تعالى بزيادة النعم المزكى عليها ، وحفظها من التلف ، ووضع فيها البركة ، وفى آكليها . قال تعالى .

د ــ (وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ٢٤٤ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون) ٢٤٥ من سورة البقرة .أمر سبحانه وتعالى بالجهاد فى سبيله والسعى لمرضاته جهد الطاقة (من ذا الذى يقرض الله) من استفهامية مبتدأ وذا خبره ، والذى صفة ذا أو بدل،وإقراض الله سبحانه وتعالى مثل لتقديم العمل الذى به يطلب ثوابه(قرضا حسناً)إقراضا حسنا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضا حلالا طيبا ،وقيل:القرض الحسن بالمجاهدة والإنفاق فى سبيل الله. والمعنى أيقرض الله أحد [illegible] جزاؤه كثرة لايقدرها إلا الله سبحانه وتعالى، وقيل :الواحد

١٥ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

بسبعمائة ، سبحانه إليه المرجع يجازيكم على حسب ماقدمتم (والله يقبض ويبسط)أى يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم اهـ بيضاوى .

نأخذ من هذه الآية أن الأرزاق بيد الله « ويد الله ملأى لاتغيضها نفقة » وهو جل جلاله يعطى للمنفق الخلف ، وللبخيل الشحيح كل تلف .

الدليل الثانى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ٢٦٥ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) ٢٦٦ من سورة البقرة :

مثل جليل ملموس محسوس شيق للمزكى والبخيل ، وليس فى طاقة علماء التربية الآن أن يحاكوه .

- (أموال المزكى) كحديقة فيحاء غناء أثمر شجرها ، وأينع زهرها ، وترعرع دوحها باسقات : درعات بمكان مرتفع (ربوة) قال البيضاوى : أى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع ، فإن شجره يكون أحسن منظراً ، وأزكى ثمراً اهـ . قد زارها مطر عظيم القطر ، فضاعف الله ثمرها ، وأكثر من خيراتها ، وبارك فى إنتاجها . قال البيضاوى : (فآتت أكلها) أى ثمرتها (ضعفين) مثل ما كانت تثمر بسبب الوابل ، والمراد بالضعف المثل (فإن لم يصبها وابل فطل) أى فيصيبها مطر خفيف يكفيها لكرم منبتها ، وبرودة هوائها لارتفاع مكانها ، والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله لاتضيع بحال . وإن كانت تتفاوت باعتبار ماينضم إليها من أحواله ، ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاها بالوابل والطل (والله بما تعملون بصير) تحذير عن الرياء ، وترغيب فى الإخلاص اهـ .

انظر رعاك الله إلى ثواب المزكى لله يطلب رضا مولاه (وتثبيتاً من أنفسهم)أى تحقيقاً للثواب عليه وجازما ومصمما أن الله يثيبه وينفق عليه ويعطيه، بخلاف المنافقين الذين يبخلون ، ولا يرجون ماعند الله،وهو كثير، وإن نفقات المحسنين تزكو عند الله كثرت أم قلت ، حيث حسن الباطن بالإخلاص فقليل عمل الإنسان ككثيره فى رضا الله عنه . قال العارف بالله :

وبعد الفنا فى الله كن كيف ما تشا فعلمك لاجهل وفعلك لاوزر

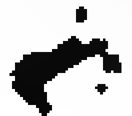
إن الله تعالى وعد المحسنين إكراماً، والمنفق زيادة الخير كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن الله عز وجل: « أنفق يا ابن آدم أنفق عليك» رواه البخارى .

وحسبك أيها المنفق دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مجاب الدعاء : « اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً » رواه البخارى .

الدليل الثالث : قال الله تعالى: (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لاتظلمون) ٢٧٢ من سورة البقرة . فأنت تجد وعد الله الصادق أن يحفظ للمنفق ثواب إنفاقه ويضاعف له خيراته (فلأنفسكم) أى الخير والأجر يختص بكم لاينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ، ولا تنفقوا الخبيث (يوف إليكم) ثوابه أضعافاً مضاعفة .

روى أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع فى اليهود،وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا أن ينفعوهم فنزلت . وهذا فى غير الواجب ، أما الواجب فلا يجوز صرفه إلى الكفار اهـ بيضاوى .

دين السماحة والمودة ، والعطف لله يدعو إلى الصدقة والإحسان على غير المسلمين ابتغاء وجه الله ليجدد



عليه وسلم : مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ،

أواصر الألفة ، ويديم المحبة والله رب العالمين يقول (لكم دينكم ولى دين) فالفقير المسلم أحق بالمساعدة والإنفاق عليه لله .

الدليل الرابع : قال تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٢٧٤ من سورة البقرة .

وعد الله تعالى المنفقين لله بزيادة الأجر عنده سبحانه والله أكبر وخزائنه لاتنفد ورحمته واسعة يمن على المحسن بوفرة المال وكثرة النعم وجودة الصحة ولباس التقوى والعافية والتوفيق للطاعة والإلهام الى الصواب وقرة العين وفرح القلب وإزالة هموم الدنيا وراحة الضمير واطمئنان النفس والبشرى بالسعادة والحكمة فى العمل وصواب النطق .

يا أخى : ثلاثة تزف إلى المنفق لله :

أولا : أجره عند ربه . ثانياً : لاخوف عليه من أى سوء ، وأنه محصن من كل شر ، ويقيه الله كل مكروه ويحفظه دنيا وأخرى. ثالثاً: لايتكدر ولا يحزن ولا يصيبه هم ولا غم. أتشك فى هذا؟ جرب أيها المؤمن وزك وتصدق ، وأقم شعائر الدين ، وأد تعاليمه تفز والله ، وتسعد والله ، وتغتن والله، ويحبك الله ورسوله والناس أجمعون .

(سراً وعلانية) أى ينفقون فى الجهر أمام الجمهور ، وفى الخفية ؛ ويعمون الأوقات والأحوال بالخير. نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تصدق بأربعين ألف دينار: عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية، وقيل فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهاراً ودرهم سراً ودرهم علانية ، وقيل فى ربط الخيل فى سبيل الله تعالى والإنفاق عليها .

قال الصاوى رحمه الله : ولكن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، فالمراد بيان أجر المنفق على هذا الوجه، فلا خصوصية لأبى بكر بذلك ولا لعلى اهـ .

الدليل الخامس : قال تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم) ٢٧٦ البقرة. أى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه الربا (ويربى) أى يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه. وعنه عليه الصلاة والسلام « إن الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى أحدكم فلوه » أى مهره. وعنه عليه الصلاة والسلام : « ما نقصت زكاة من مال قط » . والله تعالى لايرضى عنه ولايحبه محبته للتوابين (كل كفار) أى مصر على تحليل المحرمات (أثيم) أى منهمك فى ارتكابه اهـ بيضاوى .

يقارن ربك أيها المسلم بين المال الحلال والحرام، فصاحب الحرام مغضوب عليه جبار مكار مذنب يسعى إلى حتفه بظلفه بجمعه ليعذب به ، ويدب فى الأرض ليكثر منه فيكون عليه نقمة لانعمة، والمال الذى لاتؤدى زكاته مثل الحرام المغصوب أو المسروق ، أو المجموع من طرق خسيسة، أو منهى عنها . أما صاحب المال الذى يزكى فترفرف عليه بشارة السعادة لأنه المتبع أوامر الله فزكى عنه .

الدليل السادس : قال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد ٢٦٧ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) ٢٦٨ من سورة البقرة .

أمر الله المؤمنين بالإنفاق من المال الحلال أو الجيد ، ومن طيبات ما أخرج سبحانه من الأرض كالحبوب والثمرات والمعادن على شريطة أن لاتقصدوا الردىء منه فتخرجوه (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) أى

. . . .

وحالكم أنكم لاتأخذون الردىء فى حقوقكم لرداءته إلا أن تتسامحوا فيه ، مجاز من أغمض بصره : إذا غضه وعن ابن عباس رضى الله عنه : كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه . اه بيضاوى .

شاهدنا (والله غنى حميد ــ والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) أخبر الآمر جل وعلا أنه متصف بالغنى المطلق ، وعنده كنوز الخيرات التى لاتنفد، وغنى أيضا عن إنفاقكم ، ومفاتيح السموات والأرض بيده وتحت أمره وإنما يأمر المسلمين بالزكاة لانتفاعهم ، وتنمية أموالهم ، وزيادتها حسا ومعنى مع نيل رحمة الله ورضاه والله حميد أى متصف بالمحامد كثير العطايا ، وهو محمود سبحانه ، وهنا تفضل سبحانه وتعالى فأرشد إلى إغواء الشيطان للبخيل بعده الفقر ، ويخوفه من الإنفاق ، والله يعده الغنى والسعة ، وغفران الذنوب . شتان بين العدو الألد الذى ضل وأغوى وأضل ، وبين الكريم الوهاب الذى أمر عباده المسلمين لينجحوا فى الحياة ، ولتثمر أموالهم فى مشروعات البر وتنمو فى الطاعات (الشيطان يعدكم الفقر) أى يخبركم بأسباب البخل ، ويجعله بين أعينكم .

ومن محاسن قول بعض المفسرين : إن معنى الفحشاء فى القرآن : الزنا إلا هذه فمعناها البخل . والمعنى يغويكم ويخبركم بأمور يتسبب عنها البخل فيترتب على ذلك مطاوعتكم له كمطاوعة المأمور للآمر ، وسمى إخبار الشيطان بالفقر وعداً مع أنه وعيد لأنه شر ومشاكلة لقوله : (والله يعدكم) أى على الإنفاق (مغفرة) لذنوبكم ورزقا خلفا منه .

وفى الحديث : «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة به ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) » أخرجه الترمذى اه صاوى . فكأن المنفق موفق وقيد نعمه بطاعة الله لتزداد ، وأحاطها بالخير لتنمو (لئن شكرتم لأزيدنكم) وإن النفس تميل إلى إطاعة السرى ، وتحب معاملة الغنى ، وهذا يتجلى فى معاملة الناس فى الدنيا ، فما بالك بالمعاملة مع غنى حميد يعد مغفرة وفضلا ، وهو الله جل جلاله ، ولقد أخطأ الشحيح جادة الصواب ، فقصر فى الإنفاق ، واتبع هواه وركب ظهره ، فقاده الشيطان إلى هاوية الذل والخسران ، ورماه فى النار ، وبئس القرار ، وجره إلى الخراب والدمار ، ولابد أن يرى البخيل الكانز عاقبة ضياع ماله ، أو ترى ذريته أو أحفاده عاقبة البخل من ضياع التراث والميراث ، ويذوقون الفقر ألواناً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «حصنوا أموالكم بالزكاة» .

الدليل السابع : قال تعالى يخاطب المؤمنين (يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ١٠ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ١١ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) أى لايشغلكم تدبير الأموال والاهتمام بها عن الصلوات والطاعات ، وأخرجوا بعض أموالكم ادخاراً للآخرة قبل أن يرى دلائل الموت فيطلب البخيل ويلح : هلا أمهلتنى فأتصدق وأعمل بالشرع ؟

المعنى إن أملت عمرى أتصدق ، وأكن من الصالحين ، فنصب الفعل بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية فى جواب العرض أو التمنى والجزم بالعطف على محل فأتصدق لللاحقة جزمها فى جواب الطلب . لولا بمعنى هلا بمعنى العرض الذى هو الطلب بلين ورفق ، وقيل : لازائدة ولو للتمنى . قال ابن عباس رضى الله عنه : ماقصر أحد فى الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت .

إن شاهدنا (وأنفقوا) يطلب الله السرعة فى الإنفاق للقادر المستطيع خشية دنو الأجل ، فينتقل المال إلى الورثة ، ويصير فى حوزة غيره . فيندم على تقصيره ، ولات ساعة مندم . أما من أجاب الله ونفذ أمره فأنفق

. . . .

بشر برضوان الله وكرامته عند الاحتضار ، وأشرق وجهه ، وابتسم ثغره ، وانشرح صدره كما فى الحديث : « فليس شىء أحب إليه مما أمامه أحب الله لقاءه ، وأحب لقاء الله » رواه البخارى .

الدليل الثامن : قال الله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ١٦ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ١٧ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ١٨ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) ١٩ من سورة التغابن . فتنة اختبار لكم ، وعد الله المنفق المطيع الذى آثر محبة الله على محبة الأموال والأولاد ، والسعى لهم (أجر عظيم) سعة فى الرزق ، ونعيم مقيم فى حياته وبعد موته ، ثم أمر المؤمنين أن يصغوا إلى مواعظه وينفذوا أوامره ، ويجودوا فى وجوه الخير خالصا لوجهه سبحانه (إن تقرضوا الله) أى تصرفوا المال فيما أمره مقرونا بإخلاص وطيب قلب يزده من واحد إلى عشر إلى سبعمائة إلى أكثر ويغفر لكم خطاياكم ببركة الإنفاق (والله شكور) يعطى الجزيل بالقليل (حليم) يعفو ولا يعاجل بالعقوبة (عالم الغيب) يرى كل شىء ، وما يخفى عليه شىء ، ويعلم السر والجهر (العزيز) تام القدرة (الحكيم) يضع الأمور فى نصابها اللائق بها .

معاملة ليس لها مثيل أبداً ما . تتصدق فتتاجر مع المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص القادر المقتدر : (ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) .

كثرة المال محنة وابتلى الله بها العالم ليرى أيحسنون إلى خلقه أم يسيئون ؟ وأيقيمون مشروعات الخير أم يتلذذون ويبخلون ؟ ولكن المؤمن العاقل من انتهز فرصة وجودها ، فأطلق يده فى عمل الصالحات وتشييد المكرمات ، ورجا مايبقى على مايفنى ، وآثر الآخرة على الأولى ليكبح جماح نفسه عن حب التقتير ، ويرخى عنانها فى الإنفاق لله عسى أن يبعد عن وصمة الشح فيفلح ، وتفضل الله ففتح باب معاملته على مصراعيه لينجو المحسنون الأجواد السمحاء ، والدنيا ميدان الأعمال ، وفرصة سانحة للمؤمنين الطائعين الذين لاتغرهم زخارف الدنيا كما قال تعالى فى اختبار المطيعين (وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور)

الدليل التاسع : قال الله تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون ٣٩ قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ٤٠ من سورة سبأ .

جملتان اسمية أخبرنا الله بهما ليبشر المنفقين بالإخلاف وزيادة النعم ، وكثرة الرزق ، ووفرة الخير ، ووضع البركة ، وجليل المنفعة والثمرة (فهو يخلفه وهو خير الرازقين) أى يعطيك عوضا إما عاجلا أو آجلا ، وهو سبحانه الرزاق ، وغيره وسط فى إيصال رزقه لاحقيقة لرازقيته فهو الذى ينعم ويتفضل ، ويكثر المال ويرزق القناعة ، ويهب الثواب لمن أنفق على نفسه وعياله وأقاربه ، وتصدق على الفقراء . والمال وديعة وعارية تبقى فى يد المحسنين ، وتزول من أيدى الكافرين . هذا الزوال إما حسيا بأن ترى عدم البركة فيه ، وصرفه فيما يغضب الله ، واسترسال صاحبه فى المعاصى والشهوات ، وحرمانه من فعل الخير لله ويسلط الله عليه آفة السرقة والنصب ، ويكون صاحبه شيطانا رجيما محرا كا لكل شر . وفى التفسير : والله تعالى يوصف بالموصل للرزق ، وبالخالق له ، والعبد يوصف بالإيصال فقط ، فخيرية الله من حيث إنه خالق وموصل ، فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا ، ولا يقال له رزاق لأنه من الأسماء المختصة به تعالى اه صاوى (وهو خير الرازقين) أى أحسن وأجلهم لكونه خالق السبب والمسبب ، وفى الجلالين يقال : كل إنسان يرزق عائلته : أى من

. . . .

رزق الله اهـ . قال تعالى : (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) أخبر الله تعالى أن كثرة الأموال والأولاد من زينة الحياة الدنيا ، وقد أخطأ من ظن أنها للشرف والكرامة ، وما هى إلا زخرف الدنيا ، ولا يقرب إلى الله إلا الإيمان والتقوى ، والعمل الصالح . قال البيضاوى : إلا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ، ويعلم ولده الخير ، ويربيه على الصلاح ، أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف (فأولئك لهم جزاء الضعف) أى يجازون الضعف إلى عشرفا فوقه اهـ . ثم أخبر جل جلاله ، وهو أصدق القائلين أنه يوسع على من يشاء تارة ، ويضيق عليه أخرى . والمنفقون فى الجنة آمنون من كل المكاره ، والذين يطعنون فى القرآن ، ويكفرون بالله ويبخلون (معاجزين) أى مسابقين لأنبيائنا ، أو ظانين أنهم يفوتوننا أو يقصرون فى حقوق الله أن جزاءهم جهنم يصطلون نارها . فان الله تعالى يبين أن كسب الحرام يخرب البيوت العامرة ، وكسب الحلال مع إخراج الزكاة يضاعف النعم ، ويجلب الخير .

فصل فى زكاة الفطر

وهى من خصائص هذه الأمة ، وشرعت فى السنة الثانية من الهجرة قبل عيد الفطر بيومين تطهيراً للصائم من الخلل الواقع فى الصوم لقوله صلى الله عليه وسلم : « صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث » ورفقاً بالفقراء فى يوم الفطر كما فى خبر « أغنوهم عن ذل السؤال فى هذا اليوم » وهى سبب لقبول الصيام لخبر « صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لايرفع إلا بزكاة الفطر » وتجب على من عنده زيادة على مايحتاجه لنفسه وعياله يوم العيد وليلته ، فيخرج عن نفسه وعن كل شخص تلزمه نفقته كأصوله وفروعه وزوجته ورقيقه وخادمه إن كان مستأجرا بالنفقة صاعا ، وهو أربع حفنات بكفى رجل معتدل فيهما ، وهو بالكيل المصرى قدحان من غالب قوت بلده ، وينبغى أن يزيد شيئا يسيرا لاحتمال اشتمالها على طين أو تبن ، أو نحو ذلك ، ويشترط لوجوبها الإسلام ، وإدراك جزء من رمضان ، وجزء من شوال ، فتخرج عمن مات بعد الغروب دون من ولد بعده . ويجب على الكافر الإخراج عمن تلزمه نفقته من المسلمين ويستحب إخراجها قبل صلاة العيد ، ويجوز من أول الشهر ، ويكره تأخيرها إلى آخر يوم العيد ، ويحرم تأخيرها عنه بلا عذر كغيبة ماله أو المستحقين .

ويجب أن يكون تفريقها على الفقراء الموجودين بالبلد ، ولا يجوز نقلها لبلد آخر وتصرف إلى الأصناف الثمانية كالزكاة ، واختار جماعة من أصحاب الشافعى كابن المنذر والرويانى ، والشيخ أبى إسحق الشيرازى جواز صرفها لواحد ، وقال الرافعى : يجوز صرفها إلى واحد . قال الأذرعى : وعليه العمل فى الأعصار والأمصار والأحوط دفعها إلى ثلاثة : قال تعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ٢٧ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) ٢٨ من سورة الإسراء .

هذا أمر له صلى الله عليه وسلم ليعلم أمته الإنفاق ، أو إخراج الزكاة ، وصلة الرحم ، وحسن المعاشرة والسخاء والجود على مواطنيه ، وبذل الخير فى إقامة مشروعات تدفع الضر ، وتجلب اليسر والبر والعطف على الفقراء ، وقال أبو حنيفة : حقهم إذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم ، وقيل : المراد بذى القربى أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم (ولا تبذر) نهى سبحانه عن صرف المال فيما لاينبغى ، وإنفاقه على وجه الإسراف والاسترسال فى المعاصى ، وأصل التبذير : التفريق .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد وهو يتوضأ « ماهذا السرف ؟ قال : أو فى الوضوء سرف ؟

. . . .

قال : نعم، وإن كنت على نهر جار » فأنت ترى رعاك الله أمراً ونهياً ، أنفق أيها المسلم فى أبواب الخير، واجتنب أبواب الشرور والملذات الداعية إلى التبذير بلا فائدة (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة فإن التضييع والإتلاف شر ، أو أصدقاءهم وأتباعهم لأنهم يطيعونهم فى الإسراف، والصرف فى المعاصي روى أنهم كانوا ينحرون الإبل ، ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم فى السمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالإنفاق فى القربات اهـ بيضاوى .

ب — وقال تعالى لحبيبه أستاذ الإنسانية فى العالم صلى الله عليه وسلم (يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) ٢١٥ من سورة البقرة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن عمرو بن الجموح الأنصارى كان شيخاً ذا مال عظيم فقال يارسول الله ماذا ننفق من أموالنا ، وأين نضعها ، فنزلت : (قل ما أنفقتم الآية) » قال البيضاوى : سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم فإن اعتداد النفقة باعتباره ، ولأنه كان فى سؤال عمرو ، وإن لم يكن مذكوراً فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ماتضمن قوله: (ماأنفقتم من خير): إن تفعلوا خيراً فإن الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه ، وليس فى الآية ماينافيه فرض الزكاة فينسخ به اهـ .

ج — وقال تعالى : (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ١٩٤ وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) ١٩٥ البقرة . الله يحرس المتقين ويصلح شأنهم ولا تمسكوا كل الإمساك واجتنبوا الإسراف ، وتضييع وجه المعاش ، واحذروا أن تتركوا الغزو فالهلاك فى الكف عنه ، وعدم الإنفاق فيه خشية أن يقوى العدو ، ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ماروى عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه قال : لما أعز الله الإسلام ، وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت . هذا معنى ، والمعنى الثانى (التهلكة) بالإمساك وحب المال فإنه يؤدى إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكاً ، وهو فى الأصل انتهاء الشئ فى الفساد والإلقاء طرح الشئ ، وعدى بإلى لتضمن معنى الانتهاء ، والباء زائدة ، والمراد بالأيدى : الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد: أى لاتوقعوا أنفسكم فى الهلاك (وأحسنوا) أعمالكم وأخلاقكم ، أو تفضلوا على المحاويج اهـ بيضاوى .

د — وقال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) ١١١ البقرة . من خير كصلاة وصدقة لايضيع الله ثوابكم .

هـ — وقال تعالى : (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ١٧٧ من سورة البقرة .

(وآتى المال على حبه) أى أنفق المال مع أنه يرجو كثرته ، ويشتاق لوفرته كما قال صلى الله عليه وسلم حينما سئل « أى الصدقة أفضل ؟ أنت تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر ، وتأمل الغنى »رواه البخارى وقيل : (على حبه) أى حب الله جل وعلا وطلب ثوابه ، وابتغاء رضوانه (ذوى القربى) المحاويج ، وقدمهم لأن إيتاءهم أفضل كما قال عليه الصلاة والسلام : « صدقتك على المسكين صدقة ، وعلى ذوى رحمك اثنتان : صدقة وصلة »(والمسكين) الذى أسكنته الخلة ، وأذلته الحاجة (وابن السبيل) المسافر سفر طاعة أو الضيف (والسائلين) الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال ، والطلب برفق ، وقال عليه الصلاة والسلام : « للسائل حق وإن جاء على فرسه » (وفى الرقاب) فى تخليص المأسورين الأذلاء ، ومعاونة المدينين.

. . . .

المكاتبين بالرق الموضوعين فى سلاسل العبودية، أو فك الأسارى ، أو ابتياع الرقاب لعتقها(وآتى الزكاة) أى المفروضة ، والغرض من الأول بيان مصارفها،ومن الثانى أداؤها،والحث عليها ، ويحتمل أن يكون المراد بالأول نوافل الصدقات أو حقوقا كانت فى المال سوى الزكاة، وفى الحديث: « نسخت الزكاة كل صدقة » اه بيضاوى (البأساء) فى الأموال كالفقر (والضراء) فى الأنفس كالمرض(وحين البأس) وقت مجاهدة العدو (أولئك الذين صدقوا) فى الدين ، واتباع الحق وطلب البر (المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل . قال البيضاوى:والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً،فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء :

أولا : صحة الاعتقاد. ثانياً : حسن المعاشرة . ثالثاً : تهذيب النفس،وأشير إلى الأول (من آمن بالله) وإلى الثانى (وآتى المال) وإلى الثالث (وأقام الصلاة) ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده ، وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام: «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان » اه ص ٥٧ .

و ــ وقال تعالى :(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) ٦١ من سورة التوبة .

أى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم (الفقير) من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من حاجته ، (والمسكين) من له مال أو كسب لا يكفيه (والعاملين عليها) الساعين فى تحصيلها وجمعها (والمؤلفة قلوبهم) قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيتألف قلوبهم،وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقرع ابن حابس ، والعباس بن مرداس لذلك وفك الرقاب (والغارمين) أى المديونين لأنفسهم فى غير معصية،وفى غير إسراف وللصرف فى الجهاد وشراء سلاح،وقيل:فى بناء القناطر والمصانع والإنفاق على المتطوعة،وابتياع الكراع (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله .

فصل : فى قسم الزكاة كما قال الفقهاء فى تعبيراتهم

تدفع الزكاة لثمانية أصناف (الفقير) وهو الذى لا مال ولا كسب لائق يقع موقعاً من كفايته ، بأن ينقص عن نصف ما يحتاجه كمن يحتاج إلى عشرة لا يملك،ولا يكسب إلا درهمين أو ثلاثة(والمسكين)وهو الذى يقدر على مال أو كسب،ولا يكفيه كمن يحتاج إلى عشرة دراهم وعنده سبعة (والعامل عليها) كالساعى والكاتب لأموال الزكاة(والمؤلفة قلوبهم) وهم الذين أسلموا وإسلامهم ضعيف ، أو كان قويا ولكن يتوقع بإعطائهم إسلام غيرهم (والرقاب) وهم المكاتبون من الأرقاء لغير المزكى كتابة صحيحة (والغارم)وهو الذى تداين دينا لنفسه ، وحل الدين،ولا قدرة له على وفائه،وقصد صرفه فى مباح أو صرفه فيه أو تداين لإصلاح ذات البين إن حل الدين،ولم يوفه من ماله،ولو كان غنيا أو تداين لضمان إن أعسر هو والمضمون (وفى سبيل الله) وهم الغزاة المتطوعون بالجهاد،وإن كانوا أغنياء إعانة على الجهاد (وابن السبيل) وهو المسافر سفرا مباحا من بلد الزكاة ولو مجتازاً إلى وطنه أو غيره فيعطى من مال الزكاة ما يوصله إلى مقصده إن احتاج،ويجب تعميم ما وجد من الأصناف الثمانية ، وقال الزرقانى : يجوز دفع زكاة المال إلى ثلاثة،ويحرم على المالك مع عدم الإجزاء نقل الزكاة من محل وجوبها مع وجود المستحقين فيها ، ولا يعطى منها كافر ولا رقيق ولا صبى ولا مجنون بل تعطى لوليهما. ولا بنو هاشم والمطلب ولا غنى ولا من تلزم المزكى نفقته من أصل وفرع وزوجة ورقيق بصفة الفقراء والمساكين ويحرم على غير مستحقها أخذها ويحرم إعطاؤها له وأيضاً يحرم إذا علم الدافع أن الآخذ يصرفها فى معصية اه تنوير القلوب صحيفة ٢٢٥ .

وَقَرَى[1] الضَّيْفَ دخَلَ الْجَنَّةَ . رواه الطبرانى فى الكبير ، وله شواهد .

١٦ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وَسلم يَقُولُ : مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَرَسُولِهِ فَلْيُؤَدِّ زَكَاةَ مَالِهِ ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَرَسُولِهِ فَلْيَقُلْ حَقًّا[2] ، أَوْ لِيَسْكُتْ[3] ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَرَسُولِهِ

فصل فى زكاة الماشية

وهى الإبل والبقر والغنم ، وأول نصاب الغنم أربعون وفيها شاة وهى جذعة ضأن لها سنة وطعنت فى الثانية أو ثنية معز لها سنتان ، وطعنت فى الثالثة ، ثم فى مائة وإحدى وعشرين شاتان ، وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه ، وفى أربعمائة أربع شياه ، ثم فى كل مائة شاة « وأول » نصاب البقر ثلاثون ، وفيها تبيع له سنة ، وفى أربعين مسنة لها سنتان ، وطعنت فى الثالثة ، وفى ستين تبيعان فلا يتغير الفرض بعد الأربعين إلا بزيادة عشرين ، ثم يتغير بزيادة كل عشرة ، فى سبعين تبيع ومسنة ، وفى ثمانين مسنتان ، وفى تسعين ثلاثة أتبعة ، وفى مائة : مسنة وتبيعان ، وفى مائة وعشرة مسنتان وتبيع ، وعلى هذا فقس « وأول » نصاب الإبل خمس وفيها شاة وفى عشرة شاتان ، وفى خمسة عشر ثلاث شياه ، وفى عشرين أربع شياه ، وفى خمس وعشرين بنت مخاض من الإبل لها سنة ، وطعنت فى الثانية ، وفى ستة وثلاثين بنت لبون لها سنتان ، وطعنت فى الثالثة ، وفى ستة وأربعين حقة لها ثلاث سنين وطعنت فى الرابعة ، وفى إحدى وستين جذعة لها أربع سنين وطعنت فى الخامسة ، وفى ست وسبعين بنتا لبون ، وفى إحدى وتسعين حقتان ، وفى مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون ويتسع ثم كل عشر يتغير الواجب ، فى كل أربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة ففى مائة وثلاثين بنتا لبون وحقة وفى مائة وأربعين حقتان وبنت لبون ، وفى مائة وخمسين ثلاث حقاق ، هكذا ، ولو اتفق فرضان ، ولا يكون ذلك إلا فى الإبل والبقر وجب الأنفع منهما للمستحقين إن وجدا بماله ففى مائتى بعير يجب الأنفع من أربع حقاق وخمس بنات لبون ، وفى مائة وعشرين بقرة يجب الأنفع من ثلاث مسنات وأربعة أتبعة ، وتجب الزكاة فى الماشية بزيادة شرطين على ما مر من الشروط العامة وهما (إسامة المالك) أو نائبه لها كل الحول مع علمه بأنها فى ملكه بأن يرعاها فى كلأ مباح ونحوه مما ليس مملوكا ، وفى معناه مملوك قيمته يسيرة لا يعد مثلها كلفة فى مقابلة نمائها (وأن تكون للنماء) أما المعدة للعمل فلا زكاة فيها وإذا اشترك اثنان مثلا من أهل زكاة فى نصاب ماشية أو نقد أو غيرهما زكيا كواحد كما إذا خلطا جوارا ، وكان كل من المراح والمسرح والراعى والمرعى والفحل والمشرب وموضع الحلب ، ونحو الحانوت ، وموضع التجفيف لنحو التمر ، وتخليص الحب ، ومكان الحفظ واحداً . اه ص ٢٢١ تنوير القلوب .

(١) أكرمه . (٢) ينطق بالصواب ، ويرشد إلى الحق ، ويقول قولا يوافق آداب الشرع .

(٣) ليصمت ليحذر أن ينطق فيما يغضب ربه ، فباللسان يدخل الجنة أو النار ، ويمدح أو يذم ، ويكرم أو يهان ، قال الشاعر :

الصمت زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما إن ندمت على سكوتى مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال آخر :

واطلق بحيث العى مستقبح ... واصمت بحيث الخير فى سكتتك

فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ[١] . رواه الطبرانى فى الكبير .

١٧ — وَعَنْ أَبِى أَيُّوبَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم : أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً[٢] ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ[٣] وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ[٤] ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ[٥] . رواه البخارى ومسلم .

١٨ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ[٦] ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ . قَالَ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هٰذَا[٧] ، وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَلَّى[٨] قَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هٰذَا[٩] . رواه البخارى ومسلم .

١٩ — وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : إِنِّى شَهِدْتُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ[١٠] : وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَقُمْتُهُ[١١] ، وَآتَيْتُ الزَّكَاةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) إكرام الضيف من الإيمان بالله لوجود الثقة بأنه تعالى يخلف وينفق على الجواد ، ويعوض ما أنفق ويجلب الخير ويكسب السعادة ويبعد اللوم ويطرد البخل . قال تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) . (٢) توحده فى ذاته وصفاته وأفعاله وتخلص له فى عبادتك وترجو ثوابه وتخشى عقابه .

(٣) تؤديها كاملة . (٤) تحافظ على أداء الزكاة الواجبة .

(٥) تحسن إلى قرابتك. قال الشيخ الشرقاوى: وخص هذه الخصلة نظراً إلى حال السائل كأنه كان قطاعا للرحم فأمر به لأنه المهم بالنسبة إليه ، وعطف الصلاة ، وما بعدها على سابقها من عطف الخاص على العام لشمول العبادة لها اه ص ٥٨ ج ٢ .

(٦) المفروضة . واحترز صلى الله عليه وسلم عن صدقة التطوع لأنها زكاة لغوية، وغاير بين الوصفين كراهة تكرار اللفظ . (٧) أبلغ قوى ماسمعت لازيادة ولا نقص ، وأحافظ على القيام بذلك .

(٨) أدبر . (٩) أى إن داوم الأعرابى على فعل ما أمرته به دخل الجنة؛ وفيه أن المبشر بالجنة أكثر من عشرة كما ورد النص به فى الحسن والحسين وأمهما وأمهات المؤمنين،فتحمل بشارة العشرة على أنهم بشروا دفعة واحدة أو بلفظ بشره [illegible] ، أو أن العدد لامفهوم له اه شرقاوى .

(١٠) آمنت بالله وبك ، وعبدت الله بحق .

(١١) شغلت لياليه كله فى طاعة ، وأكثرت من ذكر الله وتسبيحه والاستغفار ، والصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم ، وصليت نافلة تهجداً .

صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ مَاتَ عَلَى هٰذَا كَانَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ[١] وَالشُّهَدَاءِ[٢] . رواه البزار بإسناد حسن ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وابن حبان ، وتقدم لفظه فى الصلاة .

٢٠ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ثَلاَثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ : مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ[٣] رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ[٤] ، وَلاَ الدَّرِنَةَ ، وَلاَ الْمَرِيضَةَ ، وَلاَ الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ ، وَلٰكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَسْئَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ . رواه أبو داود .

[قوله : رافدة عليه] من الرِّفد ، وهو الإعانة .

ومعناه : أَنَّهُ يُعْطِي الزَّكَاةَ وَنَفْسُهُ تُعِينُهُ عَلَى أَدَائِهَا بِطِيبِهَا وَعَدَمِ حَدِيثِهَا لَهُ بِالْمَنْعِ .

[والشرط] : بفتح الشين المعجمة والراء : وهى الرذيلة من المال كالمسنة والعجفاء ونحوهما .

[والدرنة] : الجرباء .

٢١ — وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

٢٢ — وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى حَجَّةِ الْوَدَاعِ : إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ[٥] الْمُصَلُّونَ ، وَمَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ

---

(١) قوم أقل من الأنبياء منزلة وثوابا ، وفى الغريب : قوم دون الأنبياء فى الفضيلة. والصديق : من كثر منه الصدق ، وقيل بل يقال لمن لايكذب قط ، وقيل : بل لمن لايتأتى منه الكذب لتعوده الصدق ، وقيل لمن صدق بقوله واعتقاده ، وحقق صدقه بفعله . قال تعالى :

ا ـ (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) وقال :

ب ـ (وأمه صديقة) وقال :

ج ـ (من النبيين والصديقين والشهداء) اهـ .

(٢) الشهيد المحتضر ؛ فتسميته بذلك لحضور الملائكة إياه إشارة إلى ماقال: (تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) قال تعالى : (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم) لأنهم يشهدون فى تلك الحالة ماأعد لهم من النعيم ، أو لأنهم تشهد أرواحهم عند الله اهـ . غريب .

(٣) راضية نفسه غير ساخطة ومعطية بسخاء وانشراح . (٤) العجوز كبير السن المهزولة الضعيفة . قال تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) اقرأ ما قاله الفقهاء فى ذلك .

(٥) الذين أحبهم وأخلصوا لله فى عبادته .

الخَمْسَ الَّتِى كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَيْهِ ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيَحْتَسِبُ(١) صَوْمَهُ، وَيُؤْتِى الزَّكَاةَ مُحْتَسِباً(٢) ، طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ، وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ الَّتِى نَهَى اللهُ عَنْهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَارَسُولَ اللهِ: وَكَمِ الْكَبَائِرُ ؟ قالَ :تِسْعٌ أَعْظَمُهُنَّ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ الْمُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ(٣) ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ(٤) ، وَالسِّحْرُ(٥) ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ، وَاسْتِحْلَالُ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ(٦) الْحَرَامِ قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً، لَا يَمُوتُ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ هَؤُلَاءِ الْكَبَائِرَ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِى الزَّكَاةَ إِلَّا رَافَقَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فى بُحْبُوحَةِ جَنَّةٍ أَبْوَابُهَا مَصَارِيعُ الذَّهَبِ .

رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات ، وفى بعضهم كلام ، وعند أبى داود بعضه .

[بحبوحة الجنة] : بضم الباءين الموحدتين وبحاءين مهملتين : هو وسطها .

٢٣ – وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : إِذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ،وَمَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَاماً، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ ، وَكَانَ إِصْرُهُ(٧) عليه. رواه ابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم، وقال : صحيح الإسناد .

٢٤ – وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ كَانَ عِنْدَهُ غُلَامٌ يَقْرَأُ فِى الْمُصْحَفِ وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ حَضْرَمَةُ، فقال يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ : أَىُّ دَرَجَاتِ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ قالَ: الصَّلَاةُ. قالَ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قالَ: الزَّكَاةُ .رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به .

[قال المملى] : وتقدم فى كتاب الصلاة أحاديث تدل لهذا الباب، وتأتى أحاديث أخر فى كتاب الصوم والحج إن شاء الله تعالى .

(١) يطلب ثواب صومه من الله تعالى . (٢) طالباً الأجر من ربه بعيدة عن الرياء .
(٣) يوم التحام صفوف المحاربين فى سبيل نصر دين الله يفر هذا الجبان .
(٤) العفيفة المتزوجة الغافلة . (٥) استعمال طلاسم الفرقة والأذى والضرر والربط، وتسخير الجن لأذى الإنسان . (٦) المسجد الحرام تهتك فيه الحرمات، والعروض وتعمل فيه الفواحش ويعمل فيه ما نهى الله عنه ويستعمل فيه الفسق والسرقة والغيبة تقال فيه والنميمة وهكذا من فعل المحارم .
(٧) ذنبه .

الترهيب من منع الزكاة، وما جاء في زكاة الحلي

١ — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَامِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ(١) إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: وَلَا صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ مِنْهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ آخِرُهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. قِيلَ يَارَسُولَ اللهِ: فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ(٢)، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ(٣)، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً(٤) لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي مَرْجٍ(٥) أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا(٦) وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا

(١) طريقه. (٢) ذنب.
(٣) عن ورفعة. (٤) عداء.
(٥) زروع ومراع. (٦) ثقلها.

حَسَنَاتٌ ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلَّا كَتَبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ عَدَدَ مَاشَرِبَتْ حَسَنَاتٍ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ : فَالْحُمُرُ ؟ قَالَ : مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ إِلَّا هٰذِهِ الْآيَةُ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . رواه البخارى ومسلم ، واللفظ له ، والنسائى مختصراً .

٢ — وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّى زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا مِنْ نَارٍ فَيُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ .

٣ — وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا . وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا لَيْسَ فِيهَا جَمَّاءُ ، وَلَا مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا ، وَلَا صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِى خَبَأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَابُدَّ لَهُ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ رواه مسلم .

[القاع] : المكان المستوى من الأرض .

[والقرقر] : بقافين مفتوحتين ، وراءين مهملتين : هو الأملس .

[والظِّلف] : للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس .

[والعقصاء] : هى الملتوية القرن .

[والجلحاء] : هى التى ليس لها قرن .

[والعضباء] : بالضاد المعجمة هى المكسورة القرن .

[والطول] : بكسر الطاء وفتح الواو ، وهو حبل تشدّ به قائمة الدابة وترسلها ترعى أو تمسك طرفه وترسلها .

[واستنت] : بتشديد النون . أى جرت بقوة .

[شرفاً] : بفتح الشين المعجمة والراء : أى شوطاً . وقيل : نحو ميل .

[والنواء] بكسر النون وبالمد : هو المعاداة .

[والشجاع]: بضم الشين المعجمة وكسرها هو الحية، وقيل : الذكر خاصة ، وقيل : نوع من الحيات .

[والأقرع] : منه الذى ذهب شعر رأسه من طول عمره .

٤ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال: مَامِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّى زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ حَتَّى يُطَوَّقَ[(1)] بِهِ عُنُقُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وَسلم مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ الآيَةَ . رواه ابن ماجه ، واللفظ له ، والنسائى بإسناد صحيح ، وابن خزيمة فى صحيحه .

٥ — وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ[(2)] الْمُسْلِمِينَ فى أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِى يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ وَلَنْ يُجْهَدَ الْفُقَرَاءُ إِذَا جَاعُوا وَعَرُوا[(3)] إِلَّا بِمَا يَصْنَعُ أَغْنِيَاؤُهُمْ، أَلَا وَإِنَّ اللهَ يُحَاسِبُهُمْ حِسَاباً شَدِيداً وَ يُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً . رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير ، وقال تفرد به ثابت بن محمد الزاهد .

[قال الحافظ] : وثابت ثقة صدوق روى عنه البخارى وغيره ، و بقية رواته لا بأس بهم ، وروى موقوفا على علىّ رضى الله عنه ، وهو أشبه .

٦ — وَعَنْ مَسْرُوقٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ : آكِلُ الرِّبَا وَمُوكِلُهُ وَشَاهِدَاهُ إِذَا عَلِمَاهُ وَالْوَاشِمَةُ وَالْمُؤْتَشِمَةُ ، وَلَاوِى الصَّدَقَةِ، وَالْمُرْتَدُّ أَعْرَابِيّاً بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وَسلم يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه ابن خزيمة فى صحيحه واللفظ له، ورواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه عن الحارث الأعور عن ابن مسعود رضى الله عنه.

[لاوى الصدقة] : هو الماطل بها الممتنع من أدائها .

٧ — وَرَوَى الْأَصْبَهَانِىُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

---

(١) كذا ع ص ٢٠٩ ، وفى ن د : يطوق على عنقه . (٢) فى ن د : الأغنياء .

(٣) لم يجدوا ما يستر عورتهم .

عليه وسلم آكِلَ الرِّبا ، وَمُوكِلَه[1] ، وَشاهِدَهُ ، وَكَاتِبه[2] ، وَالْوَاشِمَةَ[3] وَالْمُسْتَوْشِمَةَ[4] وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ ، وَالْمُحَلِّلَ[5] وَالْمُحَلَّلَ لَهُ .

٨ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم : وَيْلٌ[6] لِلأَغْنِيَاءِ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَقُولُونَ رَبَّنَا ظَلَمُونَا حُقُوقَنَا الَّتِي فَرَضْتَ لَنا عَلَيْهِمْ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لأُدْنِيَنَّكُمْ[7] وَلأُبَاعِدَنَّهُمْ[8] ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : [وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ] . رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ، وأبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب كلاهما من رواية الحارث ابن النعمان . قال أبو حاتم : ليس بقوىّ ، وقال البخارى : منكر الحديث .

٩ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ

---

(١) آخذه ومعطيه : أى أبعده الله من رحمته وأقصاه من عطفه ، وهذا مشاهد .

(٢) الذى يخط بيده عقد الاتفاق، وصك الأخذ . (٣) واضعة الوشم، وهو المادة الزرقاء على الجسم

(٤) كذا الموضوع عليها . والوشم: أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرق أثره أو يخضر وقد وشمت تشم وشماً فهى واشمة ، والمستوشمة والمؤتشمة : التى يفعل بها ذلك اهـ نهاية .

(٥) هو أن يطلق الرجل امرأته ثلاثاً فيتزوجها رجل آخر على شريطة أن يطلقها بعد وطئها لتحل لزوجها الأول ، وقيل : سمى محللا بقصده إلى التحليل كما يسمى مشتريا إذا قصد الشراء ، وفى حديث بعض الصحابة لا أوتى بحال ولا محلل إلا رجمتهما ، جعل الزمخشرى هذا الأخير حديثاً لا أثرا ، وفى هذه اللفظة ثلاث لغات: حللت وأحللت وحالت ، وفيه «لعن الله المحال والمحلل له» ، وفى رواية : « المحل والمحل له » اهـ نهاية .

(٦) واد فى جهنم ، أو الحزن والهلاك والمشقة من العذاب، ومنه حديث أبى هريرة: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله » . (٧) لأقربنكم من النعيم ، ولأحفنكم برضاى .

(٨) قال تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون) ١٩ــ٣٥ من سورة المعارج.

(هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (منوعا) يبالغ بالإمساك والأوصاف (حق معلوم) كالزكوات والصدقات المؤلفة للذى يسأل والذى لا يسأل فيحسب غنياً فيحرم .

وفى آيات الذاريات : (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) وصف المتقين يجودون بنصيب يستوجبونه على أنفسهم تقربا إلى الله وإشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) المستجدى والمتعفف الذى يظنه الناس غنيا فيحرم من الصدقة .

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، فالشَّهِيدُ[١] ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ ، وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ[٢] ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ[٣] ذُو عِيَالٍ، وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ[٤]، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ[٥]. رواه ابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان مفرّقاً فى موضعين .

١٠ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أُمِرْنَا بِإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فَلَا صَلَاةَ لَهُ[٦] . رواه الطبرانى فى الكبير موقوفاً هكذا بأسانيد أحدها صحيح ، والأصبهانى .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ : مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَلَمْ يُؤْتِ الزَّكَاةَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ يَنْفَعُهُ عَمَلُهُ .

١١ — وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزاً مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعٌ[٧] أَقْرَعُ لَهُ زَبِيبَتَانِ يَتْبَعُهُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي خَلَّفْتَ، فَلَا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حَتَّى يُلْقِمَهُ[٨] يَدَهُ فَيَقْضَمَهَا[٩] ثُمَّ يَتْبَعُهُ سَائِرَ جَسَدِهِ ، رواه البزاز وقال: إسناده حسن ، والطبرانى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

١٢ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الَّذِي لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ قَالَ: فَيَلْزَمُهُ ، أَوْ يُطَوِّقُهُ يَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ . أَنَا كَنْزُكَ . رواه النسائى بإسناد صحيح .

[الزبيبتان] هما الزبدتان فى الشدقين ، وقيل : هما النكتتان السوداوان فوق عينيه ، والشجاع تقدم .

---

(١) الذى قتل فى سبيل الله . (٢) خادم أدى حقوق ربه وسيده ، وكان أميناً صادقاً .
(٣) لايسأل الناس ، ويعتمد على الرازق سبحانه . ويعمل عملا ، وله أولاد وزوجة .
(٤) حاكم ظالم جائر لم يخف الله فى أوامره . (٥) كذا ع ص ٢٦١ ، وفى ن د ،ط : فقير فخور، أى محتاج كثير الكبر والفخر والعظمة يتكبر على الناس. (٦) لم تهذبه صلاته بإخراج الزكاة لأنها ناقصة .
(٧) كذا ع ، وفى ن د : شجاعا . (٨) يقرب ويحازى . (٩) يأكلها بأطراف الأسنان .
وقضم الناس هلكهم ، ومنه احذروا القضم .

١٣ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : مَنْ آتَاهُ اللهُ مالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ، يَعْنِي شِدْقَيْهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ، ثُمَّ تَلاَ هٰذِهِ الآيَةَ : [وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ] الآيَةَ . رواه البخارى والنسائىّ ومسلم .

١٤ — وَعَنْ عُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَرْبَعٌ فَرَضَهُنَّ اللهُ فى الإِسْلاَمِ فَمَنْ جَاءَ بِثَلاَثٍ لَمْ يُغْنِينَ(١) عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَ بِهِنَّ جَمِيعاً : الصَّلاَةُ ، وَالزَّكاةُ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَحَجُّ الْبَيْتِ . رواه أحمد ، وفى إسناده ابن لهيعة ، ورواه أيضاً عن نعيم بن زياد الحضرمى مرسلاً .

١٥ — وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بِفَرَسٍ يَجْعَلُ كُلَّ خَطْوَةٍ مِنْهُ أَقْصَى بَصَرِهِ ، فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فى يَوْمٍ ، وَيَحْصُدُونَ فى يَوْمٍ ، كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ ، فَقَالَ يَاجِبْرِيلُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قالَ : هٰؤُلاَءِ الْمُجَاهِدُونَ فى سَبِيلِ اللهِ ، تُضَاعَفُ(٢) لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُرْضَخُ(٣) رُءُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ(٤) عَادَتْ كَمَا كَانَتْ ، وَلاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ(٥) مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ . قالَ : يَاجِبْرِيلُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قالَ : هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ تَثَاقَلَتْ(٦) رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلاَةِ ، ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِمْ(٧) رِقَاعٌ(٨) ، وَعَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ

(١) فى ن د : لم تغن : أى لم تسد ولم تكف: أى الأربعة أركان مشيدة قصر الإسلام الفخم فإن عدم واحدة انهدم قصره، وزال ركنه . (٢) يضاعف خيراته وحسناته ، ويبارك فيه .

(٣) ترى . (٤) دقت وكسرت،من المراضخة: المراماة بالسهم والرضخ:الشدخ ، ورضخ:أعطى .

(٥) لاتحصل فترة وتخفيف ، ولا يمنع عنهم هذا العمل بل يستمر .

(٦) أى كسلت وتباعدت ، وعدوها ثقيلة . (٧) ظهورهم ، ومنه قوله تعالى : (ويولون الدبر) والدبر : ضد القبل ، جمع أدبار : ضد أقبال : أى من مقدمه ومؤخره .

(٨) قطع بالية،وخرق مكتوب عليها تقصيره فى حقوق الله كما ورد فى النهاية فى شرح : « يجىء أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته رقاع تخفق» أراد بالرقاع ماعليه من الحقوق المكتوبة فى الرقاع، وخفوقها حركتها اهـ والمعنى أن الله يسمهم بعلامات المقصرين ، ويكشف ستره سبحانه ، ويجعل منظرهم كئيبا ليتحسروا على مافرطوا ، ويندموا على ماقصروا فى دنياهم فليعتبر الأغنياء كما قال صلى الله عليه وسلم : «رب كاسية والدنيا عارية يوم القيامة » يريد صلى الله عليه وسلم حث المسلمين على الأعمال الصالحة ، وتشييد مشروعات الخير بثمرات أموالهم لتفرق فى أخراهم (يوم ينظر المرء ماقدمت يداه) .

يَسْرَحُونَ(١) كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ إِلَى الضَّرِيعِ(٢)، وَالزَّقُّومِ(٣)، وَرَضْفِ(٤) جَهَنَّمَ. قَالَ: مَاهُؤُلَاءِ يَاجِبْرِيلُ؟ قَالَ: هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ، وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(٥). الْحَدِيثُ بِطُولِهِ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَفَرْضِ الصَّلَاةِ.

رواه البزار عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة.

١٦ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، وَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ لُزُومًا لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ عُمَرُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: مَا تَلِفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ(٦) الزَّكَاةِ. رواه الطبراني في الأوسط، وهو حديث غريب.

١٧ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم:

---

(١) يمشون إلى جمع المال في الدنيا كما تمشى الماشية، والإبل إلى المراعى. والمسارح: المواضع التي تسرح إليها الماشية للرعى، وفيه حديث أم زرع «له إبل قليلات المسارح كثيرات المبارك». استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة يسرحون لحستهم يوم القيامة ودناءتهم وحقارتهم، وأنهم في الدنيا مثل الحيوانات يسعون لملء بطونهم وجيوبهم فيكنزون، ولا يعملون خيراً كما قال تعالى في الكفار: (يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) وهؤلاء أيضاً الذين لا يخرجون الزكاة ينالون عقابا مثلهم.

(٢) نبت بالحجاز له شوك كبار ويقال له الشبرق وفيه حديث أهل النار «فيغاثون بطعام من ضريع». قال تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم: (هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لايسمن ولا يغنى من جوع).

(٣) عبارة عن أطعمة كريهة في النار. قال تعالى: (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى في البطون. كغلى الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم) سورة الدخان.

(الأثيم): كثير الآثام، والمراد به الكافر (كالمهل): مايمهل في النار ليذوب (خذوه) أيها الزبانية (فاعتلوه): جروه إلى وسط النار، وقولوا له استهزاء به (ذق) تقريعاً على مكان يزعمه، ويقصر في الزكاة (تمترون): تشكون في ثواب الإنفاق، وتمارون في عذاب الله.

(٤) حجارة محماة على النار واحدها رضفة. (٥) الله سبحانه تنزه عن الظلم، وماهذا إلا جزاء ما كنزوا في دنياهم، وكانت آياته تعالى تتلى عليهم في بيان الإنفاق، وفضل الزكاة فيزيدون بخلا.

(٦) عدم إخراجها بسبب دمار البيوت العامرة.

مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى النَّارِ . رواه الطبرانى فى الصغير عن سعد بن سنان ، ويقال فيه سنان بن سعد عن أنس .

١٨ — وَرُوِىَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَاخَالَطَتِ الصَّدَقَةُ ، أَوْ قَالَ : الزَّكَاةُ مَالاً إِلاَّ أَفْسَدَتْهُ . رواه البزار والبيهقى .

[وقال الحافظ] : وهذا الحديث يحتمل معنيين : أحدهما أَنَّ الصَّدَقَةَ مَاتُرِكَتْ فِى مَالٍ وَلَمْ تُخْرَجْ مِنْهُ إِلاَّ أَهْلَكَتْهُ . ويشهد لهذا حديث عمر المتقدم : مَاتَلِفَ مَالٌ فِى بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ بِحَبْسِ الزَّكَاةِ . والثانى : أَنَّ الرَّجُلَ يَأْخُذُ الزَّكَاةَ وَهُوَ غَنِىٌّ عَنْهَا فَيَضَعُهَا مَعَ مَالِهِ فَتُهْلِكُهُ . وبهذا فسره الإمامُ أحمد ، والله أعلم .

١٩ — وَرُوِىَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ظَهَرَتْ لَهُمُ الصَّلاَةُ فَقَبِلُوهَا ، وَخَفِيَتْ لَهُمُ الزَّكَاةُ فَأَكَلُوهَا ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ[١] . رواه البزار .

٢٠ — وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَامَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلاَّ ابْتَلاَهُمُ اللهُ بِالسِّنِينَ[٢] . رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورواته ثقات ، والحاكم والبيهقى فى حديث إلا أنهما قالا :

وَلاَمَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلاَّ حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

ورواه ابن ماجه والبزار والبيهقى من حديث ابن عمر ، ولفظ البيهقى أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ[٣] خِصَالٌ خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ[٤] بِهِنَّ وَنَزَلْنَ بِكُمْ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ[٥] فِى قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا

(١) الكذابون المراءون الذين إسلامهم ناقص ، وإيمانهم ضعيف .
(٢) القحط وشدة الأزمة والفقر ، ونزع البركة من المال والبنين ، ومنه : « أعنى عليهم بسنين كسنى يوسف » التى ذكرها الله تعالى فى كتابه : (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد) أى سبع سنين فيها قحط وجدب ، ومنه : « اللهم أعنى على مضر بالسنة » يقلب لامها تاء فى أسنتوا : إذا أجدبوا .
(٣) يخاطب صلى الله عليه وسلم الذين انتقلوا من موطنهم إلى المدينة المنورة ، وهاجروا لله ورسوله .
(٤) اختبرتم بهن . أى وحصلن فى زمنكم ، ثم طلب صلى الله عليه وسلم الاستعاذة منهن ، والتحصن من وجودهن ، والتفضل بإبعادهن عن أصحابه وأحبابه رضى الله عنهم ، وقال ذلك ليعلم المسلمين أن يتجنبوهن
(٥) الزنا وفعل السوء .

فِيهِمُ الأَوْجَاعُ[(١)] الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِى أَسْلاَفِهِمْ وَلَمْ يَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ[(٢)] ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ[(٣)] ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ[(٤)] أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ[(٥)] مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلاَ نَقَضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ[(٦)] إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَأْخُذُ بَعْضَ مَا فِى أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ[(٧)] بِكِتَابِ اللهِ إِلاَّ جُعِلَ بَأْسُهُمْ[(٨)] بَيْنَهُمْ .

٢١ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : خَمْسٌ بِخَمْسٍ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ ؟ قَالَ : مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلاَّ سُلِّطَ[(٩)] عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ[(١٠)] الْمَوْتُ ، وَلاَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلاَّ حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ ، وَلاَ طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلاَّ حُبِسَ عَنْهُمُ النَّبَاتُ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ . رواه الطبرانى فى الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد .

---

(١) الأمراض . سرح نظرك أيها المسلم فى هذا العصر لترى أمراضا ماسمعها آباؤنا وأجدادنا الأقدمون رحمهم الله ، وجاءت هذه الكوارث من إطلاق العنان المرأة ، والتبجح بكلمة حرية تغدو وتروح وتتبرج وتتزين ، وتختلط بالأجنبى ، وهناك الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، والعدوى بالأمراض المهلكة المدمرة وإنى أحمى قلمى أن يذكرها ، وأدع عاقبة المجون ، وهذه الدعارة للحوادث المشاهدة وشكوى الشباب المندفع فى هذا السبيل بلا عقل ، ولا خوف من الله تعالى ، وبين الله تعالى فى محكم كتابه قبح الزنا . قال تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) .

أى لاتقدموا إلى فعله بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلا عن أن تباشروه (فاحشة) أى فعلة ظاهرة القبح زائدته مضيعة للنسل مهلكة للجسم مخلطة الأنساب (وساء سبيلا) وبئس طريقاً طريقه وهو الغصب على الإبضاع المؤدى إلى قطع الأنساب ، وهيج الفتن . والزنا : وطء المرأة فى غير عقد شرعى . قال تعالى (الزانى لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) .

وزأ وزنؤ : حقن بوله . قال البيضاوى : إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لايرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لايرغب فيها الصلحاء فإن المشاكلة علة للألفة والتضام ، والمخالفة سبب للتفرقة والافتراق ، والمعنى أن المؤمن يعد هذا حراما فلا يتشبه بالفسقة العصاة .

(٢) القحط والفقر . (٣) ظلم الحاكم والتعدى ، وشدة القوانين المضيقة على الحرية .

(٤) المفروضة وبخلوا . (٥) لم ينزل مطر يمد الأنهار ، ويسق الزروع .

(٦) الاستقامة ، وتوحيد الله ، وعبادته بحق ، والإيمان به وبرسله .

(٧) علماؤهم وقضاتهم وحكامهم يأتمرون بأوامر الله ، وينفذون أحكامه .

(٨) أى سلط الله عليهم الشقاق والذلة ، والفتن الداخلية وحروب بعضهم لبعض والغيبة والدس والكيد ، والبأس : الشدة والمكروه (والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) وقال تعالى :(بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون) . (٩) حفظ الإيمان . قال تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) (١٠) حصدت أرواحهم الأمراض المختلفة .

[السنين] : جمع سنة ، وهى العام القحط الذى لم تنبت الأرض فيه شيئاً سواء وقع قطر أو لم يقع .

٢٢ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لَا يُكْوَى رَجُلٌ بِكَنْزٍ فَيَمَسَّ دِرْهَمٌ دِرْهَمًا ، وَلَا دِينَارٌ دِينَارًا يُوَسَّعُ جِلْدُهُ حَتَّى يُوضَعَ كُلُّ دِينَارٍ وَدِرْهَمٍ عَلَى حِدَتِهِ[1] . رواه الطبرانى فى الكبير موقوفاً بإسناد صحيح .

٢٣ — وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَنْ كَسَبَ طَيِّبًا[2] خَبَّثَهُ[3] مَنْعُ الزَّكَاةِ ، وَمَنْ كَسَبَ خَبِيثًا[4] لَمْ تُطَيِّبْهُ الزَّكَاةُ . رواه الطبرانى فى الكبير موقوفاً بإسناد منقطع .

٢٤ — وَعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى مَلَإٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَجَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعَرِ وَالثِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ[5] كَتِفِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ[6] فَيَتَزَلْزَلُ ، ثُمَّ وَلَّى فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ ، فَقُلْتُ : لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتَ . قَالَ : إِنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا . قَالَ لِي خَلِيلِي . قُلْتُ : مَنْ خَلِيلُكَ؟ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : أَتُبْصِرُ أُحُدًا[7] ؟ قَالَ : فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ

(١) المعنى أن الله تعالى يكبر جسمه حتى يضع كل درهم على جلده فيسعه ليذوق عذاب نوره .
(٢) حلالا . (٣) نجسه ، وجلب على نفسه العذاب .
(٤) حراما من وجوه غير شرعية كالسرقة والرشوة والغش والخداع وهكذا .
(٥) أعلى الكتف ، وقيل : هو العظم الرقيق الذى على طرفه بفتح النون وضمها ، وكذا الناغض .
(٦) كذا ع ص ٢٦٤ ، وفى ن د ثديه . (٧) جبل عظيم ، لم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوجد عنده مثل هذا الجبل ذهب ؛ ولو وجد لأنفقه كله فى الخير ، ولم يبق إلا ثلاثة دنانير يرصدها لانتظار فعل البر .

شرح قوله صلى الله عليه وسلم « لم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء » .

الدليل من كتاب الله تعالى

على أن منع الزكاة والصدقات يزيل النعم ، ويخرب الديار العامرة ، وكذا المن والرياء .

مِنَ النَّهَارِ ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ .

أريد أن أسرد عليك حوادث صحيحة مرت على قوم كانوا فى بحبوحة العيش ورغده ،وهناءة الضمير ، وسعة الرزق ، ووفرة المال ، ولكن أصابهم البخل ، وحفهم الشح ، فضيعوا حقوق الفقراء ، ومنعوا الزكاة وحرموا المساكين ، أو جادوا للرياء والسمعة والمن ، ولم يقصدوا وجه الله فى إنفاقهم :

أولا : بستان لرجل صالح منفق ، وكان ينادى الفقراء وقت الجنى ، وقطع الثمرة ، ويترك لهم ماأخطأه المنجل ، وألقته الريح ، أو يجمع ثمر النخل ، ويترك لهم مايبسط تحت النخلة ، فيجتمع لهم شىء كثير ، فلما مات قال بنوه : إن فعلنا ما كان يفعله أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا ليقطعنها وقت الصباح خفية عن المساكين . قال تعالى : (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ١٨ ولا يستثنون ١٩ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ٢٠ فأصبحت كالصريم ٢١ فتنادوا مصبحين ٢٢ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ٢٣ فانطلقوا وهم يتخافتون ٢٤ أن لايدخلنها اليوم عليكم مسكين ٢٥ وغدوا على حرد قادرين ٢٦ فلما رأوها قالوا إنا لضالون ٢٧ بل نحن محرومون ٢٨ قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ٢٩ قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ٣٠ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ٣١ قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين ٣٢ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ٣٣ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ٣٤ سورة ن .

قال البيضاوى يريد الذى كان دون صنعاء بفرسخين اه (إنا بلوناهم) أى اختبرنا أهل مكة — شرفها الله تعالى — بالقحط ، لأن المشركين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم الوليد بن المغيرة أو الأخنس ابن شريق ، وفيه قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم) الآيات (ولا يستثنون) ولا يقولون إن شاء الله ، ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم ، فمر عليها بلاء ، فأصبحت كالبستان الذى قطع ثمره ، بحيث لم يبق فيه شىء وقد بكروا يتشاورون فيما بينهم ، وعزموا أن ينكدوا على الفقراء ، فنكد عليهم ، بحيث لايقدرون إلا على النكد ، أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان ومكان كونهم قادرين على الانتفاع ، وقيل الحرد الحنق أى لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض ، وقيل الحرد : القصد والسرعة ، قال الشاعر :

أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة

أى غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها ، وقيل علم للجنة .

أقروا ببخلهم (إنا لضالون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (طاغين) متجاوزين حدود الله تعالى ثم تابوا إلى الله تعالى ، واعترفوا بذنبهم (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها) قيل نفعت التوبة ، فعفا عنهم سبحانه وأبدلهم خيراً منها - تبنا إلى الله ، اللهم ارزقنا التوفيق والسعادة إنك غفور رحيم .

(كذلك العذاب) يشير الله تعالى إلى أن المعاصى سبب النقم والقحط والجوع وشدة الأزمة فى الدنيا ، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : « حصنوا أموالكم بالزكاة » ، وقال تعالى : (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ٣٥ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ٣٦ مالكم كيف تحكمون ٣٧) سورة ن .

أى للصالحين فى الآخرة ، أو فى جوار القدس جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص ، وأن الله تعالى يضع القناعة والرضا فى قلوب الصالحين فى الدنيا ، فيشعرون بسعادة الحياة ، فتنشرح صدورهم فرحين مسرورين .

الدليل الثانى : رجلان أخوان من بنى إسرائيل : الأول كافر واسمه قطروس . والثانى مؤمن واسمه يهوذا ، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعا وعقاراً ، وصرفها المؤمن

قَالَ : مَاأُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ

في وجوه الخير ، فضاع مال الأول وذهب سدى ، وبقى الثانى مباركا ينفعه وينفع ذريته ، قال تعالى : (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً ، وفجرنا خلالهما نهراً ، وكان له ثمر ، فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ماأظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً ، أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً ، وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ماأنفق فيها وهى خاوية على عروشها ، ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحداً ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا) ٢٢-٤٥ سورة الكهف .

بساتين كروم ونخل بينها زرع جامع للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن ، والترتيب الأنيق يدوم شربهما بنهر يزيد بهاءهما ، وقد أخذ الغرور صاحبهما وضرهما بعجبه وكفره وبخله ، وطال أمله ونسى ربه وتمادى فى غفلته واغتراره بمهلته (ما أظن أن تبيد هذه أبداً) فنصحه المسلم أن الله عدلك وكملك (ثم سواك رجلا) جعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه كأنه قال : أنت كافر بالله ، ولكنى مؤمن بالله أى شىء شاء الله كان ولا قوة إلا بالله فيجب عليك أن تعترف بعجز نفسك ، وتكل الأمر والقدرة لله وأن ماتيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته وإقداره .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم « من رأى شيئاً فأعجبه فقال : ماشاء الله لاقوة إلا بالله لم يضره » . واعترف المسلم بالعجز ، وسلم لله ، ورجا من الله خيراً من جنة الكافر فى الدنيا ، وتوقع أن تفنى جنة الكافر (وأحيط بثمره) لاحول ولا قوة إلا بالله زال هذا النعيم فى لحظة ، وأهلك أمواله حسبا توقعه صاحبه ، وأنذره منه . وسقطت عروشها وكرومها على الأرض ، فتذكر موعظة أخيه ، وتمنى عدم إشراكه ، فلا يهلك الله بستانه ، ولا أحد يدفع الإهلاك عنه سوى الله الواحد الأحد ، ولله النصرة وحده لايقدر عليها غيره ، وعاقبة النعيم الباقى لأوليائه وأحبابه ، وله تعالى السلطان والملك ، ولا يعبد غيره سبحانه ، آمنا به وبرسله اللهم وفقنا لنعمل .

الدليل الثالث : رجل مبتل بالنفخة ، وحب الثناء ، ويميل إلى مدح الناس ، ويحب الظهور ، ويعمل رياء ويتصدق ويمن فلا ينفع عمله ، ولا تقبل صدقاته ، وماله يذهب بلا فائدة . قال تعالى : (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) ٢٦٦ البقرة .

وشاهدنا وجود النعم مع كبر السن لايحفظها إلا العمل لله لتبقى والهمزة فيه للإنكار : أى لايحب وجود حديقة فيها أنواع الأشجار المثمرة ترعرعت وأينعت وأزهرت مع كبر سنه ، ووجود صغار لاقدرة لهم على الكسب ، وإن الفاقة والعالة فى الشيخوخة أصعب ، والإعصار : ريح عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كالعمود . والمعنى تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها حب الرياء والإيذاء فى الحسرة والأسف ، فإذا كان يوم القيامة ، واشتدت حاجته إليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه ، وأشبههم به من حال بره فى عالم الملكوت ، وترق بفكره إلى جناب الجبروت ، ثم نكص على عقبيه إلى عالم الزور ، والتفت إلى ماسوى الحق ، وجعل سعيه هباء منثوراً (تتفكرون) رجاء أن تعتبروا بها اه بيضاوى .

. . . .

أى له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر ، وله ذرية ضعفاء ، والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة اهـ نسفى .

وقيل هذه الآية بين الله تعالى مضاعفة الثواب - وزيادة النعم للمنفق ابتغاء وجه الكريم لايقصد سوى رضاه ، ولا يحب الرياء العامل بقول الله تعالى (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم يأأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لايقدرون على شىء مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين) ٢٦٤ البقرة .

أى رد جميل ، وتجاوز عن السائل وإلحاحه ، أو نيل المغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو من السائل بأن يعذر ، ويغتفر رده (والله غنى) عن إنفاق بمن وأذى (حليم) عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة ، ومثل المرائى فى إنفاقه كحجر أملس لم يؤثر فيه نزول المطر ، وتركه المطر أملس نقياً من التراب ، وفيه تعريض بأن الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صدقات الكافرين ، والله لايهديهم إلى الخير والرشاد ، ولابد للمؤمن أن يتجنب عنها،وإن شاهدنا (وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار) ماجاء التلف إلى هذه الحديقة الغناء إلا لعصيان الله من بخل وأذى ورياء ، فبدل الله نعمته نقمة ، وغناه فقراً ، ويسره عسراً ، وأصابه الكبر ولم يقيد هذا الخير بطاعة الله وأداء زكاة ماله وطغى وتجبر ، وعلى عباد الله تكبر ، وورم أنفه ؟ ومشى ببطء وبطر وبغى على قومه ، وقد حكى الله تعالى عن العلماء الناصحين قارون ذا المال الكثير : (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين ٧٧ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين) ٧٨ سورة القصص .

ماذا أصاب هذا الطاغية ؟ إن الله حكى عنه : (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) ٨٥ القصص .

(علوا) : غلبة وقهرا (فساداً) ظلماً وشحاً (خير منها) ذاتاً وقدرا ووصفا .

روى أن قارون كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره ، فعمد إلى أن يفضح موسى بين بنى إسرائيل ليرفضوه ، فبرطل بغيا لترميه بنفسها ، فلما كان يوم العيد قام موسى خطيباً : فقال : من سرق قطعناه ، ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه ، فقال قارون : ولو كنت ؟ قال : ولو كنت . قال : إن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت ، فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق ، فقالت : جعل لى قارون جعلا أن أرميك بنفسى ، فخر موسى شاكياً منه إلى ربه ، فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت ، فقال : يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبتيه ، ثم قال : خذيه فأخذته إلى وسطه ، ثم قال : خذيه فأخذته إلى عنقه ، ثم قال : خذيه فخسفت به ، وكان قارون يتضرع إليه فى هذه الأحوال فلم يرحمه ، فأوحى الله إليه ماأفظعك استرحمك مرارا فلم ترحمه ؟ وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لأجبته ، ثم قال بنو إسرائيل : إنما فعله ليرثه ، فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله . (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون) حلت هذه المصيبة بقارون لأنه لم يزك ، وهذا عنوان مانبغيه ، والله أعلم ، ولو اتقى الله قارون

. . . .

وأخرج الزكاة كأمر نبيه عليه السلام ، دام ذكره ، وحسن حاله ، وأثمر ماله وزها فعله ، ولكن بخل فى الخير ، وشح فى حقوق الله مسكنه وماله فى باطن الأرض ، وهذا شرع الله من لدن آدم . قال تعالى : (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) ٨٤ سورة البقرة .

إخبار بمعنى النهى (ثم توليتم) على طريقة الالتفات ، ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قبلهم على التغليب : أى أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه (إلا قليلا) يريد به من أقام اليهودية قبل النسخ ، ومن أسلم منهم ، وقبل هذه الآية ذكر الدستور ماحكاه عن اليهود (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ٨٣ من سورة البقرة .

فأنت تجد دستور الله ونظامه ، وعدله فى مادتين :

أولا : المذنب يعاقب بالنار . ثانياً : المؤمن الذى عمل صالحاً ينعم بالجنة ، وهذا هو ميثاق الله للأنبياء ليعلموها الناس ، وتجد فيه الأمر بالزكاة ، واتفقت الأديان والشرائع على أن الإحسان مصدر الخير ومعين البر

وقد أرسل الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وأقام الحجة على أشرار قومه وضلالهم فى اتخاذ الأصنام من دون الله ووجه سؤالهم إلى الله تعالى المالك المعطى ، قال تعالى : (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ١٧) أى الخير والشر وتميزون بين النافع والضار (إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون) ١٨ من سورة العنكبوت ، أمرهم سيدنا إبراهيم بثلاثة :

ا — اطلبوا من الغنى الكريم الرزق.

ب — أخلصوا فى طاعته سبحانه .

ج — احمدوه وأثنوا عليه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بحسن العبادة والشكر ، وإن شاهدنا (واشكروا له) لتدوم النعم ويكثر الخير ، وتزداد البركة وهكذا طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكثيراً مارأينا أسراً غنية مات عائلها فورث أبناؤه المال فأنفقوه فى الملذات وأسرفوا وبذروا حتى فنى كما قال تعالى : (وأحيط بثمره) ، (فأصابها إعصار) ولقد بحثت عن سبب ذلك فوجدت صاحبه كان غير مزك .

الدليل الرابع : البخيل يذمه الله ، كما أن المرائى بالإنفاق يبغضه الله وقائدهما الشيطان ، وهما مخالفان لأمر الله تعالى ، ومالهما لايبقى ولا ينفع الذرية ، وهو عرضة للزوال ، قال تعالى : (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخوراً. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً . وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله، وكان الله بهم عليما . إن الله لايظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) ٤٠ من سورة النساء (والجار ذى القربى) الذى قرب جواره ، وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أودين

. . . .

(والجار الجنب) البعيد والذى لاقرابة له ، وعنه عليه الصلاة والسلام : « الجيران ثلاثة : فجار له ثلاث حقوق حق الجوار ، وحق القرابة ، وحق الإسلام . وجار له حقان : حق الجوار ، وحق الإسلام . وجار له حق واحد : وهو المشرك من أهل الكتاب » (والصاحب بالجنب) أى الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجنبك ، وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والإماء والخدم (إن الله لايحب من كان مختالا) أى يكره كل متكبر بخيل يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم ولا يساعدهم ولا يعدهم بخيراته وإحسانه (فخورا) كثير الكلام معجباً بنفسه . غناه لشرهه وشهواته ، ويتفاخر عليهم (من فضله) الغنى والعالم يضن بالإنفاق والإرشاد (وأعتدنا للكافرين) قال البيضاوى : وضع الظاهر فيه موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء ، والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار تنصيحاً لاتنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ، وقيل فى الذين كتموا صفة محمد عليه الصلاة والسلام اهـ بيضاوى ص ١٣٨ . ومن يقتدى بهم مثلهم .

(والذين ينفقون) عطف على الذين يبخلون أو الكافرين ، وإنما شاركهم فى الذم أو الوعيد لأن البخل والسرف الذى هو الإنفاق على مالا ينبغى من حيث إنهما طرفا إفراط وتفريط سواء فى القبح واستجلاب الذم (ولا يؤمنون بالله) لم يتحروا بالإنفاق ثواب الله ، ولم يرجوا مراضيه ، وهم مشركو مكة ؛ وقيل المنافقون ، وإن الشيطان قائدهم فحملهم على ذلك وزينه لهم ، وأن فعلهم مذموم ؟ وأى تبعة تحيق بهم بسبب الإيمان والإنفاق فى سبيل الله ؟ وهذا توبيخ لجهلهم وضلالهم وبعدهم عن طريق الخير ، والله يضاعف الثواب ويهب النعم ويعطى صاحبها على سبيل التفضل أمن عنده عطاء جزيلا وخيراً كثيراً .

فأنت تجد أمر الله بالإحسان بعد توحيده ، والاعتقاد بوجوده ، ونهى عن البخل والرياء وهما خلتان مدمرتان القصور الشامخة ، ومخربتان البيوت العامرة (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض) قرآن كريم ، قال تعالى : (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير . هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) ١٦٤ من سورة آل عمران : أى من أطاع الله كمن أساء ورجع بالمعاصى ، والناس ذوو درجات عند الله لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب ، وهو سبحانه عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم ، فيجازيهم على حسبها ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، اللهم وفقنا .

الدليل الخامس : رجل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وراءه جماعة حتى لقب بحمامة المسجد ولكن بخل بماله فعد من المنافقين . قال الصاوى : كان أولا صحابياً جليلا ملازما للجمعة والجماعة والمسجد ، ثم رآه النبى صلى الله عليه وسلم يسرع بالخروج أثر صلاة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تفعل فعل المنافقين ؟ فقال : إنى افتقرت ولى ولامرأتى ثوب أجىء به للصلاة ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلى به ، فادع الله أن يوسع ف رزقى اهـ .

قال الله تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله لايهدى القوم الفاسقين) من سورة التوبة

قال البيضاوى : نزلت فى ثعلبة بن حاطب أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : ادع الله أن يرزقنى

. . . .

مالا ، فقال عليه الصلاة والسلام : ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه فراجعه وقال : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه ، فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فنزل واديا ، وانقطع عن الجماعة والجمعة ، فسأل عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام : فقيل : كثر ماله حتى لايسعه واد ، فقال : ياويح ثعلبة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ، ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض ، فقال : ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيى فنزلت ، فجاء ثعلبة بالصدقة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله منعنى أن أقبل منك ، فجعل يحثو التراب على رأسه ، فقال ، هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء بها إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها ، ثم جاء بها إلى عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته فلم يقبلها ، وهلك فى زمان عثمان رضى الله تعالى عنه اهـ .

أرأيت ثعلبة ، وكان فقره نعمة يؤدى الصلاة مع خير الخلق صلى الله عليه وسلم ، فيلح ويطلب دعوة صالحة فيقول له صلى الله عليه وسلم : « أما لك فى أسوة حسنة ، والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهباً وفضة لسارت » (بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) بعدوا عن طاعة الله ، فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا ، وسوء اعتقاد فى قلوبهم — ويجوز أن يكون الضمير للبخل — والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه جزاء أعمالهم بسبب إخلافهم ماوعدوه من التصدق والصلاح ، وبكونهم كاذبين مخالفي الوعد (سرهم) ما أضمروه ، وأسروه فى نفوسهم (ونجواهم) وما يعلنون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية اهـ .

وهنا ذكر البيضاوى وغيره موازنة مايؤيد أن الزكاة تعمر البيوت ، وتزيد المال ، وعدم إخراجها دمار شارحا قوله تعالى : (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات) .

روى أنه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف وقال : كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أربعة ، وأمسكت لعيالى أربعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت ، وفيما أمسكت ، فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن أى على ثمانين ألف درهم ، وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر ، وجاء أبو عقيل الأنصارى بصاع تمر ، فقال : بت ليلى أجر بالجرير (أى الحبل) على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات ، فلمزه المنافقون (أى لاموه وعرضوا به ورموه بالجبن والإسراف) وقالوا : ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ، ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ، ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت : (والذين لايجدون إلا جهدهم) أى إلا طاقتهم (فيسخرون منهم) يستهزئون بهم (سخر الله منهم) أى جازاهم على سخريتهم ، وعاقبهم بالفقر والخزى ، والذل فى الدنيا ، وفى الآخرة بدخول جهنم .

هذه تعاليم الإسلام يتصدق سيدنا عبد الرحمن بنصف ماله ثقة بالله ، وبانتظار ثوابه ، ومضاعفة خيراته ولقد نما ماله ، وزاد خيره حتى ورثت إحدى زوجاته نصف الثمن على ثمانين ألف درهم .

ماشاء الله . (٨ × ٨٠٠٠٠ = ٦٤٠٠٠٠ درهم : أى ٧٠٠ جنيه) رأس مال سيدنا عبد الرحمن عند موته ستمائة وأربعون ألف درهم ، ورأيت ذلك الزارع المسكين الذى يقضى ليلة ليله فى جر الحبل ، وتصدق بصاع نصف أجره ، وقبله النبى صلى الله عليه وسلم صدقة . لماذا ؟ ليعلمه النبى صلى الله عليه وسلم حب الخير ، وانتظار سعة الله ، وزيادة رزقه ، ومشاركة المسلمين فى الفتح ، وأن يضرب معهم بسهم فى الغزو

. . . .

ويعطى درس سخاء للمسلمين أن يجودوا ولو قل مالهم ، ليكثر الله عليهم من نعمه ، ويقيهم شر البخل الذى طرد ثعلبة من رحمة الله .

إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم

ماذا أفاد قارون وثعلبة بعد موتهما، وقانون الله العام فى محكم كتابه: (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة، وفى الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) ١٥٧ من سورة الأعراف . الخبائث . الدم ولحم الخنزير والربا والرشوة طلب بنو إسرائيل .

اللهم ابعث لنا حسن معيشة ، وتوفيق طاعة ، ونعمة الحياة والرخاء، وهناءة العيش وصحة البدن سبحانك تبنا إليك ، فأجاب الله تعالى (رحمتى) للمؤمن والكافر ، ولكن يدوم نعيمها ، ويكثر خيرها فى الدنيا والآخرة لاثنين :

أولا : المؤمن الذى يخاف الله ، ويجتنب الكفر ، ويبعد عن المعاصى .

ثانيا : المؤمن الذى يزكى، ويؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه. ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام، وأن الذل الذى أصاب المسلمين الآن سببه بخل الأغنياء ، وشح الموسرين ، فأين إنشاء المدارس ، وتشييد دور العلم ، وإقامة المعاهد والمصانع ، وإدارة المتاجر ووجود الملاجىء ، وتشجيع مشروعات الخير .

سرح نظارك نحو أوربا وأمريكا تجد تاريخ الأبطال مملوءا بالأعمال الجسام، والوقف على أعمال البر بآلاف الجنيهات فسادوا وملكوا واستعمروا وفازوا بالمخترعات الحديثة، وعاش أبناؤهم فى رغد العيش وعزة النفس:

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم فى الناس أموات

والله تعالى رغب فى الانفاق لتدوم سعادة الحياة ، وكثيراً ماذكر صفات المؤمنين وكرر :

ا ـ فى سورة القصص (ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) .

ب ـ فى سورة الشورى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)

وعرف العقلاء أن متاع الدنيا فان منقض ، ونعيم الله باق فى الدنيا والآخرة . قال تعالى : (وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون . أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) ٦١ من سورة القصص .

الوعد الحسن الجنة وهو مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده سبحانه ، ومتاع الدنيا مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب بالتحسر على الانقطاع، ويحضر صاحب النعمة ليسأل عنها فيما أفناها (لتسألن يومئذ عن النعيم).

وقال تعالى : (ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) ٤٥ سورة المدثر .

وقال تعالى : (أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين)

٣ سورة الماعون : أى يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً ، ولا يحسن إليه ، ولا يحث أهله على الصدقة لعدم اعتقاده بالجزاء . قال تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون : ويمنعون الماعون)

٧ سورة الماعون .

قال البيضاوى : أى الزكاة ومايتعاود فى العادة والفاء للجزاء والمعنى إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر، ومنع الزكاة التى هى قنطرة الإسلام أحق بذلك اهـ .

. . . .

(يدع اليتيم) هو أبو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه، أو أبو سفيان : نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه ، أو الوليد بن المغيرة ، أو منافق بخيل : وشاهدنا واد فى جهنم (ويل) لمانعى الزكاة البخلاء فقد جعل الله مأواهم جهنم لأنهم لم ينفقوا فى طاعة الله ولم يحسنوا فى حياتهم إلى الفقراء .

إن الله تعالى جعل الإنفاق فى الخير من صفات المؤمنين . قال تعالى : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ١ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ٢ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ٣ أولئك هم المؤمنون حقالهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) ٤ من سورة الأنفال .

أى ابتعدوا أيها المؤمنون عن الاختلاف والمشاجرة ، وخافوا الله فى أداء أعمالكم وواسوا أقرباءكم ومدوهم بالمساعدة وأعينوهم (وأصلحوا ذات بينكم) .

قال البيضاوى : الحال التى بينكم بالمساواة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول: أى ان كنتم كاملى الإيمان ، وكمال الإيمان بهذه الثلاثة :
ا ــ طاعة الأوامر .
ب ــ الاتقاء عن المعاصى .
ج ــ إصلاح ذات البين بالعدل والإحسان،وتلك شاهدنا الزكاة تعمر البيوت بالألفة والمودة ، والبخل مدمر وباعث الشقاق ومرسل الكدر ومحرك الضغائن وموقد العداوة ومزيل راحة الضمير وهناءة البال .
ثم قصر سبحانه وتعالى صفات المؤمنين :
أولا : فزع القلوب لذكر الله استعظاما له ، وتهيباً من جلاله، ولا تقدم على معصية خشية لله.
ثانياً : زيادة الإيمان بسماع القرآن ، واطمئنان النفس به ، ورسوخ اليقين بربه،وتوطيد العزيمة على العمل بموجبه .
ثالثاً : يفوض المؤمنين الأمر إليه سبحانه ، ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه .
رابعاً : يقيمون الصلاة .
خامساً : ينفقون من كسب حلال ،هؤلاء حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التى هى المعيار عليها من الصلاة والصدقة. وإن الله كافأهم:
ا ــ بدرجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ولهم كرامة وعلو منزلة عند الله .
ب ــ محو ذنوب مافرط منهم .
ج ــ أعد لهم فى الجنة نعيا لاينقطع عدده ولا أمده.مسكين أيها الإنسان تسعى وتجاهد وتجالد فى حياتك ودنياك مشوبة بهموم وأكدار،فهل لك أن تمحص خصال المؤمنين وتتفقدها فيك وتجتهد أن تتحلى بها وتعمل عسى أن يصيبك هذا الجزاء الصادر من الكريم الحليم الذى لاتنفد خزائنه،ولا يجم معين فيضه وفضله، وقد جعل سبحانه وتعالى الشح صفة ملازمة للمنافقين البعيدين عن رحمته سبحانه . قال جل شأنه : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) ٦٨ من سورة التوبة .

أى صفات العصاة متشابهة فى النفاق والبعد عن الإيمان يأمرون بالكفر والمعاصى وينهون عن الإيمان والطاعة والزكاة ويمسكون عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله)غفلوا عن طاعته وتركوا ذكره (فنسيهم) تركهم من لطفه وفضله : (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) ٦٩ التوبة .

. . . .

أى أبعدهم الله من رحمته وفضله وأهانهم بعذاب مستمر لاينقطع.قل لى بربك:أى الحالتين تحب ؟ مؤمن تحلى بالسخاء وعمر الإيمان قلبه فأضاءت شموس الحكمة، فعمل بأوامر الله فكثر خيره وزاد رزقه ومتعه الله برضاه دنيا وأخرى ، وآخر عاص فاسق بخيل شحيح سلط الله عليه الدنيا فشغلته واستخدمته،فجمع المال لغيره ولكن حوسب به وعذب على بخله وحرم من محبة الأصفياء والأقربين، قال تعالى : (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنةوأن الله عنده أجر عظيم ٢٩ ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) ٣٠ من سورة الأنفال .

فتنة سبب الوقوع فى الإثم أو محنة من الله تعالى ليبلو الناس . أيعملون الصالحات بالنعمة ؟ أولا (أجر عظيم)لمن آثر رضا الله ، وراعى حدود الله(فرقانا) هداية فى قلوبهم تفرقون بها بين الحق والباطل ومخرجا من الشبهات ونجاة مما تحذرون فى الدنيا والآخرة وظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم ويستر خطاياكم ويعفو عنكم والله صاحب الفضل الجزيل تنبيهاً على أن ماوعده على التقوى تفضل منه وإحسان، وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاما على عمل .

الدليل السادس : البخلاء فيهم خصلة النفاق والمنافقون مذمومون فى الدنيا والآخرة ، وأموالهم ظاهرها نعمة وعز وباطنها عذاب وخراب وفتنة ونقمة لما فيها من غضب الله على التقصير فى الزكاة، وقد أخبر الله عن المنافقين صفتين :

ا ــ يصلون ونفوسهم مريضة وقلوبهم خاوية من حب الله وخشيته .

ب ــ ينفقون مضطرين ويصرفون مكرهين ومن كان هذا عمله فلا تنفعه أمواله ويخسر دنياه وآخرته بل يحق عليه العذاب وتكون خاتمته رديئة ، وتصور له الشيطان فى احتضاره مرشدا يقوده إلى الإلحاد والكفر، والعياذ بالله. قال تعالى: (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولاينفقون إلا وهم كارهون. فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) ٥٦ من سورة التوبة .

فقد بين الله تعالى عدم قبول نفقات الفاسقين الكافرين بالله تعالى لعدم إخلاصهم فى حب الله ورسوله، وهذا فى الكفار معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتشبه فى البخل وعدم إخراج الزكاة ومحاربة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو منهم وعقابه مثلهم (وتزهق أنفسهم) أى فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى عاقبة أعمالهم، إذ ضيعوا ثمرة المال فبخلوا وشحوا فى الإنفاق فى سبيل الله.

وأما المزكون والمتشبهون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعاملون بالسنة فأخبر الله عنهم بالغنى والسعة والسعادة والغنيمة والنصر فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة. أى تعمر بيوتهم ويتمتعون بمنافع الدارين قال تعالى : (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ٨٩ من سورة التوبة .

أى إن تخلف عن مساعدتك بالجهاد أولو الفضل والسعة ورضوا عدم الجهاد وجلسوا مع النساء والخوالف فقد جاهد معك من هو خير منهم ولهم جزاء كبير ونجاح وكثرة مال وخير وفير وفوز بالمطالب .

إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا ، لاَ وَاللهِ لاَ أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا ، وَلاَ أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ[1] حَتَّى أَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ . رواه البخارىّ ومسلم .

٢٥ — وَفِى رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ : بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِكَيٍّ فِى ظُهُورِهِمْ يَخْرُجُ مِنْ جُنُوبِهِمْ ، وَبِكَيٍّ مِنْ قِبَلِ أَقْفَائِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ جِبَاهِهِمْ . قال : ثُمَّ تَنَحَّى[2] فَقَعَدَ . قَالَ قُلْتُ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالُوا : هٰذَا أَبُو ذَرٍّ . قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : مَاشَىْءٌ سَمِعْتُكَ تَقُولُ قُبَيْلُ ؟ قالَ : مَاقُلْتُ إِلاَّ شَيْئاً قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وَسلم قالَ : قُلْتُ مَا تَقُولُ فِى هٰذَا الْعَطَاءِ ؟ قالَ : خُذْهُ فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةً ، فَإِذَا كَانَ ثَمَناً لِدِينِكَ فَدَعْهُ[3] .

[الرضف] : بفتح الراء ، وسكون الضاد المعجمة : هو الحجارة المحماة .

[والنغض] : بضم النون وسكون الغين المعجمة بعدها ضاد معجمة : وهو غُضْرُوفُ الكتف .

فصل

٣٦ — رُوِىَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم ، وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا ، وَفِى يَدِ ابْنَتِهَا مَسَكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ لَهَا : أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هٰذَا ؟ قَالَتْ : لاَ . قَالَ : أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ . قالَ فَحَذَفَتْهُمَا[4] فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم وَقَالَتْ : هُمَا لِلهِ وَلِرَسُولِهِ . رواه أحمد وأبوداود ، واللفظ له والترمذى والدارقطنى ، ولفظ الترمذى والدارقطنى نحوه :

أَنَّ امْرَأَتَيْنِ أَتَتَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَفِى أَيْدِيهِمَا سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ لَهُمَا : أَتُؤَدِّيَانِ زَكَاتَهُ ؟ قَالَتَا : لاَ . فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم : أَتُحِبَّانِ

(١) روى الأحنف بن قيس عن صحابى جليل نصح للقوم أن يزكوا ولا يكنزوا خشية أن يعذبوا بوضع النار على أكتافهم وعلى أثدائهم ثم ولى فجلس تحت عمود فتبعه وسأله عن قوله ، فقال : هؤلاء جهلاء أغبياء (لا يعقلون) . (يجمعون الدنيا) وأقسم أن يتجنب مجالسهم ويباعد عادتهم ولا يطلب منهم شيئاً ولا يؤمنهم على فتوى فى الدين ، لماذا ؟ لأن البخل طمس على بصيرة هؤلاء والشح دعاهم لجمع المال ولم يزكوا وقل عملهم الصالح فضاعت ثمرة العلم .

(٢) بعد وترك مجالسهم . (٣) إن كان هذا المعطى شيئاً يثلم دينك وينقص إيمانك ويذيقك حراما فابعد منه واجتنب أخذه . (٤) فى رواية : فخلعتهما .

أَنْ يُسَوِّرَكُمَا اللهُ بِسِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ ؟ قَالَتَا : لاَ . قَالَ فَأَدِّيَا زَكَاتَهُ . ورواه النسائى مرسلا ومتصلا ، ورجح المرسل .

[المَسَكَةُ] : محركة ، واحدة للسك ، وهو أسورة من ذبل أو قرن أو عاج ، فإذا كانت من غير ذلك أضيفت إليه .

[قال الخطابى] فى قوله صلى الله عليه وسلم :

أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بِهِمَا سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ إِنَّمَا هُوَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : [يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ] انتهى .

٢٧ - وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَرَأَى فِى يَدِى فَتَخَاتٍ مِنْ وَرِقٍ ، فَقَالَ : مَاهٰذَا يَاعَائِشَةُ ؟ فَقُلْتُ : صَنَعْتُهُنَّ أَتَزَيَّنُ لَكَ يَارَسُولَ اللهِ . قَالَ : أَتُؤَدِّينَ زَكَاتَهُنَّ ؟ قُلْتُ : لاَ ، أَوْ مَاشَاءَ اللهُ . قَالَ : هِيَ حَسْبُكِ مِنَ النَّارِ . رواه أبوداود والدارقطنى ، وفى إسنادهما: يحيى بن أيوب الغافقى ، وقد احتج به الشيخان وغيرهما ، ولا اعتبار بما ذكره الدارقطنى من أن محمد بن عطاء مجهول ، فإنه محمد بن عمر بن عطاء نسب إلى جده وهو ثقة ثبت . روى له أصحاب السنن ، واحتج به الشيخان فى صحيحيهما .

[الفتخات] : بالخاء المعجمة جمع فتخة ، وهى : حلقة لافص لها تجعلها المرأة فى أصابع رجليها ، وربما وضعتها فى يدها ، وقال بعضهم : هى خواتم كبار كان النساء يتختمن بها .

[قال الخطابى] : والغالب أن الفتخات لاتبلغ بانفرادها نصاباً ، وإنما معناه أن تضم إلى بقية ماعندها من الحليّ فتؤدّى زكاتها فيه .

٢٨ — وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلْتُ أَنَا وَخَالَتِي عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْنَا أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ لَنَا : أَتُعْطِيَانِ زَكَاتَهُ ؟ قَالَتْ فَقُلْنَا : لاَ ، فَقَالَ : أَمَا تَخَافَانِ أَنْ يُسَوِّرَكُمَا اللهُ أَسْوِرَةً مِنْ نَارٍ ، أَدِّيَا زَكَاتَهُ . رواه أحمد بإسناد حسن .

٢٩ — وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْ حِلْيَةِ السُّيُوفِ أَمِنَ الْكُنُوزِ هِيَ ؟ قَالَ : نَعَمْ مِنَ الْكُنُوزِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : هٰذَا شَيْخٌ

أَحمَقُ قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ : أَمَا إِنِّى مَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ . رواه الطبرانى . وفى إسناده بقية بن الوليد .

٣٠ — وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ هُبَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَفِي يَدِهَا فَتَخٌ مِنْ ذَهَبٍ : أَيْ خَوَاتِيمُ ضِخَامٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَضْرِبُ يَدَهَا ، فَدَخَلَتْ عَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا تَشْكُو إِلَيْهَا الَّذِى صَنَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَانْتَزَعَتْ فَاطِمَةُ سِلْسِلَةً فِى عُنُقِهَا مِنْ ذَهَبٍ قَالَتْ : هٰذِهِ أَهْدَاهَا أَبُو حَسَنٍ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقَالَ : يَا فَاطِمَةُ أَيَغُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وَفِي يَدِكِ سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ ، ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ فَأَرْسَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا بِالسِّلْسِلَةِ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَتْهَا وَاشْتَرَتْ بِثَمَنِهَا غُلَامًا ، وَقَالَ مَرَّةً عَبْدًا ، وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا فَأَعْتَقَتْهُ فَحُدِّثَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلم فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَنْجَى فَاطِمَةَ مِنَ النَّارِ . رواه النسائى بإسناد صحيح.

٣١ — وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَقَلَّدَتْ قِلَادَةً مِنْ ذَهَبٍ قُلِّدَتْ فِى عُنُقِهَا مِثْلَهَا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ جَعَلَتْ فِى أُذُنِهَا خُرْصًا مِنْ ذَهَبٍ جُعِلَ فِى أُذُنِهَا مِثْلُهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رواه أبو داود والنسائى بإسناد جيد .

٣٢ - وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُحَلِّقَ جَبِينَهُ حَلْقَةً مِنْ نَارٍ فَلْيُحَلِّقْهُ حَلْقَةً مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَوِّقَ جَبِينَهُ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَلْيُطَوِّقْهُ طَوْقًا مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَوِّرَ جَبِينَهُ بِسِوَارٍ مِنْ نَارٍ فَلْيُسَوِّرْهُ بِسِوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلٰكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْفِضَّةِ فَالْعَبُوا بِهَا . رواه أبو داود بإسناد صحيح.

[قال المملى] رحمه الله : وهذه الأحاديث التى ورد فيها الوعيد على تحلى النساء بالذهب تحتمل وجوها من التأويل .

أحدها : أن ذلك منسوخ فإنه قد ثبت إباحة تحلى النساء بالذهب .

الثانى : أن هذا فى حق من لا يؤدّى زكاته دون من أدّاها ، ويدل على هذا حديث عمرو بن شعيب ، وعائشة ، وأسماء . وقد اختلف العلماء فى ذلك ، فروى عن عمر بن الخطاب

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أنه أوجب فى الحلى الزكاة ، وهو مذهب عبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله ابن شداد ، وميمون بن مهران ، وابن سيرين ، ومجاهد ، وجابر بن زيد ، والزهرى ، وسفيان الثورى ، وأبي حنيفة وأصحابه ، واختاره ابن المنذر . وممن أسقط الزكاة فيه عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله ، وأسماء ابنة أبى بكر ، وعائشة والشعبى ، والقاسم بن محمد ، ومالك ، وأحمد ، وإسحق ، وأبو عبيدة . قال المنذر : وقد كان الشافعى قال بهذا إذا هو بالعراق ، ثم وقف عنه بمصر ، وقال : هذا مما أستخير الله تعالى فيه .

[وقال الخطابي] : الظاهر من الآيات ، يشهد لقول من أوجبها ، والأثر يؤيده ، ومن أسقطها ذهب إلى النظر ، ومعه طرف من الأثر ، والاحتياط أداؤها ، والله أعلم .

الثالث : أنه فى حق من تزينت به وأظهرته ، ويدل لهذا مارواه النسائيّ وأبو داود عن رِبْعِيّ بن خراش عن امرأته عن أخت لحذيفة أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ : يَامَعْشَرَ النِّسَاءِ مالَكُنَّ فِي الفِضَّةِ مَاتَحَلَّيْنَ بِهِ ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تَتَحلَّى ذَهَباً وَتُظْهِرُهُ(1) إِلَّا عُذِّبَتْ بِهِ ، وأخت حذيفة اسمها فاطمة . وفى بعض طرقه عند النسائيّ عن ربعى عن امرأة عن أخت لحذيفة رضى الله عنها ، وكان له أخوات قد أدركن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقال النسائى : باب الكراهة للنساء فى إظهار حلى الذهب ، ثم صدّره بحديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنع أهله الحلية والحرير ، ويقول إن كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسوهما فى الدنيا ، وهذا الحديث رواه الحاكم أيضاً ، وقال صحيح على شرطهما ، ثم رأى النسائيّ فى الباب حديث ثوبان المذكور ، وحديث أسماء .

٣٣ — وَرُوِى أيضاً عَنْ أبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَارَسُولَ اللهِ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ؟ قال : سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ . قالَتْ يَارَسُولَ اللهِ : طَوْقٌ مِنْ ذَهَبٍ ؟ قال : طَوْقٌ مِنْ نَارٍ . قالَتْ : قُرْطَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ؟ قالَ : قُرْطَيْنِ مِنْ نَارٍ قَالَ : وَكَانَ عَلَيْهَا سِوَارٌ مِنْ ذَهَبٍ فَرَمَتْ بِهِ .

(1) عبارة الفقه : ولا يجب فى الحلى المباح زكاة . أما المحرم : كأساور الرجل وخلخاله ، وحلى الخنثى فتجب الزكاة فيه .

الرابع : من الاحتمالات أنه إنما منع منه فى حديث الأسورة والفتخات لما رأى من غلظه فإنه مظنة الفخر والخيلاء ، وبقية الأحاديث محمولة على هذا ، وفى هذا الاحتمال شىء ويدل عليه ما رواه النسائىّ عن عبد الله بن عمر رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الذهب إلا مقطعا ، وروى أبو داود والنسائى أيضاً عن أبى قلابة عن معاوية بن أبى سفيان رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أن رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نهى عن ركوب النمار ، وعن لبس الذهب إلا مقطعا، وأبو قلابة لم يسمع من معاوية لكن روى النسائى أيضاً عن قتادة عن أبى قتادة عن أبى شيخ أنه سمع معاوية فذكر نحوه ، وهذا متصل ، وأبو شيخ ثقة مشهور . وفى الترمذى والنسائى، وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال:

جاء رَجُلٌ إلَى النَّبِىِّ صلى اللهُ عليه وَسلم وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ فَقَالَ : مَالِى أَرَى عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ : مِنْ أَىِّ شَىْءٍ أَتَّخِذُهُ ؟ قالَ مِنْ وَرِقٍ ، وَلاَ تُتِمَّهُ مِثْقَالًا ، والله أعلم .

الترغيب فى العمل على الصدقة بالتقوى

والترهيب من التعدى فيها والخيانة ، واستحباب ترك العمل لمن لا يثق بنفسه وما جاء فى المكاسين والعشارين والعرفاء

١ — عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الْعَامِلُ(١) عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى كَالْغَازِى فى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ . رواه أحمد ، واللفظ له ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن ، ورواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الرحمن بن عوف ولفظه :

قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: الْعَامِلُ إِذَا اسْتُعْمِلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ(٢) ، وَأَعْطَى الْحَقَّ

(١) الذى يبذل جهده فى جمع الزكاة من المسلمين ليوصلها إلى بيت المال . فيتصرف الإمام فى إنفاقها و المصالح العامة والمساعدة والإعانة والإحسان ، وثوابه ثواب المجاهد لنصر دين الله المضاعف أجره

(٢) راعى الله وأخذ الزكاة على قدر نصابها ، وما حدده الشرع .

لَمْ يَزَلْ كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ .

٢ — وَعَنْ أَبِى مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ الْخَازِنَ الْمُسْلِمَ الْأَمِينَ الَّذِي يَنْقُلُ مَا أُمِرَ بِهِ فَيُعْطِيهِ كَامِلاً مُوَفَّرًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ[1] . رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ الْعَامِلِ[2] إِذَا نَصَحَ . رواه أحمد ورواته ثقات .

٤ — وَعَنْ مَسْعُودِ بْنِ قَبِيصَةَ ، أَوْ قَبِيصَةَ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّى هٰذَا الْحَيُّ مِنْ مُحَارِبٍ[3] الصُّبْحَ . فَلَمَّا صَلَّوْا قَالَ شَابٌّ مِنْهُمْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّهُ سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا ، وَإِنَّ عُمَّالَهَا[4] فِى النَّارِ إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ . رواه أحمد . وفى إسناده شقيق ابن حيان ، وهو مجهول ، ومسعود لا أعرفه .

٥ — وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ : قُمْ عَلَى صَدَقَةِ بَنِي فُلَانٍ ، وَانْظُرْ أَنْ تَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَكْرٍ تَحْمِلُهُ عَلَى عَاتِقِكَ أَوْ كَاهِلِكَ لَهُ رُغَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ : اصْرِفْهَا عَنِّى ، فَصَرَفَهَا عَنْهُ . رواه أحمد والبزار والطبرانى ، ورواة أحمد ثقات إلا أن سعيد بن المسيب لم يدرك سعدا ، ورواه البزار أيضاً عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، ورواته محتج بهم فى الصحيح .

[البكر] بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف : هو الفتىّ من الإبل ، والأنثى بكرة .

٦ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) معناه : الله تعالى يعطى ثوابا للذى حفظ زكاة المسلمين ، وتعهد المخزن ، وراعى الأمانة وحفظها .

(٢) المجد .

(٣) كذا ع ، وفى ن د : محراب ص ٢٩٦ .

(٤) يريد صلى الله عليه وسلم أولئك الذين يظلمون فى أخذ الزكاة ، ويتعدون على الحقوق ، ويتغالون شيئاً من القيمة ، ويجبون فيخفون شيئاً عن الإمام .

قال: مَنِ أستَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ(١).

رواه أبو داود .

---

(١) تدرع الخيانة ، وإقلاس الوديعة ، وغل يغل : خان ، وأغللت فلانا نسبته إلى الغلول . قال تعالى : (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) . عبارة عن الخيانة فى المغنم والسرقة ، وكل من خان فى شىء خفية فقد غل، وسميت غلولا لأن الأيدى فيهما مغلولة . أى ممنوعة مجعول فيها غل: أى الحديدة التى تجمع يدى الأسير فى عنقه . وهذا تعبير جميل يدعو إلى من أسند إليه عمل وأخذ أجرة عليه أن يتق الله فى حفظه ويرعاه بأمانة ويخشى الله فى أدائه كاملا ولا يسرق .

الزكاة ثمرتها اجتماع وتآلف وخلاصة أدائها علم ضمان الاقتصاد، وقد رأيت ـ أعزك الله ـ أن الزكاة مطهرة من البخل ، ومدعاة للمحبة والمودة، وأنها سبب زيادة الرزق ، وتقربك إلى الله ، والناس بالسخاء ، والإنفاق لله ، وهى إحدى الخصال الست التى كفل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة لمن أداها ، وتبعد عن النار وأذى الجار ، وحصن منيع من الضياع والسرقة ، وهى باسم التقرب إلى المولى جل وعلا ليجيب الدعاء ، ويشفى المرض « داووا مرضاكم بالصدقة » ومنعها شح ، ونزع الثقة ، والبركة من أصحاب الأموال فيوصفون بالشره والطمع ، وقلة الدين والجهل والجنون . وحسبك رجل مر على قوم لايزكون فاحتقرهم ، ونبذ صحبتهم « إن هؤلاء لايعقلون إنما يجمعون الدنيا، لاوالله لاأسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل » ولن تجد أجدى عاقبة من إخراج الزكاة فهى تنمى مالك ، وتجلب بركة الله لأولادك ، وتخلد ذكرك ، وخلاصة قواعد علم الاقتصاد جمعتها فوائد الزكاة ، وسراة أوروبا وأمريكا بل والعالم عملوا بآداب الزكاة ، وجادوا بأموالهم فى إنشاء مشروعات الخير ، ووجود طرق البر والعطف على الفقراء ، فعاشوا فى اطمئنان ، وكسبوا ثقة مواطنيهم ، وراجت تجارتهم ، ووفرت أموالهم حتى تعد بالآلاف . بنوا المستشفيات للمساكين المرضى فخففوا آلامهم ، فضاعف الله رزقهم ، وهكذا من أعمال صالحات نافعات فى الحياة ، والله لايضيع عمل عامل .

حدثنى رجل أمريكى أن القرية لاتعدم أغنياء فيقوم أولئك الأفراد بحاجات هذه القرية من مصحات تنشأ ومعاهد تقام ومن أدوية تصرف وهكذا كل مدينة فيها المحسنون الذين يؤدون واجب المواساة ، فيعيش الموسرون فى عز وسعادة ورضا وكسب محبة مواطنيهم وثناء جميل فتتبادل الثقة ، وتتجدد المودة ، ويزول الحقد والشحناء وتنتشر الأعمال الحرة والصناعات المثمرة، ويتجه الكل إلى عمل فى الحياة يرقى به وطنهم وتسعد أمتهم. والحمد لله قام عهد الجمهورية يتتبع سنن الإسلام فى وزارة الشئون الاجتماعية وتنفيذ معونة الشتاء بمراعاة أوامر الحكومة الرشيدة . نصرها الله تعالى .

الآداب الباطنة فى الزكاة عند الإمام الغزالي

أولا : فهم وجوب الزكاة وأنها من مبانى الإسلام، وهى امتحان درجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة فيظهر الإيمان بإنفاقها فى حب الله . قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وهو مساعة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عز وجل ، والمساعة بالمال أهون .

ثانياً : التعجيل فى إخراجها لإدخال السرور على الفقراء .

ثالثاً : الإسرار والبعد عن الرياء والسمعة . قال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقه جهد المقل إلى فقير فى سر » .

رابعاً : أن يظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيباً للناس فى الاقتداء به، ويحرس سره من داعية الرياء .

خامسا : أن لايفسد صدقته بالمن والأذى ، والمن : أن يذكرها ، والأذى : أن يظهرها، وقال سفيان:

٧ – وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ

من من قسدت صدقته فقيل له : كيف المن ، فقال : أن يذكره ، ويتحدث به ، وقيل : المن أن يستخدمه بالعطاء . والأذى : أن يعيره بالفقر ، وقيل : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى : أن ينتهره ، أو يوبخه بالمسألة .

سادساً : أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها،والعجب من المهلكات،وهو محبط للأعمال . قال تعالى : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) ويقال : إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل ، وقيل : لايتم المعروف إلا بثلاثة : تصغيره وتعجيله وستره . ثامناً أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة :

ا – فيطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين للتجارة للآخرة . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي » لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له فى طاعته بإعانتك إياه . قال صلى الله عليه وسلم : « أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين » .

ب – أن يطلب أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة لهم على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية .

ج – أن يكون صادقا فى تقواه ، وعلمه بالتوحيد ، وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه، ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد إليه سبحانه وتعالى،وهو أن يرى أن النعمة كلها منه ، وفى وصية لقمان لابنه : لاتجعل بينك وبين الله منعما، واعدد نعمة غيره عليك مغرما . ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم، ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلط الله عليه دواعي الفعل، ويسر له الأسباب،فأعطى وهو مقهور ، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله ، والله تعالى خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ، ومسخر للقدرة للانتهاض بمقتضى البواعث .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل صدقة لأحد الفقراء ، فقال :الحمد لله الذى لاينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ، ثم قال : اللهم لم تنس فلانا (يعنى نفسه) فاجعل فلانا لاينساك (يعنى بفلان نفسه) فأخبر صلى الله عليه وسلم فسر ، وقال صلى الله عليه وسلم : علمت أنه يقول ذلك :فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده .

د – أن يكون مستتراً مخفياً حاجته لايكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل . قال الله تعالى : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا)أى لايلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم، وهكذا ينبغي أن يتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ، ويستكشف عن بواطن أهل الخير والتجمل ، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف مايصرف إلى المجاهرين بالسؤال .

هـ – أن يكون معيلا أو محبوساً بمرض ، أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى : (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله)أى حبسوا فى طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة،وكان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها،وكان صلى الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار العيلة . وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : « كثرة العيال وقلة المال » .

و – أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم .قال على رضى الله عنه : لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهما،ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة اهـ .

والأصدقاء وإخوان الخير يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب. تلك صفات كبرى مطلوبة. وذخيرة وغنيمة عظمى تشوقه إلى لقاء الله عز وجل اهـ ص ١٩٨ ج ١ .

عَلَى الصَّدَقَةِ فَقَالَ : يَا أَبَا الْوَلِيدِ : اتَّقِ اللهَ لَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةٍ لَهَا ثُغَاءٌ . قَالَ: يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ ؟ قَالَ : إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ . قَالَ : فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْمَلُ لَكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا . رواه الطبراني فى الكبير ، وإسناده صحيح .

[الرغاء] : بضم الراء وبالغين المعجمة والمد : صوت البعير .

[والخوار] : بضم الخاء المعجمة : صوت البقر .

[والثغاء] : بضم الثاء المثلثة ، وبالغين المعجمة ممدودا : هو صوت الغنم .

٨ — وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطاً فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الْأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: يَارَسُولَ اللهِ اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ . قَالَ : وَمَالَكَ ؟ قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا . قَالَ :وَأَنَا أَقُولُ الْآنَ:

وظائف قابض الزكاة كما قال الغزالي ، وإخفاؤها أحسن أو إظهارها ؟

أولا : أن يعلم أن الله تعالى أوجب صرف الزكاة إليه ليكفى همه لزيده عبادة وحداً .

ثانياً : أن يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه ويكون ذلك بحيث لايخرجه عن كونه واسطة ، ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه . ثالثاً : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) . رابعاً : أن يتوق مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار مايأخذه فلا يأخذ إلا القدر المباح . خامساً :أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان مايعطيه فوق الثمن ، فلا يأخذه منه .

فوائد إخفاء الصدقة :

أولا : أبقى للستر . ثانياً : أسلم لقلوب الناس وألسنتهم . ثالثاً : إعانة المعطى على إسرار العمل.
رابعاً : إن فى إظهار الأخذ ذلا وامتهاناً . خامساً : الاحتراز عن شبهة الشركة .
أما إظهارها : (ا) يدعو إلى الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة.

(ب) إسقاط الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، والتبرى عن الكبرياء ، ودعوى الاستغناء، وإسقاط النفس من أعين الخلق . (حـ) هو أن العارف لانظر له إلا إلى الله عز وجل ،والسر والعلانية فى حقه واحد . رابعا : أن الإظهار إقامة لسنة الشكر،وقد قال تعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث) والكتمان كفران النعمة ، وقد ذم الله تعالى ما كتم من آتاه الله عز وجل ، وقرنه بالبخل . قال تعالى:(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن ترى نعمته عليه » . رواه أحمد من حديث عمران بن حصين رضى الله عنهم بسند صحيح اهـ ص ٢٨٥ ج ١ .

مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى. رواه مسلم، وأبو داود وغيرهما.

٩ — وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هٰذَا لَكُمْ، وَهٰذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ. قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هٰذَا لَكُمْ، وَهٰذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا؟ وَاللهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ. رواه البخارى ومسلم، وأبو داود.

[اللتبية]: بضم اللام، وسكون التاء المثناة فوق وكسر الباء الموحدة، بعدها ياء مثناة تحت مشددة ثم هاء تأنيث: نسبة إلى حي يقال لهم: بنو لتب. بضم اللام، وسكون التاء، واسم ابن اللتبية: عبد الله.

[وقوله تيعر]: هو بمثناة فوق مفتوحة، ثم مثناة تحت ساكنة، ثم عين مهملة مفتوحة وقد تكسر: أى تصيح، واليعار: صوت الشاة.

١٠ — وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَاعِيًا، ثُمَّ قَالَ: انْطَلِقْ أَبَا مَسْعُودٍ: لَا أُلْفِيَنَّكَ تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ظَهْرِكَ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ لَهُ رُغَاءٌ قَدْ غَلَلْتَهُ. قَالَ فَقُلْتُ: إِذًا لَا أَنْطَلِقُ قَالَ: إِذًا لَا أُكْرِهُكَ، رواه أبو داود.

١١ — وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَيَتَحَدَّثُ عِنْدَهُمْ حَتَّى يَنْحَدِرَ لِلْمَغْرِبِ. قَالَ: أَبُو رَافِعٍ: فَبَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُسْرِعٌ إِلَى الْمَغْرِبِ مَرَرْنَا بِالْبَقِيعِ، فَقَالَ: أُفٍّ لَكَ أُفٍّ لَكَ: فَكَبُرَ ذٰلِكَ فِي ذَرْعِي، فَاسْتَأْخَرْتُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي، فَقَالَ:

مَالَكَ ؟ أَمْشِ ، فَقُلْتُ أَأَحْدَثْتُ حَدَثًا ؟ قالَ : وَمَالَكَ ؟ قلتُ : أَفَفْتَ بِي ، قالَ : لاَ ، وَلٰكِنْ هٰذَا فُلاَنٌ بَعَثْتُهُ سَاعِياً عَلَى بَنِي فُلاَنٍ فَغَلَّ نَمِرَةً فَدُرِّعَ عَلَى مِثْلِهَا مِنَ النَّارِ . رواه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه .

[النمرة] بكسر الميم : كساء من صوف مخطط .

١٢ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم : إِنِّي مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، وَتَغْلِبُونَنِي تَقَاحَمُونَ فِيهِ تَقَاحُمَ الْفَرَاشِ أَوِ الْجَنَادِبِ فَأُوشِكُ أَنْ أُرْسِلَ بِحُجَزِكُمْ ، وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَتَرِدُونَ عَلَيَّ مَعًا وَأَشْتَاتًا فَأَعْرِفُكُمْ بِسِيمَاكُمْ وَأَسْمَائِكُمْ كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ الْغَرِيبَةَ مِنَ الْإِبِلِ فِي إِبِلِهِ ، وَيُذْهَبُ بِكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، وَأُنَاشِدُ فِيكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ قَوْمِي : أَيْ رَبِّ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ : إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ كَانُوا يَمْشُونَ بَعْدَكَ الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ شَاةً لَهَا ثُغَاءٌ ، فَيُنَادِي يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُكَ ، فَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ ، فَيُنَادِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُكَ ، فَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ فَرَسًا لَهُ حَمْحَمَةٌ ، فَيُنَادِي : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُكَ ، فَلاَ أَعْرِفَنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ سِقَاءً مِنْ أَدَمٍ يُنَادِي يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُكَ .
رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَّارُ ، إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ : قَشْعًا مَكَانَ سِقَاءٍ ، وَإِسْنَادُهُمَا جَيِّدٌ إِنْ شَاءَ اللهُ .

[الفرط] : بالتحريك : هو الذى يتقدم القوم إلى المنزل ليهيئ مصالحهم .

[والحجز] . بضم الحاء المهملة ، وفتح الجيم بعدهما زاى : جمع حجزة بسكون الجيم ، وهو معقد الإزار ، وموضع التكة من السراويل .

[والحمحمة] : بحاءين مهملتين مفتوحتين : هو صوت الفرس ، وتقدم تفسير الثغاء ، والرغاء .

[والقشع] : مثلثة القاف ، وبفتح الشين المعجمة : هو هنا القربة اليابسة ، وقيل : بيت من أدم ، وقيل : هو النطع ، وهو محتمل الثلاثة غير أنه بالقربة أمس .

١٣ — وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: المُعْتَدِي فِى الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا. رواه أبو داود والترمذى، وابن ماجه، وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية سعد بن سنان عن أنس، وقال الترمذى: حديث غريب، وقد تكلم أحمد بن حنبل فى سعد بن سنان، ثم قال:

[وقوله] المُعْتَدِي فِى الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا: يقول على المعتدى من الإثم كما على المانع إذا منع.

[قال الحافظ]: وسعد بن سنان، وُثِّقَ كما سيأتى.

١٤ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: سَيَأْتِيكُمْ رَكْبٌ[1] مُبَغَّضُونَ، فَإِذَا جَاءُوكُمْ فَرَحِّبُوا بِهِمْ، وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغُونَ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهِمْ وَأَرْضُوهُمْ، فَإِنَّ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ وَلْيَدْعُوا لَكُمْ. رواه أبو داود.

فصل

١٥ — عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ صَاحِبُ مَكْسٍ[2] الْجَنَّةَ. قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: يَعْنِي الْعَشَّارَ[3]. رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم، كلهم من رواية محمد بن إسحق، وقال الحاكم

---

(١) طائفة مكروهة كذا ع ص ٢٧٢، و د. أما فى ط: ركيب.

(٢) المكس: الضريبة التى يأخذها الماكس (ومنه حديث أنس بن سيرين) قال لأنس: تستعملنى على المكس: أى على عشور الناس فأماكسهم ويماكسونى، وقيل: معناه تستعملنى على ماينقص دينى لما يخاف من الزيادة والنقصان فى الأخذ والترك (وفى حديث جابر) قال له: « أماترى أنما ماكستك لآخذ جملك » المماكسة فى البيع: انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين وقد ماكسه يماكسه مكسا ومماكسة أ ه ومنه حديث ابن عمر: « ولا بأس بالمماكسة فى البيع » اهـ نهاية.

(٣) الجابى: الذى يأخذ غير الصدقة، وفيه: « إن لقيتم عاشراً فاقتلوه » قال فى النهاية: أى إن وجدتم من يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية مقيما على دينه فاقتلوه لكفره أو لاستحلاله لذلك إن كان مسلماً وأخذه مستحلا تاركا فرض الله، وهو ربع العشر، فأما من يعشرهم على مافرض الله تعالى فحسن جميل، قد عشر جماعة من الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم وللخلفاء بعده فيجوز أن يسمى آخذ ذلك عاشراً لإضافة مايأخذه إلى العشر كربع العشر ونصف العشر كيف وهو يأخذ العشر جميعه وهو زكاة ماسقته السماء وعشر أموال أهل الذمة فى التجارات، يقال: عشرت ماله أعشره عشراً فأنا عاشر وعشرته فأنا معشر وعشار: إذا أخذت عشره، وما ورد فى الحديث من عقوبة العشار فمحمول على التأويل المذكور اهـ ص ٩٧ ج ٣.

صحيح على شرط مسلم كذا قال، ومسلم إنما خرّج لمحمد بن إسحٰق فى المتابعات . قال البغوى: يُرِيدُ بِصَاحِبِ الْمَكْسِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنَ التُّجَّارِ إِذَا مَرُّوا عَلَيْهِ مَكْسًا بِاسْمِ الْعُشْرِ .

[قال الحافظ] : أَمَّا الْآنَ فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مَكْسًا بِاسْمِ الْعُشْرِ وَمُكُوسًا أُخَرَ لَيْسَ لَهَا اسْمٌ ، بَلْ شَيْءٌ يَأْخُذُونَهُ حَرَامًا ، وَسُحْتًا[1] وَيَأْكُلُونَهُ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا حُجَّتُهُمْ فِيهِ دَاحِضَةٌ[2] عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ[3] وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ .

١٦ — وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى كِلَابِ بْنِ أُمَيَّةَ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مَجْلِسِ الْعَاشِرِ بِالْبَصْرَةِ ، فَقَالَ : مَا يُجْلِسُكَ هَاهُنَا ؟ قَالَ : اسْتَعْمَلَنِي عَلَى هٰذَا الْمَكَانِ ، يَعْنِي زِيَادًا ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : أَلَا أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَقَالَ : بَلَى ، فَقَالَ عُثْمَانُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : كَانَ لِدَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاعَةٌ يُوقِظُ فِيهَا أَهْلَهُ ، يَقُولُ : يَا آلَ دَاوُدَ قُومُوا فَصَلُّوا فَإِنَّ هٰذِهِ سَاعَةٌ يَسْتَجِيبُ اللهُ فِيهَا الدُّعَاءَ إِلَّا لِسَاحِرٍ[4] أَوْ عَاشِرٍ ، فَرَكِبَ كِلَابُ بْنُ أُمَيَّةَ سَفِينَةً ، فَأَتَى زِيَادًا فَاسْتَعْفَاهُ[5] فَأَعْفَاهُ . رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط ، ولفظه :

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى ، هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ[6] فَيُفَرَّجَ عَنْهُ ، فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ إِلَّا زَانِيَةً[7] تَسْعَى بِفَرْجِهَا أَوْ عَشَّارًا .

١٧ — وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ فِي الْكَبِيرِ أَيْضًا : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :

---

(١) رشوة ومالا باطلا لايحل كسبه وأخذه لأنه يسحت البركة : أى يذهبها ومنه حديث ابن رواحة وخرص النخل أنه قال ليهود خيبر لما أرادوا أن يرشوه أتطعمونى السحت: أى الحرام ، سمى الرشوة فى الحكم سحتاً ، وماله سحت : أى لاشىء على من استهلكه .

(٢) واهية تجرإلى الزلق غير ثابتة: أى باطله زائلة كماقال تعالى: (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) يقال : أدحضت فلانا فى حجته فدحض . (٣) انتقام الله وعذابه .

(٤) ا ــ خداع ومشعبذ يصرف الأبصار عما يتعاطاه لخفة يده وتمام تزخرف فى القول، ويموق من إستماع الخير . قال تعالى : (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) .

ب ــ أو معاون الشيطان فى الغواية والإضلال . قال تعالى:(ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر)

(٥) طلب الإقالة من هذا الجبى الحرام . (٦) ذى ضيق وهم . (٧) تفعل الفاحشة القبيحة .

إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَدْنُو مِنْ خَلْقِهِ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَسْتَغْفِرُ إِلاَّ لِبَغِيٍّ[1] بِفَرْجِهَا ، أو عَشَّارٍ . وإسناد أحمد فيه علىّ بن يزيد ، وبقية رواته محتج بهم فى الصحيح ، واختلف فى سماع الحسن من عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

١٨ — وَعَنْ أَبِي الْخَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : عَرَضَ مَسْلَمَةُ بْنُ مُخَلَّدٍ وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ عَلَى رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُوَلِّيَهُ الْعُشُورَ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : إِنَّ صَاحِبَ الْمَكْسِ فِى النَّارِ . رواه أحمد من رواية ابن لهيعة والطبرانى بنحوه ، وزاد يعنى العَاشِرَ .

١٩ — وَرُوِيَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فى الصَّحْرَاءِ ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِيهِ : يَارَسُولَ اللهِ فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا ظَبْيَةٌ مُوثَقَةٌ[2] ، فَقَالَتِ : اُدْنُ[3] مِنِّي يَارَسُولَ اللهِ ، فَدَنَا مِنْهَا ، فَقَالَ : مَاحَاجَتُكِ ؟ قَالَتْ : إِنَّ لِي خِشْفَيْنِ[4] فِى هٰذَا الْجَبَلِ فَحُلَّنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُرْضِعَهُمَا ، ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَيْكَ . قَالَ : وَتَفْعَلِينَ ؟ قَالَتْ : عَذَّبَنِي اللهُ عَذَابَ الْعَشَّارِ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ ، فَأَطْلَقَهَا فَذَهَبَتْ فَأَرْضَعَتْ خِشْفَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا[5] ، وَانْتَبَهَ الأَعْرَابِيُّ فَقَالَ : أَلَكَ حَاجَةٌ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ تُطْلِقُ هٰذِهِ ، فَأَطْلَقَهَا[6] فَخَرَجَتْ تَعْدُو[7] ، وَهِيَ تَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ . رواه الطبرانى .

٢٠ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قَالَ : وَيْلٌ[8] ،

---

(١) طالة خارجة عن المروءة وإباحة فرجها للزنا ، وامرأة بغى : أى فاجرة جمع بغايا بغت بغاء : زنت ودمل جرحه على بغى : أى فساد ، والبغى : مجاوزة الحد (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى فلا يبق لكم عليهن طريق إلا أن يكون بغيا وجوراً .

(٢) موضوعة فى حبل كقيد تشد به ، ورجل موثق : أى مأسور مشدود فى الوثائق .

(٣) أقرب . (٤) ولدى الغزال ، يطلق الخشف على الذكر والأنثى ، والجمع خشوف مثل حمل وحمول .

(٥) ربطها كما كانت ، فاعتبر قد وفى الحيوان بوعده .

(٦) فكها من أسرها إجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا الرحمة تتمثل والشفقة والرأفة .

(٧) تجرى بسرعة ، وتنطق بتوحيد الله ، وتقر برسالته صلى الله عليه وسلم .

(٨) واد فى جهنم لمن يلى .

لِلأُمَرَاءِ (١) ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ (٢) ، وَيْلٌ لِلأُمَنَاءِ (٣) ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ (٤) مُعَلَّقَةٌ بِالثُّرَيَّا (٥) يَتَذَبْذَبُونَ (٦) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَلَمْ يَكُونُوا عَمِلُوا عَلَى شَيْءٍ . رواه أحمد من طرق رواة بعضها ثقات .

٢١ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : وَيْلٌ لِلأُمَرَاءِ ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ ، وَيْلٌ لِلأُمَنَاءِ ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالثُّرَيَّا يُدَلَّوْنَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يَلُوا (٧) عَمَلاً . رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح الإسناد .

٢٢ — وَرُوِيَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ فِي النَّارِ حَجَرًا يُقَالُ لَهُ وَيْلٌ يَصْعَدُ عَلَيْهِ الْعُرَفَاءُ وَيَنْزِلُونَ (٨) . رواه البزار .

٢٣ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَالَ : طُوبَى (٩) لَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَرِيفاً . رواه أبو يعلى ، وإسناده حسن إن شاء الله تعالى .

٢٤ — وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَفْلَحْتَ يَا قُدَيْمُ إِنْ مُتَّ وَلَمْ تَكُنْ أَمِيرًا

---

(١) الحكام الظالمين الذين لا يعدلون ولا يخافون الله ، ويستعملون الرشوة وأعمالهم مختلة معتلة لم يراعوا الله في أماناتهم وفي وظائفهم . (٢) النقيب ، وهو دون الرئيس في العمل ، وفي النهاية : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ، ويتعرف الأمير منهم أحوالهم . فعيل بمعنى فاعل . والعرافة عمله ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « العرفاء في النار » تحذير من التعرض للرياسة لما في ذلك من الفتنة ، وأنه إذا لم يقم بحقه أثم ، واستحق العقوبة . (٣) الذين تسند لهم الأشياء ليحفظوها ، ولا يقومون بأدائها كاملة ، جمع أمين .

(٤) شعور رؤوسهم ، ومنه يذؤب رأسه : أي يرفع ذوائبها . (٥) نجم في السماء ، والمعنى يودون أن يعقلوا ويعذبوا في الدنيا بالتمثيل بهم والتنكيل ، ولا يعذبون عذاب الله في الآخرة ، ولا يحاسبون حساباً عسيراً من عدم القيام بالحق ، ومن تولى الرياسة في العمل فظلموا وأساءوا .

(٦) يصعدون وينزلون ويتحركون ، ولا يثبتون على حال .

(٧) لم يسند لهم عمل يقومون فيه بالعدل والأمانة بمعنى أنهم بعدوا عن الرياسة .

(٨) بمعنى أن الله تعالى يجعل لهم عذابا دائما حجراً كالأرجوحة في جهنم يعلو ويسفل انتقاما منهم على حب الرياسة في عمل لم يخشوا الله في أدائه ، ولم يرحموا المرءوسين ، ولم يتبعوا فيه ما يرضي الله ، ونسوا الكبرياء لله ، والعظمة لله ، والمعطي الله ، والحاكم الله ، والولي الله ، وإن الإنسان حادث لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعاً . فالعاقل من اتقى الله في عمله ، وعدل واتبع أوامر الكتاب والسنة ، وأقام الحق ، واقتدى بالصالحين .

(٩) شجرة في الجنة مسافة ظلها طويلة يستظل بها الموعود بنعم الله وإحسانه في الجنة إن لم يكن رأس قوما وظلم وخان .

وَلاَ كَاتِباً[١] ، وَلاَ عَرِيفاً . رواه أبو داود .

٢٥ — وَعَنْ مَوْدُودِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ كُرَيْبِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ سَيْفِ بْنِ حَارِثَةَ الْيَرْبُوعِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ذَهَبَ بِمَالِي كُلِّهِ[٢] ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكَهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَعْرُفَ عَلَى قَوْمِكَ ، أَوْ أَلاَ أُعَرِّفُكَ عَلَى قَوْمِكَ ؟ قُلْتُ : لاَ . قَالَ : أَمَا إِنَّ الْعَرِيفَ يُدْفَعُ فِي النَّارِ دَفْعاً . رواه الطبراني ومودود لا أعرفه .

٢٦ — وَعَنْ غَالِبٍ الْقَطَّانِ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ قَوْماً كَانُوا عَلَى مَنْهَلٍ[٣] مِنَ الْمَنَاهِلِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمُ الْإِسْلاَمُ جَعَلَ صَاحِبُ الْمَاءِ لِقَوْمِهِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ عَلَى أَنْ يُسْلِمُوا فَأَسْلَمُوا ، وَقَسَمَ الْإِبِلَ بَيْنَهُمْ ، وَبَدَا لَهُ أَنْ يَرْتَجِعَهَا ، فَأَرْسَلَ ابْنَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَفِي آخِرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَهُوَ عَرِيفُ[٤] الْمَاءِ ، وَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي الْعِرَافَةَ بَعْدَهُ . قَالَ : إِنَّ الْعِرَافَةَ حَقٌّ[٥] وَلاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عِرَافَةٍ ، وَلٰكِنِ الْعُرَفَاءَ فِي النَّارِ . رواه أبو داود ، وَلَمْ يُسَمِّ الرَّجُلَ وَلاَ أَبَاهُ وَلاَ جَدَّهُ .

٢٧ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالاَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ[٦] يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَلاَ يَكُونَنَّ عَرِيفاً ، وَلاَ شُرْطِيّاً[٧] ، وَلا جَابِياً[٨] ،

---

(١) يريد صلى الله عليه وسلم صاحب عمل رأسه وكتب فيه وعزل وولى وأدار وحكم .

(٢) كذا ع و د ، وفي ن ط : بنا كله . (٣) مورد ، وهو عين ماء تردها الإبل في المراعى ، وتسمى المنازل التي في المفاوز على طرق السفار مناهل لأن فيها ماء ، والناهل : العطشان والريان ، والنهل : الشرب الأول ، وبابه طرب اهـ مختار . (٤) رئيس هذه البئر يتولى إدارة السقى منها .

(٥) انتظام العمل ، وحفظ الشيء من رياسة وهذا حق ، ولكن حذره صلى الله عليه وسلم أن يرأس فيظلم فيجور فيرتشي . (٦) حكاما رؤساء أعمال . (٧) رجل الحفظ ، وحارس الأمن ، والجمع شرط والواحد شرطة وشرطى ، جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها ويميزون . والمعنى لاتكن حارساً فلا تعدل ، وجنديا فتظلم ، وفي النهاية : شرط السلطان : نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده اهـ .

(٨) جامعا الخراج ، والعامل على تحصيل الأموال .

وَلاَ خَازِنًا[1] . رواه ابن حبان فى صحيحه .

(١) حافظه فى مخزن وخزانته ، وأمين صندوقه . والمعنى أن تنتبه فلا تلى عملا فتحيد عن الجادة فتسأل يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة . وفيه الحث على العدل والأمانة والصدق ، وخوف الله دائما ، والتنحى عن رياسة العمل ، وأداء الصلاة فى وقتها .

خلاصة فقه الفصل : يحذر عن جمع المال الحرام ، وينهى عن أكل أموال الناس بالباطل وينصح رؤساء الأعمال بخوف الله ، قد بين النبى صلى الله عليه وسلم الزكاة ، وفضل إخراجها وأردف ذلك بتحذير أخذ أموال الناس بالباطل ، وعد أن مايخالف قوانين الزكاة لايصح أخذه ، وبين أن صاحب المكس يحرم عليه نعيم الجنة ومأواه جهنم . وجمع المال بلا حق شرعى سحت ، ويكون جامعه متصفاً بصفات اليهود الذين قال الله فيهم : (سماعون للكذب أكالون للسحت) أى يجمعون المال الحرام : (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) ٤٢ من سورة المائدة .

وقد رأيت حديث رجل صالح كان يجمع المال من طرق تغضب الله تعالى فطلب الإقالة واعتكف ، وتحرى الحلال ، وترك منصبه خائفاً من الله تعالى ، ومن عقابه . لماذا ؟ لأن العاشر عليه غضب الله ، ولا تجاب له دعوة ، وعذابه شديد عند الله ، فاختار العزلة عن هذا المنصب المحاط بالشكوك والجور (فاستخفاه فأعفاه) وإن داود عليه السلام نصح آل بيته أن يتهجدوا رجاء رحمة الله ، واستثنى اثنين عليهما لعنة الله (ساحر أو عاشر) وفى الرواية الثانية لهما ثالث (زانية) وأنت تجد حيواناً استرحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلب منه فك الأسر ليرضع ولده ، ثم يأتى وإلا عذب عذاب العشار ، فهذا الحيوان يعلم أن العشار فى عذاب شديد ، وتعوذ بالله من عقابه « عذبنى الله عذاب العشار إن لم أفعل » ، ثم توعد صلى الله عليه وسلم رؤساء الأعمال الجائرين الذين لم ينفذوا أوامر الله ، ولم يستعملوا أحكامه سبحانه فى وظائفهم « ويل للأمراء والعرفاء والأمناء » فالذى ليس أميناً عليه وزر الخيانة ، ويحاسبه الله تعالى على مافعل وإن الله تعالى يعطى الخازن الأمين والجابى الأمين بما فعلا صدقا أجر صاحب المال المتصدق كما قال صلى الله عليه وسلم : «أحد المتصدقين» قال القرطبى : معناه أن الخازن بما فعل متصدق ، وصاحب المال متصدق آخر فهما متصدقان اه .

وقال الشوكانى : والحديث يدل على أن المشاركة فى الطاعة توجب المشاركة فى الأجر اه أى كل ينال ثوابا . قال ابن رسلان : ويدخل فى الخازن من يتخذه الرجل على عياله من وكيل وعبد وامرأة وغلام ، ومن يقوم على طعام الضيفان اه . ثم بين صلى الله عليه وسلم أن كل موظف فى عمل ، ويأخذ أجرا يراعى الأمانة ، ويتقى الله فى عمله ، وإن أخذ شيئاً خفية فقد سرق « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد فهو غلول » رواه أبو داود . قال الشوكانى : فيه دليل على أنه لايحل للعامل زيادة على مافرض له من استعمله وأن ما أخذه بعد ذلك فهو من الغلول ، وذلك بناء على أنها إجارة ، ولكنها فاسدة يلزم فيها أجرة المثل اه . وفيه دليل على أخذ العامل حقه من تحت يده فيقبض من نفسه لنفسه اه .

فعليك أخى بالأمانة ، وكسب المال الحلال ، وخدمة الناس لله ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « من شفع لأحد شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا » وقال الحسن فى قوله تعالى (أكالون للسحت) هم حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يأتيهم برشوة ، وقال عمر رضى الله عنه : رشوة الحاكم من السحت ، وقال ابن مسعود : من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فأهدى اليه هدية فقبلها فذلك السحت فقيل له : كنا نرى أن السحت الرشوة فى القضاء ، فقال ذلك الكفر وتلا قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وإنما أراد أن من أكل الرشوة فى القضاء أكل السحت وكفر .

وروى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه لعن الراشى

الترهيب من المسئلة وتحريمها مع الغنى وما جاء فى ذم الطمع

والترغيب فى التعفف والقناعة والأكل من كسب يده

١ — عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وَسلم قالَ : لاَ تَزَالُ الْمَسْئَلَةُ[(١)] بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى ، وَلَيْسَ فِى وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ . رواه البخارى ومسلم والنسائى .

[المزعة] : بضم الميم ، وسكون الزاء ، وبالعين المهملة : هى القطعة .

٢ — وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : إِنَّمَا الْمَسَائِلُ[(٢)] كُدُوحٌ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ ذَا سُلْطَانٍ ، أَوْ فِى أَمْرٍ لاَ يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا . رواه أبو داود والنسائى والترمذى . وَعِنْدَهُ الْمَسْئَلَةُ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ . الحديث ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ : كَدٌّ فى رواية : وَكُدُوحٌ فى أخرى .

[الكدوح] : بضم الكاف : آثار الخموش .

٣ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : الْمَسْئَلَةُ كُلُوحٌ[(٣)] فى وَجْهِ صَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ شَاءَ اسْتَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ الحديث . رواه أحمد ، ورواته كلهم ثقات مشهورون

٤ — وَعَنْ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَسْأَلُ وَهُوَ غَنِيٌّ حَتَّى يَخْلَقَ[(٤)] وَجْهُهُ فَمَا يَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ وَجْهٌ . رواه

والمرتشى والراتش» فالراتش هو الذى يرشى المرتشى من مال الراشى فيأخذ له الرشوة منه ، فكل مال كسبه ذو الوجاهة عند السلطان من ذوى الحوائج إليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله سحت .
والقضاء فيه أن يرد إلى أصحابه فإن لم يعلموا رفعه السلطان إلى بيت مال المسلمين ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هدايا العمال من السحت » وقال ابن عمر رضى الله عنه « هدايا الأمراء غلول اهـ ص ١٠٩ المدخل .

(١) الشحاذة وسؤال الناس ، ودناءة الفعل ، وقلة المروءة . (٢) الذى يسأل الناس .
(٣) عبوس ؛ يقال : كلح الرجل ، وأكلحه الهم . والمعنى أن الشحاذة دناءة وخسة ، وتدل على رداءة الحال وانقلاب جمال الوجه . (٤) يبلى ويصير خلقا ممتهناً ذابلا تذهب نضارته ، ويزول بهاؤه من الشحاذة .

البزار والطبراني في الكبير ، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

٥ – وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَأَلَ النَّاسَ فِي غَيْرِ فَاقَةٍ(١) نَزَلَتْ بِهِ ، أَوْ عِيَالٍ(٢) لَا يُطِيقُهُمْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِوَجْهٍ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ .

٦ – وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْئَلَةٍ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ ، أَوْ عِيَالٍ لَا يُطِيقُهُمْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَاقَةٍ(٣) مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . رواه البيهقي ، وهو حديث جيد في الشواهد .

٧ – وَعَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُهُ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى أُسْكُفَّةِ(٤) الْبَابِ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْمَسْئَلَةِ(٥) مَا مَشَى أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ يَسْأَلُهُ . رواه النسائي .

ورواه الطبراني في الكبير من طريق قابوس عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَوْ يَعْلَمُ صَاحِبُ الْمَسْئَلَةِ مَالَهُ فِيهَا لَمْ يَسْأَلْ .

٨ – وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَسْئَلَةُ الْغَنِيِّ شَيْنٌ(٦) فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني والبزار، وزاد : وَمَسْئَلَةُ الْغَنِيِّ نَارٌ(٧) إِنْ أُعْطِيَ قَلِيلًا فَقَلِيلٌ ، وَإِنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا فَكَثِيرٌ .

٩ – وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ سَأَلَ مَسْئَلَةً وَهُوَ عَنْهَا غَنِيٌّ كَانَتْ شَيْنًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رواه أحمد والبزار والطبراني ، ورواة أحمد محتج بهم في الصحيح .

١٠ – وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) حاجة . (٢) أولاد وأهل وأسرة ينفق عليهم ، وليس عنده شيء .

(٣) فقر ولا يشعر . والمعنى أن نفسه تميل إلى الذلة ، وتنزع منه البركة .

(٤) كذا ع ص ٢٧٥ ، وفي ن د : في إسكفة .

(٥) من العذاب والضعة ، وفيه الحث على التعفف عن المسألة ، والتنزه عنها ، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق ، وارتكب المشقة في ذلك ، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها ، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ، وذل الرد إذا لم يعط ، ولما يدخل على المسئول من الضيق وماله إن أعطى كل سائل . (٦) عيب .

(٧) عذاب يخلد له يوم القيامة يكوى به ، لأن عنده رزقا يكفيه شر السؤال، وليس وحاجة للشحاذة.

قالَ : مَنْ سَأَلَ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْمَسْئَلَةِ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَهِيَ خُمُوشٌ (١) فى وَجْهِهِ . رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد لا بأس به .

١١ — وَعَنْ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَقالَ : كَمْ تَرَكَ ؟ قالُوا : دِينارَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً . قالَ : تَرَكَ كَيَّتَيْنِ (٢) أَوْ ثَلاثَ كَيَّاتٍ ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْقاسِمِ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ ، فَقالَ لَهُ : ذاكَ رَجُلٌ كانَ يَسْأَلُ النَّاسَ تَكَثُّراً (٣) . رواه البيهقى من رواية يحيى بن عبد الحميد الحمانى

١٢ — وَعَنْ حَبَشِيِّ بْنِ جُنادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : مَنْ سَأَلَ (٤) مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ فَكَأَنَّما يَأْكُلُ الْجَمْرَ (٥) . رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، وابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى ، ولفظه :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : الَّذِي يَسْأَلُ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ (٦) كَمَثَلِ الَّذِي يَلْتَقِطُ الْجَمْرَ . ورواه الترمذى من رواية مُجالِدٍ عن عامر عن حبشى أطول من هذا ، ولفظه :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فى حَجَّةِ الْوَداعِ وَهُوَ واقِفٌ بِعَرَفَةَ أَتاهُ أَعْرابِيٌّ فَأَخَذَ بِطَرَفِ رِدائِهِ فَسَأَلَهُ إِيَّاهُ فَأَعْطاهُ وَذَهَبَ ، فَمِنْذُ ذٰلِكَ حُرِّمَتِ الْمَسْئَلَةُ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الْمَسْئَلَةَ لا تَحِلُّ لِغَنِيٍّ وَلا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِيَ (٧) بِهِ مالَهُ كانَ خُمُوشاً فى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَرَضْفاً يَأْكُلُهُ مِنْ جَهَنَّمَ ، فَمَنْ شاءَ فَلْيُقِلَّ ، وَمَنْ شاءَ فَلْيُكْثِرْ . قال الترمذى : حديث غريب ، زاد فيه رزين :

---

(١) وهو خمش الوجه بظفر أو حديدة . والمعنى أن وجهه يظهر يوم القيامة فيه جروح وكدوح وخطوط دليلا على تشوهه ، وذهاب رونقه لشحاذته ، ودناءة صاحبه ، وقد بين صلى الله عليه وسلم حد الغنى « قالوا يارسول الله : وما يغنيه ؟ قال : مايغديه أو يعشيه » رواه أحمد وأبو داود ، وروى الخمسة « خمسون درهما أو حسابها من الذهب » .

(٢) يعذب بالكى بها فى النار . (٣) يطلب الغنى وزيادة المال ، وعنده قوت يومه ، وفيه دليل على أن سؤال التكثر محرم ، وهو السؤال بقصد الجمع من غير حاجة .

(٤) كذا ع ص ٢٧٦ ، وفى ن د : من يسال .

(٥) قال القاضى عياض : معناه أنه يعاقب بالنار قال : ويحتمل أن يكون على ظاهره ، وأن الذى يأخذه يصير جمراً يكوى به كما ثبت فى مانع الزكاة اهـ . (٦) فقر . (٧) كذا ع ، وفى ط : ليثرى .

وَإِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ الْعَطِيَّةَ فَيَنْطَلِقُ بِهَا تَحْتَ إِبْطِهِ ، وَمَا هِيَ إِلاَّ النَّارُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : وَلِمَ تُعْطِي يَارَسُولَ اللهِ مَاهُوَ نَارٌ ؟ فَقَالَ : أَبَى اللهُ لِيَ الْبُخْلَ ، وَأَبَوْا إِلاَّ مَسْأَلَتِي . قَالُوا : وَمَا الْغِنَى الَّذِي لاَتَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ ؟ قَالَ : قَدْرُ مَايُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ ، وهذه الزيادة لها شواهد كثيرة لكني لم أقف عليها فى شيء من نسخ الترمذى .

[المرة] : بكسر الميم وتشديد الراء : هى الشدة والقوة .

[والسوىّ] : بفتح السين المهملة ، وتشديد الياء : هو التام الخلق السالم من موانع الاكتساب.

[يثرى] : بالثاء المثلثة : أى يزيد ماله به .

[والرضف] : يأتى ، وكذا بقية الغريب .

١٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ . رواه مسلم وابن ماجه.

١٤ — وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ سَأَلَ النَّاسَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى اسْتَكْثَرَ بِهَا مِنْ رَضْفِ جَهَنَّمَ . قَالُوا : وَمَاظَهْرُ غِنًى ؟ قال : عَشَاءُ لَيْلَةٍ . رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند ، و الطبرانى فى الأوسط ، وإسناده جيد .

١٥ — وَعَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلاَهُ فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ فَكَتَبَ لَهُمَا مَاسَأَلاَ ، فَأَمَّا الْأَقْرَعُ : فَأَخَذَ كِتَابَهُ فَلَفَّهُ فِي عِمَامَتِهِ وَانْطَلَقَ ، وَأَمَّا عُيَيْنَةُ : فَأَخَذَ كِتَابَهُ وَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَامُحَمَّدُ أَتُرَانِي حَامِلاً إِلَى قَوْمِي كِتَابًا لاَأَدْرِي مَافِيهِ كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ ، فَأَخْبَرَ مُعَاوِيَةُ بِقَوْلِهِ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَايُغْنِيهِ ، فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ . قال النفيلي وهو أحد رواته : قَالُوا : وَمَاالْغِنَى الَّذِي لاَتَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ ؟ قَالَ : قَدْرَ مَايُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ . رواه أحمد واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال فيه :

مَنْ سَأَلَ شَيْئًا وَعِنْدَهُ مَايُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ وَمَا يُغْنِيهِ ؟ قال : مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ كَذَا عِنْدَهُ ، أَوْ يُعَشِّيهِ بِأَلِفٍ . ورواه ابن خزيمة باختصار إلا أنه قال :

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْغِنَى الَّذِي لَاتَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ ؟ قَالَ : أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبَعُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، أَوْ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ .

[قوله] كصحيفة المتلمس : هذا مثل تضربه العرب لمن حمل شيئاً لايدرى هل يعود عليه بنفع أو ضر . وأصله أن المتلمس، واسمه عبد المسيح قدم هو وطرفة العبدى على الملك عمرو بن المنذر ، فأقاما عنده فنقِم عليهما أمراً، فكتب إلى بعض عماله يأمره بقتلهما، وقال لهما إنى قد كتبت لكما بصلة، فاجتازا بالحيرة فأعطى المتلمس صحيفته صبيا فقرأها فإذا فيها الأمر بقتله فألقاها وقال لطرفة افعل مثل فعلى ، فأبى عليه ومضى إلى عامل الملك فقرأها وقتله .

[قال الخطابى] : اختلف الناس فى تأويله ، يعنى حديث سهل ، فقال بعضهم : مَنْ وَجَدَ غَدَاءَ يَوْمِهِ وَعَشَاءَهُ لَمْ تَحِلَّ لَهُ الْمَسْأَلَةُ عَلَى ظَاهِرِ الحديث ، وقال بعضهم : إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ وَجَدَ غَدَاءً وَعَشَاءً عَلَى دَائِمِ الْأَوْقَاتِ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ مَايَكْفِيهِ لِقُوتِهِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ حَرُمَتْ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةُ، وقال آخرون: هذا منسوخ بالأحاديث التى تقدم ذكرها يعنى الأحاديث التى فيها تقدير الغنى بملك خمسين درهما ، أو قيمتها ، أو بملك أوقية ، أو قيمتها .

[قال الحافظ] رضى الله عنه : ادعاء النسخ مشترك بينهما ، ولا أعلم مرجحا لأحدهما على الآخر. وقد كان الشافعى رحمه الله يقول : قد يكون الرجل بالدرهم غنياً مع كسبه ولا يغنيه الألف مع ضعفه فى نفسه، وكثرة عياله ، وقد ذهب سفيان الثورى، وابن المبارك، والحسن ابن صالح وأحمد بن حنبل، وإسحق بن راهويه إلى أن من له خمسون درهما، أو قيمتها من الذهب لايدفع إليه شىء من الزكاة . وكان الحسن البصرى ، وأبو عبيدة يقولان : من له أربعون درهما فهو غنى، وقال أصحاب الرأى: يجوز دفعها إلى من يملك دون النصاب، وإن كان صحيحاً مكتسبا مع قولهم من كان له قوت يومه لايحل له السؤال استدلالا بهذا الحديث وغيره ، والله أعلم .

١٦ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِيَ[1] مَالَهُ ، فَإِنَّمَا هِيَ رَضْفٌ مِنَ

---

(١) يكثر ماله . ياعجبا ! يتخذ الشحاذة باب غنى ، ويسأل الناس فيعذبه الله يوم القيامة بجمع ما يأخذه ويحمى عليه فى جهنم ، ثم يكوى به . ثرى القوم يثرون : كثر مالهم ، وأثرى إثراء : استغنى .

النَّارِ مُلْهِبَةٌ[1] فَمَنْ شاءَ فَلْيُقِلَّ، وَمَنْ شاءَ فَلْيُكْثِرْ. رواه ابن حبان فى صحيحه.

[الرضف] بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء: الحجارة المحماة.

١٧ - وَرُوِيَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: جاءَ مالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْعَبَّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَحَفَنَ[2] لَهُ، ثُمَّ قالَ: أَزِيدُكَ؟ قالَ: نَعَمْ، فَحَفَنَ لَهُ، ثُمَّ قالَ: أَزِيدُكَ؟ قالَ: نَعَمْ، فَحَفَنَ لَهُ، ثُمَّ قالَ: أَزِيدُكَ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: أَبْقِ لِمَنْ بَعْدَكَ، ثُمَّ دَعَانِي، فَحَفَنَ لِي، فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ: خَيْرٌ لِي أَوْ شَرٌّ لِي؟ قالَ: لَا. بَلْ شَرٌّ[3] لَكَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ما أَعْطَانِي، ثُمَّ قُلْتُ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ عَطِيَّةً بَعْدَكَ. قال محمد بن سيرين: قال حكيم: فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لِي. قالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ[4] يَدِهِ. رواه الطبرانى فى الكبير.

١٨ - وَعَنْ أَسْلَمَ قالَ: قالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الْأَرْقَمِ. أَدْلِلْنِي[5] عَلَى بَعِيرٍ مِنَ الْعَطَايَا أَسْتَحْمِلُ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قُلْتُ: نَعَمْ جَمَلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْأَرْقَمِ: أَتُحِبُّ لَوْ أَنَّ رَجُلاً بَادِنًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ غَسَلَ ما تَحْتَ إِزَارِهِ وَرُفْغَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَاكَهُ فَشَرِبْتَهُ. قالَ: فَغَضِبْتُ وَقُلْتُ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ لِمَ تَقُولُ مِثْلَ هٰذَا لِي؟ قالَ: فَإِنَّمَا الصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ يَغْسِلُونَهَا عَنْهُمْ. رواه مالك. [البادن] السمين.

[والرفغ] بضم الراء وفتحها، وبالغين المعجمة: هو الإبط، وقيل: وسخ الثوب، والأرفاغ: المغابن التى يجتمع فيها العرق والوسخ من البدن.

١٩ - وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ سَلِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) نار موقدة. (٢) أعطاه حفنة. (٣) الأخذ شر لأنه يدعو إلى سؤالك يوم القيامة.

(٤) يبارك له فى عهده وميثاقه لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده فى يد الآخر كما يفعل المتبايعان، ومنه حديث ابن عمر رضى الله عنهما «أعطاه صفقة يده وثمرة قلبه» دعا له صلى الله عليه وسلم بالقناعة والرضا، وقد كان، فما سأل أحداً بعدئذ، وفيه أن الأحسن للفقير أن يأخذ عملا، ويرضى به، ولا يلجأ إلى السؤال ومذلة الرجال.

(٥) أرشدنى، لم يرض أن يحمل على بعير لأنه حثالة الناس مثل الفضالة الباقية من غسل الجسم على قذارتها بوعزوف النفس عنها، وميلها إلى الطاهر المحبوب.

يستعملك(١) على الصدقة ، فسأله قال: ما كنت لأستعملك على غسالة(٢) ذنوب الناس. رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

٢٠ – وعن أبى عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة ، أو ثمانية ، أو سبعة ، فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا حديث عهد(٣) ببيعة ، فقلنا قد بايعناك يارسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا(٤) الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات(٥) الخمس ، وتطيعوا(٦) ، وأسر كلمة خفية ، ولا تسئلوا(٧) الناس ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسئل أحدا يناوله إياه(٨) . رواه مسلم والترمذى والنسائى باختصار .

---

(١) اطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يوظفك عاملا تجمع الصدقات وتحفظها لتخزن فتنفق فى مصالح المسلمين .

(٢) ماغسلت به الشىء وغلفته به : أى البقية الباقية .

يرهب صلى الله عليه وسلم من الشحاذة والسؤال ، ويبين صلى الله عليه وسلم أن الصدقة تطهر صاحبها من البخل كما يطهر الماء الدنس ، فهى مثل الماء الذى تظف ، فمن أخذها أخذ أوساخ الناس ، وتحمل قذاراتهم وكان أداة طهارتهم من الشح ، فلا يرضى بها إلا الفقير المحتاج فقط ، أما القادر على الكسب فيتعفف ويتنحى عن قبولها .

(٣) عبارة عن المعاقدة على الإسلام ، والمعاهدة على العمل بأمور الدين كأن كل واحد منهما باع ماعنده من صاحبه ، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ، ودخيلة أمره .

(٤) توحدوه تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله ، وتخلصوا له العبادة . (٥) تؤدوها كاملة تامة .

(٦) تتبعوا أوامر الله تعالى وتنفذوها ، وتطيعوا أولياء الأمور .

(٧) ارضوا بما قسم الله لكم ، واجتنبوا السؤال ، ولا تطلبوا من الناس شيئاً .

نهى صلى الله عليه وسلم عن السؤال الذى كان على طريق التكلف والتعنت ، وكذا سؤال الناس أموالهم من غير حاجة ، فالنهى يشمل أثنين :

ا — التبجح فى السؤال بلا فائدة .

ب — الشحاذة .

(٨) يعلم صلى الله عليه وسلم الاعتماد على النفس ، وقيامها بأعمالها بلا التجاء إلى مخلوق ، وغرس غريزة الاعتماد والشجاعة ، وقضاء الحاجة بهمة ، ولقد سمعوا العظة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا بأعمالهم خير قيام حتى كان السوط يسقط فيأخذه بنفسه بلا سؤال أحد . هــذا هو دين الله تعالى ، وحبيبه صلى الله عليه وسلم يذم الإمعة الوكل ضعيف العزيمة ، وهى الإرادة يلجأ إلى الناس فى أعماله ، ويمدح قوى العزيمة النافذ الكلمة السباق إلى عمله :

لاتحسبن ذهاب نفسك ميتة ما الموت إلا أن نعيش مذللا

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

٢١ — وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَمساً ، وَأَوْثَقَنِي سَبْعًا ، وَأَشْهَدَ اللهَ عَلَيَّ سَبْعًا : أَنْ لاَ أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ، قَالَ أَبُو الْمُثَنَّى قَالَ أَبُو ذَرٍّ ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : هَلْ لَكَ إِلَى الْبَيْعَةِ ، وَلَكَ الْجَنَّةُ قُلْتُ : نَعَمْ ، وَبَسَطْتُ يَدِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَهُوَ يَشْتَرِطُ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : وَلاَ سَوْطَكَ إِنْ سَقَطَ مِنْكَ حَتَّى تَنْزِلَ فَتَأْخُذَهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : سِتَّةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اعْقِلْ يَا أَبَا ذَرٍّ : مَا يُقَالُ لَكَ بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ قَالَ : أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ[1] وَعَلاَنِيَتِهِ وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ[2] ، وَلاَ تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا ، وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ وَلاَ تَقْبِضَنَّ أَمَانَةً[3] . رواه أحمد ، ورواته ثقات .

٢٢ — وَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : رُبَّمَا سَقَطَ الْخِطَامُ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَيَضْرِبُ بِذِرَاعِ نَاقَتِهِ فَيُنِيخُهَا[4] فَيَأْخُذُهُ . قَالَ فَقَالُوا لَهُ : أَفَلاَ أَمَرْتَنَا فَنُنَاوِلَكَهُ ؟ قَالَ : إِنَّ حِبِّي[5] صلى الله عليه وسلم أَمَرَنِي أَنْ لاَ أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا . رواه أحمد ، وابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر رضي الله عنه .

= وتعظم في عين الصغار صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم

الله تعالى كفل الأرزاق وتعهد بالقوت وحفظ العمر فلماذا السؤال؟ وقد قال تعالى: (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وما أحسن قول الشاعر :

ولو مد نحوي حادث الدهر كفه لحدثت نفسي أن أمد له يدا
توقد عزمي يترك الماء جمرة وحلية حلمي تترك السيف مبردا
وأظمأ إن أبدى لي الماء منة ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتذلل رأيت الهدى أن لا أميل إلى الهدى

هذا ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ هـ يعني أنه عيوف يكره كل ما فيه امتنان عليه حتى في الماء الذي هو حياة الأنفس ، ولا يتحمل ذل السؤال مهما كان مورد النعمة . المجرة : قطعة في السماء واسعة تشبه المكان المتسع من النهر ، ثم يعني أن الهداية لو كانت بتذلل لكان من الحق تركها وقد سبقه سيدنا قرة العيون ومربي النفوس قال أبو ذر : « يشترط علي ألا أسأل الناس شيئاً » .

(١) اخش الله في الخفية والجهر .
(٢) إذا صدر منك ذنب فأحسن ، واستعمل الرأفة والأدب والكمال والعفو وحسن الخلق .
(٣) اجتنب حفظ الأمانة عندك خشية ألا تقوم بها تماما ، فتعذب على تقصيرك في حفظها .
(٤) كذا ع ص ٢٨٠ ، وكذا د ، وفي ط : فينحيها .
(٥) حبيبي صلى الله عليه وسلم . أيها المسلم : أمير المؤمنين، وأفضل المسلمين بعد يده بنفسه، وينيخ =

[الخطام] بكسر الخاء المعجمة : هو مايوضع على أنف الناقة وفمها لتقاد به .

٢٣ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسلم : مَنْ يُبَايِعُ ؟ فَقَالَ ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم بَايِعْنَا يَارَسُولَ اللهِ. قالَ عَلَى أَنْ لاَ تَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا ، فَقَالَ ثَوْبَانُ : فَمَالَهُ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الْجَنَّةُ : فَبَايَعَهُ ثَوْبَانُ. قالَ أَبُو أُمَامَةَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَكَّةَ فِي أَجْمَعِ مَايَكُونُ مِنَ النَّاسِ يَسْقُطُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ، فَرُبَّمَا وَقَعَ عَلَى عَاتِقِ رَجُلٍ فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيُنَاوِلُهُ فَمَا يَأْخُذُهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَنْزِلُ فَيَأْخُذُهُ . رواه الطبراني في الكبير من طريق عليّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة.

٢٤ — وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم : بِسَبْعٍ : بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ(١) ، وَأَنْ أَدْنُو(٢) مِنْهُمْ ، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنِّي(٣) ، وَلاَ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي(٤) ، وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي(٥) وَإِنْ جَفَانِي ، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ :

= ناقته، فيأخذ خطامها ليعمل بأمره صلى الله عليه وسلم ، فهل لك أن تقتدى به، وتتكل على الله وحده، وتقوم بأعمالك خير قيام.

غرائز الاجتماع من علم النفس ينميها قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتسأل الناس شيئاً » .

تصور أيها العزيز ملكاً حاز أبهة الملك وجمع صفاتي المروءة والشجاعة وعقدت الخناصر على محبته ويركب ناقته في سفر وحوله جم محتشد يتمنى خدمته وطوع إشارته فيسقط حبل ناقته فيحضره بنفسه ويقول القولة الصحيحة والمثل العالية في تربية النفوس على الاعتماد على النفس: «إن حبي صلى الله عليه وسلم أمرني أن لاأسأل الناس شيئاً » الحديث .

والآن علماء التربية يدرسون غرس الفضائل في نفوس النشء ليترعرع عليها ،وهاهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناس على الاتكال على الله ، والعمل المتقن .

ماحك جلدك مثل ظفرك   فتول أنت جميع أمرك

يقولون تجب :

أولا : تربية عادة الإقدام في نفوس الأحداث . ثانياً : قوة الإرادة الحازمة .

ثالثاً : بث الأفكار الصالحة . رابعاً : الوسيلة الناتجة والدافعة . خامساً : قوة الفكر والتفكير .

سادساً : وجدان الفضيلة والدين والمروءة . سابعاً : المحافظة على الشرف والبقاء والثناء .

ثامناً :حب الاطلاع. تاسعاً : المنافسة. هذه نظريات قل من كثر في تكوين العادات الحسنة الاجتماعية في الإنسان جمعها صلى الله عليه وسلم في جملة لينهى الناس عن الدعة والذلة وحب التوكل ويغرس فيهم الخلال المنتجة والصفات الداعية إلى المحامد والمكارم، وتلك حادثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فبايعه ثوبان) وقد شهد صادق أن سوطه وقع فلم يأخذه من أحد ، وأخذه وحده .

(١) العطف على الفقراء ومجالستهم وإكرامهم ، والإحسان إليهم . (٢) أتقرب .

(٣) أقل مني في المال والصحة والبنين لأرضى بنعمة ربي وأشكره على إحسانه فأنال أجراً .

(٤) أكثر مني مالاوجاهاً وصحة وقوة . (٥) أن أود أهلي وأقاربي ذكورا وإناثا وأحسن إليهم .

لاحَوْلَ وَلاقُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ(١)، وَأَنْ أَتَكَلَّمَ بِمُرِّ الْحَقِّ، وَلاَ تَأْخُذَنِي فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ(٢)، وَأَنْ لاَأَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً. رواه أحمد والطبراني من رواية الشعبي عن أبي ذر، ولم يسمع منه.

٢٥ — وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: يَاحَكِيمُ! هٰذَا الْمَالُ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَيَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَأَرْزَأُ أَحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيماً لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئاً، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فَقَالَ يَامَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ: أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَ اللهُ لَهُ فِي هٰذَا الْفَيْءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، وَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَداً مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم حَتَّى تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي باختصار.

[يرزأ] براء، ثم زاي، ثم همزة: معناه لم يأخذ من أحد شيئاً.

[وإشراف النفس] بكسر الهمزة، وبالشين المعجمة وآخره فاء: هو تطلعها وطمعها وشرهها [وسخاوة النفس] ضد ذلك.

٢٦ — وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ يَكْفُلُ(٣) لِي أَنْ لاَيَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً أَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: أَنَا، فَكَانَ لاَيَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً. رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وأبوداود بإسناد صحيح. وعند ابن ماجه قال: لاَتَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئاً. قالَ: فَكَانَ ثَوْبَانُ يَقَعُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِيهِ حَتَّى يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ.

٢٧ — وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) أن أجلها ورداً صباح مساء. (٢) لايهمني في الحق أحد كثير العتب والتعنيف.
(٣) يضمن.

قَالَ : ثَلَاثٌ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا(١) عَلَيْهِنَّ : لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا ، وَلَا يَعْفُو(٢) عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْئَلَةٍ(٣) إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ . رواه أحمد ، وفى إسناده رجل لم يُسَمَّ ، وأبو يعلى والبزار ، وتقدم فى الإخلاص من حديث أبى كبشة الأنمارى مطوّلا ، رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . ورواه الطبرانى فى الصغير من حديث أمّ سلمة ، وقال فى حديثه : وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا فَاعْفُوا يُعِزَّكُمُ اللهُ ، والباقى بنحوه .

٢٨ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ : لَقَدْ سَمِعْتُ فُلَانًا وَفُلَانًا يُحْسِنَانِ الثَّنَاءَ يَذْكُرَانِ أَنَّكَ أَعْطَيْتَهُمَا دِينَارَيْنِ . قَالَ : فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : وَاللهِ لَكِنَّ فُلَانًا مَا هُوَ كَذَلِكَ لَقَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا بَيْنَ عَشْرَةٍ إِلَى مِائَةٍ فَمَا يَقُولُ ذَلِكَ ، أَمَا وَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُخْرِجُ(٤) مَسْأَلَتَهُ مِنْ عِنْدِى يَتَأَبَّطُهَا ، يَعْنِى تَكُونُ(٥) تَحْتَ إِبْطِهِ نَارًا ، فَقَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللهِ : لِمَ تُعْطِيهَا إِيَّاهُمْ ؟ قَالَ فَمَا أَصْنَعُ ؟ يَأْبَوْنَ(٦) إِلَّا ذَلِكَ ، وَيَأْبَى اللهُ لِىَ الْبُخْلَ(٧) .

رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

---

(١) لمقسما بالله كذا ع و د ، وفى ن ط : لحالفها . يريد صلى الله عليه وسلم أن الإنفاق لله يزيد المال ، ولا ينقصه . قال المتنبى :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر

ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالتصدق والإحسان رجاء الغنى والسعادة

وما ضاع مال ورث الحمد أهله ولكن أموال البخيل تضيع

وقال الله تعالى : (إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم) ١٩ من سورة الحديد .

يا أخى يخبرك سبحانه بالمضاعفة ، وزيادة الخير والنعم والثواب للمتصدقين والمتصدقات .

(٢) كذا ع ص ٢٨٠ ، وفى ن د : يعف ، والمعنى لايصفح إنسان لله ولا يسامح لله ولا يتغاضى عن هفوته طلبا لمرضاة الله إلا أحاطه الله بصنوف الحفظ والمعالى والإكرام . قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ٤٠ من سورة الشورى . (٣) حاجة وذل ، والالتجاء إلى مخلوق فى قضاء وطره . وفيه الحث على الصدقة ، والغض عن الإساءة والقناعة والمحافظة على عزة النفس . قال الشاعر :

غنى النفس مايكفيك من سد خلة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

(٤) كذا ع و د ص ٢٨١ ، وفى ن ط : لتخرج مسألته .

(٥) يعنى أنها تسبب له النار والعذاب والهلاك . (٦) يكثرون الإلحاح . (٧) ولا يحب الله لى الشح .

وفى رواية جيدة لأبى يعلى : وإن أحدكم ليخرج بصدقته من عندى متأبطها ، وإنما هى له نار . قلت : يارسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها له نار ؟ قال : فما أصنع يأبون إلا مسئلتى [(١)] ، ويأبى الله عز وجل لى البخل [(٢)] .

٢٩ — وعن أبى بشر قبيصة بن المخارق رضى الله عنه قال : تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ، ثم قال : ياقبيصة : إن المسئلة لاتحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، أو قال : سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ، فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش ، أو قال سدادا من عيش ، فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا [(٣)] . رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

[الحمالة] بفتح الحاء المهملة : هو الدية يتحملها قوم من قوم ، وقيل : هو ما يتحمله المصلح بين فئتين فى ماله ليرتفع بينهم القتال ونحوه [والجائحة] : الآفة تصيب الإنسان فى ماله

[والقوام] بفتح القاف ، وكسرها أفصح : هو مايقوم به حال الإنسان من مال وغيره .

[والسداد] بكسر السين المهملة : هو ما يسد حاجة المعوز ويكفيه .

[والفاقة] : الفقر والاحتياج . [والحجى] بكسر الحاء المهملة مقصورا : هو العقل

٣٠ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطلب منى بإلحاف، ولم يتركوها للمحتاجين الفقراء . (٢) ويريد الله عز وجل أن يشمله بكرمه وأن يقيه شر البخل ، ويجعل اسمه جوادا سمحاً يعطى الكثير ولا يخشى الفقر صلى الله عليه وسلم .

(٣) يبين صلى الله عليه وسلم أن الإسلام عمل وعزة نفس وكرامة وشرف ، ويحذر من الامتهان والضعة وذل السؤال ، وأباح صلى الله عليه وسلم سؤال الناس لثلاثة :

ا — رجل أصبح بين متحاربين ووقف القتال بين طائفتين وتحمل الدية والغرامة ، والإنفاق على ما يجلب المودة والمحبة بينهما وأبطل سفك الدماء ولإراقته هدراً ، وتحمل دماء القتلى ليصلح ذات البين ، فله أن يسأل الناس ليعاونوه على هذه المهام الشاقة .

ب — من كان غنياً وافتقر ، ولا يقدر على الكسب .

ج — الفقراء والمساكين الضعفاء الذين يشهد لهم أصحاب العقول الراجحة السليمة، غير أولئك باطل وحرام ونار فى بطون المعاندين .

اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ، وَلَوْ بِشَوْصِ[١] السِّوَاكِ . رواه البزار والطبراني بإسناد جيد والبيهقي .

٣١ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال : لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ[٢] حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ[٣] ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ[٤] ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلْيَقُلْ خَيْرًا ، أَوْ لِيَسْكُتْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْغَنِيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ[٥] ، وَيُبْغِضُ الْبَذِيَّ[٦] الْفَاجِرَ[٧] السَّائِلَ[٨] الْمُلِحَّ[٩] رواه البزار .

٣٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ . فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : فَالشَّهِيدُ[١٠] ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ ، وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ[١١] ، وَعَفِيفٌ[١٢] مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ[١٣] . رواه ابن خزيمة في صحيحه ، وتقدم بتمامه في منع الزكاة .

٣٣ — وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ لِي عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عِدَةٌ ، فَلَمَّا فُتِحَتْ قُرَيْظَةُ جِئْتُ لِيُنْجِزَ إِلَيَّ مَا وَعَدَنِي فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ يَسْتَغْنِ[١٤] يُغْنِهِ[١٥] اللهُ ، وَمَنْ يَقْنَعْ[١٦] يُقَنِّعْهُ[١٧] اللهُ

---

(١) بتنظيفه ، شصت شوصا : غسلت غسلا : أي ولو بغسالته ، وقيل : بما يتفتت منه عند التسوك . وكان صلى الله عليه وسلم يشوص فاه بالسواك : أى يدلك أسنانه وينقيها .

(٢) مسلم . (٣) مهلكاته وضرره . (٤) يحسن إليه ويبذل ماعنده ثقة بالله المعطى المخلف .

(٥) الذى لايسأل الناس . (٦) قبيح اللسان . (٧) الفاسق . (٨) كثير السؤال .

(٩) الشحاذ . (١٠) الذى مات مجاهداً فى سبيل نصر دين الله .

(١١) أدى حقوق الله وحقوق سيده ، وحفظ ماله ، وراعى الأمانة .

(١٢) أى يطلب العفاف والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس وتكلف الصبر والنزاهة عن الشيء . (١٣) له أسرة ينفق عليها وأهل وأولاد ، وجد فى عمل وقنع برزق الله له ومنه الحديث : « اللهم إنى أسألك العفة والغنى » .

(١٤) يترك سؤال الناس . (١٥) يرزقه الله الغنى والسعادة .

(١٦) يرضى بالقليل ويملأ قلبه إيمانا بربه وقناعة ، والقنوع : الرضى باليسير من العطاء ، وقنع يقنع قنوعا بالفتح : سأل . وقنع يقنع قنوعا وقناعة بالكسر : رضى ، ومنه : القناعة كنز لاينفد ، لأن الإنفاق منها لاينقطع كلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضى ، ومنه حديث : « عز من قنع وذل من طمع » لأن القانع لايذله الطالب فلا يزال عزيزاً . (١٧) يرضه الله تعالى بما أعطى ، ويفتح له باب رحماته .

فَقُلْتُ فِى نَفْسِى لاَجَرَمَ(١) لاَ أَسْأَلُهُ شَيْئاً . رواه البزار ، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه ، قاله ابن معين وغيره .

٣٤ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ ، وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ : الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَالْعُلْيَا : هِىَ الْمُنْفِقَةُ ، وَالسُّفْلَى : هِىَ السَّائِلَةُ . رواه مالك والبخارى ومسلم وأبوداود والنسائى ، وقال أبوداود : اختلف على أيوب عن نافع فى هذا الحديث . قال عبد الوارث : الْيَدُ الْعُلْيَا الْمُتَعَفِّفَةُ . وقال أكثرهم عن حماد بن يزيد عن أيوب المنفقة ، وقال واحد عن حماد : المتعففة [قال الخطابى] رواية من قال : المتعففة أشبه وأصحّ فى المعنى ، وذلك أن ابن عمر ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة ، والتعفف عنها ، فعطف الكلام جزم على سببه الذى خرج عليه وعلى مايطابقه فى معناه أولى ، وقد يتوهم كثير من الناس أن معنى العليا أن يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ ، يجعلونه من علوّ الشىء إلى فوق ، وليس ذلك عندى بالوجه ، وإنما هو من علا المجد والكرم ، يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها ، انتهى كلامه ، وهو حسن .

٣٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْأَيْدِى ثَلاَثَةٌ : فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا ، وَيَدُ الْمُعْطِى الَّتِى تَلِيهَا ، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى(٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَاسْتَعِفَّ(٣) عَنِ السُّؤَالِ ، وَعَنِ الْمَسْأَلَةِ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنْ أُعْطِيتَ شَيْئاً أَوْ قَالَ خَيْراً فَلْيُرَ عَلَيْكَ(٤) ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ(٥) ، وَارْضَخْ مِنَ الْفَضْلِ(٦) ، وَلاَ تُلاَمُ

---

(١) هذه كلمة ترد بمعنى تحقيق الشىء : أى حقاً ، أو لابد . قال تعالى (لاجرم أن لهم النار) أى ليس الأمر كما قالوا ، ثم ابتدأ فقال : وجبت لهم النار : أى قد وجب أن لاأسأله شيئاً صلى الله عليه وسلم ، واستفاد الصحابى من حديثه صلى الله عليه وسلم العظة والقناعة والاعتماد على الله والثقة به سبحانه .

(٢) السائلة المدودة للعطاء . (٣) اطلب العفاف .

(٤) فلتظهر نعمة الله عليك بحمده وتقنع وتتجمل وتنفق . (٥) قدم فى النفقة المزم من أقاربك وأهلك .

(٦) أى أعط من نعمة الله وجد ، والرضخ : العطية القليلة : أى تصدق على قدر طاقتك .

واقنع بما قسم الله الكريم ولا   تبسط يديك لنيل الرزق من أحد

أقوال الشعراء فى القناعة

وأكل كسيرة فى جنب بيتى   أحب إلى من أكل الرغيف

عَلَى الْكَفَافِ . رواه أبو يعلى ، والغالب على رواته التوثيق ، ورواه الحاكم ، وصحح إسناده .

ولبس عباءة وتقر عينى ... أحب إلى من لبس الشفوف

هى القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

قنعت بالقوت من زمانى ... وصنت نفسى عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا ... فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا ... فلا أبالى إذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص ... رأيته بالتى رآنى
ومن رآنى بعين تم ... رأيته كامل المعانى

إذا المرء عوفى فى جسمه ... وملكه الله قلباً قنوعاً
وألقى المطامع عن نفسه ... فذاك الغنى ولو مات جوعاً

والنفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت ... فجميع ما فى الأرض لا يكفيها

إن القنوع نفيس النفس راشدها ... وهو الغنى الذى يحيا بلا نصب
وذو المطامع مغرور ومفتقر ... ولو حوى ملك سلطان وعلم نبى

أفادتنى القناعة كل عز ... وهل عز أعز من القناعه

ولقد طلبت رضا البرية جاهداً ... فإذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزاً له ... والبر أفضل مابه يتمسك

إذا أنت طالبت الرجال نوالهم ... فعف ولا تطلب بجهد فتنكد

وللإمام على كرم الله وجهه :

قدم لنفسك فى الحياة تزوداً ... فلقد تفارقها وأنت مودع
واجعل تزودك المخافة والتقى ... فلعل حتفك فى مسائك أسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى ... والفقر مقرون بمن لا يقنع

وله أيضاً :

صن النفس واحملها على مايزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملا ... نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفس إن قل ماله ... ويغنى غنى المال وهو ذليل
ولا خير فى ود امرئ متلون ... إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

وللإمام الشافعى رضى الله عنه :

ولا ترج السماحة من بخيل ... فما فى النار للظمآن ماء

٣٦ – وَعَنْ مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْأَيْدِى ثَلَاثَةٌ : فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا ، وَيَدُ الْمُعْطِى الَّتِى تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى ، فَأَعْطِ[1] الْفَضْلَ ، وَلاَ تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ . رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له .

٣٧ – وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم

ورزقك ليس ينقصه التأنى وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء

ولقيس بن الحطيم :

وكل شديدة نزلت بقوم سيأتى بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مزر بصاحبه السخاء

ولأبى الفتح البستى :

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمة والحر بالعدل والإحسان يزدان
صن حر وجهك لاتهتك غلالته فكل حر لحر الوجه صوان
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان
كفى من العيش ما قد سد من عوز ففيه للحر قنيان وغنيان
وذو القناعة راض من معيشته وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان

واقنع إذا حاربت بالسلامه واحذر فعالا توجب الندامه

واقنع بما أعطاك من فضله واشكر لموليك على نعمته

ولصلاح الدين الصفدى :

من جاد ساد وأحيا العالمون له بديع حمد بمدح الفضل متصل
من رام نيل العلا بالمال يجمعه من غير حل بلى من جهل وبلى

(١) تصدق بما زاد عن حاجتك ، وجد عن سعة. قال تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون؟ قل العفو) أى الباقى عن حاجتك . قال البيضاوى : قيل سائله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الجموح ، سأل أولا عن المنفق والمصرف ، ثم سأل عن كيفية الإنفاق . والعفو : نقيض الجهد ، ومنه يقال للأرض السهلة ، وهو أن ينفق ماتيسر له بذله ، ولا يبلغ منه الجهد . قال :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

وروى «أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها فى بعض المغانم، فقال : خذها منى صدقة فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كرر عليه مرارا ، فقال : هاتها مغضبا ، فأخذها فحذفها حذفا لو أصابه لشجه ، ثم قال : يأتى أحدكم بماله كله يتصدق به ، ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى » انتهى .

(٢) قال الشرقاوى : هو الأسدى المكى ولد بجوف الكعبة فيما حكاه الزبير بن بكار ، وهو ابن أخى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وعاش مائة وعشرين سنة شطرها فى الجاهلية، وشطرها فى الإسلام =

الْيَدُ الْعُلْيَا(١) خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى(٢)، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ(٣)، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى(٤)، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ(٥) يُعِفَّهُ(٦) اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ(٧) يُغْنِهِ اللهُ(٨). رواه البخارى واللفظ له، ومسلم.

٣٨ – وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ(٩) مَا عِنْدَهُ قَالَ: مَا يَكُونُ عِنْدِى مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ(١٠)، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ(١١) يُصَبِّرْهُ اللهُ(١٢)، وَمَا أَعْطَى اللهُ أَحَدًا عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ(١٣). رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

٣٩ – وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ: عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِىٌّ بِهِ،

= وأعتق مائة رقبة، وحج فى الإسلام، ومعه مائة بدنة، ووقف بعرفة بمائة رقبة فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام، وأهدى ألف شاة، ومات بالمدينة سنة خمسين أو أربع أو ثمان وخمسين، أو سنة ستين اهـ.

(١) المنفقة. (٢) السائلة.

(٣) أى يجب عليك نفقته من القوت والكسوة وغيرها، زاد النسائى: «أمك وأباك وأختك ثم أدناك أدناك» وعنده أيضاً عن أبى هريرة «قال رجل: يارسول الله عندى دينار. قال: تصدق به على نفسك. قال: عندى آخر. قال تصدق به على زوجك. قال عندى آخر. قال: تصدق به على ولدك. قال: عندى آخر. قال: تصدق به على خادمك. قال: عندى آخر. قال: أنت أبصر به» رواه أبو داود والحاكم لكن بتقديم الولد على الزوجة. وعند أصحاب الشافعى تقديم الزوجة اهـ شرقاوى صفحة ٦٥ ج ٢.

(٤) أى ما كان عن ظهر غنى. قال فى النهاية: أى ما كان عفواً قد فضل من غنى، وقيل: أراد ما فضل عن العيال. كأن صدقته مستندة إلى ظهر قوى من المال، والمعنى عن غنى يستظهر به عن النوائب التى تنوبه اهـ شرقاوى. (٥) أى يطلب من الله العفة، وهى الكف عن الحرام، وسؤال الناس.

(٦) يعطيه ذلك. (٧) أى يطلب من الله العفاف والغنى. (٨) يعطه ذلك. (٩) فرغ.

(١٠) ولن أحبسه وأخبأه، وأمنعكم إياه، ولن أجعله ذخيرة لغيركم.

(١١) يعالج فى الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا.

(١٢) يرزقه الله الصبر، وقال بعضهم: من يطلب العفة عن السؤال، ولم يظهر الغنى يصيره الله عفيفاً، ومن ترق وأظهر الاستغناء عن الخلق ملأ الله قلبه غنى.

(١٣) قصر النفس على ما يرضى الله وحبسها على المكاره وهو جامع لمكارم الأخلاق وأعطاهم صلى الله عليه وسلم، ثم نبههم على موضع الفضيلة.

وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ . رواه الطبراني فى الأوسط بإسناد حسن .

٤٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَـٰكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . رواه البخارى ومسلم ، وأبوداود والترمذى والنسائى .

[العرض] بفتح العين المهملة والراء : هو كل ما يقتنى من المال وغيره .

٤١ - وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا . رواه مسلم وغيره .

٤٢ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : أَفَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ[1] وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ[2] . رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث يأتى إن شاء الله تعالى .

٤٣ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَـٰكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ . رواه البخارى ومسلم .

٤٤ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ . رواه مسلم والترمذى وغيرهما .

٤٥ - وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : طُوبَى[3] لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم

[الكفاف] من الرزق : ما كفا عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة .

---

(١) شعور الإنسان بالعزة ، واكتفاؤه بخيرات الله التى عنده .

(٢) شعوره بالذلة والحاجة ، ولو كثر ماله . (٣) شجرة فى الجنة يتمتع بظلها الوارف .

٤٦ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ[1] تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. رواه مسلم والترمذى وغيرهما.

٤٧ — وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: إِيَّاكُمْ[2] وَالطَّمَعَ: فَإِنَّهُ هُوَ الْفَقْرُ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ. رواه الطبرانى فى الأوسط.

٤٨ — وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ: أَوْصِنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم: عَلَيْكَ بِالْإِيَاسِ[3] مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ، فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ[4]، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ. رواه الحاكم والبيهقي فى كتاب الزهد واللفظ له، وقال الحاكم: صحيح الإسناد كذا قال.

٤٩ — وَرُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى. رواه البيهقي فى كتاب الزهد، ورفعهُ غريب.

٥٠ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخُطَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ: مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى[5] فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا. رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب.

[فى سربه] بكسر السين المهملة: أى فى نفسه.

---

(١) هو بفتح همزة أن، ومعناه إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه فى آخرته، وهذا كله شر، ومعنى «لاتلام على كفاف» أن قدر الحاجة لالوم على صاحبه وهذا إذا لم يتوجه فى الكفاف حق شرعى كمن كان له نصاب زكوى، ووجبت الزكاة بشروطها وهو محتاج إلى ذلك النصاب لكفافه وجب عليه إخراج الزكاة، ويحصل كفايته من جهة مباحة، ومعنى «ابدأ بمن تعول» أن العيال والقرابة أحق من الأجانب اهـ نووى ص ١٢٧ ج ٧.

(٢) احذروا الطمع المضيع للمروءة، ولإكرام الضيف، ولحقوق الله تعالى، واحذروا الوقوع فى الدنايا والسفاسف والقبائح والبخل، وكل مايحوجك إلى عذر.

(٣) القنوط، وعدم رجاء خير من أحد مطلقاً، من أيس مقلوب يئس وآيسه فاستيأس.

(٤) كذا ع ص ٢٨٥، وفى ن د: حاص: أى فقر عاجل وشره ودناءة، وباب الذل والمسكنة.

(٥) ممتعاً بالصحة. (٦) بجوانبها، وما فيها من خيرات، والحذافير: الجوانب، وقيل: الأعالى واحدها حذفار، وقيل: حذفور: أى فكأنما أعطى الدنيا بأسرها.

٥١ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : أَمَا فِى بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : بَلَى . حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ . قَالَ : ائْتِنِى بِهِمَا ، فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ ، وَقَالَ مَنْ يَشْتَرِى هٰذَيْنِ . قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا . قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ ، وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَائْتِنِى[1] بِهِ ، فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عُودًا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَفَعَلَ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : هٰذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِى وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثٍ : لِذِى فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِى غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِى دَمٍ مُوجِعٍ . رواه أبو داود والبيهقى بطوله ، واللفظ لأبى داود ، وأخرج الترمذى والنسائى منه قصة بيع القدح فقط ، وقال الترمذى : حديث حسن.

[الحلس] بكسر الحاء المهملة ، وسكون اللام وبالسين المهملة : هو كساء غليظ يكون على ظهر البعير ، وسمى به غيره مما يداس ، ويمتهن من الأكسية ونحوها .

[الفقر المدقع] بضم الميم ، وسكون الدال المهملة ، وكسر القاف : هو الشديد الملصق صاحبه بالدقعة ، وهى الأرض التى لانبات بها .

[والغرم] بضم الغين المعجمة ، وسكون الراء : هو مايلزم أداؤه تكلفاً لا فى مقابلة عوض .

[والمفظع] بضم الميم ، وسكون الفاء وكسر الظاء المعجمة : هو الشديد الشنيع .

[وذو الدم الموجع] : هو الذى يتحمل دية عن قريبه . أو حميمه ، أو نسيبه القاتل يدفعها إلى أولياء المقتول ، ولو لم يفعل قتل قريبه ، أو حميمه الذى يتوجع لقتله .

٥٢ — وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

---

(١) كذا ع ص ٢٨٦ و د ، وفى ط : فائت .

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَمْ مَنَعُوهُ(١). رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما.

٥٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ. رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

٥٤ — وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ(٢)، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ(٣). رواه البخاري.

---

(١) فيه الحث على الصدقة والأكل من عمل يده ، والاكتساب بالمباحات كالحطب والحشيش النابتين فى موات اهـ نووى ص ١٣١ ج ٧ .
والمنى ليذهب السائل ، فيحترف بعمل جل أو حقر ، ولو يجمع الحطب ليحفظ ماء وجهه أن يراق فى السؤال خير من أن يمد يده للناس سواء أخذ أم حرم .
(٢) أى خير الطعام وأهناه ما كان من كسب يد الإنسان بكده وكدحه ، ولم يكن استجداء أوتكففاً فيحترف بأى عمل ، ويمتهن بأى مهنة لأن الاستجداء يورث الذلة والاستكانة ، ويسقط المروءة ، ويدعو إلى قلة الأدب .
(٣) يصنع الدروع من الحديد لا عن فاقة أو حاجة بل كان ملكا مملكا ذا جاه وثروة وسلطان ونبوة فيدع المال ويكد ، وضرب مثلا أعلى للحداد الصانع الماهر ، واختار أن يأكل من عرق جبينه ، وصنع يده رجاء قبول الأعمال عنـــد الله تعالى ، وليقتدى به أبناء الأمة ، ويحث على العمل ، وكسب الرزق من الطرق المشروعة ، ولو أدت إلى اقتحام المخاطر ، وركوب متن الأهوال ، ويمقت التواكل والبطالة ، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة قبل بعثته ، ويعيش من ربحها ، وكذلك الصحابة ، وعظماء المسلمين من بعده .
فقه الدين الإسلامى يدعو إلى إعزاز النفس بالعمل ، وحفظها من الامتهان .
قد بين صلى الله عليه وسلم أن السائل يوم القيامة يأتى كهيكل عظمى ذهبت نضارته ، وضاعت هيبته وقل حياؤه لأنه كان فى حياته وكلا غير معتمد على ربه كثير الإلحاح ضعيف الإيمان « وليس فى وجهه مزعة لحم » قال القاضى : قيل معناه يأتى يوم القيامة ذليلا ساقطاً لا وجه له عند الله ، وقيل : لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب ، وسأل بوجهه ، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالا منهياً عنـه اهـ . نووى ص ١٣٠ ج ٧ .
يقول الله تعالى : (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تزجره ، والمراد به المحتاج غير القادر على الكسب ، وقد حرم العلماء إعطاء القادر على الكسب صدقة .
وإذا قرأت الباب وجدت صفة مشوهة تلزق بالسائل يوم القيامة يعرف بها « كدوح » على أن الله يرزق السائل ضعة ودناءة وطمعاً وشرهاً لعدم تعففه ، ثم انظر أعزك الله إلى دستور العمل قوله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقد استفاد الصحابة رضى الله عنهم من حكم رسول الله صلى الله

النَّارِ مُلْهَبَةٌ[١] فَمَنْ شَاءَ فَلْيُقِلَّ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ. رواه ابن حبان في صحيحه.

[الرضف] بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء: الحجارة المحماة.

١٧ - وَرُوِيَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْعَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَحَفَنَ[٢] لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَحَفَنَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَحَفَنَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَبْقِ لِمَنْ بَعْدَكَ، ثُمَّ دَعَانِي، فَحَفَنَ لِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: خَيْرٌ لِي أَوْ شَرٌّ لِي؟ قَالَ: لَا. بَلْ شَرٌّ[٣] لَكَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مَا أَعْطَانِي، ثُمَّ قُلْتُ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ عَطِيَّةً بَعْدَكَ. قال محمد بن سيرين: قال حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لِي. قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ[٤] يَدِهِ. رواه الطبراني في الكبير.

١٨ - وَعَنْ أَسْلَمَ قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَرْقَمِ. أَدْلِلْنِي[٥] عَلَى بَعِيرٍ مِنَ الْعَطَايَا أَسْتَحْمِلُ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قُلْتُ: نَعَمْ جَمَلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْأَرْقَمِ: أَتُحِبُّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَادِنًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ غَسَلَ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ وَرُفْغَيْهِ، ثُمَّ أَعْطَاكَهُ فَشَرِبْتَهُ. قَالَ: فَغَضِبْتُ وَقُلْتُ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ لِمَ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا لِي؟ قَالَ: فَإِنَّمَا الصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ يَغْسِلُونَهَا عَنْهُمْ. رواه مالك. [البادن] السمين.

[والرفغ] بضم الراء وفتحها، وبالغين المعجمة: هو الإبط، وقيل: وسخ الثوب، والأرفاغ: المغابن التي يجتمع فيها العرق والوسخ من البدن.

١٩ - وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ سَلِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) نار موقدة. (٢) أعطاه حفنة. (٣) الأخذ شر لأنه يدعو إلى سؤالك يوم القيامة.

(٤) يبارك له في عهده وميثاقه لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الآخر كما يفعل المتبايعان، ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أعطاه صفقة يده وثمرة قلبه» دعا له صلى الله عليه وسلم بالقناعة والرضا، وقد كان، فما سأل أحداً بعدئذ، وفيه أن الأحسن للفقير أن يأخذ عملا، ويرضى به، ولا يلجأ إلى السؤال ومذلة الرجال.

(٥) أرشدني، لم يرض أن يحمل على بعير لأنه حثالة الناس مثل الفضالة الباقية من غسل الجسم على قذارتها وعزوف النفس عنها، وميلا إلى الطاهر المحبوب.

يَسْتَعْمِلكَ(١) عَلَى الصَّدَقةِ ، فَسَأَلَهُ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَسْتَعْمِلَكَ عَلَى غُسَالَةِ(٢) ذُنُوبِ النَّاسِ.

رواه ابن خزيمة في صحيحه .

٢٠ - وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تِسْعَةً ، أَوْ ثَمَانِيَةً ، أَوْ سَبْعَةً ، فَقَالَ أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ(٣) بِبَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ، فَقَالَ : قَالَ أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُولَ اللهِ فَعلاَمَ نُبَايِعُكَ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدُوا(٤) اللهَ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَالصَّلَوَاتِ(٥) الْخَمْسِ ، وَتُطِيعُوا(٦) ، وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً ، وَلاَ تَسْأَلُوا(٧) النَّاسَ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ(٨) . رواه مسلم والترمذي والنسائي باختصار .

---

(١) اطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يوظفك عاملا تجمع الصدقات وتحفظها لتخزن فتنفق في مصالح المسلمين .

(٢) ماغسلت به الشيء ونظفته به : أي البقية الباقية .

يرهب صلى الله عليه وسلم من الشحاذة والسؤال ، ويبين صلى الله عليه وسلم أن الصدقة تطهر صاحبها من البخل كما يطهر الماء الدنس ، فهي مثل الماء الذي نظف ، فمن أخذها أخذ أوساخ الناس ، وتحمل قذاراتهم وكان أداة طهارتهم من الشح ، فلا يرضى بها إلا الفقير المحتاج فقط ، أما القادر على الكسب فيتعفف ويتنحى عن قبولها .

(٣) عبارة عن المعاقدة على الإسلام ، والمعاهدة على العمل بأمور الدين كأن كل واحد منهما باع ماعنده من صاحبه ، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ، ودخيلة أمره .

(٤) توحدوه تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله ، وتخلصوا له العبادة . (٥) تؤدوها كاملة تامة .

(٦) تتبعوا أوامر الله تعالى وتنفذوها ، وتطيعوا أولياء الأمور .

(٧) ارضوا بما قسم الله لكم ، واجتنبوا السؤال ، ولا تطلبوا من الناس شيئاً .

نهى صلى الله عليه وسلم عن السؤال الذي كان على طريق التكلف والتعنت ، وكذا سؤال الناس أموالهم من غير حاجة ، فالنهي يشمل اثنين :

ا — التبجح في السؤال بلا فائدة .

ب — الشحاذة .

(٨) يعلم صلى الله عليه وسلم الاعتماد على النفس ، وقيامها بأعمالها بلا التجاء إلى مخلوق ، وغرس غريزة الاعتماد والشجاعة ، وقضاء الحاجة بهمة ، ولقد سمعوا العظة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا بأعمالهم خير قيام حتى كان السوط يسقط فيأخذه بنفسه بلا سؤال أحد . هذا هو دين الله تعالى ، وحبيبه صلى الله عليه وسلم يذم الإمعة الوكل ضعيف العزيمة ، ومن الإرادة يلجأ إلى الناس في أعماله ، ويمدح قوى العزيمة النافذ الكلمة السباق إلى عمله :

لاتحسبن ذهاب نفسك ميتة ... ما الموت إلا أن تعيش مذللا

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

٢١ – وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَمساً ، وَأَوْثَقَنِي سَبْعًا ، وَأَشْهَدَ اللهَ عَلَيَّ سَبْعًا : أَنْ لاَ أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ، قَالَ أَبُو الْمُثَنَّى قَالَ أَبُو ذَرٍّ ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : هَلْ لَكَ إِلَى الْبَيْعَةِ ، وَلَكَ الْجَنَّةُ قُلْتُ : نَعَمْ ، وَبَسَطْتُ يَدِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : وَهُوَ يَشْتَرِطُ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : وَلاَ سَوْطَكَ إِنْ سَقَطَ مِنْكَ حَتَّى تَنْزِلَ فَتَأْخُذَهُ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : سِتَّةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اعْقِلْ يَا أَبَا ذَرٍّ : مَا يُقَالُ لَكَ بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ قَالَ : أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ[1] وَعَلاَنِيَتِهِ وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ[2] ، وَلاَ تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا ، وَإِنْ سَقَطَ سَوْطُكَ وَلاَ تَقْبِضَنَّ أَمَانَةً[3] . رواه أحمد ، ورواته ثقات .

٢٢ – وَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : رُبَّمَا سَقَطَ الْخِطَامُ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَيَضْرِبُ بِذِرَاعِ نَاقَتِهِ فَيُنِيخُهَا[4] فَيَأْخُذُهُ . قَالَ فَقَالُوا لَهُ : أَفَلاَ أَمَرْتَنَا فَنُنَاوِلَكَهُ ؟ قَالَ : إِنَّ حِبِّي[5] صلى الله عليه وسلم أَمَرَنِي أَنْ لاَ أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً . رواه أحمد ، وابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر رضى الله عنه .

= وتعظم فى عين الصغار صغيرها وتصغر فى عين العظيم العظائم

الله تعالى كَفل الأرزاق وتعهد بالقوت وحفظ العمر فلماذا السؤال؟ وقد قال تعالى: (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وما أحسن قول الشاعر :

ولو مد نحوى حادث الدهر كفه لحدثت نفسى أن أمد له يدا
توقد عزمى يترك الماء جمرة وحلية حلمى تترك السيف مبردا
وأظمأ إن أبدى لى الماء منة ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتذلل رأيت الهدى أن لا أميل إلى الهدى

هذا ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ هـ يعنى أنه عيوف يكره كل مافيه امتنان عليه حتى فى الماء الذى هو حياة الأنفس ، ولا يتحمل ذل السؤال مهما كان مورد النعمة . المجرة : قطعة فى السماء واسعة تشبه المكان المتسع من النهر، ثم يعنى أن الهداية لو كانت بتذلل لكان من الحق تركها وقد سبقه سيدنا قرة العيون ومربى النفوس قال أبو ذر : « يشترط على ألا أسأل الناس شيئاً » .

(١) اخش الله فى الخفية والجهر .
(٢) إذا صدر منك ذنب فأحسن ، واستعمل الرأفة والأدب والكمال والعفو وحسن الخلق .
(٣) اجتنب حفظ الأمانة عندك خشية ألا تقوم بها تماما ، فتعذب على تقصيرك فى حفظها .
(٤) كذا ع ص ٢٨٠ ، وكذا د ، وفى ط : فينحيها .
(٥) حبيبى صلى الله عليه وسلم . أيها المسلم : أمير المؤمنين، وأفضل المسلمين بعد يده بنفسه، وينيخ =

[الخطام] بكسر الخاء المعجمة : هو مايوضع على أنف الناقة وفمها لتقاد به .

٢٣ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ يُبَايِعُ ؟ فَقَالَ ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَايِعْنَا يَارَسُولَ اللهِ . قَالَ عَلَى أَنْ لاَ تَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا ، فَقَالَ ثَوْبَانُ : فَمَالَهُ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الْجَنَّةُ : فَبَايَعَهُ ثَوْبَانُ. قَالَ أَبُو أُمَامَةَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَكَّةَ فِي أَجْمَعِ مَايَكُونُ مِنَ النَّاسِ يَسْقُطُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ، فَرُبَّمَا وَقَعَ عَلَى عَاتِقِ رَجُلٍ فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيُنَاوِلُهُ فَمَا يَأْخُذُهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَنْزِلُ فَيَأْخُذُهُ . رواه الطبراني في الكبير من طريق علىّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة.

٢٤ — وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم : بِسَبْعٍ : بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ (١) ، وَأَنْ أَدْنُوَ (٢) مِنْهُمْ ، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي (٣) ، وَلاَ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي (٤) ، وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي (٥) وَإِنْ جَفَانِي ، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ :

= ناقته، فيأخذ خطامها ليعمل بأمره صلى الله عليه وسلم ، فهل لك أن تقتدى به، وتتكل على الله وحده، وتقوم بأعمالك خير قيام.

غرائز الاجتماع من علم النفس ينميها قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتسأل الناس شيئاً » .

تصور أيها العزيز ملكا حاز أبهة الملك وجمع صفاتي المروءة والشجاعة وعقدت الخناصر على محبته ويركب ناقته في سفر وحوله جمع محتشد يتمنى خدمته وطوع إشارته فيسقط حبل ناقته فيحضره بنفسه ويقول القولة الصحيحة والمثل العالية في تربية النفوس على الاعتماد على النفس: «إن حبي صلى الله عليه وسلم أمرني أن لاأسأل الناس شيئاً » الحديث .

والآن علماء التربية يدرسون غرس الفضائل في نفوس النشء ليترعرع عليها ، وهاهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناس على الاتكال على الله ، والعمل المتقن .

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك

يقولون تجب :

أولا : تربية عادة الإقدام في نفوس الأحداث . ثانياً : قوة الإرادة الحازمة .

ثالثاً : بث الأفكار الصالحة . رابعاً : الوسيلة المانعة والدافعة . خامساً : قوة الفكر والتفكير .

سادساً : وجدان الفضيلة والدين والمروءة . سابعاً : المحافظة على الشرف والبقاء والثناء .

ثامناً :حب الاطلاع. تاسعاً : المنافسة. هذه نظريات قل من كثر في تكوين العادات الحسنة الاجتماعية في الإنسان جمعها صلى الله عليه وسلم في جملة لينهى الناس عن الدعة والذلة وحب التوكل ويغرس فيهم الخلال المنتجة والصفات الداعية إلى المحامد والمكارم، وتلك حادثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فبايعه ثوبان) وقد شهد صادق أن سوطه وقع فلم يأخذه من أحد ، وأخذه وحده .

(١) العطف على الفقراء ومجالستهم وإكرامهم ، والإحسان إليهم . (٢) أتقرب .

(٣) أقل مني في المال والصحة والبنين لأرضى بنعمة ربي وأشكره على إحسانه فأنال أجراً .

(٤) أكثر مني مالاوجاهاً وصحة وقوة . (٥) أن أود أهلي وأقاربي ذكورا وإناثا وأحسن إليهم .

لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ(١)، وَأَنْ أَتَكَلَّمَ بِمُرِّ الْحَقِّ، وَلَا تَأْخُذَنِي فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ(٢)، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا. رواه أحمد والطبراني من رواية الشعبي عن أبي ذرّ، ولم يسمع منه.

٢٥ — وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: يَاحَكِيمُ! هٰذَا الْمَالُ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فَقَالَ يَامَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ: أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَ اللهُ لَهُ فِي هٰذَا الْفَيْءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، وَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى تُوُفِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. رواه البخاريّ ومسلم والترمذي والنسائي باختصار.

[يرزأ] براء، ثم زاي، ثم همزة: معناه لم يأخذ من أحد شيئًا.

[وإشراف النفس] بكسر الهمزة، وبالشين المعجمة وآخره فاء: هو تطاولها وطمعها وشرهها [وسخاوة النفس] ضد ذلك.

٢٦ — وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ يَكْفُلُ(٣) لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا أَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا. رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وأبو داود بإسناد صحيح. وعند ابن ماجه قال: لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا. قَالَ: فَكَانَ ثَوْبَانُ يَقَعُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِيهِ حَتَّى يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ.

٢٧ — وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) أن أجلها ورداً صباح مساء. (٢) لا يهمني في الحق أحد كثير العتب والتعنيف.
(٣) يضمن.

قَالَ : ثَلَاثٌ : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا(١) عَلَيْهِنَّ : لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ ، فَتَصَدَّقُوا ، وَلَا يَعْفُو(٢) عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْئَلَةٍ(٣) إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ . رواه أحمد ، وفى إسناده رجل لم يُسَمَّ ، وأبو يعلى والبزار ، وتقدم فى الإخلاص من حديث أبى كبشة الأنمارى مطولا ، رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . ورواه الطبرانى فى الصغير من حديث أم سلمة ، وقال فى حديثه :

وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا فَاعْفُوا يُعِزَّكُمُ اللهُ ، والباقى بنحوه .

٢٨ — وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ : لَقَدْ سَمِعْتُ فُلَانًا وَفُلَانًا يُحْسِنَانِ الثَّنَاءَ يَذْكُرَانِ أَنَّكَ أَعْطَيْتَهُمَا دِينَارَيْنِ . قَالَ : فَقَالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : وَاللهِ لَكِنَّ فُلَانًا مَا هُوَ كَذَلِكَ لَقَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا بَيْنَ عَشَرَةٍ إِلَى مِائَةٍ فَمَا يَقُولُ ذَلِكَ ، أَمَا وَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُخْرِجُ(٤) مَسْأَلَتَهُ مِنْ عِنْدِى يَتَأَبَّطُهَا ، يَعْنِى تَكُونُ(٥) تَحْتَ إِبْطِهِ نَارًا ، فَقَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللهِ : لِمَ تُعْطِيهَا إِيَّاهُمْ ؟ قَالَ فَمَا أَصْنَعُ ؟ يَأْبَوْنَ(٦) إِلَّا ذَلِكَ ، وَيَأْبَى اللهُ لِيَ الْبُخْلَ(٧) .

رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

---

(١) لمقسما بالله كذا ع و د ، وفى ن ط : لحالفها . يريد صلى الله عليه وسلم أن الإنفاق لله يزيد المال ، ولا ينقصه . قال المتنبى :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله ... مخافة فقر فالذى فعل الفقر

ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالتصدق والإحسان رجاء الغنى والسعادة

وما ضاع مال ورث الحمد أهله ... ولكن أموال البخيل تضيع

وقال الله تعالى : (إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم) ١٩ من سورة الحديد .

يا أخى يخبرك سبحانه بالمضاعفة ، وزيادة الخير والنعم والثواب للمتصدقين والمتصدقات .

(٢) كذا ع ص ٢٨٠ ، وفى ن د : يعف ، والمعنى لا يصفح إنسان لله ولا يسامح لله ولا يتغاضى عن هفوته طلبا لمرضاة الله إلا أحاطه الله بصنوف الحفظ والمعالى والإكرام . قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ٤٠ من سورة الشورى . (٣) حاجة وذل ، والالتجاء إلى مخلوق فى قضاء وطره . وفيه الحث على الصدقة ، والغض عن الإساءة والقناعة والمحافظة على عزة النفس . قال الشاعر :

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

(٤) كذا ع و د ص ٢٨١ ، وفى ن ط : لتخرج مسألته .

(٥) يعنى أنها تسبب له النار والعذاب والهلاك . (٦) يكثرون الإلحاح . (٧) ولا يحب الله لى الشح .

وفى رواية جيدة لأبى يعلى : وإن أحدكم ليخرج بصدقته من عندى متأبطها ، وإنما هى له نار . قلت : يارسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها له نار ؟ قال : فما أصنع يأبون إلا مسئلتى[1] ، ويأبى الله عز وجل لى البخل[2] .

٢٩ — وعن أبى بشر قبيصة بن المخارق رضى الله عنه قال : تحملت حمالة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ، ثم قال : ياقبيصة : إن المسئلة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ، أو قال : سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة ، فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش ، أوقال سدادا من عيش ، فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا[3] . رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

[الحمالة] بفتح الحاء المهملة : هو الدية يتحملها قوم من قوم ، وقيل : هو ما يتحمله المصلح بين فئتين فى ماله ليرتفع بينهم القتال ونحوه [والجائحة] : الآفة تصيب الإنسان فى ماله [والقوام] بفتح القاف ، وكسرها أفصح : هو مايقوم به حال الإنسان من مال وغيره .

[والسداد] بكسر السين المهملة : هو ما يسد حاجة المعون ويكفيه .

[والفاقة] : الفقر والاحتياج . [والحجى] بكسر الحاء المهملة مقصورا : هو العقل

٣٠ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الطلب منى بإلحاف، ولم يتركوها للمحتاجين الفقراء . (٢) ويريد الله عز وجل أن يشمله بكرمه وأن يقيه شر البخل ، ويجعل اسمه جوادا سمحاً يعطى الكثير ولا يخشى الفقر صلى الله عليه وسلم .

(٣) يبين صلى الله عليه وسلم أن الإسلام عمل وعزة نفس وكرامة وشرف ، ويحذر من الامتهان والضعة وذل السؤال ، وأباح صلى الله عليه وسلم سؤال الناس لثلاثة :

ا — رجل أصبح بين متحاربين ووقف القتال بين طائفتين وتحمل الدية والغرامة ، والإنفاق على ما يجلب المودة والمحبة بينهما وأبطل سفك الدماء ولإراقته هدراً ، وتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين ، فله أن يسأل الناس ليعاونوه على هذه المهام الشاقة .

ب — من كان غنياً وافتقر ، ولا يقدر على الكسب .

ج — الفقراء والمساكين الضعفاء الذين يشهد لهم أصحاب العقول الراجحة السليمة ، غير أولئك باطل وحرام ونار فى بطون المحتاجين .

اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ، وَلَوْ بِشَوْصِ[١] السِّوَاكِ. رواه البزار والطبراني بإسناد جيد والبيهقي.

٣١ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ[٢] حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ[٣]، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ[٤]، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَسْكُتْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْغَنِيَّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ[٥]، وَيُبْغِضُ الْبَذِيَّ[٦] الْفَاجِرَ[٧] السَّائِلَ[٨] الْمُلِحَّ[٩].

رواه البزار.

٣٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ. فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ[١٠]، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ[١١]، وَعَفِيفٌ[١٢] مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ[١٣]. رواه ابن خزيمة فى صحيحه، وتقدم بتمامه فى منع الزكاة.

٣٣ — وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ لِي عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عِدَةٌ، فَلَمَّا فُتِحَتْ قُرَيْظَةُ جِئْتُ لِيُنْجِزَ إِلَيَّ مَا وَعَدَنِي فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْنِ[١٤] يُغْنِهِ[١٥] اللهُ، وَمَنْ يَقْنَعْ[١٦] يُقَنِّعْهُ[١٧] اللهُ

---

(١) بتنظيفه، شصت شوصا: غسلت غسلا: أى ولو بغسالته، وقيل: بما يتفتت منه عند التسوك. وكان صلى الله عليه وسلم يشوص فاه بالسواك: أى يدلك أسنانه وينقيها.
(٢) مسلم. (٣) مهلكاته وضرره. (٤) يحسن إليه ويبذل ماعنده ثقة بالله المعطى المخلف.
(٥) الذى لايسأل الناس. (٦) قبيح اللسان. (٧) الفاسق. (٨) كثير السؤال.
(٩) الشحاذ. (١٠) الذى مات مجاهداً فى سبيل نصر دين الله.
(١١) أدى حقوق الله وحقوق سيده، وحفظ ماله، وراعى الأمانة.
(١٢) أى يطلب العفاف. والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس وتكلف الصبر والنزاهة عن الشيء. (١٣) له أسرة ينفق عليها وأهل وأولاد، وجد فى عمل وقنع برزق الله له ومنه الحديث: «اللهم إنى أسألك العفة والغنى».
(١٤) يترك سؤال الناس. (١٥) يرزقه الله الغنى والسعادة.
(١٦) يرض بالقليل ويملأ قلبه إيمانا بربه وقناعة، والقنوع: الرضى باليسير من العطاء، وقنع يقنع قنوعا بالفتح: سأل. وقنع يقنع قنوعا وقناعة بالكسر: رضى. ومنه: القناعة كنز لاينفد، لأن الإنفاق منها لاينقطع كلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضى. ومنه حديث: «عز من قنع وذل من طمع» لأن القانع لايذله الطالب فلا يزال عزيزاً. (١٧) يرضه الله تعالى بما أعطى، ويفتح له باب رحمته.

فَقُلْتُ فِى نَفْسِى لَاجَرَمَ[١] لَا أَسْأَلُهُ شَيْئاً . رواه البزار ، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه ، قاله ابن معين وغيره .

٣٤ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ ، وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ : الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَالْعُلْيَا : هِىَ الْمُنْفِقَةُ ، وَالسُّفْلَى : هِىَ السَّائِلَةُ . رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ، وقال أبو داود : اختلف على أيوب عن نافع فى هذا الحديث . قال عبد الوارث : الْيَدُ الْعُلْيَا الْمُتَعَفِّفَةُ . وقال أكثرهم عن حماد بن يزيد عن أيوب المنفقة ، وقال واحد عن حماد : المتعففة [قال الخطابى] رواية من قال : المتعففة أشبه وأصحّ فى المعنى ، وذلك أن ابن عمر ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة ، والتعفف عنها ، فعطف الكلام جزم على سببه الذى خرج عليه وعلى مايطابقه فى معناه أولى ، وقد يتوهم كثير من الناس أن معنى العليا أن يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ ، يجعلونه من علوّ الشىء إلى فوق ، وليس ذلك عندى بالوجه ، وإنما هو من علا المجد والكرم ، يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها ، انتهى كلامه ، وهو حسن .

٣٥ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْأَيْدِى ثَلَاثَةٌ : فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا ، وَيَدُ الْمُعْطِى الَّتِى تَلِيهَا ، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى[٢] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَاسْتَعِفَّ[٣] عَنِ السُّؤَالِ ، وَعَنِ الْمَسْأَلَةِ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنْ أُعْطِيتَ شَيْئاً أَوْ قَالَ خَيْرًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ[٤] ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ[٥] ، وَارْضَخْ مِنَ الْفَضْلِ[٦] ، وَلَا تُلَامُ

---

(١) هذه كلمة ترد بمعنى تحقيق الشىء: أى حقاً، أو لابد . قال تعالى (لاجرم أن لهم النار) أى ليس الأمر كما قالوا ، ثم ابتدأ فقال : وجبت لهم النار: أى قد وجب أن لاأسأله شيئاً صلى الله عليه وسلم، واستفاد الصحابى من حديثه صلى الله عليه وسلم العظة والقناعة والاعتماد على الله والثقة به سبحانه .

(٢) السائلة الممدودة للعطاء . (٣) اطلب العفاف .

(٤) فلتظهر نعمة الله عليك بحمده وتقنع وتتجمل وتنفق. (٥) قدم فى النفقة الزم من أقاربك وأهلك.

(٦) أى أعط من نعمة الله وجد ، والرضخ : العطية القليلة : أى تصدق على قدر طاقتك .

واقنع بما قسم الله الكريم ولا تبسط يديك لنيل الرزق من أحد

أقوال الشعراء فى القناعة

وأكل كسيرة فى جنب بيتى أحب إلى من أكل الرغيف

عَلَى الْـكَفَافِ . رواه أبو يعلى ، والغالب على رواته التوثيق ، ورواه الحاكم ، وصحح إسناده .

ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلى من لبس الشفوف

هي القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

قنعت بالقوت من زماني ... وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا ... فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا ... فلا أبالي إذا جفاني
ومن رآني بعين نقص ... رأيته بالتي رآني
ومن رآني بعين تم ... رأيته كامل المعاني

إذا المرء عوفي في جسمه ... وملكه الله قلبا قنوعا
وألقى المطامع عن نفسه ... فذاك الغني ولو مات جوعا

والنفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت ... فجميع ما في الأرض لا يكفيها

إن القنوع نفيس النفس راشدها ... وهو الغني الذي يحيا بلا نصب
وذو المطامع مغرور ومفتقر ... ولو حوى ملك سلطان وعلم نبي

أفادتني القناعة كل عز ... وهل عز أعز من القناعه

ولقد طلبت رضا البرية جاهداً ... فإذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزاً له ... والبر أفضل ما به يتمسك

إذا أنت طالبت الرجال نوالهم ... فعف ولا تطلب بجهد فتنكد

وللإمام على كرم الله وجهه :

قدم لنفسك في الحياة تزوداً ... فلقد تفارقها وأنت مودع
واجعل تزودك المخافة والتقى ... فلعل حتفك في مسائك أسرع
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى ... والفقر مقرون بمن لا يقنع

وله أيضاً :

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجملا ... نبا بك دهر أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غنى النفس إن قل ماله ... ويغنى غنى المال وهو ذليل
ولا خير في ود امرئ متلون ... إذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوان حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليل

وللإمام الشافعي رضى الله عنه :

ولا ترج السماحة من بخيل ... فما في النار للظمآن ماء

٣٦ – وَعَنْ مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ : فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا ، وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى، فَأَعْطِ(١) الْفَضْلَ، وَلَا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ . رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له .

٣٧ – وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ(٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

ورزقك ليس ينقصه التأنى ... وليس يزيد فى الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواء

ولقيس بن الخطيم :

وكل شديدة نزلت بقوم ... سيأتى بعد شدتها رخاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص ... وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى ... وفقر النفس ما عمرت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال ... ولا مزر بصاحبه السخاء

ولأبى الفتح البستى :

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ... فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمة ... والحر بالعدل والإحسان يزدان
صن حر وجهك لاتهتك غلالته ... فكل حر لحر الوجه صوان
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
كفى من العيش ما قد سد من عوز ... ففيه للحر غنيان وغنيان
وذو القناعة راض من معيشته ... وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان

واقنع إذا حاربت بالسلامه ... واحذر فعالا توجب الندامه

واقنع بما أعطاك من فضله ... واشكر لموليك على نعمته

ولصلاح الدين الصفدى :

من جاد ساد وأحيا العالمون له ... بديع حمد بمدح الفعل متصل
من رام نيل العلا بالمال يجمعه ... من غير حل بلى من جهل وبلى

(١) تصدق بما زاد عن حاجتك ، وجد عن سعة. قال تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون؟ قل العفو) أى الباقى عن حاجتك . قال البيضاوى : قيل سائله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الجموح ، سأل أولا عن المنفق والمصرف ، ثم سأل عن كيفية الإنفاق . والعفو : نقيض الجهد ، ومنه يقال للأرض السهلة ، وهو أن ينفق ماتيسر له بذله ، ولا يبلغ منه الجهد . قال :

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب

وروى «أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها فى بعض المغانم،فقال :خذها منى صدقة فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كرر عليه مرارا ، فقال : هاتها مغضبا ، فأخذها فحذفها حذفا لو أصابه لشجه ، ثم قال : يأتى أحدكم بماله كله يتصدق به ، ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى » انتهى .

(٢) قال الشرقاوى : هو الأسدى المكى ولد بجوف الكعبة فيما حكاه الزبير بن بكار ،وهو ابن أخى أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وعاش مائة وعشرين سنة شطرها فى الجاهلية، وشطرها فى الإسلام =

الْيَدُ الْعُلْيَا(١) خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى(٢) ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ(٣) ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى(٤) ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ(٥) يُعِفَّهُ(٦) اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ(٧) يُغْنِهِ اللهُ(٨) . رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم .

٣٨ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ(٩) مَا عِنْدَهُ قَالَ : مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ(١٠) ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ(١١) يُصَبِّرْهُ اللهُ(١٢) ، وَمَا أَعْطَى اللهُ أَحَدًا عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ(١٣) . رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

٣٩ — وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ،

= وأعتق مائة رقبة ، وحج في الإسلام ، ومعه مائة بدنة، ووقف بعرفة بمائة رقبة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، وأهدى ألف شاة، ومات بالمدينة سنة خمسين أو أربع أو ثمان وخمسين ، أو سنة ستين اهـ .

(١) المنفقة . (٢) السائلة .

(٣) أي يجب عليك نفقته من القوت والكسوة وغيرهما، زاد النسائي: «أمك وأباك وأختك ثم أدناك أدناك» وعنده أيضاً عن أبي هريرة «قال رجل: يارسول الله عندي دينار . قال: تصدق به على نفسك . قال: عندي آخر . قال تصدق به على زوجك . قال عندي آخر . قال : تصدق به على ولدك . قال : عندي آخر . قال: تصدق به على خادمك . قال : عندي آخر . قال : أنت أبصر به» رواه أبو داود والحاكم لكن بتقديم الولد على الزوجة . وعند أصحاب الشافعي تقديم الزوجة اهـ شرقاوي صفحة ٦٥ ج ٢ .

(٤) أي ما كان عن ظهر غنى . قال في النهاية: أي ما كان عفوا قد فضل من غنى ، وقيل: أراد ما فضل عن العيال . كأن صدقته مسندة إلى ظهر قوي من المال ، والمعنى عن غنى يستظهر به عن النوائب التي تنوبه اهـ شرقاوي . (٥) أي يطلب من الله العفة ، وهي الكف عن الحرام ، وسؤال الناس .

(٦) يعطيه ذلك . (٧) أي يطلب من الله العفاف والغنى . (٨) يعطه ذلك . (٩) فرغ .

(١٠) ولن أحبسه وأخبأه ، وأمنعكم إياه ، ولن أجعله ذخيرة لغيركم .

(١١) يعالج في الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا .

(١٢) يرزقه الله الصبر، وقال بعضهم: من يطلب العفة عن السؤال، ولم يظهر الغنى يصيره الله عفيفاً، ومن ترق وأظهر الاستغناء عن الخلق ملأ الله قلبه غنى .

(١٣) قصر النفس على ما يرضي الله وحبسها على المكاره وهو جامع لمكارم الأخلاق وأعظمها صلى الله عليه وسلم ، ثم نبههم على موضع الفضيلة .

وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ . رواه الطبراني فى الأوسط بإسناد حسن .

٤٠ – وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . رواه البخارى ومسلم ، وأبوداود والترمذى والنسائى .

[العرض] بفتح العين المهملة والراء : هو كل ما يقتنى من المال وغيره .

٤١ – وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا . رواه مسلم وغيره .

٤٢ – وَعَنْ أَبِى ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَفَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ (١) وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ (٢) . رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث يأتى إن شاء الله تعالى .

٤٣ – وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِى تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِى لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ . رواه البخارى ومسلم .

٤٤ – وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ . رواه مسلم والترمذى وغيرها .

٤٥ – وَعَنْ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : طُوبَى (٣) لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم

[الكفاف] من الرزق : ما كفا عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة .

---

(١) شعور الإنسان بالعزة ، واكتفاؤه بخيرات الله التى عنده .

(٢) شعوره بالذلة والحاجة ، ولو كثر ماله . (٣) شجرة فى الجنة يتمتع بظلها الوارف .

٤٦ — وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ(١) تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى . رواه مسلم والترمذى وغيرهما .

٤٧ — وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِيَّاكُمْ(٢) وَالطَّمَعَ : فَإِنَّهُ هُوَ الْفَقْرُ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ . رواه الطبرانى فى الأوسط .

٤٨ — وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَي النَّبِيَّ صلي الله عليه وسلم رَجُلٌ ، فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ : أَوْصِنِي وَأَوْجِزْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : عَلَيْكَ بِالْإِيَاسِ(٣) مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ ، فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ(٤) ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ . رواه الحاكم والبيهقي فى كتاب الزهد واللفظ له ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد كذا قال .

٤٩ — وَرُوِيَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: الْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لاَ يَفْنَي . رواه البيهقي فى كتاب الزهد ، ورفعهُ غريب .

٥٠ — وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخُطَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ مُعَافًى(٥) فِي بَدَنِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

[فى سربه] بكسر السين المهملة : أى فى نفسه .

---

(١) هو بفتح همزة أن ، ومعناه إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه فى آخرته ، وهذا كله شر، ومعنى «لاتلام على كفاف» أن قدر الحاجة لالوم على صاحبه وهذا إذا لم يتوجه فى الكفاف حق شرعى كمن كان له نصاب زكوى، ووجبت الزكاة بشروطها وهو محتاج إلى ذلك النصاب لكفافه وجب عليه إخراج الزكاة ، ويحصل كفايته من جهة مباحة ، ومعنى « ابدأ بمن تعول » أن العيال والقرابة أحق من الأجانب اهـ نووى ص ١٢٧ ج ٧ .

(٢) احذروا الطمع المضيع للمروءة ، ولإكرام الضيف ، ولحقوق الله تعالى ، واحذروا الوقوع فى الدنايا والسفاسف والقبائح والبخل ، وكل مايحوجك إلى عذر .

(٣) القنوط ، وعدم رجاء خير من أحد مطلقاً ، من أيس مقلوب يئس وآيسه فاستيأس .

(٤) كذا ع ص ٢٨٥ ، وفى ن د : خاص : أى فقر عاجل وشره ودناءة ، وباب الذل والمسكنة .

(٥) ممتعاً بالصحة . (٦) بجوانبها ، وما فيها من خيرات ، والحذافير : الجوانب ، وقيل : الأعالى واحدها حذفار ، وقيل : حذفور : أى فكأنما أعطى الدنيا بأسرها .

٥١ — وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : بَلَى . حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ . قَالَ : ائْتِنِي بِهِمَا ، فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ ، وَقَالَ مَنْ يَشْتَرِي هٰذَيْنِ . قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ . قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا . قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ ، وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي[1] بِهِ ، فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عُودًا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَفَعَلَ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : هٰذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ . رواه أبو داود والبيهقى بطوله ، واللفظ لأبى داود ، وأخرج الترمذى والنسائى منه قصة بيع القدح فقط ، وقال الترمذى : حديث حسن .

[الحلس] بكسر الحاء المهملة ، وسكون اللام وبالسين المهملة : هو كساء غليظ يكون على ظهر البعير ، وسمى به غيره مما يداس ، ويمتهن من الأكسية ونحوها .

[الفقر المدقع] بضم الميم ، وسكون الدال المهملة ، وكسر القاف : هو الشديد الملصق صاحبه بالدقعة ، وهى الأرض التى لا نبات بها .

[والغرم] بضم الغين المعجمة ، وسكون الراء : هو ما يلزم أداؤه تكلفاً لا فى مقابلة عوض .

[والمفظع] بضم الميم ، وسكون الفاء وكسر الظاء المعجمة : هو الشديد الشنيع .

[وذو الدم الموجع] : هو الذى يتحمل دية عن قريبه . أو حميمه ، أو نسيبه القاتل يدفعها إلى أولياء المقتول ، ولو لم يفعل قتل قريبه ، أو حميمه الذى يتوجع لقتله .

٥٢ — وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم :

(١) كذا ع س ٢٨٦ و د ، وفى ط : فائت .

لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَمْ مَنَعُوهُ(١). رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما.

٥٣ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ. رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

٥٤ — وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ(٢)، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ(٣). رواه البخاري.

---

(١) فيه الحث على الصدقة والأكل من عمل يده، والاكتساب بالمباحات كالحطب والحشيش النابتين في موات اهـ نووي ص ١٣١ ج ٧.

والمعنى ليذهب السائل، فيحترف بعمل جل أو حقر، ولو يجمع الحطب ليحفظ ماء وجهه أن يراق في السؤال خير من أن يمد يده للناس سواء أخذ أم حرم.

(٢) أي خير الطعام وأهناه ما كان من كسب يد الإنسان بكده وكدحه، ولم يكن استجداء أو تكففاً فيحترف بأي عمل، ويمتهن بأي مهنة لأن الاستجداء يورث الذلة والاستكانة، ويسقط المروءة، ويدعو إلى قلة الأدب.

(٣) يصنع الدروع من الحديد لا عن فاقة أو حاجة بل كان ملكا ممسكا ذا جاه وثروة وسلطان ونبوة فيدخ المال ويكد، وضرب مثلا أعلى للحداد الصانع الماهر، واختار أن يأكل من عرق جبينه، وصنع يده رجاء قبول الأعمال عند الله تعالى، وليقتدى به أبناء الأمة، ويحث على العمل، وكسب الرزق من الطرق المشروعة، ولو أدت إلى اقتحام المخاطر، وركوب متن الأهوال، ويمقت التواكل والبطالة، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة قبل بعثته، ويعيش من ربحها، وكذلك الصحابة، وعظماء المسلمين من بعده.

فقه الدين الإسلامي يدعو إلى إعزاز النفس بالعمل، وحفظها من الامتهان.

قد بين صلى الله عليه وسلم أن السائل يوم القيامة يأتي كهيكل عظمي ذهبت نضارته، وضاعت هيبته، وقل حياؤه لأنه كان في حياته وكلا غير معتمد على ربه كثير الإلحاح ضعيف الإيمان «وليس في وجهه مزعة لحم» قال القاضي: قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلا ساقطاً لا وجه له عند الله، وقيل: لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب، وسأل بوجهه، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالا منهياً عنه اهـ. نووي ص ١٣٠ ج ٧.

يقول الله تعالى: (وأما السائل فلا تنهر) أي فلا تزجره، والمراد به المحتاج غير القادر على الكسب، وقد حرم العلماء إعطاء القادر على الكسب صدقة.

وإذا قرأت الباب وجدت صفة مشوهة تلزق بالسائل يوم القيامة يعرف بها «كدوح» على أن الله يرزق السائل ضعة ودناءة وطمعاً وشرهاً لعدم تعففه، ثم انظر أعزك الله إلى دستور العمل قوله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقد استفاد الصحابة رضي الله عنهم من حكم رسول الله صلى الله

ترغيب من نزلت به فاقة أو حاجة أن ينزلها بالله تعالى

١ — عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم: مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ(١)، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ(٢) فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ(٣)، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ(٤) أَوْ آجِلٍ. رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح ثابت، والحاكم وقال: صحيح الإسناد إلا أنه قال فيه: أرسلَ اللهُ له بالغنى إما بموتٍ عاجلٍ أو غِنًى آجلٍ. [يوشك: أى يسرع وزنا ومعنى].

٢ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ جَاعَ، أَوِ احْتَاجَ(٥) فَكَتَمَهُ النَّاسَ، وَأَفْضَى بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ

عليه وسلم، وتعلموا الاعتماد على النفس:

ا — (رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدا يناوله إياه)..

ب — (البيعة يشترط على أن لا أسأل الناس شيئاً).

ج — أبو بكر رضى الله عنه يأخذ خطام ناقته بنفسه بعد أن ينيخها.

د — (ثوبان ينزل فيأخذ سوطه ـ وما يأخذ من رجل يناوله).

تلك أمثلة أربعة تمثل الشجاعة والكرامة، والنفس العالية، والثقة المتناهية بالله سبحانه وتعالى وحده (الله الصمد) سائل الله لا يخيب.

وكثيرا ماحذر صلى الله عليه وسلم من السؤال، وأبى حكيم بن حزام أن يقبل الصدقة بعد نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بين عليه الصلاة والسلام شهادة أهل الخبرة بباطن السائل واستحقاقه ليعطيه المحسنون. قال الجمهور: يقبل من عدلين.

(١) فقر وحاجة (٢) كذا ع ص ٢٨٧ ود، وفى ن ط: تسد، يعنى لم يغنه فقره ويزيده الله احتياجا

(٣) سلمها لله وشكا أمره لبارئه. وأخذ فى عمل وجد واحترف واعتمد على رازقه سبحانه ولم يتواكل

(٤) سهل الله له أمور معاشه، ووضع البركة فى مكسبه، وزاده من نعمه سبحانه بسرعة أو بعد زمن وفيه التحلى بالصبر عند الشدائد، وتحمل المكاره، والجد فى طلب الرزق.

(٥) أى وجد نفسه فى حاجة إلى طعام، أو افتقر إلى شىء ولم يسأل أحدا، وشكا إلى الله وحده تكفل الله بزيادة رزقه، ومدده، وأمده بخيراته. قال تعالى:

ا — (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) من سورة سبا.

ب — (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) ٣٣ من سورة يونس.

ج — (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا) ٤ من سورة الطلاق.

د — (كلوا من طيبات مارزقناكم) (وفى السماء رزقكم وما توعدون ٢٢ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ٢٣ من سورة الذاريات.

أَنْ يَفْتَحَ لَهُ قُوتَ سَنَةٍ مِنْ حَلَالٍ . رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

هـ — (والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد) قيل : عنى به الأغذية ، وقيل : فيما يؤكل ويلبس .
و — (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) من سورة الذاريات .
(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون) ١٩ من سورة الحجر
ز — (وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ٢١ وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) ٢٢ من سورة الحجر .
قال علماء التوحيد : جاع رجل فى صحراء ، فقال : يارب أين رزقك الذى وعدتنى به ؟ فرزقه الله الشبع .
ح — (أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين ٧٣ وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ٧٤ وإن الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) ٧٥ من سورة المؤمنون .
(خرجا) أى أجراً على أداء الرسالة (فخراج ربك) أى رزقه فى الدنيا ، وثوابه فى العقبى (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم ، والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ماتخرجه إلى غيرك ، والخراج غالب فى الضريبة على الأرض ، ففيه إشعار بالكسرة واللزوم فيكون أبلغ ، ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (لناكبون) أى لعادلون عنه ، فإن خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق ، وسلوك طريقه اهـ بيضاوى .
ط — (ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) ٢٠ من سورة لقمان ، فالله هو المنعم الذى يسأله الناس .
ى — (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء) ٤٠ من سورة الروم .
ك — (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون) ١٧ من سورة العنكبوت .
هذا قل من كثر ، وغيض من فيض دلائل الله ، على أنه الرزاق الواهب المنعم المعطى الخير ، فهو الذى يرجى وما على الإنسان إلا أن يجد ويعمل ويحترف ، ويعتمد عليه جل وعلا ، فالدنيا دار عمل بلا حساب والآخرة حساب بلا عمل .

دع الحرص على الدنيا ... وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال ... فما تدرى لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم ... وسوء الظن لاينفع
فقير كل ذى حرص ... غنى كل من يقنع

ينقص المسلمين الآن الجود والاعتماد على الله ، وبذل النفيس فى مشروعات الخير وأعمال البر ، وقد تصدق مرة سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما ، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا أبقيت من مالك ياأبا بكر ؟ فقال : حب الله ورسوله ، ثم سأل صلى الله عليه وسلم عمر ، فقال : شطر مالى (انظر إحياء الغزالى) .

وقد جهز سيدنا عثمان رضى الله عنه جيشاً بأسره ، وكان سيدنا الزبير صاحب أراض ومزارع واسعة وكان سيدنا طلحة صاحب أملاك وعقارات ، وقد اقتنى البيوت فى البصرة والإسكندرية ، وكان عبدالرحمن بن عوف من ذوى اليسار الطائل ، حدثنا التاريخ أن ثروة هؤلاء العظماء فى إسداء مكارم ، وأداء مغارم وفى مايهم الأمة (حتى إن عبد الرحمن بن عوف كان إذا تأمل النعمة التى كان فيها يغلب عليه البكاء ويقول : عسى أن لاتكون هذه النعمة فى العاجلة هى نصيبنا عن نعيم الآجلة) أو ماهو بمعناه ، وقد جاع الناس عام الرمادة فبقى عمر وعائلته يأتدمون بالزيت طول مدة تلك المسغبة ، كانوا يلبسون الخشن ولا يجيز أحدهم لبس شىء من

الترهيب من أخذ ما دفع من غير طيب نفس المعطى

١ — عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ: إِنَّ هٰذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ[1] حُلْوَةٌ[2] فَمَنْ أَعْطَيْنَاهُ مِنْهَا شَيْئاً بِطِيبِ نَفْسٍ مِنَّا، وَحُسْنِ طُعْمَةٍ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ شَرَهِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَعْطَيْنَاهُ مِنْهَا شَيْئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنَّا، وَحُسْنِ طَعْمَةٍ[3] مِنْهُ، وَشَرَهِ نَفْسٍ كَانَ غَيْرَ مُبَارَكٍ لَهُ فِيهِ. رواه ابن حبان فى صحيحه، وروي أحمد والبزار منه الشطر الأخير بنحوه بإسناد حسن.

[الشره] بشين معجمة محركا: هو الحرص.

٢ — وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: لَا تُلْحِفُوا[4] فِى الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً فَتُخْرِجُ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّى شَيْئاً، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ فَيُبَارَكُ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ. رواه مسلم والنسائى والحاكم، وقال صحيح على شرطهما.

٣ — وَفى رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وَسلم يَقُولُ: إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَمُبَارَكٌ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، وَشَرَهِ نَفْسٍ[5] كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. [لاتلحفوا]: أي لاتلحوا فى المسألة.

٤ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم: لَا تُلْحِفُوا فِى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَخْرِجُ مِنَّا شَيْئاً بِهَا لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ. رواه أبو يعلى، ورواته محتج بهم فى الصحيح.

الخبز إلا ابالة، وكانوا يأكلون الخشن، ولا يعرفون الحلو إلا نادراً. هذا وشذور الذهب من معدن بنى سليم تقطع بالفؤوس، وبيت المال يغص بالذهب والفضة والياقوت والمرجان واللؤلؤ والعنبر والطيب يرونها بأعينهم ولا يشتاقون الى شىء منها بل ينظرون إليها نظرهم الى التراب ذلك من شدة غنى قلوبهم، وكثرة انصرافهم الى ماهو خير وأبقى، وامتلاء نفوسهم بمعالى الأمور اهـ من مقالة لأمير البيان الأمير شكيب أرسلان من جهاد ٣٠ من ذى القعدة سنة ١٣٥٢.

(١) نوع من البقول ليس من أحرارها وجيدها: أى صنف ردىء. (٢) أى طعمها لذيذ.

(٣) طعمة، كذا ع ص ٢٨٧، وفى ن ط: طمعة.

(٤) كذا ع، وفى ن د: لاتلحوا. (٥) جشعه.

٥ — وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِينِي فَيَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ فَيَنْطَلِقُ ، وَمَا يَحْمِلُ فِي حِضْنِهِ إِلَّا النَّارَ . رواه ابن حبان فى صحيحه .

٦ — وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقْسِمُ ذَهَبًا إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ أَعْطِنِي ، فَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي فَزَادَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ وَلَّى مُدْبِرًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ، ثُمَّ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ وَلَّى[1] مُدْبِرًا ، وَقَدْ جَعَلَ فِي ثَوْبِهِ نَارًا إِذَا انْقَلَبَ إِلَى أَهْلِهِ . رواه ابن حبان فى صحيحه .

---

(١) كذا ع و د ، وفى ن ط يولى : أى يذهب معه النار من السؤال .

المحتاج يتأدب فى سؤاله ، ولا يسأل إلا مضطراً ، والمحسنون يجودون ببشاشة .

اتفق العلماء على تحريم المسألة إلا إذا لم تكن ضرورة وكان السائل غير قادر على الكسب وتجد نصائح غالية منه صلى الله عليه وسلم فى الزهد والتنفير فى جمع المال (خضرة حلوة) شبهه صلى الله عليه وسلم فى الرغبة فيه ، والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده فاجتماعهما أشد وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضراوات لاتبقى ولا تراد للبقاء اهـ نووى ص ١٢٦ ج ٧ ، فمن أخذ المال بطيب نفس : أى بغير سؤال ولا إشراف وتطلع بارك الله له ، وقيل: بطيب نفس المعطى المحسن الذى يدفع منشرحا بدفعه إليه طيب النفس لابسؤال اضطره إليه بل سعى المحسن الى الفقير وأعطاه وكان الرضا من الجانبين والمحبة متبادلة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو المحسن إلى البشاشة والإقبال على الإنفاق بثغر باسم ، ونفس مطمئنة ، وكذا المحتاج يعتمد على ربه ولا يلح .

قال العلماء : شروط السؤال ثلاثة :

أولا : أن لايذل نفسه . ثانياً : أن لايلح فى السؤال ثالثاً : أنه لايؤذى المسئول ، ثم انظر رعاك الله إلى المثل العالى للشره الطامع الدنئ السؤال (كالذى يأكل ولا يشبع) أى إن الذى لايملأ قلبه إيمانا بالله وثقة به واعتماداً على مولاه الرزاق أرخى لنفسه العنان فى الشحاذة ، واسترسل فى إراقة ماء وجهه ولم يكتف ولو كان عنده مال قارون . قال النووى : قال العلماء : إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه اهـ ص ١٢٦ ج ٧ ، وهو صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وقدوة طيبة وكريم جواد يأتى إليه السائل فلا يرده ، وعلم صلى الله عليه وسلم بغى ذلك السائل الطامع فأعطاه سماحة ولكن خرج متأبطاً ناراً ومندفعا فى طيار الذلة والمسكنة والخذلان وفقد المروءة وجرى فى ميدان النذالة وما أحسن تعبيره الشريف وعذوبة ألفاظه (ويأبى الله لى البخل) . والناس صنفان :

ا — غنى موسر حامد شاكر متصدق معط بسماحة وطيب نفس يهرع إليه الفقراء .

ب — غنى فقير النفس شحيح بخيل يشير إلى النوعين قوله تعالى : (فأما الإنسان إذا ماابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا بل لاتكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لما وتحبون المال حباً جماً) ٢١ من سورة الفجر .

٧ — وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَارَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فُلَانًا يَشْكُرُ يَذْكُرُ أَنَّكَ أَعْطَيْتَهُ دِينَارَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَكِنَّ فُلَانًا قَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا بَيْنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الْمِائَةِ فَمَا شَكَرَهُ وَمَا يَقُولُهُ ؟ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي بِحَاجَتِهِ مُتَأَبِّطَهَا، وَمَا هِيَ إِلَّا النَّارُ . قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ لِمَ تُعْطِهِمْ ؟ قَالَ : يَأْبَوْنَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلُونِي ، وَيَأْبَى اللهُ لِيَ الْبُخْلَ

رواه ابن حبان فى صحيحه ، ورواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد ، وتقدم .

[متأبطها] : أي جاعلها تحت إبطه .

ترغيب من جاءه شيء من غير مسألة ولا إشراف نفس فى قبوله

سيما إن كان محتاجا ، والنهى عن رده وإن كان غنيا عنه

١ — عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُعْطِينِي

(ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر فأعطى له ، والثانى بالفقر والتقتير (أهانن) لقصور نظره وسوء فكره ، فإن التقتير قد يؤدى إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى إلى قصد الأعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله (كلا) أى بل فعلهم أسوأ من قولهم ، وأدل على تهالكهم بالمال ، وهو أنهم لايكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم (التراث) الميراث (لما) أى جمعا بين الحلال والحرام ، فإنهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم (حباً جماً) كثيراً مع حرص وشره اهـ بيضاوى ٨٢٧ .

فالمال إنما وجد لكسب المحامد ، وغرس الصالحات ، وتشييد المكرمات إذا أنفق بطيب نفس ، والله أوجد بنى آدم فى الحياة ليكد ، ويجاهد نفسه ، ويعمل صالحاً ، فيجازى خيرا كما قال سبحانه : (لقد خلقنا الإنسان فى كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ماالعقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة) ١٩ من سورة البلد .

(فى كبد) تعب ومشقة ومنه المكابدة والإنسان لايزال فى شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده ، وهو تسليه للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش (مالا لبدا) كثيراً لمن أنفق فى سمعة أو مفاخرة أو معاداة للرسول صلى الله عليه وسلم (النجدين) طريقى الخير والشر أو الثديين (فلا اقتحم العقبة) أى فلم يشكر تلك الأيادى باقتحام العقبة ، وهو الدخول فى أمر شديد ، والعقبة: الطريق فى الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والإطعام لما فيهما من مجاهدة النفس، إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا . والمسغبة والمقربة والمتربة : مفعلات ، من سغب إذا جاع ، وقرب فى النسب ، وترب : إذا افتقر (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله تعالى ، وبالرحمة على عباده ، أو بموجبات رحمته تعالى (ثم كان) عطف على اقتحم لاستقلال الإيمان ، واشتراط سائر الطاعات به (الميمنة) اليمين اهـ بيضاوى ٨٢٨ .

الْعَطَاءَ[١] ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ مَنْ هُوَ إِلَيْهِ أَفْقَرُ مِنِّي . قَالَ فَقَالَ : خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هٰذَا الْمَالِ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ[٢] وَلَا سَائِلٍ ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ ، فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ ، وَمَا لَا[٣] فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ. قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ كَانَ عَبْدُ اللهِ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا ، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ . رواه البخاري ومسلم والنسائي .

٢ — وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِعَطَاءٍ فَرَدَّهُ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لِمَ رَدَدْتَهُ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ خَيْرًا لِأَحَدِنَا أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا ذٰلِكَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ[٤] ، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللهُ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا ، وَلَا يَأْتِينِي شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ إِلَّا أَخَذْتُهُ[٥] . رواه مالك هكذا مرسلا . ورواه البيهقي عن زيد بن أسلم عن أبيه . قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: فذكر بنحوه .

٣ — وَعَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرٍ بَعَثَ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِنَفَقَةٍ وَكِسْوَةٍ ، فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : أَيْ بُنَيَّ لَا أَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا ، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّسُولُ ، قَالَتْ : رُدُّوهُ عَلَيَّ ، فَرَدُّوهُ قَالَتْ : إِنِّي ذَكَرْتُ شَيْئًا ، قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلي اللهُ عليه وسلم: يَا عَائِشَةُ مَنْ أَعْطَاكِ عَطَاءً مِنْ غَيْرِ[٦] مَسْأَلَةٍ فَاقْبَلِيهِ فَإِنَّمَا هُوَ

---

(١) فيه جواز الأخذ بغير سؤال ولا تطلع . قال النووى : فيه منقبة لعمر رضى الله عنه، وبيان فضله وزهده وإيثاره اه . (٢) متطلع إليه حريص عليه .

(٣) مالم يوجد فيه هذا الشرط لاتعلق النفس به . قال النووى : الصحيح المشهور الذى عليه الجمهور (فيمن جاءه مال) أنه يستحب فى غير عطية السلطان ، وأما عطية السلطان . فحرمها قوم ، وأباحها قوم ، وكرهها قوم ، والصحيح أنه إن غلب الحرام فيما فى يد السلطان حرمت ، وكذا إن أعطى من لايستحق ، وإن لم يغلب الحرام فمباح إن لم يكن فى القابض مانع يمنعه من استحقاق الأخذ ، وقالت طائفة : الأخذ من السلطان واجب وغيره ، وقال آخرون : هو مندوب فى عطية السلطان دون غيره ، والله أعلم اه ص ١٣٠ ج ٧ .

وأنا أميل إلى التعفف عن أموال الحكام والتباعد عن عطاياهم والاجتهاد فى مهنة تقيه شر السؤال ،

(٤) السؤال والإلحاح . (٥) يأخذه هدية ومودة وصلة .

(٦) كذا د و ع ص ٢٨٩ ، وفى ن ط : بغير .

رِزْقٌ عَرَّضَهُ اللهُ إِلَيْكَ . رواه أحمد والبيهقى ، ورواة أحمد ثقات لكن قد قال الترمذى قال محمد: يعنى البخارى لا أعرف للمطلب بن عبدالله سماعا من أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلا قوله حدثنى من شهد خطبة النبى صلى الله عليه وسلم ، وسمعت عبد الله ابن عبد الرحمن يقول: لانعرف للمطلب سماعا من أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم.

[قال الملى] رضى الله عنه : قد روى عن أبى هريرة ، وأما عائشة ، فقال أبو حاتم : المطلب لم يدرك عائشة ، وقال أبو زرعة : ثقة أرجو أن يكون سمع من عائشة ، فإن كان المطلب سمع من عائشة فالإسناد متصل ، وإلا فالرسول إليها لم يسم ، والله أعلم .

٤ — وَعَنْ وَاصِلِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ قُلْتَ لِي إِنَّ خَيْرًا لَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ شَيْئًا. قَالَ إِنَّمَا ذَاكَ أَنْ تَسْأَلَ . وَمَا آتَاكَ اللهُ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ رَزَقَكَهُ(١) اللهُ . رواه الطبرانى وأبو يعلى بإسناد لا بأس به.

٥ — وَعَنْ خَالِدِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ بَلَغَهُ عَنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ(٢) مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، وَلَا إِشْرَافِ(٣) نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ . رواه أحمد بإسناد صحيح، وأبو يعلى والطبرانى ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

٦ — وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ آتَاهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ هٰذَا الْمَالِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ فَلْيَقْبَلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ . ورواته محتج بهم فى الصحيح .

٧ — وَعَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : مَنْ عُرِضَ لَهُ مِنْ هٰذَا الرِّزْقِ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ(٤) ، وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ(٥) فَلْيَتَوَسَّعْ بِهِ فِي رِزْقِهِ ، فَإِنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيُوَجِّهْهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ(٦) . رواه أحمد والطبرانى والبيهقى، وإسناد أحمد جيد قوى. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت

(١) كذا ع و ط ، وفى ن د : رزقه ، والمعنى إذا أرسل الله لك خيراً بلا طلب فاقبله محبة وفضلا .

(٢) نعمة وهدية وهبة ، وشىء جاءك عفوا وتفضلا وإحساناً .

ولم أر كالمعروف أما مذاقه ... فحلو وأما طعمه فجميل

(٣) كذا ع و د ، وفى ن ط : إشراف فقط . (٤) طلب .

(٥) تطلعها وإقبالها عليه بشره وطمع . (٦) يقبله شاكراً ، ثم يتصدق به على الفقير ، وفيه قبول الهدية ، والثناء على مهديها ، والتفضل على المحتاج ، وتبادل المحبة والمنفعة .

أي ما الاستشراف؟ قال: تقول في نفسك سيبعث إليّ فلان سيصلني فلان .

٨ — وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا الْمُعْطِي مِنْ سَعَةٍ بِأَفْضَلَ مِنَ الآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا[1] . رواه الطبراني في الكبير .

٩ — وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى اللهُ عليه وسلم: مَا الَّذِي يُعْطِي بِسَعَةٍ بِأَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يَقْبَلُ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا. رواه الطبراني في الأوسط ، وابن حبان في الضعفاء .

(١) أي ليس المتصدق من مال وفير وخيرات كثيرة ، أفضل عند الله من الفقير الذي يقبل الصدقة لله معتمداً على مولاه حامداً وشاكراً لله . الله ربهما ، وأراد للأول الغنى ليختبره ، وأراد للثاني الفقر ليختبره سبحانه لعلمه لحكمة . قال تعالى : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير ٢٨ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) ٢٩ من سورة الشورى .

(لبغوا) لتكبروا ، وأفسدوا فيها بطراً أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء (بقدر) بتقدير كما اقتضت حكمته ومشيئته . سبحانه يعلم خفايا عباده وأمرهم، وجلايا حالهم فيقدر لهم مايناسب شأنهم. روى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت ، وقيل في العرب : كانوا إذا أخصبوا تحاربوا ، وإذا أجدبوا انتجعوا .

فقه الباب

بشاشة الفقراء للعطاء ، وقبول الهدية بين المتحابين .

بين صلى الله عليه وسلم للمسلمين الحرص على الكسب الحلال ، والتطلع إلى خيرات الله ، وترك السؤال ، والاعتماد على الله ، ولكن إذا ساق الله خيراً لأحد فليتقبله ، وله الخيار أن يأكله ، أو ينتفع به ، أو يتصدق به ، وكان هذا دأب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لايسألون ولا يردون . وحذر صلى الله عليه وسلم من الطمع والإلحاح في المسألة ، ثم دعا إلى بذل المعروف وفعل البر والميل إلى تشييد الصالحات .

قال الحسن بن علي رضي الله عنه يحث الناس على مكارم الأخلاق : نافسوا في المكارم وسارعوا في المغارم ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه ولا تكسبوا بالمطل ذماً ، واعلموا أن حوائج الناس من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحول نقما ، وإن أجود الناس من أعطى من لايرجوه وإن أعفى الناس من عفا عن قدرة ومن أحسن أحسن الله إليه ، والله يحب المحسنين اهـ .

لم تعجلوه : أي لا تعتدوا بمعروف لم تبادروا إلى عمله ، ولا تماطلوا فتذموا ، فترى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على المسابقة في كسب الطيبات والمسارعة إلى عمل المحامد، وجلب المغانم ، ويبين أن نعم الله وديعة وزكاتها بذلها للمحتاجين خشية أن تحول نقما ، والعياذ بالله .

عسى سائل ذو حاجة إن منعته ... من السؤل يوماً أن يكون له غد

لاتهين الفقير علك أن تر ... كع يوماً والدهر قد رفعه

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في العطاء والسخاء .

قد رأيت أن سيدنا وقرة عيوننا ، ووسيلتنا إلى ربنا عليه الصلاة والسلام والقدوة الحسنة ، بعث هدية إلى حبيبه عمر رضي الله عنه هدية معطاة ورزقاً ميسراً هنيئاً مريئاً وتودداً ومحبة وعطفاً ورأفة ، عسى ان يتودد المسلمون ويتزاوروا ويتهادوا ، ولعبد الله باشا فكرى :

ذو همة دون أدنى شأوها قصرت ... غايات من رام في أمر يدانيها

ترهيب السائل أن يسأل بوجه الله غير الجنة وترهيب المسئول بوجه الله أن يمنع

١ — عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : مَلْعُونٌ[1] مَنْ سَأَلَ[2] بِوَجْهِ اللهِ ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ، ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ هُجْرًا . رواه الطبرانيّ، ورجاله رجال الصحيح إلا شيخه يحيى بن عثمان ابن صالح وهو ثقة ، وفيه كلام .

[هجراً] بضم الهاء ، وسكون الجيم : أى مالم يسأل أمراً قبيحا لا يليق . ويحتمل أنه أراد مالم يسأل سؤالا قبيحا بكلام قبيح .

٢ — وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ[3] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنِ اسْتَعَاذَ[4] بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ[5]، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ[6] فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ[7]، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا[8] فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ . رواه أبو داود والنسائيّ وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وراحة لو تحاكيها السحائب فى ... فيض الندى هطلت ترأ غواديها
ورأفة بعباد الله كافلة ... بخير ماحدثت نفساً أمانيها
تربو على وصف مطريه محاسنه ... وهل يعد نجوم الأفق راعيها

له راحة لو أن معشار جوده ... على البر كان البر أندى من البحر

(١) بعيد من رحمة الله مطرود . (٢) ألخ. قال المناوى: لايناقضه استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم بوجه الله ، لأن ماهنا فى طلب تحصيل الشىء من المخلوق ، وذاك فى سؤال الخالق ؛ أو المنع فى الأمر الدنيوى والجواز فى الأخروى اهـ جامع صغير .

وعلق الشيخ الحفنى : للقصد منه التنفير والأدب ، وإلا فلا يحرم السؤال بذلك ، بل الأولى تركه لما فيه من الإلحاح فى الطلب ، وعدم إجماله « اتقوا الله وأجملوا فى الطلب » ثم منع سائله أى مع القدرة على إعطائه (هجرا) أى فحشا وشيئاً محرما اهـ .

يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم السائل أن يتجنب الإكثار من ذكر لفظ الجلالة ، والتحاشى عن ابتذال اسمه سبحانه ويحذر المسئول أن يرد السائل مطلقاً ولابد أن يعطيه شيئاً ما أدب جم يرسول الله فيريد أن يتحلى به الآخذ والمعطى . (٣) عن جابر فى ن ط،وق ع و د:عن ابن عمر رضى الله عنهما ص ٢٩٠.

(٤) أى طلب الغوث والنجدة . (٥) خصوه واجعلوا له ملجأ ، يقال : عذت به : أى لجأت إليه ، وأنا عائذ : أى مستجير . (٦) طلب شيئاً حباً فى ثواب الله .

(٧) طلب أن تحضروا الوليمة : (٨) قدم لكم خيراً وإحسانا .

٣ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَوْلَى رِفَاعَةَ عَنْ رَافِعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال: مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهِ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ فَمَنَعَ سَائِلَهُ . رواه الطبراني .

٤ — وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ(١) رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللهِ(٢)، وَلَا يُعْطِي. رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب والنسائي وابن حبان في صحيحه في آخر حديث يأتي في الجهاد إن شاء الله تعالى.

٥ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ الْبَرِيَّةِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : الَّذِي يُسْأَلُ بِاللهِ وَلَا يُعْطِي، رواه أحمد.

٦ — وَرُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلي الله عليه وسلم قَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْخَضِرِ(٣)؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْشِي فِي سُوقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْصَرَهُ رَجُلٌ مُكَاتَبٌ(٤)، فَقَالَ تَصَدَّقْ(٥) عَلَيَّ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ فَقَالَ الْخَضِرُ : آمَنْتُ بِاللهِ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ(٦) مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ، فَقَالَ الْمِسْكِينُ: أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ لَمَا تَصَدَّقْتَ عَلَيَّ، فَإِنِّي نَظَرْتُ السَّمَاحَةَ فِي وَجْهِكَ وَرَجَوْتُ الْبَرَكَةَ عِنْدَكَ ، فَقَالَ الْخَضِرُ: آمَنْتُ بِاللهِ مَا عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَهُ إِلَّا أَنْ تَأْخُذَنِي فَتَبِيعَنِي ، فَقَالَ الْمِسْكِينُ: وَهَلْ يَسْتَقِيمُ هٰذَا؟ قَالَ نَعَمْ، أَقُولُ لَقَدْ سَأَلْتَنِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ

---

(١) أرذلهم وأدناهم وأقبحهم وأبعدهم من رحمة الله .

(٢) كذا ع و د ، وفى ن ط : بوجه الله ، والمعنى : المذموم من جاءه سائل يرجو منه صدقة حباً فى الله وكرمه فيحرمه قسوة وبخلا . قال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

(٣) اسمه بليا بن ملكان . قال تعالى فى حكاية سيدنا موسى عليه السلام : (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) ٦٦ سورة الكهف . (رحمة) هى الوحى والنبوة (من لدنا علما) مما يختص بنا ، ولا يعلم إلا بتوفيقنا : وهو علم الغيوب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) ٦٧ أى علما ذا رشد ، وهو إصابة الخير . قال البيضاوى : ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة (سيدنا موسى عليه السلام)أن يتعلم من غيره مالم يكن شرطا فى أبواب الدين، فإن الرسول ينبغى أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لامطلقاً ، وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والأدب فاستجهل نفسه ، واستأذن أن يكون تابعاً له ، وسأل منه أن يرشده ، وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه اهـ ص ٤٢٤ .

(٤) اتفق مع سيده على أن يعتقه إذا دفع مبلغا معينا . (٥) أعطنى شيئاً أستعين به على فك الرق .

(٦) صدقت بوجود الله وخلقه وفضله والذى قدره الله تعالى يوجد .

أَمَا إِنِّي لاَ أُخَيِّبُكَ بِوَجْهِ رَبِّي بِعْنِي[1]. قالَ: فَقَدَّمَهُ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَهُ بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَمَكَثَ عِنْدَ الْمُشْتَرِي زَمَانًا لاَ يَسْتَعْمِلُهُ فِي شَيْءٍ، فَقَالَ: إِنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي الْتِمَاسَ خَيْرٍ عِنْدِي فَأَوْصِنِي بِعَمَلٍ. قالَ: أَكْرَهُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ إِنَّكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ[2] قالَ لَيْسَ يَشُقُّ عَلَيَّ. قالَ: قُمْ فَانْقُلْ هٰذِهِ الْحِجَارَةَ[3]، وَكَانَ لاَ يَنْقُلُهَا دُونَ سِتَّةِ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ فَخَرَجَ الرَّجُلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ نَقَلَ الْحِجَارَةَ فِي سَاعَةٍ: قالَ أَحْسَنْتَ وَأَجْمَلْتَ وَأَطَقْتَ مَا لَمْ أَرَكَ تُطِيقُهُ. قالَ: ثُمَّ عَرَضَ لِلرَّجُلِ سَفَرٌ فَقَالَ إِنِّي أَحْسَبُكَ أَمِينًا فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي خِلاَفَةً حَسَنَةً. قالَ: وَأَوْصِنِي بِعَمَلٍ. قالَ: إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ قالَ: لَيْسَ يَشُقُّ عَلَيَّ. قالَ فَاضْرِبْ مِنَ اللَّبِنِ لِبَيْتِي حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيْكَ. قالَ فَمَرَّ الرَّجُلُ لِسَفَرِهِ قالَ فَرَجَعَ الرَّجُلُ وَقَدْ شَيَّدَ بِنَاءَهُ[4] قالَ: أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ مَا سَبَبُكَ وَمَا أَمْرُكَ؟ قالَ: سَأَلْتَنِي بِوَجْهِ[5] اللهِ وَوَجْهُ اللهِ أَوْقَعَنِي فِي هٰذِهِ الْعُبُودِيَّةِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: سَأُخْبِرُكَ مَنْ أَنَا، أَنَا الْخَضِرُ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ سَأَلَنِي مِسْكِينٌ صَدَقَةً فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ فَسَأَلَنِي بِوَجْهِ اللهِ فَأَمْكَنْتُهُ مِنْ رَقَبَتِي فَبَاعَنِي وَأُخْبِرُكَ أَنَّهُ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ فَرَدَّ سَائِلَهُ وَهُوَ يَقْدِرُ وَقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِلْدَةً[6]، وَلاَ لَحْمَ لَهُ يَتَقَعْقَعُ[7]، فَقَالَ الرَّجُلُ آمَنْتُ بِاللهِ، شَقَقْتُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَلَمْ أَعْلَمْ. قالَ: لاَ بَأْسَ أَحْسَنْتَ وَأَتْقَنْتَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا نَبِيَّ اللهِ احْكُمْ فِي أَهْلِي وَمَالِي بِمَا شِئْتَ، أَوِ اخْتَرْ فَأُخَلِّيَ سَبِيلَكَ[8]. قالَ أُحِبُّ

(١) هانت عليه نفسه ، ولا يرد السائل حباً فى ثواب الله ، وإكراما لقسمه بالله .

(٢) هذه كرامة الله ألقى عليه الهيبة والجلال فاحترمه مشتريه . (٣) مايعمل من الطين ويبنى به .

(٤) كذا ع ، ود س ٢٩١ ، وفى ن ط بناه .

(٥) أى بذاته سبحانه ، وادخار ثوابه وإنفاقه . قال فى الغريب: وربما عبر عن الذات بالوجه فى قول الله تبارك وتعالى .

ا ـ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) قيل : ذاته . وقيل : أراد بالوجه هنا التوجه إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة .

ب ـ (إنما نطعمكم لوجه الله) .

ج ـ (يريدون وجه الله) .

د ـ (كل شىء هالك إلا وجهه) .

(٦) جسمه جلدة مثل الهيكل فقط . (٧) يضطرب ويتحرك بصوت . (٨) أطلقك .

أَنْ تُخَلِّىَ سَبِيلِي فَأَعْبُدَ رَبِّي فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَقَالَ الْخَضِرُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْثَقَنِي (١)

(١) قيدنى وحبسنى فى ذل الأسر وملك اليد ، ثم تكرم بفك رقبتى ، وإزالة عبوديتى وانكسارى .
أخبر صلى الله عليه وسلم عن نبذة طريفة عن سيدنا الخضر عليه السلام،وزيادة إعانه بالله تعالى،ورغبته فى ثوابه ، ورهبته من عقابه ، وميله إلى إجابة السائل الفقير المحتاج ، ولو ببيع نفسه:درجة سامية فى الإيمان بالخالق جل وعلا ، والرقيب الحسيب أن ينفق ماعلك ، ولو يجود بنفسه ، وقد رأيت أعزك الله أيها المؤمن إكرام الله للخضر ، ومنحه رضاه ، وتجليه عليه ببركاته ورحماته ، وإعطائه قوة المجدين العاملين،(وقد نقل الحجارة فى ساعة) هذه كرامة ، والثانية (وقد شيد بناءه) . قال الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضنى الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
بث النـوال ولا يمنعك قلتـه فكل ما سد فقـراً فهو محمود

ثم أعطى سيدنا الخضر نصيحة عالية،وحذر المسئولين من البخل خشية الوقوف يوم الحساب حفاة عراة ، وهيئة أجسامهم رثة بالية تضطرب لرداءتها وقذارتها،وانظر إلى أسمى مطلب عكف عليه العقلاء،وسعى إليه الفضلاء (تخلى سبيلى فأعبد ربى) هذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لك أيها المسلم لتجود بمالك فى مشروعات الخير ولتثق بالله الرزاق المدق المخلف ، ولتتحلى بشيم السخاء والعطاء ، فلا ترد سائلا ، وأعطه من فضل الله و معه عسى الله أن يرزقك السعادة والقناعة .

ولأبى فراس الحمدانى فى هذا المعنى :

غيرى يغـيره الفعال الجافى ويحول عن شيم الكريم الوافى
إن الغنى هو الغنى بنفسـه ولو أنه عارى المناكب حاف
ما كل مافوق البسيطة كافياً وإذا قنعت فبعض شيء كاف
وتعاف لى طمع الحريص فتوتى ومـروءتى وقناعتى وعفافى
ومكارمى عدد النجوم ومنزلى مأوى الكرام ومنزل الأضياف
لا أرتضى وداً إذا هو لم يدم عنـد الجفاء وقلة الإنصاف

سيدنا الخضر عليه السلام

فى تفسير الجلالين : (آتيناه رحمة من عندنا) نبوة فى قول ، وولاية فى آخر . وعليه أكثر العلماء وعلق على هذا الشيخ الصاوى : أى وقد صححه جماعة ، والجمهور على أنه حى إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء ويأخذون عنه . قال العارف السيد البكرى صاحب ورد السحر فى توسلاته : بنقيبهم فى كل عصر الخضر أبى العباس من أحيا بماء وصاله :

حى وحقك لم يقل بوفاته إلا الذى لم يلق نور جماله
فعليه منى كلما هب الصبا أزكى سلام طاب فى إرساله

وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عنه ، فهو صحابى ، واسمه بليا : أى أحمد بن ملكان وكنيته أبو العباس . قال بعض العارفين : من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الإسلام ، وهو من نسل نوح ، وكان أبوه من الملوك ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته اهـ ص ١٦ - ٣ وفى كتابى النهج السعيد فى علم التوحيد ص ٥٩ فى تعلق علم الله تعالى :

فائدة : قام رجل إلى ابن الشجرى وهو على كرسيه للوعظ يقرأ تفسير قوله تعالى : (كل يوم هو فى شأن) ووقف على رأسه فقال : ياهذا ما يفعل ربك الآن ؟ فسكت وبات مهموما ، فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم

فى الْعُبُودِيَّةِ ، ثُمَّ نَجَّانِي مِنْهَا. رواه الطبرانى فى الكبير وغير الطبرانى ، وحسّن بعض مشايخنا إسناده ، وفيه بعد ، والله أعلم .

فذكر له ذلك ، وسأله ، فقال له : إن السائل لك الخضر وإنه سيعود ، فقل له : شئون يبديها ولا يبتديها يخفض أقواما ، ويرفع آخرين فأصبح مسروراً ، فأتاه وأعاد عليه السؤال ، فأجابه بذلك ، فقال له : صل على من علمك وانصرف مسرعاً اه .

هذه نبذة معتمدة نقلتها من كتب التوحيد التى تدرس بالأزهر لتدل على سيدنا الخضر عليه السلام وأنه حى وقد قص الله علينا فى كتابه العزيز حكاية موسى عليه السلام وفتاه (فى سورة الكهف) وورد فى صحيح مسلم : (فارتدا على آثارهما قصصا) يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة ، فرأى رجلا مسجى عليه بثوب ، فسلم عليه موسى ، فقال له الخضر : أنى بأرضك السلام ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم قال : إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، وأنا على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه اه .

الآيات توضح لك أعمالهما :

ا — خرق السفينة.

ب — قتل الغلام .

ج — إخراج كنز من جدار .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما . قال الراوى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت الأولى من موسى نسياناً — قال : وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ، ثم نقر ، فقال له الخضر : ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هــذا العصفور من البحر ، هذا على سبيل التقريب للأفهام فقط .

وأول الحديث : عن أبى بن كعب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قام موسى عليه السلام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم . قال : فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى : أى رب كيف لى به ؟ فقيل له : احمل حوتاً فى مكتل فحيث تفقــد الحوت فهو ثم ، فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون ، فحمل موسى عليه السلام حوتاً فى مكتل ، وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة الحديث » ص ٣٧٤ مختار الإمام مسلم الجزء الثانى .

قال النووى : وقد صح فى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هى تهتز من خلفه خضراء ، وجمهور العلماء على أنه حى موجود بين أظهرنا ، وكان الحوت سمكة مالحة ، والمكتل : القفة والزنبيل والطاقة : عقد البناء (مسجى مغطى) (أنى بأرضك السلام) بمعنى كيف : أى السلام عجيب بدار الكفر هذه ، أو كانت تحيتهم بغير السلام ، أو أنى بمعنى من أين استقر السلام حال كونه بأرضك ، والقرية أنطاكية . قال ابن سيرين : هى الأيلة اه .

وفى صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم «رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة» . ذمامة : استحياء أو ملامة اه مختار .

اللهم إنى أحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحب سيدنا موسى والخضر عليهما السلام ، وأتوسل بهم أن توفقنى لأقتدى بهم يا كريم .

تم الجزء الأول من الترغيب والترهيب ، ويليه الجزء الثانى ، وأوله : الترغيب فى الصدقة والحث عليها

فهرس

الجزء الأول من كتاب الترغيب والترهيب

للإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى

صحيفة

صحيفة

كتاب العلم

كتاب الطهارة



صحيفة

كتاب الصلاة

صحيفة

كتاب النوافل

صحيفة

كتاب الجمعة

كتاب الصدقات